

المسحاة

١٣١٥

بؤني الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد
أوتي خيرا كثيرا وما يذكر إلا أولو الألباب

قبض عبادي الذين يستهون بالقول فليسمعوا حسنة
أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب

قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام صوى و مناراء كمنار الطريق

مصر ٢٩ ربيع الانور ١٣٣٣ ٢٥ الدلو (ش ٢) ١٢٩٣ هـ ش ١٤ فبراير ١٩١٥

فاتحة السنت الثامنة عشرة للمنار

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سبحانك اللهم وبحمدك ، وتبارك اسمك ، وتعالى جدك ، وجل
ثناؤك ، ولا إله غيرك ، (٣ : ٢٦) قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء ،
وتنزعه الملك ممن تشاء ، وتُعز من تشاء ، وتذل من تشاء ، بيدك
الخير إنك على كل شيء قدير

سبحانك اللهم وبحمدك ، ما أعذل حكمتك ، وما أجل حكتك ،
وما أوسع علمك ، وما أنفذ مشيئتك ، (قل اللهم فاطر السموات

وَالْأَرْضِ عَالَمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِيمَا كَانُوا فِيهِ
يَخْتَلِفُونَ

سبحانك اللهم وبحمدك، لأنحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على
نفسك، أسبغت النعم ظاهرة وباطنة، وأفضت أنوار الكرم بارزة وكامنة،
ووهبت المقول والمشاعر، وبينت السنن والشعائر، وأكملت هداية
الدين، ببعثة محمد خاتم النبيين، فصل وسلم اللهم عليه وعلى آله الأئمة
الطاهرين، وأصحابه الهادين المهديين

اللهم ان نعمك لا تحصى وقد كفرها الكافرون، وان صراطك
المستقيم لا يخفى وقد تنكبه الضالون، وان حكمك هو الحق وان عمي
عنه المبطلون، وان عدلك هو القسطاس وان جهله الظالمون، (٧: ٣٣)
وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا
يَسْتَقْدِمُونَ * ١٨ : ٦٥ حَتَّىٰ إِذَا أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِم بِالْعَذَابِ إِذَا هُمْ
يَجَارُونَ ٦٦ لَا تَجَارُوا الْيَوْمَ إِنكُمْ مِنَّا لَا تُنصِرُونَ)

ربنا إنك آتيت أقواما الغنى فطغوا وفسقوا عن أمرك، وآتيتهم
القوة فبغوا في أرضك، ربنا ليضلوا عن سبيلك، بما أعرضوا عن
دليلك، (١٠: ٨٨) ربنا اطمس على أموالهم واشدد على قلوبهم، فلا
يؤمنوا حتى يروا العذاب الآليم * ١٧ : ٤٤ بَلْ مَتَّعْنَا هَؤُلَاءِ وَآبَاءَهُمْ حَتَّىٰ
طَالَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ، أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا ؟
أَفَهُمُ الْغَالِبُونَ ؟)

يأيها الناس لا حير في الحضارة المدنية، اذا اقيمت على قواعد

الأثرة والقوة المادية ، ولا خير في العلم ولا في العمران ، اذا كانا وسيلة لاستعباد الانسان لأخيه الانسان ، أفلا يعلم الذين جعلوا الحق كله للقوة ، ان الله الذي خلقهم هو أشد منهم قوة ، وانه بعباده رؤف رحيم وإنما يرحم الراحمين ؟ وانه يأمر بالعدل والاحسان وخص بمحبته المحسنين ؟ (٤٠ : ٨٢ أفلم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم ؟ كانوا أشد منهم قوة وآثاراً في الارض فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون * ٢٩ : ٩ أو لم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم ؟ كانوا أشد منهم قوة وأثاروا الارض وعمروها أكثر مما عمروها وجاءتهم رسالهم بالبينات ، فما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون) (*) (٣٨ : ٩ أم عندكم خزائن رحمة ربك العزيز الوهاب ١٠ أم لهم ملك السموات والارض وما بينهما فليبرئوا في الاسباب ١١ جند ما هنالك مهزوم من الأحزاب)

(٤ : ١ يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة * ٤٩ : ١٣ يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا) لا لتتناكروا وتتخالفوا ، (٤٥ : ١٢ ونزّل لكم مافي السموات وما في الارض) لتشكروا لا لتكفروا ، ولتصالحوا لا لتفسدوا ، وليس الإصلاح في الاستعانة بقوى المواد وخواص الاشياء ، على إفساد أمر الناس الذين خلق الله لهم جميع الاشياء ، وإنما الإصلاح كل

(*) لا يحول دون الاعتبار بهاتين الآيتين هنا نزولهما في قوم كانوا أقل ممن قبلهم قوة وكسبا وعمرا واثارا في الارض وكونهما لا تنطبقان من بعض الوجوه على بعض الامم المعروفة بقوتها وعمرائها في هذا العصر - فالعبرة واحدة

الإصلاح ، أن تستمينوا بما آتاكم الله من العلم والعرفان ، وما هداكم
إليه من تسخير القوى الكامنة في الأجسام ، على جعل منافعها شرعاً
بين جميع الناس ، وجعل الغاية منها إيصال الشعوب كلها إلى ما يمكن
من الكمال . وإن الإفساد كل الإفساد ، أن تحتكر الشعوب العالة
منافع العلم ، وتجعله ذريعة لبغي بعضها على بعض ، واستدلال الشعوب
الضعيفة في الأرض ، وتسخيرها لخدمتها كما تسخر الحيوان الأعجم ، بل هم
أشد اهانة لمن كرم الله وأكثر تذليلاً (١٧: ٧٠) ولقد كرّنا بني آدم وحنانهم
في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلاً
- ١٦ وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول
فدمرناها تدميراً

يا أيها الإنسان، اتق الله في أمر أخيك الإنسان، ولا تستغل على من
فضلك عليه بالعلم والمال، فقد خلت من قبلكم القرون والأجيال، (١٤: ٤٤)
وسكنتم في مساكن الذين ظلموا أنفسهم وتبين لكم كيف فعلنا بهم وضربنا
لكم الأمثال - ٢٨: ٦٧ إن قارون كان من قوم موسى فبني عليهم وآتيناه من
الكنوز ما إن مفاضة لتنوء بالعصبة أولي القوة، إذ قال له قومه لا تفرح
إن الله لا يحب الفرحين (٧٧) وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا
تنس نصيبك من الدنيا وأحسن كما أحسن الله إليك ولا تبغ
الفساد في الأرض إن الله لا يحب المفسدين (٧٨) قال إنما أوتيته على
علم عندي، أو لم يعلم أن الله قد أهلك من قبله من القرون من
هو أشد منه قوة وأكثر جمعاً؟ ولا يسئل عن ذنوبهم المجرمون

(٧٩) فَنُجِرْ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ (٨٠) وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيَلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَن آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلَا يُلْقِيهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ (٨١) فَخَسَفْنَا بِهِ وَبَدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُوهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنتَصِرِينَ (٨٢) وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيَكَذَّبُ اللَّهُ بِبَسْطِ الرِّزْقِ لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ، لَوْلَا أَن مِّنَ اللَّهِ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بَنَاءُ وَيَكَاذِبُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ (٨٣) تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ

يا أيها المغرورون بالعلم والقوة ، قد عرفتكم القوى المادية ، فلا تنسوا القوة المعنوية ، يا أيها المغرورون بعرفان السنن الكونية والاجتماعية ، لا تنكروا سنن العدالة الإلهية ، (٣ : ١٣٦) قد خلت من قبلكم سنن فسيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين * ١١ : ١١٨ وما كان ربك ليهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون - ٢٨ : ٥٩ وما كنّا مُهلِكِي القرى الا وأهلها ظالمون ٧ : ٩٩ أولم يهد للذين يرثون الأرض من بعدهم أن لو نشاء أصبناهم بذنوبهم ، ونطبع على قلوبهم فهم لا يسمعون

واما أنتم يا معاشر المستضعفين والمظلومين ، فما زلتُم شراً على أنفسكم

من الاقوياء العادين ؛ لا نعم الله شكرتم ، ولا دين الفطرة أقمتم ؛ لا سنن
 لله في السكون عرقتم ، ولا على سننه في ارتقاء البشر سرتتم ؛ لا بالقوى
 لمادية انتفعتم ، ولا بالقوى المعنوية اعتصمتم ، فما ظلمكم الله ولا الناس
 لكن أنفسكم ظلمتم . تطالبون ربكم بما وعد به المؤمنين ، ولا
 طالبون أنفسكم بما فرضه وما شرطه على المؤمنين ، (٣ : ١٥٢) ولقد
 يصدقكم الله وعده اذ تحسبونهم باذنه حتى اذا فشلتم وتنازعتم في الأمر
 مرممكم بخالفة كتابه وسنته في عباده ذلك النصر ، (٨ : ٤٧) واطيعوا
 لله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا إن الله مع
 الصابرين (٣ : ١٣٨) وتلك الايام نداولها بين الناس * ٢٧ : ٥ ونريد
 أن نمن على الذين استضعفوا في الارض ونجعلهم أئمةً ونجعلهم الوارثين
 يا قوم ! طالما أنذركم المنار على رؤوس السنين والاحوال ، سوء عاقبة
 ما أنتم عليه من التفريط والغرور والاهمال ، وطالما فصل لكم في أعقاب
 لشهور ، ما تخرجون به من الظلمات الى النور ، مبينا لكم آيات القرآن ،
 وأقيسة الميزان ، وسنن الله في سيرة الانسان ، أن الامر ليس بالأمانى
 والاحلام ، ولا بمجرد الانتساب الى الاسلام ، وانما هو بالاخلاق
 والاعمال ، والعدل والاعتدال ، التي بالايماز تبلغ درجات الكمال ، وانما
 لخلافة في الارض بالصلاح والاصلاح ، والمؤمن المصلح يرجع المصلح
 لكافر بالايماز ، (٢١ : ١٠٥) ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن
 لارض يرثها عبادي الصالحون * ١٤ : ١٣ فأوحى اليهم ربهم لنهلكن
 الظالمين ١٤ ولنسيتنكم الارض من بعدهم * ٧ : ١٢٧ وعده الله الذين

آمنوا منكم وعملوا الصالحات لِيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ٧: ١٢٧ إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ، وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ)

نعم طالما حذركم المنار وأُنذركم ، بل طالما ذكركم بنُذير ربكم ، وبسننه في الدين معكم والذين خلوا من قبلكم ، فتماريتم بالنذر ، وتعلمتم بالقضاء والقدر ، وإنما يعتذر بالقدر من يبرئ نفسه ، ويتهم ربه ، على أنكم تدعون ربكم أن يبدل فيكم سنته ، ويبطل لأجلكم حكمته ، وينصركم بالاستبداد الأنف ، وقطع أسباب القدر ، وقد تلوتم ما نزل في حنين وأحد ، إذ نزل بخير سلفكم ما نزل ، جزاء العجب والخلاف والفشل ، وفيهم خاتم الأنبياء والرسل ، أئسلامكم خير من اسلامهم ، أم لكم براءة في الزُّبر ، (كلاً والقمر ، والليل إذا أذرب ، والصبح إذا أسفر ، إنها لا يحدى الكبر ، نذيراً للبشر ، لمن شاء منكم أن يتقدم أو يتأخر)

نعم ان الله في خلقه آيات ، وان لربكم في أيام دهركم نفحات ، وان له تعالى رحمة خاصة لدُنْيَا ، تتخلل سنته الاجتماعية ، « وان الله تعالى ليؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر » ^(١) « وان الله تعالى ليؤيد الاسلام برجال مأم من أهله » ^(٢) ولكن الله تعالى لا يؤيد بخوارق الآيات ، من أعرض عن السنن وآيات القرآن ، ولا يمد بالنفحات والرحمة الخاصة ، من استحق الحرمان من معظم الرحمة العامة ، ألا وان تأييد الله الاسلام

(١) حديث رواه الطبراني عن عمرو بن النعمان بن مفرن وعلم عليه السيوطي

في جامعه بالصحة (٢) حديث رواه الطبراني عن عبدالله بن عمرو بسند ضعيف

بغير اهله ، أكبر حجة على جميع من يُمدون من اهله ، ولا سيما إذا أُصروا على خذل أنفسهم بخذله ، أفلا يعلم من لا خير له في نفسه من نفسه ، أن لا خير يرجى له من غيره ؟ (٣٦ : ٥٣) أم لم ينبأ بما في صُحف موسى ٣٧ وإبراهيم الذي وفى ٣٨ ألا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ٣٩ وأن ليس للإنسان إلا ما سقى)

يجب علينا معاشر المسلمين أن نصف من أنفسنا ، قبل أن نتنصف أو نستنصف من الآجانب عنا - وأن نستجيب لله وللرسول إذا دعانا لما يحيينا ، قبل أن ندعوه أن يستجيب لنا ويؤتيننا ما وعدنا - وأن نشكر نعم ربنا التي أعطى من غير استحقاق لها ، قبل أن نسأله حفظها أو المزيد منها بدون قيام بحقةها - وأن نعلم أن الله تعالى لا يستجيب الدعاء بلسان المقال ، إلا إذا كان دعاء بلسان الاستعداد والحال ، (١٣ ١٢) إن الله لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ ، وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ)

إنني أذكر في فاتحة السنة الثامنة عشرة للمنار ، بما طالما فصلت فيه القول في السنين الخوال ، إننا نحن مسلمي هذا العصر ، لا نستحق على الله تعالى نصيبا من الملك ، ولا خلافة في شيء من الأرض ، لا بحسب سنته في خلقه ، ولا بمقتضى وعده في كتابه ، فإذا أعطى شيئا أو أبقي ، فذلك عنايته تعالى وفضله لا مما جملة وعدا عليه حقا ، وإن الله تعالى ليلو عباده بالحسنات ، كما يلوهم بالسيئات ، ليلوهم أحسن عملاء ، فيكون أحسن جزاء وخيرا أملا (١٨ : ٥٥) ولقد صرَّفنا في هذا القرآن للناس من كلِّ مثلٍ وكأَنَّ الإنسانَ أَكْثَرُ شَيْءٍ جَدَلًا ٥٩ وربُّكَ

الغفور ذو الرحمة ، لو يؤاخذهم بما كسبوا لمجلّ لهم العذاب ، بل لهم موعد لن يجدوا من دونه مؤثلاً

هذا وإن آية المؤمن أن يحمد الله في السراء والضراء ، ولا يئأس من روح الله مهما اشتدت الأهوال والأرزاء ، ويعلم أن ما أصابه من حسنة فمن فضل ربه ، وما أصابه من سيئة فمن نفسه وسوء كسبه ، فيحدث عند الحسنة شكراً ، ويحدث عند السيئة توبة وذكرى (٢٢ : ١١ ومن الناس من يعبد الله على حرف ، فإن أصابه خير اطمأن به ، وإن أصابته فتنة انقلب على وجهه ، خسِر الدنيا والآخرة ، ذلك هو الخسران المبين)
٢٢ : ٧ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ - ١٠ : ٨٥ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ٨٦ وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ - ٢ : ٢٨٧ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا . رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إَصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا . . .

٢ : ٢٠٠ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ
٣ : ١٩٤ رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَى رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ

٧ : ٨٩ رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ

٣٩ : ٧٥ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحمدُ لله ربِّ العالمين

منشئ المنار ومحوره

محمد رشيد رضا



﴿ الجهاد الديني في الاسلام ﴾

ان أحكام القتال في الاسلام أعدل وأرحم من أحكام القوانين الاوربية فهي الإصلاح الاعظم لهذه المصيبة الاجتماعية . ويظن كثير من نصارى الشرق - تبعاً لاعتقائهم في الغرب - ان الجهاد الديني في الاسلام عبارة عن تصدي المسلمين لقتل كل من يخالفهم في الدين . وقد يتأخض هؤلاء ووههم بالأدلة والآيات البينات . ويدهشنا ان نرى أجدر الناس بالفهم والحفظ والذكر لما كتبناه - كاصحاب الجرائد - قد نسوه وظلوا على رأيهم الموروث بدليل ما كان من توقعهم قيام المسلمين في البلاد العثمانية بذبح إخوانهم في الجنس والوطن ، واستغرابهم اتحاد الدولة العثمانية مع دولتين من غير دينها

أعلنت الدولة العثمانية الجهاد الديني فكان المسلمون في بلادها السورية وغيرها أشد اتفاقاً مع غير المسلمين منهم قبل هذا الجهاد . وما ينقل من تعدي الترك والاكراذ على الأرمن فسببه - على فرض صحته - المنازعات الجنسية والسياسة ، والانتقام منهم لميلهم الى الدولة الروسية

وأما الجهاد العام في الاسلام فلا يكون الادفاعاً ولا يجوز فيه قتال غير المقاتلين المعتدين (٣ : ١٩٠) وقالوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين

الدعوة الى انتقاد المنار

عجرت عادتنا بأن نذكر قراء المنار في كل عام بما يجب من الانتقاد الذي هو ضرب من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والمساعدة على الدعوة الى الخير، وبث النصيحة ونشر العلم، فنحن نطالب كل من قرأ في المنار شيئاً يرى أنه خطأ أن يبين لنا ذلك قولاً أو كتابة مؤيداً لنقده بما عنده من الدليل، وأما من سمع الإنكار على المنار من بعض الناس سمعاً فينبغي له أن يثبت ولا يعجل بمواقفة المنكر ومجاراته، حتى يرى ذلك بعينه، أو يقرأه الثقة عليه، فإن من الناس من يقتري الكذب عمداً، ومنهم من يحرف ما يقرأ حسداً وضغناً، ومنهم من يستنبط من الكلام لوازم لا تلزم، على أن لازم المذهب ليس بمذهب

واننا وايم الله لا نرغب الى أهل العلم والفهم أن ينتقدوا ما نكتب غروراً منا بنفسنا وثقة بأن النقد ينكشف عن خطأ الناقد وصوابنا، بل نعلم اننا كغيرنا من البشر عرضة للخطأ والنسيان، ولجهل الحقائق وضعف البيان، ولا نبرئ أنفسنا الا من سوء القصد، واتباع الهوى عن عمد، وان لنا في هذه الدعوة أربعة أغراض:

الاول التوصل بها لإصلاح خطأنا، وتقويم عوجنا

الثاني التعاون على البر والتقوى والإصلاح بضم رأي غيرنا الى رأينا والاستفادة

من علم أهل العلم

الثالث اقامة الحجة على المفتابين والكذابين الذين يقولون علينا ما لم نقل،

وينسبون الينا ما نحن براء منه، ويعيون المنار بما ليس فيه

الرابع التوصل الى تصحيح خطأ المتقدم اذا كان هو المخطئ

هذا. ومن شاء ان ينشر ما يكتبه اليه من غير تصريح باسمه فله أن يأمرنا

بكتبان اسمه. ووضع ما شاء أو شئنا من الاسماء والاتقاب في مكانه

واننا نشترط على المتقدمين ما نشترطه لهم على أنفسنا من الادب في العبارة.

ونزيد التزام الموضوع وعدم الخروج عنه الى ما ليس منه، ومراعاة الاختصار بقدر

الحاجة

التاريخ الهجري الشمسي

يعلم القراء أننا شرعنا من بضع سنين بإحياء التاريخ الهجري الشمسي بذكر
سنينه في المنار بعد التاريخ الهجري القمري وقبل التاريخ الميلادي وقد كنا نكتفي
أولا بذكر السنة تابعة للشهور الأفرنجية الشمسية، بدأنا بهذا في المجلد الثاني عشر
(سنة ١٣٢٧) ثم ارتأينا في أول السنة الخامسة عشرة عشرة - سنة ١٣٣٠ - أن
نذكر الشهور الشمسية الهجرية ونعتمد في تسميتها ما اختاره أحمد مختار باشا الغازي
في تقويمه بين فيه ذلك. وذلك أن تسمى الشهور بأسماء الفصول مع الوصف بالعدد،
بأن يقال: الخريف الأول - الخريف الثاني الخ لان حفظ هذه الشهور يسهل على
العوام كالخواص، ومن أسمائها يعرفون مواقعها من السنة من أول العيد باستمرائها. وقد
جرينا على هذا الحساب في جماعة الدعوة والارشاد ومدرستها. وكنا عازمين على
طبع تقويم خاص للسنة الهجرية الشمسية

ثم أننا رأينا أن بعض اخواننا من الفارسيين والافغانيين يستعملون التاريخ الهجري
الشمسي ولكنهم يسمون شهور السنة بأسماء بروج الشمس، فالشهر الأول من السنة
هو شهر الميزان وهو أول فصل الخريف الذي وصل النبي (ص) في أول يوم منه
إلى المدينة المنورة، ولما نبهنا الناس إلى إحياء هذا التاريخ في مصر صار بعض أصحاب
التقاويم المصرية يذكرونه في تقاويمهم، وتبعوا الفرس والافغان في تسمية الشهور
لأجل هذا رأينا الآن أن نجاري هؤلاء وأولئك في هذه التسمية، وأن نكتفي
بالإشارة إلى تسمية الشهور بأسماء الفصول بالحروف المقطعة من أولها، وذلك بجعل
حرف خ رمزا للخريف وحرف ش للشتاء وحرف ر للربيع وحرف ص للصيف،
ونضيف إلى هذه الحروف الأرقام الدالة على الأول والثاني والثالث. فالقارئ يرى
هذا الجزء مؤرخا في ٢٥ من شهر الدلو (ش ٢) أي الشتاء الثاني.

﴿ سنة المنار الجديدة عشرة أشهر ﴾

بيننا في جزء آخر السنة الماضية أن ما أحدثته حرب المدينة الأوربية من
الضييق وقلة الورق اضطرنا إلى جعل سنة المنار الجديدة عشرة أشهر كما كثر المجلات
المصرية، مع إبقاء جزء كل شهر ثمانين صفحة. وإذا طالت الحرب وزاد هذا
الضييق فرما نضطر إلى تقليل عدد الأوراق أيضا

مدرسة دار الدعوة والارشاد

دروس سنن الكائنات

محاضرات علمية طبية إسلامية للدكتور محمد توفيق صدقي

٣

(الهواء)

يفهم مما تقدم في الكلام على المطر ان الهواء يشتمل دائما على بخار الماء (الرطوبة) وهذا البخار يقل أو يكثر بحسب درجة حرارة الهواء، فإذا كان الهواء ساخنا كان أكثر رطوبة من الهواء البارد

وأهم ما يوجد فيه من الاجسام الاخرى فهو : —

النيروجين	٧٩ و ٠٢
الأكسجين	٢٠ و ٩٤
غاز ثاني أكسيد الفحم	٤ و ٠

في المائة تقريبا وذلك بالحجم لا بالوزن

وهي مختلط بعضها ببعض وليست متحدة اتحادا كإيوا كما سبق : وفي الهواء غير ذلك آثار من عناصر أخرى ومركبات لا حاجة هنا لتفصيلها أما أنواع الهواء بحسب الامكنة فهي ما يأتي :

١ — هواء البحار — وهو يشتمل على كثير من بخار الماء النقي ومن أكسجين كثيف يسمى (الاوزون)^(١) وهو عبارة عن أكسجين خائر (مركز) تشتمل كل ذرة منه ثلاث جواهر فردة من الأكسجين . وهواء البحار البعيد عن البرخال من الميكروبات تقريبا ومن العفونات والروائح الكريهة ويكون في الشتاء دافئا وفي الصيف باردا وذلك لأن الماء يبرد ببطء ولا يسخن بسرعة فيبقى أشد سخونة أو برودة من الأشياء المحيطة به فيعدل درجة حرارة الجو

(١) كلمة يونانية معناها « الفواح » لوجود رائحة له خاصة وهو يتولد من أكسجين الهواء بسبب الكهرباء وهو مما يطهر الهواء من العفونات

(المراجع ١) (٥) (المجلد الثامن عشر)

فهواء البحار من أنفع الاهوية للصحة ومفيد لكثير من الامراض ولو انه يشتمل على رطوبة كثيرة فان ذلك لا يضر فيها

٢- هواء الصحاري - ورطوبته أقل كثيرا وهو أيضا خال من الميكروبات تقريبا ومن العفونات وغيرها، وأكسجينه يوجد فيه أيضا النوع المسمى (أوزون) كهواء البحار وأما درجة حرارته فهي عالية في الصيف منخفضة في الشتاء وهو أيضا نافع للصحة ومفيد لبعض الامراض الاخرى

٣- هواء المدن - وهو يشتمل على كثير من الميكروبات^(١) والغازات الضارة والعفونات وغيرها مما يخرج مع نفس الحيوان ومما يتصاعد من النيران وغيرها ، ويشتمل أيضا على رطوبة كثيرة ولكنها ليست نقية بل مختلطة بكثير مما يتبخر من سطح الارض من القاذورات والروائح الكريهة المنبعثة من المراحض ونحوها أو من المياه الرا كدة الآسنة، ولذلك كان هواء المدن من أفسد الاهوية وأضرها بصحة الانسان

٤- هواء الحدائق والغيطان [الحقول] - ونحوها وهو من جهة الرطوبة بين هواء الصحاري وهواء البحار ، وميكروباته قليلة جدا، وفي النهار يقل منه غاز ثاني أوكسيد الفحم بسبب تنفس الاشجار فهي تستنشق منه غاز الفحم الضار وتترك الاكسجين للانسان والحيوان . وفي الليل يكون هذا الهواء فاسدا لأن الاشجار والنباتات تنفس فيه تنفس الحيوان فان لم يكن المكان طلقا أضر هذا الهواء الانسان ضررا كبيرا واذا لم يتجدد الهواء ربما يقتله

الانتشار والتخلل أو (الاختراق)

علم مما تقدم أن ذرات المادة نحت مؤثرين عظيمين الاول قوة الانضمام والثاني قوة الاندفاع وهي المبر عنها فيما سبق بالحرارة الكامنة

فاذا زادت قوة الانضمام عن قوة الاندفاع كان الجسم صلبا واذا تساوت القوتان

(١) تعيش في الهواء مددا مختلفة بحسب ما تجده فيه من الغذاء فانها تعلق بذرات مخاطية أو خلايا بشرية أو نحو ذلك، وبحسب قوة مقاومتها للعوامل الطبيعية كنور الشمس وغير ذلك. وبعد المطر الشديد تقل كثيرا من الهواء لانه يغسله منها

كان سائلا وإذا زادت قوة الاندفاع عن قوة الانضمام كان غازا
ففي الغازات تميل ذراتها الى الانتشار في جميع الجهات بقوة الحرارة الكامنة
فيها وهذا هو المسمى في علم الطبيعة بالانتشار، وتلك القوة تحدث ضغطا على الاجسام
المحيطة بالغاز فهي أيضا من أسباب الضغط الجوي الذي تقدم ذكره (راجع صفحة
٧ من هذا الكتاب)^(١)

وكما كان الغاز خفيفا كانت قوة الانتشار فيه أشد فالهيدروجين — وهو أخف
من الأكسجين — ينتشر بسرعة أكثر من الأكسجين

وإذا وجد في طريق الغاز المنتشر غشاء مما له مسام نفذ الغاز من خلاله
وقوة النفوذ هذه تسمى قوة التخلل أو الاختراق وتسميها الأفرنج Osmosis
وكما أن الغازات تخترق بعض الأغشية كذلك من الاجسام الصلبة ما يخترقها
أيضا إذا كان ذاتيا، والاجسام بالنسبة الى قوة الاختراق نوعان:

(الأول) أجسام تتشكل بشكل البلورات كالأملاح وهي سهلة النفاذ (الثاني)
أجسام لا تتشكل كالواد الزلالية والفروية والصمغية وهي يتعسر نفاذها أو يتعذر
فالأجسام الأولى إذا كانت ذاتية في سائل مع الاجسام الأخرى نفذت خلال
الأغشية وحدها دون الاجسام الأخرى وبذلك يمكن فصل هذه عن تلك
وأظهر فوائد سنة الانتشار والتخلل الخمس الآتية:

(١) انه بسبب قوة الانتشار يدرك الانسان جميع المشروبات
(٢) التنفس لجميع الحيوانات البرية؛ والبحرية فالأكسجين المنتشر في الهواء
والذائب في الماء يندفع بهذه القوة الى مجاري التنفس [الرئة] في الحيوانات البرية
والى خياشيم الحيوانات البحرية فيثقب أغشيتها حتى يصل الى الدم فيتحد به
وكذلك الغاز الذي في الدم المسمى (ثاني أكسيد الفحم) يتركه ويندفع الى الخارج
خلال أغشية الاعضاء التنفسية

والسبب في اتجاه الأكسجين الى الداخل هو كون ما يوجد منه في الهواء
أكثر مما يوجد منه في الدم، — والغازات تميل في انتشارها الى الموازنة والمساواة كما

(١) المراد ما يطبع منه على حدة

تميل السوائل الموجودة في مستويات مختلفة الى الموازنة أيضا كما سبق
وكذلك اتجاه ثاني أكسيد الفحم الى الخارج يكون لهذا السبب بعينه. ويسمى
الاندفاع الى الخارج Exosmose ويسمى الاندفاع الى الداخل Endosmose
(٣) امتصاص الاغذية من القناة الهضمية في الحيوان وامتصاصها من جدر
الرحم بالاجنة الحيوانية يحصل أيضا بقوة التخلل مع مساعدة الخلايا البشرية المبطنة
للأغشية ولذلك تمتص الأملاح مع المواد الزلالية في مثل الجنين بسبب فعل هذه
الخلايا ولولا ذلك لتعسر نفاذ غير الأملاح أو نطرد
(٤) تجدد الهواء وذلك أنه اذا قل الاكسجين في حجرة. اندفع الأكسجين
الهواء الخارجي الى هذه الحجرة من جميع المنافذ الممكنة حتى لا يتخلو الهواء
الداخلي من الاكسجين والاماتت الحيوانات فيه ولا نطفات المصايح
(٥) فصل بعض المواد الكيماوية عن بعضها في المعامل يكون أحيانا
بطريقة التخلل

(مأخذ أسماء أشهر العناصر المذكورة آنفا ومعانيها)

- (١) النيتروجين : لفظ يوناني مركب من كلمتين معناهما (مولد النتر) لأنه
يدخل في تركيبه والنتر (Nitre) اسم لنترات البوتاسيوم وهي ملح البارود
المسمى أيضا (الملح الصخري) (Saltpetre) وكان النيتروجين يسمى قديما
(أزوت) وهي يونانية أيضا معناها «عديم الحياة» لأن الحيوانات لا تعيش فيه
- (٢) الاكسجين : لفظ يوناني مركب من كلمتين معناهما «مولد الحامض» لأنهم
كانوا يظنون أنه هو السبب الوحيد في الحموضة أو أنه داخل في تركيب جميع
الحوامض ولكنهم علموا بعد ذلك خطأهم وبقي الاسم بدون تغيير الى الآن
- (٣) الهيدروجين : لفظ يوناني أيضا مركب من كلمتين معناهما «مولد الماء»
لأن كل ذرة من الماء مركبة من جوهرين فردين من الهيدروجين متحدين مع جوهر
واحد من الاكسجين. وبعبارة أخرى حيمان من الاول مع حجم واحد من الثاني

الكهرباء

الكهرباء إحدى قوى المادة العظيمة وهي عبارة عن حركة مخصوصة في ذراتها وكان أول الاهتداء إليها في حجر الكهرمان (ويسمى أيضا الكهربية) فبدلكه تولد هذه القوة فيه فيجذب إليه بعض الأجسام ولذلك سميت باسمه ، وأول من شاهد ذلك فيلسوف يوناني يسمى ثيلس (Thales) سنة ٦٠٠ ق . م

وهي تولد بطرائق عديدة أهمها أربع : —

(١) الاحتكاك فإذا ذلك الزجاج بالحرير تولد فيه كهرباء من النوع المسمى «بالكهربائية الزجاجية» وإذا ذلك الراتينج (وهو يتولد من الزيوت الطيارة بالتأكسد ويشبه الصمغ) بتماش الصوف المسمى (فلانلا) تولدت فيه قوة كهربائية من نوع آخر تسمى بالكهربائية الراتنجية

(٢) التفاعل الكيماوي فإذا وضع عمود من الزنك (الخارصين) وعمود آخر من النحاس في حامض الكبريتيك المخفف ووصل بينهما بسلك حصل التفاعل الكيماوي بين الحامض وبين الزنك وتولدت قوة كهربائية تسري من النحاس إلى السلك ومنه إلى الزنك ومنه إلى الحامض حتى تعود إلى النحاس ثانية فكانها تجري في دائرة كاملة، ويسمى مجموع ذلك بالخلية الكهربية

واجتماع عدة خلايا كهذه بحيث يتصل بعضها ببعض ويكون منها دائرة تجري فيها الكهرباء تسمى بالبطارية الكهربية

وكلمة بطارية مشتقة من كلمة (Battre) الفرنسية ومعناها الضرب أو القرع ، وعليه فيمكننا تسمية البطارية بالعربية (القمارة) ويشترط في كل الخلايا أن يوجد فيها عمود لا ينفصل بالحامض وعمود آخر ينفصل به. فمن الأشياء التي لا تنفصل بالحامض النحاس — كما قلنا — والفحم والبلاطين (الذهب الأبيض) والجسم المتفاعل المعتاد هو الزنك

وجميع الأجسام تشتمل على نوعين من الكهرباء متمزجين معا وهما الزجاجية والراتنجية ويسميان أيضا الموجبة والسالبة فإذا انضاف النوعان اتحدتا وإذا انفك

اختلفا وتنافرا، ففي كل خلية يتولد كهرباء سالبة في أعلى الزنك وموجب في أسفله وفي النحاس يتولد موجب في اعلاه وسالب في أسفله فيتحد موجب النحاس مع سالب الزنك في السلك خارج الخلية، ويتحد موجب الزنك مع سالب النحاس داخل الحامض. ولا يمكن للتسهيل اصطلاح العلماء على أن يقولوا إن التيار الكهربائي يسري من العمود غير المتفعل الى العمود المتفعل، ويسمى الاول عندهم بالقطب الموجب والثاني بالقطب السالب

(٣) التأثير، ومن ذلك انه إذا وضع قطب موجب بجوار جسم متعادل (أي فيه النوعان مستزجان لجميع الاجسام) انفصل السالب واتحد مع القطب الموجب وتولدت شرارة كهربائية من اتحاد النوعين، وبقي في الجسم الذي كان متعادلا نوع واحد فقط وهو الموجب

ومثل هذا الاتحاد المولد للشرارة اتحاد كهربائية السحاب المختلفة النوع بعضها مع بعض أو مع كهربائية الارض السالبة فيتولد من اتحادها نار عظيمة (الصاعقة) وصوت مزعج (الرعد) بسبب تماوج الهواء، وضوء شديد (البرق) وتولد الكهرباء على سطح الارض بما يحصل عليه من الاحتكاك والتبخر والتسكاثف والاحتراق ونمو النبات

المغناطيس الارضي

دوران هذه التيارات الكهربية حول الارض يكسبها قوة المغناطيس (١) فيجذب قطباها قطبي قطع المغناطيس الاخرى المغايرين لهما (كناموس الكهربية السابق) فالقطب الشمالي يجذب الجنوبي والجنوبي يجذب الشمالي؛ وذلك هو سبب اتجاه (ابرة الملاحين المغناطيسية) المسماة باللغة العربية «بيت الابرة» وباللغة الفرنسية «بوصلة» (Boussle)

وكما ان الكهربية تتولد بالتفاعل الكيماوي كذلك تتولد في الاجسام الحية

(١) المغناطيس كلمة يونانية مأخوذة من اسم مغنيسيا Magnesia في ليديا بآسية الصغرى حيث وجدت بكثرة أول قطع من الحديد لها هذه القوة ولكنها وجدت فيما بعد كثيرا في النرويج والسويد وبعض بلاد امريكة وغيرها

من نبات وحيوان، فالمضلة العاملة المتحركة في جسم الانسان تكون سلبية بالنسبة للمضلة الساكنة

ويوجد من السمك ما فيه كهربائية عظيمة يحس بها الانسان بمجرد لمسه له كالسمك المسمى (بالزّعاد)

(٤) تسخين قطب مصنوع من معدنين مختلفين كالبرموت والانتيمون يولد فيه كهرباء . فهذه هي الطرائق التي يهمننا معرفتها

النور

النور عرض معروف من أعراض المادة يتولد من حركة أجزائها الاثيرية حركة مخصوصة وهذه الحركة الاثيرية تنبعث من جميع جهات الجسم المضيء في خطوط مستقيمة، ولا يلزم لانتشار النور في الجو سوى هذه المادة الاثيرية بخلاف بعض الاعراض الاخرى كالصوت مثلا فانه يلزم له مادة محسوسة كالهواء لنقله ولذلك يصل النور الينا من الشمس والقمر والنجوم مع العلم بان هذه الاجرام مفصول بعضها عن بعض بمسافات شاسعة خالية من الهواء أو أي جسم آخر سوى الاثير

وسرعة النور في سبيله تساوي نحو ٣٠٠٠٠٠ كيلو متر في الثانية (١٨٦ الف ميل)

مصادر النور قسمان :

(١) صناعي : -

(أ) الاحتراق كاحتراق الزيت والشمع وغيرها

(ب) الكهرباء

(٢) طبيعي كالشمس ، ومن هذا المصدر يتولد النور أيضا بالاحتراق وغيره فالاجرام السماوية المضيئة بذاتها هي اجرام مشتعلة بالنيران، وأما المضيئة بغيرها كاقمر فتعكس عليها الأشعة من نور الشمس كما تنعكس في المرآة ولذلك قال تعالى (فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة) وقد يتولد النور بتحريك ذرات

بعض الاجسام فيتموج بها الاثير فيضيء
والنور الابيض مركب من سبعة ألوان وهي (١) البنفسجي (٢) والنيلي (٣)
والازرق (٤) والاخضر (٥) والاصفر (٦) والبرتقالي (٧) والاحمر
أما السواد فهو عدم النور مطلقا. وكل لون من هذا الالوان السبعة يتولد من
حركة مخصوصة في الاثير أسرعها التي تولد البنفسجي وأبطؤها التي تولد الاحمر
فاذا توالى سقوط هذه الحركات المختلفة على شبكية العين أدرك الانسان نورا
أبيض ، ومن ذلك يفهم أنه اذا أتى بقرص مستدير وقسم الى سبعة أقسام ولون
كل قسم منها بلون من هذه الالوان السبعة وأدير هذا القرص بسرعة شديدة رأينا
لونه أبيض ويسمى هذا القرص في علم الطبيعة (قرص نيوتن)

سنة الله في رؤية الاجسام

رؤية جميع الاجسام تحصل بسقوط أشعة النور عليها ثم انعكاسها عنها الى العين
فيعصرها الانسان وان كان هو في مكان مظلم اذ شرط الرؤية أن يكون المرئي في
مكان مضيء لا الرائي ، فهو يراها وان كانت في مكان مظلم فلا يراها ، ولو كان الابصار
ناشئا عن نور يسقط من العين نفسها لراى الانسان الأشياء التي في الأماكن المضيئة
ولمظلمة على حد سواء . هذا إذا لم يكن الجسم مما يولد النور بنفسه كالفسفور
وكبريتيد الكلسيوم فإنه يجمع أشعة الشمس في أثناء النهار ويحفظها الى الليل ،
وكذلك عنصر الراد يوم فإنه يولد نورا في الظلام وفي بعض حيوانات البر والبحر نور
ينبعث منها في الظلام ومنها ذباب معروف يسمى « الجباحب »

واذا انعكست جميع التماوجات التي في النور الابيض من الجسم الى العين
رأيت لونه أبيض ، ومن ذلك تفهم حكمة لبس الملابس البيضاء في الصيف فإنها
تعكس جميع أشعة النور والحرارة الى الخارج وأما الاجسام السوداء فهي تمتص
جميع الاشعة ولا تمكس منها شيئا

وأما الاجسام الاخرى كالزرقاء مثلا فهي تمتص جميع امواج النور ماعدا التي
تحدث اللون الازرق ، وهكذا يقال في باقي الالوان الاخرى
واذا سقط النور على أي سطح فان زاوية السقوط (وهي الحاصلة من الشعاع

الساقط مع عمود وهمي على السطح العاكس (تساوي زاوية الانعكاس) وهي
الحاصلة من الشعاع المنعكس مع العمود الوهمي المذكور)

وإذا كان الجسم الذي سقط عليه النور في الماء مثلا انبعث منه الشعاع فخرج
من الماء وانكسر ومال بعيدا عن الخط الوهمي المفروض

وإذا كان الجسم المضيء في الهواء انبعثت منه الأشعة ونفذت الى الماء
فينكسر الشعاع أيضا ويميل الى الخط الوهمي المفروض

فهذه سنن إلهية مطردة في انعكاس النور وانكساره ، وبمقتضى سنة الانكسار
ترى الاجسام الموضوعة في الماء في مكان أعلى من مكانها الحقيقي ومثل ذلك أيضا
رؤية القضببان كالعصي مثلامعوجة اذا وضعت في الماء

وكذلك ترى أشياء على الأرض كأنها معلقة في السماء ، فيشاهد في بعض الجهات
أناس وخيل وحمر وغير ذلك ماشية في السماء بين الغيوم ، وأصلها أشياء موجودة
على الأرض ولانكسار أشعة النور في طبقات الهواء المختلفة الكثافة تشاهد هذه
المنظر وهي كلها من خطأ الحس

ورؤية الاجسام في المرآة تحصل بانعكاس أشعة النور المنبعثة من الجسم عن
المرآة فتصل منها الى العين

ومن السنن الإلهية في هذه المسئلة أن تكون المسافة بين الجسم الحقيقي
والمرآة تساوي تماما المسافة بين المرآة والجسم الموهوم خلفها

انكسار النور في المنشور والعدسات

بسبب انكسار الأشعة في الاجسام المختلفة الكثافة تنكسر الأشعة في المنشور
(الزجاج المثلث السطوح) وتميل الى قاعدته فاذا وضع منشوران قاعدة كل منهما
على الأخرى انكسرت الأشعة أيضا نحو القاعدة ، واجتمعت في نقطة معينة . ومثل
المنشورات في جمع الأشعة العدسات فانها تجمع الأشعة أيضا نحو مركزها ولذلك
تستعمل هذه العدسات في جمع أشعة الشمس الاحراق وتستعمل أيضا في جمع أشعة

النور في التصوير كما في الآلات الفتوغرافية (١)

علمنا مما سبق ان النور مركب من سبعة ألوان فاذا انكسر النور الأبيض في المنشور تحلل الى ألوانه الأصلية ويكون اللون البنفسجي أقربها الى القاعدة ويليه النيلي فالأزرق فالأخضر فالأصفر فالبرتقالي فالأحمر . وأشد الألوان انكسارا البنفسجي وأقلها في ذلك الأحمر

فالمنشورات وان كانت تجمع أشعة النور كلها الا أنها مع ذلك تفرقها الى ألوانها الأصلية ، وبمقتضى هذه السمة تنكسر أشعة نور الشمس في نقط الماء الساقط من السحاب فينشأ من ذلك ما يسمى (قوس قزح) وهو مركب من ألوان النور السبعة

أما اذا مر النور خلال جسم ما وكان هذا الجسم مما يمتص بعض الأشعة فان لون هذا الجسم المدرك لنا هو ما يحصل من الأشعة الباقية . مثال ذلك الزجاج الأزرق اذا نفذ فيه النور امتصت (بحيث) جميع الألوان ماعدا اللون الأزرق وهكذا يقال في الألوان الأخرى

وأشهر العدسات اثنتان (١) المحدبة من الجانبين (٢) والمقعرة من الجانبين أما العدسة الاولى فيمكن اعتبارها كل منها منشوران اجتماعا وكانت قاعدتهما نحو المركز وأما العدسة الثانية فيمكن اعتبارها كل منها منشوران اجتماعا ورأسهما نحو المركز

ومن ذلك يفهم ان العدسات المحدبة تجمع الأشعة نحو المركز (أي نحو قاعدتي المنشورين)

وأما العدسات المقعرة فانها تفرق الأشعة بعيدا عن المركز (أي تميل فيها الأشعة نحو القاعدتين)

واذا مر نور أبيض من مصباح عادي خلال منشور رأينا هذه الألوان السبعة كما تقدم . واذا كان هذا النور المار في المنشور صادرا من احتراق عنصر واحد رأينا

(١) فتوكلمة يونانية معناها النور وخراف يونانية أيضا معناها الرسم فمعناها « رسم النور » أو التصوير الشمسي

لونا واحدا فقط كنور الصوديوم مثلا فانه أصفر واذا نفذ في المنشور لم يتغير
واذا مرت هذه الالوان السبعة خلال الصوديوم مثلا في حالته الغازية
امتص منها اللون الاصفر وبقيت الالوان الاخرى ومن ذلك يفهم أن العناصر
في حالتها الغازية تمتص من الالوان السبعة اللون الذي تولده هي. وعلى هذه القاعدة
وضع المنظار القرصي (Spectroscope)

فاذا نظرنا بهذا المنظار الى نور الشمس رأينا الالوان السبعة ناقصة ونرى ما ينقصها
من الاجزاء كأنها خطوط سوداء، وهي ناشئة من وجود عدة عناصر في الحالة الغازية
محيطه بجرم الشمس وبسبب نفوذ الاشعة خلال هذه العناصر الغازية فقد بعضها
والسبب في كون هذه العناصر غازية هو شدة حرارة نار الشمس

وبهذا المنظار أمكن العلماء معرفة تركيب الاجرام السماوية وعناصرها، ولهم
طريقة أخرى لمعرفة هذه العناصر وهي تحليل ما يستط منها الى الارض (كالشهب
والنيازك) ولهذا المنظار فائدة أخرى عظيمة في المباحث الطبية الشرعية وغيرها
ومن الاشعة الشمسية نوعان آخران سوى أشعة النور وهما (١) أشعة الحرارة

و (٢) أشعة الفعل الكيماوي وهما غير مدركين بالعين
أما أشعة الحرارة فيوجد أشدها بعد اللون الاحمر وأما الاشعة الكيماوية
فيوجد أشدها بعد اللون البنفسجي

وهذه الاشعة الكيماوية هي التي تحلل املاح الفضة في ألواح الآلة الفوتوغرافية
وتحدث عليها الصور

أما الآلة الفوتوغرافية فهي عبارة عن غرفة مظلمة تدخل الاشعة فيها من فتحة
صغيرة في جدارها الامامي وفي هذه الفتحة عدسة محدبة من الجانبين لجمع الاشعة
حتى تكون الصور المرسومة داخلها على الجدار الخلفي جلية واضحة، فاذا وضع لوح
من الزجاج مغطى بمواد فيها ملح من املاح الفضة أمام هذا الجدار الخلفي رسمت الصور
عليه وأحدثت الاشعة تغيرا كيماويا في المادة الموضوعة على هذا اللوح وبذلك أمكنهم
أخذ صور المرئيات ورسمها بهذه الطريقة

وهذه الآلة الفوتوغرافية تشبه العين الباصرة في تركيبها

العين الباصرة

العين كرة مظلمة في داخلها ، ويصل إليها النور من فتحة صغيرة تسمى النسيان العين وهذه الكرة (المقلة) موضوعة في تجويف من الوجه يسمى (الحجاج) ويغطيها في هذا التجويف الجفنان . وحكمة الأهداب أن تمنع التراب وغيره بقدر الامكان وتقال من ضرر أشعة الشمس الشديدة .

وتغسل العين بماء يسمى الدمع تفرزه غدة موضوعة في الجهة العليا الخارجية من الحجاج داخل الجفن الأعلى ويتصرف الدمع بعد غسل العين بقناتين موضوعتين في الجفنين بقرب الأنف متصلتين بكيس صغير في أعلى قصبة الأنف يسمى الكيس الدمعي ومنه يجري الدمع بقناة تصب في أسفل الأنف أما طبقات العين فهي من الامام الى الخلف كما يأتي : —

(١) الملتحمة وهي التي تبطن الجفون وتغطي المقلة من الامام وهي شفافة في جزئها المتوسط لدخول النور

(٢) القرنية وهي الجزء الشفاف المستدير الذي يرى كالسواد أو غيره

(٣) الصلبة وهي في مستوى واحد مع القرنية فكأنهما غشاء واحد كروي

الشكل تقريبا

(٤) القرنية وهي التي تحيط بانسان العين من جميع الجهات

(٥) المشيمية وهي أيضا في مستوى واحد مع القرنية ولونهما ومادتهما واحدة

فيها أوعية كثيرة ومادة ملونة . وهذه الطبقة هي أعظم ما يجعل العين مظلمة من الداخل

(٦) الشبكية وهي تبطن نحو ثلثي العين من الداخل ، وهي الطبقة العصبية

الحساسة المتصلة بالعصب البصري الواصل الى المخ وعليها ترسم صور المرئيات التي يدركها الانسان

ولجمع أشعة النور ورسم الصور عليها يوجد عدة أجسام كثيفة شفافة في العين

لكسر أشعة النور وهي بعد القرنية ١ المائية وأكثرها بين القرنية والقرنية ٢

ويليها البلورية وهي بعد القرنية وشكلها كعدسة مستديرة ومحدبة من الجانبين ٣

ويليها الزجاجية، وهي مادة هلامية (كالقودج) شفافة تماماً باطن العين بعد البلورية ثم ان القرنية قد تتسع وتضيق بألياف عضلية فيها بحسب حاجة العين الى النور ومما تقدم يفهم أن أشعة النور تجتمع على الشبكية في العين الطبيعية ولكن من الناس من أعينهم صغيرة أو كبيرة عن الحجم المعتاد فتحتاج العين الصغيرة الى عدسات (نظارات) محدبة، وتحتاج الكبيرة الى عدسات مقعرة، ولولا ذلك لما اجتمعت الاشعة في العين الصغيرة الا خلف الشبكية (هذا على فرض انه لا يحجبها شيء) وفي العين الكبيرة أمام الشبكية. وما دامت جميع أوساط العين التي يمر فيها النور شفافة فان كان في إِبصار العين السليمة ضعف فالغالب ان يكون سببه صغر حجم العين أو كبرها فتصلح بالنظارات

الرمد الصديدي والحبيبي

ومن أعظم أسباب عتامة بعض هذه الاوساط (كالقرنية) هو اصابة العين بالرمد الصديدي أو الرمد الحبيبي المنتشر في مصر

والاحتراس من هذين الرمدين يجب تنظيف العين نظافة تامة وعدم مسها بأي شيء فيه أقل وسخ

أما ميكروب الرمد الصديدي فهو ميكروب (السيلان) أيضا ويصل الى العين بالاصابع أو المناديل أو الملابس أو غير ذلك وهو مرض فتاك بالعين لانه كثيرا ما يسبب قرحا في القرنية تؤول الى ظلمتها حتى لا ينفذ النور منها فتصبح عمياء وتسمى هذه الظلمة بالنتط أو البياضات

وأما الرمد الحبيبي فيمكروبه ينتقل من شخص لاخر كما ينتقل ميكروب الرمد الصديدي فلذا يجب الاحتراس منه بالنظافة والبعد عن الأرمد

وأبسط دواء بعد الماء لتنظيف عين كل شخص محلول حامض البوريك المشبع ويجب طرد كل حشرة تقترب من العين كالذباب وغيره فانه من أعظم الاسباب لنقل أنواع الرمد، ويجب اتقاء التراب اذا ثارت الريح بوضع نظارات لوقاية العين منه. ومما يقي الطفل شر الرمد الصديدي أن يغسل عيناه عقب الولادة مباشرة بمحلول السليماني (١ في ٥٠٠) ويوضع فيها نقط من محلول نترات الفضة (٢ في ١٠٠)

النبذة الثانية في التشريح ووظائف الأعضاء

وما يلزمها من اقواله الصحية

التشريح نوعان نوع تدرك فيه جميع أعضاء الجسم بالعين المجردة ويسمى بالتشريح العادي ونوع تستعمل فيه الميكروسكوب (المنظار الدقيق) لادراك جميع دقائق الجسم ويسمى هذا النوع بالمستولوجيا (التشريح الدقيق)

فلنبداً الآن بالكلام على النوع الاول

يتركب الجسم الانساني أولاً من العظام فهي كالاساس الذي تبني عليه جميع الاجزاء الرخوة والاحشاء ولذلك يسمى مجموع هذه العظام بالهيكل الانساني

العظام

العظام نوعان : (النوع الاول) العظام الصلبة كعظام الاطراف ، وصلابتها كصلابة العاج ، وهي جوفاء تمر في وسطها قناة ممتلئة بمادة كالدهن تسمى (تقو العظام) أو (نقيه) وأما النوع الثاني فيسمى بالاسفنجي ، كفقرات الظهر والضلوع ، وهو أيضاً مغطى بطبقة رقيقة من العظم الصلب وبداخله تجاويف عديدة صغيرة غير منتظمة تشبه الاسفنج وهذه التجاويف ممتلئة أيضاً بنقي يميل الى الحمرة ، وهو أعظم مكان تتولد فيه كريات الدم الحمراء خصوصاً التي تخرج من نقي الضلوع أما عظام الهيكل الانساني فهي كثيرة واليك عددها : —

(١) المجموعة (مجموعة عظام الرأس والوجه) وهي مركبة من ٢٢ عظماً منها ١٤

للوجه و ٨ للرأس

(٢) — الفقرات — وهي المسماة بالصلب وعند العامة سلسلة الظهر وهي مركبة

من ٣٣ قطعة كل منها تسمى فقرة وفقارة : منها سبع ٧ فقرات للعنق و ١٢ للظهر و ٥ للقطن و ٥ للعجز و ٤ للمصعص المسمى بعجب الذنب

(٣) الضلوع وهي عادة في الذكر ^(١) والاثني ١٢ في كل جانب وهي متصلة

(١) أما خاق حواء من أحد أضلاع آدم فالظاهر أنها خرافة يهودية وان كان

لها مغزى عظيم

من الخلف بالفقرات ، ومن الامام بالقص (عظم الصدر)

(٤) القص مركب من ثلاث قطع ، وكيفية اتصال الضلوع به كما يأتي : —
سبع ضلوع متصل كل منها به بغضروف على حدة وتسمى بالضلوع الصادقة ،
أما الثلاث التي بعدها فمتصلة معا بغضاريف تتصل بغضروف الضلع السابعة وأما
الاثنان الباقيتان فهما غير متصلتين من الامام بشيء مطلقا ويسميان بالضلعين
العائيتين ، وهذه الضلوع الخمس الأخيرة تسمى بالضلوع الكاذبة

(٥) عظام الاطراف العليا ويتركب كل طرف من عظم العضد ثم الساعد (وهو
مركب من عظمين : الكبيرة وهي العظم الخارجي ، والزند وهو العظم الداخلي) ثم
رسغ اليد وهو مركب من ثمانية عظام صغيرة ، ثم عظام المشط وهي خمسة لكل
أصبع عظم يحملها ، ثم عظام الاصابع الخمس وهي ثلاث لكل أصبع ، ماعدا الإبهام
فله عظامان

(٦) عظام الاطراف السفلى وكل منها مركب من عظم الفخذ ، ثم الساق وهو
مركب أيضا من عظمين : الشظية من الخارج والقضبة من الداخل ، ثم عظام رسغ
القدم وهي مركبة من سبعة عظام صغيرة أيضا ، ثم عظام المشط وهي خمس لكل
أصبع واحدة تحملها ثم عظام الاصابع ، وهي ثلاث لكل منها ماعدا الإبهام
القدم فله عظامان فقط

ومن العظام أيضا غير ما تقدم (١) التراقي وهما عظامان كل منهما يسمى ترقوة
موضوعان في أعلى الصدر من الامام

(٢) اللوحان وهما عظامان عرضيان موضوعان بأعلى الصدر من الخلف

(٣) الداعضتان وهما الموضوعتان أمام الركبتين ويسميها بعض الأطباء

المحدثين بالرضفتين ولاكن ما اخترناه هنا هو الاصح لغة

(٤) عظاما الحوض وهما اثنان يكونان مع العجز والعصعص نجويفا كالطست
يوجد فيه المستقيم والمثانة في الذكر والرحم والمبيضان وغيرها في الانثى . ويوجد غير
ذلك عظام أخرى صغيرة جدا كما بين بعض عظام الرأس وفي الاذن وعظام صغيرة
توجد بقرب بعض المفاصل تسمى « السمسية » والعظم اللامي للعنق والاسنان

أما الاسنان فهي في الطفل عشرون في كل فك عشر ، ويبتدى ظهورها من الشهر السادس الى الرابع والعشرين ، ولذلك كانت مدة الرضاع الكاملة حولين كاملين ، وفي الكبير اثنتان وثلاثون سنا يبتدى ظهورها من السنة السادسة ويتم في الخامسة والعشرين على الاغلب بظهور أربعة أضراس في آخرها تسمى أضراس العقل لان بظهورها يتم بلوغ الانسان رشده وهي النواجذ أو أضراس الحلم

والفرق بين مندوج العظام وغيرها من الاجزاء الاخرى للجسم من الوجهة الكيماوية إنما هو في وجود أملاح عديدة في الماد التي بين خلاياها مثل فوسفات الكالسيوم وكر بونات الكالسيوم وفوسفات المغنيسيوم وهذه الاملاح جميعا يوجد منها كمية كبيرة في العظام ، وهي السبب في يئسها فاذا أذيت من العظم يمرض الحوامض صار العظم رخوا طريا

المفاصل

وجميع هذه العظام متصل بعضها ببعض بالمفاصل ، والمفاصل ثلاثة انواع :
(١) مفاصل متحركة حركة تامة كالكتف و(٢) مفاصل غير متحركة كما بين عظام الجمجمة و(٣) مفاصل بين بين أي ان حركاتها متوسطة فلا هي معدومة بالرة ولا هي متحركة حركة كبيرة وذلك كالمفاصل التي بين الفقرات

والفرق بين المفاصل المتحركة حركة كاملة (وهي الاولى) وبين غيرها أنها عبارة عن تجويف محاط بمندوج ليفي وبعض أربطة أخرى وهي مبطنة بغشاء أملس يفرز مادة مصفرة قليلا تشبه زلال البيض والغرض منها تسهيل الحركات فهي كالزيت للآلات الحديدية (فسيحان الخالق الحكيم)

وجميع العظام مغطاة^(١) بغشاء ملتصق بها التصاقا شديدا وفيه أوعية الدم ومنه تتغذى بحيث اذا أتلّف هذا الغشاء أو أزيل بمرض أو غير مرض يموت العظم الذي تحته ، وهذا الغشاء يسمى بالسمحاق . وموت العظم يسمى النخر أو التآكل وهو المسمى عند العامة بالتسويس . والفرق بينهما أن الاول (النخر) تموت فيه قطع

(١) ما عدا أطرافها الغضروفية

كبيرة من العظم بمجملتها ، والثاني — التأكل — تموت فيه أجزاء صغيرة تنفصل عن باقي الجسم شيئا فشيئا

العضلات

جميع حركات الجسم تكون بالعضلات ، وهي المسماة باللحم وبعض هذه العضلات أبيض اللون ، كما في بعض الحيوانات مثل السمك والارانب ، وبعضها لونه أحمر ، كما في الانسان وغيره من الحيوانات . والسبب في حمرتها اشتغالها على جزء في منسوجها من حمرة الدم المسماة بالهيموجلوبين ومن غيرها ولذلك كان اللحم الاحمر أكثر تغذية من اللحم الابيض ولكنه أعسر هضمًا

والعضلات تأتي عملها في تحريك الجسم بالانقباض ، وهي ثلاثة أنواع :

(١) العضلات الاختيارية ، وهي الموجودة حول عظام الهيكل كله ، وأكثرها يوصل بين عظمين فأكثر ، وينتهي غالبا بما يسمى بالاورتار ، وهي منسوج ليفي أبيض اللون متين جدا يشبه الحبال ويندغم في العظام المتحركة ، فإذا قصرت العضلة أو انقبضت انثنت العظام بعضها على بعض ، وحركة هذه العضلات هي باختيار الحيوان ، وهي التي قسمناها الى بيضاء وحمراء ، والبيضاء أرقى شكلا وأسرع عملا

(٢) العضلات غير الاختيارية ، وهي التي توجد في جدر الامعاء وأوعية الدم وغيرها كالحالب ^(١) وبمختلف شكلها عن القسم الاول اذا نظرت بالمجهر «الميكروسكوب» اختلافا كبيرا ، وحركتها ليست بارادة الحيوان ولكن للاعصاب تأثيرا فيها مادامت مرتبطة بها فإذا انفصلت عنها استقلت بعملها كالامعاء بعد قطع جميع أعصابها فان الطعام كاف لتخليتها

وكل انقباض لامضلات اختيارية كانت أو غير اختيارية لا يحصل الا بمنبه . وأنواع المنبهات خمسة (١) المواد الكيميائية (٢) الحرارة (٣) الافعال الآلية (الميكانيكية) كالضرب على العضلات أو القرص (٤) الكهرباء (٥) التيار العصبي ، فالاربعة الاولى ممكن حصولها خارج الجسم بعد ذبح الحيوان . أما المنبه العصبي فان كان

(١) مجري البول الواصل من الكلية الى المثانة

منشوء من المخ كان فعلا اختياريا والا كان غير اختياري
ومصدر التنبيه العصبي سواء أكان من المخ أم من النخاع هو من الخارج أيضا - كما يرى
الآن جمهور الفسيولوجيين - ويرى بعض الناس أن المخ يمكنه أن يبدأ التنبيه من ذاته
وإذا وصل التنبيه الخارجي إلى المراكز العصبية ومنها ارتد إلى الأعضاء أو
المضلات فحركها سمي ذلك « بالفعل المنعكس »

(٣) عضلة القلب، وهذه العضلة تختلف أيضا في شكلها الميكروسكوبي عن
النوعين السابقين، وهي غير خاضعة للتنبيه العصبي إلا من حيث الكثرة أو القلة أو
الضعف أو القوة أو نحو ذلك . وأما انقباضها فيحصل بقوة فيها خاصة بها ليست
ناشئة عن منبه خارجي

وعليه فالفرق بين هذه الأنواع الثلاثة يلخص في الكلمات الآتية :-
تنقبض المضلات الاختيارية بعلم المخ وتأثيره؛ وغير الاختيارية بدون علمه،
ولكنها خاضعة للأعصاب ما دامت في الجسم ولا بد من تنبيهها بشيء ولو غير عصبي
والأولى انقبضت؛ وأما القلب فينقبض بنفسه بدون سبب خارجي، وسواء اتصلت
به أعصاب أم لم تصل، وإنما يمكن للأعصاب أن تزيد في ضرباته أو تنقص منها
أو نحو ذلك، أما منشأ الحركة فلا علاقة لها به ولا يعلمه إلا الله تعالى

الأعصاب

مراكز الأحساس والحركة في الجسم الإنساني محصورة في المخ والنخاع وحوله.
فالنخاع عبارة عن جسم كبير موضوع في الجمجمة، وهو مركب من فصين عظيمين
متصل أحدهما بالآخر من أسفلهما، وفي كل فص من الفصين تجويف ممتلئ بحجز من
سائل، ويسمى هذا التجويف بالبطاين، والمخ مغلف بثلاثة أغشية تسمى جميعها
السحايا وكل منها يسمى الام

وجوهر المخ نوعان (النوع الأول السنجابي) وهو المغلف سطحه، وهو مركب
من خلايا عصبية لها وظائف مختلفة. ويقسم سطح المخ إلى عدة أقسام. فته جزء
للأبصار، وهو في الخلف، وجزء للحركات الاختيارية، وهو في جانبيه، وجزء للكلام
وهو في الجهة اليسرى الجانبية، وجزء للسمع وغير ذلك. وكل جانب من المخ متصل

بالباب المخالف له من الجسم، فحركات العضلات التي في الاطراف اليسرى متصلة
بالجانب الايمن من المخ وبالعكس، ما عدا قوة الكلام فانها في الجانب الايسر في
غالب الاشخاص . أما العُسر وهم الذين يعملون بشاغلهم فيوجد مركز الكلام
عندهم في الجهة اليمنى من المخ

(النوع الثاني الابيض) ومكانه تحت القشرة السنجابية، وهو عبارة عن ألياف
عصبية توصل أجزاء المخ بعضها مع بعض وتوصله بالنخاع

المخنيخ : موضعه مؤخر الجمجمة في أسفل المخ، وهو أيضا مركب من فصين صغيرين
ليس بهما تجويف بخلاف فصي المخ، وبينهما جسم كالودودة ير بطهما وهو أهم منهما.
ووظيفته حفظ التوازن في الجسم

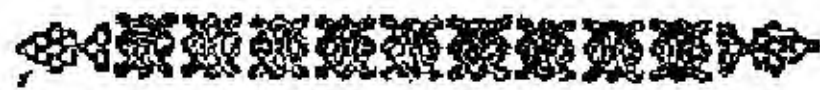
النخاع : يبتدىء من الجمجمة الى الحافة السفلى للفقرة الاولى القطنية وذلك في
الكحول، أما في الاجنة فانه يملأ القناة الفقرية كلها الى الشهر الثالث. وهو جسم
اسطوانى مغطى أيضا بثلاثة أغشية كالغشية المخ من كل وجه . ويتركب من
جوهريين أيضا أبيض وسنجابي ، ولكن الجوهري الأبيض منه في الخارج والجوهري
السنجابي في الداخل ، والأبيض عبارة عن ألياف عصبية كما في المخ ، والسنجابي
عبارة عن خلايا عصبية كما في المخ أيضا

والجزء السنجابي مركب من هلالين تحدييهما انسي وقرنا كل منهما الى الامام والخلف
ويجمع بين الهلالين عند جزئيهما المحذب ، وفي مجعهما قناة صغيرة دقيقة تمتد
في طول النخاع كله وتتصل في أعلاها بتجاويف المخ (البطينات)

يتصل بالمخ اثنا عشر زوجا من الاعصاب لها وظائف عديدة: فمنها ما يحرك بعض
العضلات في الوجه وغيره، ومنها ما يحصل به الاحساس، ومنها ما هو خاص بنوع من
الاحساس كالعصب البصري الذي يحصل به ادراك المرئيات، وكعصب السمع وغيرها
ويتصل بالنخاع ٣١ زوجا من الاعصاب : ٨ منها تخرج من بين فقرات
العنق، و ١٢ من بين فقرات الظهر، و ٥ من بين فقرات
والعجز، و ١ من العصعص. وهذه الاعصاب يتركب كل فرد منها من قسمين: أمامي
وخلفي ، فالأمامي لحركة العضلات والخلفي للاحساس . أما الخلايا التي يصدر

منها الجزء الامامي فتوجد في القرون الامامية للمادة السنجابية في النخاع. وأما خلايا الجزء الخلفي فتوجد خارج النخاع ويتكون منها عقد صغيرة موضع أكثرها في الثقوب التي بين الفقرات ولكنها خارج سحايا النخاع. وبعد هذه العقد مباشرة يتحد الجزء الامامي المحرك مع الجزء الخلفي الحساس فيتكون منهما عصب واحد فيه الوظيفتان، ثم ينقسم هذا العصب الى قسمين أيضا: قسم امامي للحس والحركة، وقسم خلفي لهما أيضا، فالألياف الخاصة بالحركة في القسمين (التي أصلها من القرون الامامية للنخاع) تنتهي بالعضلات وهي التي تحدث فيها الحركة (أي تسبب انقباضها) والألياف الخاصة بالحس (وهي الآتية من العقد التي خارج النخاع) تنتهي بالجلد وغيره وهي التي يحصل بها الاحساس في الحيوان عند مس أي شيء. وجميع هذه الاعصاب ترى في الجسم الانساني عند تشريحه كجبال بيضاء منها الدقيق ومنها الغليظ ، وأغلظها عصب عظيم يوجد داخل الورك ويوزع على الساق كلها ، وهذا العصب اذا أصابه مرض ما حدث عنه ألم شديد في الفخذ يسمى بعرق الدسا.

ويوجد مجموعة أخرى من الاعصاب تسمى الاعصاب السمباتوية وهي مركبة من عقد وألياف أيضا وموزعة على جميع الاحشاء وعلى جميع أوعية الدم ، ومتصلة أيضا بالمجموعة الاولى المركبة من المنخ والنخاع ، وللاعصاب السمباتوية وظيفة هامة جدا في عمل جميع الاحشاء وحركة عضلات جدر الشرايين في انقباضها وانبساطها الا أنها ليست مستقلة في وظيفتها عن المجموعة الأولى . ومعنى « سمباتيا » المشاركة في الشعور أو الاحساس ، وهي لفظ يوناني ، وسميت بذلك لان بها ترتبط الاحشاء بعضها مع بعض ، ومع الأوعية الدموية فكان كلاً منها يشعر بالآخر ، وعليه فيمكننا تسميتها بلغتنا العربية « مجموعة الارتباط العصبي »



التاريخ

جعل مصر سلطنة تحت حمايتها انكلترة

كان أول عواقب دخول الدولة العثمانية في الحرب الأوربية أن أعلنت انكلترة ازالة سيادتها الرسمية عن مصر وجعلها تحت الحماية البريطانية وتسميتها سلطنة وتسمية الأمير حسين كامل باشا أرشد أنسرة محمد علي باشا سلطانا عليها

في ١٩ دسمبر الماضي ذهب المستر ملن شيتهم متولي أعمال الوكالة البريطانية والمستر ستورس سكرتيرها الشرقي الى القصر الذي يقيم فيه الأمير حسين كامل باشا وقدا اليه بلاغ الحكومة البريطانية المؤذن بجعل القطر المصري تحت حمايتها وبجعله سلطانا من قبلها لمصر وهذه ترجمته بالعربية كما نشر في الجرائد :

البلاغ البريطاني

يا صاحب السمو ! كلقتي جناب ناظر الخارجية لدى جلالة ملك بريطانيا العظمى ان أخبر سموكم بالظروف التي سببت نشوب الحرب بين جلالاته وبين سلطان تركيا وبما نتج عن هذه الحرب من التغيير في مركز مصر

كان في الوزارة العثمانية حزبان أحدهما معتدل لم يبرح عن بآله ما كانت بريطانيا العظمى تبذله من العطف والمساعدة لكل مجهود نحو الإصلاح في تركيا ومقتنع بان الحرب التي دخل فيها جلالاته لانتمس مصالح تركيا في شيء ومرتاح لما صرح به جلالاته وحلفاؤه من ان هذه الحرب لن تكون وسيلة للاضرار بتلك المصالح لافي مصر ولا في سواها . وأما الحزب الآخر فشرذمة جنديين افاقين لاضميرهم أرادوا اثاره حرب عدوانية بالاتفاق مع أعداء جلالاته معللين أنفسهم أنهم بذلك يتلافون ما جروه على بلادهم من المصائب المالية والاقتصادية . أما جلالاته وحلفاؤه فمع انتهاك حرمة حقوقهم قد ظلوا الى آخر لحظة وهم يأملون أن

تغلب النصائح الرشيدة على هذا الحزب لذلك امتنعوا عن مقابلة العدوان بمثلته حتى أرغموا على ذلك بسبب اجتياز عصابات مسلحة للحدود المصرية ومهاجمة الاسطول التركي بقيادة ضباط المانيين ثغورا روسية غير محصنة

ولدى حكومة جلالة الملك أدلة وافرة على أن سمو عباس حلمي باشا خديوي مصر السابق قد انضم انضماماً قطعياً الى أعداء جلالاته منذ أول نشوب الحرب مع المانية

وبذلك تكون الحقوق التي كانت لسلطان تركيا وللخديوي السابق على البلاد مصر قد سقطت عنهما وآلت الى جلالاته

ولما كان قد سبق لحكومة جلالاته أنها أعلنت بلسان قائد جيوش جلالاته في بلاد مصر أنها أخذت على عاتقها وحدها مسؤولية الدفاع عن القطر المصري في الحرب الحاضرة فقد أصبح من الضروري الآن وضع شكل للحكومة التي ستحكم البلاد بعد تحريرها كما ذكر من حقوق السيادة وجميع الحقوق الاخرى التي كانت تدعيها الحكومة العثمانية

فحكومة جلالة الملك تعتبر ودیعة تحت يدها لسكان القطر المصري جميع الحقوق التي آلت اليها بالصفة المذكورة. وكذلك جميع الحقوق التي استعملتها في البلاد مدة سني الاصلاح الثلاثين الماضية. ولذا رأت حكومة جلالاته ان أفضل وسيلة لقيام بريطانية العظمى بالمسؤولية التي عليها نحو مصر أن تعلن الحماية البريطانية اعلانياً صريحاً وان تكون حكومة البلاد تحت هذه الحماية بيد أمير من أمراء العائلة الخديوية طبقاً لنظام ورأيي يقرر فيما بعد

بناء عليه قد كلمتني حكومة جلالة الملك ان أبلغ سموكم انه بالنظر ان سموكم وخبرتكم قد رئي في سموكم أكثر الامراء من سلالة محمد علي أهلية لتقلد منصب الخديوية مع لقب « سلطان مصر » واني مكلف بان أؤكد لسموكم صراحة عند عرضي على سموكم قبول عبء هذا المنصب ان بريطانية العظمى أخذت على عاتقها وحدها كل المسؤولية في دفع أي تعد على الاراضي التي تحت حكم سموكم مهما كان مصدره. وقد فوضت الى حكومة جلالاته ان أصرح بانه بعد اعلان الحماية

البريطانية يكون لجميع الرعايا المصريين اينما كانوا الحق في أن يكونوا مشمولين بحماية حكومة جلالة الملك

وبزوال السيادة العثمانية تزول أيضا القيود التي كانت موضوعة بمقتضى فرمانات العثمانية لعدد جيش سموكم والحق الذي لسموكم في الانعام بالرتب والنياشين

اما فيما يختص بالعلاقات الخارجية فترى حكومة جلالاته ان المسؤولية الحديثة التي أخذتها بريطانيا العظمى على نفسها تستدعي أن تكون المخبرات منذ الآن بين حكومة سموكم وبين وكلاء الدول الاجنبية بواسطة وكيل جلالاته في مصر وقد سبق لحكومة جلالاته انها صرحت مرارا بان المعاهدات الدولية المعروفة بالامتيازات الاجنبية المقيدة بها حكومة سموكم لم تعد ملائمة لتقدم البلاد ولكن من رأي حكومة جلالاته أن يؤجل النظر في تعديل هذه المعاهدات الى ما بعد انتهاء الحرب

وفما يختص بادارة البلاد الداخلية علي أن أذكر سموكم ان حكومة جلالاته طبقا لتقاليد السياسة البريطانية قد دأبت على الجد بالاتحاد مع حكومة البلاد وبواسطتها في ضمان الحرية الشخصية وترقية التعليم ونشره وأمناء مصادر ثروة البلاد الطبيعية والتدرج في اشراك المحكومين في الحكم بمقدار ما تسمح به حالة الامة من الرقي السياسي . وفي عزم حكومة جلالاته المحافظة على هذه التقاليد بل انها موقنة بان تحديد مركز بريطانيا العظمى في هذه البلاد تحديدا صريحا يؤدي الى سرعة التقدم في سبيل الحكم الذاتي

وستحترم عقائد المصريين الدينية احتراماً تاماً كما تحترم الآن عقائد نفس رعايا جلالاته على اختلاف مذاهبهم . ولا أرى لزوماً لأن أؤكد لسموكم ان تحرير حكومة جلالاته لمصر من ربة أولئك الذين اغتصبوا السلطة السياسية في الاستانة لم يكن ناتجا عن أي عدااء للخلافة، فان تاريخ مصر السابق يدل في الواقع على ان اخلاص المسلمين المصريين للخلافة لاعلاقة له البتة بالروابط السياسية التي بين مصر والاستانة، وان تأييد الهيئات النظامية الاسلامية في مصر والسير بها في سبيل

التقدم هو بالطبع من الامور التي تهتم بها حكومة جلالة الملك مزيد الاهتمام،
وستلقى من جانب سموكم عناية خاصة، ولسموكم أن تعتمدوا في اجراء مايلزم لذلك
من الاصلاحات على كل انعطاف وتأيد من جانب الحكومة البريطانية. وعلى
أن أزيد على ما تقدم ان حكومة جلالة الملك تعول بكل اطمئنان على اخلاص
المصريين ورويتهم واعتدالهم في تسهيل المهمة الموكولة الى قائد جيوش جلالته
المكلف بحفظ الامن في داخل البلاد وبمنع كل عون للعدو. واني انتهر هذه الفرصة
فاقدم لسموكم أجل تعظيماني

ملن شيتهم

تحريرا في ١٩ ديسمبر سنة ١٩١٤

(الاحتفال بنصب الامير حسين كامل سلطانا لمصر)

جرى هذا الاحتفال في يوم الاحد ثالث شهر صفر الماضي الموافق ٢٠ ديسمبر
وكانت معداته مهيئة قبل ذلك بأيام أو أسابيع، ورقاع الدعوة اليه قدوزعت في جميع
أرجاء القطر. وهذا مقدمة نص البلاغ الرسمي الصادر من قصر عابدين في ذلك:
«برح صاحب العظمة مولانا السلطان في منتصف الساعة العاشرة في يوم الاحد
٢٠ ديسمبر سنة ١٩١٤ سراي دولة الامير كمال الدين باشا في موكب فخيم محفوقا
بجراسه ومن ورائه أصحاب السعادة الوزراء تقلهم مركبتان من مركبات المعية السنية
فأطلقت مدافع القلعة واحدا وعشرين مدفعا ايذانا وأدت طلبة المدرسة الحربية
والجند التحية. وكان الشعب يهتف لعظمته طول الطريق هتافا متواصلا. ولما أقبل
عظمته على ميدان عابدين ضج له جماهير المدعوين الموجودين بالصيوان المنسوب
أمام السراي وهم مندوبو المديرية وكبار موظفي الحكومة وحضرات العلماء والرؤساء
الروحانيين وكبار ضباط الجيش الانكليزي والمصري. ولما وصلت المركبة السلطانية
الى باب السراي استقبله كل من أصحاب الدولة امراء العائلة السلطانية وصاحب

الفضيلة شيخ الاسلام ومفتي الديار المصرية وحضرات رئيس ووكيل الجمعية التشريعية والمستشارين ووكلاء الوزارات ورئيسي محكمة الاستئناف الاهلية والمختلطة والنائبين العموميين لدى المحاكم الاهلية والمختلطة ومحافظ وكبار رجال الامة « وتلى ذلك بيان كيفية المقابلات ، وما تخللها من الخطب والمحادثات

ترجمة برقيات التهاني بين لندرة ومصر

البرقية الاولى من ملك الانكليز - تهئة

الى صاحب العظمة السلطانية سلطان مصر بالقاهرة

في الوقت الذي ترتقي فيه عظمتكم السلطانية منصبها السامي أرغب أن أقدم الى عظمتكم السلطانية عواطف الوداد المنبعثة عن أكمل اخلاص مع تأكدي لكم بأنني لا أنفك عن تأييدكم في سبيل المحافظة على كيان مصر وضمان رفاهيتها في المستقبل وسعادتها. ولقد دعيت عظمتكم السلطانية الى تحمل مسؤولية منصبكم السامي إبان أزمة خطيرة في الحياة الاهلية بمصر. واني على يقين انه بمعاونة وزرائكم وبحماية بريطانيا العظمى يتسنى لكم التغلب على كل المؤثرات التي براد بها العبث باستقلال مصر ورفاهة أهاليها وحريةهم وسعادتهم.

جورج
ملك وامبراطور

البرقية الثانية من سلطان مصر - شكر

أقدم لجلالتكم فائق الامتنان على ما تفضلتم به من شعائر الوداد التي شرفتموني بها وعلى ما أكدتموه لي من نفيس التعزية للمحافظة على كيان مصر واستقلالها. وما كنت على علم تام بالمسؤولية التي أخذتها على عاتقي وقد عقدت النية على تخصيص كل مافي وسعي لتقديم أممي وسعادتها سالكا مع الحماية في ذلك سبيل

(المجلد الثامن عشر)

(٨)

(المنار ج ١)

الوثام فاتي أعتبر من حسن حظي أن يتاح الى الاعتماد في القيام بهذا العبء على
جميل عواطف جلالتمكم وعلى معاونة حكومتها حسين كامل

البرقية الثالثة من لورد كتشنر - تهنئة

الى صاحب العظمة السلطانية سلطان مصر بالقاهرة
أتشرف بتقديم أجل مراسم التهاني والاحترام الى مقام عظمتكم السلطانية
بمناسبة ارتقائكم عرش سلطنة مصر وأسأله تعالى أن يوفق مصر في ظل عظمتكم
السلطانية وبمعاونة ونصائح أصدقائها الى جعل مستقبلها مقرونا بالطمأنينة والسعادة
كتشنر

البرقية الرابعة من سلطان مصر - شكر

الى لورد كتشنر لندن

كان لتهانتكم الودية بمناسبة ارتقائي عرش السلطنة أجل وقع في قوادي
فأشكركم شكرا جزيل على ما أبدىتموه من العواطف والاماني نحو بلادتي . وان
ما أعلمه من عظيم اهتمامكم بمصر يجعلني على يقين بأنه يتسنى لها الاعتماد عليكم كما
تعتمد على خير أصدقائها حسين كامل

البرقية الخامسة . امنية

من اللورد كتشنر الى رئيس الوزارة حسين رشدي باشا
أبادر بأبلاغ عطوفتكم أمانتي المنبثقة من أكل عواطف الاخلاص والوداد
نحو مستقبل النظام الذي انفتح عصره في هذا الصباح وان تثقي بحكمة عطوفتكم
وبوطيتكم تجعل لي الامل الوطيد باستمرار مصر في طريق السعادة والتقدم

البرقية السادسة من رئيس الوزارة - شكر واعتباط

أشكر جنابكم على جميل تفرافكم . وأنا على يقين مثلكم بأن مصر في عهد
نظامها الجديد ستتابع خطاها في طريق النظام والارتقاء
واني لمرتاح الى ما عندي من الامل بامكاني الاعتماد على مودتكم الثمينة أثناء
قيامي بأعباء وظيفتي ما

تهاني الشعراء

نظم أشهر شعراء مصر القصائد في التهاني السلطانية . وفي مقدمتهم اسماعيل باشا صبري واحمد شوقي بك ومحمد حافظ بك ابراهيم . وامتازت قصيدة شوقي بأنها لم تكن مدحا وثناء مجردا كغيرها بل تمثيلا لشعوره ووجدانه الخاص من حيث هو ربيب بيت الخديو اسماعيل باشا وغرس نعمته ، ووجدانه العام من حيث هو مسلم مصري ، ويشاركة في هذا جمهور المصريين . فاذا أثبتناها بنصها أثرا تاريخيا لا نخرج عن سنة المنار في عدم نشر المدائح الشخصية . وها هي ذه :

الملك فيكم آل اسماعيل	لا زال يتكلمو يظل النيل
لطف القضاء فلم يمل لوليك	ركن ولم يشف الحسود غليلا
هذي أصولكم وتلك فروعكم	جاء الصميم من الصميم بدلا
الملك بين قصوركم في داره	من ذا يريد عن الديار رحلا ^(١)
(عابدين) شرف يا ابن رافع ركنه	عزنا على النجم الرفيع وطولا
مادام مغناكم ^(٢) فليس بسائل	أحوى فروعاً أم أقل أصولا
أنتم بنو المجد المؤثل والندى	لكم السيادة صبية وكهولا
النيل إن أحصى لكم حسناتكم	ملا الزمان محاسنا والجيلا
أحبا أبوك شاطئيه وابنتي	مجدا لمصر على الزمان أثيلا
نشر الحضارة فوق مصر وسوريا	وامتد ظلا للحجاز ظليلا
وأعاد للعرب الكرام يانهم	وحى الى البيت الحرام سيلا

حفظ الآله على (الكنانة) عرشها	وأدام منكم للبال ح فيا
بنيان (عمرو) أمنت عناية	من أن يززع ركنه وبملا
وتدارك الباري لواء محمد	فرعى له غررا ومان حجولا

(١) قيل انه أشار الى نفي ما اشيع من خبر تقييه من مصر

(٢) أي مادام قصر عابدين مقاما لكم يا آل اسماعيل

في برهة يذر الاسرة نحبها مثل النجوم طوالها وأفولا
الله أدركه بكم وبأمة كالمسلمين الاولين عقولا
حلفاؤنا الاحرار الا أنهم أرقى الشعوب عواظفا وميولا
أعلى من الرومان ذكرا في الوري وأعز سلطانا وأمنع غيلا
لما خلا وجه البلاد لسيفهم ساروا سماحا في البلاد عدولا
وأنوا بكابرها وشيخ ملوكها ملكا عليها صالحا مأمولا
تاجان زانهما المشيب بثالث وجد الهدى والحق فيه مقبلا

سبحان من لا عز الا عزه يبقى ولم يك ملكه ليزولا
لا تستطيع النفس في ملكوته الا رضى بقضائه وقبولا
الخير فيما اختاره لعباده لا يظلم الله العباد فتيلا
يأليت شعري هل يحطم سيفه للبغي سيفا في الوري مسلولا
سلب البرية سلمها وهناءها ورمى النفوس بألف عزرائيلا
زال الشباب عن الديار وخلفوا للباقيات الشكل والترميدا
طاحوا فطاح العلم تحت لوامهم وغدا التفوق والنبوغ قتيلا
الله يشهد ما كفرت صنعة في ذا المقام ولا جحدت جميلا
وهو العليم بأن قلبي موجه وجما كداء الثاكلات دخيلا
مما أصاب الخلق في أبنائهم ودهى الهلال ممالكا وقبيلا
أأخون اسماعيل في أبنائه ولقد ولدت باب اسماعيلا
ولبست نعمته ونعمة بيتيه فلبست جزلا وارقدت جميلا
ووجدت آبائي على صدق الهوى وكفى بآباء الرجال دليلا
رؤيا (علي) يا (حسين) تأولت ما أصدق الاحلام والتأويلا
واذا بُناة المجد راموا خطة جعلوا الزمان محققا ومنيلا
القوم حين دها القضاء عقولهم كسروا بأيديهم لمصر غلولا
هدموا بوادى النيل ركن سيادة لهمو كركن العنكبوت ضئيلا

أرقه^(١) سرير أياك والبس تاجه
مرت أويقات عليه موحشا
ليست معالي الامر شيئا غائبا
كم سستموه في الشيبة مضلعا
وحيتمو زرع البلاد وضرعها
يا أكرم الاعمام حسبك أن ترى
من عثرة ابن أخيك تبكي رحمة
ولو استطعت اقالة لغثاره

وأكرم على (القصر المشيد) نزيلا
كالرمس لا خلوا ولا مأهولا
عنكم وليس مكانكم مجهولا
وحلتموه في المشيب ثقيلا
وهزتمو للمكرمات بخيلا
للعبرتين بوجنتيك مسيلا
ومن الخشوع لمن حباك جزيلا
من صدمة الأقدار كنت مقيلا

يا أهل مصر كلوا الامور اربكم
جرت الامور مع القضاء لغاية
أخذت عنا منا غير عناها
هل كان ذلك العهد الا موقعا
يعتز كل ذليل أقوام به
دفعت بنا فيه الحوادث وانقضت
وانقض ملعبها وشاهده على
فأدمتمو الشحاء فيما بينكم
كل يؤيد حزبه وفريقه
حتى انطوت تلك السنون كملعب
واذا أراد الله أمرا لم يجد

فأله خير موثلا ووكيلا
وأقرها من يملك التحويلا
سبحانه متصرفا ومديلا
للساطنين وللبلاد وبيلا
وعزيزكم يلقي القياد ذليلا
الا نتائج بعدها وذيولا
أن الرواية لم تتم فصولا
ولبثتمو في المضحكات طويلا
ويرى وجود الآخرين فضولا
وفرغتمو من أهلها تمثيلا
لقضائه ردًا ولا تبديلا

(١) كتب الكلمة في بعض الجرائد « أرقاً » وهو غلط لانه امر رقي الناقص
لأرقاً المهموز، ولعل سببه كتابتها في الاصل بالالف فجعلوها همزة. والمقام هنا مقام
وصل الفعل بهاء السكت كما فعلنا

آثارة تاريخية

من مقدمات الحرب المدنية الاوربية

وهي البرقيات التي تبودلت بين العاهلين العظمين

قيصر الألمان وقيصر الروس (١)

١

من الامبراطور ولهم الى الامبراطور تقولا

٢٨ يوليو ١٩١٤ (الساعة ١٠ والدقيقة ٤٥ مساء)

لقد علمت بمزيد القلق خبر الوقوع الذي وقع زحف الجنود النمسية على
سرية في امبراطوريتكم . ان التحريض العظيم الذي توالى في سرية منذ سنوات
أفضى الى جناية فظيعة اغتيل فيها الارشديق فرنس فردينند ، فالروح الذي حمل
السريين على اغتيال ملكهم وقرينته لا يزال سائدا تلك البلاد، ولا ريب في انكم
توافقوني اننا - أي أنت وأنا - بكسائر الملوك لنا مصلحة مشتركة في الاصرار على
معاينة مرتكبي جناية القتل هذه العقاب الذي يستحقونه

على اني أعلم أيضا انه يصعب جدا عليكم وعلى حكومتكم مقاومة مظاهرات
الرأي العام، فانا نذكركم للصداقة القلبية التي بيني وبينكم منذ زمان طويل أبذل
كل نفوذي في اقناع النمسة بالاتفاق مع سرية، واني أعتمد على تأييدكم في مساعي
لازالة جميع الصعوبات التي يحتمل ان تنشأ صديقكم المخلص وابن عمكم
ولهم

٢

من الامبراطور تقولا الى الامبراطور ولهم

قصر بترهوف في ٢٩ يوليو ١٩١٤ (الساعة واحدة بعد الظهر)

سرتي خبر عودتكم الى ألمانيا واني أطلب مساعدتكم في هذه الآونة الحرجة

(١) نقلت من ملحقات الكتاب الاصفر الفرنسي الرسمي

فقد أعلنت حرب معيبة على أمة ضعيفة وأنا أشاطر روسية سخطها العظيم
واني أرى انني سأعجز قريباً عن دفع الضغط الواقع علي وأضطر الى اتخاذ
تدابير تؤدي الى الحرب

فاجتباباً لنكبة حرب أوربية أرجو منكم باسم صداقتنا القديمة ان تفرغوا كل
جهدكم في منع حليفتكم من الافراط في الخطة التي سارت عليها نقولا

٣

من الامبراطور ولهم الى الامبراطور نقولا

٢٩ يوليو ١٩١٤ (الساعة ٦ والدقيقة ٣٠ مساء)

تلقيت برقيتكم وأنا أشاطركم الرغبة في حفظ السلام
ولكن لا أرى ان زحف النمسة على سرية حرب معيبة كما قلت في تلغرافي
الاول، فقد علمت النمسة بالاختبار انه يستحيل تصديق مواعيد سرية مادامت
محصورة في الكتابة على الورق

وعندي انه ينبغي النظر الى ما فعله النمسة كأنه سعي للحصول على الضمان
الكافي بان سرية تقوم بمواعيدها ، وقد تأيد اعتقادي بما صرحت به النمسة من
انها لا تبغي الاستيلاء على شيء من أملاك سرية
ولذلك أرى ان روسية تستطيع أن تقف موقف المتفرج فلا تنجر أوربة الى
أعظم حرب رآها العالم

وأعتقد أن الاتفاق بين حكومتكم وفينة مستطاع ومرغوب فيه لاسيما وان
حكومتي باذلة الجهد للتوصل الى هذا الاتفاق كما أخبرتكم في تلغرافي السابق
ولا يخفى ان اتخاذ روسية لتدابير حرية تعدها النمسة تهديدا لها يعجل وقوع
النكبة التي نحاول كلانا اجتنابها وبحول دون قيامي بمهمة الوسيط التي قبلتها بلا
تردد لما استعجرت بصداقتي ومعاونتي ولهم

٤

من الامبراطور ولهم الى الامبراطور نقولا

٣٠ يوليو ١٩١٤ (الساعة ١ صباحاً)

صدرت التعليمات الى سفيري أن يوجه نظر حكومتكم الى الاخطار والعواقب
الوخيمة التي تنشأ عن تعبئة الجيش وهذا الذي قلته لكم في تلغرافي الاخير
ان النمسة عبات جيشها ضد سرية فقط ولم تعبى سوى جانب من جيشها
فاذاعت روسية جيشها ضد النمسة كما يتضح من برقيتكم و بلاغ حكومتكم تعذر
عليّ القيام بمهمة الوسيط بل استحال وهي المهمة التي نطتموها بي بروح المودة وقبلتها
بناء على طلبكم المعجل
فعبء البت في الامر واقع على عاتقكم وأنتم تتحملون عبء تبعه الحرب أو
السلم ولهم

٥

من الامبراطور نقولا الى الامبراطور ولهم
قصر بترهوف في ٣٠ يوليو ١٩١٤ (الساعة ١ والدقيقة ٣٠ بعد الظهر)
أشكركم من صميم القواد على جوابكم السريع واني مرسل تاتيشف اليوم
مء مزودا بالتعليمات. أما التدابير الحربية التي تتخذ الآن فقد قررنا عليها منذ
خمسة أيام لمقابلة استعداد النمسة
واني أتمنى من صميم القواد ان لا تؤثر هذه التدابير في قيامكم بمهمة الوسيط
وهي المهمة التي اقدرها حق قدرها فاننا نحتاج الى توسطكم بالحزم مع النمسة لحملها
على الاتفاق معنا نقولا

٦

من الامبراطور نقولا الى الامبراطور ولهم

٣١ يوليو ١٩١٤

أشكركم من صميم القواد على ما تبدونه من النية التي تدل على وجود بارقة
أمل بان الامور تنتهي على مايرام . اما توقيف استعدادنا الحربي فغير مستطاع
فنيا وقد اضطررنا تعبئة النمسة الى هذا الاستعداد
اننا أبعد الناس عن الرغبة في الحرب وما دامت المفاوضات في موضوع

سربية دائرة مع النمسة فجنودي لا تقدم على عمل ما من أعمال التحرش وأؤكد
لكم ذلك بشرفي
أني موقن تمام الايقان بنعمة الله واثق بأن توسطكم في فينا يكلل بالنجاح
لخير بلادينا وسلم أوربة
نقولاً

٧

من الامبراطور ولهم الى الامبراطور نقولاً

٣١ يوليو ١٩١٤ (الساعة ٢ بعد الظهر)

لما استجرتكم بصدائتي وطلبتم معونتي قبلت أن أتوسط بين حكومتكم وحكومة النمسة
و بيننا كنت قائماً بهذا العمل عبأتم جيوشكم ضد حليفتي النمسة فأحبطتم
الرجاء بنجاح توسطي ومع ذلك فأنني ظلت متابعا له
وقد تلقيت الساعة علما من مصدر جدير بالثقة بأنكم شرعتم تتخذون تدابير
حرية عظيمة على حدودي الشرقية، ولما كنت مسؤولاً عن سلامة امبراطوريتي
فأني مضطر ان أتخذ تدابير مماثلة دفاعاً عنها
ولقد بذلت أقصى ما استطاع سعياً لحفظ السلم فاذا وقعت النكبة الهائلة التي
تهدد عالم المدنية بأسره فان تبعثها لا تقع علي
ولا يزال منع وقوع النكبة في يديكم اذا لأحد يهدد شرف روسية وقوتها
وكان في طاقة روسية ان تنتظر نتيجة توسطي . ان صدائتي لكم ولا امبراطوريتكم
التي أورثتها جدي على فراش الموت ظلت مقدسة عندي، وقد كنت أميناً لروسية
في محنها ولا سيما في الحرب الاخيرة . فسلم أوربة محفوظ حتى الآن اذا قرر قرار
روسية على الكف عن التدابير الحرية التي تهدد بها ألمانيا والنمسة. ولهم

٨

من الامبراطور نقولاً الى الامبراطور ولهم

١ اغسطس ١٩١٤ (الساعة ٢ بعد الظهر)

جاءتني برقيتكم وإني أعلم انكم مضطرون الى التعبئة، ولكنني أطلب منكم
(المنار : ج ١) (٩) (المجلد الثامن عشر)

الضمان الذي أعطيتكم إياه وهو أن هذه التدابير لا تنذر بوقوع الحرب وأنا نأمل
متابعين مفاوضاتنا لخير البلادين ومصلحة السلم العام العزيز على قلوبنا
أن صداقتنا القديمة العهد والوطيدة الأركان يجب بمساعدة الله أن تفوز بمنع
إراقة الدم فانا انتظر جوابكم بملء الثقة .
تقولا

٩

من الامبراطور ولهم الى الامبراطور تقولا

برلين في ١ اغسطس ١٩١٤

أشكركم على برقيتكم وقد دلت حكومتكم أمس على الطريق الوحيد
لاجتناب الحرب

ومع أنني طالبت أن يأتيني الجواب الظاهر فلم يأتني حتى الساعة برقية من
سفيرى تتضمن جواب حكومتكم لذلك اضطررت الى تعبئة جيشي
فالتريق الوحيد لمنع وقوع نكبة لا توصف هي ورود جواب صريح جلي
من حكومتكم. ولا يسعني أن أهتم بموضوع تلغرافكم قبل أن يأتيني هذا الجواب،
وإني مضطر أن أطلب بالاختصار أن تصدروا أوامركم الى جنودكم بلا إبطاء بأن
لا تهجم أقل هجوم على حدودنا
ولهم

فصل الاحصاء من باب التاريخ

(مساحة المملكة العثمانية وعدد سكانها)

أصدرت الحكومة العثمانية في العام الماضي احصاء لأملاكها وعدد سكانها
نشرته جريدة « الأهرام » قائلة أنها أخذته عن خريطة أركان الحرب العثمانية
وهو كما ترى في الجدول الآتي :

اسم الولاية	كيلومتر	نفس
استامبول	٧٠٠٠	١٣٦٠٠٠٠
خداوندكار	٧٣٨٠٠	٦٢٦٩٠٠

اسم الولاية	كيلو متر	نفس
آيدين	٥٤٠٠٠	١٣٩٦٠٠٠
قونية	١٠٣٨٠٠	١٠٨٨٠٠٠
اطنة	٣٧٢٠٠	٤٠٣٤٠٠
اققره	٦٧٥٠٠	٨٩٢٩٠٠
تسطموني	٤٩٧٠٠	١٠١٨٩٠٠
سيواس	٦٢٨٠٠	١٠٨٦٥٠٠
طرابزون	٣٠٧٠٠	١٠٤٧٧٠٠
ارضروم	٥١٠٠٠	٥٩٧٠٠٠
معمورة العزيز	٣٤٣٠٠	٥٧٥٣٠٠
بتليس	٢٦٨٠٠	٣٩٨٦٠٠
ديار بكر	٣٥٥٠٠	٤٧١٥٠٠
وان	٤٠٢٠٠	٤٣٠٠٠٠
حلب	٧٨٦٠٠	٩٩٥٨٠٠
بغروت	٣٠٥٠٠	٥٣٣٨٠٠
سوريا	٦١٧٠٠	٩٥٥٧٠٠
بغداد	١٤١٣٠٠	٨٥٠٠٠٠
الموصل	٧٥٧٠٠	٧٠٠٣٠٠
البصرة	٤٢٧٠٠	٣٠٠٠٠٠
النجاز	٢٥٠٠٠٠	٣٠٠٠٠٠
البحر	٢٠٠٠٠٠	٧٥٠٠٠٠
جزائر البحر الابيض	٧١٠٨	٣٢٥٩٠٠
ازميد	١١٢٠٠	٢٢٢٨٠٠
بيغا	٦٨٠٠	١٢٩٤٠٠
الزور	٨٥١٠٠	١٠٠٠٠٠٠

لبنان	٦٥٠٠	٣٩٩٥٠٠
القدس	٢١٣٠٠	٣٣٣٠٠٠
سيسام	٤٦٨	٥٢٨٠٠
قبرص	٩٦٠٠	٢٢١٨٠٠
المجموع	١٧٠١٧٧٧	١٩٣٤٠٠٠

(قالت الاهرام) فعدد الاهالي العثمانيين اذن هو ١٨ مليون و ٨٣٩ الف و ٨٠٠ نفس يخرج منهم اهالي قبرص وهم حسب الاحصاء ٢٢١٨٠٠ و سيسام وهم ٥٢٨٠٠ ولبنان وهم ٣٩٩٥٠٠ والحجاز وهم ٣٠٠ الف واليمن وهم ٧٥٠ الف وجزر البحر الايض وهم ٣٢٥٩٠٠ لان هذه البلاد اما انها لا تكلف بالتجنيد واما انها غير خاضعة لحكم الدولة كالجزر وعدد اهاليها مليونان ٧٤١ الف فيكون الباقي ١٦٧١٥٧٠٠ فاذا اخرجنا منهم البكر واليزيدية والطوائف التي تدفع البذل والتي تعفى يكون الاهالي الذين يجندون نحو ١٤ مليوناً على الاكثر فاذا حسبنا ان الذين يجندون هم ٦ بالمشة يكون عدد الجيش الممكن جمعه من الامة العثمانية ٨٤٠ الف مقاتل في وقت الحرب اه

احصاء جزيرة العرب والولايات العربية

[المنار] كنا رأينا هذا الاحصاء في الاهرام ثم نقلناه عن جريدة أخرى نقلته عنها ولكن رأينا الجمع غير صحيح فأرسلنا الجدول الى رئيس تحرير الاهرام فصححه فلم يكن الجمع بعد تصحيحه صحيحاً أيضاً بل بلغ عدد النفوس ١٩ مليوناً و ٣٤٠ الف نفس ان الدولة لم تحصى سكان بلادها إحصاء دقيقاً الى اليوم ، وهي تعني بهذا الاحصاء اهالي البلاد الحضرية الخاضعين لقوانينها كلها أو بعضها الا ما يستثنى كقبرص. أي ما تيسر لها معرفة عدده منهم، ولذلك لم تذكر بلاد نجد مع انها تعدها تحت سيادتها. وجعلت أهل اليمن ثلاثة ارباع المليون على أن بعض وزرائها الذين تولوا اليمن كحسين حلمي باشا كانوا يقولون ان أهلها ستة ملايين أو يزيدون.

ورأيت بعض أهل اليمن يعتقدون ان سكان بلادهم وبلاد حضرموت أكثر من سكان القطر المصري

هذا وان سكان الولايات والمتصرفيات العربية وهي ١٣ ولاية ومتصرفية بلغوا بحسب هذا الاحصاء ... ر ٦٩٢ ر ٦ فاذا كان في ديار بكر والموصل وحلب زهاء مئتي الف من غير العرب كالترك والكرد والارمن يكون مجموع العرب الخاضعين للدولة فعلاً نحو من ستة ملايين ونصف أو أقل . وهذا العدد أقل من ثلث مجموع العرب في جزيرتهم وحدها دغ ملحقاتها من العراق وما بين النهرين وسورية وفلسطين . ويمكن أن يعيش في هذه البلاد أكثر من مئة ألف الف بالسعة ، فن مساحتها أوسع من مساحة الهند الانكليزية التي يعيش فيها أكثر من ثلاث مئة ألف ألف . بل مساحة جزيرة العرب وحدها تقرب من مساحة الهند إذ كل منهما تزيد على ثلاثة ملايين كيلو متر

وقد قدر صاحب (النخبة الازهرية في تخطيط الكرة الارضية) سكان جزيرة العرب وحدها باثني عشر مليون نفس ، وهو انما يعتمد على كتب التقويم الاوربية القديمة التي تعتمد على قاعدة البناء على الاقل ، وحسبك نموذجاً من ذلك انه يقول ان سكان دمشق الشام ستون ألفاً والمشهور انهم أكثر من مئتي الف ، وان سكان طرابلس الشام ١٣ ألفاً وهم أكثر من تسعة وعشرين

ويمكننا ان نقول ان عرب الولايات والمتصرفيات العربية ماعداء اليمن والحجاز لا تقل عن خمسة ملايين ونصف بحسب احصاء الدولة . واذا قيل ان عدد الاعاجم فيها أكثر مما قدرنا بنصف مليون قلنا ان البدو فيها لا يقلون عما نفرضه من زيادة هؤلاء . فاذا أضفنا الى البدو المكتومين من الحضرة زاد عدد العرب في تلك الولايات على ستة ملايين . وقد نشر في عدد الاهرام الذي صدر في ٣ نوفمبر احصاء آخر لاهل البحرين فيها (ا.س.ن) عد فيه أهل ولاية بيروت ٧٠٠.٠٠٠ وبغداد ٩٥٠.٠٠٠ وببصرة ٢٥٠.٠٠٠ والقدس ٥٥.٠٠٠ ولبنان ٥٠.٠٠٠ وهذه زيادة تبلغ زهاء نصف مليون . فاذا فرضنا بعد ذلك ان سكان الجزيرة ١٢ مليوناً فقط كما يقول صاحب النخبة الازهرية

على سبيل التقريب كان عدد العرب وحدهم في هذه البلاد كلها كعدد سكان المملكة العثمانية من جميع الاجناس كما رأيت في الجدول
ويقدر كثير من العارفين عدد العرب في تلك البلاد بمشرين مليوناً ولكنهم يستثنون من ذلك أهل حضرموت ومجد وعُمان

إحصاء شعوب الهند الانكليزية

نشرت الحكومة الانكليزية خلاصة إحصاء شعوب الهند في عام ١٩١٤
ويؤخذ من هذا الإحصاء ان عدد أهالي الهند الانكليزية ٣٩٦,٣٩٦,١٥٦
وهم ٧٨,٥ بالمائة من الخنود و ٢٢,٥ من رعايا الامارات الهندية
ومساحة بلاد الهند تعادل مساحة أوربة كلها ما عدا روسيا ولكن عدد أهالي الهند
يزيد على أهالي أوربة ما عدا روسيا وهو يعادل ثلاثة أضعاف أهالي الولايات المتحدة
ومنذ ٣٩ سنة الى اليوم زاد عدد أهالي الهند ٥٠ مليوناً. أما الذين يدينون
بدين الهند الاصليين (١) فعددهم ٨٩٢,٥٨٦,٢١٧ وعدد المسيحيين ٢٠٤,٢٨٨,٢٧٨
وباقون من المسلمين

(المنار) نشرت هذا الإحصاء جريدة الاهرام في أثناء السنة الماضية وتلك
مبرهاً تقارنها بنصها . واذا نحن طرحنا عدد الوثنيين والنصارى من المجموع بقي
٣٠٠,٣٦٩,٩٤٠ وهو عدد المسلمين . وقد كنا سمعنا من بعض كهراء الهند في أثناء
سياحتنا فيها عام ١٣٣٠ (١٩١٢ م) ان عدد المسلمين فيها تسعون مليوناً ونصف .
والكثير لا يزال اسمع الناس يقولون ويكتبون ان عددهم سبعون مليوناً ، حتى ان
مثل هذا القول ينقل عن بعض رجال السياسة من الانكليز أنفسهم . ولما جاء هذا
الإحصاء : قالوا لما سمعنا من أهل المعرفة في الهند ترجح عندنا ان هذه الأقوال
الاهلية على إحصاء قديم علق بأذهان أولئك القائلين ، ولما ان الانكليز منهم
يستثنون بعض الامارات المستقلة عند ذكر رعاياهم من مسلمي الهند وغيرهم
بقلدهم في أقوالهم

البدء والخرافات

فَالْبَقَالِيَّةُ وَالْعَجَلَا

خرافات وأوهام في قصور الملوك *

يعتقد القراء أن الخرافات والاهام التي تتخوف منها الطبقة العامة في سورية وغيرها من بلدان الممالك المتعدنة (?) كوجود الجان وظهور الارواح والاشباح لا أثر لها في عقول الطبقة المتعدنة من الشعب الاوربي والحقيقة ان هذه الاهام التي لا يسلم بها من العلماء غير شيعة الروحانيين (مناجاة الارواح) واتباعهم مائة قصور الملوك ولها في كل رأس من رؤوس سكان القصور ثغرة واسعة. وهما نحن (أولاء) موردون شيئا عن الاعتقادات الشائعة بالجان والارواح في قصور ملوك أوربة

تعتقد عائلة « هوهنزولرن » المالكة في ألمانيا ان لها جنيتان إحداها بيضاء والثانية سوداء واليهما تشير الراية الالمانية، بمعنى ان البيضاء هي جنية الشر، والسوداء جنية الخير

ففي عام ١٨٠٦ « على ماتفيد الكتب والاوراق القديمة » ظهرت الجنية البيضاء في احدى نوافذ القصر الملكي، وما كادت تختفي حتى ورد الى الامبراطور نبأ يفيد انكسار الجيش الالمانى « في « اورستاد »

وقد ظهرت أيضا عام ١٨٨٤ قبل وقوع تلك الحوادث المشؤومة في ألمانيا - في حديقة القصر الملكي في براين

وظهرت أيضا ثلاث مرات في « انتردنلدين » وفي كل مرة كانوا يحاولون اغتيال غليوم الاول

ولمات الامبراطور الشيخ شعبانا من السنين وكان قد بلغ من المجدحظا كبيرا

ظهرت الجنية البيضاء في احد أروقة القصر الملكي، وما كادت تختفي حتى جاءت الانباء مفيدة ما قاساه فردريك الثالث من انواع العذاب وأصناف البلايا والمحن

(*) منقول من جريدة الزمان العربية التي تصدر في بونس ايرس (الأرجنتين)

وبعد ثلاثة أشهر وقفت في القصر الملكي مكشوفة اليدين وأبأت عن موت فردريك الثالث ابن غليوم الاول في «شارنوتبورغ» بعد تولية الحكم بثلاثة أشهر وأما الجنية السوداء فقد ظهرت للإمبراطور الحالي في «برانبرغ» في أيام غليوم الاول وقالت له «ستكون إمبراطورا قبل ان تتم الثلاثين ريعا» وهكذا كان. وفي قصر انكلترا الملكي جنية بيضاء وظيفتها نقل أخبار الموت فقط «ناعية» ففي عام ١٩٠١ عند ما ماتت الملكة فكتوريا الشهيرة أخذت (الجنية) نصيح - بشهادة بعض أشخاص موثوق بصدقهم - في داخل القصر الملكي

ويوجد مثل هذه الارواح والجنيات في القصور التاريخية القديمة، وكثيرا ما امتنع الملوك والأمراء والأشراف عن سكناها خوفا من تلك الارواح الخبيثة الهائلة ففي قصر «باري يوماروي» توجد هذه الارواح بكثرة وطالما أعلنت المصائب قبل وقوعها، وعدد كبير من سكان هذا القصر أنبأتهم هذه الارواح عن انقضاء آجالهم

وبهذه المناسبة نذكر الحادثة التالية التي جرت في القصر المذكور من مضي مئة سنة كان الدكتور «ولتر» طبيب زوجة مدير القصر، وفي أحد الايام سأل المدير المذكور عن تلك المرأة الجميلة الحسنة الملبس التي تلوح على محياها امائر الحزن، والتي رآها عند دخوله الى القصر، فبغت الرجل وساح لالا، لا أريد ان تموت امرأتي. فعجب الدكتور ما المرء واستوضحه عن العلاقة بين المرأة وموت زوجة المدير المذكور، فأشاعه على حقيقة هذه السيدة البيضاء الجميلة، ومع انه لم يكن يرى في مرض زوجة مدير القصر خيرا على حياتها، فقد ماتت في ذلك اليوم هذا ما رأينا ان ننقله تفكيرا للقراء. ولا يمكننا في هذه الحوادث وغيرها مما نطالعه يوميا عن استحضر الارواح وافعال الارواح ولا تصديقه، لان بين المعتقدين جماعة من العلماء الاعلام كالمسترستيد وغيره، وبين المكذبين العلماء الطبيعيين على الاطلاق وغيرهم من المشاهير، ولا تزال طائفة العلماء والفلاسفة في أمبركة ولندن وباريس وغيرها تبحث بحثا دقيقا متواصلا توصلنا للحقيقة.

باب امر اسئلة والمناظرة

الاسلام في انكلترة

فضيلة^(١) صاحب « المنار » الاغر

يسرني جدا أن أبلغ سيادتكم ان مساعي اخواننا المسلمين المبشرين في انكلترا سائرة في طريق النجاح بدرجة فوق المأمول . ولقد تعود معظمنا اغفال الدعوة الى الدين الحنيف بل أهملنا حتى في مقاومة دعاة المسيحية في نفس بلادنا، حتى أني أتخيل ان ذكر وجود مبشرين مسلمين في انكلترا كاف وحده لدهشة غير قليل من القراء . ولا شك في أنه يدهشهم (دهشا) أكثر أن يعلموا أن هؤلاء المبشرين على قلة عددهم قد نجحوا في نشر نور الاسلام بين عدد ليس بالضئيل من خيرة السيدات والرجال الانكليز .

يوجد في (ووكنج woking) احدى ضواحي مدينة لندن جامع صغير يمثل المركز الرئيسي للعالية الاسلامية في بريطانيا العظمى ، ويصدر إمام ذلك الجامع مجلة شهرية تدعى « المجلة الاسلامية والهند المسلمة » — ومع أني لست ممن يرتاحون الى هذه المجلة نظرا لخلطها في كثير من الاحايين الدين بالسياسة ، فانه لا يسعني الا الاعتراف بالخدمة الاسلامية الجليلة التي قامت بها في زمن لا يتجاوز ثلاث سنوات . والفضل كل الفضل يرجع الى حضرة رئيس بحريها إمام الجامع المشار اليه والى اعوانه .

ولقد تلقيت العدد الاخير منها (عدد يناير سنة ١٩١٥) فوجدت فيه الخبر

المفرح الآتي :

(١) حذفنا من مكان النقط لقب « الاستاذ الامام » الذي صار كالعلم لشيخنا رحمه الله تعالى وان كنا جرينا على نشر الرسائل والاسئلة بنصها لاسباب تاريخية وغير تاريخية

« في يوم الأحد الماضي ٢٠ ديسمبر ١٩١٤ عقدت الجمعية الاسلامية البريطانية اجتماعا خطب فيه رئيسها سيف الرحمن اللورد هدلي وقد اعتنقت الاسلام سيدة أخرى وهي السيدة إيلينور آني ساكسبي ، ومنذ الاسبوع الماضي قد أضفنا الى قائمة الاخوة الاسلامية النامية باستمرار اسماء ثلاثة أشخاص من الانكليز . « وفي (هذا) العدد نفسه كتابان عن اعتناق الدين الاسلامي أحدهما من سيدة انكليزية تدعى أ. بامفورد ، والآخر من أحد افاضل الانكليز وهو المستر إرنست أوتن ، وكلاهما ممتلئ بعبارات تستحق التأمل والدرس وخصوصا من سادتنا المتفرجين الذين ينسون تعاليم دينهم العالية بمجرد امتزاجهم بالافرنج . ونظرا لضيق نطاق « المنار » الاغر ولعدم سعة وقفي اكتفي بترجمة كتاب السيدة المشار اليها . وهذا تعريبه :

« سيدي محرر صحيفة المجلة الاسلامية والهند المسلمة .

لقد صرت في العهد الاخير بفضل مودة صديق مسلم اقرأ بانتظام أهم المؤلفات الاسلامية وأذكر بينها الكتب الشائقة التي وضعها السيد أمير علي وخصوصا نشرته عن حقوق النساء في الاسلام فإنها ذات قيمة كبيرة عندي .

ومما يستحق الذكر من المؤلفات الاخرى الممتعة التي شأقتني كثيرا كتاب « الهلال والصليب » تأليف خليل بك خالد ، وكتاب « اسرار مصر والاسلام الخفية » تأليف المستر ليدر ، وكذلك فصل « البطل كنجي » ^(١) من قلم كارليل . فكانت صفوة ونتيجة دراستي الدقيقة هذه آتي امتلأت اعجابا بمحمد (ص) باعتباره نبيا ومصلحا عظيما وبدياته الديمقراطية السمحة التي يهينني ويرينحي الآن اعتناقها

هذا وأنا اعترف بأن الديانة المسيحية المهدبة ديانة جليسة ، الا اني مع ذلك لا يمكنني بأية حال أن أتجاهل ان الاسلام لا يعلم الناس أسس مبادئ المسيحية فقط بل هو يمتاز أيضا بدون أدنى شك بمزايا عظيمة لا توجد في المسيحية .

(١) المراد من هذه العبارة : البطل النبي ، أو البطل بصفة النبي أو من حيث هو نبي .

وذلك في مراميه الفلسفية ومبادئه النفسية العالية وفي القواعد الموضوعية لنظام اجتماعي أدق وأصح .

لقد خطر في بالي أن أبعث بهذا الكتاب الى جنابكم عسى أن لا يخلو علمكم وعلم قراء مجلتكم الغراء بذلك من الفائدة .

وختاماً أتشرف بالامضاء باسمي الاسلامي

أمنية

(« الآنية » أ. بامغورلا)

كم كانت تكون هذه النتيجة السارة مضاعفة ياسيدي الاستاذ لو تم مشروع الجامع الكبير المنوي بناؤه في عاصمة الامبراطورية الانكليزية التي تضم تحت رايتها الملايين من المسلمين في عدة من أنحاء العالم ، ولست أدري لاي سبب ضعفت هم المسلمين في مصر والهند وغيرها من الاقطار الاسلامية عن مواصلة التبرع لهذا المشروع الجليل حتى يمكن تحقيقه في المستقبل العاجل .

وكم تكون النتيجة مضاعفة اذا وجد بين سراتنا من يعضد « دار الدعوة والارشاد » التعضيد اللائق بكلية عظيمة المقصد كذه حتى يتيسر لكم ارسال الدعاء الى هذه البلاد . وبفضل علمهم ومعرفتهم بالانكليزية يرجى لهم حينئذ نجاح كبير هنا ، وخصوصاً اذا تيسر لهم انشاء مجلة بالانكليزية تشمل صفوة ترجمة ما يصدر في كل عدد من « المنار » الزاهر .

وكم تكون النتيجة مضاعفة اذا هزت الاربحية الدينية أحد امراء أو أغنياء المسلمين فوهب نحو امن خمسمائة جنيه أو أكثر في سبيل نقل « تفسير المنار » الى الانكليزية ، فانه مما يؤسف له جداً أن تنتشر بهذه اللغة المؤلفات العديدة ضد الاسلام ولا ينقل اليها كتاب جليل هو دائرة معارف اسلامية مثل « تفسير المنار » وما هذا بعز يز على امراء المسلمين الذين نراهم من أجل الحرب الحاضرة يجودون بمئات الآف من الجنيهات ، أفلا يوجد بينهم من يجود بجزء من مائة من ذلك في سبيل نشر نور السلم والاسلام ؟

ان من المغالطة أن يقال ان الانكليز مثلاً يمنعون امراء الهند من عمل كهذا ، فان انكليترا معروفة بمنحها الحرية الدينية الكاملة لجميع رعاياها ، وهذا ما لا ينكره

نفس أعدائها ، بل كان هذا من جملة أسباب ولاء مسلمي الهند لها ، فلا يعقل ان يتدخل رجال الساطة من الانكليز في الهند في شأن ديني محض كهذا ، أو يمنحوا أميرا هنديا مسلما من التبرع إذا شاء لما فيه صالح دينه .

وكذلك لا يعقل أن يفعلوا ذلك في مصر أو في غيرها من الممالك الاسلامية التي لانكلترا علاقة بها . وعلمنا وخبرتنا الماضية تؤكد ذلك .

أني أوافق فضيلتكم على أن تعلم العربية واجب على كل مسلم ، وأن من الحكمة جعل تعليمها اجباريا في جميع المدارس والكتليات والجامعات الاسلامية في كل قطر ، حتى يتيسر لكل مسلم أن يعرف دينه من منبعه الأصلي ، بغض النظر عن العلم بأداب اللغة العربية الشريفة التي هي لغة القرآن الكريم ، ولكن اذا تأملنا في المسألة من وجهة التبشير فاننا نجد أن من الضروري أن ينقل الى اللغات الاجنبية خبرة المؤلفات الاسلامية وخصوصا تفاسير القرآن الجليلة المشهود بسعة العلم والدقة فيها ، فان هذا عماد المبشر المسلم في نشر دينه بين الافرنج . ومن العبث ان يقول المبشر الذي يريد اجتذاب القوم اليه : تعلموا يا قوم العربية أولا وبعدها اطلعكم على القرآن وأذكر لكم أصول الدين الاسلامي ...

أما نقل القرآن الشريف الى الانكليزية أو غيرها من اللغات الاوربية فاني أعده جرما من حيث ان ذلك يؤدي الى اخفاء ما في لغة القرآن الشائقة من اعجاز البيان ، فضلا عن ان الترجمة تظهر بشكل مشوه غريب يجعل الأوربي الذي لا يعرف آداب العربية يعجب من كوننا نعتقد ان القرآن هو كلام الله جل شأنه !! .. وان أي مسلم يطلع على ترجمة القرآن لا يسهه الا الضحك مع الاسف على الوقت الذي أنفق هباء في هذه الترجمة التي لا تؤدي الى شيء ، ما من مرامي القرآن العالية الحكيمة ... اني اعتقد أن الرجل المحسن الذي يهب مبلغا كافيا لترجمة تفسير عصري مثل تفسير « المنار » — ويعلم الله أني لا أقول هذا مجاملة لكم فاني لست من يخطط الخصوصيات بالعموميات — الذي هو خلاصة كل علم راجح من دماغي امامين كبيرين ، انما يؤدي خدمة اسلامية وانسانية فوق كل تقدير . ويعلم ان

هذا أمر حيوي مأس كل ذي علم بالمجتمع الاوربي ، وكل من عنده غيره على نشر الدين القويم الداعي الى المساواة والاصلاح واسمى المبادئ الانسانية .
واني أعد من الاعتراضات الغربية أن يقول قائل ان نتيجة التبشير الاسلامي ليست بنتيجة مرضية ، لان كثيرين ممن يعتنقون الاسلام لا يعتنقون بالصلاة أو الصوم مثلاً ، وهما من فرائض الاسلام ، ويفوت المعترض ان ذلك الاجنبي الذي اعتنق الاسلام قد يجهل العربية ، وربما لا يجد من يعاونه تعاليم دينه تفصيلياً ، وقد يكون اسلامه مبنيًا على نتيجة مطالعته وبحثه كما هو الغالب ، أو قد يكون الباعث له على التهاون في أداء فريضة الصلاة أو الصوم هو نفس الباعث للمسلم الأصلي على اغفال ذلك . على ان بياني هذا ليس معناه أنني أبرر ذلك التهاون

هذا واني على كل حال أعتقد أن الإيمان بمبادئ الاسلام - وان تهاون المؤمن في بعض الفرائض - ليس بخسارة للاسلام^(١) وبعبارة أخرى اننا اذا استطعنا اغراء الاجانب بالاقناع والدليل (وحملهم) على اعتناق الدين الاسلامي ووجدنا منهم ايماناً كلياً بمبادئه وسيراً على فرائضه ورأينا منهم بعد ذلك اهمالا في أداء بعض الفرائض كما نرى من كثيرين من المسلمين الاصليين أنفسهم فلسنا مع ذلك الا رابحين فلا ينبغي أن يحملنا هذا على الاستياء المتساهل لدرجة أن يقول قائل ان نتيجة هذه للتبشير الاسلامي غير مرضية أولاً فائدة منها ...!

ان رجال الاصلاح كثير ون وفضيلتكم في مقدمتهم ، وقد بسطت لكم فيما تقدم بعض آراء لا أشك في أنه يشاركني فيها جميع أعضاء الجالية الاسلامية في انكلترا ، ولكن إنفاذكم وإنفاذ غيركم من المصلحين لها يحتاج الى « المال » ، فهل نعيش نحن المسلمين الى الابد نعلل انفسنا بالنجاح والخير حينما نكتشف باباً جديداً لذلك ثم نفشل لاننا لا نجد مفتاحه وهو غيره وكرم امرائنا ومراتنا ?? ...

لقد صحت الحكمه القائلة : « ان الله لا يساعد الذين لا يساعدون أنفسهم »
ولو وضعها كل مسلم نصب عينيه وعمل بها لكان لنا من المنعة والعز ما نحسد عليه ،

(١) يريد الكاتب ان ترك المهتدي الى الاسلام لبعض العبادات وان كانت فرائض ليس بخسارة اذا كان صحيح الايمان بعقائد الاسلام واصوله

ولعل كلمتي هذه تصادف آذاناً واعية ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

لندن في ١٥ يناير سنة ١٩١٥ « مسلم غير متفرنج »

[المنار] نشكر للكتاب غيرته على دينه وحسن ظنه بنا ، ونواقفه على آرائه في جعلها ولكن مسألة الايمان والعمل تحتاج الى تفصيل وتمحيص ، وأرى ان مسلمي الهند أرجى لخدمة الاسلام من مسلمي مصر ، وان كان يظن بعض الناس ان الاسلام في مصر أقوى منه في الهند علماً وعملاً . فسلمو الهند يعملون لنشر الدين وخدمته ، ويتعاون العلماء والاغنياء منهم على ذلك على ضعف فيه يرجي ان يتقوى مع الزمان . ولم يوجد في مصر غني بذل مالا لخدمة دينية محضة ، ولا وجد عالم تصدى لخدمة دينية محضة جديدة الا شيخنا الاستاذ الامام في تصديه لاصلاح التعليم في الازهر وملحقاته — الى ان قام من قام بتأسيس الدعوة والارشاد . وقد لقي هذا المشروع العظيم في مصر أشد المقاومة . وكانت مصلحة الاوقاف الاسلامية قد نفخته بإعانة قليلة ٥٥٠ جنيتها في السنة مع الوعد بمضاعفتها ولكن وزارة الأوقاف الجديدة قد قطعت هذه الاعانة في هذا العام بعد ان منعت نصف ما كان مقرراً للعام الماضي . ويظن كثير من المسلمين ان هذا بايعاز من الانكليز وأنا لا أظن هذا ، بل أنا على رأي القديم في الانكليز وهو أن المسلم يستطيع ان يخدم دينه في بلادهم ومستعمراتهم بحرية قلما يجد مثلاً عند غيرهم . وما آفة الاسلام الا منافقوا أهله وجبنائهم . وسيفضح مانكته في تاريخ مشروع الدعوة والارشاد كثيراً من هؤلاء المنافقين ، ومنهم الذين لا يزالون يكيدون في الخفاء ليحولوا دون مساعدة القصر له . وسيرى مسلمو العالم وغيرهم في هذا التاريخ الذي هو تاريخ الاصلاح الاسلامي في هذا العصر مقارنة غريبة بين باشوات الاستانة وباشوات مصر

أما اقتراحكم ترجمة تفسير المنار بالانكليزية فيقل في المسلمين من يبذل المال له لأن أكثر أغنياء المسلمين أغنياء أخساء ، وأما يبذل بعضهم المال في المشروعات العامة لاجل الجاه عند الحكام والامراء ولا يكاد هؤلاء يلتزمون في مثل هذا العمل جاهاً . والافراد العقلاء النبهاء منهم كثرت عليهم طرق البذل في هذا العصر ، ولعل هذا المشروع ينفذ في الهند يوماً ما . واني أكاد أجزم بأن

هذا الاقتراح لو عرض على مثل الأمير الجواد الشهير النواب محمد علي راجا محمود آباد ممن يثق هو بقوله في بيان مكانة التفسير لانفذه حالا ، وكيف لا وهو يهب المدارس بالآلاف من الجنيئات . أما أنا فلا أسعى الى هذا الاقتراح لان التفسير لي ولو كان لغيري لسعيت

ولا أذهب بك بعيدا فهذا مولوي محمد انشاء الله صاحب جريدة « وطن » الهندية قد تبرع بمئة مجلد من كل جزء من هذا التفسير لتوزع على المساجد في البلاد العربية فاذا اعان الله على اتمام التفسير وانفاذ تبرعه كانت قيمة ما يدفعه زهاء ما اقترحت للترجمة . والله الموفق ويده ملكوت كل شيء

مصاب الهند والعالم الاسلامي

بالشيخ شبلي النعماني

نعم الينابر يد الهند اشهر علماءها وأبعدهم شهرة وصيتا صدقنا الشيخ شبلي النعماني الملقب بشمس العلماء ، صاحب المصنفات النافعة واليد البيضاء في الاصلاح ، ختم الله تعالى حياته السعيدة في خاتمة العام الماضي (٢٨ ذي الحجة) وله من العمر ٥٨ سنة ، على ما يؤخذ من ترجمته في بعض الجرائد ، فان صبح هذا فقد مات في مثل سن الاستاذ الامام التي مات فيها ، الا انه كان لنحافة بدنه وشيبته يظن انه من أبناء السبعين ، ولم يكن يظهر على الاستاذ الامام مثل هذا الكبر وان عاجله الشيب في سن الشباب ، ولعل رائيه كان يظن انه لم يتجاوز الخمسين ، على ان كلا من الشيخين اللذين تساوي في العمر مات وهو شاب في علو الهمة وقوة العزيمة والنشاط في السعي الى الاصلاح .

كان الشيخ شبلي عالما مستقلا لا عالما رسميا مقفدا ، وكان كأكثر العلماء المستقلين ، والحكماء المصلحين ، استاذ نفسه ، وتلميذ همته ، تلقى قليلا عن الاساتذة ولكنه بجده واجتهاده صار أشهر نوابغ علماء الهند في هذا العصر . نعم ان فيهم من يعدون أوسع منه علما واطلاعا في علوم الحديث والفقه والأصول ، ولكن قلما يوجد من

يتأمله أو يقاربه في القدرة على تقع الناس بتعليم هذه العلوم أو التأليف فيها . ولا نعرف له ثم ضربا في اتقان اللغة العربية وطول الباع وحسن الذوق في فهم منتورها ومنظومها والقدرة على الكتابة في الموضوعات المختلفة فيها . فأكثر علماء الهند وغيرهم من الاعاجم المتأخرين لا يقدرّون على الكتابة العربية الفصيحة الا قليلا . وانما قصارى ما يأتي منهم ان يكتبوا شرحا أو حاشية لبعض الكتب المشهورة أو يؤلفوا رسالة أو كتابا جديدا في بعض العلوم التي يكثرّون مدارسها كالفقه والاصول والمنطق والحديث ، بحيث يكون جل ما يكتبونه منقولاً بنصه من الكتب المؤلفة في ذلك . ومن تجاوز ذلك منهم الى منظوم أو منشور كثر غلطه وتكلفه وجاء بالعث الذي لا يكاد يفهم . وأما الشيخ شبلي فقد كان من نوادر المجيدين منهم : كان قادرا على الكتابة العربية السليمة من كثرة المعجمة في العلوم والفنون والادب والتاريخ ، كما يعلم من تقدمه تاريخ التمدن الاسلامي وغيره

كان رحمه الله تعالى أمة وسطا بين أولى التفریط الجامدين على التقاليد القديمة ، وبين أهل الافراط من المفتونين بالتقاليد الحديثة ، اذ كان صاحب مشاركة صالحة في العلوم الاسلامية تمكنه من التدريس والتأليف فيها بطريقة استقلالية اذا شاء ، وصاحب مشاركة في العلوم الكونية من رياضية وطبيعية واجتماعية عرف بها حال هذا العصر وما يحتاج اليه المسلمون فيه ، وقد اتقن علم التاريخ اتقانا لعله لا يوجد في العالم الاسلامي كله من يساويه فيه الان . وقد دخل في أعمال الحكومة ثم تركها ، واشتغل بالتعليم في مدرسة العلوم الكية في عليكده على عهد مؤسسها السيد احمد خان الشهير وكان من أصدقائه ، واشتغل بأمر الجمعيات العلمية ، وساح في الممالك والاقطار ، فكان بعلومه وأعماله ، وسعة تجاربه واختباره ، وبما أوتيته قبل ذلك من ذكاء الذهن وعلو الهمة ومضاء العزيمة ، جديرا بأن يكون من زعماء الاصلاح . وأن يقوم في وجهه من الخصوم من ينزهه بلقب الافساد ، ويرميه بالكفر والاحاد . كما هي سنة الله تعالى في العباد . وسيعرف أهل وطنه من قيمته بعد وفاته ، ما لم يعرفوه له أو يعترفوا به في حال حياته . وسندكر في الجزء الثاني ما وصل اليه من ترجمته وما يعن لنا من البحث فيها والاعتبار بها ، رحمه الله تعالى واحسن عزاء البلاد الهندية والامة الاسلامية عنه

الملك

١٣١٥

يقول الحكيم من يشاء ومن يؤمن الحكمة فقد
توفي خيرا كامرا وما بدكر إلا أولو الأبرار

فبشر عبادي الذين استمعوا القول فياتبعون أحسنه
أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الأبرار

قال عليه الصلاة والسلام : في الإسلام سموي وه منراه كنار الطريق

مصر ٣٠ ربيع الآخر ١٣٣٣ ٢٥ الحوت (٣ ش) ١٢٩٣ هـ ١٦ مارس ١٩١٥

كلام الصوفية في الوقت

من الجزء الثالث من كتاب مدارج السالكين . قال :

ومنها الوقت . قال صاحب المنازل (باب الوقت)

﴿ قال الله تعالى (ثم جئت على قدر يا موسى) الوقت اسم لظرف السكون ، وهو اسم في هذا الباب لثلاثة معان على ثلاث درجات ^(١) : المعنى الاول ^(٢) حين وجد ^(٣) صادق لا يناس ضياء فضل جذبه صفاء رجاء ، أو ^(٤) لعصبة جذبها صديق خوف ، أو تلهب شوق جذبه اشتعال محبة ﴾ وجه استشهاده بالآية ان الله سبحانه قدر مجي موسى أحوج ما كان الوقت اليه ، فان العرب تقول : جاء فلان على قدر . اذا جاء وقت الحاجة اليه ، قال جرير :

نال الخلافة اذ كانت على قدر كما أتى ربه موسى على قدر

وقال مجاهد : على موعد . وهذا فيه نظر لأنه لم يسبق بين الله سبحانه وبين موسى موعد للمجي حتى يقال انه أتى على ذلك الموعد ، ولكن وجه هذا ان المعنى جئت على الموعد الذي وعدناه أن ننجزه ، والقدر الذي قدرناه أن يكون في وقته . وهذا كقوله تعالى (ان الذين أوتوا العلم من قبله اذا يتلى عليهم يخرون للاذقان سجدا ، ويقولون : سبحان ربنا ان كان وعد ربنا لمفعولا) لان الله سبحانه وتعالى وعد بارسال نبي في آخر الزمان يملأ الأرض نورا وهدى ، فلما سمعوا القرآن علموا ان الله أنجز ذلك الوعد الذي وعد به . واستشهاده بهذه الآية يدل على محله من العلم ، لأن الشيء إذا وقع في وقته الذي هو أليق الاوقات بوقوعه فيه كان أحسن وأنفع وأجدر ، كما إذا وقع الغيث في أحوج الأوقات اليه ، وكما إذا وقع الفرج في وقته الذي يليق به

(١) قال في المتن « وهو على ثلاث درجات » (٢) وقال فيه : الدرجة الاولى

(٣) وفيه « وجد وجه » الخ (٤) سقطت هذه الجملة من نسخة المتن

ومن تأمل أقدار الرب تعالى وجريانها في الخلق علم انها واقعة في أليق الاوقات بها ، فبعث الله سبحانه موسى أحوج ما كان الناس الى بعثته ، وبعث عيسى كذلك ، وبعث محمدا صلى الله (عليه و) عليهم أجمعين أحوج ما كان أهل الارض الى ارساله ، فهكذا وقت العبد مع الله بعمره بانفع الاشياء له أحوج ما كان الى عمارته

قوله « الوقت ظرف الكون » الوقت عبارة عن مقارنة حادث لحادث عند المتكلمين ، فهو نسبة بين حادثين ، فقوله ظرف الكون أي وعاء التكوين فهو الوعاء الزماني الذي يقع فيه التكوين ، كما ان ظرف المكان هو الوعاء المكاني الذي يحصل فيه الجسم ، ولكن الوقت في اصطلاح القوم أخص من ذلك ، قال أبو علي الدقاق : الوقت ما أنت فيه ، فان كنت في الدنيا فوقتك الدنيا وان كنت بالعقب فوقتك العقب ، وان كنت بالسرور ، فوقتك سرور وان كنت بالحزن فوقتك الحزن . يريد أن الوقت ما كان الغالب على الانسان من حاله ، وقد يريد أن الوقت ما بين الزمانين الماضي والمستقبل ، وهو اصطلاح أكثر الطائفة ، ولهذا يقولون : الصوفي والفقير ابن وقته . يريدون أن همته لاتعدى وظيفة عمارته بما هو أولى الاشياء به وأنفعها له ، فهو قائم بما هو مطالب به في الحين والساعة الراهنة ، فهو لا يهتم بماضي وقته وآتيه ، بل بوقته الذي هو فيه ، فان الاشتغال بالوقت الماضي والمستقبل يضيع الحاضر ، وكلما حضر وقت اشتغل عنه بالطرفين فتصير أوقاته كلها فوات .

قال الشافعي رضي الله عنه : صحبت الصوفية فما انتفعت منهم الا بكلمتين : سمعتم يقولون الوقت سيف فان قطعته والا قطعك ، ونفسك ان لم تشغلها بالحق والا شغلتك بالباطل

قلت : يالهما كلمتين ما أنفعهما وأجمعهما وأدلهما على علو همة قائليهما ويقظتهما ! ويكفي هذا ثناء من الشافعي على طائفة هذا قدر كلماتهم

وقد يريدون بالوقت ما هو أخص من هذا كله ، وهو ما يصادفهم في تعريف الحق لهم دون ما يختارونه لأنفسهم . ويقولون : فلان يحكم الوقت . أي مستسلم

لما يأتي من عند الله من غير اختيار ، وهذا يحسن في حال ويحرم في حال وينقض صاحبه في حال ، فيحسن في كل موضع ليس الله على العبد فيه أمر ولا نهى ، بل في موضع جريان الحكم السكوني الذي لا يتعلق به أمر ولا نهى كالقفر والمرض والغربة والجوع واللام وآخر وانبرد ونحو ذلك ، ويحرم في الحال التي يجري عليه فيها الأمر والنهي والقيام بحقوق الشرع ، فإن التضييع لذلك والاستسلام والاسترسال مع تقدر السلاخ من الدين بالكفاية ، وينقص صاحبه في حال تقتضي قياما بالتواقل وأنواع الخير والطاعة ، وإذا أراد الله بالعبد خيرا أعانه بالوقت وجعل وقته مساعداً له ، وإذا أراد به شرا جعل وقته عليه ونا كده وقته فكلما أراد التأهب للمسير لم يساعده ^(١) الوقت ، والاول كلما همت نفسه بالتعود أقامه الوقت وساعده وقد قسم بعضهم الصوفية أربعة أقسام : أصحاب السوابق ، وأصحاب العواقب ، وأصحاب الوقت ، وأصحاب الحق ، قال :

(فما أصحاب السوابق) فتلو بهم أبدا فيما سبق لهم من الله ، لعلمهم ان الحكم الازلي لا يتغير باكتساب العبد ، ويقولون : من أقصته السوابق لم تدنه الوسائل . ففكرهم في هذا أبدا ، ومع ذلك فهم يجدون في القيام بالأوامر واجتناب النواهي والتقرب إلى الله بأنواع القرب غير واثقين بها ولا ملتفتين اليها ، يقول قائلهم :

من ابن أرضيك لا أن توفقي هيهات هيهات ما التوفيق من قبلي
ان لم يكن لي في المقدور سابقة فليس ينفع ما قدمت من عملي
وأما (أصحاب العواقب) فهم متنكرون فيما يختم به أمرهم ، فان الامور بأواخرها والاعمال بنحواتها . والعاقبة مستورة كما قيل :

لا يغرنك صفا الاوقات فان تحتها ^(٢) غوامض الآفات
فكم من ربيع نورت أشجاره ، وظهرت أزهاره ، وزهت ثماره ، لم يلبث ان

(١) منط من قوله « وإذا أراد به شرا » الى هنا - فنقلناه من ب

(٢) لعل الاصل « فحتها » فيه يستقيم الوزن ، أو ان كلمة صفاء ممدودة ور بما كانت العبارة سجدة ولكنها كتبت في ب كما يكتب الشعر

أصابته جائحة سماوية فصار كما قال الله عز وجل (حتى اذا أخذت الأرض زخرفها وأزانت وطن أهلها انهم قد درون عليها - الى قوله يتفكرون) فكم من ريد كبابه جواد عزمه [فخر صريه للبين والفهم] وقيل لبعضهم وقد شوهده منه خلاف ما كان يعهد عليه : ما الذي أصابك : فقال حجاب وقه ، وأنشد

أحسنت ظنك بالايام اذ حسنت ولم تخف سوء ما يأتي به القدر

وسالمتك الليالي فاعتررت بها وعند صفو الليالي يحدث الكدر

ليس العجب ممن هلك كيف هلك إنما العجب ممن نجا كيف نجا
[تفجيين من سقمي صحي هي العجب] التا كصون على أعقابهم
أضعاف أضعاف من اقتحم العقبة :

خذ من الالف واحدا واطرح الكل بعده

وأما (أصحاب الوقت) فلم يشغلوا^(١) في السوايق ولا في المواقب بل اشتغلوا
بمراعاة الوقت وما يلزمهم من أحكامه ، وقالوا : العارف ابن وقته^(٢) لا ماضي له ولا
مستقبل ، ورأى بعضهم الصديق رضي الله عنه في منامه فقال أوصني ، فقال له :
كن ابن وقتك

وأما (أصحاب الحق) فهم مع صاحب نوم و زمان ومالكهما ومديرهما ،
مأخوذون بشهوده عن مشاهدة الأوقات ، ولا يتفرغون لمراعاة وقت و زمان
كما قيل :

لست أدري أطل ليلى أم لا كيف يدري بذكر من يتقلى

لو تفرغت لاستطالة ليلى وزعي النجوم كنت محلى

ان العاشقين عن قصر الليل وعن نوله من الله لم يعلموا

قال الجنيد : دخلت على السري يوم فقلت له : كيف أصبح ؟ فقال يقول :

ما في النهار ولا في الليل لي فرج ولا لي ليلى

ثم قال : ليس عند ربكم ليل ولا نهار يشير لي انه غير منظم لي الأوقات ،

بل هو مع الذي يقدر الليل والنهار

(١) قال في ب بالفكر في السوايق ٢ وفيها : « المتفرغ لا يصح له الخ

فصل

قال صاحب المنازل « الوقت اسم في هذا الباب ثلاث معان : المعنى الاول حين وجد صادق » أي وقت وجد صادق . أي زمن من وجد يقوم بقلبه وهو صادق فيه غير متكلف له ولا متعمل في تحصيله « يكون متعلقه ايناس ضياء فضل » أي رؤية ذلك ، ولا يناس الرؤية قال الله تعالى (فلما قضى موسى الأجل وسار بأهله آنس من جانب الطور نارا) قال لأهله امكثوا اني آنست نارا) وليس هو مجرد الرؤية ، بل رؤية ما يأنس به القلب ويسكن اليه ، ولا يقال لمن رأى عدوه أو مخوفا « آنسه » ومقصوده ان هذا الوقت وقت وجد صاحبه صادق فيه لرؤية ضياء فضل الله ومنه عليه ، والفضل هو العطاء الذي لا يستحقه المعطى أو يعطى فوق استحقاقه ، فاذا آنس هذا الفضل وطالعه بقلبه أثار ذلك ^(١) فيه وجدا آخر باعثا على محبة صاحب الفضل والشوق الى لقائه ، فان النفوس مجبولة على حب من أحسن اليها . ودخلت يوما على بعض أصحابنا وقد حصل له وجد أبكاه فسأته عنه فقال : ذكرت ما من الله به على من السنة ومعرفتها والتخلص من شبه القوم وقواعدهم الباطلة وموافقة العقل الصريح والفطرة السليمة لما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم فسرتني ذلك حتى أبكاني . فهذا الوجد أثاره ايناس فضل الله ومنه

قوله « جذبه صفاء رجاء » أي جذب ^(٢) ذلك الوجد أو الايناس أو الفضل رجاء صاف غير مكدر ، والرجاء الصافي هو الذي لا كدر يشوبه ^(٣) بوجه معاوضة منك ، وإن عمالك هو الذي بعثك على الرجاء ، فصفاء الرجاء يخرج ^(٤) من ذلك بل يكون رجاء محضا لمن هو مبتدئ بالنعم من غير استحقاق ، والفضل كله له ومنه . وفي يده أسبابه وغاياته ووسائله وشروطه وصرف موانعه . كل بيد الله لا يستطيع العبد أن ينال منه شيئا بدون توقيقه واذنه ومشيدته

(١) في ب « بذلك » ٢ وفيها « جذبه » (٣) كانت العبارة عندنا ناقصة

فصححت على ب (٤) في ب « بخلصه »

ويلخص ذلك ان الوقت في هذه الدرجة الاولى عبارة عن وجد صادق سببه رؤية فضل الله على عبده ، لان رجاءه كان صافيا من الا كدار قوله « أولعصمة جذبها صدق خوف » اللام في قوله أولعصمة معطوف على اللام في قوله أولايئناس ضياء فضل ، أي وجد لعصمة جذبها صدق خوف ، فاللام ليست للتعليل بل هي على حدها في قولك : ذوق لكذا ، ورؤية لكذا . فتعلق الوجد بعصمة ، وهي منعة وحفظ ظاهر وباطن جذبها صدق خوف من الرب سبحانه ، والفرق بين الوجد في هذه الدرجة والتي قبلها ان الوجد في الاولى جذب صدق الرجاء وفي الثانية جذب صدق الخوف ، وفي الثالثة التي تذكر جذب صدق الحب ، فهو معنى قوله « أولتهب شوق جذبته اشتعال محبة » وخدمته التورية في الالهيب والاشتعال ، والمحبة متى قويت اشتعلت نارها في القلب فحدث عنها طيب الاشتياق الى لقاء الحبيب ، وهذه الثلاثة التي تضمنتها هذه الدرجة وهي الحب والخوف والرجاء هي التي تبعث على عمارة الوقت بما هو الاولى له ، والافعال ، وهي أساس السلوك والسير الى الله ، وقد جمع الله سبحانه الثلاثة في قوله (أولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة - أيهم أقرب ، ويرحون الله ، ويخافون عذابه ، ان عذاب ربك كان محذورا) وهذه الثلاثة هي قطب رحى العبودية وعليها دارت رحى الاسمال والله أعلم

مكمل

قال (والمعنى الثاني ^(١) اسم الطريق سالك من الممكن وتلون ، لكنه الى التمكن ما هو يسلك الحال ، ويقتضي الى العلم به على ما ^(٢) في حين ، والحال بحمله في حين ، فبالاثر بينهما تربية شهود ^(٣) ، ويكتمه فترة طور ، ويديه فترة تفرق طور ^(٤) هذا المعنى هو الذي من الله في الدرس من معاني الوقت عنده ، قوله « اسم الطريق سالك » هو على لاشافقة أي الطريق عباده سالك ، قوله

(١) في المتن « الدرجة الثانية » (٢) في ب « يستعمله »

« يسير بين تمكن وتلون » أي ذلك العبد يسير بين تمكن وتلون ، والتمكن هو الانقياد الى أحكام العبودية بالشهود والحال ، والتلون في هذا الموضع خاصة هو الانقياد الى أحكام العبودية بالعلم . فالحال يجمعه بقوته ورساطانه فيعطيه تمكيناً ، والعلم يلونه بحسب متعلقاته وأحكامه ؛ قوله « لكنه الى التمكن ما هو يسلك الحال ويلتفت الى العلم » يعني ان هذا العبد هو سالك الى التمكن مادام يسلك الحال ، ويلتفت الى العلم ^(١) فاما إن سلك العلم والتفت الى الحال لم يكن سالكاً الى التمكن ، فالسالكون ضربان : سالكون على الحال ملتفتون الى العلم وهم الى التمكن أقرب ، وسالكون على العلم ملتفتون الى الحال وهم الى التلون أقرب . هذا حاصل كلامه وهذه الثلاثة هي المفرقة بين أهل العلم وأهل الحال حتى كأنهم غيران وحرمان ، وكل فرقة منهما لاتأنس بالأخرى ولاتعاشرها إلا على النواض ونوع استكراه ، وهذا من تقصير الفريقين حيث ضعف أحدهما عن السير في العلم وضعف الآخر عن الحال في العلم . فلم يتمكن كل منهما من الجمع بين الحال والعلم ، فأخذ هؤلاء العلم وسعته ونوره ورجحوه ، وأخذ هؤلاء الحال ورساطانه وتمكينه ورجحوه ، وصار الصادق الضعيف من الفريقين يسير باحدهما ملتفتاً الى الآخر ، فهذا مطيع الحال ^(٢) وهذا مطيع العلم ، لكن المطيع للحال متى عصى به العلم كان منطواً محجوباً وان كان له من الحال ما عساه أن يكون ، والمطيع للعلم متى أعرض به عن الحال كان مصيباً منقوصاً مشتتاً بالوسيلة عن الغاية ، وصاحب التمكن يتصرف بعلمه في حاله ويحكم عليه فينقاد لحكمه ، ويتصرف بحاله في علمه فلا يدرك يقيناً معه ، بل يدعو الى غاية العلم فيجيبه ويلبي دعونه ، فهذه حال كل من هذه الامة ومن استقرأ أحوال الصحابة وجددها كذلك . في فرق المتأخرون بين الحال والعلم دخل عليهم النقص والحال والله المستعان (١) لمن يشاء أن يتأنيب من يشاء الذكور . أو يزوجهم ذكراً وإناً ونجعل من يشاء عقيم الله عليم غيب) فكذلك يهب لمن يشاء علماً ومن يشاء حالاً ، ويجمع بينهما لمن يشاء ، يخلي من

(١) سقطت هذه الجملة من ن فائيتها من ب

(٢) في ن « الى الحال » وهو غلط

يشاء منهما

قوله « فالعلم يشغله في حين » أي يشغله عن السلوك الى تمكن الحال ، لان العلم متنوع العلاقات فهو يفرق ، والحال يجمع ، فانه يدعو الى الفناء وهناك سلطان الحال ؛ قوله « والحال يحمله في حين » أي يغلب عليه احوال تارة فيصير محمولا بقوة احوال وسلطانته على السلوك فيشتد ^(١) سيره بحكم احوال ، يعني واذا غلبه العلم شغله عن السلوك ، وهذا هو المعبود من طريقة المتأخرين [ان العلم يشغل عن السلوك] ولهذا يعدون السالك من سلك على الحال ملتفتا الى العلم ، وأما على ماقررناه من أن العلم يعين على السلوك ويحمل عليه ويكون صاحبه سالكا به وفيه فلا يشغله العلم عن سلوكه وان أضعف سيره على درب الفناء ، فلا ريب ان العلم لا يجمع الفناء ، فالفناء ليس هو غاية السالكين الى الله بل ولا هو لازم من لوازم الطريق وان كان عارضا من عوارضها يعرض لغير السالك — كما تقدم تقرير ذلك — فيينا ان الفناء الكامل الذي هو الغاية المطلوبة للفناء عن محبة ماسوى لله و ارادته فيبقى بمحبة الله عن محبة ماسواه ، وبارادته ورجائه والخوف منه والتوكل عليه والالتابة اليه عن ارادة ماسواه وخوفه ورجائه والتوكل عليه ، وهذا الفناء لا ينافي العلم بحال ، ولا يشغل عن العلم ولا يحول بين العبد وبينه ، بل قد يكون في أغلب الاحوال من أعظم أعوانه ، وهذا أمر غفل عنه أكثر المتأخرين بحيث لم يعرفوه ولم يسلكوه ، ولكن لم يخجل الله الارض من قائم به داع اليه

قوله « فبلاؤه بينهما » أي عذابه وألمه بين داعي الحال وداعي العلم ، فإيمانه يحمله على اجابة داعي العلم ، ووارده يحمله على اجابة داعي الحال ، فيصير كالغريم بين مطالبين ، كل منهما يطالبه بحقه وليس بيده الا ما يقضي أحدهما ، وقد عرفت ان هذا من الضيق والافح السعة يوفي كلا منهما حقه .

قوله « يذيقه شهوداً طوراً » أي ذلك البلاء الحاصل بين الداعيين يذيقه شهوده طوراً ، وهو الطور الذي يكون الحاكم عليه فيه هو العلم

قوله « ويكسوه عبرة طوراً » الظاهر انه عبرة بالبلاء الموحدة والعين ، أي اعتبارا

بأفعاله واستدللاً عليه بها ، فإنه سبحانه دل على نفسه بأفعاله ، فاعلم يكسو صاحبه اعتباراً واستدللاً على الرب بأفعاله

ويصح أن يكون غيرة بالغين المعجمة ^(١) والياء المشاة من تحت ومعناه ان العلم يكسوه غيرة ^(٢) من حجابيه عن مقام صاحب السال ، فيعار من ^(٣) احتجابه عن السال بالعلم وعن العيان بالاستدلال وعن الشهود الذي هو مقام الاحسان بالايان الذي هو ايمان بالغيب

قوله « ويريه غيرة تفرق طوراً » هذا بالغين المعجمة ليس الا ، أي ويريه العلم غيرة تفرق في أوديته فيفرق بين أحكام السال وأحكام العلم وهو حال صحو وتميز . وكان الشيخ رحمه الله يشير الى ان صاحب هذا المقام يغار تفرقه ^(٤) من جمعيته على الله . فنفسه تفر من الجمعية على الله الى تفرق العلم ، فإنه لا أشق على النفوس من جمعيتها على الله ، فهي تهرب من الله الى الخال تارة وتلى العمل تارة والى العلم تارة ، هذه نفوس السالكين الصادقين ، وأما من ليس من أهل هذا الشأن فنفسهم تفر من الله الى الشهوات والراحات ، فأشق ما على النفوس جمعيتها على الله وهي تناشد صاحبها أن لا يوصلها اليه وان يشغلها بما دونه ، فان حبس النفس على الله شديد وأشد منه حبسها على أوامره وحبسها عن زواهيها ، فهي دائماً ترضيك بالعلم عن العمل وبالعمل عن الخال وبالخال عن الله سبحانه وتعالى ، وهذا أمر لا يعرفه الا من شد مئزر سيره الى الله وعلم ان كل ما سواه فهو قاطع عنه

وقد تضمن كلامه في هذه الدرجة ثلاث درجات - كما أشار اليه - : درجة الخال ، ودرجة العلم ، ودرجة التفرقة بين الخال والعلم ، وهذه الثلاث درجات ^(٥) هي المختصة بالمعنى الثاني من معاني الوقت والله أعلم

(١) في ب زيادة « بالغين المعجمة » (٢) وفيها « غيرة » (٣) وفيها « فيعار »
حما احتجابه « الخ (٤) وفيها « تفرقه » (٥) كان الظاهر أن يقال : الثلاث
الدرجات

فصل

قال في المعنى الثالث ^(١) قالوا : الوقت الحق . أرادوا به استغراق رسم الوقت في وجود الحق ، وهذا المعنى يسبق على هذا الاسم عندي لكنه اسم ^(٢) في هذا المعنى الثالث حين تتلشى فيه الرسوم كشفا لا وجودا محضا . وهو فوق البرق والوجد ، وهو يفارق ^(٣) مقام الجمع او دام وبقي ، ولا يبلغ وادي الوجود لكنه يلقي ^(٤) مؤنة المعاملة ، ويصفي عين المسامرة ، ويشم روائح الوجود . هذا المعنى الثالث من معاني الوقت أخص مما قبله وأصعب تصورا وحصولا ، فان الاول وقت سلوك يتلون ، وهذا وقت كشف يتمكن ، ولذلك أطلقوا عليه اسم الحق لغلبة حكمه على قلب صاحبه ، فلا يحس برسم الوقت بل يتلشى ذكر وقته من قلبه لما قهره من نور الكشف

ف قوله « قالوا الوقت هو الحق » يعني ان بعضهم أطلق اسم الحق على الوقت ، ثم فسر مرادهم بذلك وانهم عنوا به استغراق رسم الوقت في وجود الحق ، ومعنى هذا ان السالك بهذا المعنى الثالث اذا شهد استغراق وقته في وجود الحق يتلشى عنه وقته بالكلية ، وتقريب هذا الى الفهم انه اذا شهد استغراق وقته الحاضر في ماهية الزمان فقد استغرق الزمان رسم الوقت الى ما هو جزء يسير جدا من أجزائه ، وانعمر فيه كما تنعمر القطرة في البحر ، ثم ان الزمان المحدود الطرفين يستغرق رسمه في وجود الدهر وهو ما بين الأزل والابد ، ثم ان الدهر يستغرق رسمه في دوام الرب جل جلاله ، وذلك الدوام هو صفة الرب ، فهناك يضمحل الدهر والزمان والوقت ولا يبقى له نسبة الى دوام الرب جل جلاله البتة ، فاضمحل الزمان والدهر والوقت في الدوام الإلهي كما تضمحل الانوار المخلوقة في نوره ، وكما يضمحل علم الخلق في علمه وقدرهم في قدرته وجمالهم في جماله وكلامهم في كلامه ^(٥) بحيث لا يبقى للمخلوق

(١) وفي المتن « الدرجة الثالثة » (٢) وفيه « لكنه هو اسم » (٣) وفيه وفي ب وفيه « يشارف » وهو الصواب (٤) وفيها وفيه « يكفي » (٥) لعل الاصل : وكلامهم في كماله

نسبة ما الى صفات الرب جل جلاله

والقوم اذا أطلق أهل الاستقامة منهم [ما في الوجود الا الله] أو [ما ثم موجود على الحقيقة الا الله] أو [هناك يفنى من لم يكن ويبقى من لم يزل] ونحو ذلك من العبارات ، فهذا مرادهم لاسيما إذا حصل هذا الاستغراق في الشهود كما هو في الوجود ، وغلب سلطانه على سلطان العلم ، وكان العلم ^(١) مغمورا بوارده ، وفي قوة التمييز ضعف وقد توارى العلم بالشهود وحكم الخيال ، فهناك يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت ، وتزل أقدام كثيرة الى الخفيض الأدنى ، ولا ريب ان وجود الحق سبحانه ودوامه يستغرق وجود كل ماسواه ووقته وزمانه ، بحيث يصير كأنه لا وجود له ، ومن هنا غلط القائلون بوحدة الوجود وظنوا انه ليس لغيره وجود البتة ، وغرم كلمات مشتبهات جرت على السنة أهل الاستقامة من الطائفة فجعلوها عمدة لكفرهم وضلالهم ، وظنوا أن السالكين سيرجمون اليهم وتصير طريقة الناس واحدة (ويأتي الله الا أن يتم نوره ولو كره الكافرون)

قوله « وهذا المعنى يسبق على هذا الاسم عندي » يريد ان الحق سابق ^(٢) على الاسم ^(٣) الذي هو الوقت ، أي هو منزعه عن أن يسمى بالوقت فلا ينبغي إطلاقه عليه ، لأن الأوقات حادثة

قوله « لكنه اسم في هذا المعنى الثالث » حين تتلشى فيه الرسوم كشفا لا وجودا محضاً ، تتلشى الرسوم اضمحلالها وفنائها ، والرسوم عندهم ماسوى الله ، وقد صرح الشيخ أنها إنما تتلشى في الكشف لافي الوجود العيني الخارجي ، فان تلاشيها في الوجود خلاف الحس والعيان ، وإنما تتلشى في وجود العبد الكشفي بحيث لا يبقى فيه سمة الاحساس بها لما استفرقه من الكشف ، فهذه عقيدة أهل الاستقامة من القوم

وأما الملاحدة أهل وحدة الوجود فبندهم أنها لم تزل متلاشية في عين وجود الحق ، بل وجودها هو نفس وجوده ، وإنما كان الحس يفرق بين الوجودين فلما

(١) في ب « وكان القلب » (٢) وفيها « سبحانه » بدل « سابق » وهو غلط

(٣) وفيها « هذا اسم » الخ

غاب عن حسه بكشفه تبين ان وجودها هو عين وجود الحق ، ولكن الشيخ كانه غير بالكشف والوجود عن المقامين اللذين ذكرهما في كتابه ، والكشف هو دون الوجود عنده ، فان الكشف يكون مع بقاء بعض رسوم صاحبه فليس معه استغراق في الفناء ، والوجود لا يكون معه رسم باق ، ولذلك قال « لاوجودا محضا » فان الوجود المحض عنده يفتي الرسوم ، وبكل حال فهو يفهمها ^(١) من وجود الواحد لا يفهمها في الخارج

وسر المسئلة ان الواصل الى هذا المقام يصير له وجود آخر غير وجوده الطبيعي المشترك بين الموجودات ، ويصير له نشأة أخرى لقلبه وروحه نسبة النشأة الحيوانية اليها كنسبة النشأة في بطن الام الى هذه النشأة المشاهدة في العالم ، وكنسبة هذه النشأة الى النشأة الأخرى

فالعبء أربع نشآت : نشأة في الرحم حيث لا بصير يدركه ولا يد تناله ، ونشأة في الدنيا ، ونشأة في البرزخ ، ونشأة في المعاد الثاني ، ^(٢) وكل نشأة أعظم من التي قبلها ، وهذه النشأة للروح والقلب أصلا ، وللبدن تبعاً ، فالروح في هذا العالم نشأتان (احدهما) النشأة الطبيعية لمشاركة (والثانية) نشأة قلبية روحانية يولد لها قلبه ويتفصل من مشيمة طبعه ، كما ولد بدنه وانفصل من مشيمة البطن ، ومن لم يصدق بهذا فليضرب عن هذا صفحا وليشتغل بغيره . وفي كتاب الزهد للامام أحمد ان المسيح عليه السلام قال للحواريين : إنكم لن تلجوا ملكوت السماء حتي تولدوا مرتين . وسمعت شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله يقول : هي ولادة الارواح والقلوب من الابدان وخروجها من عالم الطبيعة كما ولدت الابدان من البدن وخرجت منه ، والولادة الأخرى هي الولادة المعروفة والله أعلم

قوله « وهو فوق البرق والوجد » يعني ان هذا الكشف الذي تلاشت فيه الرسوم فوق منزاتي البرق والوجد ، فانه أثبت وأدوم ، والوجود فوقه لانه يشعر بالدوام ، قوله « وهو يشارف مقام الجمع لو دام » أي لو دام هذا الوقت لشارف مقام الجمع وهو ذهاب شعور القلب بغير الحق سبحانه وتعالى شغلا به عن غيره فهو

(١) وفيها « ينشئها » وهو غلط (٢) كلمة الثاني من زيادة ب

١٢٠ المسامرة هي المناجاة . استفتاء أدباء العصر في بيت من الشعر [المنار : ج ٢ م ١٨]

جمع في الشهود . وعند الملاحظة هو جمع في الوجود ، ومقصوده انه لو دام الوقت بهذا المعنى الثالث لشارف حضرة الجمع لكنه لا يدوم .

قوله « ولا يبلغ وادي الوجود » يعني ان الوقت المذكور لا يبلغ السالك فيه وادي الوجود حتى يقطعه ، ووادي الوجود هو حضرة الجمع ، قوله « لكنه يلقي مؤنة المعاملة » يعني ان الوقت المذكور وهو الكشف المشارف لحضرة الجمع يخفف عن العامل اثقال المعاملة مع قيامه بها اتم القيام بحيث يصير هي الحاملة ، فانه كان يعمل على الخبر فصار يعمل على العيان ، هذا مراد الشيخ . وعند الملحد انه يعني عن المعاملات الجسدية ، ويرد صاحبه الى المعاملات القلبية ، وقد تقدم اشباع هذا المعنى قوله « ويصفي عن المسامرة » المسامرة عند القوم هي الخطاب القلبي الروحي بين العبد وربه ، وقد تقدم ان تسميتها بالمناجاة أولى ، فهذا الكشف يخص عن المسامرة من ذكر غير الحق سبحانه ومناجاته

قوله « ويشم رائحة الوجود » أي صاحب مقام هذا الوقت الخاص يشم روائح الوجود وهو حضرة الجمع فانهم يسمونها بالجمع والوجود ، ويعنون بذلك ظهور وجود الحق سبحانه وفناء وجود ما سواه . وقد عرفت ان فناء وجود ما سواه باحد اعتبارين : إما فناؤه من شهود العبد فلا يشهده ، وإما اضمحلاله وتلاشيته بالنسبة الى وجود الرب ، ولا تلتفت الى غير هذين المعنيين فهو الحاد وكفروا لله المستعان ؟

استفتاء أدباء العصر في بيت من الشعر

ذهب ذاهب بل كتب كاتب يقول في البيت المشهور الجامع لعميوب الخطيب في أول كتاب البيان والتبيين للجاحظ

جديرٌ بُبْهِرٍ والتفاتٍ وسَعْلَةٍ ومسحةٌ عُشْنُونٍ وقتل الاصابع

: إن ضبط التفات وما عطف عليه بالجر غلط صوابه الرفع فيها كلها على ان « التفات » مبتدأ حذف خبره وما بعده معطوف عليه . فان كان يوجد أحد يميز فهمه وذوقه لغة هذا الضبط فليفضل ببيان ذلك لنا ؟

مَدِينَةُ

دَارُ الدِّعْوَةِ وَالْإِشْقَاتِ

دروس سنن الكائنات

محاضرات علمية طبية إسلامية للدكتور محمد توفيق صدقي

والحق أن الاعصاب كلها تربط أجزاء الجسم بعضها ببعض كما تربط أسلاك
التلغراف بعض الممالك ببعض الآخر

٤

﴿ تذييل لما تقدم ﴾

في الارادة والروح والقوى العقلية

قلنا إن سبب حركة القلب لا يعلمه أحد إلا الله تعالى ، فهي من الخواص
التي وهبها له ، وكذلك وهب مثل هذه الحركة الذاتية للخلايا ذات الاهداب
المبطنة لبعض الاغشية كالشعب الرئوية ، وللخلايا المتحركة ككريات الدم البيضاء
وغيرها ، ولكن هناك فرقا بين حركة هذه وتلك ، فان حركة الكريات لا نظام
لها بخلاف حركة الاهداب فانها في غاية النظام ، وسريعة جدا ، وهي في انتظامها تشبه
انتظام ضربات القلب . فكل هذه الخلايا تتحرك حركة ذاتية لا يعلم لها سبب
مطلقا ، وإن كان للبيئة تأثير فيها يمثل الزيادة أو النقصان ، ولكن نفس الحركة كأنها
بارادة هذه الخلايا الحية . واخلق أنها من أعظم مظاهر إرادتها وحياتها ، وهي عامة
في كل الخلايا ، نباتية كانت أو حيوانية ، ولكنها تكون أظهر في بعضها من البعض
الآخر أو تكون كامنة فيه ، وهي أدل على إرادة بعضها من بعضها

ومعنى كون هذه الحركة بارادة الخلية أنها من عملها الذاتي الذي لا يظهر أن
للبيئة تأثيرا في إيجاده وإنشائه ، فمثلا تشاهد الكريات البيضاء أو بعض الميكروبات
تتحرك في السائل الواحد ثم تسكن ثم تتحرك بدون أي سبب خارجي وأحيانا

تتجه الى جهة ثم تعدل عنها الى غيرها وهكذا ، أي إن عملها يختلف في البيئة الواحدة ، ولا معنى للارادة سوى هذا

وكذلك المخ قد يبدأ العمل ثم يتركه بدون أي سبب خارجي لا في الحال ولا في الماضي بحسب ما نعلم ، بل بمحض الارادة والاختيار ، وإن عارض ذلك كثير من الفسيولوجيين

فالحق أن الارادة وحرية العمل هي أكبر خواص الاحياء وهي أعظم ما يميزها عن الجاد ، وأما زعم بعضهم أن الاعمال كلها ليست إلا أفعالا منعكسة فهو لا يمكن اثباته ، وما هذا الزعم إلا أثر من آثار انفعاليات المادية في نفوسهم

هذا ولما كانت حياة الجسم كله متوقفة على حياة القلب فلا يبعد أن تكون الروح شيئا مستقرا فيه ، ولا يبعد أن تكون من عالم الاثير ، ويموت القلب تنفصل عنه . ولا تقول ان الخلايا الاخرى حية بغير شيء ، كذا ، بل تقول ان حياة القلب أو روحه هي أكبرها وأعظمها ، ولذلك قلنا ان روحه هي روح الانسان لأن عليها مدار حياته ، فهي الروح الرئيسة وغيرها تابع لها

واعلم ان القشرة السنجابية للمخ هي مركز الشعور العام والارادة والتعقل وإن كان لكل الخلايا الحية مثل هذه الصفات إلا أنها فيها في الحالة الاثرية ، كما أن الانتقباض هو من خواص الخلايا الحية كلها ولكنه في خلايا العضلات أظهر منه في غيرها ، وهكذا يقال في سائر الخواص الاخرى للحياة

وهناك علاقة كبرى بين قوة المخ فيما ذكر وبين حجمه ، وإذا قارنا وزنه بوزن الجسم كله وجدنا أن مخ الانسان أكبرها بالنسبة الى جسمه . أما أكبر الانحناخ على الاطلاق فهو مخ النيل واخوت

ثم إنك تجد أن مخ الذكي أثقل من مخ البليد والابله ، ومخ الرجل أثقل من مخ المرأة ، وقل مثل ذلك في الراقي في العلم والادب مع المنحط ، الا ما يستثنى من ذلك وكذلك كثرة التلافيف في القشرة السنجابية وتعمق تعاريجها وعمق الميازيب التي بينها كلها أشياء تختلف باختلاف القوى العقلية فهي تكثر في الانسان وتقل أو تنعدم في الحيوانات التي هي دونه رقا . وعند ولادة الطفل يكاد المخ يكون غفلا منها

ثم تكبر الى زمن سبب وشكوة وبعده تقل تدريجيا حتى تقارب في ارض
العمر شكلي مع الاطفال

وييلي مع الانسان في كثرة التلافيف وتعقدتها مع بعض أنواع التمردة
ففي المخ روح الادراك والشعور وفي القلب روح الحياة ، ولا يبعد أنهما
أجزاء من روح واحدة. وهذه الروح في الاحياء ذات الخلية الواحدة (وتسمى الاولى)
وزعة على جميع أجزائها بالتساوي وكما ارتقمنا في سلم الاحياء وجدنا أنها موزعة على
الجسم بدرجات متفاوتة كما ترى في الانسان والله أعلم (وما أوتيتم من العلم الا قليلا)

المجموع الدوري للدم

ليس الدم في أجسام الحيوانات واقفا بل هو دائر فيها والله في ذلك
حكمتان رئيستان ، عليهما مدار حياة حيوان :

(أولها) توزيع المواد الغذائية وغيرها كالأدوية على جميع أجزاء الجسم
وكذلك توزيع الأوكسجين الذي هو ضروري للاحتراق الداخلي (التفاعل الحيوي)
(ثانيها) حرق جميع المواد المتبقية عن كائنات حيوية الى الألف بعبارة

خراجهم من جسمهم فكل ما يخرج من الجسم من فضلات أو سائل أو صلب أو غازي
أو كسيد فمخرج من الجسم كالجهاز الهضمي

ولأعضاء الخاصة بجهاز التنفس والقلب والشرايين والأوعية الشعرية والأوردة
والتي تلب فوجهم معاً في كل موضع في الجسم

والجهاز الدوري هو الذي يجمع بين الأوعية والشرايين والأوردة
والتي تلب فوجهم معاً في كل موضع في الجسم

والجهاز الدوري هو الذي يجمع بين الأوعية والشرايين والأوردة
والتي تلب فوجهم معاً في كل موضع في الجسم

أما الأذن اليمنى فهي التي تلب فوجهم معاً في كل موضع في الجسم
والجهاز الدوري هو الذي يجمع بين الأوعية والشرايين والأوردة

ومن البطين الايمن يخرج شريان كبير يحمل الدم الى الرئتين
وفي جذر الأذين الأيسر أربع فتحات لأربعة أوردة: اثنان منها آتيان من
الرئة اليمنى، واثنان من الرئة اليسرى

ومن البطين الايسر يخرج شريان عظيم يسمى بالافرنجية Aorta
(أورطي) وبالعربية الأبهري وهو أكبر شريان في الجسم يحمل الدم في فروعه
الى جميع أجزاء الجسم

وبين الأذين الايمن والبطين الايمن فتحة لها صمام (غطاء) يسمح
بمرور الدم من الاولى الى الثانية ولا يسمح بالعكس

وبين الأذين الايسر والبطين الايسر فتحة لها صمام أيضا ولكنها أصغر من
الفتحة المتقدمة ووظيفتها كوظيفة تلك

وكل من الشريان الرئوي والأبهري له ثلاث صمامات تسمح بمرور الدم من
القلب الى الشريان ولا تسمح بالعكس

وأعظم أمراض القلب هي التي ينشأ عنها تلف هذه الفتحات بحيث تضيق
عن المعتاد أو تسمح برجوع الدم الى عكس المجرى الطبيعي

والقلب ينقبض من أعلى الى أسفل فينقبض أولا الأذينان فيندفع الدم منهما
الى البطينين . ثم ينقبض البطينان فيندفع الدم منهما الى الشريان الرئوي من الجهة
اليمنى للقلب ويندفع الدم الى الأبهري من الجهة اليسرى للقلب

وإذا اجتمع الدم الفاسد في الأوردة سار الى الاجوف الأعلى والاجوف
الأسفل وانصب في الأذين الايمن ومنه الى البطين الايمن ومنه الى الشريان
الرئوي فالرئتين لينصلح هناك (بخروج ثاني أكسيد الفحم منه ودخول
أكسجين فيه من الهواء) ثم يعود الدم من الرئتين في الأوردة الأربعة التي تصب
في الأذين الايسر ومن الأذين الايسر يندفع الدم الى البطين الايسر ومنه الى
الأبهري (الأورطي) ومن الأبهري يوزع على جميع أجزاء الجسم كافة فيحمل اليها
دما صالحا . وتنتهي جميع فروع الأبهري بعروق دقيقة جدا يتصل بعضها ببعض كشبكة
وهذه العروق هي المسماة بالشعرية تشبها لها بالشعر وينشأ منها أوردة صغيرة

(وهي العروق التي يتجمع فيها الدم الفاسد بعد مروره على جميع أجزاء الجسم ولونه أسود) وهذه الأوردة الصغيرة يجتمع بعضها ببعض فيتألف منها أوردة أكبر فأكثر حتى تنتهي إلى الأجوف الأعلى والأجوف الأسفل وهما أعظم وردين في الجسم ومن ذلك يعلم أن الشريان هو العرق الخامل للدم الصالح، والوريد هو العرق الخامل للدم الفاسد، وهذه التسمية صحيحة في الجسم كله ماعدا الشريان الرئوي فإنه يحمل دما فاسدا، وماعدا الأوردة الأربعة الرئوية فإنها تحمل دما صالحا، ولذا رأى المشرحون تعريفا آخر أصح، وهو أن الشريان هو كل عرق يحمل الدم الخارج من القلب، والوريد كل عرق يحمل الدم الذاهب إلى القلب بقطع النظر عن صلاحه أو فساده

ومما تقدم يعلم أن الدم في دورته في الجسم كله لا يخرج مطلقا عن العروق (الشرايين والأوعية الشعرية والأوردة) إلا إذا أصابها حادث تمزقت بسببه فيخرج إذا منها وينسكب حولها ويسمى ذلك بالرض أو الكدم ^(١) وهو الزرقه التي تشاهد في الجسم عند ضربه أو اصطدامه بجسم صلب ويستثنى من ذلك موضعان ليس فيهما أوعية شعرية فيسير الدم من الشرايين إلى تجاويف فيهما ومنها إلى الأوردة وهما الذكرو والطحال، وانصباب الدم في هذه التجاويف بكثرة في الذكرو تحدث انتصابه

أما الأشياء الصالحة التي في الدم فتخرج مع مائة الدم من خلال جدار الأوعية الشعرية لتغذية جميع خلايا الجسم وأما الكريات الدموية فهي التي تبقى دائما في داخل العروق إلا في الأحوال الاستثنائية . والمواد الفائية الخارجة من الأوعية الشعرية تفعل ذلك بطريقة الاسموز الذي سبق بيانه في علم الطبيعة

عدد ضربات القلب والنبض

انقباضات قلب الإنسان تبلغ في الدقيقة الواحدة نحو ٧٠ أو ٧٢ مرة في الذكرو،

«١» الرض لغة الدق والكدم العض، وفي اصطلاح أطباء هذا العصر يطلق الأول على النزف تحت الجلد من الأوعية الكبيرة والثاني عليه من الأوعية الصغيرة

وتشوب ٨٠ في المائة ، وهي في الأجنة والأطفال أكثر منها في غيرهم ، وتقل في الشيوخ ، وقد تزيد هذه الانقباضات في كثير من الأحوال كما في الخوف الشديد وفي الحيات وغير ذلك ، وقد تكون هذه الانقباضات أو ضربات قليلة في بعض الأشخاص بدون مرض ، وهي تضعف في بعض الأمراض وخصوصا قبيل الموت . والدورة الدموية تتم في أقل من نصف دقيقة .

وكما انقبض القلب اندفع الدم منه الى الشرايين فيحدث فيها امتلاء فجائيا وهو المسمى بالنقبض وهو الذي يحسه الأطباء فوق الرسغ وغيره لمعرفة حالة ضربات القلب ، والنقبض لا يشعر به عادة في الاوردة لأن قوة الضغط اذا وصلت الى الاوعية الشعرية التي بين الشرايين والاوردة تكون قد قلت حتى لا يشعر الانسان في الاوردة بضغط جديد متكرر كما في الشرايين . وعدد مرات النبض في الشرايين تعادل تماما مرات ضربات القلب وتحدث بعدها مباشرة الا انها في الشرايين البعيدة تتأخر فترة قصيرة جدا عن ضربات القلب

الدم

يوجد في جسم الانسان عادة ٥ ل ٦ من وزن جسمه دماء فيكون القدر الذي في جسمه ٦ كجم للمعدن من ٥ الى ٦ لترات من الدم . وهو سائل أحمر اللون غليظ يتركب من كريات وسكريات من قسمين : الاول كريات ، والثاني ماء الدم وهو المسمى البلازمية (Plasma)

الكريات فهي نوعان : كريات حمراء وهي عبارة عن غشاء رقيق متلي بمادة حمراء لائقة في وسط من السوائل تسمى « الهيموجلوبين » ويختلف شكل هذه الكريات الحمراء باختلاف الحيوانات : ففي ذوات الثدي تكون أقراصا مستديرة مغطاة من الجانبين ولا نواة لها ، ماعدا الجمال فإن كراتها محدبة من الجانبين وهو الفرق الوحيد بينها وبين الحيوانات الاخرى الثديية

أما في الطيور والزواحف والأسماك وذوات الحياتين وهي التي تعيش في الهواء والماء (١) « ١ » تسمى باليونانية وغيرها Amphibia ومعنى Amphi « كلتا » و Bios « حياة » وهي تعيش في البر والبحر

كالضفادع فكرياتها جميعا يضاوية الشكل محدبة من الجانبين ولها نواة. وحجم هذه الكريات كلها يختلف باختلاف الحيوانات . وأعظم منشأ للكريات الحمراء هو العظام الاسفنجية كما سبق وخصوصا عظام الضلوع وهي أهم مصدر لها . وأما الكريات البيضاء فهي خلايا حيوية ولها نواة واحدة أو أكثر وحركة ذاتية بحيث يمكن أن تنتقل من مكان الى مكان بنفسها ، وهي تنشأ من الغدد اللمفاوية ونحوها كالطحال . وأعظم وظيفة لها أنها تقتل الميكروبات وتأكلها فتقتي الدم منها فإذا أصاب جزءا من الجسم عارض أحدث فيه التهابا ودخل فيه بعض الميكروبات أسرععت هذه الكريات البيضاء اليها فالتصقتها وقتلتها فان تغلبت الميكروبات مرض الجسم وان نجحت الكريات في قتلها وقت الجسم من شر هذه الميكروبات، وما يموت منها في أثناء هذا القتال يتجمع في موضع الالتهاب مختلطا بغيره ويسمى بالمدة أو الصديد، فأكثر كريات المدة عبارة عن شهداء هذي الحرب أي كرات بيضاء ميتة أما عدد الكريات الحمراء في الجسم فهو ٥ ملايين كرية في كل ملليمتر مكعب من الدم قريبا، وأما البيضاء فهي من سبعة آلاف الى عشرة . وسيأتي في فصل النفس الكلام على وظيفة الكريات الحمراء

وإذا خرج الدم من المروق تجمد، وتجمده يحصل هكذا :
ينفصل من مائة الدم مادة تسمى الفبرين أو الليقين لأنها كخيوط الليف فتحيط هذه الالياف بالكريات البيضاء والحمراء وتنقبض عليها وتكون الجزء المتجمد الذي يسمى بالعريية العلقية^(١) (Clot) وما بقي من ماء الدم يسمى المصل وفي الدم مواد زلالية وسكر (جلوكوز) وأملاح عديدة ومواد دهنية وماء وغير ذلك، أما مائة الدم اذا خفت بماء أكثر أو قل زلالتها فتسمى الليف .
ومما تقدم يعلم أن الدم في دورته يحمل معه جميع المواد المغذية التي يحتاجها الجسم، وكذلك يأخذ معه من الجسم المواد النافعة التي تخلفت عن الاحتراق الجثامي ليوزعها على الاعضاء المختصة باخراجها من الجسم كالجلد والكليتين . وأهم هذه

« ١ » يسمى أول طور من أطوار الجنين أيضا بالعلقة لانه مركب من عدة خلايا « كريات » ناشئة من انقسام البويضة وتكون قطعة جامدة كعلقة الدم

المواد التالية البولينا وحامض البوليك والكرياتينين وغير ذلك
حكم تحريم شرب الدم في الشرائع الالهية

(أولا) أن الدم عسر الهضم جدا حتى انه اذا انصب جزء منه في المعدة تقاياه الانسان أو يخرج مع البراز بدون هضم على صورة مادة ازجة سوداء والسبب في عسر هضمه هذا هو وجود المادة الحمراء الحديدية التي فيه . وفي أثناء مرور الدم في القناة الهضمية يتحلل ويتعفن وبذلك يضر الجسم أيضا . ومثله عسر هضمه المذكورة هنا مشاهدة كثيرا كلما انصب دم في المعدة بسبب جرح أو غيره
(ثانيا) أن الدم - كما سبق - يحمل كثيرا من المواد المتخلفة عن الجسم وهي فضلات له فلا يصح اعادتها اليه مع أن الطبيعة اقتضت خروجها منه ، نعم قيل أن البولينا نافعة في السل الرئوي ولكن ذلك لم يثبت الى الآن وهي ليست موجودة وحدها بل معها أشياء أخرى ضارة

[ولعله اذا ثبت ان البولينا نافعة يكون ذلك احد أسباب شرب العرب بول الابل وهو يختلف بعض الاختلاف عن بول الحيوانات آكلة اللحم فهذا ربما كان نافعا في بعض الامراض كما ورد في بعض الاخبار النبوية
وأعظم اختلاف بين هذا البول وبين الابول الاخرى أنه هو وغيره من أبوال آكلات النباتات قلوي التأثير مشتمل على كثير من الكربونات وهي لاشك نافعة للمعدة وغيرها ، مدرة للبول]

(ثالثها) انه في كثير من الامراض العفنة المعدية يوجد في الدم ميكروبات ضارة جدا وكذا سمومها القتالة فانها تدور في الدم . فان قيل لم لا يطبخ الدم ويؤكل بعد قتل هذه الميكروبات بالغلي ؟ قلت (١) إن الغلي يجمد جميع المواد الزلالية التي في الدم وبذلك تصير أشد عسرا مما كانت (٢) إن من هذه السموم ما لا يتغير بالغلي تغيرا يجعلها صالحة للجسم (٣) إن بعض الميكروبات اذا تجمدها حولها من المواد الزلالية التي في الدم وقتها من فعل النار لانها موصلة رديئة للحرارة ، وأيضا فان حييات (أي بزور) الميكروبات تقاوم درجة الغليان بضع دقائق فاذا لم تمت نمت في جسم آكل الدم وأمرضته

أما حقن دم الحيوان في وريد الإنسان ففيه أنه قد ينقل المرض إليه، أو يجمد الدم في عروقه، فإن اتقينا هذا وذلك بالطرق العلمية انحلت كريات الدم الحمراء لاختلاف كثافة الدمين ولغير ذلك ونزلت حمرة الدم في البول وذلك ضياع له . ولذلك لا يحقن الأطباء الآن الدم ويحقنون عادة محلول ملح الطعام. على أن حقن الدم خارج عن موضوع التحريم

الأمفا والأوعية اللمفاوية

إذا خرجت مائة الدم من الأوعية إلى أنسجة الجسم عادت إلى الدم ثانية بطريق الأوعية اللمفاوية وهذه الأوعية عبارة عن قنوات دقيقة شعرية منتشرة في جميع أجزاء الجسم وفيها صمامات عديدة فتحمل جميع مائة الدم التي خرجت منه وتعيدها إليه

أما هذه المائة المخففة^(١) والمائة لجميع أجزاء الجسم فهي المسماة (بالمادة اللمفاوية) و«لمفا» كلمة لاتينية معناها الماء

وجميع الأوعية اللمفاوية التي في الذراع الأيمن ونصف الصدر الأيمن وما حوى ونصف الرأس والعنق الأيمن وأعلى سطح الكبد كلها تجتمع وتصب في قناة واحدة تسمى «القناة اللمفاوية اليمنى» وهذه تصب في أحد الأوردة التي في داخل الصدر من أعلى الجانب الأيمن

أما الأوعية اللمفاوية الباقية فتصب في قناة أخرى عظيمة تسمى «القناة الصدرية» وهي أيضا تصب في أحد الأوردة في أعلى الصدر من الجهة اليسرى ويوجد في طريق جميع هذه الأوعية اللمفاوية غدد من مادة مخصوصة تسمى «الغدد اللمفاوية» ووظيفتها تكوين كريات بيضاء للدم وتصفية جميع المادة اللمفاوية المارة بها من كل ما فيها من الميكروبات وغيرها، فإذا أصاب أحد أصابع اليد جرح مثلا فسد بسبب وجود ميكروبات فيه أحسن الإنسان بالتفاح وألم في إبطه،

(١) نظرا لعمرو و المواد الزلالية خلال الأغشية بطريق الاسموز - كما سبق بيانه - كانت هذه المائة مخففة لقلة الزلال فيها لذلك السبب

وذلك ناشئ من كبر حجم هذه الغدد وانفعالها انفعالا شديدا لقتل الميكروبات الواصلة اليها ، فان تقلبت عليها والأتحوّلت الى خراج بسبب موت كثير من السكريات البيضاء التي فيها من عراكها مع الميكروبات كما سبق وهذه المادة اللفافية تندفع نحو القلب بسبب ضغط المواد اللفافية المتجمدة خلفها ، و بسبب حركات العضلات ، وأيضا بسبب انقباض بعض هذه الاوعية اللفافية على ما فيها وغير ذلك . ويمنع رجوع هذه المادة الى الانسجة ما في هذه الاوعية من الصمامات العديدة

ويوجد في بعض الحيوانات التي تحت رتبة الانسان (وهي الواطئة) كالضفادع مثلا قلوب لتحريك هذه المادة اللفافية كقلب الدم الموجود في الانسان وغيره

دم الحيض

ينشأ دم الحيض من تمزق في أوعية الدم الموجودة في الغشاء المخاطي المبطن للرحم في كل شهر قمرى مرة على الغالب ويختلط هذا الدم في أثناء نزوله بمواد مخاطية وأحماض وغير ذلك من مفرزات الرحم وغيره . ولا يعلم سبب هذا التمزق الشهري الى الآن . ومن ذلك يفهم انه ليس دما صافيا تقيأ بل مختلطا بمفرزات الرحم والمبيضين وغيرهما . وتأثيره في ورق عباد الشمس يدل على حموضته وانما حرم الجماع في زمن الحيض للأسباب الآتية : —

(١) إن تهيج أعضاء الانثى بالجماع في هذا الوقت قد يحدث احتقانا فالتهابات وحمية أو مبيضية أو حوضية تضر بصحتها ضرارا بليغا . وربما نشأ عن هذا الالتهاب تلف في المبيضين أو مجاري البیوضة يؤدي الى العقم . وأيضا فان تمرير الانثى للهواء في هذا الوقت يضر بأعضائها الداخلية وقد يحدث فيها التهابا

(٢) إن دخول مواد الحيض في مجرى قضيب الرجل قد يحدث فيه التهابا صديديا في بعض الاحيان ، وهذا الالتهاب يشبه السيلان ، وقد يمتد الى الخصيتين فيؤذيهما وربما نشأ عن ذلك أيضا عقم الرجل

فجملة القول ان الجماع في الحيض قد يحدث عقبا في الذكر والانثى ويؤدي الى

التهاب أعضائهما الذي يفسد محتتهما . وكفى بذلك ضررا . ولذلك تجدد أطباء العالم المتمدن الآن ينهون عن الجماع في ذلك الوقت كما نهى القرآن عنه فإنه لاشك أذى للرجل والاثني

النزف والنزيف

النزف معناه خروج الدم من أوعيته (الشرايين والأوعية الشعرية والأوردة) والنزيف هو الدم المنزوف . والنزف ثلاثة أنواع : —

(١) نزف الى خارج الجسم كأن ينصب الدم على الارض مثلا
و (٢) نزف في تجاويف الجسم كأن ينصب في البطن
و (٣) نزف في داخل الانسجة كأن ينصب تحت الجلد أو في العضلات
وهذا النوع الاخير هو المسمى بالرض أو الكدم كما سبق
وسبب النزف هو تمزق العروق بسبب ما كحادث يقطع العرق أو مرض
يفجره كالدرن أو الزهري أو مرض القلب

أما النزيف الذي يكون خارج الجسم أو في تجويف من تجاويفه فالغالب أنه ينتهي بالموت اذا كان غزيرا بشرط أن لا يعوقه عائق يسد العرق الذي يخرج منه الدم ، ففي هذه الحالة لا يموت الشخص وإنما يصاب بدوار شديد واصفرار . وبعد ذلك تعود اليه صحته شيئا فشيئا كلما تجدد دم بدل الجزء المفقود

وأما النوع الثالث وهو الذي ينسكب في أنسجة الجسم فهذا في الغالب لا يورث ضررا كبيرا لان كمية الدم تكون عادة قليلة بسبب ممانعة أنسجة الجسم للنزيف ، وقد يحدث في مكان الدم خراج

أما في الحالة الاولى والثانية فاذا فقد دم كثير من الجسم اشتد الدوار والاصفرار كما قلنا، ويصاب الانسان بما يسمى في علم الطب بالهبوط (أو الهمود) فيغمى عليه ويضعف نبضه ، ويصاب الجسم بعرق بارد ، وتبرد الاطراف ، وبعد ذلك يموت الشخص ، وقد يتشجع جسده قبل الموت

وأما في النزف داخل الانسجة فيزرق الجلد إذا كان الدم المنسكب قريبا منه ، وبعد بضعة أيام تأخذ هذه الزرقة في التلاشي تدريجيا حتى يعود الجسم كما

كان ، وذلك بأن يمتص الدم المنسكب شيئا فشيئا حتى يعود الى العروق وان كان منحللا الا أنه يترك مرة أخرى في البنية فن عناصره لم تقعد

المعالجة

إذا قطع عرق انكمش بسبب مرونته وانقبض فيه بسبب الالياف العضلية الموجودة في جداره ، فيمتنع بذلك النزف اذا كان العرق المقطوع صغيرا ، أما اذا كان عظيما فلا بد من عمل الانسان لايقاف النزيف والا هلك الشخص ويوجد عدة طرق لايقاف النزيف بعضها موقته وبعضها دائمة

أما الموقته فتتضمن في الضغط على المكان الذي يخرج منه الدم ، أو ربط العضو ربطا شديدا ، مثال ذلك أنا اذا رأينا رجلا طعن بسكين في ذراعه وشاهدنا دما كثيرا ينزف منه وجب علينا في الحال أن نبعث في الجرح عن مكان خروج هذا الدم ونضغط عليه ضغطا شديدا باصابعنا أو يدينا أو نربط الذراع فوق الجرح ولا نترك الضغط أو الربط حتى يحضر الطبيب لايقاف النزيف بالطرق العلمية ، ولا ضرر اذا استمر الضغط بضع ساعات فان العضو لا يموت من الضغط الا اذا امتنع عنه الدم فوق أربع أو ست ساعات

وأما الطرق العلمية لايقاف النزيف فأعظمها ، وأهمها ما يأتي : —

- (١) أن يمسك العرق المفتوح بجفت مخصوص لذلك (أي مقبض) ^(١) ويربط العرق بخيط من حرير أو نحوه مطهرا تطهيرا تاما بالغلي في الماء
- (٢) أن يمسك العرق بالجفت ثم يلوى الجفت عدة مرات حتى ينقطع العرق وبهذه الوسيلة يقف النزيف ما لم يكن الشريان عظيما فيفضل ربطه
- (٣) أن يمسك العرق إن كان صغيرا بالجفت ويترك عليه بضع دقائق ثم يرفع الجفت فيقف أيضا النزيف

- (٤) وما يستعمل في الاوعية الشعرية أو الصغيرة جدا هو أن يوضع على مكان النزف قطعة من الثلج أو شي آخر بارد فتتكشف الأنسجة والعروق فيسطل النزيف
- (٥) أن يوضع على مكان النزف ماء حميم (شديد الحرارة) أو يكوى بشي محمي

«١» أرى أن الاحسن تسمية مثل هذا المقبض بالحاسم لانه يقطع الدم

بالنار ، وقد كان القدماء يوقفون النزيف في الاعضاء المتوترة بوضعها في الزيت
حينما يغلي ، ولكنها طريقة وحشية

(٦) أن يحشي المكان الذي ينبعث منه الدم حشوا جيدا بقطن أو قماش
ويربط ربطا شديدا وهذه الطريقة تستعمل كثيرا في إيقاف النزفة من الاعضاء
الفائرة التي لا يمكن ربط عروقها كالرحم مثلا

(٧) أن يوضع على الجرح مواد قابضة ، اما مسحوقة أو محلوقة بالماء أو
بغيره ، كالشيب والقرض ومغلي الشاي ومغلي قشر الرمان والعفص وماء الجير
وأملح المعادن كالحديد والنحاس وغير هذا كثير . وهذه الطريقة قل أن تستعمل
الآن الا في الاوعية الصغيرة أو الشعرية

(٨) إذا كان النزف من داخل الاحشاء كالرئة أو المعدة يجب أن يستلقي
المريض على ظهره ويمتنع عن كل حركة حتى الكلام ويوضع الثلج على العضو
الذي ينزف منه الدم ، ثم يستدعى الطبيب في الحال

وأحسن ما يعطيه الطبيب في مثل هذه الاحوال هو مركبات الافيون
والجويدار (وهو مادة فطرية تسقية تنمو على نوع من الشجير يسمى الشليم)
وكلوريد الكالسيوم وغيرها ، وهذه الادوية توقف النزيف إما باضعاف ضربات
القلب ، أو بقبض أوعية الدم ، أو بجعل الدم أقرب الى التجمد مما كان

أما النزف في داخل تجاويف الجسم كالבطن مثلا اذا تمزق عضو فيه فيعرف
ذلك بحصول هبوط شديد عقب الإصابة مباشرة أو بعدها بقليل ، واصفرار زائد في
جميع الجسم وصغر في النبض ، ومعنى ذلك أن يشعر الانسان المتعمر بأن الأوعية
الدموية ليست بممتلئة بالدم كالمتاد ، واذا جس البطن في مكان الإصابة وجد
فيه انتفاخا وألما وأصمية يعرفها الطبيب عند التقرع . واذا كانت المعدة أو الامعاء
هي المصابة تقايا الشخص دما أو وجد في برازه . واذا كانت الإصابة في الكلية وما
يتبعها بال الشخص دما

فهذه العلامات وأمثالها ندلنا على النزيف الداخلي . فالاسعاف الواجب
في مثل هذه الحالة أن يلقى الشخص على الارض وترفع كل الوسائد من تحت

رأسه وتدفا أطرافه السفلى ويؤمر بالامتناع عن كل حركة حتى الكلام ولا بأس من وضع شيء بارد على البطن اذا كانت الاصابة فيه

ثم يستدعى الطبيب في الحال . ولا حيلة للطبيب في مثل هذه الحالة الا عمل عملية عظمى بأسرع ما يمكن وفيها يفتح البطن وتربط الأوعية النازقة وتختاط جميع الجروح وينظف البطن من الدم الذي انسكب فيه

أما علاج النزف تحت الجلد أو في العضلات فيكون بوضع أشياء مبردة على موضع الاصابة فأنها تقبض الأوعية وتموق النزف أو تمنعه ، وإذا لم توجد هذه الأشياء المبردة فالأحسن ربط العضو فان ذلك أيضا يوقف النزف بسبب الضغط ويجب اراحة العضو المروض كمال الراحة

ومن الخطأ وضع الأشياء الدافئة على المكان المروض والدلك في أول الامر فان ذلك مما يزيد في النزف . ولا بأس من وضع الأشياء الدافئة بعد مضي عدة أيام لمساعدة امتصاص الدم المنسكب

أما علاج البنية بعد ايقاف النزف فيكون كما يأتي : —

يوضع الشخص بحيث يكون الرأس منخفضا عن باقي الجسم ، ويدفا تدفئة تامة وتدفك أطرافه ، ويستحسن أن تلف بلفائف من أسفل الى أعلى ، والفرض من ذلك كله دفع الدم الى الدماغ فان أعظم أسباب الاغماء بل الموت هو نقصان توارد الدم الى الدماغ ، ثم يعطى كميات كبيرة من المرق أو اللبن أو الماء ليشر به وتعطى له أيضا بعض المنعشات وأحسنها الخمر والقهوة والشاي أو محلول التوشادر المخفف (من ١٠ الى ٢٠ نقطة) أو الاثير (من ١٠ الى ٣٠ نقطة) ويحترس من تصاعد الاثير في الهواء فانه اذا وصلت اليه النار أحدث فرقة عظيمة خطرة وكذلك اذا استنشقه شخص بمقدار عظيم تحصل له غيوبة تامة

والطبيب في هذه الحالة أن يحقن المصاب تحت الجلد بمادة الاستر كنين (بمقدار مليجرام الى ثلاثة) أو بسترات القهوين أو البنين (بمقدار ربع أو نصف جرام) ويحقن أيضا بمحلول ملح الطعام بنسبة سبعة جرامات ونصف في كل لتر (أي قدر ملعقتين صغيرتين في رطلين من الماء تقريبا) ويحقن برطلين الى ثلاثة فاكثر من

هذا المحلول تحت الجلد أو في الشرج أو في الأوردة . والغرض من هذا الحقن ملء أوعية الدم بسائل بدل الدم المتزوف ليستمر القلب في عمله وليتغذى الدماغ بما بقي من الدم في الجسم ، ويسمى ذلك المحلول بمحلول الملح الطبيعي أو بالمصل الصناعي ويجب الاحتراس من عمل هذه الأدوية المنعشة والحقن المائلة للمروق قبل إيقاف النزيف بالطرق العلمية السابقة والآن فإن النزف يعود ثانية إذا امتلأت المروق بالسوائل واتعش القلب، ويكون في هذه الحالة أشد خطرا على الشخص

ويقسم النزف باعتبار وقت حصوله الى ثلاثة أقسام : —

- (١) ابتدائي وهو الذي يحصل من الإصابة نفسها
- و (٢) انتعاشي وهو الذي يحدث بعد انتعاش الجسم إذا لم تربط الأوعية
- و (٣) ثانوي وهو الذي يحصل بعد مضي ٢٤ ساعة من حصول الإصابة بسبب أن الطرق التي أجريت لإيقاف النزيف لم تكن محكمة أو كانت عنة أو كان الشخص مصابا بالزهري أو غيره، فيفك الخيط الذي ربط به الشريان أو يسقط ، أو يتقرح الشريان المربوط بسبب عدم تطهير الخيط، أو يحدث غير ذلك أما النزف من الأوردة فإنه في الأطراف يكون صادرا من أسفلها إلى أعلاها غالباً ، ولا يتدفق تدفق النزف الشرياني ولون الدمين مختلف فالشرياني أحمر والوريدي يميل إلى السواد . ويعالج قبل حضور الطبيب بربط العضو من أسفل الجرح لآمن أعلاه ، وباقي العلاج هو كما في النزف الشرياني

الرعاف

الرعاف نزف يحصل من باطن الأنف وأسبابه عديدة تنحصر في نوعين: —

- (١) أسباب عارضية وهي التي تحدث من إصابة الأنف بصدمة أو غيرها

تجرحها أو تكسر عظامها

- (٢) أسباب مرضية وهي أيضا نوعان :

(أ) موضعية وهي إصابة الأنف نفسه بمرض كالزهري أو الدرن أو

التهاب غشائها المخاطي التهابا حادا شديدا (وهو المسمى بالزكام)

و (ب) عومية وهي كثيرة منها أمراض الدم كلاسكربوط^(١) والارجوانية (الفرفورة)^(٢) والصفار « الانيميا » وبعض الحيات العفنة (مثل الحى الراجعة) وكامراض القلب والكبد والكلى

وقد يحصل الرعاف في الاطفال والفتيان والفتيات ولا يعلم له سبب سوى رقة أنسجة أجسامهم فكثيرا ما تشاهد بعض البنات في سن البلوغ يحصل لها رعاف كثير ويتكرر ذلك عدة سنين حتى اذا كبرت زال من نفسه

وفي جميع تلك الاحوال السابقة سواء اكانت موضعية أم عامة يحصل النزف بتمزق شريان أو وريد صغير في غشاء الانف المبطن له. ويكثر تمزق عرق صغير يشاهد في الجزء الامامي الأسفل الحاجز بين المنخرين

المعالجة: تختلف باختلاف سبب النزيف — ففي الرعاف العادي للاطفال والشبان يجلس الشخص وترفع ذراعا حتى تكون أعلى من رأسه ويوضع الثلج على قفاه، ويستنشق الماء البارد أو أي محلول قابض كالشيب أو مغلي الشاي باردا وغير ذلك كثير، فإن تعاض الرعاف بعد ذلك يحقن الراعف بشي قليل من خلاصة الجويدار تحت الجلد أو يحشى الانف حشوا جيدا بالموصلي (الشاش) المغموس في شي قابض كالدريميتول^(٣) أو الشب وغيره واذا لم يوجد شي من ذلك وكان النزف من جزء قريب أمكن ايقافه بالضغط على الانف نفسه أو بادخال قطعة من القطن بجفت أو نحوه والضغط بها على العرق النازف

(١) الاسكربوط مرض يحصل من عدم أكل النباتات والخضروات أو أكل الاشياء المتعفنة واعراضه ضعف عام وتقرح في اللثة ونزف من أجزاء كثيرة من الجسم وفي منسوجها

(٢) مرض يشبه الاسكربوط ويختلف عنه بعدم تقرح اللثة وقلة فساد الصحة وبسببه وغير ذلك

(٣) مادة مطهرة قابضة صفراء، وهي تحت عفصيات البزموت. والكلمة يونانية معناها الجلد لنفع هذه المادة في بعض أمراضه

جهاز التنفس

الغرض من التنفس دخول هواء صالح الى الرئتين ليتحد أكسجينه بالدم فيها فينصلح بذلك ويخرج بعض أشياء ضارة منه أهمها غاز ثاني أكسيد الفحم فإذا دار الدم في الجسم حمل إليه هذا الأكسجين فانه ضروري جدا للاحتراق اللازم لحياة الجسم

ومجاري الهواء هي الأنف ثم الخلق ثم الحنجرة ثم القصبة الهوائية ثم الشعبتين ثم الشعب الكبيرة ثم الشعب الصغيرة ثم التجاويف القمية فخلايا الهوائية أو الحويصلات الرئوية

وإنما بدأنا بالأنف لانه هو المسلك الطبيعي للتنفس لا الفم، وذلك لان في الأنف شعرا ينقي الهواء من بعض قاذوراته وميكروباته، وفيه أيضا أجزاء مخصوصة ممتلئة بالدم فتسخن الهواء قبل وصوله الى الرئتين، أما إذا كان التنفس من الفم فان الهواء يكون حاملا لكثير من الميكروبات والقاذورات الضارة بالرئتين وبالجسم كله، ولا يسخن الهواء بمروره من الفم كسخنوته اذا مر بالأنف فيكون أبرد فيحدث سعالا اذا وصل الى الرئتين أو التهابا في الحنجرة أو الشعب الرئوية

ولذلك يجب حتما تعويد الناس عدم التنفس إلا من الأنف خصوصا وقت نومهم في الليل

أما الخلق أو الحلقوم فهو تجويف متصل بالأنف والفم والحنجرة والمرى (البلعوم) وموضعه خلف تجويف الفم ويمر به الطعام والشراب وهواء التنفس

وأما الحنجرة فهي جهاز الصوت وموضعها في أسفل الحلقوم وفي الجزء الامامي من العنق، وهي محاطة بغضاريف تحمل حبلين يسميان «الحبلين الصوتيين» وهما أقصر في النساء منها في الرجال، وبينهما فتحة ضيقة لمرور الهواء منها، وفي أعلاها قطعة كاللسان تشبه الغطاء تسمى «لسان المزمار» تساعد على منع دخول أي شيء في الحنجرة أثناء البلع

والجبلان المذكوران هما اللذان يحدثان الصوت بسبب اهتزازهما اذا اندفع الهواء من بينهما، ويتنوع الصوت بمروره في تجويف الحلق والقم والأنف. والكلام عبارة عن تقطيع هذا الصوت المتولد من اهتزازهما، فيقطع بالشفيتين واللسان وغيرهما. وهذا الاهتزاز يحدث تماوجا في الهواء ^(١) يتصل الى طبلة الاذن فيسمعه الانسان ويجد في أسفل الحنجرة القصبة الهوائية وهي منفصلة عن المريء انفصالا تاما وتمتد من الفقرة الخامسة العنقية الى نقطة امام الفقرة الثالثة الطهرية وهناك تنقسم الى قسمين لكل رئة قسم، وهما الشعبتان

وكل شعبة منهما تمتد الى الرئة وتنقسم الى عدة أقسام وكل قسم الى أقسام أخرى كالشجرة، الى أن تنتهي بشعب صغيرة جدا وهذه الشعب الصغيرة تنتهي بتجاويف صغيرة قمعية الشكل، وهي المسماة بالتجاويف القمعية، وفي حيطان هذه التجاويف أبواب للخلايا الهوائية أو الحويصلات الرئوية، ومن هذه الأبواب ما يوصل الى خلية واحدة، ومنها ما يوصل الى عدة خلايا مجتمعة معا وهو الأكثر وجميع المجاري التنفسية مبطنة بغشاء مخاطي، لخلايا السطحية أهداب (ماعداء الحويصلات والتجاويف القمعية) تتحرك من أسفل الى أعلا، ووظيفتها طرد ذرات التراب وغيره الى الخارج. ومن التجاويف القمعية تتكون فصيصات الرئة

وصف الرئين

الرئة اليسرى مكونة من جزئين عظيمين يسميان الفصين، واليمنى مكونة من ثلاثة فصوص كبيرة، وهذه الفصوص مركبة من الفصيصات المذكورة وكل رئة مغطاة بغشاء مصلي يسمى «البليورا» كأنه كيس مختوم من جميع جهاته انبمع بدخول الرئة فيه، ولذلك يغطي سطحها بطبقة منه والطبقة الأخرى تغطي الضلوع. والبليورا كلمة يونانية معناها الجنب

أما الدم فيصل الى الرئين بواسطة الشريان الرئوي الذي سبق ذكره وهناك

(١) لا بد لانتقال الصوت من وسط مادي غير الاثير يجري فيه، ولذلك لا يسمع الصوت في الفراغ فلا ينتقل من كوكب الى كوكب كالنور، وهو أسرع سيرا في الجامد منه في السائل وفي السائل منه في الغاز

ينقسم الشريان الى عدة فروع حتى تصير شعرية وهذه الاوعية الشعرية منتشرة في حيطان جميع الحويصلات الرئوية والتجاويف القمية وليست متصلة بالهواء وانما يصل إليها الاكسجين ويخرج منها غاز ثاني أكسيد الفحم وغيرها بطريقتين الاندوسموز والأكسوسموز وقد سبق تفصيلهما (في صفحة ٢٤ من هذا الكتاب) (*) فاذا اقتطع ما بين الدم الذي في هذه الأوعية الشعرية والهواء حدث نزف رئوي واعلم أن الرئتين في الصدر كأنهما في صندوق مغلق من جميع جهاته ما عدا فتحة واحدة وهي الحنجرة المتصلة بالفم والأنف. وليبان كيفية حصول التنفس نقول: اذا فرض أن هذا الصندوق كان كيسا من جلد أو نحوه وشدت جوانب هذا الكيس حتى اتسع تجويفه دخل الهواء بقوة الضغط الجوي لينفلا هذا التجويف المستعبد، فاذا حال بينه وبين أمام غرضه شيء آخر تمدد أمام الهواء والا انفجره وهذا هو عين ما يحصل في الصدر فانه يتسع فيدخل الهواء إلى الرئتين فيمددهما في أثناء الزفير (وهو جذب الهواء إلى الصدر) فاذا انتهت حركة الزفير عادت الرئة إلى حجمها الأصلي بسبب مرونتها فخرج الهواء منها ويسمى خروجه منها بالشهيق

كيفية تمدد الصدر واتساعه

اعلم أن الضلوع متصلة بالعمود الفقري من الخلف ومتجهة كل منها إلى الامام والاسفل فاذا انقبض ما بينها من العضلات ارتفعت هي والقص فاتسع بذلك تجويف الصدر من جميع جوانبه

وهناك عضلة شهيرة تفصل الصدر عن البطن تسمى «بالحجاب الحاجز» وهي مقعرة من أسفلها ومحدبة من أعلاها كالقبة

فاذا انقبضت هذه العضلة تحول تقعرها إلى مسطح ونزلت إلى البطن فضغطت على الاحشاء كالكب والطحال والمعدة، وبذلك يتسع الصدر في قطره الرأسي وما تقدم يفهم أن الصدر في التنفس يتسع من جميع جهاته بارتفاع الضلوع وبانخفاض الحجاب الحاجز فيضغط الهواء - كما قلنا - على الرئتين فيتسعان أمامه فتزى من هذا أن الرئتين لا تتسعان بنفسهما بل بحركة الصدر، فاذا فرض

(*) أي ما يطبع منه على حدة

أن الصدر اخترق من أحد الجانبين مثلاً بطل عمل رئة هذه الجهة لدخول الهواء من لخرق . فإذا اخترق الجانب مات الشخص في الحال بانطباق الرئتين وبطلان التنفس وحركة التنفس هذه وإن كانت تابعة للإرادة إلا أن لها أعصاباً تفعلها بدون إرادة الإنسان أو علمه ، ومركز هذه الأعصاب في « البصلة أو النخاع المستطيل » وهي الجزء الذي بين النخاع الشوكي والمخ ويسمى هذا المركز بمركز الحياة. وتنبعث إليه منبهات من أجزاء كثيرة من الجسم كالجلد والرئتين نفسيهما وغير ذلك، وتنعكس جميع هذه المنبهات في هذا المركز فتجري في الأعصاب المحركة لعضلات الصدر. ولذلك نرى أنه إذا صب الماء البارد على الجسم اشتدت حركة التنفس وكذلك إذا مس الهواء جسم الطفل المولود ابتداءً تنفسه

أما الذي يحمل مركز التنفس على العمل الدائم في الحالة الطبيعية فأمران :-
(١) حالة الدم، فإذا كثراً أكسجينه استراح المركز من العمل، وإذا زاد في الدم غاز ثاني أكسيد الفحم تهيج المركز للعمل. وقيل إن الذي يهيجه هو نقص الأكسجين من الدم. وهذا القول الأخير هو الراجح الآن عند علماء الفسيولوجيا
(٢) تمدد الرئتين بالهواء يحمل هذا المركز على إيقاف عمله فتترخي العضلات، وارتخاء العضلات الذي يتبعه هبوط الرئتين يحمل المركز على العمل فتقبض عضلات التنفس وهلم جرا

وهذا وما قبله هو السبب في حصول التنفس ولو كان الإنسان نائماً أو مخدراً بالكلوروفورم أو غيره

ومما تقدم يفهم معنى الحديث القائل « ما ملأ ابن آدم وعاء شراً من بطنه، بحسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه، فإن كان لا بد فاعلا فثلاث أطعامة وثلاث لشرابه وثلاث لنفسه »

فإن امتلاء المعدة يعوق نزول الحجاب الحاجز ويضغط عليه وعلى القلب وبذلك يحصل عسر في التنفس وضيق في الصدر وخفقان في القلب

أما عدد مرات التنفس في الدقيقة الواحدة فيختلف من ١٤ إلى ١٨ مرة في الشبان ، وحركة التنفس تختلف في الأطفال عنها في الرجال وفي النساء، ففي الأطفال

يحصل تنفسهم على الأكثر بنزول الحجاب الحاجز فيضغط على الأحشاء وبذلك يرتفع البطن ويسمى هذا الضرب من التنفس « بالتنفس البطني » أما في الرجال فأكثر حركة التنفس تشاهد في الجزء الأسفل من الصدر مع بروز البطن أيضاً وفي النساء تشاهد الحركة على الأكثر في الجزء العلوي من صدورهن ويختلف أيضاً عدد مرات التنفس باختلاف الأعمار وبالراحة والتعب وبالصحة والمرض، فيكون في الصغار وفي الحيات وغيرها أكثر، وكذا بعد التعب الجسماني أو الانفعال النفساني (يتبع)

الحق والقوة *

وبحث فلسفي عنهما بمناسبة الحرب الحاضرة

أو درس ضروري لنا نحن السوريين

خصوصاً والشرقيين عموماً

الجنرال فون برنهاردي قائد مجرب له مكانة سامية في الجيش الألماني كما أنه عالم طبيعي شهير له مصنفات شتى في علم الأحياء (بيولوجيا) يرجع إليها ويستقى منها. وقد أصدر هذا الجنرال كتاباً في سنة ١٩١٣ دعاه « المنطق والمبادئ في الحروب » ضمنه آراءه في الحرب ووجوب الالتجاء إليها عداً أياها فضيلة، فكان هذا المؤلف موضوع الأحاديث في الأندية العلمية والسياسية في العالم بأسره وزادت أهميته بعد إعلان الحرب الكبرى الحاضرة لأن كثيراً من الأعمال الألمانية فيها أتت مصداقاً لما ورد في ذلك الكتاب — كأن أركان حرب ألمانية كلهم هم الذين أنشأوه لا فرداً واحداً من قوادهم

ولما كثرت المجالات العلمية والسياسية من البحث في هذا الكتاب وتعاليمه تصدرت مجلة القرن التاسع عشر الشهيرة لنقده فنشرت مقالة بليغة مسببة في عددها الأخير عنوانها « الحق والقوة » أردنا تعريبها والتعليق عليها لأننا نحن الشرقيين صرنا أحوج أم الأرض إلى تعاليم الجنرال فون برنهاردي وأشدهم افتقاراً إلى من (*) نقل عن جريدة الأفكار التي تصدر في البرازيل (عدد ٩٠٣)

يذيعها بيننا بعد ان شبعنا من التعاليم الاكبريكية والمبادئ الخيالية التي اذلتنا
وغير عز ، واقفرتنا وغيرنا اغنى ، واضعفتنا وغيرنا قوي وافلح .

قالت مجلة القرن التاسع عشر :

اشتهر كتاب الجنرال فون برنهاردي الاخير لانه لم يتضمن ابحاثا سياسية فقط
بل تضمن ايضا ابحاثا فلسفية وعمرانية واجتماعية تشهد له بالجرأة وطول الباع . واتنا
في نقدنا فلسفة الاجتماع ومبادئها الواردة في ذلك الكتاب نحصر كلامنا فيما له
علاقة بالحرب الحاضرة من تلك المبادئ . وايضا لما نحن بصدد الان نشر أولا
أهم تلك التعاليم التي نرى برنهاردي يبشر بها وهي مقتطفات من كتابه الآنف الذكر :

١ - تنازع البقاء

قال ان التنازع لاجل البقاء هو التاموس الاول الذي لا مفر منه ، لا في
المجتمع الانساني فقط بل في العالم الحيواني بأسره . وبموجب هذا التاموس لا يمكن
حراز النجاح والارتقاء من دون استئصال العضو الضعيف من المجتمع . فالضعيف
اذن يجب ان يهلك ويقتل . بيد ان المجتمع البشري يختلف عن غيره من المجتمعات
الحيوانية في ان الانسان له حياة فردية وحياة عمومية معا وهذه الاخيرة مرتبطة
بالوطن الذي ينتمي الفرد اليه ولذلك كان تاموس تنازع البقاء وبقاء الانسب لا ينطبق
تمام الانطباق على الانسان كما ينطبق على الحيوان ، لان الواحد من الحيوان لا ينظر
الا الى مصلحته الخاصة فقط ، أما الفرد البشري المرتبط بمجموع الامة المتسمي هو
اليها فعليه نوع من المسؤولية نحو تلك الامة من حيث هي مجموع متظم . والامة وهي
مجموع أفراد - لا حياة لها الا بالتنازع أيضا ولكنها في هذا الجهاد يجب ان تلجئ
الى نظام موافق او شريعة عادلة تسري على الكل من دون تمييز حتى اذا تعارضت
مصلحة الفرد ومصلحة الامة كان على الفرد ان يضحي بمصلحته الخاصة اذا اقتضت
المصلحة العمومية تضحيته (١) أي ان المنفعة الشخصية يجب ان تضحي على مذبح

(١) الافكار: كما غطينا مرة ان يطبع خطاب روزفلت في «الاخلاق» ويوزع
منه مليون نسخة في سورية والاستانة كذلك نتمنى الآن ان يترجم كتاب برنهاردي
هذا ويوزع على جميع العثمانيين وعموم الشرقيين لان الشرق كله بحاجة ماسة الى
مبادئ هذا الكتاب العملية دون المبادئ النظرية التي كانت علة انحطاطه

المنفعة العمومية عند الحاجة وفي الهيئات الراقية المنظمة

٢ — القوة المحسوسة واجبة لحفظ المجتمع

هذا من النظرة الشخصية الفردية ، أما من النظرة العمومية فالمسألة فيها نظر لان الأمة الواحدة في أثناء معاملاتها مع سائر الأمم لا يجوز لها ان تسير بموجب المبدأ الآنف الذ كرأي مبدأ تضحية الواحد لاجل الخير العام عند الحاجة الى ذلك ، بل يجب على الأمة كجموع منظم ان تفسر الحق والعدالة تفسيراً آخر يلائم مصلحتها كما سترى

لا يمكن تنظيم أمة مالم يجتمع عدد كبير من أفراد تلك الأمة تحت لواء المصلحة المشتركة بينهم ، ومن العبث اجتماع البشر كاهم في أمة واحدة تحت نظام واحد لان هذه النظرية لا يمكن تطبيقها . وتأليف أم صغيرة ضعيفة غير مستحيل غير ان حالة مثل هذه الام الصغيرة تستوجب الشفقة لان وجودها مخالف للناموس الطبيعي أي ان ليس لها حق الوجودي ، ودونك البرهان الحسي العملي المعقول : المقدمة المنطقية الاولى : ان البشر مضطرون بحكم نمو عددهم المضطرد الى تأليف جماعات طبقا لناموس التعاون ولكن هذه الجماعات تكون متباينة لا في الكمية فقط بل في الكيفية أيضا

المقدمة المنطقية الثانية : ان اختلاف العناصر وعوامل الاقليم والمناخ وجدت منذ الازل وسوف تبقى بحكم الطبع الى الابد

النتيجة المنطقية الثابتة : لذلك وجب تباين الأمم بمددها وأنواعها بسبب تباين الاجناس والالوان والاخلاق والعوامل الطبيعية من جيوغرافية وغيرها من العوامل الخارجية أي انه وجب وجود أم ضعيفة بين أم قوية بحكم الطبع . ولما كان ناموس تنازع البقاء — وهو ناموس طبيعي ثابت — يجبر الأمم على حفظ كيانها وعلى تقوية ذلك الكيان على حساب الضعيف من جيرانها^(١) كان من الضروري وجود ذلك التنازع بين الام الضعيفة والام القوية . لذلك قلت ان الام الضعيفة

(١) المنار : يعني ان سنة تنازع البقاء تدفع الامم بما يشبه الاجبار الى حفظ وجودها الامي وتنميته مما تسلبه من الامم الضعيفة المجاورة لها

تستوجب الشفقة لانه لاحق لها بالوجود — ومن المستحيل دوام وجودها وهي عرضة لخطر الاضمحلال في كل حين بسبب التنازع الطبيعي بينها وبين القوي من جيرانها . ولا بد للثوي من استعمال قوته وهذا الاستعمال هو الحرب بأبسط معانيه . وأقول بعبارة أوضح: ان كل أمة يجب ان تعتمد على القوة، على القوة وحدها، في اثناء معاملاتها العمومية مع سائر الأمم والا كانت أمة ضعيفة عرضة للفناء في كل حين انتقد الفيلسوف التلياني ماشيا فلي مثل هذا التعليم بحجة انه يرمي الى اعتبار القوة غاية الوجود لا واسطته . ولكن غاية الوجود « هي حماية مصالح الفرد وترقيتها حتى يصل الى الدرجة المطلوبة من السعادة والكمال » وهذه لا يمكن الحصول عليها من دون مساعدة الأمة، والأمة لا يمكن أن تقوم بالحماية والترقية ما لم تكن قوية، وقوتها لا تأتي إلا من حصر محبة بنيتها لها وحدها أولا، والا فاتي لأفهم كيف ان زيدا يحب خير العالم أجمع وهو لا يحب خير أمته ووطنه وجنسه وعائلته أولا . فالواجب الانساني إذن يقضي على المرء بمحبة جنسه أولا

إذن أرى أن الناموس المسيحي القائل بالمحبة والاحسان والغيرية هو أشرف ناموس في الكون لكنه وضع لاجل العلاقات الفردية في الأمة الواحدة فقط، ولا يمكن تعميمه على الانسان والانسانية، لان التعميم مخالف للنواميس الطبيعية الثابتة، والتخصيص أولى، إذن أن الذي لا يحب أخاه القريب، لا يقدر على أن يحب البعيد الغريب وعلى هذا الرسول بولس ذاته فيلسوف الكنيسة المسيحية وواضع أهم تعاليمها ٣ — فلسفة العدالة في المعاهدات والحروب

ليست الحرب مقتصرة على اقتتال الجيوش فقط بل الحرب اصطلاح سياسي يعني وجود أمة تنازع أمة أخرى سواء كان باستخدام السلاح أو باستخدام السياسة . والحروب السياسية تعني مضايقة فريق لفريق آخر بواسطة المعاهدات التجارية أو المعاملات الاقتصادية من صناعية وتجارية وزراعية وما أشبه . وإذا لم يدع أحد الفريقين للآخر بحرب السياسية يصير الالتجاء الى السلاح أمرا لازما، غير ان مسؤولية رجال الحكومة في أثناء الحروب السياسية تقضي عليهم بالمحافظة على مصالح الشعب وإثراء ثروته . هذه هي الغاية الاولى لهم . أما

الواسطة فخاضعة لحكم الظروف. فإذا كانت الظروف تحوجهم الى اطراح المبادئ النظرية الادبية جانباً فلم ذلك لانهم بهذا الانحراف يخدمون المصلحة العمومية لا المصلحة الفردية . واذا رأوا الخطر محققاً بالشعب فعليهم مباغتة العدو والغدر به قبل أن يتم معداته حتى يقضوا على قواه الهجومية والدفاعية ويأمنوا شرّ تنازعه اياهم منافع البلاد وتعمار أراضيها ومعاملها وهذا لا يأتي إلا بانماء القوة المحسوسة وازديادها . ولذلك كانت القوة مظهراً من مظاهر العدالة لان الحروب عدل وبها وحدها تثبت العدالة على أساس متين . وبرهاناً لذلك أقول :

لنفرض ان أمة إبان ضعفها خضعت بحكم السيف الى جارها القوي وسلمت معه بشروط مكتتبة على ورق سموها معاهدة ، ولنفرض أن تلك الامة الصغيرة صارت قوية على تماادي السنين فرأت أن تلك الشروط التي كانت قد رضيت بها أولاً في أيام ضعفها صارت ثقيلة عليها تضر بمصالح الشعب في أيام قوتها . فالشعب في هذه الحالة الاخيرة صار يرى ذاته مغدوراً مغبوناً . واذا هب الى تمزيق المعاهدة الاولى المجحفة بحقوقه فعمله هذا هو العدل بعينه . ولا يمكن ان يرضى العدالة المجردة بغبن شعب كامل وغدره . ليس ذلك فقط بل اتنا لا تقدر أن ندعو الأذعان لشروط مجحفة عدالة وفضيلة . بل ان العدالة تقضي بتمزيق المعاهدة المضرة الجائرة بواسطة المفاوضات السياسية أولاً التي ادعوها حرباً بطيئة كامنة ، فاذا نجحت فيه والا فاستعمال السيف والمدفع يصبح أمراً واجباً — ولا يمكن أن يوجد الحق ويثبت ما لم يكن مؤيداً بالسيف ومدعوماً بالمدفع وقوة الساعد ولذلك كانت الحرب فضيلة . أي ان الحرب أمر ضروري للمجتمع الانساني لانه رمز العدالة ومنشئ الشجاعة والجرأة في الامة ورفيق الحق والمطالبين به . واذا تركت الحرب تجبن الامة عن المطالبة بحقوقها فبقى مغبونة مقهورة ذليلة ومثلها لا يثبت في ميدان تنازع البقاء لان ناموس بقاء الانسب يقضي عليها ان عاجلاً أو آجلاً والانسب هو الاقوى في كل حال

هذه هي زبدة تعاليم الجنرال فون برنهاردي المدونة في كتابه الجديد « المنطق

والمبادئ في الحروب» ودونك مجل الانتقاد العلمي الفلسفي البديع الذي نشرته مجلة القرن التاسع عشر الطائفة الصيت في عددها الاخير قالت :
تعليق مجلة القرن ١٩١١ على الكتاب الالمانى

ليس الجنرال فون برنهاردي وحده القائل هذا القول ولا هو من وضع هذه الفلسفة أي فلسفة القوة والاعتماد عليها وحدها لاجل تثبيت الحق والعدالة . بل انا اذا أمعنا النظر نرى أن معظم علماء الالمان وفلاسفتهم قالوا بهذا الرأي ونشروا مثل هذه التعاليم من ارنست هكل العالم الطبيعي المعروف زميل شارلس دارون الى نياتش المادي الشهير، وغيرهما كثير. وليس من العدل والانصاف ان تقلل من أهمية هذه التعاليم لمجرد انها صادرة عن أعدائنا فإن « العلم مشاع بين جميع الامم وليس لوطنه حدود » فلندرس إذا مبادئ الجنرال برنهاردي وتعاليمه بكل نزاهة ولمحصها في بوتقة التحري بقطع النظر عن قائلها

قال ارسطو الفيلسوف اليوناني القديم : ان الفضيلة هي الوسط بين متضادين . أي ان الشجاعة مثلا هي فضيلة لانها وسط بين الجبن والتهور . فالجبن رذيلة لانه دليل الذل وصغر النفس ، والتهور رذيلة أيضا لانه دليل الحماقة والكبرياء — وكل هذه العيوب الاخلاقية تدل على وجود مرض يعقل المصابين بها وخصوصا الغرور والكبرياء (١) وقس على ذلك الصدق والكذب والحق والباطل وما أشبه ذلك من المتضادات

(١) الأفكار : انفق ونحن نقرأ هذه المقالة البديعة ان وصلتنا الصفاء الغراء فوجدنا فيها ما يأتي : — قال أحدهم : المتكبر أجدر الناس بالشفقة لان الكبرياء مرض في العقل . أي ان صاحب الصفاء يتالم من كثرة ما يرى من المتكبرين حوله . وقد تذكرنا خطبة مطبوعة باللغة الانكليزية عندما للدكتور دانيال باس رئيسنا العلامة الكبير قالها امام صف المنتهين مرة فراجعناها واذا في احدى صفحاتها ما يأتي :

« واني أوصيكم بالاعتدال في كل شيء . لان الاعتدال من أهم الاخلاق التي يحتاج اليها الشرق . ومن أعظم المصاعب أمام عملنا نحن المربين والمهذبين في هذه البلاد اننا نرى أفراداً بين السوريين هم مهذبون بكل معنى الكلمة تمام التهذيب — وبالأصل gentleman ، وافرادا غيرهم على غاية من التأخر والانحطاط والحلقة لوسطى بينهم تكاد تكون مفقودة . وينا نرى الكرم لحد التبذير في البعض نرى =

وكم ضل أفاضل من الرجال سواء السبيل لانهم اتخذوا التطرف ديدناً لهم فكانوا باهمالهم الصدق مثلاً يكذبون، وهم لا يدرون، وبتطرفهم بالتمسك بالحق حسب اعتقادهم يخدمون الباطل وهم لا يقصدون . والحقيقة أن تعاليم الجنرال برنهاردي مطابقة عام المطابقة لتعاليم ارسطوطاليس كبير الفلاسفة لولا ما بها من تجسيم يبلغ حد الغلو أحياناً فضلاً عن خلوها من رابط متين يربط الحق بالقوة كما سترى

٢

ان الاساس الذي بنى عليه الجنرال برنهاردي كتابه هو التعليم القديم القائل ان « الحق للقوة » والدعامة التي دعم بها ذلك الاساس هي تعليمه القائل بأن كل الآراء المتعلقة بالحياة الاجتماعية والسياسية تكون آراء مضرّة اذا تجاهلت كون الحق للقوة لانها أي الآراء ليست في هذا التجاهل سوى رياء وتضليل

وبموجب تعاليم برنهاردي يكون الاشتراكيون مرائين ويكون الراديكاليون المتطرفون أكثر رياء وخداعاً ، ليس ذلك فقط بل ان كل الفلاسفة الذين يخالفون مذهب دارون القائل ببقاء الانسب بعد التنازع لاجل البقاء قد اضرروا الحياة الاجتماعية لانهم دلوها على التواكل والاستسلام وعلموها الحيلة والرياء وأبعدوها عن القوة - وهي الفضيلة المقدسة التي هي أساس كل الفضائل

وللجنرال برنهاردي فضل عظيم في انه شرح هذه التعاليم العملية وحاول تطبيقها على حالة أوربا السياسية الحاضرة . ولا شك في انه صادق فيما يقول عن القوة وتقديسها - تلك القوة التي صار الشعب الانكليزي (تذكر ان الكاتب عالم انكليزي) يستخف بها وينسبها الى قبائل الزولوس المتوحشة حتى انه أصبح في الآونة الاخيرة يبالغ في تحقيرها وتحقير كل أمة تعتمد عليها . ولكن لما نشبت الحرب الحاضرة أدرك الشعب خطأه وعلم ان من دون الاعتماد على القوة خطر الغزوة

= أيضاً البخل لحد الشح في البعض الآخر . وكذلك بينما نرى الذل والجن في طبقة نرى الفرور فاشياً والكبرياء لحد الادعاء الممقوت في طبقة ثانية . واذا قدرت هذه المدرسة « أي المدرسة الكلية » على إيجاد حلقة وسطى توجد الاعتدال في مشارب السوريين وأخلاقهم نكون قد عملنا عملاً تهذيبياً عظيماً »

الألمانية وبالتالي خطر فناء انكلترة من العائلة السياسية الكبرى ولا جدال في ان القوي تغلب يوما على الضعيف جاره واحتفظ به ركزه المتفوق بالقوة الوحشية وهذا ينطبق على الامم كما على الافراد . ولا جدال أيضا في ان كل حكومة راقية تضمن لا بنائها المتفردين بالقوة أفضل المراكز ولو على حساب المجموع لان مجموع الامة يستفيد منهم . وكما ان الام يجب ان تكون قوية جدا حتى تتمكن من الاعتناء بطفلها الضعيف كذلك يجب على رجلها ان يضمن لها التقوية محافظة عليها وعلى صغيرها . هذا الشطر الأول من كتاب برنهاردي واظن ان الاندية العلمية والسياسية عندنا سلمت بصحته فورا

أما الشطر الثاني الذي أقام العلماء وأقعدهم فهو كلام ذلك الجنرال الألماني عن علاقة الامة الواحدة بغيرها من الامم الاخرى فان ذلك الكلام يقرر ان أفراد الامة الواحدة يجب عليهم التضامن والنكاتف وتبادل الصدق والولاء والعطف والمحبة بعضهم مع بعض فقط حسبما ورد في مثل الزوج والزوجة ومسؤوليتهما نحو طفلها الضعيف . أما في علاقة الشعب بغيره من الشعوب القريبة فالجنرال برنهاردي يقول بصراحة ان لا رحمة ولا شفقة ، بل ويل للضعيف في تنازع البقاء ، لان القوة وحدها هي الحكم الاخير في العلاقات العمومية ، وبقاء الانسب يقضي بانقراض الضعيف ان لم يكن اليوم فغدا

وبجملة أوضح أقول ان أركان حرب ألمانية يقولون بالحق والعدالة والرحمة بين أبناء العائلة السياسية الواحدة ، ولكن يقولون بمعاملة الغريب على قاعدة بقاء الانسب - أي على قاعدة الحق للقوة . وعند درس هذا المذهب بترامة وانصاف نرى انه ليس مذهبا جديدا ولا مخالفا لما نراه جاريا في الكون ، سواء اردنا ذلك أم لم نرده . إذن لا أرى ان الذين خطأوا برنهاردي هم من القوم المصيبين المنصفين (١)

نعم ان عندنا شرائع تضمن العدالة وتجبر الحكومة على اجرائها حفظا لحقوق

«١» الافكار: ان قائل هذا الكلام هو مستر مالوك من علماء الانكليز اعداء الالمان الالقاء وكلام الخصم حجة

الضعيف من جاره القوي ، ولكن هذه الشرائع وتلك العدالة تسري على أبناء الأمة الواحدة فقط أما على غيرنا من الأمم والحكومات فننكر اننا لانعاملهم بما يعامل به بعضنا بعضا ، ان نكران هذا الامر هو الرياء بعينه ، وهذا هو مبدأ برنهاردي أيضا ، وهالك نص احدى عباراته حرفيا بهذا الصدد قال :

« لا يوجد في الكون حكومة تجري على غيرها من الحكومات ذات القوانين وذات النوع من العدالة الذي تجريه على افرادها هي . كذلك ليس من الواجب على أي حكومة ان تعني بالغريب وتعطف عليه وتساعد ، ولكن من أوجب الواجب عليها الاعتناء بأولادها وتقوية الضعفاء منهم فقط واجراء العدالة بتمام النزاهة والتدقيق بين المتخاصمين منهم وحدهم . واذا قلنا ان محكمة دولية عمومية يجب ان تنشأ لاجل فض الخلافات بين الدول على مبدأ الحق والعدالة المجردة نعود ونرجع الى القوة الوحشية المحسوسة لاجل تأييدها ، واليك البرهان :

« هب ان خلافاً نشب بين أمتين أو أكثر ورفع أمره الى تلك المحكمة الدولية العمومية العليا (الموهومة) وهذه بموجب الحق والعدالة المجردة أصدرت حكما ضد الأمة القوية المتعدية ، ورفضت تلك الأمة القوية ان تخضع لحكم المحكمة العادل فاذا علينا ان نفعل ؟ علينا أن نلتجئ الى جيش قوي جدا يرغم تلك الأمة القوية على قبول حكم المحكمة العليا وتنفيذه . والا كانت العدالة والحق والحكم حبرا على ورق من الوجهة العملية . ولما لم يكن تنظيم جيش عمومي ممكنا كان من المستحيل إذن اجراء الحق بين الأمم المتباينة في العدد والقوة اجراء فعليا كما يجري في الأمة الواحدة التي لها من قوة جندها ما يجعل الحق نافذا والعدالة المجردة ممكنة — ولكن بين افرادها فقط . ومجمل القول ان الناموس الطبيعي المعقول هكذا يأمر أي ان العدالة المجردة يجب ان تجري ولكن بين أبناء الأمة الواحدة فقط لان ذلك ضروري لحفظ كيانها ولتقويتها أما مع الأمم الأخرى فالحق للقوة في كل حال وويل للضعيف والمستضعف (١) »

(١) المنار : حقا انه لم توجد شريعة تأمر بالمساواة والعدل العام غير الاسلام ولكن كانت الدول الاوربية تراعي العدل فيما بينها في الجملة حتى جاءت هذه الفلسفة الجديدة بهذه الحرب العامة التي لا بد ان تعود عليها بالتقضى ولو بعد حين

الاستعمار

تنازع ألمانية وانكلترة بسببه

وبعد هذا يوضح الجنرال برنهاردي مسألة الاستعمار بقوله: ان كل أمة قوية لابد لها يوما من طلب التوسع في املاكها لان أفرادها المتزايد عددهم يحتاجون أولا الى المواد الغذائية وثانيا الى المواد الاصلية في الصناعة حاجة تزيد بالنسبة الى عددهم المتكاثر ، وهذه لا يجدونها الا في الخارج . واذا زادت مصنوعاتهم تراهم يضطرون الى ايجاد أسواق جديدة لاجل تصريفها - أي الى ايجاد مستعمرات، فالمستعمرات إذن من لوازم الامم الراقية

والاستعمار يتم بطرق ثلاث : (١) المهاجرة واختلاط المهاجرين تدريجاً مع السكان الاصليين والامتزاج بهم امتزاجاً سلمياً حتى تغلبوا عليهم بفضل تفوقهم على الوطنيين بالقوى البدنية والعقلية والاخلاقية ، (٢) بانشاء مستعمرات منظمة في بلاد أهلها من نصف المتمدنين أو من غير المتمدنين وامتلاك مثل هذه المستعمرات غير صعب ألبتة ، (٣) بالحرب واغتصاب المستعمرات من أيدي أهلها عنوة إذا كان أولئك الاهلون على جانب من المنعة والتمدن . وهذه الطرق الثلاث تدعى المهاجرة والاستعمار والاغتصاب وهي لا تتم إلا باستعمال القوة في احدى مظاهرها وبمعاملة سكان البلاد الاصليين حسب ناموس تنازع البقاء لاحسب الحق والعدالة .

والحق كل الحق مع الجنرال برنهاردي في هذا التصريح ، لان كل أمة قوية استملك بلادها وبلاد غيرها بقوة السيف يوماً لم تعامل الاهلين الاصليين قط بالمساواة والعدالة كما يدعون. وليس في هذه التعاليم شي جديد كما قلت آنفا ولكن الذي زادها أهمية هو اشتباك المانيا منقذة هذه المبادئ بحرب كبرى مع غيرها من الامم ووجود حزب قوي عندنا (أي في انكلترا) شعاره « السلم مهما كلفه الامر » ومذهبه هو أن الذي يأخذ بالسيف بالسيف يؤخذ . وسها عن بال هذا الحزب المتخث ان الذي لاسيف عنده يكون أول من يسقط بسيف الغير ، وخصوصاً في هذه الايام أيام المنازعات والمناظرات والمسابقات الهائلة

ولا أصدق من كلام الجنرال برنهاردي عن السوسيا ليست والراديكاليين (الاشتراكيين والمتطرفين) الذين يزعمون أن الحكومة ليست سوى شركة ضمانتها عملها توزيع المنافع والمرافق بالسواء - ان هذه الآراء لا يمكن العمل بموجبها أبدا لأنها آراء نظرية بحتة وكل أمة تسير بموجبها تضعف فتتخط وتفتي على تماهي الاجيال . والشواهد العديدة التي اقتبسها برنهاردي من دارون وكنت وهكل وفشت وشر وغوث تؤيد هذا المذهب، وحيدا لو أنه ذكر اسم كروب ومدافعه أيضا حتى يصير الاقتباس تاما، لان كروب واختراعاته لا تقل أهمية عن تعاليم أولئك الفلاسفة

فضائل الحرب - نقد برنهاردي

اتي من المعجبين بتصريح برنهاردي القائل ان للحرب فضيلتين هما الشجاعة والعدالة ، فالشجاعة فضيلة لأنها رائد الاستقلال ، والعدالة فضيلة لأنها رائد الصدق والصدق رفيق القوي دائما ، ولكن العدالة والصدق يجب أن ينحصرا في الأمة الواحدة وافرادها فقط دون غيرهم حسب تعليم برنهاردي، أما في العلاقات مع الغرباء وبين الأمم الأخرى فللقسوة المركز الأول دائما ، وكل من يقول بخلاف ذلك فهو خادع أو مخدوع

الى هنا انتهى اعجابي بالتعاليم العملية التي دونها الجنرال برنهاردي في كتابه الأخير، ولكن موضوعا اجتماعيا فلسفيا كهذا لا يخلو من التعقيد والصعوبة لذلك لألوم برنهاردي إذا رأته يناقض نفسه في بعض الاحايين ، ويخلط في تدوين المبادئ وشرحها في البعض الآخر

فمن جملة المتناقضات في تعاليمه عدم شفقتة على الأمم الضعيفة حالة كونه لم يضمن لنا طريقة ثابتة بها تبقى الأمة القوية قوية الى ما شاء الله - وهذا من أهم الاعتراضات أيضا على مذهب دارون القائل ببقاء الانسب . ومن جملة مواضع الخلط والخط في شرح مبادئه عدم جمعه بين العدالة والقوة جمعا علميا ترتاح النفس اليه، بل أراه أبتى هوة عميقة بين القوة الوحشية التي عبر عنها بالحرب وبين العدالة المجردة التي لا يجوز لها أن تخضع للقوة

ليس ذلك فقط بل ان الجنرال برنهاردي اعتمد على علم الاحياء (بيولوجيا) في مصنفه الاخير وهو مولع بهذا العلم لكنه تجاهل وجود ناموس التعاون والتضامن في النوع الواحد ونسي أو تناسى ان الانسان مهما تعددت أممه وأجناسه وعناصره وألوانه لم يخرج عن كونه نوعاً واحداً من أنواع الاحياء هو نوع الانسان يتطلب كيانهُ ناموس التعاون والتضامن ولو باحد أشكاله البسيطة

ويحوجني الوقت والمجال لأبين أن العلاقة بين الحق والقوة هي علاقة شديدة موجودة فعلاً وهي مثل الارتباط المتين الموجود بين الحرية والمسؤولية وبين الحق والواجب، فكما أن الحرية توجد المسؤولية والحق يوجد الواجب والعكس بالعكس كذلك أرى أن ناموس « الحق للقوة » الذي ينادي به الجنرال برنهاردي وأركان حزب المانيا عموماً يقتضي وجود علاقة متينة بين الحق والقوة لم يشر اليها برنهاردي ولا عرضاً في سياق كلامه . لذلك نرى ان المانيا في هذه الحرب مغمضة عين الحق في بعض تصرفاتها المخالفة ومجسمة فضيلة القوة الوحشية المحسوسة في سائر اجراءاتها مما جعلها عرضة للنقد العادل

أما ما خلا هذه النقط القليلة القابلة للانتقاد فكلام الجنرال برنهاردي صحيح لا غبار عليه، ويجدر بالحزب السامي في انكلترا أن يدرسه بمزيد التدقيق والتروي عليه يقلع عن تعاليمه النظرية الضارة ويساعد القائلين منا بوجوب تنظيم جيش قوي دائم وتعويد الامة على تربية رجال أشداء أقوياء البدن وعلى غاية من النشاط والبسالة اهـ

[المنار] نقلنا ما تقدم عن جريدة الافكار البرازيلية بنصه مع تصحيح لفظي قليل والقارئ يرى ان غرض صاحب مجلة القرن التاسع عشر الانكليزية من تلخيص ما لخصه من الكتاب الألماني هو إقناع قومه بأن يحذو حذو الألمان في شدة العناية بالقوة الحربية ومنه جعل الخدمة العسكرية اجبارية ، والظاهر ان شر عاقبة لهذه الحرب هو زيادة عناية الامم الاوربية كلها بالاستعداد للحرب وان كان بعض الناس يظنون انها سترجع الى رشدنا بما تقاسي من خسارة النفوس والاموال

بين روسيا والمانيا *

(وفيه وصية غليوم الاول لحفيده غليوم الثاني)

يذكر قراء « الافكار » ما عر بناه من مودة من تفراف الامبراطور غليوم الى القيصر نقولا إذ قال له يومئذ انه موصى على فراش موت جده بالمحافظة على صداقة روسيا . وقد قرأنا مؤخرًا تلك الوصية المشهورة التي أوصى بها الامبراطور غليوم الاول حفيده امبراطور المانيا الحالي في الساعات الاخيرة من حياته إذ استدعاه وزوؤه بنصائحه ووصاياه وما يفرض عليه عمله والسياسة التي يجب عليه اتباعها إذا تبوأ العرش . وهذا ملخص نص الوصية :

« إذا كتب لك الحق سبحانه وتعالى أن تملك على عرش أجدادك القيصرية فاعتق الحق والعدل وبشها في الرعية . واعتن بالجيش مزيد العناية . واجهد في اكتساب ميل العامة وحب الشعب الالماني بأسره . واسع في تقرير السلام العسكري والسياسي في داخل المملكة وخارجها مع مراعاة قوانينها وشرائعها . وساعد الضعيف ، واعضد العاجز ، وساو كليهما بالقوي ، حتى لا يكون امتياز ولا حيف ، و (حتى) تكون حرية مطلقة في جميع الاديان والمذاهب . تودد الى الامم الغربية على اخلاف نزعاتها ، وحافظ على اتحاد أوستريا والمجر حليفة جرمانيا الامينة ، لان في هذا الاتحاد موازنة للسياسة الاوربية ورابطًا بين الدولتين من قديم التاريخ . ولا تحرم البلاد من فوائد السلم ونعماره الطيبة المذاق إذا لم تكن الحرب أمرا واجبا فيما لو تعدت على المانيا دولة ورامت مهاجمتها أو مهاجمة حليفتها . ولا تستخدم قوة المانيا لإثارة حرب عدائية تكون أنت البادئ فيها ، فان المانيا ليست في حاجة الى مجد عسكري جديد ولا الى افتتاح حديث . حاذر الحرب قدر استطاعتك وإياك ، ودولة الشمال . ثابر على اتباع خطة المودة الوطيدة نحو قيصر روسيا اسكندر الثالث ودع المانيا ان تسير على خطة السلام والوفاق الحبي مع روسيا ، وابذل كل نفيس

(*) منقولة عن جريدة الافكار البرازيلية

١٥٤ المادة السابقة والجفوة اللاحقة بين ألمانيا وروسيا [المنار: ج ٢ م ١٨]

في سبيل مرضاتها واستالة ردها اليك ، وايد الصلات السامية التي كانت لنا في مدة
المائة سنة الماضية في مملكة روسيا جارتنا . فهذه كانت حاساتي (?) الشخصية التي
تنطبق على مصالح المانيا ، انتهى

هذا بعض ما وقفنا عليه من وصايا الامبراطور غليوم الاول الى حفيده
الامبراطور غليوم الثاني الذي بذل جهده في اتباع وتحقيق أماني جده من توثيق
عري الصلات مع جارته والممالك المتحالفة معه حتى تبقى العلائق الودية على سابق
حالتها غير واهية ولا منقصة

وقد عرف العالم أجمع ما كان لروسيا من الشأن المهم في حربي عام ١٨٦٦
مع النمسا وعام ١٨٧٠ مع فرنسا ، والخدمة الجليلة التي قام بها اسكندر الثاني قيصر
روسيا في تسهيل الوحدة الألمانية ، وقد عرف ذلك غليوم الاول كما عرفه وزيره
البرنس بسمارك . ولهذا أوصى حفيده غليوم الثاني بتحسين صلاته مع روسيا . ولا
يزال العالم يذكر تلمذ غليوم الاول الى القيصر اسكندر الثاني سنة ١٨٧٠ إذ قال
له « أعترف بأن جل الفضل في فوزي ونجاحي عائد اليك » فضلا عما كان من
أعمال بسمارك في حياة غليوم الاول وفردريك الثالث في تسهيل التقرب الى روسيا
بالرغم من التحالف الثلاثي ومن مبادئ أوستريا وسياستها البلقانية . وقد كان بسمارك
لا يطيب له عيش الا يوم يأمن نفوذ روسيا . والامبراطور غليوم الثاني ذاته بعد
قبضه على صولجان الامبراطورية زار القيصر الروسي قبل أن يزور حليفه النمسا
وايطاليا ، كما زار جده غليوم الاول قيصر روسيا يوم تبوأ عرش أجداده ، وعمل على
تأييد التحالف الشمالي واهتم في زيادة التقرب من روسيا لتحسين صلات الدولتين ،
إذ لم يشأ أن يتعد عنها لما بين الاسرتين المالكيتين في روسيا والمانيا من صلة
القربى ، فضلا عن ضرورة الاحترام للوصية السابقة الذكر

ولكن دلكاسه الداهية وزير خارجية فرنسا حالاً مشهور بعداوته لالمانيا
فعين منذ سنة ونصف سفيراً لدوائه في بطرسبرج واستطاع بدهائه الغريب أن
يفهم روسيا أن النمسا ليست بالعدوة الراهية لو لم تكن تعضدها المانيا وان خير
طريقة لكسر شوكة النمسا هي اضعاف المانيا ، وساعدته الظروف والحنكة

السياسية، فابان لروسيا مطامع المانيا وما صنعته مع روسيا في معاهدة برلين وغيرها . وقد نجح دللكسه في سياسته نجاحاً باهراً إذ أضاف الى الحقد الكامن في قلوب الشعب حقد الحكومة الروسية ، فتراخت العلاقات بين الحكومتين وسعى القيصر للتخلص من ربة نفوذ امبراطور المانيا عليه ، وخصصت حكومته عشرة مليارات ليرة لنظارة الحرية لسنة ١٩١٣ واشترت بتسعة وعشرين مليوناً من الليرات أوتوموبيلات حربية ، وأضافت عددا عظيماً الى جيشها الهائل ، وجعلت الخدمة العسكرية في بعض الفرق أربع سنوات ، واراوت تغيير المعاهدة التجارية بينها وبين المانيا ، وضربت رسماً باهظاً على القمح الوارد من المانيا الى فنلندا ، وأطلقت سراح الصحافة فاثارت على حكومة برلين عواطف السلافيين ، ومكنت الحقد بين الشعبين . وكان المسيو دللكسه العامل في كل ذلك الذي وصل الى هذه النتيجة

وكانت الامة الروسية قد رأت خيلاء الامة الالمانية فهاها أمرها لاسيما وهي تنظر اليها نظرة جار يود ضرر الآخر تجارة وصناعة وسياسة . أضف اليه الحقد المتولد في قلوب السلافيين ضد الجرمانيين وتصرف بسمارك نحو روسيا في معاهدة برلين كما قلنا بعد ان كان حليفها سنة ١٨٧٨ وقلما ترى الآن في روسيا من يحب المانيا حتى من أولئك الذين يجري في عروقهم الدم الالمانى أو النمساوي كالبولونيين في بوزين وفرسوفيا والتشك في برات والصرب والكروات في افهام وبلغراد حتى في طيات قلوب البلغاريين في صوفيا . وهذا الحقد المنفجر في جميع جوارح السلافيين أرغم حكومة بطرسبرج على الانتصار للصربيين وشهر الحرب على النمسا . وقد ارادت حكومة القيصر أولاً ان تتخذ من السلافيين حقدهم لرشق نباله في صدور النمساويين فقط ، وذلك لان المانيا قد لعبت دوراً مهماً في بلاط روسيا لوجود عدد عظيم من الدوقات الالمانيات في القصر الامبراطوري — كماريا بافلوفا قرينة الفرانديوك فالديمير والبزابت فيودوروفنا شقيقة القيصرة ورثيسة دير كبير الراهبات ودوقات أولدنبرغ وليستنبيرغ والامبراطورة الكسندرا — وعدد عظيم من القواد والضباط وولاة الامور الالمانى الاصل الذين يشتغلون بجميع قواهم لزيادة متانة العلاقات بين روسيا ومانيا ، عدا عن العلاقات الوطيدة الشخصية

بين القيصر والامبراطور ولان . حرباً عواناً تقع بين المانيا وروسيا لاتفيد الثانية كثيراً .

أما فقد حكومة القيصر على النمسا فكان ولا يزال هائلاً جداً لان فيها الأقل من ١٦ مليوناً من السلافيين تابعين خمسة عشر مليوناً من الجرمانيين . لذلك ليس من الصعب على حكومة بطرسبورج الضرب على وتر نصرتهم الجنسية فضلاً عن ان النمسا ما زالت تعرقل سياسة روسيا في البلقان ، وكانت الحرب بينها بين روسيا أمراً طبيعياً لا مفر منه اهـ

ترجمة الشيخ شبلي النعماني

﴿ بقلم الشيخ حبيب الرحمن خان الشرواني ﴾

مترجمة من جريدة (عليكده إنستيتوت غازت) بقلم عبد الرزق من تلاميذ دار الدعوة والارشاد

انتهت السنة الثانية والثلاثون الهجرية على حادثة فجائية ستذكر في تاريخنا الى زمن بعيد : أذيع خبر وفاة الشيخ شمس العلماء شبلي النعماني في صبيحة ٢٨ ذي الحجة أي في الوقت الذي تنير فيه الشمس العالم ، ولكن وآسفاه غربت فيه شمس العلم وأظلم العالم العلمي .

(ثم بين الكاتب مجد المسلمين القدماء وكثرة وجود العلماء والنابعين فيهم الذين كانوا يخلفون السلف ، والنحطاء المسلمين الآن وفقدان الرجال الذين يحلون محل موتاهم . وقال)

ان في سيرة الشيخ عبداً ودروساً للطبقتين - طبقة النابتة الحديثة وطبقة العلماء ، فلو كتب تاريخه لكان نافعاً للمسلمين . وتوخياً للقائدة نلمح الى تاريخه فنقول :
الشيخ شبلي النعماني من بلدة أعظم كدة الشهيرة وهو من أسرة كبيرة وابن رجل عظيم . لا أعلم سنة ولادته ولكني قرأت ما كتب في الجرائد من انه ولد سنة ١٨٥٧ أي سنة الثورة . وكان من أسباب تقدمه العلمي ذهنه الثاقب وطبعه السليم وحرص والده على تثقيفه وتربيته ، ووجود أستاذ كامل له كـ محمد الفاروق الذي كان ماهراً في العلوم العربية والاداب الهندية . أخذ الشيخ شبلي علم الحديث عن العلامة أحمد علي الشهير ، وبعد فراغه من التحصيل دخل خدمة

الحكومة ولكنه لم يلبث أن تركها من تلقاء نفسه . ثم قرر معلما للغة العربية في كلية علي كره فاتخذ له بيتا بجوار السيد أحمد خان رئيس الكلية . وكان السيد يبحث في العلوم المختلفة فاقتبس منه ومن المعلم آرنلد الاستاذ في الكلية معلومات في الفلسفة والعلوم الحديثة ، وهو الذي علم الاستاذ المذكور عليه كثيرا من العلوم الاسلامية واللغة العربية ، لهذا كان في تأليف كتاب « الدعوة الاسلامية » Preaching Of Islam للاستاذ آرنلد يد كبيرة للشيخ .

وخرج من الكلية سنة ١٨٩٨ بعد أن توفي السيد أحمد وذهب الى حيدرآباد وهناك كانت قد أسست الجمعية العلمية المسماة « السلسلة الاصفية » فتوظف فيها براتب ٢٠٠ روبية في الشهر (والآن قد زيد فيها مائة فصارت ٣٠٠ روبية) وألف بضعة كتب باسمها ثم رتب مشروع كلية حيدرآباد .

ولما رجع من حيدرآباد طلبه محسن المالك رئيس الكلية لها ولكنه لم يقبل ورجع ندوة العلماء عليها ، وأقام في مدينة لاهور فكان فيها عضوا كبيرا عاملا . وفهم مقاصدها حق الفهم وأراد أن يشمرها فنظم شؤونها وأصدر مجلة كبيرة باسمها كانت من أبر المجلات الهندية وأرقاها . وهي لا تزال نورا في اللغة الهندية . ولكنه لما انتخب رئيسا للجمعية بعد اعتزال رئيسها الشيخ محمد علي لم يقدر على استخدام الاعضاء كلهم كما استخدمهم سلفه ، لانه اشتهر بحرية الرأي والاجتهاد في كل شيء ، فخالفه العلماء وظنوا به الظنون ، حتى قال بعضهم أنه دهري ويريد افساد الجمعية . فلم ينجح في عمله هذا كما ينبغي ، ولكنه استطاع تنفيذ كثير من مقاصدها .

وساح في البلاد الاسلامية في زمن اقامته في الكلية للاستعانة على تأليف تاريخ عمر بن الخطاب رضي الله عنه بمطالعة الكتب التي لا توجد في الهند فكان الكتاب من أحسن الكتب التاريخية على طريقة حديثة وسيكون نورا الى الابد . وبعد رجوعه من السفر ذهب الى رستميد مرض هناك مرضا شديدا ذهب بصحته الجيدة فلم تعد ال الموت .

ومن الحوادث المؤلمة في حياته اصابة رجله بالرصاص . وسبب ذلك انه كان جالسا في حرمه والبندقية في يده فوجه ابنه فسقطت على الارض فاصابت ساقيه . وآخر حياته ملوثة بمخالفة العلماء له في الندوة ولكنه مع هذا كله مازال مشغولا بتأليف تاريخ النبي صلى الله عليه وسلم . وأرسل الى خطابا قبل وفاته بقليل وصف فيه تأثير موت أخيه في نفسه ثم قال : أريد تأسيس دار للمصنفين ودار لتكامل العلوم أدرس فيها بنفسي التفسير والحديث ويدرس فيها غيري من العلماء

الآخرون لعل أنجح في هذا بعد العجز عن العمل في الندوة التي أضمت وقتي فيها . ولكن جاءت المنية قبل تحقق رجائه . جزاء الله خير الجزاء لأعماله النافعة للمسلمين

ترجمة الشيخ شبلي النعماني

بقلم عبد الرزاق أحد طلبة دار الدعوة والارشاد
كان الشيخ شبلي النعماني من أكبر علماء الهند قدرا وأوسعهم علما وأشدّهم
غيرة على الدين والأمة . خدم المسلمين زمنا طويلا بدون تعب ولا نصب ولا
مبالاة بمحوادث الدهر . ومن مزاياه الكثيرة انه كان نابعا في علوم عديدة . مجتهدا
في الدين والعلوم العقلية . ماهرا في تاريخ الشرق والغرب . أدبيا بارعا في اللغة العربية
والفارسية ، ينشد الشعر بالفارسية مثل أعظم شعراء العجم . وهو يعد من أئمة اللغة
الهندية وأفصح كتابها . له كتب كثيرة جدا في الفلسفة والتاريخ وآداب اللغتين
الفارسية والهندية وفي علوم شتى . وآخر كتاب كان يعني بتأليفه هو « سيرة النبي صلى
الله عليه وسلم » ولم يكمل يتم جزءا منه حتى عاجلته منيته وهو ابن خمس وستين
سنة تقريبا . هذا الكتاب ليس مثل سائر الكتب التاريخية بل أراد رحمه الله
أن يكتب باستقصاء لا يغادر صغيرة ولا كبيرة من آثار النبي وأقوال المتحرسين(?) إلا
أحصاها وبحث فيها بحثا تاريخيا فلسفيا ليس من ورائه بحث . وكان من اهتمامه
بالكتاب المذكور أنه قبل الاشتغال فيه أعلن في الجرائد الهندية انه يحتاج إلى
خمسين ألف روية (٣٣٢٥ جنيا) لیسافر إلى الممالك الإسلامية والأجنبية
ويطالع في مكاتبها الكتب المؤلفة في سيرة النبي صلى الله عليه وسلم ، وتساءل عن
يساعده بذلك ؟ فأجابت طلبه « أميرة بهوپال » التي اشتهرت بالأعمال الخيرية والعلمية ،
غير انها لم تأذنه بالسفر لأكبر سنه وما أصابه من العرج بل وعدت بان تطلب له
جميع الكتب المحتاج اليها وتعطي ٢٠٠ روية شهريا لترجمي الكتب الأجنبية منها
(لان الشيخ لم يكن عالما بلغات الغرب) فاشتغل الشيخ بالكتاب ثلاث سنوات
وأكمل منه جزء واحد كما ذكر آنفا .

وكان ينتهز الفرص لينفع المسلمين . ومن مآثره أنه نجح في مسألة الوقف على
الأولاد عند الحكومة فاجازته بعد ان كانت أبطلته .

ربما يظن ظان أن هذا الشيخ الجليل كان من متخرجي المدارس العالية ومن
أصحاب الشهادات العليا . وليس الأمر كذلك . فانه لم يتعلم في مدرسة ما قط بل
كان يتلقن بعض العلوم المتروكة القديمة في بيوت بعض العلماء . ولم يكن يعلم شيئا

من أحوال العالم المدني ولكن علامات الذكاء كانت تنطق على سماه بعظيم مستقبله .
ولما كمل دروسه غير المنظمة انتظم في سلك المعلمين في كلية على صكرة الشهيرة
ومنا لك ظهر له أنه يوجد عالم غير عالمه وعلوم غير الفقه والكلام والفلسفة اليونانية
فاخذ بطالع العلوم حتى عد من أكبر علماء الهند . وفي هذا الاثناء ساح في البلاد
الاسلامية كلها ليعرف داء المسلمين ودواؤه . وبعد رجوعه الى وطنه ابتداء دوره
النهدي ، لانه ترك الوظيفة ولم يعمل شيئاً بعد إلا لأصلاح المسلمين . ولهذا الغرض
أخذ على عاتقه مشروع ندوة العلماء ، وهي لم تكن شيئاً يذكر قبله وبهيمته
العالية ترقى في مدة قصيرة حتى سمع صوته في العالم المدني وتخرج فيها العلماء
والمربون . وكانت له آماني كثيرة حالت منيته دونها اذ واقته بعد ان مرض نصف
شهر فسقطت بذلك حلقه كبيرة من سلسلة المصلحين ، وانطلقاً مصباح الهند ، فليحزن
على فقده المصلحون والهنود المسلمون ، انا لله وانا اليه راجعون

(المنار) فقدنا الاستاذ النعماني في عهد هذه الحرب التي حرمتنا رؤيته ما عدا
جريدة عليكده من جرائد الهند فلم تقف على شيء من تأيينها وترجمتها له . والشيخ
حبيب الرحمن الذي كتب تلك النبذة الوجيزة في جريدة عليكده من أهل العلم
والدين ، وحزب المصلحين المعتدلين ، ولكنه أوجز واختصر حتى انه لم يذكر
لنا مصنفات الشيخ : ولعل أهل مصر وغيرها من البلاد العربية لا يعرفون منها
الا رده الوجيز على كتاب تاريخ التمدن الاسلامي ، وما هو الا عجالة جعلها نموذجاً
ليان ما أنكره من ذلك الكتاب ولم يرد به الاستقصاء . وكنت رأيت له رسالة
في الجزية نشرت بعضها في المجلد الاول من المنار وهي تدل على اجتهاده في التاريخ
وعلوم الدين . ومن سوء حظ المسلمين أن يقوم حزب اليهود في وجوه هؤلاء
الأفراد من المصلحين كالشيخ النعماني ويحولوا بينهم وبين خدمتهم لملتهم وأمتهم .
ويضعف أنصار الاصلاح عن احباط أعمالهم ، ومما يذكر بالاعجاب في ترجمته
أنه لم يوجد في أمراء الهند وعظمائها رجل عرف قيمة هذا الاستاذ الكبير المصلح
كما عزفته أميرة بهوبال فضلى نساء تلك الاقطار وأقياها

وسنشر في الجزء التالي كلمة وجيزة من صلة المودة بيننا وبين الفقيد وكتاباً منه
يعلم منه شيء من صلته العلمية الدينية بصاحبة بهوبال أدام الله النفع بها .

السر محمد سلطان آغا خان

زار مصر في أوائل هذه السنة السر محمد سلطان آغا خان زعيم طائفة الاسماعيلية
أقدم طوائف الباطنية بل إمامهم ومعبودهم . جاءها عائداً من لندرة عاصمة انكلترا

حيث يقم معظم سنته - الى وطنه بمجي أول تغور الهند حيث يقم مدة فصل الشتاء عادة . وقد نزل ضيفا على الجنرال غرانفيل مكسويل القائد العام للجيش البريطاني بمصر فلقني من الحفاوة والاكرام من الحكومة المصرية وكبراء الانكليز ما يليق بمقامه ومكانه من ثقة الدولة البريطانية به وإخلاصه في خدمته لها

وقد اجتمعت به في دار (مستر ستورس السكرتير الشرقي لدار الحماية الانكليزية) وتحدثنا أكثر من ساعة في الشؤون المصرية وأحوال المسلمين في مصر وفي غيرها من الاقطار . وكان أكثر الحديث أسئلة منه وأجوبة مني ، وكنت أحب أن أسأله عن أمور فلم يتسع الوقت لذلك ، وتحدثنا بتمني اجتماع آخر فلم يتيسر ولعل من أسباب ذلك كثرة تنقله في البلاد المصرية وعدم لبثه في القاهرة بعد ذلك الا قليلا

وقد كان أول حديثه الشكوى من قلة عناية المسلمين بالعلم وسألني عن سبب ذلك فشرحت له رأي فيه ، ومما ذكرته له في ذلك أن العلم لا يرتقي وترتقي الامم به الا بالعمل ، ولا سيما العلوم الطبيعية والآلية (الميكانيكية) التي يشعر عقلاء المسلمين بشدة حاجاتهم اليها ، وتوقف مجاراتهم للأفرنج عليها ، وان أسبابا سياسية واجتماعية حالت دون السير في هذه العلوم على الطريقة العملية التي تتوقف على إيجاد المعامل ودور الصناعة في البلاد ، وان الحكومات هي ذات الشأن الأول في إيجاد ذلك وأكثر حكام المسلمين ليسوا منهم . وأما الحكومات الاسلامية المستقلة فقد كانت الدولة العثمانية والامارة المصرية - وهما أقربهن الى الحضارة - شرعتا في اقتباس العلوم والفنون الأوروبية منذ مئة سنة أو أكثر ، أي قبل شروع اليابان في ذلك ، ولكن حال استمرارها على الطريقة العملية مالا سعة في الوقت لشرحه فزالت المعامل ودور الصناعة التي شرع فيها محمد علي باشا كما اضمحل ما أنشئ من ذلك في الاستانة مع كون الحاجة اليها أشد والقدرة عليها أتم ، واكتفى الترك والمصريون باقتباس المبادي الناقصة من هذه العلوم والفنون ، وانما يتوسع قليل منهم بما هم أقل حاجة اليه من غيره كالفوانين وتاريخ الامم الأوروبية ولغاتهما ، مع جهلهم بشريعتهم وتاريخ ملتهم وآدابها ، ولأجل هذا كان ضررا أكثر المتعلمين أكبر من نفعه . ولما كان الطب لا يكون الا عمليا كان هو أتم ما اقتبسناه من العلم الحديث ، ففي مصر والبلاد العثمانية كثير من الاطباء الذين يخدمون البلاد أجل خدمة . وكذلك الهندسة فانها قد أفادت بقدر الحاجة اليها في الاعمال كالري وسكك الحديد فالهندسون المصريون لا يقصرون عن الأوربيين الذين يعملون معهم في هذه البلاد

أما حديثنا عن حالة مصر ومسألة الحماية الانكليزية الجديدة فلا يجوز نشره

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد
أوتي خيرا كثيرا وما يذكر إلا أولو الألبار

المائدة

١٣١٥

فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه
أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألبار

قل عليه الصلاة والسلام : ان للإسلام صوى وه منارة كمنار الطريق

مصر ٢٩ جمادى الأولى ١٣٣٣ ٢٣ الحجل (١ ر) ١٢٩٣ هـ ش ١٤ إبريل ١٩١٥

فَتَاوَى الْمُبْتَائِنِ

افتتحنا هذا الباب لأجابة أسئلة المشتركين خاصة، إذ لا يسع الناس عامة. وينبغي للسائل أن يبين اسمه ولقبه وبلده وعمله (وظيفته) وله بعد ذلك أن يرمز إلى اسمه بالحروف أو يعبر بما شاء من الألقاب إن شاء، واننا نذكر الاسئلة بالتدرج غالبا وربما قدمنا متأخراً لسبب حاجة الناس إلى بيان موضوعه وربما أجبنا غير مشترك لمثل هذا، ولمن مضى على سؤاله شهران أو ثلاثة أن يذكر به مرة واحدة فإن لم نذكره كان لنا عذر صحيح لا غفاله

(صدق به وصدق له)

(س ١) من صاحب الامضاء مدير مجلة الأديان في بنجاب بالهند

سيدي العزيز !

كتبت في أحد أعداد المنار (كما سمعت) أن هناك فرقا بين قولنا « صدق له »

« وصدق به » وقلت أن الأخير يفيد معنى التحقق والامضاء ، والاول يفيد معنى

الإتمام (أي تحقق مضمون الشيء) وما استعمله القرآن بالنسبة إلى التوراة

والانجيل هو التعبير الاول . وهذا التفسير هو الجدير بالاعتبار ويحل الاشكال الذي

بين المسلمين والنصارى في مسألة شهادة القرآن لكتبهم . واني أعد لكم فضلا كبيرا

علي إذا أقمت لي الدليل على صحة هذا الفرق بين العبارتين حتى ييسر للانسان ان يقتبسه كلما قام جدال بيننا وبينهم في هذه المسألة وأملّي ان تبادروا بالجواب

عبدكم (?) المخلص

شرالي

مدير مجلة الاديان

(ج) إن ما أشرتم اليه من التفرقة بين صدق به وصدق له وقع في رسالة الدكتور محمد توفيق صدقي لا في كلام المنار. وما ينشر في المنار لغبرنا لا يصح أن نطالب بالدليل عليه بل نستل عن رأينا فيه. والذي يؤخذ من استعمال القرآن لكلمة التصديق وما اشتق منها ومن استعمال العرب هو ان «صدق» فعل يتعدى بنفسه كما قال تعالى (٣٧:٣٧ بل جاء بالحق وصدق المرسلين) وأن التصديق يكون بالقول كقولك: صدق فلان فيما أخبر به. ويكون بالفعل، ومثاله أن تقول: ان فلان سيفعل كذا، او يقول كيت وكيت - فيفعل ذلك الفعل او يقول ذلك القول، فهذا يسمى تصديقا لما قلته عنه، سواء أراد به ذلك أم لا، كل جائز في اللغة مستعمل فيها. فتصديق نبينا صلى الله عليه وآله وسلم للمرسلين عليهم السلام ولكتبهم يصح فيه الوجهان - يصح أن يراد به إخباره بصدقهم فيما بلغوه عن الله تعالى، وان يراد به ان بعثه وصفاته وأفعاله دلت على صدقهم في البشارة به، وبكل من القولين قال أهل التفسير المأثور والمعقول، والقرائن ترجح أحدهما على الآخر في المواضع المختلفة ولم يرد صدق متعديا باللام فيما نعلم. اما مثل قوله تعالى (٢: ٤١ وآمنوا بما أنزلت مصدقا لما معكم) وقوله (٢: ٩١ وهو الحق مصدقا لما معهم) فاللام فيه للتقوية لا للتعدية، وهو بمعنى قوله (٦: ٩٢ وهذا كتاب أنزلناه مبارك مصدق الذي بين يديه) ومعنى ذلك أنه دال على صدق تلك الكتب فيما بشرت به من بعثة النبي (ص) او ناطق بصدق أولئك المرسلين فيما جاؤا به عن الله تعالى. فان أريد بالتصديق القولي منه فهو لا ينافي ما أثبتته في آيات أخرى من تحريف القوم لبعض تلك الكتب الصادقة ونسيانهم حظامتها. ومثاله ان يقول قائل لقوم ان فلانا المؤرخ صادق وان ما كتبه لكم من تاريخكم أو تاريخ كذا صحيح، ولكنكم نسيتم بعض ما جاءكم

به فلم تحفظوه ، وحرقتكم بعض كلمة فلم تبينوه ولم تستبينوه . هذا هو التحقيق في تفسير الآيات الواردة في هذه المسألة . وقد فصلنا القول فيها في مواضعها من التفسير وأيدناه بالدليل

وأما قولهم : صدق بكذا أو بفلان ، — فهو ليس من التصديق الذي معناه مجرد إثبات الصدق بالقول أو الفعل ، فان التصديق بمعنى إثبات الصدق يتعلق بالاقوال لا بالأشخاص والأشياء ، فإذا اسند الى الأشخاص فأما يسند اليهم باعتبار مضاف محذوف ، « فمعنى صدق المرسلين » صدق أقوالهم . فإذا عدي التصديق بالباء كان متضمنا لمعنى الايمان فكان تصديق اعتقاد محله القلب ، فالتصديق بالنبي هو الايمان بنبوته لا قولك بلسانك إنه صادق ؛ ولا فعلك فعلا يدل على صدق كلامه . وأما تصديقه فيشمل هذا وذاك . والمصدق باللسان قد يكون غير مصدق بالقلب . وحقيقة معنى تضمنين فعل معنى آخر هو أن تضم معناه الى معنى الفعل الاصل بتعديته الى ما يتعدى اليه لكي يدل على معناه أولا وبالذات . وتبقى دلالة على معناه الاصل مرادة ولو على سبيل الزوم والا كمال . كقوله تعالى (ولأن تأكلوا أموالكم الى أموالكم) أي لا تأكلوها بضمها الى أموالكم لتكون ربحا لكم ككسبكم وهذا لا يناقض الاكل منها بمخالطة اليتيم وإشراكه مع الوصي في المعيشة مع اتقاء الوصي قصد الربح منه ، كما أنه لا يناقض ضمها الى أمواله لحفظها معها لليتيم لانفسه وقد استعمل التصديق في القرآن متعديا بالباء في أربعة مواضع — ١ — قوله تعالى حكاية لبشارة الملائكة لذكرى (٣ : ٣٩) ان الله يبشرك بيحيى مصدقا بكلمة من الله (— ٢ — قوله تعالى (٣٩ : ٣٣) والذي جاء بالصدق وصدق به أولئك هم المتقون) — ٣ — قوله (٦٦ : ١٢) وصدقت بكلمات ربها وكتبه) أي السيدة مريم عليها السلام — ٤ — قوله (٩٢ : ٥) وصدق بالحسنى) فكل موضع من هذه المواضع يراد بالتصديق فيه الايمان المستلزم للتصديق اللساني . والحسنى صفة لمحذوف قيل هو كلمة التوحيد ، واختار شيخنا أنه الشريعة والملة

والايمان يتعدى بنفسه بالباء واذا تعدى باللام كان متضمنا لمعنى الاتباع كما لا يخفى على من استقرأ استعماله في الكتاب العزيز وكلام فصحاء العرب والله أعلم

أول الخلق وكونه نوراني (ص) (تأخر كثيرا)

(س ٢) من صاحب الامضاء في الجامع الازهر
فضيلة الاستاذ! بعد تقديم اللائق بمقامكم أعرض على حضرتكم مسألة
طالما تكررت على مسامعنا ولم نفقه لها معنى وسألت عنها بعض مشايخي بالازهر
فأجابوا بأنها من مواقف العقول فأرجو من فضيلتكم الشرح عنها
سمعنا أن الاشياء خلقت من نوره صلى الله عليه وسلم ، وأنه موجود قبل
الكائنات. فما معنى النور الذي خلقت منه الكائنات، وكيف يقبل القسمة مع أنه
من الكيفيات؟ وكيف يكون النبي أولا وآخرا؟ أجيئوا لازلتم للدين منارا
كاتبه احمد مصطفى النقي

(ج) ما يندكر في الموالد وبعض الكتب من كون أول الخلق نور النبي (ص)
لا يصح منه شيء، فما يبنى عليه من الاشكال ساقط يصدق عليه ما قلناه في الامر الثاني
من جواب السؤال عن عدد صفات الله تعالى وعلمه بها (في ص ٧٣٩ م ١٧) .
وتجدون البحث في مسألتكم مفصلا في (ص ٨٦٥ - ٨٦٩) من مجلد المنار الثامن

﴿ كتاب الجفر . وحديث الاستعاذة من الحور بعد الكور ﴾

(س ٣ و ٤) من صاحب الامضاء في جهة أبي كبير « الشرقية »

حضرة السيد محمد رشيد رضا صاحب المنار المنير

السلام عليكم ورحمة الله. وبعد فترجوا ولا التكرم بافادتنا عن كتاب الجفر
المنسوب الامام علي كرم الله وجهه هل هو صحيح أو باطل وما هي أدلة المثبتين
وما هي أدلة النافين وما هو رأيكم الخاص

ثانيا ما معنى قوله صلى الله عليه وسلم « نعوذ بالله من الحور بعد الكور »
هذا وتنازلوا بقبول فائق احترامي
ابو هاشم علي قريظ

« ج » أما كتاب الجفر فلا يعرف له سند الى امير المؤمنين وليس على النافي
دليل وانما يطلب الدليل من مدعي الشيء ولا دليل لمدعي هذا الجفر

واما معنى الحديث فقد قال ابن الاثير في النهاية : « نعوذ بالله من الحور بعد
الكور » اي من النقصان بعد الزيادة، وقيل من فساد أمورنا بعد صلاحها، وقيل
من الرجوع عن الجماعة بعد ان كنا منهم. وأصله من تفض العمامة بعد لفها . اه
وفي لسان العرب : يقال كار عمامته على راسه اذا لفها ، وحرار عمامته اذا نقضها .

حرب المدنية الاوربية

والمقارنة بينها وبين المدنية الاسلامية ، والفتوحات العربية

لقد أرتنا هذه الحرب من ضروب العبر ، ما لم يكن يخطر قبلها على قلب بشر ، وهتكت لنا من أستار الرياء ، ما أراتنا كثيرا من حقائق الاشياء ، التي لم يكن يلمحها الا أفراد الحكماء ، فظهر للذكي والبليد ، والغوي والرشيذ ، ان هذه المدنية المادية ، مدنية قوة وحشية ، وشهوات بهيمية ، كانت تخدع الابصار وتقتن البصائر بما يدعيه أهلها في زمن السلم من حب الحق والتحلي بلباس الفضائل ، واقامة ميزان العدل ، وثل عروش أئمة الجور والظلم ، جبا في سعادة الناس ، ورغبة في المساواة بين الافراد والاجناس

وقد كان من مقدمات هذه الحرب بين الدول الكبرى حربان في البلقان ، اقترف فيها البلقانيون من ضروب القسوة وفضائع العدوان ، وتقتيل الشيوخ والولدان ، وهتك الاعراض ونهب الاموال ، ما لم يعرف التاريخ أقبح منه منظرا ، ولا أسوأ عاقبة وآثرا ، ولم يكن يخطر في بال أحد أن هذه الموبقات يمكن ان يقع مثلها من دولة من الدول الكبرى ، دول العلم والفنون والمدنية الرائعة في هذا العصر الذي يفضلونه على جميع العصور ، ويسمونه عصر الحضارة والنور ، نعم ان أنواره المادية يكاد شمعها يذهب بالابصار ، ويمكن ان يفضل بها الليل على النهار ، ولكن يتمثل لك في هذا الضوء عالم المدنية ، هيكلا من هياكل الوثنية ، قد نصب في محرابه تمثال القوة الحربية ، واضعا إحدى قدميه على الحق والاخرى على الفضيلة ، واقفا يمينه راية القهر والسلطة ، وبشمالها راية الشهوة واللذة ، والناس ما بين راحه له وساجد ، ومحرق للبخور ومقدم للذبايح

قلما كان أحد من الناس يظن ان دول العلم والحضارة تقترب مثل ذلك الظلم والعدوان ، وتجترح تلك السيئات التي اجتاحتها شعوب البلقان ، فجاءت هذه الحرب مكذبة لظن الخير فيها ، وأحققت من القضاء بالقسوة والفضاعة عليها شر ما أحقت على من قبلها ، اذ كانت أقدر على التكيل والتدمير من البلقانيين الذين

هم حالة عليها ، بقدر ما آتاه العلم من أسبابها وآلاتها ، فقد جعلت العلم الجدير بأن يكون مصدر العدل والرحمة والسعادة ، مصدرا للظلم والقسوة والشقاوة ، فهذه دولة ألمانيا الممتازة بسعة العلوم واتقان الفنون ، قد امتازت بما اخترعته من آلات التخریب وأسباب الموت ، وينقل لنا عنها محاربوها ما تقشع منه الجلود ، ويتصدع من هول الحجر الجمود ، من مدافع تدرك الحصون والمعقل ، وغواصات تنسف البوارج والبواخر ، وغازات سامة يتكون منها دخان أخضر ، يقتفي آثاره الموت الأحمر ، فهو مصداق قول الله تعالى (فارتقب يوم تأتي السماء بدخان مبين * يغشى الناس هذا عذاب اليم)

وضعوا للحرب قوانين لتخفيف نكباتها ومصائبها مستمدة محاسنها من الشريعة الاسلامية شريعة العدل والرحمة ، ولكن ثبت انهم مارعوها حق رعايتها ، وإنما يعملون بها في بعض الامور الظاهرة المشتركة بين كل من المتقاتلين كعاملية الاسرى ، ومن آمن منهم ان يعاقب بمثل عاقب به لمعجز خصمه أو لا مكانه إخفاء جنايته ، لم يلتزم أحكام قوانين الحرب وحقوق الدول ولا معاهداتها احترامها ، أو حبا في الحق والعدل اللذين توضع القوانين والعهود لاجلها .

فأين حرب هذه الامم والدول التي خدع الناس كلهم حتى المسلمون بها ، وصاروا يباهون بفضائلها ، وارتقاءها في معارج المدنية الانسانية بعلمها وفنونها ، — من حرب الصحابة الذين كان أكثرهم أميين ؟ تلك الحرب التي لم يعرف التاريخ البشري مثلها في رعاية الحق والعدل والورع ، واستعمال الرأفة والرحمة في السر والعلن ، بل شهد فيلسوف التاريخ والاجتماع (غوستاف لوبون) للعرب كلهم بذلك فقال : ما عرف التاريخ فاتحا أعدل ولا أرحم من العرب . فبذلك العصر النوراني فليفاخر المفاخرون ، لا بعصر الوحشية المنظمة التي جاء بها القرن العشرون

هل نقل ناقل أو قال قاتل ان أحدا من الصحابة عليهم الرضوان أو ممن حارب معهم من التابعين انتهك عرضا ، أو قتل شيخا أو امرأة أو غلاما ، أو سلب لأحد من أعدائه مالا ، أو هدم كنيسة أو ديرة أو قتل راهبا أو قسيسا ؟ أو مثل بقتيل ،

أو أجهز على جريح ؟ كيف وقد كان الرسول (ص) يوصيهم بمثل قوله « انطلقوا باسم الله وبالله (ص) ولا تقتلوا شيخا فانيا^(١) ولا طفلا صغيرا ولا امرأة ، ولا تغلوا ، وضموا غنائمكم ، (واحسنوا ان الله يحب المحسنين) » رواه أبو داود من حديث انس بن مالك - وروى احمد من حديث ابن عباس قال قال رسول الله (ص) اذا بعث جيوشه قال « اخرجوا باسم الله تعالى تقاتلون في سبيل الله من كفر بالله ، لا تغدروا ولا تغلوا ولا تمثلوا^(٢) ولا تقتلوا الولدان ولا أصحاب الصوامع » ومن وصايا الخليفة الأول أبي بكر الصديق (رض) المقتبسة من مشكاة النبوة مارواه مالك في الموطأ عن يحيى بن سعيد ان ابا بكر بعث جيوشا الى الشام فخرج يمشي مع يزيد بن أبي سفيان - وكان يزيد أمير ربيع من تلك الارباع - فقال اني موصيك بعشر خلال : لا تقتل امرأة ولا صبيا ولا كبيرا هرماء ، ولا تقطع شجرا مشمرا ، ولا تخرب عامرا ، ولا تعقرن شاة ولا بعيرا الا لما كله ، ولا تعقرن نخلا ولا تحرقه ، ولا تغلل ولا تحنن^(٣)

نعم قد كان يقع قليل من الشذوذ يقابل بالانكار، الا اذا دفع اليه الاضطرار ، والنادر لا حكم له . روى الشيخان وأصحاب السنن ما عدا النسائي وغيرهم عن ابن عمر قال : وجدت امرأة مقتولة في بعض مغازي النبي (ص) فنهى رسول الله (ص) عن قتل النساء والصبيان .

وروى احمد وأبو داود والنسائي وابن ماجه وغيرهم عن رياح بن ربيع انه خرج مع رسول الله (ص) في غزوة غزاها وعلى مقدمته خالد بن الوليد فمر رياح وأصحاب رسول الله (ص) على امرأة مقتولة مما أصابت المقدمة فوقفوا ينظرون اليها

(١) المراد بالشيخ الفاني من لا يقاتل وقد كان الناس كلهم مقاتلة الا هؤلاء الذين نهى الحديث عنهم والقاعدة الاسلامية العامة انه لا يقاتل الا من يقاتل (٢) الغلول الخيانة والغنائم . والتمثيل تشويه الأعضاء بنحو قلع العين وجذع الانف وصلم الاذن . وقد حرم الاسلام بالتمثيل بالقتلى فضلا عن الاحياء ، وقد ثبت وقوع التمثيل في حرب المدينة الاوربية وفي الحرب البلقانية قبلها

(٣) أخن الرجل خبأ في خبنة ثوبه أو سراويله شيئا . والخبنة بالضم طية الثوب وثنيته . وفي نسخ الموطأ المطبوعة وأكثر الكتب التي نقلت عنه : ولا تحنن بالجيم

حتى لحقهم رسول الله (ص) على راحلته فأفرجوا عنها ، فوقف عليها رسول الله (ص) وقال : ما كانت هذه لتقاتل — وقال لأحدهم — الحق خالدا قتل له لا تقتلوا ذرية ولا عسيفا ^(٢) وروى أبو داود في مراسيله عن عكرمة ان النبي (ص) مر بامرأة مقتولة يوم حنين فقال « من قتل هذه » ؟ فأخبره رجل انه كان غنمها فلما رأت الهزيمة أهوت الى قائم سيفه لتقتله به فقتلها قبل ان تقتله . ولا أتدكر قتل امرأة في مغازي النبي (ص) غير هاتين الا تلك المرأة اليهودية التي أمرها زوجها ان تلقي الرمح على بعض المسلمين في غزوة بني النضير ليقتلوها فلا تعيش بعده اذ كان موطنها نفسه على ان يقاتل حتى يقتل ففعلت

وقد كان وفق النبي (ص) بالنساء أعظم من ذلك فقد روى ابن اسحق ان بلالاً مر بصفية وابنة عم لها على قتلى يهود بعد سقوط حصن بني أبي الحقيق فلما رأت المرأة القتلى صكت وجهها وصاحت وحشت التراب على وجهها فقال النبي (ص) لبلال « أتزعت الرحمة من قلبك حين تمر بالمرأتين على قتلاهما » ؟

ومن ضروب العبرة في حرب المدينة الاوربية كثرة ما يتقاضونه من البلاد التي يتحونها من الغرامات ، وما يفرضونه عليها من الأتاوات ، وقد كان المسلمون الاولون يكلفون أهل البلاد ضيافة ثلاثة أيام ، لضرورة الحاجة الى القوات وعدم تيسر أسبابه بالطرق النظامية المتبعة في هذه الأيام ، وأما الجزية والمخراج اللذان يفرضونهما على أهل البلاد فيها أقل مما تفرضه كل حكومة من حكومات الارض على أبناء جنسها في بلادها ، دع ما تفرضه الحكومات الاوربية في مستعمراتها ، فهو يستغرق معظم غلات أرضها ، فلا يبقى لأكثر أهلها منها الا ما يسد الرمق ، ويستعين به على مداومة العمل ، وقد قرأنا في الصحف ما فرضه الألمان على أهل بلجيكة من الغرامات وما حملهم من الاثقال ، بعد ما حل بهم ما حل من الحزى والتكال ، فإذا هو مما تعجز عن حملة الجبال لالجمال ، ولا غرو فان كل حظ أهل هذه المدينة المادية

(١) الصيف الاجير

من الحياة والدافع لها إلى القتال ، إنما هو الاستكثار من جمع الأموال ، والتمتع بالثروة والعظمة والسلطة والجاه ، ولو ظفر البلجيكيون بالألمان ، لأنزلوا بهم الخزي والهوان ، وعاملوهم كما عاملوا أهل الكونغو منذ أعوام ، فأين هذا من عفة المسلمين ولا سيما الصحابة الكرام .

روى البلاذري في فتوح البلدان عن سعيد بن عبد العزيز قال : بلغني أنه لما جمع هرقل للمسلمين الجوع وبلغ المسلمين أقبالهم عليهم لوقعة اليرموك ردوا على أهل حمص ما كانوا أخذوا منهم من الخراج وقالوا قد شغلنا عن نصرتكم والدفع عنكم . فأنتم على أمركم . فقال أهل حمص : لولايتكم وعدلكم أحب إلينا مما كنا فيه من الظلم والغشم ، ولندفن جند هرقل عن المدينة مع عاملكم . ونهض اليهود فقالوا : والتوراة لا يدخل عامل هرقل مدينة حمص إلا أن تغلب ونجهد . فأغلقوا الأبواب وحرسوها . وكذلك فعل أهل المدن التي صولحت من النصارى واليهود ، وقالوا إن ظهر الروم وأتباعهم على المسلمين صرنا إلى ما كنا عليه ، وإلا فانا على أمرنا ما بقي للمسلمين عدد . فلما هزم الله الكفرة (يعني الروم أي الرومانيين) وأظهر المسلمين قهوا مدنهم وأخرجوا المقلسين وأدوا الخراج . اهـ

وفي رواية أحفظها ولا أتدكر موضعها الآن أن الصحابة لما ردوا ما كانوا أخذوا من الجزية قالوا انا كنا أخذناها جزاء حمايتكم والدفاع عنكم وقد عجزنا الآن عن ذلك . فحلف الأهالي أن أبناء دينهم ما كانوا ليرجعوا مالا أخذوه الخ . فقبل عهد من فأنح في الأولين والآخرين أن يرد الخراج إلى أهل البلاد التي يفتحها ، بناء على أن الخراج لا يباح أخذه إلا لأجل حفظ البلاد والدفع عنها ، وإن المعجز عن ذلك وإن كان في سبيل الدفاع عن تلك البلاد يوجب رد الأموال إلى أصحابها ؟ لا لا ، إن هذا العدل والورع لم يعرفه البشر إلا من الصحابة رضي الله عنهم ، فإن كان من وليهم من خلفاء العرب وامرائهم دونهم ، فهم يفضلون سائر الأمم في رقتهم وقناعتهم

كان بنو أمية أحرص العرب على نعيم الملك وسعة العيش ، فخرجوا في كثير من أمر السلطة والتصرف في بيت المال عن السنة المتبعة وسيرة الخلفاء الراشدين

وانما استقام عليها منهم عمر بن عبد العزيز . أما سيرتهم في الغزو والقضاء بين الناس وإدارة البلاد فكانوا يتحرون فيها العدل والرحمة ، وكذلك كانت سيرة العباسيين في الشرق ، والامويين في الغرب (أي الاندلس) ومن شذ عن ذلك لغير سبب حفظ الملك كان مذموما وعرضة للعقاب ، وقد تضاعفت ثروة الممالك واستبحر عمرانها بعد أن انتزعوها من الروم والفرس . بما كانوا يسوسونها به من الرحمة والعدل ، ولم يفتن لهذا بعض الكتاب الذي انبرى في هذه الايام الى ذم ولاية العرب بكونهم لم يكن لهمم إلا جباية الخراج ، وقوله في أفراد منهم إنهم لم يفعلوا شيئا للبلاد ، أو لم يقل فلان المؤرخ انهم فعلوا شيئا — وهو يعلم علما ضروريا ان عدم القول لا يستلزم عدم الفعل ، وان ماسكت عنه زيد يجوز ان لا يسكت عنه عمرو ، ويعلم علما تقليا أن مزية الفاتحين الاولين من العرب هي العدل والرحمة لا الصناعة التي امتاز بها مؤسسو الاهرام وأمثالهم ، وكانت ولا تزال شاهدة على استبدادهم وظلمهم كتب بعض عمال عمر بن عبد العزيز يشكو اليه قلة دخل بيت المال بمصر بكثرة دخول الناس في الاسلام ، ويستأذنه في ضرب جزية على المسلمين . فكتب اليه عمر هذه الكلمة العالية « ان محمدا (ص) بُعث هاديا ، ولم يبعث جاييا » وكتب اليه عدي بن أرطاة : أما بعد أصلح الله أمير المؤمنين فان قبلي أناسا من العمال قد اقتطعوا من مال الله عز وجل مالا عظيما لست أرجو استخراجهم (وفي رواية : لست أقدر على استخراجهم) من أيديهم الا أن أمسهم بشيء من العذاب . فان رأى أمير المؤمنين ان يأذن لي في ذلك فعل « فأجابه بقوله : « أما بعد فالعجب كل العجب من استئذانك إياي في عذاب بشر ، كأنني لك جنة من عذاب الله . وكان رضائي عنك ينجيك من سخط الله عز وجل ، فانظر من قامت عليه ينة عدول فخذها بما قامت عليه به البينة ، ومن أقر لك بشيء فخذها بما أقر به ، ومن أنكر فاستحلفه بالله العظيم وخل سبيله . وأيم الله لأن يلقوا الله عز وجل بخياناتهم ، أحب الي من ألقى الله بدمائهم . والسلام »

وروي عن يحيى الغساني أنه قال : لما ولاني عمر بن عبد العزيز الموصل قدمتها فوجدتها من أكثر البلاد سرقا وتبعا ، فكتبت الى عمر أعلمه حال البلد وأسأله :

أخذ الناس بالظنة ، وأضربهم على التهمة ، أم أخذهم بالينة ، وما جرت عليه السنة ؟ فكتب الي أن خذ الناس بالينة وما جرت عليه السنة ، فإن لم يصلحهم الحق فلا أصلحهم الله . قال يحيى ففعلت ذلك فما خرجت من الموصل حتى كانت من أصلح البلاد وأقلها سرقا وقبا .

ومن ضروب العبرة في هذه الحرب ما تراه في كلام كثير من الكتاب من بنائها على قاعدة من قواعد المدنية الحديثة قررها الألمان وتوسعو في فلسفتها وألفوا فيها الكتب ، وواقفهم عليها من واقفهم بالقول والفعل أو بالفعل دون القول - وهي قاعدة « الحق القوة » - وقد نشرنا في الجزء الذي قبل هذا مقالا في شأن الكتاب الذي ألفه أحد قواد الألمان وعلمائهم (الجنرال فون برنهاردي) في ذلك وسماه (المنطق والمبادئ في الحروب) وفي نقد مجلة القرن التاسع عشر الانكليزية له ، ومنه تعلم أنهم جعلوا الأثرة وتفضيل الاقوياء على الضعفاء حتى في الحقوق المدنية مما تقتضيه الفضيلة والحكمة بل زعموا أنه من أصول الديانة المسيحية وأحكامها ، وان مساواة الشعب الغالب للشعب المغلوب لا يجوز في نظر العلم والفلسفة ولا في حكم الدين ندع لعلماء اللاهوت ورجال الكنيسة حكمهم فيما عراه الجنرال الألماني وغيره الى الديانة المسيحية مع اعتقادنا أن من آداب دين المسيح عليه السلام المبالغة في الايثار (الذي يعبر عنه القوم بانكار الذات) وهو ضد الأثرة التي يدعيها هذا الفيلسوف الألماني وغيره ، فهو ينافي طلب السلطة وانتزاع ملك الناس وملكهم بالقوة ، لاجل التمتع بالجاه والذرة ، لان من قواعد الانجيل ان يعطي المؤمن ماله لغيره ، فكيف يتفق هذا مع انتزاعه من غيره ما يملكه ؟ وأما الاسلام فهو وسط بين هذه المدنية المادية ، وبين زهد المسيحية ، فهو دين سيادة وسلطة مدنية ، وفضيلة أدبية روحية ، فالايثار فيه فضيلة مندوبة ، وهو في المسيحية فريضة مطلوبة ، قال الله تعالى في وصف المؤمنين (ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة) . وأما قاعدة الاسلام في الاحكام فهي العدل والمساواة في الحقوق بين المؤمن والكافر ، والبر والفاجر ، والقريب والبعيد ، والحبيب والبغض ، قال تعالى (٥ : ٨٠) ولا يجرمنكم شنآن قوم على ان لا تعدلوا ، اعدلوا هو أقرب للتقوى) والآيات في هذا

المعنى كثيرة أوردنا طائفة منها في الرد على الكاتب الأمريكي الذي زعم - فيما كتبه بمناسبة إلغاء الدولة العثمانية الامتيازات الاجنبية - ان الشريعة الاسلامية جاءت بعدم المساواة بين المسلم وغيره ، وبيننا هناك انه لا تعرف شريعة في الارض قررت هذه المساواة غير الشريعة الاسلامية . وقد جرى على ذلك الخلفاء الراشدون على وجه الكمال ، وكان هو الاصل والقاعدة عند الامويين والعباسيين في القضاء . وانما وقع الشذوذ والخروج عنه في بعض الاحكام السياسية والعسكرية

واقعة مساواة عمر بن الخطاب بن علي صهر الرسول وابن عمه وبين رجل من عامة اليهود ، وغلط عمر في تسمية اليهودي وتكنية علي ، واستياء علي منه لتفضيله اياه على خصمه بالتكنية ، واعترافه هو بأن ذلك خطأ - واقعة مشهورة معروفة . وقد جرى لعمر بن عبد العزيز ما يقرب منها :

قال الحكم بن عمر الرعي : شهدت مسلمة بن عبد الملك يخاصم اهل دير اسحق عند عمر بن عبد العزيز بالناعورة ، فقال عمر لمسلمة : لا تجلس على الوسائد وخصماؤك بين يدي . ولكن وكل بخصومتك من شئت والا فجائي ^(١) القوم بين يدي . فوكل مولى له بخصومته ففضى عمر عليه بالناعورة . ذكره الحافظ ابن الجوزي في سيرته

قلت ان هذه الواقعة تشبه واقعة علي مع اليهود . وأعني بالتشبيه المساواة في التكريم والاحترام بين الرفيع وان كان بيت النبوة أو الملك وبين سائر الناس حتى من غير المسلمين ، فعلي كان سيد آل بيت الرسول وعمادهم ، ومسلمة كان من بيت الملك فهو ابن عبد الملك بن مروان ، وناهيك بما كان لبني عبد الملك من العز والسلطان .

أما المساواة في الحقوق نفسها فكانت هي الاصل الذي يجري عليه كل الحكم الا من شذ لا سباب عارضة أو لفساد في خلق الشخص ووقائعها في عهد عمر بن عبد العزيز لا تحصى . وقد كان أول مظلمة رفعت اليه يوم توليته مظلمة

«١» اي اجلس بازائهم جاثيا على ركبتك مثلهم اذ لا تميز في الخصومة بين ابناء الخلفاء والامراء وبين دهماء الناس كاهل الدير وغيرهم

ذمي من أهل حمص ادعى ان العباس بن الوليد بن عبد الملك اغتصبه أرضه ، قال عمر : يا عباس ماتقول ؟ قال أقطعنيها — أي الأرض — أمير المؤمنين الوليد بن الملك وكتب لي بها سجلا . فقال : ماتقول يا ذمي ؟ قال يا أمير المؤمنين أسألك كتاب الله عز وجل . فقال عمر : كتاب الله أحق ان يتبع من كتاب الوليد بن عبد الملك ، اردد عليه يا عباس ضيعته . فردها عليه

وقد كان أهل بيت الملك من بني أمية تأثلوا ضياعا ومزارع كثيرة من بيت المال ، وكان لبعض الناس في بعضها حق أو مقال ، فلما ولي عمر بن عبد العزيز ردها ، وكان أول ما بدأ به رد ما كان له ولولده من ذلك

وروى انه استشار مولاة مزاحما في ذلك فقال : يا مزاحم ان هؤلاء القوم اعطونا عطايا والله ما كان لهم ان يعطونا اياها وما كان لنا ان نقبلها ، وان ذلك قد صار الي ليس علي فيه دون الله محاسب . فقال له مزاحم يا أمير المؤمنين هل تفري كم وادك ؟ اتهم كذا وكذا . قال فذرفت عيناه فجعل يستدمع ويقول . أكلهم الى الله تعالى . ثم ذهب مزاحم وذ كر ذلك لعبد الملك بن عمر عسى ان يكف أباه عن ذلك . فقال له عبد الملك : بئس وزير الدين أنت يا مزاحم . ثم وثب فانطلق الى بيت أبيه عمر فاستأذن عليه فقال له الآن : ان أمير المؤمنين قد وضع رأسه للقائلة . قال استأذن لي . قال : أما ترجمونه ليس له من الليل والنهار الا هذه الواقعة . قال عبد الملك : استأذن لي لا أم لك . فسمع عمر الكلام فقال : من هذا ؟ قال هذا عبد الملك . قال ائذن له . فدخل عليه وقد اضطجع للقائلة فقال : ما حاجتك يا بني في هذه الساعة ، قال : حديث حدثني مزاحم . قال فأين وقع رأيك من ذلك ؟ قال وقع رأيي على انفاذه . قال فرفع عمر يديه وقال : الحمد لله الذي جعل لي من ذريتي من يعينني على أمر ديني . نعم يا بني ، أصلي الظهر ثم أصعد المنبر فأردها علانية على رؤوس الناس . فقال عبد الملك : ومن لك بالظهر يا أمير المؤمنين ! ومن لك ان بقيت الى الظهر ان تسلم لك نيتك الى الظهر ! فقال قد تفرق الناس ورجعوا للقائلة . فقال عبد الملك تأمر مناديك ينادي : الصلاة جامعة . فيجتمع الناس (قال اسماعيل بن أبي حكيم الراوي لهذه الواقعة وهو من رجال صحيح مسلم) فنادى المنادي : الصلاة

جامعة. فخرجت فأتيت المسجد فجاء عمر فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال :
أما بعد فإن هؤلاء القوم قد كانوا أعطونا عطايا والله ما كان لهم ان يعطوناها ،
وما كان لنا ان نقبلها ، وان ذلك قد صار اليّ ليس عليّ فيه دون الله محاسب . ألا
واني قد رددتها وبدأت نفسي واهل بيتي . اقرأ يا مزاحم .

قال الراوي : وقد جيء بسفط قبل ذلك - او قال جونة - فيها تلك الكتب .
فقرأ مزاحم كتابا منها فلما فرغ من قراءته ناوله عمر - وهو قاعد على المنبر ويده
جلم (أي مقص) فجعل يقصه بالجلم ، واستأنف مزاحم كتابا آخر فجعل يقرؤه فلما فرغ
منه دفعه الى عمر فقصه ، ثم استأنف كتابا آخر ، فما زال حتى نودي بصلاة الظهر
هذه هي أحكام الاسلام فن خالفها كان خارجا عن هديه ، استعملوا القوة ، في
اقامة العدل مع الرحمة ، وبذلك ساد من ساد من خلفائهم ودولهم ، فقاعدتهم
« القوة للحق » وقاعدة المدنية الحديثة « الحق للقوة » واما المتأخرون منا فهم
مذبذبون بين ذلك لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء ، وما رأيت أصدق في وصف
القوم ووصفهم من قول شاعر بني العنبر أول شعراء الحماسة :

لو كنت من مازنٍ لم تستبح إبلي
بنو اللقيطة من ذهل بن شيبانا
إذا لقام بنصري معشر خشن
عند الحفيظة ان ذو لوثة لانا
قوم اذ الشر أبدي ناجذيه لهم
طاروا اليه زركاتٍ ووحدانا
لا يسألون أخاهم حين يندبهم
في النسائبات على ما قال برهانا
لكن قومي وان كانوا ذوي عدد
ليسوا من الشر في شيء وان هانا
يجزون من ظلم أهل الظلم مغفرة
ومن اساءة أهل السوء احسانا
كان ربك لم يخلق خشيته
سواهم من جميع الناس إنسانا
فليت لي بهم قوما اذا ركبوا
شنو الإغارة فرسانا وركبانا

ومن ضر وب العبرة في هذه الحرب ما نراه في أخبارها من الكذب والتناقض
والتعارض والتهاور والتمويه والتدليس وسوء التحريف وفساد التأويل ، يشترك في

ذلك أصحاب الشركات البرقية . والجرائد السياسية ، حتى سرى الى المجالات التاريخية والعلمية ، بل لم يعد أحد من الناس يثق كل الثقة بالنقارير والبلاغات الرسمية لانهم يرون كل خصم يكذب خصمه في أخباره الرسمية . ولو سئل أصحاب الجرائد في كل قطر من الاقطار عن سبب ما ينكر عليهم مما ذكر — لا جابوا: ان سببه الاول تضيق حكوماتنا علينا ، وإلزامها إيانا عرض كل ما نكتبه على رقباؤها الذين سلخوا حرية الكتابة منا ، مع اجتهادنا في جعل ما نكتبه موافقا لمصلحتها ، وتجنبنا من تلقاء أنفسنا كل ما نرى ان نشره مخالف سياستها .

هذا عذر عارض ، والمشهور بين الناس ان الجرائد لا تتحرى الصدق فيما تنشره لاني أيام السلم وعهد الحرية ، ولا في أيام الحرب وعهد المراقبة ، وانها تعتمد الكذب والتمويه اذا كان لها في ذلك منفعة . والحق انها تواريخ فيها الصادق والكاذب ، والحق والباطل ، تجمع بين الدرة والبعرة ، وتأتي بالذرة واذن الجرة ، وانني لا أشهد لجريدة من الجرائد التي أعرفها في الشرق انها تمثل حال البلاد التي تصدر فيها والامة التي تتكلم عنها تمثيلا صحيحا كما يعرفه المختبر للبلاد وللامة . ولو كانت هذه الجرائد في عصر رجال الجرح والتعديل من المحدثين ، لجعلوا أصحابها في عداد الوضاعين ، ولم يرتقوا بهم الى درجة الضعفاء أو المدلسين . كيف وقد ضعف بعضهم القاضي الواقدي وبعضهم قال انه كذاب وانه كان يضع الحديث . وهو من اكبر الحفاظ واشهر المؤلفين ، كتب عنه سليمان الشاذكوني كتابا ثم اتاه فسأله عما كتبه عنه قبل ان يخرج به ، فاذا هو لم يغير حرفا منه

لم تُمنَ أمة من أمم العلم بمثل ما عني به المسلمون من ضبط الرواية في القرون الاولى . فان كانوا دونوا في تواريخهم كل ما قيل ما صح منه وما لم يصح لاجل الجمع والاحصاء ، فالعمدة عندهم على الاسانيد ، فما كان محل الشبهة منها أمكن تمحيص الرواية فيه بالبحث عن رجال سنده . فاذا انفرد بعض الرواة او المؤرخين بظن في العلويين أو الامويين أو العرب — مثلا — يمكننا بالنظر في السند أن نعرف هل فيه أحد المتعصبين غير الثقات من النواصب أو الروافض أو الشعوبية فتهمة بوضعه أم لا؟ وتحرير هذه المسألة لا يمكن الا بمقال طويل ، وعلى الله قصد السبيل .

مذكرات دكتور الدكتور والارشاد

دروس سنن الكائنات

محاضرات علمية طبية إسلامية للدكتور محمد توفيق صدقي

٥

الفرق بين الهواء الداخل الى الرئتين والخارج منها

الهواء الداخل الى الرئتين تركيبه عين تركيب هواء الجو أعني هكذا: —

أكسجين ٢٠.٩٦ في المائة (١)

» » ٧٩

غاز حامض الكربونيك (وهو غاز ثاني أكسيد الفحم) ٠.٠٤ » »

بخار الماء كميته مختلفة

وحرارة هذا الهواء تختلف باختلاف الجهات والأوقات وغير ذلك

أما الهواء الخارج من الرئتين فتركيبه كما يأتي: —

أكسجين ١٦.٠٣ في المائة

» » ٧٩

» » ٤.٠٤

الهواء مشبع به

لحرارة الجسم

نيتروجين

غاز ثاني أكسيد الفحم

بخار الماء

الحرارة

فيفهم من ذلك أن النيتروجين لا تتغير كميته لعدم حاجة الجسم اليه من طريق التنفس فيذوب في الدم كما يذوب في الماء ولا عمل له في الجسم مطلقاً. وفائدة النيتروجين في الهواء تخفيف مقدار الأكسجين فيه، فإنا إذا استنشقتنا أكسجين

(١) هذه المقادير بالحجم لا بالوزن

خالصا احترق جسمنا بسرعة كبيرة ونحف واحتجنا الى مقادير عظيمة من الطعام لتعويض هذا النقص الكبير فلذا اقتضت الحكمة الالهية تخفيفه بالنيروجين نعم ان النيتروجين ضروري لتركيب جميع الخلايا الحية ولكنه يصل الى الجسم في الطعام وفي الشراب (كاللبن) لا بطريق التنفس — كما قلنا —

أما الاكسجين الداخل مع الهواء فكميته أكثر من كمية الخارج معه ، لانه يتحد مع هيموجلوبين الكريات الحمراء ويدور مع الدم فاذا وصل الى أنسجة الجسم جذبته اليها وأحدث به وهذا ما يسمى « بالاحتراق الداخلي » أو « التنفس الداخلي » اللازم حياة الجسم

وإذا اتحد الاكسجين مع أجزاء الجسم تولدت مواد أخرى بقاؤها ضار بالجسم ، فتدور مع الدم لتفرزها الاعضاء المختصة بذلك كالكليتين والجلد في البول والعرق

ومن هذه المواد الناشئة من الاحتراق الداخلي غاز ثاني أكسيد الفحم والماء وهذا هو السبب في زيادة غاز ثاني أكسيد الفحم والماء في الهواء الخارج من الرئتين وقد وجد علماء الفسيولوجيا أن الهواء الخارج من الصدر يشتمل أيضا على بعض مواد نيروجينية عضوية ولكنهم لم يكتبوها الى الان ماهيتها ولا تركيبها وهي السبب في رداءة رائحة هواء الغرف المسكونة ، وإذا تنفسها الانسان مرة أخرى أضرت بصحته ضررا بليغا يفوق ضرر استنشاق القليل من غاز ثاني أكسيد الفحم ، فان هذا الغاز لا يفسد تركيب أي جزء من أجزاء الجسم ، ولكنه اذا مالا الجو مات الانسان اختناقا لعدم وجود الاكسجين فيه

المواد المختلطة بالهواء

ويوجد في الاهوية المفسدة غير ذلك أيضا مواد أخرى غازية ضارة بالانسان ضررا بليغا ومن أهمها الهيدروجين المكبريت وهو الذي يتولد من المراحيض وغيرها ، وهذا الغاز يفسد الدم ويضر بالجسم أيضا

وكذلك أول أكسيد الفحم فانه سام جدا ، وهو يتولد من الاحتراق الناقص للفحم ويوجد في الهواء أيضا ميكروبات وذرات مختلفة من التراب والمعادن والفحم

وغير ذلك ، فالميكروبات تحدث أمراضا عديدة في اجسام الانساني ، وتلك الذرات تحدث أيضا نزلات شعبية والتهابات رئوية مزمنة

لهذا كله يجب أن يكون الهواء المستنشق نقيا من كل ما تقدم فلا يكثر فيه أكسيد الفحم الناشئان من أنفاس الحيوانات والنباتات ليلا ومن اشتعال النيران ، ويجب أن يكون هواء الامكنة المسكونة بعيدا عن المراحيض ، دائم التجدد ، معرضا للشمس فانها تقتل كثيرا من ميكروباته ، بعيدا عن الأتربة والمصانع التي تثير غبارا من المعادن وغيرها
سنة الله في الأكسجين والسكريون

ولا يتوهم القارئ مما سبق أن كمية الأكسجين في الهواء آخذة في النقص شيئا فشيئا بسبب التنفس وبسبب النيران ، فإن الله تعالى وضع لذلك سنة حكيمة بها يبقى الأكسجين في الهواء الى ما شاء الله ، وذلك بأن جعل الورق الاخضر لجميع النبات يحلل (بتأثير أشعة الشمس فيه) غاز ثاني أكسيد الفحم فيمتص منه الفحم ويخرج الأكسجين . وهذا الفحم بانهاده مع عناصر أخرى تتركب منه أخشابها وما فيها من صمغ وسكر وزيت وغير ذلك . فكان الفحم الخارج من الانسان وغيره من الحيوانات ضروري للاشجار فاذا أكل الانسان شيئا من هذه الأشجار عاد الى جسمه ثم يحترق فيه فيخرج في الهواء فيعود الى الشجر ، وهكذا كالدائرة

وبحركة الرياح (وهي ناشئة من اختلاف درجة حرارة الهواء) وبتماوج ذراته وانتشارها توجد حركة دائمة في هواء الارض فتبعثر الأكسجين وتشره في جميع الجهات ، ولولا ذلك لما نت الحيوانات التي في البقاع الحالية من الاشجار ومن الخطأ العظيم تغطية الوجه أثناء النوم وكذلك غلق منافذ الغرف مع وجود أشخاص فيها أو مصابيح وغيرها فإن ذلك قد يقتل الانسان

أما ثاني أكسيد الفحم المتكون من الاحتراق الداخلي فانه يوجد في الدم لاذائبا فيه بل متحدا مع عنصر الصوديوم بصورة كربونات الصوديوم أو بيكر بونات الصوديوم ، فاذا وصل هذان الملاحان الى الرئتين خرج من البيكر بونات ثاني أكسيد الفحم

بطريق الاكسوسموز، ومما يساعده في خروجه الخلايا المبطنة للحويصلات الرئوية فتفرزه. وسبب حصول الاكسوسموز هو نقصان كمية ثاني أكسيد الفحم في الهواء، كما أن السبب في دخول الاكسجين من الهواء في الدم هو أيضا قلة الاكسجين في الدم عنها في الهواء. وقبل دخول الاكسجين للدم يذوب في الرطوبة التي تغطي جدران الحويصلات الرئوية ومنها يدخل للدم. ويجب أن لا يتوهم القارئ أن كل الهواء الذي في الحويصلات الرئوية يخرج منها أثناء الشيق، فالواقع أنه يخرج جزء منه ويبقى جزء آخر، وبطريقة الانتشار يسرع أكسجين الهواء الى الداخل لكثرتة وغاز ثاني أكسيد الفحم الى الخارج لكثرتة أيضا — كما سبق بيانه —

ثقل غازات الهواء

من تأمل في تركيب الهواء والفرق بين درجات ثقل غازاته وجد أن النيتروجين من أخفها، وغاز ثاني أكسيد الفحم من أثقلها، فلذا يتكاثر هذا الغاز الأخير بقرب سطح الارض وفي الحفر وكما ارتفع الانسان نقصت كمية هذا الغاز وزادت كمية النيتروجين، ولذا كثيرا ما سمعنا بموت أشخاص هبطوا الى اماكن منخفضة كالأبار وغيرها

أما الأكسجين فلكونه أثقل من النيتروجين يكثر في الهواء المجاور للأرض ويقل في جو السماء، يشعر بذلك من تَوَقَّل [صعد] في جبل عال أو خلق في الجو بطيارة وأعظم علو أمكن للانسان أن يصل اليه في القباب الطائرة أو المناطيد أو الجبال هو ٨٨٣٨ مترا. أما الصعود بعد ذلك فيؤدي الى هلاك الانسان إما لنقص الأكسجين أو لانفكك غازات الدم منه فتحدث أعراض خطيرة. ويتعسر التنفس أو يتعذر بسبب نقص كمية الأكسجين نقصا عظيما فلا يحدث الاكسوسموز. زد على ذلك أنه اذا عاش الانسان بضع دقائق في ذلك المكان المرتفع حصل له نزف من الأنف أو الرئتين أو غيرهما لقلّة ضغط الهواء الجوي على جسم الانسان. ولتعلّم أن الصعود الى نحو ٥٠٠٠ مترا لا يوافق جمهور الناس حتى المعتادين لذلك من سكان الجبال

أما ارتفاع هواء الجو فلا يقل عن ٣٠٠ كيلو مترا

التنفس الصناعي

إذا بطل تنفس الإنسان بسبب ما كاستنشاق الكالور وفورم أو الفرق في الماء أو استنشاق غازات الاحتراق أو غير ذلك مما يبطل التنفس أمكن إعادة الحياة إلى المصاب بطريقة « التنفس الصناعي » واستعمال المنعشات ونحوها بشرط أن لا تكون المدة قد طالت ، وأن لا تكون أنسجة الجسم قد بدأ فيها أقل شيء من الفساد

أما طريقة التنفس الصناعي فهي أن تزيل كل ما أمكنك إزالته مما قد يوجد في مجاري التنفس كالماء في الفم مثلاً بان تقلب المصاب على وجهه وترفع رجله إلى أعلاه ثم تضعه على مكان عال لتتمكن منه وتخضع رأسه وتخرج لسانه بشده بمقبض (جفت) أو نحوه ثم تمسك بمضديه وتجذبها إلى أعلاه رأسه ثم تخفضها إلى جنبيه وتضغط بهما على صدره، ويستحسن أن يساعدك شخص آخر في ذلك الوقت بان يضغط على بطنه أيضاً ليرتفع الحجاب الحاجز فيحصل الشيق بسبب ذلك، أما الزفير فإن الذي يحدثه هو جذب الذراعين المذكور هنا . ويتكرر هذا العمل في الدقيقة الواحدة نحو خمس عشرة مرة ، ولا يصح اليأس من عودة الحياة إلا بعد مضي نحو ساعة على الأقل . وفي أثناء هذا العمل توضع خرق مبتلة بالماء الحار على القلب أو ينه الحجاب الحاجز بالضرب بمثل المنشفة على قسم المعدة وينشق المصاب (كبسول الأميل نيتريت) ويحقن بالاستركنين أو الأثير أو غيرهما تحت الجلد ويحقن بحمض من الخمر أو الكحول في الشرج إلى غير ذلك . فإذا فعلت جميع هذه الأشياء باستمرار عادت الحياة غالباً خصوصاً إذا كانت ضربات القلب موجودة . ومن أحسن المستنشقات في ذلك الوقت غاز الأكسجين إن وجد

جهاز الهضممقدمة في الغدة

قبل البدء في الكلام على هذا الجهاز ينبغي أن نبدأ بتعريف كلمة « الغدة » لشدة الاحتياج إليها فيما سيأتي

تطلق هذه الكلمة على ثلاثة أنواع من أجزاء الجسم : —

(١) الغدة اللمفاوية وهي عبارة عن شيء كعقدة مركبة من عدة كريات تشبه كريات الدم البيضاء ، يمسك بعضها بجانب بعض مادة تسمى باللمسوج الضام ، ووظيفتها تنقية المواد اللمفاوية من الميكروبات وغيرها ولذلك نجد كثيرا منها موضوعا في طريق الأوعية اللمفاوية بحيث تصب فيها ثم تخرج منها — كما سبق —

(٢) غدة الإفراز وهي التي تخرج مواد كثيرة من الجسم بعضها له منفعة خاصة والبعض الآخر لا نفع له وإنما تخرجه لضرر بقائه في الجسم . مثال الأول اللعاب والابن ومثال الثاني البول والعرق ، وقد يكون الشيء الخارج له نفع في الجسم ويضر بقاؤه فيه كالمرة وهي المادة الصفراء التي يفرزها الكبد

وتتركب الغدد الإفرازية من غشاء مجهري [ميكروسكوبي] يوجد على سطحه خلايا الإفراز وتكون طبقة واحدة في الغالب ، وتوجد عدة طبقات منها في مكان شهير بالجسم وهو الخصية ، وعلى الجانب الآخر من هذا الغشاء المذكور توجد أوعية الدم ومنها تخرج المواد بطريق الأوكسوموز فتصرف فيها الخلايا وتخرج منها مواد كيميائية عجيبة التركيب

أما أشكال هذه الغدد فمنها الكيسي وذلك بأن ينبعج الغشاء الى جهة الأوعية الدموية فيتكون كيس صغير مبطن بالخلايا وله فوهة يخرج منها الإفراز ومنها الأنبوبي وهي التي يكون لها تجويف كالأنبوبة لا كالكيس ، ومنها الأنبوبي المتفرع ، ومنها عنقودي الشكل ، ومنها المتلوي

ويلاحظ أن في هذا النوع من الغدد قناة في داخل الغدة الإفرازية وفيها تجري مفرزاتها كالابن والعرق وغيرها

أما الضرب الأول من الغدد فلا قناة لها

وأما الضرب الثالث فهو أيضا لا قناة له وهو يشمل عدة أعضاء في الجسم كالطحال (وهو نوع من الغدد اللمفاوية) والغدة الدرقية والغدة السعترية في صدور الأطفال ، وغير ذلك مما سيأتي الكلام عليه في فصل خاص والذي يهمنا في الكلام على الهضم هو الضرب الثاني

تشرح الجهاز الهضمي ووظيفته

يبتدى هذا الجهاز بالفم ثم المري ثم المعدة ثم الامعاء الصغيرة والكبيرة وينتهي بالدبر. ويصب فيه عدة افرازات من غدد متنوعة لهضم الطعام ولغير ذلك، وتتم فيه الاغذية والاشربة في مدة تختلف من يوم الى يوم ونصف وقد تكون أقل من ذلك بكثير كاحوال الاسهال وقد تكون أكثر من ذلك في أحوال الإمساك

أما الفم ففيه اللسان والاسنان وغدد اللعاب وفي نهايته توجد اللوزتان ووظيفة اللسان هي تحريك الطعام ليمتزج باللعاب ويمكن مضغه وبلعه، ومن وظائفه أيضا الكلام كما سبق، وإدراك طعوم الاشياء وليمه مدار معرفة ما ينفع الانسان وما يضره من المأكولات والمشروبات. وإدراك الطعوم اللذيذة يحرك شهوة الطعام فيجيد هضمها

أما الاسنان فهي عادة نوعان: الاسنان اللبنية أو المؤقتة، والاسنان الدائمة، وقد ثبتت للشيوخ أسنان مرة ثالثة ولكنها مسألة نادرة الحصول

أما الاسنان اللبنية فهي ٢٠ والاسنان الاخرى ٣٢ منها ١٦ في الفك الأعلى و ١٦ في الفك الأسفل

وعلى الاسنان مدار جودة هضم الطعام لأنها تهشمه وتسحقه الى قطع صغيرة لتتمكن الأعصرة الهاضمة من الوصول الى جميع أجزائه، فمن ازدرد طعامه بالامضغ أضر بجهاز الهضم خصوصا وبالجسم عموما، فيجب إطالة المضغ وإتقانه. ويجب علينا أيضا المحافظة على الاسنان وإلا أصابها العطب وقد ناهنا فنخسر جزءا عظيما من أجزاء جهاز الهضم. وأعظم شيء للمحافظة عليها هو تنظيفها جيدا وعدم استعمال شيء بارد على شيء ساخن في الفم أو بالعكس فان ذلك من أعظم ما يفسدها وأشهر أمراض الاسنان نوعان: -

(١) النوع الاول ان يصيبها الحفر (التسويس) وهو عبارة عن ثفتت جزء من عظم السن وانكشاف لبه والتهاب هذا اللب فيحصل بسبب ذلك ألم شديد يحرم الانسان لذة النوم والطعام وتموت السن لفساد أوعية الدم المغذية لها التي في داخل اللب. والميكروب المسبب لذلك يسمى (Leptothrix Buccalis) أي

«الشعرة الدقيقة الفمية» ويوجد في هذا المرض أيضا الاميبا^(١) الفمية [Amoeba] وعلاجه يكون بإعدام العصب الذي في داخل اللب بمادة كاوية كحامض الفنيك أو الكريوزوت، وذلك يطهر اللب ويسكن الألم. والاولى أن يعدم اللب بأ كسيد الزرنيخوز - كما هي العادة - ثم يحشا التجويف بالذهب أو بمواد أخرى يعرفها أطباء الاسنان كالخزف، وهو أحسن من غيره

(٢) النوع الثاني داء ريج (Rigg) وهو مرض كثير الانتشار بين الناس يبدأ بالتهاب حول جذر السن في سمحاق العظم فتسكون مواد صديدية وبضغطها على جذر السن يرتفع شيئا فشيئا حتى تسقط، وهذا الداء هو سبب سقوط أسنان كثير من الناس، وسببه دخول ميكروب خاص الى جذر السن من أي قرح صغير في اللثة وهذا الميكروب يسمى (الاستربتوكوك^(٢) اللعابي) [Streptococcus] وهو يوجد عادة في أفواه جميع الناس، إلا أنه في بعض أحوال مخصوصة كضعف البنية بسبب متا - يتمكن من إيذاء الانسان فيدخل الى جذور الاسنان وهناك يفعل فعله الشنعا.

ولا علاج ناجما لهذا الداء سوى الحقن بميكروب المرض^(٣) المأخوذ من نفس المريض كما سيأتي توضيحه والافا لمبادرة الى قلع ما يصاب به من الاسنان والاستعاضة عنها بأسنان صناعية واستعمال المطهرات المتنوعة والنظافة التامة للفم مع تقوية البنية بالاغذية الجيدة والهواء النقي وغير ذلك. ومما يسكن الألم في هذا المرض استعمال مضمضة من الخل، وهي فائدة شائعة بين العامة

وأحسن طريقة لنظافة الاسنان هي استعمال السواك خصوصا بعد كل طعام. وهو يؤخذ من شجرة الاراك، وفيه مواد عطرية مطهرة بعض التطهير للفم ومعترة

(١) اسم يوناني معناه « المتغير » يطلق على حيويين دقيق ذوخلية واحدة، وهو دائم التغير لشكله، وله حركة ذاتية

(٢) أي البزور السلسلية لوجودها بهيئة سلاسل حينما يراها الانسان بالجمهر. والكلمة يونانية

(٣) ذلك يشبه ان يكون مصداقا لقول الشاعر « وداوني بالتي كانت هي الداء »

له وتساعد على الهضم أيضا وهو يشد اللثة لقبض فيه . ويسمي الاراك بعض الافرنج (شجرة محمد) لحث الشريعة الاسلامية على استعمال السواك كما هو معلوم ، ولا يعني عنه الا استعمال المسفرة (الفرشة) مع بعض أدوية عطرية مطهرة قابضة ، ويجب عليها بعد كل استعمال والا تكاثرت فيها الميكروبات الضارة بالاسنان ، وكذلك يجب تجديد طرف السواك بعد كل استيائك

أسماء الأسنان ووقت ظهورها

أما أسماؤها فهي : — ثنيتان في الوسط وبجانبيهما رباعيتان ثم نابان ثم ضاحكتان ثم ست أرحاء ، ثلاث في كل جانب ، ثم تاجدان ، واحد في اليمين وآخر في اليسار وهما آخر الاضراس . وذلك في كل من الفكين الأعلى والأسفل

وقت ظهور الأسنان

الاسنان اللبنية تظهر في الطفل من الشهر السادس الى الرابع والعشرين على

هذا الترتيب : —

الثنيتان السفليتان	٦ - ٩ أشهر
الثنيتان العلويتان والرباعيتان العلويتان	٨ - ١٠ أشهر
الرباعيتان السفليتان والضواحك	١٥ - ٢١ شهرا
الأنياب	١٦ - ٢٥ شهرا
الأرحاء	٢٠ - ٢٤ شهرا

وليس للطفل سوى أربع أرحاء في فمه ، وأسنانه كلها عشرون فقط وهذه المدد تقريرية فانها تختلف كثيرا بحسب بنية الاطفال واختلاف أمزجتهم وغير ذلك ، فمنهم من يولد وفيه اثنايا ظاهرة ، ومنهم من يتأخر ظهور أسنانه الى نهاية السنة الثانية أو الى عدة سنين بعدها

وفي وقت ظهور الاسنان تصاب الاطفال عادة ببعض اعراض مرضية كالاسهال والقيء والحش والضعف . ومتى كملت أسنان الطفل العشرين يمكن بها الى السنة السادسة أو السابعة ثم يظهر خرس (رجي) خلفها في السنة السادسة أو السابعة وتسقط (المنار ج ٣) (٢٦) (المجلد الثامن عشر)

بأقي الأسنان واحدة بعد الأخرى ويظهر مكانها غيرها على هذا الترتيب : —

في السنة السادسة : الأرحاء الثانية

» » السابعة : الثنايا

» » الثامنة : الرباعيات

» » التاسعة : الضواحك

» » العاشرة : الأرحاء الأولى

» » ١١ — ١٢ : الأنياب

» » ١٢ — ١٣ : الأرحاء الثالثة

» » ١٧ — ٢٥ : التواجذ

فترى من هذا أن الأسنان التي تظهر في السنة ١٢ أو ١٣ يمكث الشاب بها إلى السنة ١٧ فيظهر خرس العقل أو الخلم وهو التاجد إما في هذه السنة أو فيما بعدها إلى ٢٥ أو ٣٠ وفي النادر أن يتأخر عن ذلك

أما أسنان الشيوخ — ان ظهرت — فيكون ظهورها بين السنة ٦٣ و ٨١

وجوب أكل الانسان اللحم والنبات

بالتأمل في أسنان الحيوانات المختلفة نرى ان آكلة اللحوم اسنانها حادة جدا ، أما أسنان الحيوانات الآكلة للنباتات ونحوها فهي كيلة ، وأسنان الانسان متوسطة في حداثتها بين الطرفين . وكذلك اذا نظرنا في مقياس أمعاء الحيوانات المختلفة نجد أن أمعاء آكلة اللحوم قصيرة وآكلة الخضر وات ونحوها طويلة وأمعاء الانسان وسط بينهما ، وذلك يدلنا على أن الانسان بطبيعته يجب أن يأكل اللحوم والخضر وات جميعا ، وفي ذلك اعظم دليل على خطأ مذهب النباتيين فانه مخالف للطبيعة البشرية ، هذا وقد وجد ان الفيران البيضاء وهي التي لا يؤثر فيها ميكروب الجرعة الخبيثة تتأثر به اذا غذيت بالنباتات فقط . فلا يبعد أن يكون الانسان كذلك بمعنى أنه يصير عرضة لبعض الامراض إذا اقتصر على الخضر وات (راجع صفحة

اللغاب

يتواجد اللغاب من عدد مخصصة وهي ثلاث: الغدة الذكفية وموضعها تحت
الاذن وأمامها، وتسمى أيضا الاذنية، ولها قناة تمتد منها الى الفم تسمى قناة
ستنسون (Stenson) وفتحتها بقرب الرحي الثالثة للفك الاعلا

والغدة الثانية تحت الفك الأسفل ولها قناة تسمى قناة هوارتون (Wharton)
تصب بجانب قيد اللسان، وفتحتها مرتفعة قليلا كحلمة صغيرة
والغدة الثالثة تسمى « الغدة التي تحت اللسان » لأنها تحت الغشاء المخاطي
المتكون منه قيده، ولها عدة قنوات بعضها يفتح في الفم مباشرة وهو الأكثر والبعض
الأخر تتكون منه قناة أكبر تصب في قناة هوارتون المذكورة

واللغاب مركب من ماء وزلال وأملاح متعددة ومادة مخصوصة تسمى
« اللغابين » وهي أهم ما فيه. « واللغابين »^(١) من الجائز التي سيأتي توضيحها في الفصل
التالي. وفي لغاب الانسان أيضا آثار من مادة سامة جدا لا تعرف فائدتها الآن،
وربما كانت مما يقتل الميكروبات. ووظيفة اللغاب أن يرطب الطعام حتى يسهل مضغه
وإزدراده ويذيب بعض مواده ليترك طعامها وهو ضروري للنطق الفصيح ويهضم
المواد النشوية التي في الطعام فيحولها الى سكر يسمى الملتوز (أوسكر الشعير)^(٢)
ويستمر تأثير اللغاب في المواد النشوية حتى بعد وصولها الى المعدة بنحو ربع أو
نصف ساعة حتى يفسد عصير المعدة الحمضي مادة اللغابين فيبطل تأثيرها في النشا.
واللغابين لا يهضم النشا غير المطبوخ لانه لا يؤثر في مادة « السملولوز » المحيطة
بذراته، وهي مادة الخشب أيضا

(١) في اصطلاح علم الكيمياء كثيرا ما يتركب اسم المادة الفعالة في الشيء
بإضافة (بن) إليه مثلا (البنين) هو اسم المادة الفعالة في البن أو القهوة ولذلك
يسمى أيضا (القهوين) وهكذا. فاللغابين مادة اللغاب الفعالة في الهضم وقد جاربنا
هذا الاقترن في هذا الاصطلاح كما جاربناهم في غيره مما سبق بيانه لسبقهم لنا في
العلم والاختراع والاكتشاف

(٢) سمي بذلك لانه يتولد في الشعير النبات (Malt) وغيره لتغيرات كيميائية
تحصل في نشائه اذا ابتل بالماء

اللوزتان

اما اللوزتان فهما غدتان لمفاويتان موضعهما على جانبي الحلق في منتهى الفم يخرج منهما كريات بيضاء تخرج باللعاب أو تسير في الدم . وفائدتهما قتل بعض الميكروبات بهذه الكريات البيضاء وقتل ما يقف عليهما من الميكروبات أيضا أو يدخل فيهما ، فهما كحصنين يقتلان ما اقرب منهما ويبعثان بجنودهما في اللعاب لقتل بعض الاعداء التي تحمل في أجزاء الفم المتنوعة . وهذان الجسمان كثيرا ما يحصل فيهما التهاب تحدث عنه الحمى ويمرض الجسم بسببها ، وعلة حصول هذا الالتهاب ضعف البنية ودخول ميكروبات كثيرة فيهما فيزداد حجمهما وتكثر كرياتهما ليتغلبا على هذه الميكروبات ، فإن نجحنا حفظا الجسم من خطر عظيم - وإن كان الانسان يمرض بضعة ايام اثناء هذه الحرب - وإن غلبا تكون فيهما خراجات أو أفلت بعض الميكروبات منهما الى الدم فتنشأ عن ذلك أمراض متنوعة كالروماتزم (الرثية) وآفات القلب وغير ذلك . ويقل التهابهما في الأقوياء لأن كرياتهم البيضاء تكون قوية فتقتل الميكروبات بسهولة بدون حاجة الى إثارة حرب عامة

كلمة في الخماثر

يحصل تخمر الأشياء بسبب وجود ميكروبات مخصوصة ، ومن أشهر أنواع هذه الميكروبات ما يحول السكر الى غول (كحول) ^(١) وغاز ثاني أكسيد الفحم ، ولهذا التخمر سميت الخمر خمر في أحد الأقوال . وهو السبب في فورانها وحرارة طعمها ومن الميكروبات ما يحول بعض أنواع السكر (سكر اللبن) الى حامض اللبنيك ، وهو السبب في حموضة اللبن فاذا امكنا منع الميكروبات من الوصول

(١) يسمى الكحول بالفرنسية (Alcool) وهو روح الخمر أو المادة الفعالة فيها وهي سبب جميع شرورها ومضارها ، ويقول الافرنج إنهم أخذوا هذه الكلمة عن اللغة العربية ، فلطاهر أنها مأخوذة من كلمة « غول » الواردة في وصف خمر الجنة في قوله تعالى (لا فيها غول) وهو ما يقتل العقول ويفسد الصحة (ولا هم عنها ينزفون) أي لا يسكرون منها لعدم وجود تلك المادة الضارة في خمر الآخرة وعليه فسنستعمل في كتابنا هذا كلمة (غول) بدل كلمة كحول أو (Alcool) والمراد بها ما يسمونه (السبرتو) (Spirit)

إلى الأشياء أو قتلناها فيها بطل كل تخمر أو تعفن ، فإذا أردنا حفظ اللبن مثلا من أن يخبث وجب أن نغليه غليا جيدا ونضعه في زجاجات معقمة (مطهرة) بحيث لا يصل إليه أي ميكروب ، فيبقى سليما من الفساد طول الدهر ، وهذه الطريقة مستعملة في جلب الألبان إلينا من البلاد الأجنبية كسويسرة وغيرها

ومن هذا يتضح أن السبب في الفساد والتعفن هو هذه الميكروبات ، وتسمى بالخائثر أما فعل هذه الميكروبات فهو إفراز مواد مخصوصة لها تأثير كيمياوي في الأجسام ، وهذه المواد المفترزة يسمونها أيضا بالخائثر . وعلى ذلك فالخائثر نوعان : الميكروبات نفسها ومفرزاتها ، وكما أن إفراز هذه الميكروبات سمي بالخائثر كذلك يسمى بعض افرازات الجسم بالخائثر أيضا لأنها تؤثر في الأجسام تأثيرا كيمياويا فتحدث فيها تغييرا بالتركيب والانهلال كتأثير إفراز الميكروبات ، وذلك مثل اللعاب الذي سبق ذكره في اللعاب . وسيأتي ذكر غيره في بحث مفرزات (عصارات) المعدة والأمعاء . وهذه الخائثر كلها تقريبا مواد آزوتية ، إما زلالية أو قريية من الزلالية — بحسب ما نعلم الآن — ما عدا اليبين فيقال أنه لا ينتروجين فيه

ومن الغرائب أن إفراز الميكروبات إذا كثر يقتل نفس الميكروبات التي تولده كما في الخمر مثلا فإن غولها يقتل ميكروباؤها وغيرها ، وإذا غلي الشيء الذي فيه هذه الخائثر بنوعها ماتت الميكروبات وفسدت الخائثر فيبطل عملها . ومن الخائثر المشهورة مادة تستخرج من غشاء المعدة الرابعة للحيوانات المجترة كالعجول تسمى بالأثفحة ، وفائدتها تحويل اللبن إلى جبن

والميكروبات هي نباتات مجهرية ، بعضها يحتاج لأوكسجين مطلق ^(١) يعيش فيه ، والبعض الآخر يعيش بغير أوكسجين مطلق

بقية الكلام على جهاز الهضم

يندفع الطعام بعد الفم إلى الحلقوم ، وهو تجويف ينفتح فيه تجويفا الأنف والفم ثم الحنجرة ، وفي أسفله المريء وفي جدران الحلقوم غدد امفاوية تشبه في منسوجها اللوزتين ، ووظيفتها

(١) أي غير متحد بشيء يتقيد به

كوظيفتهما أي أنها تقتل الميكروبات كما سبق
أما المريء فهو أنبوبة لحمية تمتد من الحلقوم إلى المعدة وطولها من ٩ إلى ١٠
بوصات ، ويدخل في تركيب جدرانها ألياف عضلية تكون في نحو ثلثه الأعلى اختيارية
وفي الباقي غير اختيارية ، وهو مبطن بغشاء مخاطي كالعتاد ، وفي المريء يمر الطعام
إلى المعدة

وأما المعدة فهي ككيس كثري الشكل تحت الحجاب الحاجز في البطن ،
ولها فتحتان : الأولى منهما متصلة بالمريء وتسمى « بالفؤاد » لقربها من القلب ،
والفتحة الثانية تسمى « بالبواب » والمعدة مركبة من ألياف عضلية ومبطنة بغشاء مخاطي
وسطحها الخارجي مغطى بغشاء مصلي وهو جزء من البريتون ^(١)
وفي الغشاء المخاطي عدة غدد لإفراز العصير المعدي . وتتحرك المعدة حركة
غير اختيارية بما فيها من الألياف العضلية وهذه الحركة تشبه مخض اللبن ويراد بها
مزج الطعام بالعصير المعدي حتى ينضمهم الهضم الأول

أما العصير المعدي فأهم ما فيه من المواد هو حامض الهيدروكلوريك ^(٢)
(بنسبة ٢ في الألف) ومادة يسميها الأفرنج (Pepsin) ونسميها بالعربية
« الماضوم » وهي خميرة تفرزها الغدد المعدية ، ويقال إنها خالية من النيتروجين
— كما سبق — وعلى ذلك فهي ليست من المواد الزلالية . ووظيفتها تحويل
المواد الزلالية إلى مادة أخرى تسمى بالافرنجية (Peptone) (أي الماضوم) وذلك
بضم عناصر الماء إلى ذرات المواد الزلالية ثم انقسامها فتحدث هذه المادة الببتونية ،
وهي سهلة الذوبان سهلة الامتصاص لكون ذراتها أصغر من ذرات الزلال

وأما الطعام فإنه يملك في المعدة نحو أربع ساعات فيها يحصل هذا الهضم
المدكور في المواد الزلالية، ويتحول سكر القصب إلى مادة أخرى سكرية ، وتقتل
جميع الميكروبات تقريباً بما في هذا العصير المعدي من الحامض فيصير الطعام
طاهراً السكلاً يضر بالجسم ، فإذا حدث للمعدة ما يقلل إفراز هذا الحامض أو يمنعه

(١) هو الغشاء المغشي للأحشاء البطنية، ومنه جزء كاندليل يسمى بالغرب، ويمكننا
أن نسمي البريتون بالعربية (الغشاء المحيط) (٢) مركب من هيدروجين وكالورين

أمكن دخول ميكروبات أو ديدان الى الامعاء ، أو الى الجسم نفسه هذا كله هو وظيفة المعدة ، ولا تأثير لها في المواد النشوية ولا في المواد الدهنية الا باسالتها وبهضم ما أحاط بها من الغلف الزلالية . والمصارة المعوية لا تنفرز الا وقت الطعام

وأول انفتاح للبواب يحصل بعد نحو ٢٠ دقيقة من نزول الطعام في المعدة فيمر الى الامعاء جزء مما في المعدة ، ثم ينغلق البواب ، ثم يتتابع هذا الفتح والانغلاق في البواب وتأخذ مدة انغلاقه في القصر ومدة انفتاحه في الطول حتى يمر الطعام الذي في المعدة شيئاً فشيئاً الى الامعاء بحيث يمر كله في نهاية الساعة الرابعة تقريباً

وبعد المعدة توجد الامعاء الصغيرة أو الدقيقة ثم الامعاء الكبيرة أو الغليظة أما الامعاء الصغيرة فطولها نحو من ٢٠ قدماً ، وتقسم الى ثلاثة أقسام :
(١) الاثنا عشري ، وطوله ١٢ أصبعاً أو ١٠ بوصات وفيه يحصل الهضم الاعظم للطعام كما سيأتي تفصيله (٢) الصائم ، سمي بذلك لوجوده فارغاً بعد الوفاة عند تشرح الجثة ، يبلغ طوله خمسي الامعاء الصغيرة الباقية بعد الاثني عشري (٣) اللقائف ، وهي الثلاثة الأخماس الباقية من الامعاء الصغيرة

وأما الامعاء الكبرى فتبتدى من الخفرة الحرقفية اليمنى بما يسمى (بالاعور) وفي أسفله مصير صغير كالودودة يسمى بالزائدة الدودية ، وفيها يحصل مرض مشهور هو التهابها الذي قد يكون سبباً في وفاة الشخص ان لم يتداركه الاطباء بالعلاج الفعال . وهذه الزائدة هي أحد الاعضاء الاثرية الشهيرة في جسم الانسان التي لما ينته الناس الى حل لمعناها أحسن مما ذهب اليه دارون ^(١) وقيل ان لها افرازاً

(١) هو العلامة الانكليزي (تشارلس دارون) عاش بين سنة ١٨٠٩ و ١٨٨٢ ميلادية . وقد ذهب الى أن الأنواع الحية ليست ثابتة ، ولم يخلق كل منها مستقلاً عن غيره بل نشأ بعضها عن بعض بالتغير التدريجي البطيء مع طول الزمان لعوامل طبيعية بينها بيانا شافيا . وقد توسع العلماء في هذا المذهب حتى طبقوه على كل شيء في هذا الوجود فصارت تشمل الجماد والامور المعنوية كالأفكار واللغات =

يحدث لنا فُطْرَد المواد البرازية وترتفع في القولون مضادة للجذب الأرضي في الحيوانات المنتصبة القامة (القرد والانسان) ولذلك لا توجد في الحيوانات الأخرى، وإذا استئصلت حدث امساك متعاص مستديم يؤدي الى ضعف الجسم ومرضه كما دلت عليه تجاربهم على ما قالوا

وبعد الاعور يوجد القولون ^(١) وهو أربعة أقسام القولون الصاعد والقولون

المستعرض والقولون النازل والتعرج السيني

ثم المستقيم الذي ينتهي بالشرح وهو فتحة الدبر

وطول الامعاء الكبيرة يختلف من ٥ الى ٦ اقدام

والامعاء مركبة من الطبقات الآتية (١) طبقة مصلية وهي من البريتون

الذي سبق ذكره (٢) طبقة عضلية مركبة من طبقتين : مستطيلة وحلقية ، والمستطيلة

في الخارج والحلقية في الداخل (٣) الغشاء المخاطي ويفصله عن الطبقة العضلية (٤)

طبقة رابعة فيها تتفرغ أوعية عديدة دموية ولمفاوية وأعصاب دقيقة . وفي الطبقة

المخاطية غدد كثيرة لا إفراز العصير المعوي ، منها نوع في الاثني عشري يسمى

بغدد (برُونَر) ^(٢) ونوع آخر في الامعاء كلها يسمى بغدد (لير كهن) وهي من

الشكل الأنبوبي البسيط . ويوجد غير ذلك في الغشاء المخاطي وتحتة منسوج

لمفاوي ، بعضه يتكون منه غدد صغيرة تسمى (بالغدد المنعزلة أو الوحيدة) والبعض

الآخر يتجمع على شكل بيضاوي يحدث بقعا في طول جدران المصران تسمى ببقع

باير (Peyer) ^(٣) وهي توجد بكثرة في اللقائف

وفي هذه الغدد اللمفاوية بنوعها يحصل التهاب بسبب ميكروب مخصوص فتحدث

== والمعتقدات والشرائع وغير ذلك . فمحصل هذا المذهب أن الكون بما فيه لم يخلق

دفعه واحدة بل خلق أطوارا طبقا لسنة التدرج والترقي . فالمذهب في الجملة صحيح

لا شك فيه ، ويكفي في إثباته قوله تعالى (وقد خلقكم أطوارا) وإنما النزاع في بعض

تفاصيله ، وسنعود الى بيان ذلك في فرصة أخرى ان شاء الله تعالى

(١) القولون اسم هذه الامعاء الغليظة باليونانية ، والكلمة من تعريب المتقدمين

(٢) نسبة لعالم ألماني يدعى « فون برون »

(٣) مشرح سويسري عاش بين سنة ١٦٥٣ و ١٧١٢

عنه الحمى المعروفة بالتيفودية أو الحمى المعوية وهذه البقع المنسوبة لباير لا توجد في الامعاء الغليظة وإنما توجد فيها الغدد المنعزلة فقط — وهي التي تكثر جدا في الأعور والزائدة الدودية —

وبالتهاب هذه الغدد التي في الامعاء الغليظة مع الأغشية المخاطية وتقرحها يحصل المرض المسمى بالدوسنتاريا (الزحار) سمي بذلك في العربية لأنه يحدث منه زحير شديد متكرر، ومن أعراضه أيضا المغص الشديد والحمى والاسهال مع نزول مواد مخاطية دموية صديدية متكررة بمقادير صغيرة في كل دفعة وفي الغشاء المخاطي للامعاء الصغيرة ما يسمى بالخشمل وهو كالأهداب لهذا الغشاء، وهو أعظم آلات امتصاص المواد الغذائية . وفيه أيضا غير ذلك ما يسمى بالصمامات الهلالية لكركنج (Kerkring) وهي عبارة عن ارتفاعات تكون من ثنيات الغشاء المخاطي على نفسه، وقائدها ان تعوق سير الطعام حتى يهضم وأن تكبر سطح الغشاء المخاطي للامعاء ليكثر إفرازه وامتصاصه للمواد المهضومة، ولذلك يبتدى وجودها بعد البواب بأصبعين أو ثلاثة وتكثر شيئا فشيئا خصوصا في الاثني عشري والصائم وكذلك تكبر تدريجا، ثم تأخذ في القلة والصغر حتى تنتهي في منتصف الفائف . ولا وجود لها في الخلل في الامعاء الكبيرة لقلة الامتصاص وعدم الهضم فيها

والحكمة في وجود الغدد اللمفاوية المذكورة آنفا هي حفظ الجسم من دخول الميكروبات فيه ولذلك تكثر في الفائف وفي الامعاء الغليظة حيث يكثر التعفن والفساد لخلو هذه الاجزاء من العصارات المطهرة، بخلاف المعدة فان عصيرها مطهر كما سبق، والصفراء في الاثني عشري من وظائفها أيضا تقليل تعفن الطعام

ويصب في الامعاء الصغيرة قناتان عظيمتان: إحداهما من عضوي يسمى باليونانية (البنكرياس) ويمكننا أن نسميه بالعربية (الغدة الجسدية) والاخرى هي قناة الكبد تحمل المرة (الصفراء) الى الأمعاء، وهاتان القناتان مجتمعان معا عند نهايتهما وتصبان بفتحة واحدة غالبا في الجزء النازل من الاثني عشري في الجهة الانسية منه

أما البنكر ياس (الغدة الجسدية) فهي أهم غدة في الجهاز الهضمي كله ، طولها نحو ٦ الى ٨ بوصات ، وموضعها خلف المعدة وموضعها مستعرض بالنسبة للجسم امام الفقرة القطنية الاولى . وتفرز عصيرا فيه خِثائر أربع هامة جدا كل منها يهضم جزءا مخصوصا من الطعام (إحداها) الهاضوم الزلالي ^(١) لهضم جميع المواد الزلالية كاللحم والبيض فيحولها الى المادة المسماة (بيتون) وهو أقوى من هاضوم المعدة المسمى بيسين بكثير (الثانية) الهاضوم النشوي وهو الذي يحول المواد النشوية الى سكر الشعير وهو أيضا أقوى بكثير من [العاين] حتى انه يؤثر في النشاء غير المطبوخ . ولا يوجد هذا الهاضوم في أمعاء الاطفال الرضع قبل الشهر السادس ولذلك كان من الخطر عليهم أن يطعموا أي مادة نشوية كالبطاطس والخبز ؛ فان ذلك يفسد جهازهم الهضمي ويضعف صحتهم فيصابون كثيرا بالاسهال وغيره وبداء الكساح (Rickets) (الثالثة) الهاضوم الشحمي ووظيفته أن يحدث مستحلبا مع المواد الشحمية أو الدهنية ويحللها أيضا الى جلسرين ^(٢) وحوامض شحمية ، وكلاهما سهل الامتصاص . وقد يتحد بعض هذه الحوامض مع البوتاسيوم أو الصوديوم فيتكون من ذلك الصابون ، والصابون أيضا سهل الامتصاص ؛ فاذا امتصت هذه الاشياء عادت الى شحم كما كانت (الرابعة) خبيرة تشبه الانفحة وظيفتها تحويل اللبن الى جبن ، وهذه أقل الخِثائر المذكورة تأثيرا في الهضم

والعصير البنكرياسي قلوي التأثير بخلاف العصير المعدني فانه حمضي
أما الكبد فهي أكبر عضو في الجسم ، موضعها الجهة اليمنى من البطن تحت الحجاب الحاجز مباشرة ، ولها وظائف عديدة فهي تفرز المرّة (الصفراء) وتخزن فيها أكثر المواد السكرية وبعض الزلالية بعد ان تتحول الى النشاء الحيواني (جليكوجين) حين الحاجة اليها فتحولها ثانية الى سكر يخرج منها مع الدم ليحترق في الجسم خصوصا في عضلاته ، وهذه الوظيفة هي من أكبر وظائفها ، وتكون أيضا حامض البولييك والبولين لتفرزهما الكلى ولولا ذلك لتراكمت بعض المواد الضارة بالجسم

(١) اذا أطلقنا هذه الكلمة أردنا بها الهاضوم المعدني المسمى باليونانية بيسين

(٢) كلمة يونانية معناها حلو

ومن وظائفها أيضا أنها تصفي المواد التي انهمضت في الأمعاء وتنقيها من
الميكروبات ومن بعض السموم وذلك أثناء مرورها فيها ولذلك اقتضت
الحكمة الإلهية أن تجتمع جميع الأوردة الآتية من القناة الهضمية ويتكون منها
وريد واحد هو الوريد الذي يسمى (الباب^(١)) الذي يجتمع فيه ما أنهمض من
الزلال والسكر وبعض الشحم فيصل إلى الكبد وهناك تفرز منه الصفراء وينقى
أما المرة (الصفراء) فهي إفراز ضار بقاؤه بالجسم ، فلذا تنصب في الأمعاء
لتخرج مع البراز وهي السبب في تلون البراز باللون المهبود ، وجزء من الصفراء
لا يخرج مع البراز وإنما يمتص ثانية في الجسم فتفرزه الكلى وهو السبب في تلون
البول باللون المعروف . وفي الأجنة تتجمع الصفراء في أمعائهم حتي إذا ولدوا نزل البراز
من أمعائهم أسود اللون ويسمى (بالعقي)

ولا يتوهم القارئ مما ذكر أن الصفراء لا فائدة لها في الهضم بل هي أكبر
ما يعين العصير البنكرياسي على هضم جميع المواد المذكورة سابقا وخصوصا المواد
الدهنية ، والصفراء تقلل التعفن والفساد كما قلنا ، وهي أيضا منبهة للحركة الدودية
للأمعاء ، ولذلك يعرض لمن احتبست فيه الصفراء - بأن انسدت - مجاريها ما يسمى
(باليرقان) فيصفر جميع جسمه ويحصل له امساك متكرر ويرى في برازه شحم
غير مهضوم وتكون له رائحة كريهة جدا

أما مجاري الصفراء فهي في مبدئها مجهرية (ميكروسكوبية) وتبتدى من
داخل الخلايا الكبدية وتجري فيما بينها وتتجمع هذه القنوات بعضها مع بعض حتي
تكبر شيئا فشيئا إلى أن تنتهي بقناتين عظيمتين : أحدهما تخرج من الفص الأيمن
للكبد ، والاخرى من الفص الأيسر لها وتجتمعان معا فيحدث منهما قناة واحدة .
وفي أسفل الكبد كيس صغير يسمى بالحويلة الصفراوية (المرارة) لها قناة
أيضا تتحد مع قناة الكبد وتتكون منهما القناة الكبرى المسماة (بالقناة المشتركة)
التي قلنا أنها تنصب في الاثني عشري . وفائدة هذه الحويلة أن تكون مستودعا

(١) سمي بذلك لأنه يحمل الأغذية والاشربة بعد الهضم إلى الكبد ومنها
إلى الجسم ، فكانت له باب لدخول الطعام والشراب إلى البدن

للمرة في وقت عدم الحاجة اليها

وإذا انسدت القناة الكبدية وحدها حصل اليرقان وكذلك إذا انسدت القناة الكبرى ، أما إذا انسدت قناة الحويصلة فقط كبرت هذه بسبب افراز مواد مخاطية من باطنها وحدث كيس تحت الكبد ، و بانسداد هذه القنوات السالفة الذ كر بحصيات كبدية تكون غالبا في الحويصلة يحصل المغص الكبدي وإذا انعكست حركة الامعاء بحيث تعود الصفراء الى المعدة من البواب حصل

القيء الصفراوي ، وهو مر الطعم

أما لون المرة فسببه اشتغالها على مواد ملوثة لا تختلف عن هيموجلوبين الدم إلا بعدم وجود الحديد فيها ، وذلك لان الكبد من المواضع التي تباد فيها السكريات الحمراء القديمة فتأخذ الكبد منها الهيموجلوبين وتفصل منه الحديد وتلقي بالباقي في افرازه وهو السبب في تلون المرة باللون المعروف . أما الحديد فان الكبد تركبه مع غيره من العناصر ويخرج منها في الدم فإذا وصل الى تقو العظام امتزج بكريات (خلايا) هناك فتنشأ منها الكريات الحمراء

ولوجود مادة الحديد في خلايا الكبد كانت الكبد من أحسن المآكل المفيدة المجردة ، للدم غير أنها أعسر هضما من اللحوم البيضاء

أما جميع المواد النشوية والسكرية المهضومة فانها تمتص في الدم بعد أن تتحول الى سكر العنب ، فاذا وصلت الى الكبد حجز منها مؤقتا ما زاد عن حاجة الجسم بصورة النشاء الحيواني المذكور (الجليكوجين) وهذا النشاء يتحول شيئا فشيئا كلما احتاج الجسم اليه الى سكر العنب مرة أخرى ويسير في الأوردة الكبدية ويدور مع الدم فيغذي أنسجة الجسم وعضلاته وفيها يحترق فيتحول الى ثاني أكسيد الفحم وإلى الماء — كما سبق —

واعلم ان الطعام الذي تم هضمه في المعدة وسار منها الى الاثني عشري يسمى (الكيموس) وهي كلمة يونانية معناها العصير

أما الأمعاء فانها تفرز عصيرا آخر أهم وظيفة له تحويل سكر القصب وسكر الشعير الى سكر العنب ، ولها أيضا بعض التأثير في المواد النشوية فتحوّلها الى سكر

ومما تقدم يفهم أن أجزاء الطعام الأصلية تتحول قبل امتصاصها كما يأتي — :

(١) الماء والأملاح لا تتحول إلى شيء وتمتص كما هي
(٢) المواد الزلالية ^(١) تحولها عصارات المعدة والبنكرياس إلى بيتون
ولكنها عند امتصاصها تحولها خلايا الغشاء المخاطي للأمعاء إلى مواد زلالية أخرى
مثل التي في الدم

(٣) المواد الشحمية والدهنية تمتص جزء منها كما هو ، وأكثرها ينحل بالعصير
البنكرياسي إلى جلسرين وحوامض شحمية — كما تقدم — وكل من هذه
الحوامض والجلسرين سهل الامتصاص ، ولكن في أثناء مرورها خلال الغشاء
المخاطي للأمعاء تحولها خلاياه إلى شحم أو دهن كما كانت من قبل انحلالها ، وبعض
الحوامض يتحد مع صوديوم المرة فيتكون صابون وهو سهل الامتصاص ويساعد
أيضا على امتصاص الشحم كما هو ، فالشحم يهضمه عصير البنكرياس مع المرة بعد
أن يحولاه إلى (مستحلب) وذلك مما يعين أيضا على هذا الهضم والامتصاص
(٤) أما المواد النشوية فأنها تتحول باللعاب والعصير البنكرياسي إلى سكر
الشعير ، ثم يتحول هذا السكر وسكر القصب — ان وجد — بواسطة العصير
المعوي إلى سكر العنب ، وهذا السكر سهل الامتصاص ويبقى في الدم كما هو غير
أنه يخزن الزائد منه مؤقتا في الكبد على صورة الجليكوجين — كما قلنا — أما سكر
اللبن فيتحول أثناء امتصاصه إلى سكر العنب أيضا ، ولا تأثير للعصارات الهاضمة فيه

امتصاص الاغذية

أما الامتصاص فإنه يحصل في القناة الهضمية من أولها إلى آخرها أي من
انفم إلى المستقيم ، ولكن الامتصاص في الفم قليل جدا كثير في المعدة والأمعاء خصوصا
في الصائم من الأمعاء الصغيرة

ولما كان بعض المواد الزلالية يمكن امتصاص القليل منها وإن لم تهضم ^(٢)

(١) تسمى أيضا الأولية (Proteids) لان لها المنزلة الأولى بين الاغذية ،
والنيروجين من لوازم تركيبها (٢) المراد بالهضم هنا التغير السكماوي المخصوص
الذي يحصل في الاغذية قبل امتصاصها

وكذلك الشحم والزيوت فلذا يستعمل الأطباء في بعض الأمراض الحتق الشرجية المغذية للمرضى وان كان أكثر هذه الحقن يهضم هضمًا صناعيًا قبل حقنه لتسهيل امتصاصه لعدم وجود عصارات هاضمة في المستقيم أما الماء والأملاح والمواد السكرية والزلاية فكلها تمتص من الأمعاء بواسطة فروع الوريد الباب ليحملها إلى الكبد - كما سبق - مع بعض أجزاء من الدهن قليلة جدًا، ولكن أكثر المواد الدهنية تمتصها أوعية لمفاوية مخصوصة موجودة في الأمعاء، وهذه الأوعية تسمى (بالأوعية اللمفية) لأن هذه المواد الدهنية التي تجري فيها تشبه اللبن وتسمى (بالكيلوس) وهي كلمة يونانية أيضا معناها العصير، وهذه الأوعية اللمفاوية تصب في غدد لمفاوية منشورة في طريقها لتفقيتها من الميكروبات ونحوها، وكل من الأوعية وهذه الغدد موجود بين طبقتي المساريقا (Mesentery) ^(١) وهي عبارة عن غشاء من البريتون يعلق الأمعاء الصغيرة بالظهر ويحيط بها

والغدد اللمفاوية التي بين طبقتي المساريقا يحصل فيها التهاب فضخامة عند تقرح الأمعاء في الحمى التيفودية وغيرها واعلم أن الزلال المهضوم المسمى (بيتون) إذا دخل الدم من غير أن تحوله الخلايا المخاطية إلى زلال كزلال الدم كان سماً زعافاً فلذا كان تحويله قبل امتصاصه واجباً

ومن المعلوم أن سم الثعابين ونحوها هو مواد زلاية تقرب من البيتون فلذا كان أكله مغذياً لا ضرر فيه لأن خلايا الغشاء المخاطي تتكفل بتحويله إلى ما يصلح للجسم قبل امتصاصه، أما إذا حقن في الدم أو تحت الجلد بدون هذا التحويل كان خطراً على الحياة

وفي الأمعاء ميكروبات عديدة، وهذه الميكروبات تحدث تغييراً وتحليلاً في الأغذية فوق الذي تحدثه العصارات الهاضمة فينشأ عن ذلك غازات وغيرها، بعضها يضر امتصاصه وبعضها لا ضرر فيه، وهذه الغازات هي التي تحدث القراقر (١) كلمة يونانية معناها (وسط الأمعاء) لأن هذا الغشاء متصل بوسط الأمعاء

في البطن وخروج الأرياح ، ويكثر تكون هذه الغازات بأكل المواد النباتية . وقد تؤثر العصارات الهاضمة في بعض المواد المأكولة فتخرج منها مواد سامة للجسم اذا امتصت في الدم ، ولكن هذه الميكروبات تحللها الى اجسام أخرى وبذلك تبطل ضررها ، فوجودها في الامعاء ضروري ، ومن الخطأ محاولة قتلها بالأدوية المطهرة أما البراز فهو فضلات جميع الاغذية والاشربة التي لم تمتص ، ووفرزات الجهاز الهضمي ، وغير ذلك

والسبب في حصول الاسهال أحد ثلاثة أمور (١) إما اضطراب حركة الامعاء حتى تكون أسرع من الحالة الطبيعية فيمر فيها الطعام والشراب بسرعة زائدة قبل ان يجف بالامتصاص (٢) وإما زيادة العصارات الهاضمة وخصوصا افرازات الامعاء بسبب مرضها كالتها بها (٣) وإما قلة امتصاص خلايا الغشاء المخاطي للاطعمة والاشربة لمرض ما فيها . وهذه الاسباب في الغالب تكون مجتمعة في الاسهال العادي وقد تحصل بالمسهلات ، ولذلك كان الاسهال الزائد عن الحد ضارا جدا لانه ينهك القوى

والسبب في الامساك عكس ما تقدم ، وضرره يكون بامتصاص بعض المواد الضارة في الدم وبضغطه على بعض الاعضاء كالأوردة أو الاعصاب فيعوق وظيفتها وقد تنشأ عنه البواسير والصداع والضعف وآلام عصبية في الفخذ اليسر لضغط المواد البرازية في التعرج السيني والمستقيم على الاعصاب . أما مدة مرور الطعام في الامعاء فهي عادة من ٢٤ — ٣٦ ساعة ، منها نحو ١٢ ساعة للامعاء الدقيقة

(فصل في الاطعمة والاشربة وغيرها)

المواد الضرورية للجسم سبق ذكرها مرارا وهي باختصار : المواد الزلالية (الأولية) والسكرية والنشوية (الكربوهيدراتية) والدهنية والماء والاملاح وهذه المواد يأخذها الانسان اما من الحيوانات أو من النباتات ، والحيوانات المأكولة تأخذها أيضا من النباتات ، فصدر غذاء الانسان كله هو النباتات . وهذه المواد كلها توجد في أنواع مختلفة من الاطعمة أهمها : —

(١) اللب

هو غذاء كامل لاشتماله على جميع المواد السابقة وعلى الدهن المعروف (السمن والزبدة والقشدة) ويستخرج منه اللبن وهو جل المواد الزلالية والدهنية مع بعض أملاح تضاف إليه من الخارج

وإذا تعرض اللبن للهواء زمنًا مآ هبطت إليه بعض ميكروبات مخصوصة تحول سكره الى حامض اللبنيك وهذا يُرسب الزلال الذي في اللبن فيغاط ويكُون كاللبن المعروف في مصر (باللبن الزبادي) المسمى بالعربية (اللبن الخائر والرائب) وقد توضع في اللبن خميرة فيها بعض ميكروبات أخرى فتحول سكره الى غول فينشأ نوع من الخمر بسبب ذلك يعرف في بلاد التار بالكفير أو الكوميس وكل من الكفير^(١) أو الكوميس^(٢) سهل الهضم مغذ للانسان مثله للدورة الدموية بما فيه من الغول بمقادير قليلة ونافع في السل الرئوي - كما يقال - ولكن الاكثر والادمان عليه له بعض الاثر السيء الذي للخمر عامة

أما اللبن الخائر فهو أيضا سهل الهضم لقلته مائه ووجود الحامض فيه ، مغذ للانسان ولكن اذا طالت مدة تخمره تولدت فيه مواد سمية ضارة، وهذا النوع نافع في الحميات لقلته افراز المعدة للحمض أثناء الحميات وهو مفيد أيضا في نزلات المثانة واللبن قد يختلط بميكروبات أخرى محدثة للأمراض بعضها يصل اليه من الانسان كميكروب الحمى التيفودية ، والبعض الآخر قد يصل اليه من غيره كميكروب الحمى المالطية في لبن بعض المعز وكالدقيريا فانها تصيب البقر والضأن . وكثير من البقر يصاب بالتدرن فيكون اللبن سببا في الدرن الانساني وان لم توجد فيه ميكروبات الدرن نفسها اذ يكفي وجود سمومها فيه فان ذلك يضعف البنية ويهيئها لقبول ميكروب الدرن. فلذا يجب أخذ اللبن من الحيوانات السليمة في أوان نظيفة جدا وبأيد كذلك . ولثقة بطهارته من جميع الميكروبات يجب غليه قبل تعاطيه مدة خمس دقائق على الاقل

(١) يصنع من لبن البقر والمعز والغنم (٢) يصنع من لبن الفرس

وإذا منعنا وصول سائر الميكروبات الى اللبن أمكننا حفظه دهورا بدون فساد كما سبق
والانفعال النفساني الشديد تأثير في افراز اللبن حتى إنه قد يسم الصفار
ومن السهل أخذ زبدة اللبن أو القشدة بالآلة المبعدة عن المركز المسماة
باللاتينية [Centrifuge] فإذا أديرت بسرعة أبعدت جميع المواد التي في اللبن
عن المركز لتقلها ماعدا زبدة اللبن فانها تأتي نحو المركز لحقتها ، وبسبب خفتها أيضا
تصعد الى سطح اللبن اذا سخن بالنار كما هو معلوم

وإذا أخذت زبدة اللبن صار ثقله النوعي أزيد من المعتاد فاذا أضيف إليه
جزء من الماء عاد ثقله الى المعتاد (وهو في لبن البقر ٢٨ الى ٣٤)

ومن طرق غش اللبن أن يضاف عليه الماء مع النشاء لإكثار كميته ولكن
النشاء يمكن معرفته بطريقة كيمياوية سهلة جدا وذلك بوضع جزء من صبغة اليود
عليه فيتلون في الحال باللون الازرق اذا كان فيه نشاء

ويصنع من زيوت النباتات وشحم الحيوانات زبدة كاذبة تسمى باللاتينية
وغيرها المرغرين (ومعناها حرفيا مادة اللؤلؤ سميت بذلك للمعانها) يستعملها
التجار كثيرا بقصد الغش وهي في الحقيقة لا ضرر فيها الا أنها أرخص ثمننا

ومن أكثر الالبان تغذية لبن الجاموس والعنز وأسهلها هضما لبن المرأة والأتان
(أنثى الحمر) وأكثرها سكرًا لبن المرأة ويقرب منه في ذلك لبن الأتان

(جدول تركيب الالبان المختلفة)

نوع اللبن	المواد الزلالية	الدهن	السكر	الاملاح	الماء
لبن المرأة	٢ و ٢٩	٣ و ٨١	٦ و ٢٠	٠ و ٣٠	٨٧ و ٤٠
« البقرة »	٣ و ٥٥	٣ و ٦٩	٤ و ٨٨	٠ و ٧١	٨٧ و ١٧
« الفرس »	٢ و ٠٠	١ و ٢٠	٥ و ٦٥	٠ و ٣٦	٩٠ و ٧٩
« الأتان »	٢ و ٢٥	١ و ٦٥	٦ و ٠٠	٠ و ٥٠	٨٩ و ٦٠
« العنز »	٤ و ٣٠	٤ و ٧٨	٤ و ٤٦	٠ و ٧٥	٨٥ و ٧١
« الجاموسة »	٦ و ١١	٢ و ٤٥	٤ و ١٧	٠ و ٨٧	٨١ و ٤٠

(٢) البيض

وهو يؤخذ من أنواع مختلفة من الطيور ، وأكبره بيض النعام ، وهو أيضا غذاء كامل لاشتماله على جميع المواد اللازمة للجسم ، ولذلك تكون منه أجنة الطيور فتخرج منه كاملة الاعضاء والاجزاء . وطبقاته مؤلفة كما يأتي : —

القَيْض (القشرة) مركبة من مواد جيرية أهمها كربونات الكالسيوم ، وبها ثقوب عديدة لازمة لدخول الهواء الى البيضة وخروجه منها لتنفس جنين الطير ، فاذا سدت جميع هذه الثقوب اختنق ما في داخلها ومات . وسدها أيضا بمثل الشمع أو الصمغ يحفظ البيضة من الفساد ، فانه يمنع دخول الميكروبات اليها . ويلى هذه القشرة طبقة أخرى رخوة ، ثم بياض البيض (الغِرْقِي) وهو يتركب من مواد زلالية مع قليل من الدهن والملح ، ووظيفته تغذية جنين الطير ، وهو محيط بالبح (الصفار) من جميع الجهات ، أما (المح) فهو عبارة عن خلية حية كبقية الخلايا الحيوانية ولها نواة يتبدى فيها تكون الجنين بانقسامها وتغذيها بما حولها من المواد المغذية . والملح يتركب أكثره من مواد دهنية وأملاح مع قليل من الزلال المسمى جلوبيولين ، ولا يحصل هذا الانقسام في التواة الا اذا كانت ملقحة بالحيوان المنوي للذكر ، ومدة التفريخ للدجاج ٢١ يوما أي ثلاثة أسابيع

والبيض مغذ جدا سهل الهضم الا اذا طبخ طبخا شديدا فان ذلك يجمد مواده ويجعلها عسرة الهضم ، واذا شرب منه جزء بدون طبخ أو مع طبخ قليل أفاد الجسم وغذاه ، غير أن الإفراط فيه مما يتعب الكلى ، وقد ينزل جزء من زلاله في البول ولمعرفة البيض الجيد من البيض الفاسد تذاب أوقيتان من ملح الطعام في نصف لتر ماء فاذا غرقت البيضة في هذا السائل دل ذلك على جودتها ، والا كانت فاسدة مشتملة على غازات ناشئة من الفساد هي السبب في خفتها

(٣) العسل

هو في الاصل ما تجمع النحل من رحيق الازهار ، ثم تحوله في معدتها الى هذه المادة المتخصصة ثم تلقيه من أفواهها في خلاياها مصداقا لقوله تعالى (يخرج من

بطونها شراب مختلف ألوانه) وفائدة العسل للنحل تغذية صغارها ^(١) به
والعسل يشمل أنواعا من السكر أهمها سكر العنب مع مواد عطرية ، وفيه أيضا
جزء من الأبور (وهو المادة التي تسمى بالافرنج (Pollen) وهي عبارة عن عنصر
الذكر في الأزهار الذي تلقح الأنثى به ، والأبور مادة بروتو بلازمية حبة أي
مشملة على زلال وغيره ، ولذا كان العسل مشتملا على كثير من العناصر الضرورية
للحيوانات . أما شحمه فلا يهضم ولا يكتسب منه الجسم شيئا

والعسل مغذ جدا سهل الهضم للغاية بل إن سكر العنب الذي فيه لا يحتاج
إلى العصارات الهاضمة فإنه يمتص بدونها. والعسل ملين مقو للجسم ، وبسبب سهولة
هضمه وتقويته للجسم واحداً من اللين كان نافعا في كثير من الأمراض فيجعل الجسم
قوي المقاومة لأنواع كثيرة من الميكروبات ، وقد يتغلب عليها بسبب ذلك ، فهو
نافع في سائر الأمراض التي تنهك القوى كالسل والسرطان والانيما والبلغم وفي
الحميات وغير ذلك حتى قال بعضهم إنه نافع في البول السكري ، ولكن ذلك لم
يثبت الآن عند الجمهور

وهو يحرض شهوة الطعام أيضا ويكثر من إفراز المعدة ومن اللعاب فيرتب
الحلق ، ولذا كان نافعا في التهاب اللوزتين والحلقوم وفي السعال . كل ذلك يؤيد قوله
تعالى (فيه شفاء للناس) وقد يجوز إعطاؤه أيضا في أحوال الاضطرابات المعدية
المعوية لأنه سهل الهضم جدا يساعد عليه — كما قلنا — فلذا ينفع المصابين بعسر
الهضم ، ويجوز إعطاؤه في أول الأمر للمصابين بالذرب كما يعطى زيت الخروع بقصد
تنظيف القناة الهضمية من المواد التي تحدث تهيجها ، ويحسن إعطاؤه ملينا للأطفال
بدل زيت الخروع فإنه ملين لذيذ الطعم تشتهي أنفسهم . ومن ذلك تعلم حكمة وصف
رسول الله (ص) العسل لمن أصيب باطلاق بطنه بقصد تنظيف القناة الهضمية وتغذية
المريض به لسهولة هضمه ، ويشبه ذلك وصف الأطباء غذاء اللبن في الذرب مع
أنه سهل كثيرا من الناس

(١) تسمى صغار النحل اللوثة (بالضم) والطرْد (بالفتح) والرصع بالتحريك
والدبسم (بوزن جعفر)

ومن أحسن الاغذية النافعة للحميات العسل مع اللبن ، فان العسل يحترق في الجسم ويوفر احتراق اجزائه الاخرى بسبب الحمى . وذلك مما يعين الجسم على التغلب عليها . هذا وإن عسل النحل الذي يجمعه من أزهار سامة يحدث أعراض التسمم لمن يطعمه ، وكذلك الحال في ألبان الانعام التي تأكل نباتات سامة ، فيجب الاحتراس من ذلك ما أمكن ما

الحنين الى الاوطان

كتاب مختصر من احسن كتب الادب طلاوة ، واشدها حلاوة ، وارشفها عبارة واجودها اختيارا للآلى الكلام المثورة والمنظومة ، واطبعها لملكة البيان في نفس الطالب ، وذوق البلاغة من الشاعر والكاتب . وحسبك انه لا امام اثمة الادب ابي عثمان الجاحظ ، الذي نوه الزمخشري بمكانته العليا من البيان ، في خطبتي كتابيه اساس البلاغة والكشاف . وهالك هذا النموذج من اوله . قال بعد البسملة

إن لكل شيء من العلم ونوع من الحكمة وصنف من الادب —
سببا يدعو الى تأليف ما كان فيه مشتتاً ، ومعنى يحدو^(١) على جمع ما كان
متفرقا ، ومتى أغفل جملة الادب وأهل المعرفة تميز الاخبار ، واستنباط
الآثار ، وضم كل جوهر نفيس الى شكله ، وتأليف كل نادر من الحكمة
الى مثله ، بطلت الحكمة ، وضاع العلم ، وأميت الأدب ، ودرس
مستور كل نادر . ولولا تقييد العلماء خواطرهم على الدهر ، وقرهم آثار
الاولائل في الصخر ، — لبطل أول العلم وضاع آخره ، ولذلك قيل :
لا يزال الناس بخير ما بقي الاول يتعلم منه الآخر

وان السبب على جمع نتف من أخبار العرب في حنينها الى أوطانها ،

(١) يحدو — حذاه على الامر بعثه اليه

وشوقها الى تربها وبلدانها، ووصفها في أشعارها، توقد النار في أكبادها،
 أني فاوضت بعض من انتقل من الملوك في ذكر الديار، والنزاع^(١) الى
 الاوطان، فسمعت يذكر أنه اغترب من بلد الى آخر أمهد من وطنه،
 وأعمر من مكانه، وأخصب من جنبه، ولم يزل عظيم الشأن، جليل
 السلطان، تدين له من عشائر العرب ساداتها وفتيانها، ومن شعوب العجم
 أنجاده^(٢) وشجعانها، يقود الجيوش ويسوس الحروب، وليس ببابه إلا
 راغب اليه أو راهب منه، فكان اذا ذكر التربة والوطن حن اليه حنين
 الابل الى أعطانها،^(٣) وكان كما قال الشاعر:

اذا ما ذكرت الثغر فاضت مدامعي وأضجى فؤادي نهبة للهمهم^(٤)
 حينئذ الى أرض بها اخضر شاربى وحلت بها غي عقود التمام^(٥)
 وألطف قوم بالفتى أهل أرضه وأرعاهم للمرء حق التقادم
 وكما الآخر:

يقر بعيني أن أرى من مكانه ذرا عقدات الابرق المتقاود^(٦)

١ النزاع الى الشيء الاشتياق اليه

٢ الانجاد جمع نجد وهو الشجاع السريع الى الاجابة فيما دعي اليه

٣ الاعطان أوطان الابل ومباركها عند الماء، واحدها عطن

٤ الهمام الهموم

٥ التمام جمع تيمة، وهي خرزات كانت العرب تعاقها على أولادها يتقون
 بها العين في زعمهم فابطلمها الاسلام، ذكره في النهاية لابن الاثير

٦ ذرا الشيء بالضم أعاليه الواحدة ذروة بكسر الذال وضمها، وقال في معجم
 البلدان: قال ابن الاعرابي الابرق جبل مخلوط برمل وهي البرقة، وكل شيء
 خلط من لونين فقد برق. والمتقاود المستوي، قال في أساس البلاغة: تقاود المكان
 استوى، قال:

الا ليت شعري هل أرى من مكانه ذرا عقدات الابرق المتقاود

وأن أرد الماء الذي شربت به سليمان وقدمل السرى كل واخذ^(١)
والصق أحشائي ببرد ترابه وان كان مخلوطا بسم الاسود^(٢)
فقلت : لئن قلت ذلك لقد قالت العجم : من علامة الرشد أن
تكون النفس الى مولدها مشتاقة ، والى مسقط رأسها تواق^(٣) وقالت
الهند : حرمة بلدك عليك ، حرمة أبويك ، لأن غذاءك منهما وأنت
جنين — وغذاءهما منه . وقال آخر : احفظ بلداً رشحك غذاؤه ، وارع
حمى أكنك فناؤه . وأولى البلدان بصبابتك اليه بلد رضعت مائه ،
وطعمت غذاؤه ، وكان يقال : أرض الرجل ظئره^(٤) ، وداره مهده ،
والغريب النائي عن بلده ، المنتهي عن أهله ، كالثور الناذ^(٥) عن
وطنه ، الذي هو لكل رام قنيصه . وقال آخر : الكريم يحن الى
جنابه ، كما يحن الاسد الى غابه ، وقال آخر الجالي عن مسقط رأسه ومحل
رضاعه ، كالعير^(٦) الناشط^(٧) عن بلده ، الذي هو لكل سبع قنيصه ،
ولكل رام دريئة^(٨) ، وقال آخر : تربة الصبا تغرس في القلب حرمة
وحلاوة ، كما تغرس الولادة في القلب رقة وحفاوة^(٩) ، وقال آخر : أحق

١ السرى سير عامة الليل وفي المثل « عند الصباح يحمد القوم السرى » ويقال
جمل واخذ ووخاد اذا كان واسع الخطو ، وقد وخذ يخذو وخذاً ووخدانا

٢ الاسود جمع أسود وهو العظيم من الحيات

٣ تاق اليه توقانا اشتاق اليه فهو تائق وتواق

٤ الظئر المرأة التي حضنت ولد غيرها

٥ ند البعر ندا (بتشديد الدال) نفر وذهب على وجهه شاردا

٦ العير الحمار الوحشي والاهلي أيضا

٧ قال في أساس البلاغة : ثور ناشط - خارج من أرض الى أرض

٨ الدريئة حلاقة يتعلم عليها الطعن

٩ الحفاوة المبالغة في الاكرام

البلدان بزاعك اليه بلد أمصك حلب رضاعه، وقال آخر: إذا كان الطائر
يحن الى أوكاره فالإنسان أحق بالحنين إلى أوطانه، وقالت الحكماء:
الحنين من رقة القلب — ورقة القلب من الرعاية — والرعاية من
الرحمة — والرحمة من كرم الفطرة — وكرم الفطرة من طهارة الرشدة^(١)
وطهارة الرشدة من كرم المحتد^(٢)، وقال آخر: ميلك الى مولدك، من
كرم تحتدك، وقال آخر: عسرك في دارك، أعز لك من يسرك في
غربتك، وأنشد

لقرب الدار في الإقترار خير من العيش الموسع في اغتراب^(٣)
وقال آخر: الغريب كالغرس الذي زایل أرضه، وفقد شربه، فهو
ذاو^(٤) لا يثمر، وذایل لا ينضر. وقال بعض الفلاسفة: فطرة الرجل
معجونة بحب الوطن — ولذلك قال بقراط: يداوى كل عليل بعقاقير
أرضه، فإن الطبيعة تتطلع لهوائها، وتزرع الى غذائها، وقال أفلاطون:
غذاء الطبيعة من أجمع أدويتها، وقال جالينوس: يروح العليل بنسيم
أرضه — كما تروح الأرض الجدية بيل القطر

والقول في حب الناس الوطن، واقتخارهم بالمحال قد سبق، فوجدنا
الناس بأوطانهم أقنع منهم بأرزاقهم — ولذلك قال ابن عباس: لو قنع
الناس بأرزاقهم، قناعتهم بأوطانهم ما اشتكى عبد الرزق، وترى الأعراب
يحن الى البلد الجذب والمحل القفر والحجر الصلب، وتستوخم^(٥) الريف

١ الرشدة محبة النسب وهي بكسر الراء، والفتح لغة

٢ المحتد الأصل، يقال هو كريم المحتد وهم كرام المحتد

٣ الاقترار مصدر أقتر الرجل اذا اقترى ذاو — ذایل

٥ استوخم البلد، وهو وخم ووخم بالكسر والسكون أيضا اذا لم يصلح السكن

حتى قال بعضهم

أتجلين في الجالين أم تتصبري على ضيق عيش والكريم صبور^(١)
فبالمصر برغوث وحمى وحصبة وموم وطاعون وكل شرور^(٢)
وبالبيد جوع لا يزال كأنه ركام بأطراف الإككام تمور^(٣)
وترى الحضري يولد بأرض وباء وموتان وقلة خصب — فإذا
وقع ببلاد أريف من بلاده، وجناب أخصب من جنابه، واستفاد غنى حن
الى وطنه ومستقره .

ولو جمعنا أخبار العرب وأشعارها في هذا المعنى لطال اقتصاصه .
ولكن توخينا تدوين أحسن ما سنح من أخبارهم وأشعارهم وبالله التوفيق
ومما يؤكد ما قلنا في حب الاوطان قول الله عز وجل حين ذكر
الديار يخبر عن مواقعها من قلوب عباده فقال : (ولو أنا كتبنا عليهم أن
اقتلوا أنفسهم أو اخرجوا من دياركم ما فعلوه الا قليل منهم) فسوى بين
قتل أنفسهم، وبين الخروج من ديارهم . وقال تعالى (وما لنا ألا نقاتل في
سبيل الله وقد أخرجنا من ديارنا وأبنائنا) وقال الا ول : عمر الله البلدان
بحب الاوطان ، وكان يقال لولا حب الناس الاوطان لخربت البلدان ،
وقال عبد الحميد الكاتب وذكر الدنيا : نفتنا عن الاوطان ، وقطعتنا
عن الاخوان ، وقالت الحكماء أكرم الخليل أجزعها من السوط ،

١ الجلاء الخروج من البلد . يقال : جلوا عن أوطانهم ، اذا خرجوا منها

٢ الموم هو البرسام مع الحمى

٣ الركام السحاب المتراكم بعضه فوق بعض — والاكمة تل ، وقيل شرفة
كالراية وهو ما اجتمع من الحجارة في مكان واحد وربما غلظ ، والجمع اكم وجمع
الاكم اكام مثل جبل وجبال — ومار الشيء تحرك بسرعة

واكيس الصبيان أبغضهم للكتاب ، وأكرم الصفايا أشدّها ولها الى أولادها ، وأكرم الإبل أشدّها حينا الى أوطانها ، وأكرم المهاري أشدّها ملازمة لأمتها ، وخير الناس آلفهم للناس

وقال آخر من أمارات العاقل بزه لآخواته ، وحنينه الى أوطانه ، ومداراه لاهل زمانه . واعتل أعرابي في أرض غربة فقيل له ما تشتهي ؟ فقال حصل ^(١) قلاة وحسوة ^(٢) قلات ^(٣) ؛ وسئل آخر فقال : مخضا ^(٤) زويا ، وضبا مشويا ، وسئل آخر فقال : ضبا عينا أعور ؛ وقالت العرب حماك أحى لك ، وأهلك أحفى بك ؛ وقيل الغربة كربة ، والقلة ذلة . وقال لا ترغبوا إخوتي في غربة أبدا إن الغريب ذليل حيثما كانا وقال آخر : لا تنهض عن وكرك فتفصك الغربة ، وتضيئك الوحدة ؛ وقال آخر لا تجف أرضا بها قوايلك ^(٥) — ولا تشك بلدا فيه نبائك ؛ وقال أصحاب القيافة ^(٦) في الاسترواح : اذا أحست النفس بمرادها تفتحت مسامها فعرفت النسيم . وقال آخر يحن اليب الى وطنه ، كما يحن النجيب ^(٧) الى عطنه ؛ وقال كما أن لحاضنتك حق لبنها — كذلك لأرضك حق وطنها ؛ وذكر أعرابي بلده فقال رملة كنت جنين ركامها ، ورضيع غمامها ، فحضنتني أحساؤها ، وأرضحتني أحساؤها ^(٨) ؛ وشبهت

١ الحسل ولد الضب حين يخرج من بيضه ٢ حسا زيد المرق يحسوه حسوا شربه شيئا بعد شيء وحسا الطائر الماء تناوله بمنقاره ٣ القلات جمع قلت بالفتح وهي النفرة في الجبل يستنقع فيها الماء ٤ المنخض والمنخض ما يخض من اللبن وأخذ زبده ٥ القوايل جمع قالة وهي المرأة التي تأخذ الولد عند الولادة ٦ القائف الذي يتبع الآثار ويعرفها ويعرف شبه الرجل بأخيه وأبيه والجمع القافة ويسمى فعلاه بالقيافة ٧ النجيب من الإبل القوي الخفيف السريع ٨ الأحساء جمع حسى وهي سهل من الأرض يستنقع فيه الماء

الحكماء الغريب باليتيم اللطيم^(١) الذي نكل^(٢) أبويه - فلا أم تراهم^(٣)
ولا أب يحذب عليه^(٤)؛ وقالت أعرابية إذا كنت في غير أهلك فلا
تنس نصيبك من الذل؛ قال الشاعر

لمرى لرهط المرء خير بقية عليه وإن عالوا به كل مركب
إذا كنت في قوم عداً لست منهم فكل ما علفت من خيث وطيب^(٥)
وفي المثل أوضح من مرآة الغريبة - وذلك أن المرأة إذا كانت هدياً
في غير أهلها تفقد من وجهها وهيئتها ما لا تفقده وهي في قومها
وأقاربها - فتكون مرآتها مجلوة تصد بها أمر نفسها وقال ذو الرمة
لها أذن حشر وذفرى أسيلة وخد كرامة الغريبة أسجج^(٦)

١ اللطيم الذي يموت أبواه ٢ النكل فقدان المرأة ولدها ٣ رأيت الناقة الولد
عطفت عليه؛ يحذب عليه يعطف عليه ٤ قال ابن السكيت قوم عدا غرباء والشدة
البيت قال ولم يأت فعل في الصفات غير هذا وهو أيضاً مذهب سيبويه وهم اسم
للجمع. وقال ابن السيد في الاقتضاب هذا البيت لزرافة بن سبيع الاسدي فيما ذكر
يعقوب وذكر الجاحظ أنه لخالد بن فضالة الجحواني من بني أسد - والمدى
الغريب والمدى أيضاً الأعداء - والاكل والعلف ههنا مثلاً مضموناً للموافقة
وترك المخالفة - وكان هذا الشاعر قد راغم قومه وحبب عليهم ثم جاور غيرهم -
وندم على مفارقة قومه - ولذلك قال قبل هذا البيت

لمرى لقوم المرء خير بقية عليه وإن عالوا به كل مركب
من الجانب الأقصى وإن كان ذا غنى جزيل ولم يخبرك مثل مجرب
تبدلت من دود إن نصراً وأرضها فما ظفرت كني ولا طاب مشربي
ثم أقاض في شرح البيت

٦ الحشر ما لطف من الآذان - والذفرى من الحيوان العظم الشاخص خلف
الاذن - والاسيل من الحدود الطويل المسترسل. وسجج الخد كفرح سهل ولان
وطال في اعتدال. وقل لجه وقال في أساس البلاغة وجه أسجج مستوي الصورة
ورجل أسجج الخدين وقد سجج قال ذو الرمة وقد انشد البيت

سفر النساء واختلاطن بالرجال

وفرضى الآداب بمصر

في هذه الايام التي ثبت فيها عن نساء فرنسة كهن ، حتى غايات باريس
منهن ، انهن لبسن ثياب الحداد ، بعد رفولهن في تلك الأزياء ، التي قلدهن فيها
سائر النساء ، في جميع الأرجاء ، وظهرن بمظهر الراهبات الناصيات ، وهن أولئك
القاتلات ، الكاسيات العاريات ، المائلات الميلات ، اللواتي قتن قلوب الرجال ،
حتى صاروا يشدون اليهن الرحال ، بل يطيطون اليهن على مراكب النار ، في سباسب
الارض وأجواز البحار ، وتركوا المراقص والملاهي والحانات ، الى ساحات القتال
والمستشفيات ، وإلى دور الصناعة ، وأعمال الزراعة ، ليخففن عن أمتن أثقال هذه
الحرب الضروس ، في هذا العصر العبوس

= في هذه الايام التي مس الناس فيها الضر ، وهدد الأمم والدول العسر ،
فكسدت غلات الزراعة ، وتعطلت معامل الصناعة ، ووقفت حركة التجارة ، وقل
الدرهم والدينار ، وغلت أثمان الأشياء ، وخاف العقلاء ان يعقب هذه الحرب قحط
ومجاعات ، تلوها قتن وأوبئة وثورات ، وشعر المبذرون من أهل السعة والثروة ،
بوجوب الاقتصاد في النفقة خوفا من سوء العاقبة

= في هذه الايام التي تدك فيها الحصون والمعازل ، وتدمر المعابد والمنازل ،
وتتل العروش ، وتذهب باستقلال الشعوب ، وتنذر أقوى الدول بأسا ، وأشد هـن
بطشا ، ذلا بعد عزة ، وضعفا بعد قوة ، وفقرا بعد ثروة ، وعبودية بعد حرية

= في هذه الايام — وقد زلزلت الارض زلزالها ، وأخرجت الارض أثقالها ،
وقال الانسان ماله ما عسى ان يكون ما لها — انبرى نفر من الشبان والشواب ،
من المتفرجين والمتفرنجات في هذه البلاد ، يتبارون في تهجير المقالات ، وإقامة الحجج
والبيئات ، المؤلفة من مقدمات الشبه والخيلات ، على وجوب سفر النساء المصريات ،
واختلاطن بالرجال في الملاهي والمجتمعات ، وفي عامة الاحوال والافاق . ليشاركن

الرجال في حريتهم ، ويساهمهم في التمتع بمحاسن (الطبيعة) ويقتبس منهم الآداب والافكار الجديدة ، ولذلك يسمون مطلبهم هذا « تحرير المرأة » فرادهم ان المرأة في رق أهلها ثم زوجها ، وانه ينبغي ان تفعل ما تشاء ولا يصح لاحد أن يحجر عليها ، ولا أن يصددها عما تحب وتهوى

يتوهم هؤلاء المساكين ان الفوضى الأدبية التي يرتعون فيها هي الحرية التي ينوه بمدحها الأفرنج ، والتي بها وصلوا الى ما وصلوا اليه من العلم والصناعة ، وما أنتجا من الملك والسيادة ، ولم يعقلوا أن هذه الفوضى هي التي حلت روابطهم القومية ، وأضعفت مقوماتهم ومشخصاتهم الجنسية ، وجرفت ثروتهم الى البلاد الأجنبية ، وجعلتهم غير أهل للاستقلال في إدارة بلادهم ، فضلا عن مد نفوذهم وبسط سلطانهم على غيرهم ، ولم يستفيدوا منها الا الغرور بأنفسهم ، وكثرة الدعاوي العريضة بألستهم .

النساء المسلمات غير مسترقات في مصر ولا في غيرها ، ولا محرومات من التمتع بمحاسن الوجود وطيبات الدنيا ، فأما نساء الفلاحين فأمرهن معروف وانهن يشاركن الرجال في كل شيء ، ولا يعنهن طلاب « تحرير المرأة » فيما يقولونه عن النساء المصريات . وأما نساء الموسرين في المدن اللواتي تتوجه اليهن أنظار هؤلاء المحررين ، فهن أكثر تمتعا بزينه الدنيا ونعيمها من الرجال ، الا في أمر واحد فقط وهو حرية المجاهرة بالفسق ، ومعاشرة الرجال ومخادتهم في الجهر ، فالفاسقة منهن لا تفسق الا وراء الستر ، أو في المواخير المعروفة ببيوت السر ، ولا تخرج مع خدن لها للتنزه الا مستخفية ، إلا ان تكون مغمولة أو مهتكة .

وأما البرقع فهو زينة اختارته لنفسها ، وزينة تجذب الانظار اليها ، لأنه يظهر المحاسن ، ويخفي العيوب ، وقد اعترف بذلك قاسم امين : وسبقه اليه الشيخ احمد فارس السكاتب الاجتماعي الشهير ، وقد نظم في البرقع هذين البيتين :

لا يحسب الغرُّ البراقع للنساء منعاهن عن التماذي في الهوى
ان السفينة انما تجري اذا وضع الشراع لها على حكم الهوى

على ان البراقع كانت في عهد زيارته لمصر سائرة لمعظم الوجه ، فكيف لو رأى براقع هذه الايام التي قلت فيها من مقال سابق « تلاعبها الانفاس ، وتخرقها أشمة

عيون الناس ؟

واني لأعجب من المدافعين عن الحجاب كيف يعدون هذه البراقع البيضاء الشفافة من محصلاته أو متماته ، وما هي الامن هاتكاته أو مزيلاته ، الا ان يكون مرادهم رد كل مايجي . به خصومهم من العبث بعادات الامة لاجل التفرنج وزيادة التهنك . كما اني أعجب من اهتمام الآخرين بإزالتها دون غيرها من زينة النساء المدنيات وهي لا تمنع علما ولا عملا ولا صلاحا ولا فسادا ، الا ان يكون مرادهم ترك كل وطني احتقار له ، واستبدال الشخصيات الافرنجية بالمشخصات الوطنية تعظيما لقدورها ، أو توهمها أن تشبهنا بالافرنج في مشخصاتهم — وهو سهل علينا — يقوم مقام جعل مقوماتنا كقوماتهم — وهو ماعز علينا — فيكون لنا شرف التلهي بقشور مدنياتهم وقد انحطت همنا عن اللحاق بهم في لباسها وحقائقها .

أولم يكفهم اننا شرعنا تقلدناهم في هذه الظواهر القشرية قنزيا حكامنا بأزيائهم ، وتبعهم الناس بالتدرج المعتاد في مثل ذلك ، ثم قلدناهم في الاثاث والرياش والماعون وفي كثير من العادات ، وهل كان ذلك كله الا سببا لحرف ثروتنا ، وانزعاجهم إياها منا ، وبعد ان قضي على صناعتنا ، ولم تحل صناعتهم محلها ، دع تأثيره في اضعاف ديننا وآدابنا التي هي مقومات أمتنا فخرجنا عن كوننا أمة متماسكة بما بينها من الروابط كتماسك البناء المتين ، وصرنا كالانقاض التي لا مالك لها ، يأخذها المعمرون فيشيدون بها دورا جديدة لهم

لماذا لا نعتبر بحال الامة الانكليزية التي نالت أعظم سيادة في الارض بأخلاقها وصفاتها وعاداتها ، كالكثبات والتروي والمحافظة على مقومات الامة ومشخصاتها حتى المفضولة منها ، وعدم اقتباس شيء من عادات غيرها وآدابه وان كان أحسن مما عندها ، الا ان يكون بالتدرج البطيء ، في الزمن الطويل

وجملة القول إن زي النساء المدنيات بمصر هوزي زينة تجذب أنظار الرجال اليهن قلما يوجد زي يفني بهذا الغرض مثله وهو ليس من الحجاب في شيء ، ولعله أبعد الازياء عن آداب الاسلام وصيائمه ، فلباس البدويات والقرويات السافرات الوجوه اقرب الى أدب الاسلام وصيائمه منه ، ولكن الدعوة الى إزالته

بدعوى قبحة — لانه من الحجاب الضار المذموم بزعم هؤلاء الدعاة وبروح التفرنج التقليدي الذي يدفعهم اليه — دعوة ضارة مضعفة لمزاج الامة صادعة لبنائها الاجتماعي ، وانما تحسن الدعوة الى تغييره بدعوى مخالفة للآداب الدينية ، وشرف الصيانة الاسلامية ، والى استبداله بزى آخر يجمع بين الجمال والسكال ، ولا يقصد به تقليد أحد من الشعوب والاجيال .

ان المقلد لا ينفك مرتكسا في الضعف يخط في ليل دجوجي

وأما المطلب الثاني من مطالب أعداء الحجاب — وهو اختلاط النساء بالرجال فهو الجده الذي يؤبه له ويهتم به ، وحسبك من بيان ضرر الدعوة اليه بروح التفرنج ، وأسلوب ذم الحجاب المنسوب الى الشرع ، ما قلناه آنفا في ضرر الدعوة الى تغيير الزي ، وتأمل في الموضوع نفسه لتدرك ما فيه من الضرر أو النفع

لقل عدد نساء المومنين في المدن لا يبلغ معشار $\frac{1}{100}$ عدد نساء الفقراء اللواتي يعن في الاسواق والطرقات أو يخدمن في البيوت ونساء القرى والبادية ، وهؤلاء هن اللواتي يوصفن بالحجاب ، والجهاد كله في سيلهن

هذا العدد القليل من النساء يخالط الرجال الاجانب كل يوم في الاسواق والشوارع والمتنزهات ، وكذا في بعض البيوت . فالتساء المدينيات يشترين بأنفسهن من الرجال كل ما يحتاج اليه من الثياب والحلي والاعطار وأدوات الزينة حتى ما يستحيا من ذكره . ونرى الكثيرات منهن في ضواحي المدن ومتنزهاتها يركبن مع الرجال في المركبات ، أو يمشينهم في الطرقات ، ومنهن السافرة عن وجهها . والمخاصرة لخدنها ، واذا سمعت أخبار بيوت السر من وقائع الشحنة (البوليس) أو المختبرين تعلم ان هذه البيوت النجسة كثيرة جدا ، وان أخطائها من النساء (المحجبات) ، وعشاقهن من الافندية والبكوات والباشوات ، يعدون بالآلاف لا بالمئات ، دع ذكر الذين يذهبون بنسائهم الى أوربة فيلبس مدهسفرهن ملابس الافرنجيات كما يفعل رجالهن ، ويجمعن معهم أو منفردات عنهن بالرجال في المطاعم والملاهي والملاعب والمراقص ، ودع ذكر الذين يدخلون أصدقاتهم من الرجال على

نسايم في بيوتهم، ويأمرؤنهن بمجالستهم رموا كلتهم وهن حاسرات عن رؤسهن، مبديات لنحورهن، لاسافرات عن وجوههن فقط. بل أقول لك همسا، ما أتجل ان أجرب به جهرا: ان المحادثة ذائعة بين التلاميذ والتلميذات

كل هذا كثير شائع في مصر فما الذي بقي ممنوعا من اختلاط النساء بالرجال، حتى قام بعض الشبان والشواب ينشدونه ويجاهدون في سبيله في هذه الايام، التي صدعت بناء الانسانية أعظم صدع، وحصرت هم الشعوب كله في الخوف على استقلالها في الشرق والغرب؟

انما بقي شيان اثنان (أحدهما) ان العرف يحظر على الرجل الاجنبي ان يخلو بامرأة أجنبية من هؤلاء المدنيات (كما يحظر الشرع الخلوة بكل أجنبية بغير عذر شرعي) أو يطلب الافراد بها بزيارة أو غير زيارة. فمخالفة هذا لا تزال تعد قبيحة في العرف فلا تقع من غير المهتمكين الا خفية.

(ثانيهما) ان هؤلاء النساء لا يجالسن الرجال في مجالسهم الخاصة في البيوت ولا العامة في المجامع والملاهي، الا من شذ

أما اباحة خلوة المرأة بالرجل اباحة مطلقة بغير تكبر فلا يكاد يذكرها محاربو الحجاب في مقالاتهم اذ لا يجدون شبهة يزينونها بها، وانما يكثرون اللفظ في مجالسة النساء للرجال في المجالس الخاصة والمجامع العامة زاعمين ان ذلك يرقى عقول النساء ويزيد في علومهن وآدابهن، وهذه أظهر شبهاتهم في هذا الباب. وقد اشرعنا لها طريقا لا ينكره عرف ولا شرع فيما كتبناه في المجلد الثاني من النار قريبا لكتاب تحرير المرأة، وهو أنه يمكن تحصيل هذه الفائدة بمجالسة النساء في البيوت لمحارمهن من الرجال كالاخوة والاعمام والاخوال، وأولاد الاخوة والاخوات، وبقضاء الأزواج أوقات فراغهم مع نسايمهم في البيوت، فلماذا يترك هذا مدعو الحرص على فائدة الاختلاط ان كانوا صادقين؟

وأما المجامع العامة قليلا يوجد في مصر منها ما يفيد النساء فائدة تستحق كل هذا الجهد. فالمجامع العامة الدائمة هي المعروفة بالقهاوي والحانات، وغير الدائمة منها هي المآتم والاعراس، وقد وجد في البلاد قليل من الاندية الخاصة، وأحاديث

الناس فيها كحاديثهم في الملاهي العامة من كل وجه، ولكن تلقى فيها أحيانا بعض الخطب والمحاضرات التي لا يفهم بعضها الا القارئات ، وهذه المحاضرات تنشر غالبا في الصحف فيمكن لمن يستفدن منها أن يقرأنها فيها ، ولا فائدة للنساء في مجامع الرجال سواها ، ولكنها لا تخلو من مفاسد :

غشيان النساء لهذه المجامع من أقوى الوسائل لتعرف الفساق بهن واغوائهن إياهن ، والفساق هم الذين يحرصون على هذا الاجتماع بالنساء في الغالب . أما أهل الفضائل والآداب الصحيحة فقليل ما هم ، وأكثروهم — ولا كثرة فيهم — لا يحب هذا الاختلاط ولا يميل اليه . فان وجد فيهم من يرغب فيه للاصلاح انخالص من شوائب الهوى فمن ذا الذي يعرف هؤلاء الافراد وهم أندر من الكبريت الاحمر ؟ وكيف السبيل الى جمعهم في أندية خاصة يختلف النساء اليها دون غيرها لاجل ترقية أفكارهن وآدابهن ؟؟؟

الى متى نفش أنفسنا ، وتعامى عن فساد الاخلاق والآداب الغالب على نابئتنا ، الذي لم يزد مع تربية التفرنج الا تفاقم واستشراء ؟ أنبذل هذه الصبابة الباقية لنسائنا من ارث فضائل سلفنا الى هؤلاء السفهاء ، ونسبي هذا اصلاحا للبيوت باصلاح النساء ؟

اذا كان « خير الناس أنفعهم للناس » كما ثبت في النقل والعقل فالفلاحون في هذه البلاد خير من هؤلاء المتفرنجين الذين تلقفوا قليلا من اصطلاحات مبادي الفنون ، لم يستعدوا بها لعمل ما للامة ، الا ان يكونوا خدما واجراء للحكومة ، التي يعدون اللهب بدمها من شعائر الوطنية الصادقة ، فمن تستفني الحكومة عن استخدامه منهم بمسئون ويصبحون كلا على الامة وعالة على العاملين فيها كالفلاحين ، يأكلون ثمرات أعمالهم ، ويفسدون ما بقي من فضائلهم وآدابهم ، ويحسبون انهم من الأئمة المصلحين فيهم ، (ألا إنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون)

ألا ان النساء في حاجة الى العلم والادب والاصلاح ، وليس الرجال أقل حاجة منهن الى ذلك . ففساد أخلاق الرجال هو الذي أفسد النساء وأضاع ثروة الامة وحل روابطها الاجتماعية ، ولم يبدلها بها روابط خيرا منها ولا مثملا

ألا ان هذا الاصلاح الصحيح انما هو اصلاح النفس بترية الاخلاق والاداب الدينية أولا ، ثم بتعليم العلوم التي يعمل المتعلم بها من يوم خروجه من المدرسة الى ان يهرم أو يموت — وعلوم النساء العملية العامة تربية الاطفال وإدارة البيوت — وأما يقوم بذلك على الوجه النافع خيار الامة دينا وعقلا وأدبا بتأليف الجمعيات الخيرية والعلمية ، فإن لم يوجد من هؤلاء من يقوم بهذا العمل على وجهه بالتعاون فان الامة تظل مذبذبة لا يستقيم لها أمر ولا يتم فيها اصلاح (وما يتذكر الا أولو الالباب)

الشيخ شبلي النعماني

كان الشيخ شبلي النعماني — رحمه الله وأدام النفع به — ركنا من أركان نهضة الاصلاح الاسلامي في الهند

ورجال هذا الاصلاح في كل الاقطار الاسلامية أمة وسط بين فريق الجامدين على التقاليد والعادات التي انتهى اليها أمر جمهور المسلمين بعد فلك التفرق الديني والسياسي بهم ، وانتشار البدع والخرافات فيهم ، وإضاعة جل مآثر سلفهم من العلم والمجد التليد ، وإعراضهم عن العلم الحديث والمجد الطريف — وبين فريق المتفرجين الذين أصابوا حظا من اللغات الاجنبية ، وتلقفوا قليلا من العلوم والفنون الاوربية ، فأحدث لهم ذلك غرورا بأنفسهم ، واحتقارا لأمر أمتهم ، فطفقوا يمزقون منها بززال عقائدهم وأفكارهم ، وتغيير عاداتهم وأزيائهم ، فوهت فيهم جميع مقوماتها ، ولم يندغموا في أمة من الأمم التي يقلدونها ، على ان منهم من يحسبون انه يمكن جعل أمتهم كلها ، مثلهم أو مثلها .

المبينة بين الجامدين والمتفرجين عظيمة ، كل منهم يحتقر الآخر ويكرهه ، ويعده علة اضعف الامة وانحطاطها . أولئك يرمون هؤلاء بالكفر والفسوق ، وينفرون وينفرون منهم ومن هذه العلوم والفنون ، ويعدونهم آلات الاجانب التي يحلون بها عناصر الامة ويستعملونها كما يستعملون عناصر الارض في تنمية ثروتهم ،

(المنار: ج ٣) (٣٠) (المجلد الثامن عشر)

وإعلاء كلمتهم ، واستعمار البلاد وجعلها تحت سلطتهم — وهؤلاء يرمون أولئك بالتعصب والجهل والخرافات والهمجية ، التي يجب نسفها لإقامة بناء الحضارة والمدنية . ولحق أن كلا منهما مخفي في شيء ، ومصيب في شيء آخر ، وله مزايا حسنة ورزايا ضارة ، وإن الأمة لو سارت على رأي كل منهما وحده لم تكن عاقبتها إلا الانحلال والهلاك .

وأما حزب الإصلاح ، فهو وحده محل الرجاء ، لأنه يقدر مزية كل من الحزبين قدرها ، ويعرف منافعه ومضاره ، ويريد أن يكون معقد الارتباط والاتصال بينهما بأرجاع كل منهما عن خطئه ، والسير بالأمة في طريق تحفظ به مقوماتها ومشخصاتها ، وتعيد الموروث النافع منها إلى جدته ، وتدرج في استبدال النافع بالضرار منه ، وتقتبس من علوم العصر وفنونه وصناعاته ما لا تقوم الأمة قائمة في هذا العصر بدونه ، وليس هذا المقام مقام شرح الإصلاح ولا بيان أحوال الأحزاب الثلاثة ، وإنما ذكرنا هذا لبيان مرادنا من قولنا أن فقيد الإسلام في الهند كان ركنا من الإصلاح الإسلامي ولم يكن طلاب الإصلاح إلا أفراداً من الناشئين في بيوت حزب الجود أو حزب التفرنج ، هدام الله تعالى باستعداد في فطرتهم ، وتوفيق في سيرتهم ، إلى معرفة الطريقة المثلى لإصلاح أمتهم . وكان المعقول أن يكون رجال العلم الديني أقدر على أهل الجود منهم على المتفرنجين ، ولكن كثر ما كان الأمر على غير ذلك . وسببه أن كبار الجامدين من الشيوخ هم أشد حسداً وبغضاً للمصلح الديني من غيره ، فهم يكيدون له ، ويضعون من العوائير له ما لا يضعون لغيره . — فلماذا لم يتم للشيخ شبلي ما كان يريد من الإصلاح في ندوة العلماء ، وكان أدنى الناس إلى مساعدته المتدينون من كبار الدنيا كأميرة بهوبال . وقد أخبرني رحمه الله تعالى أن الأمير الجواد ، الذي تفاخر به الهند أمراء المسلمين في جميع البلاد ، النواب محمد علي راجا محمود آباد ، عرض عليه مبلغاً كبيراً من المال يدفعه سنوياً لمدرسة ندوة العلماء بشرط جعلها للمسلمين كافة كمدرسة عليكره لا خاصة بأهل السنة . وهذا باب عظيم من أبواب الإصلاح ما كان لي شايعه عليه المتعصبون من أعضاء الندوة ، فلذلك اعتذر للأمير بأن هذا عمل ما حان وقته

وأما الأميرة المحسنة التقية صاحبة بهوبال ، التي جعلها الله تعالى بمد المصلح العظيم السيد صديق حسن خان ، نصيرة العلم وخادمة الاسلام ، فقد كانت ظهيرة للشيخ في جميع ما يخدم به الدين والعلم من الاعمال . وانا ننشر هنا نص كتاب جاءنا منه ، يشير الى ما كان من صلتها وصلتنا به ، وهو :

الى حضرة السيد المحترم

متع الله المسلمين بطول بقائه

بعد التحية والسلام

إني لم أزل أقرأ في الجرائد ما تبذلون من السعي في تأسيس دار العلم والارشاد ، وهذه هي بغيتنا التي كنا ننشدها نحن أهل الندوة ، فجل الله سميع مشكور ، وتوج عملكم بالنجاح . طالما تاقت نفسي الى زيارة مصر للقائكم ، ولكن هيات فاني قد قطعت إحدى رجلي لرخصة أصابتها فبقيت جليسا^(١) للبيت غير قادر على تحمل أعباء الرحلة والسفر . والامر الذي دعاني الآن الى ارسال النيقة ان الأميرة سلطان جهان (بيكم) صاحبة ايلالة بوقال^(٢) خرجت راحلة الى لندرة للحضور في حفلة تتويج الملك جورج ، وهي تريد زيارة البلاد الاسلامية وتصل في مصر في شهر رمضان وهي من عظماء بلادنا أعطت مائة ألف روية^(٣) لتكميل كلية عليكده ، وعينت ثلاث مائة روية جراية شهرية لندوتنا ، وكل لها من أمثال ذلك

ولها شدة عناية بتربية عائلتها ، ولذلك أرادت أن تجلب إحدى الملمات المسلمات من مصر المحروسة ، وقد كتبت الي أن أكون مساعدا لها في انجاح هذا الامر . فالمرجو من حضرتكم انها لما تصل الى القاهرة^(١) وتستدعي من حضرتكم الاستشارة والاستعانة فافعلوا ما يليق بكم من اكرام مثل هذا الضيف الكريم العديم المثل والفضل لكم^(٢)

شيلي نعماني

لكهنؤ

ندوة

في ٧ مايو سنة ١٩١١

- ١ - يحتمل ان تكون الكلمة « جلسا » بالحاء المهملة المكسورة اذ يقال : فلان جلس بـته ، أي ملازمه . وأصل المجلس ما يفرش تحت سرح الدابة أو رجل البعير وعلى الارض في البيت وقد يفرش غيره فوقه
- ٢ - هكذا يكتب الهنود اسم هذه الايلالة ، والمشهور عندنا ما كان يكتب في مصنفات السيد حسن صديق خان وهو هكذا « بهوبال »

هذا وان الفتيحة رحمة الله تعالى قد اشترك بالمنار من أول العهد لظهوره وكان مواظبا على قراءته معجبا به. وقد كان له من حسن الظن بصاحب المنار ما حمله على دعوتنا لرئاسة مؤتمر ندوة العلمي السنوي رجاء زيادة إقبال مسلمي الهند على هذا المؤتمر وما يتبع ذلك من تعضيد الندوة ومساعدتها. وهذا نص كتابه الأول في ذلك

بسم الله الرحمن الرحيم

الى حضرة الفاضل الاستاذ مولانا رشيد رضا أطال الله بقاءه

لا يخفى على أمثالكم ان اغارات جرجي زيدان على أعراض العرب في كتابه تاريخ التمدن الاسلامي أكثر من ان تحصى، وان كل ما دسسه وموه به لا أصل له أصلا، وحين اطلعت على ذلك كاد قلبي ان يتميز من الغيظ غير اني صبرت وأمضت النظر فيما به نظر. ولما عيل غني الصبر ونأى، قمت على ساق وألفت رسالة أكشف فيها دسائسه، وهي الآن تطبع وأريد إرسال ما فرغ من طبعه منها اليكم لكي تدرجوه في جريدتكم — وكذلك الى الفراغ منها بأسرها

ومما أنبه اليكم ان ندوة العلماء في كل عام تعقد محفلا عاما يحضر فيه الخاص والعام والامراء والنواب وأهل الحل والعقد ويكون انعقاده عامنا هذا في أول ابريل سنة ١٩١٣ فنحن معشر المعتمدين والاراكين نهوى ونود من صميم قلوبنا ان يكون صدر (٣) هذا المحفل العظيم وواسطة عقده النظيم حضرتكم الشريفة، فان تشرقونا بالقدوم علينا في الهند تهرع أهل البلاد الشاسعة الى هذا المحفل الاسلامي على كل ضامر من كل فج عميق لتقديمكم المبارك ان شاء الله تعالى، ويحصل بهون

١- كذا في الاصل ومهما اتقن علماء الاعاجم العربية فانهم يظنون يغفلون في تعريف الاعلام وتكبيرها

٢- لقصر مدة إقامة الأمير بمصر لم يتيسر لنا اختيار معلمة يمكن أن تراها ونختبرها ثم لم يتيسر ذلك بعد سفرها أيضا وقد عرضنا ذلك على الأئمة نبوية موسى فطلبت ان يكون راتبها الشهري مئة جنيه مع شروط أخرى، وأنه ليوجد في الهند معلومات انكليزيات لا يزيد راتب احدها عن بضعة جنيهات

٣- يعنون بكلمة صدر ما نعرض نحن عنه بكلمة رئيس وبهذا المعنى يستعملونها في لغتهم الأوردية

[الماريج ١٨ م ٣] دعوة رئيس الندوة صاحب المنار الى رئاسة مؤتمرها العام ١٩١٧

الله لكم ما أنتم بصدد الاجتهاد فيه من اظهار مقاصد مجلس التعليم والارشاد، وبمظم
بذلك محفل ندوتنا ويقدر قدره. وفي طي رقيمي هذا أرسل اليكم خطبة والي الهند
وعميدها، فيظهر لكم منها ان الدولة البريطانية لها عناية تامة بندوة العلماء ولولا ذلك لم
تعبن لها في كل شهر خمسمائة روية من خزائنها، فان عزم جنابكم على تشریفنا بما
اقترحناه فلا عليه ان يلاقي سفير الدولة البريطانية في مصر المحمية وينهي اليه خطبة
والي الهند وعميدها في حق ندوة العلماء، وعرضتها عند قدوم الملك المعظم مع ملكته
المعظمة قاعدة الهند دهلي، لكي يكون على علم ويستحسن قدومكم علينا، وان أمكن
منكم طلب الاجازة بذلك مرقومة فيها فنعم ذلك. ودمتم أقدم، شبلي نعماني
٥ جنوري (يناير) سنة ١٩١٣ ندوة العلماء — لکھنؤ

جاءنا هذا الكتاب ونحن نستعد لفتح مدرسة (دار الدعوة والارشاد) فكان المانع
من اجابة هذا الدعوى أرجح من المقتضي اذ كان لابد من السفر بعد فتح المدرسة بشر
أو أقل — وأنا ناظر موظف لها، والروح المدير في تأسيسها والقيام بها، — ولكن
أعضاء مجلس جماعة الدعوة والارشاد رأوا ان رحلتي الى الهند خير لمشروعنا لان
إشهاره في مثل ذلك المؤتمر العظيم فقرروا في جلسة رسمية إجازتي واعانتي على ذلك
اقترح الشيخ رحمه الله تعالى علي أن اسافر بإجازة من عميد الدولة الانكليزية
هنا، وأرسل الي خطبة حاكم الهند العام الذي ذكر ندوة العلماء بخير لأتوسل بها
الى هذه الاجازة، فكان هذا من بعد نظره وغور فهمه للسياسة، وكان مراده
أن تكون هذه الاجازة كتابية فلم يتيسر ذلك، فلقي الشيخ من انكار والي
لکھنؤ عليه دعوتي الى رئاسة مؤتمر الندوة ما لقي، وأمكنه ارضاءه بما كان أعده
لذلك من الحجج، ومنها ما كتبه لورد كرومر في تأييد شيخنا الاستاذ الامام من مدح
حزبه، وخطبة للدكتور مرجليوث الاستاذ الشهير في مدرسة اكسفورد ذكر فيها
رأي صاحب المنار في الجامعة الاسلامية بكلام مرضي وثناء حسن

ونحمد الله ان حقق ظن الشيخ رئيس الندوة وأعضائها الكرام فينا، اذ كان
الاقبال على المؤتمر في ذلك العام مما لم يسبق له نظير من قبل. ورحم الله الشيخ
شبلي وأحسن عزاء المسلمين عنه

تقرير المطبوعات الجديدة*

خواطر في القضاء والاقتصاد والاجتماع

بقلم فقيه العلم والعمل والجد المرحوم علي ابو الفتوح باشا وكيل نظارة المعارف السومية المصرية، طبعه باذن المؤلف نجيب القنديل مئري صاحب مطبعة المعارف بمصر في سنة ١٣٣١ هـ - ١٩١٣ م على ورق جيد طبعا نظيفا فجاءت صفحاته ٣٦٠

الكتاب مجموعة مقالات كانت متفرقة في الجرائد والمجلات العربية وغير العربية فجمعت في حياة كاتبها ومر عليها فأصلح فيها ما أراد، وزاد في بيان المراد. وهو يطلب من ناشره ومن مكتبة المنار بمصر

جملة مسائل الكتاب مما اشتغل به مؤلفه علما وعملا فجاءت وافية واضحة مفيدة ونحن ننقل طائفة عنه من مقالة [الشريعة الاسلامية والقوانين الوضعية] قال :

« يظن كثير من الناس حتى من المسلمين أنفسهم أن المبادئ المقررة في الشريعة الفراء لا توافق هذا الزمان الذي بلغ فيه الانسان من المدنية والحضارة درجة رفيعة، ويتوهمون أن الاحكام والروابط التي في القوانين الحديثة الوضعية لا مقابل لها في الاصول الاسلامية، وأنها بمثابة الاختراعات المادية الجديدة التي أنتجها فكر علماء الغرب لم يسبقهم بها أحد !

« ولكن الباحث في الفقه الاسلامي ولو قليلا لا يلبث أن يغير هذا الظن ويتحقق من أن أسلافنا بلغوا في الرفاهة وتقرير المبادئ العمرانية والاجتماعية والقضائية شأواً قليلاً يحاريهم فيه أحد، الا ان صعوبة كتب المتأخرين وكيفية تأليفها، والتواء أساليبها، وتعميد عباراتها، قد أوصد الباب في وجه من يريد الوقوف على حقيقة الشريعة الفراء من غير المنقطعين لدراستها

« ولذلك فاني أشير على من يسلك هذا الطريق ان يقصد المؤلفات القديمة لانها أسهل مورداً وأغزر مادة مع خلوها من التعقيد وتزورها عن المشاغل العقلية، وليترك هذه الكتب الحديثة المنقطعين لفهمها بدون ملل ولا حساب للوقت

(*) كتب تقرير هذا الجزء شقيقنا السيد صالح تخلص رضا وقد تأخر نشره على انه هو قد قصر فيها عهد اليه من كتابة التقرير حتى اجتمع لدينا كتب كثيرة من مطبوعات السنين الاخيرة

«أذكر هذا على أثر مطالعتي لكتاب الخراج للإمام أبي يوسف المتوفى سنة ١٨٢ هجرية . وقد ألف هذا السفر الجليل برسم أمير المؤمنين هارون الرشيد وفيه من النصائح والأحكام ما يجدر بأمرأه المسلمين اتباعه والعمل به
«عبرت في هذا المؤلف الصغير الحجم على درر كثيرة عمدت الى نظمها في هذه المقالة حتى يرى المسلمون ولا سيما المشتغلين منهم بالقوانين الافرنكية ان المتقدم لم يترك شيئاً للمتاخر . واعلمهم يتكبرون على دراسة الشريعة والآداب الاسلامية لانها لا ينافيان العصر الحاضر ولا المدنية الحديثة اذا فهم حق الفهم ودرسا بمقل وتعميرا
«وما أجدر الحكومات الاسلامية باستنباط قوانينها وأحكامها من الشريعة مع اختيار القول الاكثر مناسبة للزمان والمكان لتكون هذه القوانين والأحكام أكبر احتراماً في النفوس وأشدّ موافقة لآخلاق وعادات من وضعت لهم»
ثم أتى بوجوه قانونية وبنود وافقت فيها القوانين الوضعية الفقه الاسلامي »

كتاب الانساب للسعاني

تأليف أبي سعيد عبد الكريم السعاني « نقله الاستاذ مرغوليوث استاذ العربية في جامعة أكسفورد بالفرنغرافية عن نسخة محفوظة في المتحف البريطاني وطبع سنة ١٩١٢ على ورق من أجود الورق على نفقة (نيك كار جيب) وصفحاته تزيد على ١٦٠٠ صفحة بالنسخ الكبير
وضع السعاني كتابه هذا في القرن السادس الهجري ، فكان عمدة المؤرخين والمحدثين . وقد ذكر في مقدمته فضل علم الانساب وجاء بالآيات والاحاديث في ذلك وعقد فصلاً للبحث على هذا العلم . وقد زاد الاستاذ مرغوليوث هذا المعنى ايضاحاً اذ وضع للكتاب مقدمة وجيزة باللغة الانكليزية بين فيها المراد بعلم الانساب واشتهار بعض الاعلام من المحدثين بانسابهم كالبخاري والترمذي والنسائي مما دعا الى تعريف الرجال بانسابهم .

وقد ساعد المستر السن الاستاذ مرغوليوث فوضع في هوامش الكتاب دوائر صغيرة قبالة كل سطر بتدري في ترجمة أحد المترجمين فأفاد ، ولولا ذلك لما أغنى كتابة أكثر الاسماء المترجمة بخط نخين لان ذلك لم يلتزم في جميع صفحات الكتاب اذ لم يكن من نسخ ناسخ واحد ، بل يظهر انه تماقب عليه عدة نساخ وخطه دقيق ملزوم

بعضه الى بعض ، وينقص بعض كله النقط فتبقى ، لو يطبع ثانية بالحروف المطبعية بعد مقابلة هذه النسخة بغيرها من النسخ الواضحة الصحيحة كالنسخة التي رآها صاحب المنار في لكنهو بالهند فتم فائدته ، فنحن أحوج الى هذا الكتاب ممن تولوا طبعه وأحق بإحياء مآثر أسلافنا ، وإنا نشكر للاستاذ مرغوليوث هذه الهدية النفيسة كما نشكر لجمعية [تذكاري] إحياءها هذا الكتاب وغيره من آثار العرب

شرح السيرة النبوية (رواية ابن هشام)

طبع هذا الكتاب بمطبعة هندية بمصر سنة ١٣٢٩ ، وكتب في طرته ما تقدم ، واه مطبوع بإرادة « إمبراطور ألمانيا وملك بروسيا وملك ورنبرج »
تأليف الشيخ الامام الحافظ المحدث الفقيه أبو ذر محمد بن مسعود الحشني .
استخرجه وصححه بولس برونه . وأبو ذر هذا اسمه مصعب بن محمد كما في القاموس ، وهو من علماء الاندلس أخذ عنه الشريشي شارح مقامات الحريري .
وكتابه هذا أمالي أملاها في شرح غريب السيرة . وجعله عشرين جزءا وكان ينبغي ان تسمى فصولا لا أجزاء ، وقد طبع طبعا جيدا في جزئين من قطع أصفر من المنار ، وجعلت أرقام صفائهما متصلة فيحسن ان يجعل مجلدا واحدا فيكون مؤلفا من ٤٦٦ ص ومن الكتاب عشرة قروش ويطلب من مكتبة ديمر بمصر

رجال المعلقات المشر

تأليف الشيخ مصطفى الفلايحي استاذ اللغة العربية في مدرستي المكتب السلطاني والكلية الثمانية في بيروت وطبع بالمطبعة الاهلية في بيروت سنة ١٣٣٠ على ورق جيد طبعا نظيفا وصفحاته ٣٦٠ : اقطع الوسط و١٢ قرشا ويطلب من مكتبة المنار بمصر .

الكتاب مصدر بمقدمتين أولاهما في خلاصة تاريخ العرب قبل الاسلام والثانية في خلاصة تاريخ أدب اللغة العربية من العصر الجاهلي الى اليوم وصفحات المقدمة الاولى ١٦ صفحة والثانية ٣٠ صفحة ثم الكلام على رجال المعلقات بالتفصيل ويتضمن سيره الشاعر وموته والكلام على شعره ومعلقته وسبب نظمها ونخبة من شعره . وقد ضمنت من الفوائد اللغوية والتاريخية والادبية ما لا يوجد في غيره . وقد جمعه لتلاميذ السنة الرابعة والخامسة في المكاتب السلطانية والسادسة والسابعة في المكاتب الاعدادية أو ما يضافي هذه السنين في المدارس الاهلية (الحنين الى الاوطان) نشرت نبذة منه في هذا الجزء وستقرظه فيها يليه ان شاء الله

أوتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد
أوتي خيرا كثيرا وما يذكر إلا أولو الألباب

المجلة

١٣١٥

فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه
أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب

قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام صوي و « مناراه كمنار الطريق »

مصر ٣٠ جمادى الآخرة ١٣٣٣ — ٢٣ الثور (٢) ١٢٩٣ هـ ش ١٤ مايو ١٩١٥

اللغة العربية

أقدم اللغات الشرقية وأم المدنية المصرية والبابلية

كنا نستدل على عراقة العرب في المدنية بما روى لنا التاريخ القديم من استعمارهم
لمصر في عهد دولة الرعاة (الهكسوس) وغيرهم ، واستعمارهم قبل ذلك للعراقيين ،
وما كان لنا في ذلك الا علم اجمالي ، ثم جاءنا علماء العاديات (الآثار القديمة)
بالاكتشافات والتحقيقات التي خرجنا بها من حيز العلم الاجمالي الى حيز العلم
التفصيلي ، وكان أعظم ما اكتشفوه في حقائق العراق شريعة حمورابي (ملكي
صادق) الموصوف في المهددين القديم والجديد بأنه ملك البر وملك السلام وكاهن

الله العلي ، ومن أخبار سفر التكوين انه بارك على ابراهيم عليه الصلاة والسلام وعلى آله ، وان ابراهيم أعطاه العشور . وقد بين هؤلاء العلماء ان شريعة حمورابي كانت عربية ، وهي أقدم شريعة من الشرائع التي عرفها التاريخ ، وقد زعم بعض علماء الألمان ان التوراة مقتبسة منها (راجع المجلد السادس من المنار)

وقد نشرنا في المجلد الخامس عشر (سنة ١٣٣٠) خطابا طويلا في اللغة العربية لجبر افندي ضومط استاذ العلوم العربية في القسم العالي من المدرسة الكلية الامريكانية ببيروت ألقاه في الاحتفال السنوي لسنة ١٩١١م أتحفنا به ، وموضوعه [بحث تاريخي فلسفي في مواطن العربية المصرية ونسبتها الى اخواتها من اللغات السامية] وما جاء فيه ان العلامة رونسن المؤرخ الاثري يرجح ان المدينة المصرية القديمة لم يكن منبتها مصر بل جاءتها من العراق وبلاد العرب (المنار ص ١١٦ م ١٥) وأن الباحثين اتفقوا على ان لغة الاشوريين وقدماء البابليين واحدة ، وان الآثار البابلية تثبت ان الناطقين باللغة السامية هنالك لم يكونوا من أهل البلاد الاصليين ، وإنما جاءوها من مكان آخر وتغلبوا على أهلها الذين كان لهم مدينة عظيمة إذ كانوا غزاة قاطحين ثم ترجوا الكثير من آداب أهل البلاد بلقتهم السامية ، والظاهر انهم كانوا من جزيرة العرب (المنار ص ١١٧ م ١٥)

ثم بين ان اللغة العربية هي أم اللغات السامية وسيدتها ، وان أرومتها الاولى كانت في اليمن وحضرموت وعمان . وانه انشعب منها فرع الى بلاد بابل بالعراق فاقسم الى شعبتين بدوية وحضرية ، وان بعض العمالة والعاديين من قدماء العرب هاجروا الى سورية — بعضهم هاجر من العراق لما اضطهدهم الفارسة ، وبعضهم هاجر من جزيرة العرب بقصد التجارة والاستعمار — كما هاجر غيرهم من اخواتهم الى شطوط افريقية فكان منهم الامهرية والحبشة — (قال جبر افندي ضومط) ومن هؤلاء المهاجرين كان العبرانيون وأم الشام من السكنايين والفينيقيين . وعليه تكون العبرانية والفينيقية والعربية (أي المصرية) شعبتين من الفرع العادي ، والجرية والحبشية من الفرع القحطاني (المنار ص ١٩٩ م ١٥)

أقول فلي ما تقدم يكون كل من مدينة العراق وسورية ومصر عربي الاصل

ثم تولد من ذلك الأصل فروع استقلت واختلفت باختلاف الدول والملل ، حتى جاء الاسلام فأرجع تلك الفروع كلها - ما قرب منها عن أصله وما بعد - إلى الفرع المصري ، فكان أنه عمد إلى أفراد عشيرة كانوا متفرقين متباعدين بحسب كل منه أنه اجنبي عن الآخر فجمع بينهم فمادوا إلى الوشيج الجامع فكانوا أسرة واحدة لكن علامة الآثار والعاديات المصرية وأمام اللغة الهيروغليفية في مصرنا الآن أحمد بك كمال أمين دار الآثار المصرية أظهر لنا من الاتحاد بين اللغة العربية واللغة المصرية القديمة ما لم يكن في الحسبان ، فقد ألف قاموسا كبيرا أورد فيه ألوف من الكلمات الهيروغليفية الموافقة للغة العربية المصرية في الغالب - إما موافقة تامة وإما موافقة بضرب من التحريف أو القلب والإبدال المعهود مثله في اللفظين . ومن المعلوم ان المدنية العربية القديمة كانت في العاديين والقحطانيين سكان حضرموت واليمن ، وهم الذين استعمروا مصر والعراق وسورية . وقد ضاع أكثر لغتهم ، ولعلها لو دونت كاللغة المصرية لفسرت لنا من اللغة المصرية القديمة ما لم يفسر إلى اليوم ، حتى فيما نراه يخالف منها المصرية بتحريف أو قلب أو إبدال وكان المشهور عن أحمد بك كمال أنه يرى أن العربية أصل للغة المصرية القديمة المدونة بالقلم الهيروغليفي ومن لوازم هذا ان أصحاب تلك المدنية كانوا من العرب . ثم إنه رأى نصا يدل ظاهره على أن العرب أنفسهم أو بعضهم من المصريين فأخذ بظاهره حملا له على الصدق ، وبني عليه محاضرة ألقاها في مدرسة المعلمين الناصرية في العام الماضي . وذلك النص ما وجد منقوشا في الدير البحري (مكان بجهة الأقصر) في زمن الدولة الثامنة عشرة (كان زمنها من سنة ١٦٠٠ - ١٣٨٠ ق م) وهي أرقى دول مصر ، وفيه ان المصريين الاولين اشتهروا باسم الاعناء ، ولم يبين النص أصلهم ، ولا من أين جاؤا ، ولكنهم استعمروا الجهة الجنوبية من مصر وأسسوا المدن بأسمائهم . وفيه ان بعضهم هاجر إلى القيروان وتونس والجزائر . وبعضهم إلى أواسط أفريقيا والصومال ، وبعضهم قطع البحر الأحمر إلى بلاد العرب وانتشر فيها وسار من هناك إلى جنوب فلسطين ، وأطلق على كل عنو من (المنار: ج ٤) (٣٤) (المجلد الثامن عشر)

أولئك الاعناء المهاجرين اسم مركب تركيا إضافيا فصار يقال أعناء كذا واعناء كذا.. ولفظ « أعناء » عربي معناه الاخلاط من الناس يكونون من قبائل شتى. أما نحن فنرى أن ذلك النص ربما كان عن عقيدة تقليدية وهمية بأن مصر الموطن الاول للبشر، والاصل الذي تفرغت منه الشعوب والامم، وينقل مثل هذا عن قدماء الهنود والصينيين. فهذه تقاليد متعارضة ليس لنا عليها دليل عقلي ولا ثقلي للرجيح بينها، فتجري فيها على قاعدة تعارضت فتساقطت. على أن أولئك الاعناء المجهول أصلهم يجوز ان يكونوا من العرب، وان يكون من هاجر الى جزيرة العرب منهم هاد الى بلاده، وبهذا يجمع بين هذا القول وقول العلامة رونس الذي رجح كون المدينة المصرية الاولى قد جاءت من بلاد العرب والعراق. والامر المتيقن عندنا الآن هو ان لغتنا العربية الشريفة هي لغة قدماء المصريين ومظهر مدنيته، ونتيجته ان قدماء المصريين من العرب أو العرب منهم فهم أمة واحدة، وكذلك السوريون والعراقيون كما تقدم

وقد رغبت الى احمد كمال بك ان يتحفنا بفصول ملخصة من قاموسه الذي أشرنا اليه فتفضل بالاجابة وجعل الفصل الاول في بعض الحبوب والنبات وهذانه

مقارنة بين اللغة المصرية القديمة واللغة العربية^{*}

١

(في بعض الحبوب والنبات والاشجار والثمار المصرية)
وفيه استطراد الى كلمات أخرى

بُر البر القمح الواحدة بُرّة

قمح هو اسم عندهم للقمح والخبز ويميز بينهما برسم النبات عند

(*) راجع ما ذكرناه عن اللغة المصرية في المقتطف المطبوع في مارس سنة ١٩١٤ وفي تقويم الشرق للدكتور هنري مدور المطبوع سنة ١٣١٥ وذلك في صحيفة ٣٥٠ الى ٣٥٨ وقد رمزنا هنا بحرف (ع) للعبرية وحرف (ق) للقبطية

نهاية الكلمة في الاول والخبر في الثاني^(١)

وجد الكثير منه في المقابر المصرية فحفظ بالمتاحف واختبرت حبوبه في الزراعة فلم ينجح، وقد اختبر الكياويون بعض هذه الحبوب فوجدوها مدهونة بطلاء حافظ لها على مرور الدهر ووجد (شوينفورث) قمحا أصغر في الحجم من قمحا المعروف وهو يشبه القمح البحري وكان يستعمل في الطب والغذاء

حنط حنطة هي البرج ج. حنط

(بُد) بض بياض : وكلمة البيضاء تطلق في العربية على القمح

فهو القوم هو الحنطة وقد ذكر في القرآن الكريم

جل (والجيم تقلب غينا) غلة - ج غلال

شرت ق سريت : سلت - هو الشعير أو ضرب منه ، والشين

تقلب سينا بالمصرية فيقولون شلم بمعنى سلم ، واللام تقلب راء وبالعكس

الشعير عندهم صنفان أبيض وأحمر ويصنع منه الخبز والجمعة ومن خبزه ما هو محفوظ في المتحف المصري بالقاهرة، ووجدت حبوبه في مقبرة كاهون بالفيوم من عصر العائلة الثانية عشرة لكن حبه أصغر من شعيرنا الآن وكانوا يتخذون من سوقه مزامير

تُرَا ذرة

بُول فول - لان الباء تقلب فاء كفيوم أصلها يوم أي اليوم،

وكفأى أصله عندهم بأى

قال هيرودوت في كتابه الثاني ان المصريين لم يزرعوا الفول في أرضهم فاذا خرج فيها لم يأكلوه لانها ولا ناضجا وان قسوسهم لا يستطيعون النظر اليه لانهم يرون أنه نجس، ومع ذلك فقد ورد عنهم أنهم كانوا يحفظونه ويحفظونه بدليل قولهم (قول هاف) أي جاف، لان فاء الكلمة متلوقة عن الجيم. فلا بد وان يكون قول هيرودوت هذا غير صحيح اذ الفول كان ولا يزال من الاغذية المصرية الى هذا اليوم

(١) اصطلاح أهل اللغة المصرية القديمة على ان يرسموا في آخر كل كلمة الصورة الدالة على معناها أو المؤيدة له

عرشان ق. أرشان: بلسن واحدة بلسنة. بلسن. بلسن: عدس

كمن كمن

سنوت سنوت وهو الشمار أو الكمون

رمان حرمان، إرمان — الرمان. ق. أرمان. ع. ريمون

وبالبرية — أرمون

شجر دخل مصر في عصر العائلة الثامنة عشرة وقت انتشار الحرب العظيمة مع أهل آسيا في عهد الملك أحتمس وقد وجد مع اسمه مرسوما في صورة البستان التي زين بها (أنا) جدر حجرة قبره بطيبة وهو الذي توفي أيام (تحتمس) الأول الذي كان أول فرعون تجول في بلاد الشام وأخضعها لحكمه وعليه ربما كان هذا الملك أول من جلب لبلاده هذا الشجر فغرس في البساتين. وهذا لا يتنافى معرفة المصريين لاسمه من قبل. وما وجد في المقابر منه أصغر حجما من نوعه المعروف الآن فهو شبيه برمان طور سيناء وكان يستعمل قشره لقتل الدود واستعمله القبط للحكة وصنع منه المصريون شرابا في عصر الرمسيسيين

دبحو، ضبحي: تفاح — ق. جبج

وهو الشجر المعروف بحسن فاكهته ويكثر اسمه في القرابين التي يذكر فيها الرمان والزيتون والتين وتدل النصوص على أن وجوده في أرض مصر كان في عصر العائلة التاسعة عشرة

نرا لوز: وكذا في العبرية والحيشية ونونها قلب لاما كما في قلب

ولقب فالاول مصري والثاني عربي

بهرى لا يزال يعرف في بعض الجهات بالبنور وصحته برني اسم للنخلة والتمر. ويقال تمر برني ولا تكاد الاضافة تكون في البرني لان

البرني هو التمر وقد ذكر في قول الشاعر —

باتوا يعيشون القطيعاء ضيفهم^(١) وعندهم البرني في جلال دسم

(١) المنار: رواية لسان العرب: جارهم — بدل ضيفهم. والقطيعاء نوع من =

أعم عم عم ج عمومة، أعم، أعمام، أعمه — نخل طوال. والالف
تنوب عن العين في كثير من الكلمات
عَوْنَتْ عوانة : نخلة طويلة

حن حون أمان ج أهنة وأهن : عرجون التمر مافوق الشماريح
والهنا عذق النخل (فالهاء فيهما بدل من الحاء لقرب مخرجيهما)

طاروي جمار النخل — الجيم والطاء يتناوبان في المصرية كقوطم :
طراً بمعنى كلاً . وهاتان الكلمتان مصريتان عريبتان
مر : سلاء ج سلاءة، وأسل الواحدة أسلة : شوك النخل (الراء بدل

اللام) ق سوره سوري

زيتون ق جويث جيت . ع . زيت :

زيت وكان يستعمل للاضاءة خصوصاً في المعابد
وجد الكثير من أ كاليل الزيتون على رؤوس الموتى التي لا يتجاوز تاريخها
العائلة المتبعة للعشرين وعليه يظن ان الزيتون لم يفرس في ديار مصر قبل العائلة
الثامنة عشرة لكن وجد مذكورا في نصوص هرم الملك (تاتي) فهو معروف من
عهد بناء الاهرام أو قبل ذلك

كرم ما كنم : كرم ج كروم وبالعبرية كرم
كامو : كرام — صاحب الكرم والممتني به وأصله كرم موفسقطت منه
عين الكلمة لان الراء والنون واللام تسقط في كثير من الكلمات .

في جمي جمه

== التمر يظهر من مقابلته بالبرني الذي هو أجود التمرانه رديء وقيل هو البسر قبل ان
يدرك. والجمال ج جلة — كفاة وقل . وهي قفة التمر ، ودسم ج أدسم ودسماء صفة
لها ولعله باعتبار ثمرها

كارج كاريو : أكارج أكرة وأكارون اي حرث من أكر
الارض اكرأوا كره حفرها. وجاء في المصرية والعربية ايضا :

من مان الارض شقها للزراعة . والاسم منه :

من أمآن : مزارع. ويقال ايضا :

سقى شق الارض اي فليحها والسكة الحرث. ق إسكاي. إسغاي

بات بات (المكان) يبوئه بوثا حفره

باي فأى فأوأ وفأيا : فلق (والباء تنوب عن القاء نحو بدح

وفدح بمعنى ضرب)

قنا. كنا : قناة ج قنا، وهو الرمح وصاحبه قناء بالتشديد . عود

القنا قصب الذريرة

ويقال له باليونانية (كانا) وبالعبرية (قناح) ويذكر في التذاكر الطبية مع انه لا ينبت بديار مصر ولو اعتمدنا على انه هو المذكور في النصوص المصرية بقصب فنيثيا لساغ لنا ان نقول انه كان يستحضر من آسيا في عهد الفراعنة وقد اطلق عليه العرب والعبريون والمصريون القدماء اسم قنا

نزا : اللوز في العربية والحبشية

سمر : زير، أي كتان. وفي القبطية : سال. سول وله اسماء أخرى

وهذا النوع المسمى بالنباتية (لينوم هيميله) وجدت بذوره في مقابر العائلة الثانية عشرة والعائلة المتبعة للعشرين ويذكر كثيرا في تذاكر الطب واتخذوا منه الغزل والنسيج والثياب الخ

سوشن : سوشن وسوشن وسوسان - نبات طيب الرائحة

الواحدة سوسنة والجمع سواسن . ق . شوشن . واللاتيني : سوزينوم ومنه اسم العلم سوزان، وبالبربرية سوشانه وهو اللوطس الابيض المعروف عند المصريين القدماء ولا يزال ينبت في المستنقعات وعلى شواطئ القنوات الى يومنا هذا

عنب . بالعربية والعبرية .

حرر حلق حليلي حريرة حريري : حنون نور كل شجرة ونبت

وقد حن الشجر والعنب اذا نور (لان النون عديم تنوب عن الرائ)

وكذلك يقال عندنا في اللغة العامية المصرية الآن وفي المصرية القديمة نقب بدل ثقب بالعربية الفصحى وفي المصرية تفن يقابلها في العربية ثقل ، أي بصق . والقلب والابدال لهما أصول في هاتين اللغتين يقتضي مراعاتهما التظهير المقابلة . ومنها :

حلل هلل يهلل تهليللا ، وقد جاء في نقش بمدينة (أبو) الواقعة

في الجهة الغربية من لوقصر ما نصه [وكان المحاربون مثل السبع يهللون

في بهرة الاصواء ^(١) (أي وسط الجبال)] هذه العبارة ثقلت بنصبها ليعلم

وجه الشبه بين اللغتين . ويقال في المصرية والعربية إبهار النهار أو الليل

أي اتصف ، وبهر : فاق ، وبهار : صنم

حر حر حية دقيقة مثل الجان أو ولد الحية كما في القاموس

بد كا بطيح

دبا طبار - اكبر التين ^(٢) يسقوط الرائ وتقدم مثله في كلمة كامو

تون تين

وجد كثير من التين في المقابر القديمة العهد وحفظ بالمتاحف ولا يزال يرى

مرسوما فوق مواثد مع العنب والقثاء والرمان

كونت جنة : تين قل بعض المفسرين في تفسير : (وطفقا يخلصان

عليهما من ورق الجنة) أي ورق التين أكننت : جنة ج جنات

(١) النار : الاصواء جمع صوى بالضم ، وصوى جمع صوة (كقوة وقوى)

والصوة ما غلظ وارتفع من الارض فلم يبلغ أن يكون جبلا ، فيظهر أن المصريين

أطلقوه على الجبال أو على غير الشامخ منها ، على ان رسم الشامخ وغيره متشابه ،

والرسم هو المفسر للغة في كتابتهم . وللصوة أيضا الاعلام التي يهتدى بها المسافرون

وجاعة السباع (٢) في القاموس أن الطبار (بوزن الرمان) شجر يشبه التين

أسى . أسى . أس نبات معروف . قال ابو حنيفة الدينوري ينبت
بأرض العرب وبالسبل والجبل وخضرته دائمة

وهو نبت مصري ترى أغصانه في أيدي الزاقصات المرسومة على جدران
المقابر ووجد من آثاره شيء في قبور تل بسطة بالزقازيق وفي مقابر هواة بالفيوم وقد
حفظ في متحف الليد شيء منه

اسى بوللى أس برى بصير بصل (الراء تنوب
كثيرا عن اللام ومنه رأراً ويقابلها في العربية رأراً ولائاً بمعنى لمع)
أسل أسلة : الاثل شجر ذكر في القرآن واحده اثلة ج اثلات
وأثول ، وهو نوع من الطرفاء والتمر ويقال له بالقبطية : اسى واسه

اعلمنا هيرودوت وبليني ان الاثل كان ينبت في مصر ووجد منه (أنجر) بقايا
في طوبة عثر عليها في قرية الكاب بصعيد مصر ووجد شوينفورت فروعا منه
في تابوت من العائلة الممتمة للعشرين وكثيرا ما تذكر النصوص هذه الشجرة
لانها كانت مقدسة عندهم

كمتى كاة زلم الزلم : وهو حب العزيز
بسباس بسباسة وهي الشمار
بكاء قال ابو العباس النباتي هو شجر معروف عند العرب

بمكة شبيهة بالبيسام

يسر إيصار أنصر حشيش وبالحبشية اثر .
شنت سنط صنط شنيز سنط ق شنت شنته : شجر مصري

قديم يذكر في نصوص الاهرام
وجد من زهره اكاليل على مدينة الملك احمس الاول وامنوفيس الاول
كلاهما من العائلة الثامنة عشرة وكانت تصنع من خشبه السفن والتوايت والثمايل
وآثار البيوت الخ
أحمد كمال
الامين بالمتحف الوطني
(للمقارنة بقية)

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لَا تَأْكُلُوا لَحْمَ الْإِنْسَانِ

دروس سنن الكائنات

محاضرات علمية طبية إسلامية للدكتور محمد توفيق صدقي

٦

(٤) اللحم

يؤخذ هذا الصنف من الطعام من الأنعام والطيور والحيوانات البحرية ،
والمعاد أكله من الحيوانات البرية هي التي لا تأكل اللحم لحكمة ستظهر في الكلام
على الديدان المعوية فيما يأتي ان شاء الله

واللحم نوعان: اللحم الأبيض ، واللحم الأحمر . فمثال الأول لحم الأرانب ، ومثال
الثاني لحم الضأن . والأبيض أسهل هضما من الأحمر ولكن الأحمر أكثر تغذية
لاشتماله على جزء من مادة الهيموجلوبين فتكثر الدم . واللحم يشتمل على جميع
الاجزاء الضرورية للجسم تقريبا ، ففيه الماء والزلال ونحوه من المواد الآزوتية
كالجلاتين والزنثين [xanthin] ^(١) وغيرها وفيه أيضا الدهن والمواد
الكربوهيدراتية (الجلوكوجين وسكر العنب والإينوسيت Inosite ^(٢)) وفيه
أيضا أملاح عديدة منها فسفات البوتاسيوم وملح الطعام وغيرها ؛ وكل هذه المواد
تختلف مقاديرها باختلاف الحيوانات المتنوعة وهي توجد بكثرة عظيمة في لحم الدجاج
فهو أكثرها تغذية ؛ وفي اللحم أيضا حامض السار كولكتيك [Sarcolactic] ^(٣)

(١) معناها الأصفر باليونانية لأن هذه المادة صفراء

(٢) سكر اللحم والسكرية يونانية أيضا ، ومعناها الحرفي (العضلة)

(٣) لفظ مركب من كلمتين (Sarco) يونانية معناها اللحم و (Lactis)

لاتينية معناها اللبن ، أي حامض اللبن المتولد في اللحم

إذا كان جديدا فلذا ينفع في الاسكربوط . ويوجد في الخنزير الشحم بكثرة فوق سائر أنواع اللحوم الاخرى فلذا كان أعسر اللحوم هضميا لأن الشحم فيه يحيط بأليافه العضلية فيحول دون وصول العصارات الهاضمة اليها فيتعب المعدة والأمعاء، وقد يحدث منه القيء أو الاسهال، وربما هيأ الزائدة الدودية للالتهاب ولذلك تكثر أصابتها به في بلاد الاقربان فان فساد الهضم من أسباب هذا المرض

وكثيرا ما تكون الحيوانات مصابة بأمراض متعددة مثل الدرن^(١) والجحرة الخبيثة وأنواع كثيرة من الديدان سند كرها تفصيلا فيما يأتي، فلذا يجب أن يكون الحيوان المأكول سليما من كل مرض . ويجب أيضا طبخ اللحم جيدا حتى تقتل فيه الميكروبات وأكياس الديدان بقدر الامكان . وأضر ديدان تنشا من أكل اللحوم هي الديدان التي تنشا من أكل الخنزير، وهذه حكمة أخرى في تحريمها . ولا يتوهن القارئ ان الطبخ يزيل جميع أضرار اللحوم المريضة فانه اذا قتلت الميكروبات بسبب شدة الحرارة بقيت سمومها وكلما اشتد الطبخ لتأكد من قتلها زاد تجمد المواد الزلالية وعسر هضمها ، على أن الطبخ قد لا يقتل بعض ميكروبات الدرن التي تكون في باطن اللحم لأنه موصل ردي للحرارة

أما لحوم الحيوانات البحرية فن أسهل اللحوم هضمًا وقد لوحظ أن الناس الذين يأكلونها بكثرة أقوىاء البنية أصحاء، إلا أنه قد يصاب بعضهم بالجذام فلذا ظن بعض الأطباء أن الاقتصار على أكل السمك أو الاكثار من أكل الفاسد المتعفن منه كالفسيخ مما يهيئ الجسم لقبول هذا المرض الخبيث، ولكن ذلك لم يثبت الى الآن

ومن أنواع الحيوانات البحرية الحيوانات ذوات الاصداف كالبلطينوس وهي سهلة الهضم جدا ، غير ان ميكروب الحمى التيفودية قد يوجد فيها

ومن أنواعها أيضا السرطان البحري ونحوه وهي لكثرة أكلها المواد القنطرة تضر آكلها بذلك وبشدة عسر هضمها . وأجود أنواع السمك هو الذي يصطاد حيا من المياه الجارية النظيفة . والسمك سريع الفساد فلذا يجب أن لا يترك زمنا

(١) الدرن كثير الحصول للبقر والخنزير ، قليل جدا في الضأن ، ونادر في المعز

طويلا بل يؤكل غصبا غريضا. ويعرف السمك الغريض (الطازة) بيبس لحمه ، وباتصاب ذيله . والسمك الفاسد المتعفن هو من أضر المأكولات فانه يتولد فيه من الفساد بعض مواد سمية آزوتية تسمى Ptomaines^(١) وهي شديدة الخطر حتى ان كثيرا من الناس قتلوا بسبب أكلهم السردين والفسيوخ، ومن لم يمت منهم قد يصاب بالدوار والصداع والاسهال أوالقيء وغير ذلك

أما البطارخ (وتسمى الصمة قُر وهي عبارة عن بيض السمك) فهي أقل فسادا من لحمه ، وهي مغذية محرصة لشهوة الطعام ويشترط أن لا يكثر الانسان من أكلها في المرة الواحدة ، وقيل أن أكلها يمسك البطن و يمنع الاسهال

والأسماك ذوات الحرشف هي غالبا ألد طعما وأسهل هضما من التي لا حرشف لها لكثرة دهنها وقذارة المياه التي تعيش فيها، ولذلك حرمت التوراة أكل ما ليس له حرشف (راجع سفر اللاويين ١١ : ٩ - ١٢) ومن أسماك الانهار ما يكون سببا في إصابة الانسان بدودة شريطية كما سيأتي تفصيله

ويقال ان أكل الأطعمة الحيوانية الفاسدة مدة طويلة يسبب الاسكربوط وهو رأي راجح جدا الآن ، وذلك مثل أكل القديد (البسطرما)

(جدول تركيب أشهر اللحوم)

المواد	الثور	العجل	الخنزير	الحصان	الدجاج	نوع من السمك
ماء	٧٦.٧	٧٥.٦	٧٢.٦	٧٤.٣	٧٠.٨	٧٩.٣
زلال وجلاتين	٢.٠	١.٤	١.٥	٢.٦	٢.٧	١.٣
شحم	١.٥	٢.٩	٦.٢	٢.٥	٤.١	٠.٧
مواد كربوهيدراتية	٠.٦	٠.٨	٠.٦	٠.٦	١.٣	٠.٩
أملاح	١.٢	١.٣	١.١	١.٠	١.١	٠.٨

(٥) الاطعمة النباتية

هذه الاطعمة منها ما يؤكل بلا طبخ كالجرجير والفجل وغيرهما، ومنها ما يؤكل

(١) معناها (مواد الجيفة) وهي لفظ يوناني

مطبوخا كالبقول وغيرها . وهي في مجملها تشمل كثيرا من الزلال والدهن والمواد السكر بوهيدراتية والحوامض النباتية وأملاح عديدة، وفيها مادة يتعسر هضمها تسمى (السلولوز^(١)) وهي التي تكون منها جدران خلاياها وأخشابها وغير ذلك من أليافها أما زلالها فيوجد بكثرة في البقول كالقمح والبقول والعدس والحمص . ويسمى الزلال الذي يستخرج من القمح باللاتينية — الجلوتين (مادة غروية) ، وهو لا يوجد فيه بشكله المعروف الا بعد أن يضاف اليه الماء فيتحد مع ما فيه من المواد الزلالية ويتولد هذا الصنف الخصوص من الزلال ، وهو سهل الهضم ، ولذلك كان من الاغذية النافعة المفيدة

وأما الدهن فهو يوجد بكثرة في بعض الثمار كالزيتون واللوز وغير ذلك الا أنه يقل وجوده في بعض البقول كالقمح مثلا

والزيوت نوعان : ثابتة ، وطيارة . فالثابتة هي كالشحم في تركيبها ، ويحصل الانسان عليها بعصر الحبوب بالآلات مخصوصة ، وسميت ثابتة لانها لا تتطاير أما الزيوت الطيارة فهي مركبة من الكربون والهيدروجين والا كسجين الا أن مقادير هذه العناصر وأوضاعها مغايرة كل المغايرة لتركيب الزيوت الثابتة ، ومن أمثلة هذا الصنف من الزيوت زيت القرنفل ونحوه من الزيوت العطرية ونظرا لكونها سهلة التطاير تُتَحصَل بالتقطير . فإذا غلي اليانسون مثلا في ماء صعد منه الزيت في بخاره ويمكن الحصول عليه بالانبيق . أما الماء الذي غلي فيه فلا يبقى فيه من هذا الزيت الا النادر جدا أولا يبقى فيه شيء

الزيوت الثابتة مغذية ملينة وتحترق في الجسم فتولد فيه حرارة عظيمة جدا ، ولذلك يحسن أكلها في البلاد الباردة

والزيوت الطيارة منشطة منبهة للاعضاء كلها فتقوي الهضم ودورة الدم وتدر البول وتنفض البلغم من الصدر وتزيد في قوة الحركة الدودية للامعاء وبذلك تخرج أرياحها وتزيل آلامها ، وهي مطهرة أيضا قاتلة للميكروبات فتطهر الشعب

(١) كلمة اصلها لاتيني معناه (خلية صغيرة) سميت هذه المادة بذلك لتركيب جدران الخلايا النباتية منها

والامعاء والبول

أما الاملاح التي في النباتات فهي مقادير كبيرة من فسفات البوتاسيوم وفيها أيضا فسفات الحديد وهو كثير الوجود في البقول خصوصا في القمح ، فيكثر دم آكله، ويقل في الأطعمة النباتية ملح الطعام فلذا يحتاج اليه النباتيون كثيرا فيأخذونه من الخارج . وفي الخضر والفواكه أملاح عضوية وحوامض مثل حامض الطرطريك (الدرديك) وهو موجود بكثرة في عصير العنب متحدا مع البوتاسيوم، وحامض الليمونيك الموجود بكثرة في الليمون والبرتقال (واليوسف افندي) والكريز وغير ذلك، وحامض التفاحيك موجود بكثرة في التفاح والكمثرى (الاجاص) وحامض الاساليك^(١) يوجد في الحمض والكرب والطماطم والراوند، وغير ذلك من الحوامض ، وهي تتحول في الدم الى كربونات قلوية فتدر البول وتذيب حامض البوليك الذي ينشأ من احتراق المواد الزلاية احتراقا ناقصا فينشأ منه النقرس (داء مخصوص في المفاصل) والحصوات الكلوية والثانية . فهذه الحوامض النباتية

تساعد على إزالة حامض البوليك الضار بالجسم

والامتناع عن أكل الخضر زمنا طويلا يؤدي الى ضعف بالجسم وتقرح بالثة وحدوث أنزفة متعددة في أنسجة الجسم وخارجه ، وهذه الاعراض كلها هي المسماة (بداء الاسكربوط) ولا دواء له الا الخضر والاعذية غير المتعفنة

ومما تقدم يعلم ان الاقتصار على أكل اللحوم وغيرها من المواد الحيوانية قد يضر بالجسم وخصوصا اذا أكلها الانسان ولم يروض جسمه بالحركات أو الاعمال البدنية المتعبة فان ذلك يقلل احتراق المواد الزلاية الاحتراق الواجب الذي تتحول به الى (بولينا) ليتيسر الكلى أن تخرجها من الجسم بسهولة ذوبانها بل يكون الاحتراق ناقصا فيتولد من المواد الزلاية حامض البوليك الذي يحدث مرض النقرس والحصوات كما سبق . وهذا المرض كثير الحصول للمتفرجين بسبب إصرافهم في المآكل الزلاية كاللحوم وغيرها وإقلالهم من الحركات الجثمانية ولذلك يسمى «داء الملوك» . وللوقاية منه يجب القصد في أكل المواد الزلاية ، والمواظبة على الرياضة

(١) اكسس (Oxys) باليونانية معناها حامض و (Oxalis) اسم الحمض فيها

البدنية، والا كثار من أكل النباتات من خضر وفواكه وغيرها حتى تذيب هذا الحامض الضار (أي حامض البوليك) وتخرجه من الجسم
وأكل المواد النباتية بلا طبخ قد تنشأ عنه أمراض كثيرة كالحمى التيفودية والدوسنتاريا وبعض الديدان المعوية كالديدان الخيطية الذي يوجد بكثرة في المستقيم عند بعض الناس . والسبب في تلك الأمراض هو وجود بعض الميكروبات وبويضات الديدان في الطين والماء الذي يسقى به الزرع، فتعلق هذه بالنباتات وبذلك تصل الى الإنسان اذا أكلها بدون تطهير، ولذلك يجب غسلها غسلا جيدا متكررا فان ذلك يزيل كثيرا من مضارها ولكن الأولى تطهيرها بالقليل لمن أراد أن يصون نفسه صيانة تامة من هذه الأمراض . ويجب في زمن انتشار بعض الأوبئة كالمهضة (الكوليرا) والحمى التيفودية أن تغلى جميع هذه المأكولات غليا جيدا أو يترك أكلها حتى ينتهي الوباء

ولما كانت الحوامض كالليمون والخل قاتلة لبعض الميكروبات المرضية كان وضعها على النباتات الخضراء كالخس مثلاً أو الفجل هو من أحسن الوسائل التي تقي الجسم شر هذه الميكروبات . أما تأثيرها في بويضات الديدان فهو غير واف بالفرض، والراجح أنها لا تقي الإنسان منها مطلقا
الكلام في الحبوب وأغذيتها وغير ذلك

(١) القمح، فيه نشاء كثير، وزلال، ودهن قليل جداً، والمادة المسماة سلولوز وأملاح أهمها فسفات الحديد كما سبق وماء، أما السلولوز فيوجد أكثره في غلاف حبوب القمح وهو الذي يفصل بالطحن والنخل ويسمى بالنخالة، وأكلها يهيج حركة الأمعاء ويحدث لنا قلداً كان نافعا من هذه الوجهة
الطبقة التي تلي غلاف القمح تشتمل على الجزء الأعظم من الزلال ولونها أسمر. وأما باطن الحبة ففيه الجزء الأعظم من النشاء
والخبز يصنع بسجن الدقيق بالماء— كما هو معلوم— فيتحول زلال الدقيق الى المادة المسماة جلوتين واذا أريد الحصول عليها يوضع العجين في قطعة من الموصلي (الشاش) ثم يفرك عدة مرات في الماء فيخرج النشاء الذي في العجين من ثقب الشاش وتبقى

مادة الجلوتين في داخل الشاش، وهذه يصنع منها خبز أو فطير للمصابين بالبول السكري أما الخميرة فهي مركبة من خلايا نباتية، وفائدتها أحداث الفول (الكحول) وثاني أكسيد الفحم، وهو المقصود بالذات لأنه يحدث الفقاع في العجين فيجعله اسفنجيا وبذلك يسهل هضمه بعد خبزه. وبالخبز يزول ما في العجين من الكحول والغاز وتقتل خلايا الخميرة

(ب) الشعير، وتركيبه يقارب تركيب القمح إلا أن زلاله لا يتكون منه الجلوتين بإضافة الماء إليه وإنما يبقى ذائبا في الماء، ويصنع من الشعير (ماء الشعير) وهو مغذ قليلا نافع للمرضى والاطفال، وإذا وضع على لبن الجاموس أو البقر منع تجمده في معدة الاطفال نجينا كبيرا بل تكون قطع جنية صغيرة متفرقة يسهل هضمها. ولا يصح اعطاء هذا اللبن للاطفال إلا إذا خفف بماء الشعير. وكيفية صناعة هذا الماء ان يغلى ٥٠ جراما من الشعير اللؤلؤي^(١) في ٧٥٠ جراما من الماء مدة ٢٠ دقيقة في اناء مغلى ثم يصفى الماء، وهذا الماء هو المسمى بماء الشعير

(ج) القرطم (الشوفان) وهو يشبه الشعير في زلاله وفيه دهن كثير
(د) الارز وفيه نشاء كثير وزلال قليل جدا ودهن أقل من الزلال وسلولوز أقل منها كلها وملح قليل جدا فكأنه لا يشتمل إلا على النشاء، وإذا طبخ جيدا كان سهل الهضم جدا بسبب قلة السلولوز فيه

(هـ) الذرة، هي مثل القرطم في تركيبه بالنسبة لاشتغالها على دهن كثير وزلال كزلاله، وتنقصها كذلك مادة الجلوتين اللزجة فيتفتت خبزها، وينمو في الصيف منها فطر مخصوص يفسدها. فإذا أكلها الناس فقد يحدث لهم المرض المسمى (باللغرا) وهي كلمة يونانية وإيطالية أيضا معناها «الجلد الوحشي» (Pellis جلد و Agria وحشي) وقال بعضهم إنه قد ينشأ حتى من أكل الذرة السليمة إذا كان الشخص معذرا ردي التغذية

وظن آخرون سنة ١٩١٠ أنه ميكروبا ينتقل ببعض أنواع الذباب (السكيت)

(١) شعير ازيل قشرة ثم كسرت حبوبه الى قطع مستديرة مساه، يوجد عند كثير من البقالين

[Sandflies] وقيل إن سببه كسبب الاسكربوط أعني أنه ينشأ من عدم إعطاء الجسم حقه من المواد الضرورية لتغذيته ، فالأسباب أحد ثلاثة : (١) إما الذرة الفاسدة (٢) وإما نقص بعض المواد الضرورية للجسم (٣) وإما ميكروب مخصوص ينتقل بلسع السكيت

وهذا المرض كثير الانتشار في مصر ، وأعراضه : آلام بالمعدة وإسهال متعاص وفساد في المهضم وضعف في الجسم وقهر في الدم وطفح يظهر كثيرا في الأيدي والأقدام والرافق والركب والعنق والصدر ، ويسمى هذا الطفح عند الفلاحين (بالشف) ويكون الجلد فيه خشنا متشققا أسمر اللون أو أسود ، ثم يتقشر ويضمحل . ومن أضر أعراض هذا المرض ضعف يصيب المجمع العصبي كله فيصاب الإنسان بالضعف العقلي والماليغوليا ^(١) (أي جنون الكآبة والحزن) وأعراض أخرى من الجنون كالليل للامتحار . وهذا الداء من أعظم أسباب الجنون في مصر وكذلك شرب الخشيش . وأعراضه تزول في آخر الصيف عادة ثم تظهر في الربيع ، ويتكرر ذلك كل سنة ، وبعد ٣ أو ٤ سنوات تشدد الأعراض ويزيد الضعف إلى أن يموت المريض . ومدة المرض غالبا ٥ سنوات وفي الحالات الخفيفة ١٠ إلى ١٥ سنة والأطفال قليلو الإصابة به وهو يكثر بين سن الثلاثين والخمسين

وعلاج هذا الداء أن تمنع الذرة بئانا عن المصاب ، ثم تعالج الأعراض التي عنده مثل الإسهال فيعالج بالنفاء اللبني والمواد القابضة المعروفة في الطب ، فإذا زال الإسهال أعطى المريض الأغذية الجيدة سهلة الهضم والأدوية المقوية كالحديد والزرنيخ خصوصا ، وتراعى جميع الوسائل الصحية . وهذا الداء إن لم يتدارك في أول الأمر استفحل واستحال شفاؤه وأدى إلى الموت لا محالة وقد يموت الشخص منه ولا يصاب بالجنون

والذرة التي تحدث هذا المرض هي الذرة الشامية وجوبها كبيرة - كما هو معلوم - وأما الذرة الرفيعة المستديرة فلم يعرف أنها تحدثه

(١) معناها الحرق في اليونانية (المرة السوداء) انتهى عندها أنها تختلط بالدم فتحدث هذا الجنون ، ومثل هذه المرة لا وجود لها . وكلمة ماليغوليا من تعريب المتقدمين

وتمتاز حبيبات نشاء القمح عن حبيبات نشاء الذرة بتكويراً كبيراً، أما حبيبات الذرة فهي كثيرة السطوح ، وبهذا يمكن بالمجهر تمييز دقيق القمح عن دقيق الذرة (و) الحمص والبقول والعدس ، هذه المواد فيها زلال أكثر مما في اللحم وفيها نشاء كثير أيضاً ودهن قليل ، وفيها أيضاً مادة السلولوز ، فهي من أعظم ما عند النباتين من المواد المغذية ، أما زلالها فيوجد فيها متحدة على الأكثر مع الكبريت والفسفور ، وهو غير الجلوتين الذي بالقمح ، ولولا أنها عسرة الهضم لكان للنباتين وجهه وجهه في تأييد مذهبهم (راجع أيضاً صفحة ٧١ من هذا الكتاب)

(ز) البطاطس ، فيها نشاء كثير وزلال قليل ودهن قليل جداً وبعض أملاح وسلولوز ، وفيها أيضاً مقدار من حامض الليبونيك إما خالصاً أو متحدة مع البوتاسيوم والصوديوم ، ولذلك فهي مغذية جداً نافعة في الاسكريوط

(جدول تركيب بعض الأغذية النباتية السابقة)

المواد	القمح الشعير	القرطم	الأرز	العدس	الحمص	البطاطس
الماء	١٣٦٦	١٣٦٨	١٢٦٤	١٣٦١	١٢٦٥	١٤٦٨
المواد الزلالية	١٢٦٤	١١٦١	١٠٦٤	٧٦٩	٢٤٦٨	٢٣٦٧
الدهن	١٦٤	٢٦٢	٥٦٢	٥٦٩	١٦٩	١٦٩
النشاء	٦٧٦٩	٤٦٩	٥٧٦٨	٧٦٦٥	٥٤٦٨	٤٩٦٣
السلولوز	٢٦٥	٥٦٣	١١٦٢	٠٦٦	٣٦٦	٧٦٥
الأملاح	١٦٨	٢٦٧	٣٦٠	١٦٠	٢٦٤	٣٦١

(ح) الفواكه ، يكثر فيها الماء وأنواع مختلفة من الحوامض والأملاح والسكر والسلولوز وغير ذلك كالصمغ في التين مثلاً ، وفي بعضها نشاء كثير كالطلع (الموز) فهي مغذية مدرة للبول مذيبة لحامض البولييك مانعة للاسكريوط والنقرس وبعض الحبوب البولية. وطبخ بعضها مما يسهل هضمها كالتفاح والخوخ ، وهو قاتل لما فيها من الميكروبات وغيرها ، وفي البلح والموز — فوق ذلك — مواد زلالية ،

فهما من الأغذية الكاملة

وأكل الفواكه عقب الطعام يعين على الهضم لأنها تكثر عصارة الفم والمعدة بلديذ طعامها

تركيب البلع^{*}

ماء	١٢٠٠٠	مادة صمغية	١٢٠٠٠
سكر (من نوع سكر القصب)	٥٠٠٠٠	سلولوز	٢٠٠٠٠
مواد زلالية	٦٠٠٠		

تركيب الموز^{*}

ماء صاف	٧٣		
مواد أخرى متنوعة	٢٧		
أما هذه المواد الأخرى ففيها ما يأتي بالنسبة للمائة : —			
ماء	١٣٠٠٠	مواد زلالية	٤٠٢٥
نشاء	٦٧٠٥٠	أملاح	٣٠٥٠
صمغ	٤٠٥٠	سكر	٢٠٠٠
سلولوز	٤٠٧٥	زيت ودهن	٠٠٥٥

(تنبيه) اعلم ان الدهن والزلال المأخوذ من عالم الحيوان أسهل هضما بكثير مما يؤخذ من عالم النبات . والعبرة في جميع الأغذية هي بما يختصه الجسم من الأشياء المأكولة ، لا بمقدار ما في الطعام الذي يزدرده الانسان من المواد المغذية ، فانها قد تكون عسرة الهضم

(٦) الماء

مركب من الهيدروجين والاكسجين — كما سبق — بنسبة اثنين من الاول الى واحد من الثاني حجما ، وهو ضروري جدا لجميع الاجسام الحية فان ٦٤ في (* امدنا بهذا التركيب محمد شوقي بك بكير النباتي الشهير في مصر فشكر له

المائة من جسم الانسان ماء ، وهو أيضا ضروري لجميع افرازات الجسم وليسولة الدم وتغسل ما في الجسم من الاوساخ واخرجه في مثل العرق والبول ، وبقبحه اذا خرج في العرق تتلطف حرارة الجسم

والماء عسر الهضم قليلا في المعدة بمعنى أنه يمتص منها ببطء ، ولكنه يمتص بسرعة زائدة من الامعاء ، ولذا كان الاكثار منه مع الطعام أو عقبه بقليل محدثا لعسر الهضم بسبب تخفيفه للعصير المعدي . ولكن المقادير المعتدلة منه أثناء الاكل تزيد في افراز هذا العصير ، واذا شرب الماء بمقادير كبيرة في وقت خلو المعدة من الطعام أضر البول وغسل كثيرا من أوساخ الجسم وزاد في سمنه بترسيب مواد شحمية فيه وكل التغيرات الحيوية في الجسم فينقص مقدار حامض البوليك المنفرز في البول وبذلك يقلل تكون الحصوات الكلوية ويفعل الصغير منها ، وكذلك يقلل تكون الحصوات الصفراوية في مرارة الكبد وقنواته

والماء ينعش الخلايا الحية فيزيد في قوة مقاومة الجسم للميكروبات المختلفة . ومن فوائده أيضا انه اذا شرب منه قليل عند القيام من النوم صباحا أحدث لنا عند المصابين بقبض الامعاء

والماء فوائد أخرى كثيرة في استعماله في الغسل والاستحمام سنكلم عليها — ان شاء الله تعالى — عند الكلام على النظافة

وبالاختصار انه من أكبر ضروريات الحياة بحيث ان الامتناع عن شربه أياما قليلة قاتل لا محالة ، والمزوج منه بالاشربة السكرية وغيرها كالشاي والرق قد يفني عن الصرف

هذا ويجب الاحتراس من شرب الماء البارد عقب التعب الجثماني الشديد كأن يشرب الانسان بعد العدو ونحوه من الاعمال والرياضات المتعبة فان ذلك قد يقتل الشخص بالسكتة القلبية . وشرب الماء الحار مسكن للقيء مساعد للهضم ولكن الماء الفاتر هو من اشهر المقيئات وأبسطها

ويجب خلو الماء من جراثيم الامراض خصوصا وقت فراغ المعدة من الطعام لعدم وجود العصارة الحمضية المطهرة حينئذ

(٧) الاملاح (ومن أهمها ملح الطعام وهو كلوريد الصوديوم)

هذه الاملاح ضرورية للجسم أيضا لانها تدخل في تركيب جميع أجزاء الجسم وسوائله ويتكون منها حامض الهيدروكلوريك الضروري للهضم المعدي ، وتذيب المواد الزلالية الموجودة في الدم وغيره من سوائل الجسم، ولولاها لرسب كثير من الزلال في الاوعية الدموية واللمفاوية فتبطل الدورة . وقلة تعاطي ملح الطعام تحدث ضعفا شديدا وتورما وفقر في الدم وموتاً ، وهذه الاعراض كانت تشاهد كثيرا في بلاد فرنسة حينما كان الناس يمتنعون عن تعاطي الملح بسبب وضع ضرائب عليه . والمقادير الكبيرة من ملح الطعام مثل ملح الملعقة من أحسن المقيثات فيفيد في الاسعاف لسهولة الحصول عليه في أوقات التسمم ، وهو أيضا يحدث اسهالا اذا اخذ بكثرة . وحقن محلوله في المستقيم يزيل الديدان الخيطية منه ، ويحقن أيضا تحت الجلد وفي الاوردة بنسبة ٧٥ جرامات الى كل لتر ماء معقم عند حصول النزف — كما سبق — وفي تسمم الدم وفي الغيوبة الديابيطيسية أي الناشئة من البول السكري . والغرض من حقنه أن يخفف من تأثير السم في الجسم ويزيل بعضه بإدرار البول والا كثار من ملح الطعام قد يحدث تورما في الجسم أيضا ، خصوصا في التهاب الكلوي الحاد ، لتعسر خروج هذا الملح مع البول في هذا المرض ، فيتراكم في أنسجة الجسم ويجذب اليه الماء الذي يتخلف فيها ويحدث الورم (oedema) أما الاملاح الاخرى كفسفات الكلسيوم ومركبات الحديد فهي ضرورية لتكون العظام وتولد الكريات الحمراء وغير ذلك . وأملاح الجير موجودة بكثرة في اللبن والبيض والخضر وهي مما ينمي عظام الاطفال ولذلك كان أكل هذه المواد المذكورة واجبا على المراضع لكيلا تصاب أولادهن بداء الكساح

(٨) التوابل والافاوية والمنبهات

يوجد غير ما تقدم مواد أخرى كثيرة يستعملها الانسان في طعامه وشرابه والغرض منها تنبيه الهضم أو الجهاز العصبي وغيره ، ومن هذه المواد الفلفل والبصل والثوم^(١)

(١) في الثوم زيت طيار فيه كبريت وهذا الزيت هو السبب في كراهة رائحته كما أنه هو السبب في كراهة رائحة الخلتيت

وأنواع البهار المعروفة والقهوة والشاي وغير ذلك
أما المواد العطرية والبهارات فالشيء الفعال فيها زيوت طيارة تنبه الاعصاب
والعضلات وتكثر المصارات الهاضمة، ولكن الغلو في تعاطيها مما يؤدي الى تعب
المعدة وفساد الهضم

(١) الخل — حامض مخفف معروف، يستخرج اما بالتقطير الجاف للخشب، أو
بتأكسدا لخر بوساطة بعض الميكروبات فائبا اذا عرضت للهواء مدة طويلة استحوالت
الى خل وبطل تأثيرها المعروف. وعناصر الخل (وهي الكربون والهيدروجين
والاكسجين) توجد في الخشب بحالة أخرى، فاذا حلل الخشب بالنار في اناء مغلق
حدث منه الخل. وهو نافع في داء الاسكريوط الا أنه أقل فائدة في ذلك من
عصير الليمون، ومن قوائده أيضا أنه يساعد الهضم ويدر البول فهو كباقي الحوامض
النباتية المذكورة آنفا

وحامض الخليك في الخل (بنسبة ٣-٦ في المئة) مختلط ببعض مواد أخرى
(ب) القهوة — معروفة، وتسمى جوبها بعد تحميصها ودقها «البُن» وهو
الذي يوضع في الماء المغلي ويشرب. وفي القهوة مادة آروتية وقهوين ودهن
وسكر وحامض التنيك (الدبغ) وسلولوز وأملاح. أما القهوين فهو أهم
ما فيها وقائده تنبيه المخ فيقل النوم، وهو أيضا يقوي العضلات وضربات
القلب ويدر البول، فلذا يستعمله الناس لازالة النعاس ولتنبيه المخ للأعمال العقلية وفي
بعض أمراض القلب. والقليل من القهوة أيضا يحدث في بعض الأشخاص ليناس
ولكن الاكثار من تعاطيها يحدث عسرا في الهضم وينهك القوى العصبية، فيحدث
أرقا وخفقانا وتقطعا في ضربات القلب، فلذا يجب عدم الافراط في شربها. وأحسن
وقت لاستعمالها أن يشربها الانسان اذا أحس بالنعاس بعد أن يستوفي الجسم
الراحة التي يحتاجها من النوم وغيره. وشرب القليل منها عقب الطعام يساعد على
الهضم، خصوصا بما فيها من الحرارة. وحامض التنيك الذي فيها من أشد المواد
القابضة فاذا أخذت القهوة بمقدار زائد أحدثت قبضا بدل اللين المذكور
والقهوة بما فيها من حامض التنيك والقهوين من أحسن ما يستعمل ترياقا للتسمم

بالأفيون، ويصح حقنها بمقادير كبيرة في المستقيم عند المسموم به إذا كان في حالة الغيوبة
(ج) الشاي - مثل القهوة في التركيب تقريبا، وفائده كفائدها ويصح

استعماله مع اللبن في الاسهال والدوسنطاريا فإنه يحدث قبضا

وطريقة صنعه هو أن يغلي الماء غليسا جيدا ثم يجعل على ورق الشاي بضع
دقائق فيخرج منه بقيع مشتمل على المواد النافعة في الشاي ويقل بذلك نزول
حامض التنيك في التقيع بخلاف ما إذا غلي في الماء، ونظرا لكونه أشد صفاء من
القهوة جاز استعماله أكثر منها في الاسهال ونحوه لعدم وجود رواسب فيه تؤذي الأمعاء.
وحكم ألا كثر منه أو الإدمان عليه كحكم القهوة إلا أنه يحدث التقيح في اللسان
(د) الكافكا - حبوب شجرة مخصوصة تنبت كثيرا في جزائر الهند الغربية.

و يدخل في تركيبها الماء والزلال والثيروبرومين^(١) والدهن والنشاء وبعض أملاح
وصنع وسالولوز. وليس في الكافكا (تين) ولذلك لا يحصل منها القبض الذي
يحصل من القهوة والشاي

والثيروبرومين مادة تشبه القهوين والشاين في تركيبها وتأثيرها غير أنها تؤثر
في المجموع العضلي أكثر من تأثيرها في المجموع العصبي، ولذلك يشعر الإنسان
بقوة في جسمه وعضلاته بعد تعاطي الكافكا، وهو أيضا مدر للبول، ونظرا
لاشتمال الكافكا على كثير من الدهن (نحو ٥ في المائة) تعد من الأغذية النافعة،
وفيها أيضا نشاء كثير. ومن الكافكا تصنع (الشوكولاتا) وذلك بإزالة جزء من
دهنها ثم يضاف عليها السكر وبعض مواد أخرى عطرية وغيرها فلذا كانت
(الشوكولاتا) مغذية منبهة.

وكلمتا «كافكا» و «شوكولاتا» مكسيكيتان

ودهن الكافكا أو زبدته يستعمل طبيا في صناعة الاقاع الشرجية التي تلبس
لإزالة بعض الآلام والأمراض التي في الشرج، والسبب في اختيار هذه الزبدة
هو أنها تذوب بحرارة الجسم الطبيعية

(هـ) المياه الغازية - مثل ماء الصودا والغازوزة - أهم ما فيها الماء مع

(١) لفظ يوناني معناه الحرفي (إله الطعام)

غاز ثاني أكسيد الفحم. وشربها منه للهضم مسكن لآلام المعدة وللقى، ويجب أن
تعمل من ماء نظيف لكيلا تنقل إلى الإنسان ميكروبات الأمراض. على أننا نعلم أن
ثاني أكسيد الفحم مع الضغط الشديد يقتل كثيرا من الميكروبات التي في الماء.

(و) الخمر — يستعملها الناس أيضا للتنبيه والانعاش، وقد سبق الكلام عليها
فلا حاجة للتكرار. وأما قول كلمة في كيفية صنعها، فهي نوعان: أحدهما أنها تعمل
بتخمير بعض أنواع السكر المستخرج من الفواكه وغيرها كالشعير المستعمل في الجعة
(البيرة) والنوع الآخر يستخرج بالتقطير بعد التخمير. فمن أمثلة النوع الأول الخمر
التي يسمونها الآن النبيذ^(١) والبيرة، ومن أمثلة النوع الثاني الكونياك والويسكي.
وأهم ما في النوعين هو الفول (الكحول) ولكن فيها مواد أخرى بعضها ينشأ من
التخمير والبعض الآخر أصله مما في الفواكه وغيرها.

ومن الخطأ الشائع اعتقاد أن شرب البيرة نافع فقد قرر الأطباء أنها ضارة
بباقى أنواع الخمر، زد على ذلك أنها تهيب الجسم أكثر من بعض الأنواع الأخرى
لمرض القرس والروماتزم والسمن الرائد وشربها بكثرة يفسد الهضم. ويضاف عليها
حشيشة الدينار وهي مما يخذل الأعصاب فتحدث ثقلا في الدماغ وميلا للنوم
الكثير وفيها مواد أخرى تنشأ أيضا أثناء التخمير وهي ضارة بالجسم ضررا بليغا
(ز) الدخان — يسمى بالطباق أو التبغ (Tobacco) وبالتن، وهو ورق
شجرة معروفة. أعظم مادة مؤثرة فيه تسمى النيكوتين (Nicotine) نسبة لرجل
يسمى «نيكوت» (Nicot) وهو الذي جلبها لفرنسة في سنة ١٥٦٠ ومادة النيكوتين
من أشد السموم فعلا وأقوا تأثيرا وسرعة، وهي تكثر اللعاب وقد تحدث اسهالا
وقيئا وهودا (هبوطا)، والاكتار من التدخين قد يحدث التهابا في الحلق وإقهاء
(فقد شهوة الطعام) وتقطعا في ضربات القلب وخفقانا ونزلة حنجرية والتهابا في

(١) النبيذ من الشراب هو قيع التمر والزبيب ونحوهما وهو إذا طال العهد
على قيعه يخبث فيصير مسكرا. ولهذا اختلف الفقهاء في حل شربه. وأما الخمر
التي تسمى في عرف هذا العصر نبيذا فهي المحرمة بالاجماع. وقد اشبع المنار الكلام
في ذلك من عهد قريب

العصب البصري يؤدي الى ضعف في النظر وضور في هذا العصب ، وكثيرا ما يعجز الشخص المكتر منه عن تمييز الاحمر من الاخضر

ولا فائدة فيه الا أنه منه المنح مرجح للعقل عند كثير من الناس

هذا وقد زعم بعض المؤلفين أن الدخان لا يؤثر في النظر الا اذا كان الشخص من المدمنين للخمر أيضا . والحق أن كلا منها كاف بمفرده لاحداث هذا التأثير في النظر فتجد أن المدمن للتدخين أو لشرب الخمر (وخصوصا من يواظب على شرب مقادير صغيرة يوميا ومتكررة بحيث لا يسكر منها) اذا بلغ عمره ٣٥ — ٥٠ سنة لا يقدر على القراءة أو الكتابة ونحوهما ، ويضعف نظره للأشياء كلها خصوصا في النور الشديد ، ويعجز عن تمييز الألوان — كما سبق — وهذه الاعراض تبتدى عنده بسرعة الا أن حصولها كلها لا يتم الا تدريجيا بعد مضي عدة أسابيع أو أشهر من مبدئها ، وهي كثيرة الحصول للأشخاص الذين يجمعون بين ادمان الخمر والدخان وان كان كلا منهما وحده كاف لاحداثها — كما قلنا — أما الذين يسكرون أحيانا وفي الفترات لا يدخنون ولا يشربون خمرافهم أقل تعرضا لتلك الاعراض

واذا لم يستفحل الداء ولم يزمن ، فجرد الامتناع عن الخمر والدخان كاف لتحسين الحال أو الشفاء ، ومما يساعد على ذلك استعمال يودورال بوتاسيوم ، وحقق الاستر كين في الصدغ أو تعاطيه من الباطن ، والحجامة الجافة والرطوبة ، والحمام الساخن للأقدام ، ومراعاة القوانين الصحية كافة خصوصا ما به اصلاح المعدة ، والاستغراق في النوم . ولا بد من المواظبة على ذلك زمنا طويلا مع عدم العودة الى شرب الدخان أو الخمر مطلقا وفي مبدأ هذا المرض ربما لا يشاهد تغير ما في قاع العين — اذا امتحن —

ثم توجد فيه أشياء يراها الاختصاصيون بمنظار العين (Ophthalmoscope)

والتغير الذي يحصل في هذا المرض هو كالذي يحصل في الكبد والمنح مثلا لمدمن الخمر فتضمر الألياف العصبية بسبب الضغط عليها بالمواد الاتهابية وبما زاد في المنسوخ الضام الذي يتها ثم ينقبض عليها ويفسدها

طبخ الطعام

الطبخ نافع لأسباب عديدة (منها) أنه يقتل الميكروبات والديدان ونحوها في الجسم من أمراضها (ومنها) أنه في الماء كل النباتية يشقق طبقات السلولوز التي تحيط بنشاتها ، وبذلك يسهل هضمها (ومنها) أنه في اللحوم وغيرها من المواد الحيوانية يذيب بعض المواد المخصوصة العسرة المضم جداً ، على أنه يجمد المواد الزلالية التي فيها أيضاً إلا أن هذا أخف وطأة من المضار الأخرى التي تنشأ من أكل اللحم نيئاً . (ومنها) أنه يفرق الألياف العضلية اللحم بتكون قواقع من البخار بينها ، وبذلك يسهل هضمها ، ويتجمد المواد الزلالية يسهل مضغها . وسخونة الطعام نافعة للهضم ، منشطة للجسم

وإذا أريد الحصول على مرق من اللحم منقذ قطع اللحم إلى قطع صغيرة ووضع في الماء البارد ثم سخن بالتدريج شيئاً فشيئاً إلى أن يغلي ، أما إذا أريد الاحتفاظ بالمواد الغذائية وبقاؤها في اللحم دون المرق فيغلى الماء غلياً شديداً ثم يوضع فيه اللحم أثناء الغليان ، فإن ذلك يجمد المواد الزلالية في الحال ويكون طبقة تحيط باللحم تمنع نزول المواد المغذية في الماء ، ولذلك كان المرق المصنوع بهذه الطريقة قليل النفع

أوقات الطعام وقوانينه

سبق أن الطعام يمكن في المعدة أربع ساعات في الغالب ، ويختلف هذا الوقت باختلاف قدر الطعام ونوعه ، والصحة والمرض ، والراحة والتعب ، ونوع الهواء المستنشق وغير ذلك . ولذا تعود الناس أن يأكلوا مرة كل ٤ أو ٦ ساعات ، وهي طريقة حسنة لا اعتراض عليها ، ولكن يجب أن يراعي الإنسان - فوق ذلك - في مسألة الأكل عدة أمور (١) أن لا يأكل إلا إذا جاع ، وبعبارة أخرى أن لا يدخل طعاماً على طعام فإن ذلك يفسد الهضم (٢) أن لا يأكل الإنسان عقب تعب شديد (٣) أن لا يجهد نفسه بعد الطعام في عمل جسماني أو عقلي فإن ذلك يصرف الدم عن المعدة إلى الأعضاء العاملة فيتعطل الهضم . وعليه فمن الخطأ المذاكرة أو الجري أو الجماع عقب الأكل مباشرة ، وأضرها الجماع فإن الصدمة المصيبة التي تحدث

للجسم منه قد تقتل الشخص بالسكتة القلبية لاسيما اذا كان القلب مريضاً والتعب الذي يعقبه مفسد للهضم . ويلحق بذلك أيضا الاستحمام عقب الاكل فانه ضار أيضا بسبب توجه الدم الى الجلد اذا كان الماء ساخناً أما اذا كان بارداً فان حركة المعدة والقلب تضطرب بسبب البرودة ، ثم يذهب الدم عن المعدة حينما تتمدد أوعية الجلد بسبب رد الفعل المعتاد عقب الاستحمام بالماء البارد فتعيب هي والقلب . وكذلك لا تحسن المذاكرة عقب الطعام الا بعد ساعة على الأقل (٤) ان لا ينام الانسان عقب الطعام مباشرة فان النوم يضعف حركة جميع أعضاء الجسم ومنها المعدة فيتعطل الهضم ويضيق النفس . نعم ان الراحة عقب الطعام نافعة ولكن الاستغراق في النوم هو الضار ، ومن المستحسن جداً أن يتعود الانسان تناول الفطور في الصباح مع قليل من القهوة أو الشاي ، فان ذلك يقوي الجسم والهضم حتى انه شوهد في البلاد التي فيها حمى الملاريا (النافض) قلة اصابة الاشخاص المتعودين فعل ذلك في الصباح وحسن بنيتهم (٥) أن لا يشرب ماءً شديداً البرودة على طعام شديد السخونة

اما الاكثار من الطعام زيادة عن المعتاد فيحدث ضعفا في المعدة وتعددا فيها ، وفسادا في الامعاء ، واحتقاناً في الكبد ، وتعب الكلى ، ويحدث داء النقرس ، واذا كان الطعام الزائد شحماً أو سكرياً أو نشاءاً فقد يحدث سبباً زائداً وانحلالاً في العضلات أو بولاً سكرياً من كثرة النشاء والسكر

والامتناع عن أكل الدهن والشحم البتة يضعف الصحة
أما الامتناع عن المواد السكرية وهيدراتية (النشاء والسكر ونحوهما) فيضطر البنية الى احراق ما فيها من الشحم فيتولد من ذلك حوامض شحمية ومركبات عضوية من قبيل حامض الزبدليك (Butyric) وهذه الحوامض تقلل قلاوية الدم . فان كان الشخص مصاباً بالبول السكري (الديابيطس) ^(١) فقد يحدث له الفيوبة التي تكون سبباً في موته لذلك يرى أعلم الاطباء الآن أن الامتناع المطلق عن أكل تلك المواد في هذا المرض — كما كان متبعاً من قبل — خطر جداً ، ولذلك قلنا ان غسل النحل

(١) كلمة يوقانية معربة معناها يقرب من معنى كلمة البول أي كثرة البول

نافع في هذا المرض لانه يغني عن تلك المواد الكربوهيدراتية ، وهو من أسهلها هضمًا ، والقليل منه يكفي (راجع صفحة ٨٨ من هذا الكتاب)

وإذا أريد تقليل سمن شخص مصاب بالتشمع العام وجب عليه الامتناع عن المواد الدهنية والسكر بوهيدراتية بقدر الامكان ، والا كثر من تعاطي المواد الزلالية فانها تزيد احتراق أنسجة الجسم . وهذه الطريقة تسمى طريقة بنتنج Banting^(١) أما قلة الطعام فانها تحدث ضعفا في الجسم وتقلل قوة مقاومته للميكروبات ، فان من المعلوم أن السكريات البيضاء تزيد عقب الاكل فتكون قوة الجسم على مقاومة الميكروبات أكبر ، فاذا قلت هذه السكريات بالصوم ضعف الجسم وربما صار عرضة لبعض الامراض . نعم ان الصوم عن الطعام نافع في أمراض المعدة والامعاء والكبد والكلى وحصواتهما والتقرس والروماتزم (الرثية) والحميات وأمراض القلب وغير ذلك ، الا أن الغلوفيه له هذا الضرر الذي ذكرناه ، ولذلك نص الشارع صلى الله عليه وسلم على وجوب الاعتدال في كل شيء ونهى عن صوم الدهر وعن الوصال في الصيام واستحب السحور وتأخيرته وتعجيل الفطر وقد قال (ص) لمن نهاء عن كثرة الصيام والقيام (ان لبدنك عليك حقا)

ومما يخفف ضرر الصوم عند المسلمين أن يباح لهم أن يتعاطوا كل ما أرادوا ليلا فلذلك كان الضرر الناشئ من الضعف في أثناء النهار قليلا أو معدوما وبجانبه نفع يفوق كثيرا هذا الضرر وذلك هو إراحة الجهاز الهضمي والكبد والجهاز البولي واحراق ما في الجسم من الزيادة الضارة وغير ذلك مما ذكرناه ، ولكن يجب الاحتراس من ملء المعدة عقب الافطار مباشرة فان الجسم تكون قواه في ذلك الوقت ضعيفة وكذلك المعدة . فالواجب طيبا أن يأكل الانسان أو يشرب شيئا قليلا ثم يعود الى إتمام الاكل بعد صلاة المغرب كما كان يفعل رسول الله (ص)

ولما كان الصوم نافعا من الوجهة الدينية والاخلاقية اغتفر الشارع ذلك الضرر القليل أو المشكوك فيه في جانب نفعه العظيم

(١) كان نجارا من اهالي لندن ، أوصى الجمهور بهذه الطريقة سنة ١٨٦٣ وعاش

ومما يححو ذلك الضرر الابتعاد عن ملاقاته المرضي وكل ملامسهم أثناء النهار،
وحصر الوقت في النوم بقدر الامكان، ولذلك يستحب عندنا في الشريعة الاسلامية
النوم للصائم فانه فضلا عن فائده الطبية بإراحة الجسم وتوفير قواه بقي الانسان من
الاعو والرفق ولذلك ورد في بعض الآثار (نوم الصائم عبادة)

الجهاز البولي ووظيفته

لا يختلف هذا الجهاز في الذكور والاناث الا في الاحليل (مخرج البول)
وهو في كل منهما مركب مما يأتي : —

(١) الكلتيان وهما عضوان مخصوصان لافراز البول موضعهما في القسم القطني
من البطن خلف البريتون على جانبي العمود الفقري ويمتدان من الققرة الأخيرة الظهرية
الى الثالثة القطنية، والتمني منهما منخفضة قليلا عن اليسرى بسبب وجود السكبد في
هذه الجهة ، وطول كل منهما نحو أربع بوصات، وعرضها نحو بوصتين ونصف
والكلية عبارة عن منسوج مخصوص مركب من أنابيب كثيرة العدد لإفراز
البول من الدم ، والدم يأتي اليها بشريان عظيم متصل بالأورطي (الأهر) مباشرة ،
ويتفرع هذا الشريان في الكلية الى عدة فروع يخرج منها فروع دقيقة جدا
تنهي بعمل أشكال كروية تسمى كريات مالبيغي ^(١) (Malpighi) يحيط بها
مبدأ أنابيب الكلئ ، وكل أنبوبة بعد تفرعها عدة تفرجات . تصب في أنابيب
أخرى مستقيمة ، وهذه الانابيب تفتح في قم حلمات صغيرة (عددها من ٨
الى ١٨) توجد في بطن الكلية حول تجويف مخصوص يسمى « الحويض الكلوي »
وهو مبدأ الحالب

(٢) أما الحالب فهو عبارة عن أنبوبة تمتد من الكلية الى المثانة وتحمل البول
اليها ويفتح في قاع المثانة بانحراف ، أعني أنه يسير قليلا في جدارها بين غشائها
الخاطي والطبقة العضلية ، وذلك لمنع رجوع البول فيه بانطباقه على نفسه بسبب ضغط
البول عليه حينما تمتلأ المثانة به . وكل من الحالبين مركب من منسوج ليفي ومنسوج

(١) مشرح إيطالي عاش في بولونيا (Bologna) بين سنة ١٦٢٨ و ١٦٩٤

عضلي وغشاء مخاطي، والغرض من المنسوج العضلي أن يدفع البول نحو المثانة (٣) أما المثانة فهي كيس يسم نحو نصف لتر من البول في امتلائه العادي، وموضعه في الحوض خلف العظم العاني وفي أسفل الجدار الامامي للبطن، والمثانة مركبة من عدة طبقات أهمها الطبقة العضلية والطبقة المخاطية، وفائدة الطبقة العضلية هي قذف البول الى الخارج، وهذه الطبقة العضلية مركبة من ثلاث طبقات: خارجية، وداخلية (والياهما تمتد من الامام الى الخلف غالبا) ووسطى، والياهما حلقة تحيط بالمثانة، وعند فتحة المثانة في الاحليل تتجمع من هذه الطبقة الوسطى الياف كثيرة تسمى « العضلة العاصرة للمثانة » وهي التي تمنع البول من السلس

(٤) أما الاحليل فهو اسم لمجرى البول في كل من الذكر والانثى، وهو - طبعا - أطول في الذكر منه في الانثى. أما فتحة في الانثى فهي فوق فتحة المهبل الذي هو عبارة عن مكان الجماع ومخرج دم الحيض والجنين

أما كمية البول فهي في اليوم نحو ١٥٠٠ سنتمرا مكعبا. وهذه الكمية تختلف أيضا باختلاف مقدار الشرب وحرارة الجو وقوة القلب وبعض المواد المأكولة، فإذا اشتدت حرارة الجو مثلا كثيرا فراز العرق وبذلك يقل البول، وإذا شرب الانسان مقدارا عظيما من الماء أو تعاطى بعض المواد المدرة للبول فإن هذه الكمية تزداد والبول حمضي التأثير في ورق عباد الشمس، وهذا في الحيوانات. أما في النباتين فإنه قلوي التأثير. وإذا ترك البول في اناء مدة من الزمن تحولت (البولينا) التي فيه بفعل الميكروبات الى كربونات النوشادر وصار البول قلوي التأثير، وهذا هو سبب رائحة النوشادر فيه

والثقل النوعي للبول يختلف من ١٠١٥ الى ١٠٢٥ وفي البول السكري يزداد هذا الثقل النوعي كثيرا

والبول مشتمل على مواد كثيرة أهمها الماء والاملاح وبعض المركبات العضوية الاخرى كالبولينا

أما جل الماء والاملاح فتفرز بواسطة كريات ماليني، وأما باقي المواد الاخرى فتفرزها أنابيب الكلى المتفرجة أثناء سير الدم في الاوعية الشعرية التي حولها

والبول الطبيعي خال من السكر ومن الزلال تقريبا فلا يوجد فيه شيء منها يذكر (١) إلا في أحوال مرضية ، والسكر الذي يوجد حينئذ فيه هو سكر العنب ولا يوجد فيه سكر اللبن إلا في المراضع . وأهم سبب لوجود الزلال فيه هو التهاب الكلى المسمى داء بریت (Bright) (٢) الذي يفسد خلاياها خصوصا خلايا كريات مالبيني . وأهم ما يحدث هذا الداء التمرض للبرد الشديد خصوصا عقب الإفراط في السكر أو الجماع ، أو الإصابة بالحيات الفتنة كالقرمزية . وهذا الداء من أضر ما يحدث للجسم ، وهو سبب في موت كثير من الناس . وهناك مرض آخر منتشر في الجهاز البولي في مصر يسمى «داء بلبادس» ستكلم عليه عند الكلام على الديدان وإذا أراد الإنسان البول صدر من التضاع الشوكي تيار عصبي إلى المثانة فاقبضت ، وإلى عضلات البطن فاقبضت أيضا ، وفي أثناء انقباضها ترتخي العضلة العاصرة لتفتح المثانة فيخرج البول إلا إذا عاقه عائق كحصاة تكونت في المثانة وقد تكون الحصيات في أنابيب الكلى نفسها وتكون حينئذ صغيرة جدا كحبات الرمل ، أما الحصيات الكلوية الثامة فتكون غالبا في أعلى الحالب أي في الحويض الكلوي وهي السبب في حصول الآلام التطنية عند المصابين بها ، فإذا نزل جزء منها في الحالب اشتد المنص بالمصاب إلى درجة مفرقة ، ولا يزول غالبا إلا إذا عادت الحصاة إلى الحويض أو نزلت في المثانة ، أما إذا وقعت في الحالب وسدته تراكم البول خلفها وضغط على منسوج الكلية فأثقله وإذا طالت مدته استعالت الكلية إلى كيس عظيم . وأهم هذه الحصيات هي حصيات حامض البوليك الذي يكثر بتعاطي المواد الزلالية مع قلة الحركة الجنسية — كما قلنا — ولا علاج للحصاة بعد تكوينها إلا بالعمليات الجراحية ما لم تكن صغيرة وتخرج بنفسها مع البول . وأحسن المخترعات الحديثة لمرة مكانها وشكلها وحجمها هو أشعة

(١) في البول الطبيعي ١ في ١٠٠٠٠ من السكر ، وأثر من الزلال ، وكلاهما يعتبر ادراكه بالطرق الكيماوية المطانة

(٢) هو ريتشارد بریت (Richard Bright) الانكليزي عاش بين سنة

١٧٨٩ و ١٨٥٨ ميلادية

رونجن (Röntgen) فأما تظهر ما في الجسم من الاجسام الصلبة كالخصيات والعظام والاشياء الغريبة كالأصاص - وسيأتي الكلام عليها -
والخلاصة ان وظيفة الكلية هي إفراز المواد المتخلفة من الاحتراق الداخلي للجسم لان بقاء هذه الفضلات فيه ضار به جداً وإذا بطلت هذه الوظيفة بسبب فساد الكليتين نشأ عن ذلك الموت لتسم الجسم بالمواد البولية، ولذلك يسمى هذا التسم بالتسم البولي (Uraemia) وبعبارة أصح « تسم الدم بالبول »

الجهاز التناسلي ووظيفته

هذا الجهاز - وان اختلف في الظاهر في الذكر والانثى - هو واحد في منشئه وتركيبه، ولذلك قال ابن سينا^(١) في قانونه ان آلة التوليد في الاناث « كأنها مقلوب آلة الذكر » وهو تعبير يقرب المسئلة الى الفهم وان لم يكن حقيقياً على إطلاقه

اعضاء الذكر

القضيب والصفين المشتمل على الخصيتين والقناة الباقلة والحويصلات المنوية والبروستاتا وغيرها مما سيأتي

أما القضيب فهو مركب من ثلاثة أجسام اسطوانية الشكل : اثنان منها في أعلاها والثالث في أسفلها . ومنسوج هذه الاجسام الثلاثة يشتمل على تجمعات عديدة اذا احتبس فيها الدم بسبب ضغط العضلات على الاوردة حصل الانتصاب والجسم الاسطوانى الأسفل هو الذي فيه الاحليل (أي مجرى البول) ومركز الانتصاب في (الامتخاخ القطني للتحاغ الشوكي) الذي يقابل الفقرتين أو الثلاثة الأخيرة من الفقار الظهرية

والخشفة متصلة بالتسم الأسفل من تلك الاجسام الاسطوانية ، ويفعل الخشفة

(١) هو الشيخ الرئيس أبو علي بن سينا الفيلسوف العربي الشهير ، ولد قرب بخارى سنة ٩٨٠ ميلادية وتوفي سنة ١٠٣٧ م (٣٧٠ - ٤٢٨ هـ) وله مؤلفات عديدة جاوزت المئة ، وكان كتابه في الطب المسمى (القانون) معولاً عليه حتى في أوروبا عدة قرون ، وترجم الى عدة لغات ، وطبع بالعربية في رومة سنة ١٥٩٣ م (١٠٠١ هـ)

جلدة تسمى القلفة ، وهي التي تقطع في الختان وفائدة الختان منع تراكم الافرازات تحت القلفة وكذلك تسهيل معالجة ما ينشأ في الحفشة من الادواء، ومن فوائدها أيضا تعريض الحفشة نفسها لشدة الاحساس فتقوى الشهوة ويكون الالتذاذ بالجماع اكمل. وفي بعض الاشخاص قد تكون فتحة القلفة ضيقة فيتعسر خروج البول ويتسبب من ذلك كثرة الزحير فيصاب الشخص بمثل سقوط المستقيم أو الفتق الشري أو الأربي وغير ذلك وضيق الفتحة هذا هو من أكبر الأسباب لهذه الامراض خصوصا في الاطفال ولا دواء له الا الختان، وتراكم الافرازات قد يؤدي الى جلد عميرة والتهاب الحفشة والصاقها بالقلفة ، ويهيئها لقبول الامراض الزهرية بل والسرطانية في الشيوخ . ولذلك كان الختان عند فقهاء المسلمين سنة مؤكدة وعند بعضهم واجبا ، ولكنه عند اليهود فرض لا هوادة فيه

الصَّفَن: وهو الجلدة المعروفة التي تشبه الكيس وفيها الخصيتان. أما الخصيتان فهما غدتان كبيرتان كحجم البيضة مختصتان بإفراز الحيوانات المنوية . أما تركيبها فهو كما يأتي: يحيط بالخصية غشاء سميك يخرج منه عدة جدران تقسم الخصية الى عدة أقسام ، وفي هذه الاقسام توجد أنابيب طويلة ورفيعة جدا يبلغ عددها نحو ٨٤٠ (وقيل ٣٠٠) وطول كل منها نحو من قدمين وربع وقطرها صغير جدا وهي ملتفة على نفسها ومبطنة من داخلها بخلايا مخصوصة تتحول بالتدريج الى الحيوانات المنوية أما هذه الحيوانات المنوية فكل منها عبارة عن خلية واحدة، لها رأس وجسم وذنب ، ورأسها هو نواة الخلية، ولها حركة سريعة جدا ، وإذا رآها الانسان بالميكروسكوب ظنها ديدانا دقيقة أو علقا ، وتعيش مدة بعد خروجها من الانسان ، وشكلها يختلف باختلاف الحيوانات المتنوعة وأقرب الاشكال شيئا بحيويين الانسان حيويين مني القرد. وإذا انفصلت هذه الحيوانات من خلايا الانابيب سارت فيها، وهذه الانابيب تتجمع شيئا فشيئا الى ان تتكون منها قناة واحدة تسمى «بالقناة الناقلة» والدم الوارد الى الخصيتين يأتيهما بشريانين رقيقين طويلين يخرجان من الأبرم الممتد من القلب خلف الترائب الى نهاية الصلب تقريبا (والصلب هو السلسلة الفقرية

كما سبق) وهذا الدم يغذي الخصية فتقسم خلاياها بعد ان تتغذى به وينشأ من انقسامها هذه الحيوانات المنوية . وعلى ذلك فأصل المني أو دمه يخرج كما قال تعالى (من بين الصلب والترائب)^(١)

أما هذه القناة الناقلة التي يحس بها الانسان في الصفن كحبل صلب فهي تحمل المني الى جدران البطن ثم تدخل البطن ولكنها تبقى خارج البريتون وتستمر في سيرها الى أسفل المثانة وتكون بينها وبين المستقيم^(٢) وهناك تتحد بقناة الحويصلة المنوية التي في الجهة الوحشية منها ، ويتكون من اتحاد القناتين قناة واحدة تصب في مجرى البول بعد خروجه من المثانة بقليل وتسمى (بالقناة القاذفة)

أما الحويصلة المنوية فهي كبس صغير كأنبوبة ملتفة على نفسها ولها في جوانبها عدة فروع ، وهي تفرز سائلا لزجا رقيقا يضاف الى المني لتسهيل حركة الحيوانات فيه ، وفي هاتين الحويصلتين يتجمع المني الى حين قذفه عند الجماع ونحوه ، فهما مستودعان له

البروستاتا (وهي كلمة يونانية معناها الإِمام) يحيط بمبدأ مجرى البول بعد عنق المثانة خلف العظم العاني وتحتة ، وهو يفرز مادة تضاف الى المني تسمى بالودي^(٣) وتنبعث منه بعدة أنابيب تصب في مجرى البول أثناء مروره في البروستاتا ، وهذا العضو كثيرا ما يصاب بالضخامة في الشيوخ فيحدث عندهم عسر البول واحتباسه

وهناك غدتان صغيرتان في العجان على جانبي مجرى البول هما افراز مخصوص يسمى بالمذي وهو السائل الذي ينزل عند المداعبة ، وفائدته تليين

(١) الترائب هي عظام الصدر تطلق على الذكر والانثى وان كان يغلب استعمالها في الانثى ومنه قول امرئ القيس (تراثبها مصقولة كالسجنجل)

(٢) لذلك يكثر الاحتلام عند امساك البطن أو عند امتلاء المثانة بالبول ، فلذا يجب اطلاق البطن والتبول قبل النوم لمنع ذلك

(٣) هو ما ينزل أحيانا بعد البول ومن أشهر اسبابه واكثرها شدة الميل الى النساء مع عدم الوصول اليهن ، والتحرق عليهن

قناة البول لتسهيل سير المني فيها ، وتيسير إيلاج القضيب في الفرج عند الجماع . وهاتان الغدتان تسميان غدتي (كوبر) « Cowper » والقذف يحصل بانتقباض الالياف العضلية التي في المجاري المنوية وحولها ، فان في كل هذه الاجزاء المذكورة كثيرا من المنسوج العضلي

ويبتدىء تكون الحيوانات المنوية عند البلوغ ، وهو يحصل عادة في بلادنا بين السنة ١٢ و ١٦ وقد يبلغ بعض الغلمان في التاسعة من عمرهم ، وآخرون في السنة ١٨ واذا بلغ الشخص خشن صوته ونبت الشعر في وجهه وعاتته ووجد فيه الميل الطبيعي للانثى . ويستمر افراز المني الى أواخر العمر ، فقد عرف ان بعض الشيوخ رزقوا بالولد في سن الثمانين بل بعد المئة ، ولكن الميل الشهواني يضعف عادة في الانسان كلما كبر ، وقد يزول في الصغر لضعف أو مرض أو غيرهما ، ويكون حينئذ قاصرا على الميل النفسي وان كانت القوة الجمانية نفسها ضعيفة أو مفقودة بسبب ضعف الانتصاب أو عدمه

اعضاء الانثى

تبتدىء هذه الاعضاء من الخارج الى الداخل بالفرج ، وأجزاءه هي (١) جبل الزهرة (٢) وهو القبة التي في أعلاه وعليها ينبت الشعر (٣) الشفران الكبيران ، وهما الممتدان من جبل الزهرة الى ما يسمى بالشوكة وهي الغشاء الذي يجمع بينهما عند أسفلهما . وهذه الاجزاء مركبة من جلد وشحم مع جزء من المنسوج المسمى بالخلوي ، وفيها غير ذلك أعصاب وأوعية وغدد وألياف عضلية . والشفران في الانثى يقابلان الصفرين في الرجل (٣) الشفران الصغيران ، وهما قطعتان صغيرتان من الجلد بين الشفرين الكبيرين ويعرفان عند عامة النساء في مصر بالورقتين ، يمتدان في أعلاهما الى البظر (٤) البظر وهو جسم صغير يقابل في الذكر القضيب ، وهو مثله في تركيبه ونشوته ، غير أنه مركب من جسمين اسطوانيين فقط ، وله رأس كرأس الذكر ، ولكنه

(١) الزهرة هي ما يسميها الرومان Venus (فينس) وهو الكوكب المعروف ببهاثة وجماله ، وكانوا يزعمون انه (إله الحب) والى هذه القطعة من الفرج تنسب الامراض الزهرية الناشئة من الزنا غالبا

غير مثقوب ، ولا يوجد فيه الجسم الثالث الذي للرجل ، والبظر عضو حساس خصوصا رأسه ويتحرك بالشهوة وينتصب كالذكر تماما . ولذلك اعتاد الشرقيون من قديم الزمان أن يقطعوه وحده أو مع الشفرين الصغيرين ، وتسمى هذه العملية بعملية الخفض ، وهي مستحسنة في الشريعة الاسلامية لانها مما يقتل ثوران الشهوة عند النساء وخصوصا في البلاد الحارة

(٥) غدد (بارثولين) وهما غدتان صغيرتان على جانبي فتحة الفرج تفرز كل منهما مادة لزجة صافية تشبه المذي ، وهي تسيل مثله عند تحريك الشهوة في النساء (٦) العذرة (غشاء البكارة) وهو غشاء يسد فتحة الفرج كلها أو بعضها ، ولكنه له في الغالب فتحة أو أكثر لتزول دم الحيض ، وله أشكال عديدة أكثرها الهلالي والحلقي ، وقد يكون سدودا بالمرة من أصل الحلقة . وإذا كان هذا الغشاء سدودا بالمرة امتنع دم الحيض من النزول فيتراكم في الرحم وينشأ منه أعراض مخصوصة يعرفها الأطباء ، وتسمى المرأة المصابة بهذه العاهة بالارتقاء . وعند تمزق هذا الغشاء في العذاري يخرج منه مقدار من الدم كما هو معروف ، ويسمى هذا التمزيق بالافتقاض . وفي تمزيقه بالأصبع خطر فقد يتمزق معه المهبل وربما ينفذ ذلك الى الوفاة

هذه هي أعضاء المرأة الظاهرة

أما أعضاؤها الباطنة فتبتدى بالمهبل ، وهو أنبوبة عضلية موصلة بين الفرج والرحم ، ولها فتحة مسدودة بالغشاء المذكور وفي أعلى هذه الفتحة يوجد الصياخ البولي ، أي فتحة البول الواصلة الى المثانة . والمثانة في النساء فوق المهبل ووظيفة المهبل هي أن يكون محلا للجماع ومخرجا للجنين ودم الحيض أما الرحم فهو جسم كثري الشكل ، عضلي سميك أجوف ، له فتحة في المهبل وفيه فتحتان أخريان لأنبوتين تسميان بوقي فالوبيوس^(١) لحمل البويضات الى الرحم

(١) هو جبريل فالوبيوس (Gabriel Fallopius) المشرح الشهير ، كان من أهالي بادوا (Padua) بقرب مدينة البندقية ولد سنة ١٥٢٣ ومات سنة ١٥٦٢ وهو أول من وصف هذين البوقين وصفا دقيقا

أما (البوقان) فبطنان من الداخل بغشاء مخاطي له أهداب، وطول كل منهما نحو أربع بوصات وطرف كل منهما مشرشر، وخلف البوقين (المبيضان) وهما جسمان يشبهان الخصيتين وليسا أجوفين وفي داخلهما بويضات صغيرة جدا ميكروسكوبية في داخل حويصلات تسمى حويصلات (جراف) وهذه الحويصلات تقرب من سطح المبيض شيئا فشيئا حتى تنفجر فتخرج البويضة (١) وتصل الى البوق . والبوق متصل بالمبيض بقناة صغيرة هي جزء من الطرف المشرشر، وهو ينطبق على المبيض حين انفجار الحويصلة

البويضة والبلوغ والياس

أما البويضة فأصلها من الغشاء المحيط بالمبيض الذي هو عبارة عن البريتون . وتتكون هذه البويضات في البنات منذ ابتداء خلقتهن بحيث تولد البنت وفيها عدد مخصوص من البويضات تبلغ الالوف . ويقال ان هذه البويضات تسقط من البنات في زمن طفولتهن قبل البلوغ . ويتفق في البنات البالغات والنساء زمن انفجار الحويصلات وخروج البويضات منها مع زمن الحيض . والرأي الراجح الآن عند بعض العلماء أن كل مبيض تنفجر منه حويصلة مرة في كل شهرين بمعنى أن الحيض اذا اتفق مع انفجار الحويصلة التي في المبيض الايمن مثلا في هذا الشهر انفجرت حويصلة من المبيض الايسر في الشهر التالي وهكذا ، أي ان كل انفجار من مبيض يكون في شهر وحده

وأما زمن البلوغ في البنات عندنا فيكون من ١٢ الى ١٤ سنة ، وفي البلاد التي أشد حرا من مصر كبلاد الهند والعرب كثيرا ما تحيض البنت في السنة التاسعة وزمن الحيض يتفق مع زمن النسل عادة الا أنه ثبت ان بعض البنات حملت قبل أن تحيض ، كما ثبت أن بعض العجائز حملت بعد اليأس . وسن اليأس في النساء هو في الغالب من ٤٥ الى ٥٠ ومنهن من يستمر حيضها الى ما بعد ذلك بكثير كالسنة التاسعة والستين

(١) تشمل الحويصلة عادة بويضة واحدة وأحيانا بويضتين ونادرا ثلاثا وقد تشمل البويضة نواتين بدلا من واحدة، وذلك من اسباب الحمل التوأمي كما سيأتي

الحيض - عبارة عن نزف يحصل من الغشاء المخاطي المبطن للرحم ويصاحبه تمزق في هذا الغشاء وسقوط بعض الأجزاء منه ، ولا يحدث الحيض إلا للنساء ولبعض أنثيات القروء ، ومدته تختلف من يوم الى ثمانية أيام ، وفي الغالب ستة أيام فقط وسبب الحيض وقائده مجهولة الى الآن . وهو ليس ضروريا لحدوث الحمل ، فقد شوهد أن بعض النساء لا يحيض مطلقا ومع ذلك تحمل كالعادة

الخثى - انسان يتعسر أو يتعذر تمييز نوعه ان كان ذكرا أو أنثى وهي

أنواع :-

(١) من يكون في الحقيقة ذكرا ولكن أعضائه تشبه الانثى ، فيكون له صنف مشقوق كشفري المرأة وقضييه صغيرا جدا ولا فتحة فيه وتكون فتحة البول بين الشفرين ، وقد يكون له ثديان^(١) ولكنه لا يحيض وينقذف منه المني من خصيتين تكونان غالبا في شفرية وقد تبقيان في بطنه ، وفي هذه الحال لا يمكن الحكم عليه الا بفحص دقيق جدا كأن يمتحن السائل المقدوف منه فان وجدت فيه حيوانات منوية تحققتا ذكوره وإلا فلا ، وفي مثل هذا الشخص تكون فتحة البول أضيق من المهبل وتتصل بالثانة ولا يحس بوجود رحم له

(٢) من تكون أنثى وأعضاؤها تشبه الذكرا كأن تكون ثدياها ضامرتين وبظرها كبيرا جدا ، ومنهن من يكون رحمها أيضا ساقطا بين فخذيها فيشبه الصفن ، ومثل هذه المرأة قد تشتهي النساء وتميل الى السحاق ، وتعرف هذه بحصول الحيض لها وعدم وجود أي حيوان منوي في افرازها ، وقد يدرك الباحث فيها وجود المبيضين ووجود الرحم

(٣) من يوجد له مبيض في جهة وخصية في الجهة الاخرى ، ووجدت أحوال نادرة جدا كان الشخص يأتيه الحيض شهريا ومع ذلك يقذف حيوانات منوية ، كشخص عرف في أوربة يسمى « كثرين هوهمان » (Catherine Hohmann) لم يعرف له نظير

(١) قد رأيت اثنين من هذا النوع لاحدهما ثديان كشدي البنت البكر البالغة وقد طلب مني قطعهما ففعلت

ومن هذا النوع الاخير من تكون أعضاؤها الظاهرة كاعضاء الذكور والباطنة كأعضاء الانثى ، وبالعكس ، ولا يوجد دليل على أن مثل هذا الشخص لا تلقح بويضاته بمعنى نفسه ، غاية الامر أن وجود مثل هذا الشخص أندر من الكبريت الاحمر، وأكثر منه ندرة أن تلقح حيواناته المنوية بويضاته

ولا يوجد عندنا مانع عقلي أو تقلي يمنعنا من تجويز أن تكون مريم عليها السلام من هذا النوع الاخير فسألناها أندر من النادر، فلا غرابة إذا لم نعرف أنها حدثت لغير مريم، إذ يندر أن يتفق حصول ذلك في العالم إلا مرة أو مرتين فيتعذر على الناس معرفة ذلك باليقين، على أن الوثنيين قد زعموا حصول مثل تلك الولادة لبعض آلهتهم، وربما كان بعض مازعموا صحيحا (راجع كتاب «التصراية والاساطير» تأليف روبرتسن صفحة ١٦٨-١٧١) ولا ينافي ذلك أن تكون مريم وابنها آية للعالمين، فإن في كل ما خلق الله آية خصوصا مثل تلك الشواذ العجيبة النادرة جدا، ولذلك قال تعالى (وفي خلقكم وما ثبت من دابة آيات لقوم يوقنون) أما ارسال الملك اليها فقد كان لتبشيرها بحصول هذا الحمل النادر العجيب كما بشرزكريا بالولد مع شيخوخته وعقم امرأته ، وقوله في سورة مريم (لأهب لك) قد يراد به أنه متكلم عن الله كما قالت الملائكة المرسله للوط (الا امرأته قدرنا) أي قدر الله ولذلك ورد في قراءة سبعة قول جبريل (ليهب لك) أي ليهب لك الله، وإنما هو مبشر لها بذلك فقط، ويؤيد ذلك أيضا قوله تعالى في سورة آل عمران (ان الله يبدشرك بكلمة منه) الآية . وأما قول أمها (إني وضعتها أنثى) إذا دل على أنها عرفت حقيقتها فقوله تعالى بعده مباشرة (والله أعلم بما وضعت) أدل على أنها لم تعرف الحقيقة وإنما حكمت بالظاهر والله أعلم منها بالواقع ونفس الامر . وقوله (واصطفاك على نساء العالمين) — أي فضلك عليهن — لا يدل على أنها منهن ولذلك لم يقل (اصطفاك منهن) (١)

(١) المنار: ان هذا التعبير لا يؤدي معنى الاول . وقد فات الكاتب الجواب عن قوله تعالى « ومريم ابنة عمران » فهو جزم بأنها أنثى ، ولعله يدخله في حيز التزقي الآتي في جوابه . وما ذكره احتمال أكبر فائدته زلزال جهود الماديين =

على أننا لم نقل إنها لم تكن امرأة بل نقول « يحتمل أنها كانت لها أعضاء الذكر والانثى وتغلب عليها الانوثة بدليل حملها لعيسى وولادتها له وإرضاعها إياه . وإذا صدقنا كتب العهد الجديد قلنا إنها أيضا تزوجت بعد ولادة عيسى ورزقت بأولاد (مت ١ : ٢٥ و ١٣ : ٥٥) فكانت أعضاء الانوثة فيها أجلى وأكمل من أعضاء الذكورة »

هذا ويوجد في الحيوانات الفريدة ما تتوالد انثى بلا تلقيح عدة أجيال فيجوز أن ما يحصل في هذه الحيوانات على سبيل القاعدة يحصل مثله في الإنسان على سبيل الشذوذ، مثال ذلك أن المعتاد في بعض الحيوانات أن تلد عدة صغار في بطن واحد كالارانب وغيرها وذلك هو القاعدة فيها ، ومن النساء من ولدت أطفالا في بطن واحد ومنهن من كان لها أكثر من ثدين. والخلاصة أن عجائب مخلوقات الله تعالى كثيرة، وله في كل شيء آية

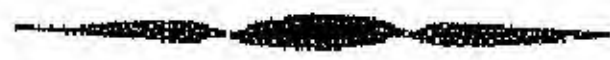
التلقيح

التلقيح هو اجتماع عنصر الذكور (الحيوان المنوي) بعنصر الانثى (البويضة) وإذا كان التلقيح بين الأقارب الأقربين كان النسل رديئا لسببين (١) أنه يكون أضعف ممن يولد من زوجين بعيدين (١) وهذه القاعدة مضطربة حتى في النباتات فإن ثمر الشجرة التي تلقحت أزهارها بأزهار أشجار أخرى يكون أقوى وأحسن، حتى أن ثمرة الزهرة الواحدة إذا تلقحت بزهرة مجاورة لها من نفس شجرتها كانت ثمرتها خيرا مما إذا تلقحت بنفس أبورها (هو مسحوق التذكير في الزهرة كما سبق) (٢) أنه إذا كان الزوجان قريبين انحصرت في نسلهما الأشياء

= الذين ينكرون ولادة عيسى عليه السلام من أم بلا أب. والافالظاهر المتبادر أن خلقه آية من الخوارق المنتظمة في سلك السنن الروحية، لا من فلتات السنن المادية (١) المنار : ورد في الآثار « اغتربوا لا تظنوا » أي تزوجوا الغرائب لئلا تصيروا ضواة أي ضعفا فافقاء بكثرة تزوجكم من ذوي القربى ، ولم يثبت هذا في الحديث عن النبي « ص » خلافا لما في صحيح الجوهرى وغيره. وقال عمر بن الخطاب لا ل السائب : قد أضويتم فافكحوا في النزاع . أي الغريبات

الرديئة الموروثة عنهما، أما إذا اختلطت البيوت بعضها ببعض تحسن نسل الردي منها وبقي، ولولا ذلك لا تقرض أو لبقيت بعض الامراض العقلية والجثمانية متوارثة في نسله الى ما شاء الله، فلهذه الاسباب حرم القرآن الشريف زواج الاقارب الاقربين وبالجماع ينصب المنى في مهبل المرأة فتسير حيواناته المنوية الى الرحم ويساعدها في سيرها حركة امتصاص تحصل في الرحم نفسه، فاذا وصلت الى الرحم ذهبت الى البوقين، وهناك تتجمع في البوقين وتعيش بعضة اسابيع فاذا صادفتها بويضة لقحتها، واذا لم تتلقح البويضة تموت بعد خروجها من الحويصلة ببضعة أيام والتلقيح عبارة عن دخول رأس الحيوان المنوي وجسمه في البويضة مع سقوط ذنبه فيتحد هذا الجزء من الحيوان المنوي بنواة البويضة بعد أن انفصل عنها جزء كبير منها، والتلقيح يحصل عادة في بوق (فلوبيوس) والذي يراه جمهور العلماء أن حيوانا واحدا يلقح بويضة الانسان، ومنهم من يرى أن الذي يلقحها (أو يمتزج بها) حيوانات عديدة — وهو الأرجح —

وليس الجماع ولا التذاذ النساء ضروريا لحصول التلقيح بل قد يكفي قذف المنى على باب الفرج ولو كانت الفتاة عذراء أو نائمة أو مخدرة بالكلورفورم فان ما للحيوانات المنوية من الحركة كاف لتوصيلها الى البوقين، ولذلك ورد عن النبي (ص) ان العزل لا يمنع الحمل كما هو مشهور في الاحاديث، ومن ذلك قوله (ص) « اصنعوا ما بدا لكم فما قضى الله فهو كائن وليس من كل الماء يكون الولد »



مؤخر من كتاب كنز الحقائق

في فقه خير الخلائق

﴿ فصول متفرقة والعناوين فوقها من وضع المنار ﴾

البدعة الشرعية

(فصل) البدعة الشرعية الامر الحادث في الدين بعد القرون الثلاثة المشهود لها بالخير، لم يدل عليها دليل من الكتاب والسنة ، وكل بدعة ضلالة ، وهي كثيرة سبها في عصرنا هذا . فانهم قد أحدثوا في الدين أشياء ما كانت في عهد النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه — كعقد مجلس الميلاد، والقيام عند ذكر الولادة وإنشاء عيد الميلاد ^(١) وقراءة الفاتحة على الخلوة والطعام، والاجتماع لقراءة القرآن في اليوم الثالث ^(٢) وإيصال الثواب الى الميت بتعيين يوم أو وقت وتسريح السرج على القبور ^(٣) وبناء التوابيت ^(٤) ونصب الاعلام ، وذكر الخلفاء بعد كل ترويحة ، وتسمية الصحابة والسلطين في الخطب ، والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم قبيل الاذان والاقامة ^(٥) والتثويب والترحيم وأمثالها .

علامة أهل الحديث

(فصل) من علامات أهل الحديث الجمع بين الصلاتين حالة الاقامة والصحة لحاجة دينوية أو دينية، والمسح على الخفين والجوربين، ولو غير نخبين، والمسح على العمامة، ورفع اليدين في ثلاثة مواطن — عند الركوع وعند رفع الرأس من الركوع وعند القيام من التشهد الاول، ووضع اليدين على الصدر، والجهر بآمين، وقراءة التسمية أول كل سورة، وقراءة الفاتحة خلف الامام في كل صلاة، والاعتدال في

(١) أي الاحتفال بالمولد النبوي الشريف ، ومثله سائر الاحتفالات التي جعلوها كالشعائر الدينية . وقد افق الفقيه ابن حجر المكي بكون القيام عند ذكر ولادة النبي (ص) بدعة كما تراد في كتابه الفتاوى الحديثية ولكن لم يبال بفتواه أحد (٢) أي بعد موت الميت الذي يقرأ لأجله (٣) لعله يريد طلب إيصال الثواب (٤) يريد إيقاد السرج (٥) أي للقبور (٥) لعل هذا معتاد في بلاد الأؤاف (الهند) وفي بعض بلادنا يزيدون في آخر الاذان ما يزيدون من ذلك وكله بدع

الركوع والسجود والقومة، وأداء الصلاة وقراءة السور على وفق السنة .
المتفقه والعامي والتقليد

(فصل) اذا كان الرجل يعرف الحديث والقرآن فيعمل عليهما ولا يقلد أحدا من المجتهدين ، والعامي الذي لا يعرف الحديث والقرآن يسأل العلماء ويعمل على قولهم ^(١) والمجتهد يخطئ ويصيب ، ومع خطائه له أجر ، ويجوز ان يكون الرجل مجتهدا في بعض المسائل ومقلدا في بعضها ، ويجوز له ان يعمل بالرخيص ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجب على كل مسلم بقدر القدرة ، ولا يجوز العنف والتشدد في المسائل الاختلافية .

بيعة الصوفية وإلباس الخرقة

(فصل) البيعة الشائعة بين الفقهاء لها أصل من الشرع وهي بيعة التوبة، أما إلباس الخرقة والقلنسوة وأمثالها من مراسم الفقر فلا تثبت بالنقل الصحيح ، ويجب علينا ان نحب أولياء الله كلهم ونعظمهم من غير ان تفضل بعضهم على بعض ، ويجب ترك قولهم اذا خالف الحديث .

علامة أهل البدع

(فصل) لأهل البدع علامات وهي الرقعة في أهل الأثر وتسميتهم بالوهابية والنجدية والعرشية والصفائية والجسمة والمشبهة . وهم برآء من ذلك لا يصدق عليهم إلا الاسم الواحد «وهو أصحاب الحديث» كثرهم الله وأبقاهم إلى يوم القيامة

﴿ باب الأنجاس ﴾

يطهر البدن والثوب بالماء ولو مستعملا حتى لا يبقى عين ولا لون ولا ريح ولا طعم . ولو ^(٢) عسر زوال الأثر فلا يضر ، ولا يجوز بغير الماء . والخف والنعل بالذلك ^(٣) ولو كانت النجاسة رطبة أو يابسة أو غير ذات جرم . والمني طاهر وغسله وفركه اليابس منه أزكى وأولى . وكذلك الدم - غير دم الحيض - ورطوبة الفرج ^(٤) والخر وبول

(١) أي يسألهم عما يجب عليه في كتاب الله وسنة رسوله (ص) لا عن آرائهم ومذاهبهم (٢) لعل الأصل (واذا) (٣) أي ويطهر الخف أو النعل بذلكهما بالأرض كيفما كانت نجاستهما (٤) مطوف على قوله : والمني طاهر

الحيوانات غير الخنزير. ولا نجس عندنا الا غائط الانسان وبوله ودم الحيض وبول الخنزير وخراشه والروث ولحم الخنزير وشحمه والحمار الانسي والميتة. فيجب تطهير كل نجس قليله وكثيره حتى الرشاش، وتطهير الارض بالييس أو صب الماء عليها، ويطهر البساط الذي لا يمكن غسله بصب الماء عليه. والحديد والمرآة والزجاج بالمسح، والاستحالة مطهرة

(فصل) أيما إهاب دبغ فقد طهر وشعر الانسان والميتة والخنزير طاهر وكذا عظمها وحافرها وقرنها ومقارها .

(فصل) لا تنزح البثر بوقوع نجس أو موت حيوان فيها اذا لم يتغير أحد أوصاف الماء، فان تغير فيجب نزح الماء كله أو الى ان لا يبقى التغير

(فصل) بول ما يؤكل لحمه طاهر وكذا سوره وجميع الأسار غير سور الكلب والخنزير ففيه قولان وكذا في ريق الكلب، والعرق كالسور

﴿ أهم أخبار الحرب الاوربية والآراء فيها ﴾

إن الاخبار الصحيحة والآراء المفيدة لاتكاد تستبطن من الجرائد الا نكدا، وإن للمجلات من الأناة والروية في الاختيار ما ليس للجرائد اليومية ولا غير اليومية أيضا، وأتينا بمحصر ما وقفنا عليه من الاخبار والآراء الكثيرة بالجل الآتية في هذه الحرب

(١) الدول المتحاربة فريقان — دول التحالف الانكليزي ودول التحالف الألماني (ينسب كل حلف الى أقدر دوله التي هي محل رجاء الرجحان له) فالاول هو الراجح في الحرب البحرية حتى ان رجحانه حال دون منازلة الآخر له، الا ما تفرقه الغواصات من سفنه . والثاني هو الراجح في الحرب البرية الى هذا اليوم

(٢) اتفق رجال السياسة والحرب من الفريق الاول على ان السبب الاول لرجحان الفريق الثاني في الحرب البرية هو كثرة الذخائر والاسلحة عندهم، فتوجهت همه دوله كلها الى الاستكثار من ذلك، حتى ان انكلترة انشأت وزارة خاصة سميت وزارة الذخائر جعلت المئات من المعامل الحرة تحت مراقبتها، فصارت انكلترة

وفرنسة - وهما دولتا العلم والصناعة في هذا التحالف - تعملان من الذخائر والأسلحة أضعاف ما كانتا تعملان من قبل ، ويقدران ان استعدادهما واستعداد حلفائهما لا يتم الا في ربيع السنة القابلة ، على انهم يشترون الذخيرة والسلاح من الولايات المتحدة واليابان بمئات ألوف الألوف من الجنيهات

(٣) كانت الروسية قد رجحت على النمسة رجحانا ظاهرا فانتزعت منها غاليسية ووصلت الى أعالي جبال الكربات المشرفة على سهول المجر وسباسهم ، ولكن ألمانية انجدها في ربيع هذا العام بزهاء مليون ونصف مليون من جيشها ، فأجلت الروسية عما كانت استوت عليه من بلادها ، وانتزعتا منها ما انتزعتا من مملكة بولندية وغيرها ، ولا يزال لها الرجحان في مطاردتها ، والنضل الاول في ذلك لمداقعهما الضخمة التي تدك أعظم الحصون والمعقل ، ولكثرة ما عندهما من الذخيرة ، وقد اتسع ميدان هذه الحرب فامتد من بحر البلق في الشمال الى آخر حدود بولندية في الجنوب . ويقال ان الالمان يطمعون في الوصول الى بترغراد (بطرسبرج) عاصمة الروس ، والنمسيون مع الالمان يمدون أعناقهم الى أودسه أعظم ثغور الروس في البحر الاسود

(٤) الحرب في الميدان الغربي (فرنسة وبلجيكة) سجال ولكنها حرب مطاولة لا مناجزة ، والالمان هم الذين يهاجمون الفرنسيين والانكليز والبلجيكيين في الغالب ، والفريقان معتصمان في الخنادق ، وقلما يربح أحد من خطوط خصمه شيئا الا ويسترده منه الآخر

(٥) الحرب بين ايطالية والنمسة سجال أيضا ، ولكنها لا تزال بطيئة الحركة ضعيفة التأثير لا يكاد العالم يشعر بوجودها

(٦) الحرب في جوار الدردنيل سجال أيضا ، وهي مناجزة لا مطاولة ، والحلفاء هم المهاجمون في الغالب ، على أنها حرب خنادق كحرب الميدان الغربي

(٧) أخبار الحرب في العراق قليلة جدا ومما لا ريب فيه ان الانكليز قد استولوا على جزء عظيم من ولاية البصرة

(٨) أخبار الحرب في القوقاس وما يسمونه أرمينية أقل من أخبار الحرب في العراق ، وأبعد عن الثقة من جميع الاخبار ، فانه لا يعرف منها شيء الا ما يذيعه الروس

في كل شهر أو أشهر من أخبار معركة كان لهم الرجحان فيها ، ومن أخبارها ان ضلع الارمن في البلاد العثمانية معهم حتى انهم يقاتلون معهم ، وهذا خبر معقول ومتنظر ، وكان العثمانيون يقاتلون الروس في بلاد القوقاس الروسية ، ومن أخبار الروس الاخيرة انهم هم استولوا على مدينة (وان) العثمانية بمساعدة الارمن فيها ونصبوا عليها واليا من زعماء الارمن . ويقال ان الترك فتكوا بالارمن فتكك ذريعا

(٩) ان كل فريق من الاحلاف اجتهد منذ اشتعلت نار الحرب في جذب الدول التي على الحياد اليه ولو بالعطف والمودة ، ففاز التحالف الانكليزي بالثنا من ايطالية من التحالف الألماني وحملها على خوض غمرات الحرب معه ، وهو يذل جهده منذ سنة لجذب دول البلقان الى قتال العثمانية والنمسة ، ولا يزال البلقانيون بين الإقدام والإحجام ، لما بينهم من أسباب النزاع والخصام ، ولطمعهم في تراث الترك والنمساويين من جهة ، وكراهتهم أخذ الروسية للأستانة وزقاني البوسفور والدردنيل من جهة أخرى ، دع مالنمسة وألمانية من النفوذ في البلقان ، ولألمانية خاصة من النفوذ في الرومان واليونان ، فان ملكي البلقان والرومان من أسرة هاهل ألمانية ، وملكة اليونان أخته ، فوشيجة الرحم لها تأثير عظيم ، ولكن أكثر الشعوب البلقانية أميل الى التحالف الانكليزي ، ولا سيما الشعب اليوناني ، فانه شديد البغض لترك والطمع في كثير من بلادهم ، وشديد الميل الى محاربتهم لذاتهم ولحاربتهم لهم

(١٠) قد اختلف الباحثون في عاقبة هذه الحرب ونتيجتها ، والمقول انه اذا نصر أحد الفريقين نصراً مؤزراً وظفر ظفراً تاماً ، فان رأس دوله تكون لها السيادة العليا في أوربة والشرق كله ، ولكن دول الفريق الآخر - أو ما بقي منها - تنزل وتخزي زمناً طويلاً تبذل فيه كل ما يستطيع بذله المستضعف المستذل في مقاومة خصمه من الكيد والحيلة ، الى ان يستدير الزمان ، وتديل له من عدوه الاقدار ، وأما اذا طال أمد الحرب حتى ضعف الفريقان وتهدت قواهما ، ولم يرجح أحدهما على الآخر بشيء ، أو رجح بالدرهم أو القيراط ، فلم يكن باستطاعته السيطرة على خصمه ، والاستمرار على قهره ، فيوشك ان تكون شروط الصلح متعادلة . وتبقى الموازنة بين

الدول متقاربة، ويستمر ذلك عشرات من السنين يظهر فيها نبوغ الشعب الذي يفوق غيره في المهمة والاستعداد. وهالك أشهر ما قيل في طمع كل فريق من الآخر إذا انتصر انتصارا تاما أو قريبا من التام

(١١) مقصد دول التحالف الانكليزي من الحرب الذي لا يكفون عنها باختيارهم ما لم يصلوا اليه، هو ازهاق الروح العسكري البروسي الذي نفخ في جميع الشعوب الألمانية حب الحرب، واعتقاد كونها فضيلة وكالا للبشر - ثم حل عقدة الوحدة الألمانية وارجاع ممالكها الصغيرة الى ما كانت عليه قبل الوحدة التي أنشأها البرنس بسمرك سنة ١٨٧٠ ومنعها من الاستعداد لحرب ثانية، والاستيلاء على الاسطول الألماني. ثم حل امبراطورية النمسة والمجر واعطاء كل دولة من دول التحالف أبناء جنسه منها. وبهذا يستميلون دول البلقان اليهم الآن، لان في النمسة ملايين عديدة من الرومان والسلاف والطلين وغيرهم - ثم تمزيق المملكة العثمانية وتقسيمها

ومن البديهي الذي لا يحتاج الى النص ارجاع بلجيكة كما كانت أما الآستانة والرقاقان العظيمان اللذان على جانبيها فالارجح أن روسية لا ترضى بها بدلا ان ظفروا ظفرا نهائيا، بعد ما أصابها من الخسارة التي هي أضغاف خسائر سائر حلفائها. ويقال ان حلفاءها أنفسهم يشترطون تدمير حصون البوسفور والدردنيل ونزع السلاح منها وعدم تسليحها في المستقبل. وقيل ان الآستانة تكون منطقة حرة. ولكنها ان صارت الى الروس فلا بد ان يقتنموا أول فرصة لتحسين الرقاقين بمد أن يستعدوا لذلك سرا

(١٢) اذا ظفر التحالف الألماني ظفرا تاما فاشهور أن ألمانيا تريد أن تضم مملكة بلجيكة الى ممالك الاتحاد الجرمانى، ولا يدرى أيراد جعل بولونية مستقلة أم تابعة لها أم للنمسة، ولا بد حينئذ من جعل النفوذ الاعلى في البلقان للنمسة، ويقال

إن ألمانيا لا تطمع في أخذ شيء مما استولت عليه من مملكة فرنسا، إلا سواحل بحر المانش، ولكنها تطمع في جميع مستعمراتها الأفريقية الشمالية، وتعطي الدولة العثمانية القوقاس الروسية أيضا. وقد اشتهر أنها تمنحها بإنشاء إمبراطورية إسلامية كبيرة. ثم أنها تفرض على خصومها غرامة حربية ثقيلة، وأما استعادة ما أخذ من مستعمراتها، فهي من البدييات التي لا حاجة إلى ذكر طلبها لها. هذا أقل ما يقال عنها، وقيل بل هي تطمع في جعل أوروبا كلها تحت سيطرتها، لما وجد في مؤلفات غير واحد من رجال العلم والسياسة والحرب فيها، من الحث على السعي لجعل العالم كله خاضعا لنفوذ الألماني ومستمدا من الحضارة الألمانية.

ومن الناس من يقول إن هذه مزاعم افتحروا أعداء ألمانيا لينفروا عنها الشعوب التي على الحياد ويحملوها على مناوأتها، ولكن وجد من القتل عن الألمان ما يدل على ذلك، وهو غير بعيد عن العقل وشواهد التاريخ، فإن بطرس الأكبر على كونه هو البادئ بتقوية روسية كان يرمى إلى هذا الغرض، ونابليون الأول كان يمني نفسه به، ومن أصول تربية الأمم أن يث فيها عقيدة تفضيل نفسها على غيرها، وكونها أجدرها بالسيادة والسعادة، وكل أمة لا تعتقد هذا الاعتقاد لا يمكن أن تسود وتعتز، ولكن الأمة إذا لم تبين جميع أعمالها الاجتماعية على أساس هذه العقيدة يقتلها داء الغرور، ولا سيما إذا احتقرت غيرها من الأمم ولم تقدر مزاياها حق قدرها، ومن المحتمل أن يكون بعض علماء الألمان بثوا في أمتهم هذه العقيدة لأجل أن ينهضوا بها في ميادين المسابقة والمباراة للأمم التي سبقتها إلى الاستعمار وغيره، ثم اغتروا وصولا إليه من العلم والثروة والاستعداد الحربي تقرب ذلك إلى عقول كثير من حكامهم وقوادهم أنه يمكن لدولتهم القضاء على قوى الدول الاستعمارية الثلاث (انكلترا وفرنسا وروسيا) وجعلن تحت سيطرة ألمانيا، وحينئذ تمنعن من تجديد الاستعداد للحرب، فتتفرد بسياسة العالم في الشرق والغرب، ولا يبعد أن تزين لكثير منهم فلسفة حب السيادة إن هذا يكون خيرا للبشر، لأنه يمنع أسباب الحروب بمنع تنافس التعاضد الذي من شأنه أن يكون بين الأقران من الدول، كما يكون بين الأقران من الأفراد، وأن يتخيل هؤلاء الفلاسفة أن العالم لما صار باتصال بعضه ببعض كالأمة الواحد فوجب

أن تكون له دولة واحدة ترجع اليها السلطة العليا كما ترجع سلطة الولايات من المملكة الواحدة الى السلطة العليا في عاصمة المملكة، لان التفرق مدعاة العداوة والشقاق المفضي الى القتال والتفاني

وقد يرد عليهم فلاسفة سائر الامم بأن ما يزعمونه خيال تولد من اقتران حب السلطة، بالفرور بالقوة، وأن حب السلطة غريزي في البشر فلن ترضى أمة بسيادة غيرها عليها مختارة، ولا سيما الامم التي يمكن في قلوب أهلها عز الحرية والسيادة، فلا يزال المسود يكيد للسائد، ويتربص به الدوائر، وقد انقضى في الازاس واللورين جيل وتجدد جيل، فكان الجيل الجديد كسلفه يكره الالمان ويحب الفرنسيين، فان فلسفة الحق ان انتظام البشر لا يتم في هذا الزمان الا بينائه على قاعدة استقلال الشعوب والاجناس، وأما القوة التي فوض اليها الحكم اليوم بين المتنازعين على السيادة في الارض فلا يمكن ان تظل محتكرة للغالب، فاذا كانت هذه الحرب لا تنتهي بابطال قاعدة (الحق للقوة) وبالرجوع عن فكرة سيادة الاقوياء على الضعفاء، واكرامهم على الخضوع لما يسوسونهم به ويلزمونهم إياه، وبوضع قواعد مضمونة للمساواة العامة بين جميع الشعوب والاجناس يكون بها الادنى مختارا في اقتباس العلم والحضارة من الاعلى، — اذا لم تنته هذه الحرب بهذا وتضمنه جميع الدول بقانون تعاهد على تنفيذه بالقوة والاتفاق على قتال المخالف له، فلا شك في كونها تكون اشأم حرب على البشر، لانها لا يمكن ان تقضي الى رضا المغلوب بسيادة الغالب، بل تقضي الى استئالة المغلوبين لغيرهم من الشعوب المغلوبة على أمرها، والمسكرهة على الخضوع لغيرها، والاستعداد لحرب مثل هذه أو شر منها، وأن ظن الغالبون انهم قادرون على ان يحولوا دونها.

ونحن نرى ان هذه الفلسفة الاخيرة هي الصحيحة، المؤيده بروح الحق والفضيلة، فمضى ان يكون لنا ولسائر الامم الشرقية نصيب منها اذا أراد الله برحمته ان يكون المتصلي اليها.

مدرسة دار الدعوة والارشاد

قد اضطررنا في السنة المدرسية الماضية (سنة ١٢٩٢ هجرية شمسية) ان نجعل الاجازة الصيفية قبل موعدها بشهر ، بقرار من مجلس ادارة الجماعة ، وسبب ذلك قطع وزارة الاوقاف المصرية ما كانت قررته من الاعانة للمدرسة ، وعدم الرجاء في شيء يذكرو من التبرعات بسبب العسرة الحاضرة ، حتى ان الشيخ قاسم ابراهيم قطع اشترأ كه السنوي في جماعة الدعوة والارشاد قبل الحرب . وقد كنا نفق على الطلبة بالتقير في تلك السنة

أما مقدار اعانة الاوقاف فقد كان خمسمائة وخمسين جنيها ، وقد كنا موعودين من قبل الديوان بمضاعفته أضعافا ، حتى ان محمد محب باشا الذي عين أول ناظر للاوقاف - بعد تحويله الى نظارة - قال لي أمام بعض الفضلاء في داره قبيل سفره الى الاستانة في رمضان العام الماضي : إنه يمكن ابلاغ الاعانة في هذا العام الى ألف وسبعمائة جنيه . وإنما يمكن الزيادة على ذلك فيما بعدها من السنين . قال ذلك بعد أن دقق النظر في نظام المدرسة وميزانيتها وبعد زيارته لها واختباره لحالها بنفسه ولو طلبت المبلغ الذي كان مقررا في أول العام الماضي عقب تصديق الجمعية التشريعية على ميزانية الاوقاف لقبضته ولكنني فضلت حفظه في خزانة النظارة على حفظه في صندوق المدرسة ليؤخذ بالتدريج عند الحاجة الى لانفاق . ولما طلبت بعضه عند الحاجة الى الصرف - لقرب دخول السنة الدراسية - امتنع وكيل الاوقاف محمد شوقي باشا من الصرف ، معللا منعه بوجوب الاقتصاد وقلة الدخل بسبب الحرب . فراجعت رئيس النظارة (حسين رشدي باشا) مرارا فوعد بالمساعدة وأحالي على عدلي باشا الذي كان نائبا ن محمد محب باشا في نظارة الاوقاف ووعد بتوصيته . وبعد عدة مراجعات أمر عدلي باشا بصرف ٣٠٠ جنيه أقساطا ، وقال لي اذا كثرت الواردات بعد ذلك ندفع لك الباقي . وقبضت حيثئذ ستين جنيها من الاعانة ثم تحولت الاحوال وتغير شكل الحكومة فأعطى اسماعيل صدقي باشا الذي (المنار : ج ٤) (٤٠) (المجلد الثامن عشر)

تولى (وزارة الاوقاف) قليلا وأكدي (أي منع الباقي) فكان مجموع ما قبضته من الاعانة يدي ١٣٥ جنيها . وكنت أحلت ادارة أوقاف محمد شريف باشا الكبير على النظارة بأجرة مكان المدرسة بكتاب مني قبلته النظارة وصارت تدفع ما يستحق من الاجرة أقساطا شهرية . ولكن وزارة اسماعيل صدقي باشا منعت فيما منمته اعطاء بقية الاجرة . كانت الاجرة كلها ١٣٠ جنيها دفعت وزارة الاوقاف منها ٩٧ جنيها ونصفا . ورجعت علي ادارة وقف شريف باشا بمبلغ ٣٢ جنيها ونصف جنييه فوفيتها حسابها

فعلم من هذا ان مجموع ما صرف من اعانة الاوقاف للمدرسة في العام الماضي ٢٣٢ جنيها ونصف جنييه وهو دون المبلغ الذي كان أمر بصرفه عدلي باشا موقتا ولما علمنا ان الوزارة الجديدة قطعت الاعانة كلها البتة ، غلبنا حسن الظن ورددنا على من اساءه ، وقرعنا جميع الابواب التي هي مظنة الرجاء لاعادته ، بحجة ان هذه المدرسة الدينية الخيرية ليس لها دخل ثابت سواء ، وانها أحوج الى الاعانة من كل المعاهد العلمية والخيرية التي تساعدنا وزارة الاوقاف حتى من الجامعة المصرية ومدارس العروة الوثقى والجمعية الخيرية — فألفينا جميع تلك الابواب موصدة في وجهنا ، ولكن باب الله تعالى لا يوصد ، فاتكالا عليه عز وجل سنفتح المدرسة في السنة المدرسية القابلة كما فتحناها في السنة الماضية ، ولكننا لا نتفق على الطلبة شيئا . ولا نقبل في القسم الداخلي طالبا جديدا الا أن يأتي الله بالفتح لبعض أبواب رزقه ، أو أمر من عنده

أما موعد فتح المدرسة في السنة الدراسية القابلة فسيكون ان شاء الله تعالى في أول الخريف الثاني (منزلة المقرب) الموافق منتصف شهر ذي الحجة الحرام خاتمة سنة ١٣٣٣ فحسبى ان تكون السنة القابلة سنة خير ويسر ، وان جاءت بعد شدة وعسر (ان مع العسر يسرا ، ان مع العسر يسرا)

نصحيح بيت من الشعر

في (ص ١٢٠ ج ٢) استفتاء في بيت من الشعر وقع غلط في أول كلمة منه وهي « جدير » وصوابها « مليء » وقد فائنا ان نصحيحه في الجزء الثالث

تقريظ المطبوعات الجديدة*)

كنز الحقائق من فقه خير الخلائق

كتاب في فقه الحديث تأليف العلامة وسيد الزمان الملقب بالنواب وقار نواز جنت بهادر. طبع في العام الماضي طبعاً حجرياً في مطبعة شوكة الاسلام ببلدة بنكاور بالهند على ورق جيد. وصفحاته ٢٤٢ بقطع النار ويباع في مكتبة النار ونمته عشرة قروش الكتاب مختصر من كتاب مطول للمؤلف اسمه [نزل الابرار من فقه النبي المختار] وحسبنا من تقريظه ما يراه القراء في النموذج الذي اقتبس منه ونشر في هذا الجزء من يسر مذهب اهل الحديث ، على أن فيه مسائل اجتهادية واغلاطاً معظمها من الناسخ منها ما يدرك بالبداهة

البيان والتبيين

كتب أبي عثمان الجاحظ كلها مختارة في الفصاحة والبلاغة عند أهل الادب وهذا الكتاب منها أشهر من نار على علم ، فهو مستغن عن تقريظ أهل هذا العصر . وحسبهم ما قاله فيه حكيم العرب ، وأمام أهل العلم والادب ، عبد الرحمن بن خلدون في الكلام على علم الادب من مقدمته ، وهذا نصه :

« سمعنا من شيوخنا في مجالس التعليم أن أصول فن الادب وأركانه أربعة دواوين ، وهي (أدب الكاتب) لابن قتيبة ، و (كتاب الكامل) للمبرد ، و (كتاب البيان والتبيين) للجاحظ ، و كتاب (النوادر) لأبي علي القالي . وما سوى هذه الاربعة فتبع لها ، وفرع عنها »

وحسبنا من معرفة مكانة الجاحظ في البيان والبلاغة تنويه امامهما الزمخشري به في خطبة الكشف وخطبة أساس البلاغة - وما كانت الخطب بموضع التنويه بالدهماء ، ولكن قد يذكر فيها أئمة العلماء والحكام

(*) عهدنا بتقريظ المطبوعات الى شقيقنا السيد صالح مخلص رضا

طبع كتاب البيان والتبيين بمصر منذ عشرين سنة طبعة رديئة كثيرة الاغلاط ، فاضطر الادباء وطلاب الانشاء الى اقتنائها ، والاستفادة منها على علائها ، حتى نفذت نسخها ، وغلا ثمنها ، فسخر الله تعالى في العام الماضي محب الدين افندي الخطيب المحرر بجريدة المؤيد وعارف افندي المحائري لإعادة طبعه . فطبعاه طبعا حسنا على ورق حسن ، وعني الاول منهما بتصحيحه وضبط اشعاره بالشكل ، وقد تعب في مراجعتها في مظاهرها من الدواوين المخطوطة والمطبوعة وفي كتب اللغة والادب ، تعب لا يعرف كمه الا من عني بمثل ذلك ، وقد جعل ثمنه عشرة قروش من الورق النبائي و ١٥ قرشا من الورق الابيض ويطلب من مكتبة المنار بمصر

الحنين الى الأوطان

نشر في جزء الشهر الماضي من المنار نموذج من هذا الكتاب مصدر عبارة وجيزة في وصفه والفائدة من مطالعته ، كطالعة سائر مصنفات مؤلفه ، (الجاحظ) مقرونة بالوعد بتقريره ، وقال صاحب المنار : ان هذا الكتاب يشرح غريزة حب الوطن ، التي هي من أقوى غرائز البشر ، بأفصح العبارات ، المأثورة عن أبلغ الاعراب ، والشعراء والكتاب ، فهو من هذه الجهة كتاب فلسفة ، كما انه من حيث عبارته كتاب أدب ولغة ، ومن شواهد حب الوطن عن أهل هذا المصر ما اختبرناه من حال مهاجرة السوريين في مصر وأمريكة وغيرها من الاقطار ، فاننا نراهم على عراققتهم في المهاجرة والاعتراب واثرائهم في بلاد أرقى من بلادهم عمراننا وحرية ، لا يقتنون يحنون الى أوطانهم على كثرة شكواهم من سوء حالها وذمهم لحكومتها . (قال) وقد سمعت اصحاب المتكلم والمقطم يقولون منذ بضع سنين : إنا لم نشتر شيئا من الأثاث لبيوتنا الا وكان يخطر في بالنا عند شرائه — : اذا أتيح لنا العود الى بلادنا فهل يكون هذا مما ننقله او مما نبيع ؟

طبع الكتاب بمطبعة المنار طبعا متقنا مضبوطا على نفقة عبد الفتاح افندي قتلان مدير مكتبة المنار ، وقد تولى تصحيح أصله وضبطه ووضع الحواشي والتفسير لغريبه الأستاذ الشيخ طاهر الجزائري الشهير . وثمنه قرش ونصف قرش

كتاب المسح على الجوربين

وكتاب الاستئناس، لتصحيح أنكحة الناس

(من تأليف الشيخ محمد جمال الدين القاسمي رحمه الله تعالى، طبعا معا في مطبعة
التريقي بدمشق الشام سنة ١٣٣٢ وصفحتهما ٨٤ صفحة، ويطلبان من مكتبة المنار
بمصر.)

هذان الكتبان المفيدان من آخر ما كتبه عالم الشام وفقيد الاسلام رحمه الله
تعالى. أتمهما في العام الماضي الذي توفي فيه. وموضوع الاول إثبات المسح على
الجوربين وكل ما يستر الرجلين كالنعال السابغة والمقائف والتساخين. وفيه فوائد
كثيرة في الحديث والاصول، وقد أثبت المسألة بالدليل ونقل فيها ما يؤثر عن أئمة الفقه،
قال منشي المنار: وقد سبق لنا الافتاء بهذا في المنار منذ بضع سنين فكان له أحسن
تأثير في تيسير الصلاة على كثير من أهل الترف والتعيم، كما أخبرني بذلك بعض
خواص المصريين المصلين. ثم أعدت إثبات ذلك بإيضاح في تفسير آية الوضوء.
وأما هذا الكتاب، فقد استقصى كل ما يتعلق بالمسألة وزاد ما زاد من المسائل
الاستطردادية كما هو شأن من يفرد مسألة صغيرة بالتصنيف.

وأما الكتاب الآخر فالغرض منه مقاومة ما عليه متأخرو المسلمين من التساهل
الذي يشبه الفوضى في أمر الطلاق ورد ما جرى عليه كثير من الفقهاء من الافتاء
بالطلاق في وقائع كثيرة لا تقوم الحجة على وقوع الطلاق فيها، ومن مباحثه المفيدة
التي عمت البلوى بها مبحث طلاق الفضبان والسكران والهازل والمكره والخالف
بالطلاق أو المعلق له يريد الترغيب أو التهيب دون الطلاق، والطلاق مرة واحدة بلفظ
الثلاث. ومبحث وجوب الاشهاد على الطلاق واشترائه لصحته، ومن قال بذلك
من أئمة آل البيت وغيرهم من الصحابة والتابعين

والقاعدة التي بني عليها هذا الكتاب اللطيف هي ان النكاح متى وقع وثبت
كان أمرا يقينيا فلا يزول بحكم اجتهادي لانه ظن لا يزول به اليقين، ولا بخبر آحادي
ولا سيما اذا كان مطعونا فيه كحديث « ثلاث جدهن جد وهزلهن جد: النكاح
والطلاق والرجعة »

﴿ نقابات التعاون الزراعية ﴾

نظامها وتاريخها وثمراتها في مصر وأوربة

(طبع على ورق جيد مطبعة النهضة الادبية بمصر سنة ١٣٣٢ صفحاته ٢٤٥ بحجم المنار)
 هذا كتاب جديد من أفضل ثمرات النابذة الجديدة بمصر ، ألفه عبد الرحمن بك الرافعي المحامي ، فخدم به هذه البلاد خدمة جليلة هي في أشد الحاجة اليها ،
 إن ثناءنا على هذا الكتاب تأييد لرأي صاحب المنار الذي بينه مراراً في
 مجلته وفي الجرائد ، وهو ان أحوج ما يحتاج اليه أهل مصر في هذا العصر
 أمران (أحدهما) حفظ ثروتهم حتى تكون غلة أرضهم وثمرات كسبهم خالصة لهم ،
 (وثانيهما) تعميم التربية الصحيحة مع التعليم على الوجه الذي تتكون به الامة .
 وانه لا يقوم بهذه التربية مع التعليم الا الجمعيات الخيرية .

فهذان الامران هما الركنان اللذان لا يرجى لمصر صلاح ولا فلاح الا بهما ،
 وهذا الكتاب مما يرفع بناء الاول منهما ، ويحسن منا في هذا المقام ان نعطر تقريظ
 الكتاب بكلمة ثناء على عمر بك لطفي الذي أحسن الله خاتمة عمره بالعناية بأمر
 النقابات الزراعية علماً وعملاً فكان قوة صالحة لهذا المؤلف الذي يعد من تلاميذه ،
 للكتاب فتحة في موضوعه للمؤلف ومقدمة لاحمد بك لطفي المحامي . وفيه
 ثلاثة أبواب ، عنوان اولها « اتعاون في أوربة » وفيه ١٤ فصلاً — وعنوان الثاني
 « اتعاون في مصر » وفيه ستة فصول — الاول في نظام الحياة الاقتصادية عند
 الزراع وعيوبه — الثاني في الدعوة الى التعاون وفيه بيان « الدور الاول » من
 جهاد عمر بك لطفي . والثالث في « الدور الثاني من جهاد عمر بك لطفي ومنشآت
 التعاون التي أسسها والنظام الذي اختاره لها » والثالث في أعمال النقابات الزراعية
 بمصر ، والخامس في قانون الخمسة الافدنة ، والسادس في النشر بع الجديد للتعاون .
 وعنوان الباب الثالث « نماذج تعاوينه » وهذه النماذج تعلم قراء الكتاب كيف
 يؤلفون النقابات الزراعية حسب القانون ، وكيف يكتبون لها ، وكيف يكون الشراء
 والسلف منها — الى غير ذلك من المعاملات

وقد قال المؤلف في فاتحة الكتاب مانصه :

د على أننا بأخذنا بأسباب التعاون نحي سنة قديمة، فإن نظام التعاون وإن كان بشكله الحديث نظاماً غريباً جديداً، إلا أن الفكرة التعاونية في ذاتها أي فكرة تعاون الأيدي العاملة على القيام بالعمل المشترك واقتسام أرباحه وثمراته فكرة قديمة عرفها أجدادنا العرب، فقد أثبت الأستاذ لروبوليو في كتابه المطول في الاقتصاد السياسي أن القوافل التي كانت تجوب البلاد العربية ما بين الحجاز والشام بقصد التجارة ما هي إلا جماعات تعاونية وقيية يتعاون أفرادها على الكسب والتجارة

الحساب

كتاب وضعه صديقنا محمد عبد الخالق أفندي إسماعيل الطالب في انكلترا تمهيداً لكتاب سيضعه في علم الجبر وقد صدره بمقدمة حث فيها على نشر العلم باللغة العربية [أوسع اللغات] وقد طبعه سنة ١٣٣٢ في مصر بمطبعة السفور طبعاً نظيفاً على ورق متوسط فجاءت صفحاته ١٦٨ ويطلب من مكتبة المنار بمصر ومنه ٢٥ ملية الكتاب جزيل الفائدة وفيه من الجداول والرسوم والاشكال ما يوضح مسائله، وعبارته جزلة فصيحة فنحث على اقتنائه

(كتاب الفوز بالمراد من تاريخ بغداد)

تأليف الكاتب الاجتماعي الشهير (الأب انستاس الكرملي) صاحب مجلة لغة العرب. طبعه بمطبعة الشاهيندر في بغداد سنة ١٣٢٩ وصفحاته ٧٦ ومن النسخة منه خمسة قروش صحيحة، ويطلب من مكتبة المنار بمصر

والكتاب مستمد من كتب التاريخ العربية والافرنجية ومن اختبار مؤلفه الشخصي وقد بدأه بتاريخ بغداد من عهد سقوطها على يد هولاكو سنة ٦٥٥ هـ الى سنة ٣٢٩ أي سنة (تأليفه وطبعه) وفيه من العبر والعظة بتصرفات الأيام شيء كثير

(التقرير السنوي للجمعية الخيرية الاسلامية عن سنة ١٩١٤)

هذا التقرير كالتقارير السابقة يشمل مشروع أعمال الجمعية وميزانيتها ومحضر جالستها العمومية، وفيه زيادة على ذلك أن نشرت في أوله صورة الكتاب

العالي السلطاني الصادر لهيئة الجمعية المؤرخ في ١٣ ربيع الاول ١٣٣٣ و ٢٩ يناير سنة ١٩١٥ عدد ١١ وهذه جملة منه قال بعد التحيات لهيئة الجمعية ما نصه :

« هذا وقد اقتضت ارادتي ان يكون لقسم الاعانة بالجمعية نصيب من مساعدة خزيتي الخاصة بفضل الله كما انها ستتكفل سنويا بالتفقات التي يحتاجها أنبغ طالب من طلبة مدارس الجمعية لانتماء دروسه بأوربة وان تخصص ثلاث جوائز للثاني والثالث والرابع من التلامذة مكافأة لهم وتشجيعا لآخوانهم ... » الخ

ويؤخذ من هذا التقرير ان الجمعية قد اشترت اطيافا مساحتها ١٦ فداناً وكسورا و ٤ آلاف و ٧ مئة و ٤٨ مترا و ٢٧ سنتيا وقد دفعت ثمنها للجميع ٩ آلاف و ٥ مئة و ٢٤ جنيا و ٢٤٤ مليا ، وان النجاح في امتحان القسم الابتدائي من مدارسها زاد على ٦٧ في المئة. ويسر كل مسلم وكل محب للخير استمرار نجاح الجمعية وخدمتها للفقراء بالتعليم والاعانات

(ذكرى الماضي — أو — سياحة في الجبل)

مقالات وجدانية خيالية نشرها كاتبها محمد افندي صبري الطالب بجامعة باريس ونشر ~~كتاب~~ (شعراء العصر) وقد اهتمي بجمعها وطبعها كتابا مستقلا صالح افندي شكري احد عمال جريدة المؤيد وهي تطلب منه ومن المكاتب الشهيرة

(رواية الفلاح)

قصة تمثيلية ادبية وضعها عبد الميز بك فريد ناظر مدرسة خليل آغا بمصر ، وحرر عبارتها الاستاذ الشيخ محمد الجمل احد مدرسي المدرسة ، ووضع أزجالها الشيخ احمد القوصي ، وقد مثلها تلاميذ المدرسة في احتفالها السنوي . وهي مفيدة جدا بما تحذر من البذخ والسرف ، وتنقب عن العيوب الفاشية في هذا البلد ، ومثلها في ذلك ما وضعه عبد العزيز بك قبلها. وقد طبعت طبعا نظيفا على ورق جيد بمطبعة الخاصة الخديوية (السلطانية) في سنة ١٩١٤

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد
أوتي خيرا كثيرا وما يذكر إلا أولو الألباب

الملك

١٣١٥

فبشر عبادي الذين يستهون بالقول فبئس
أولئك الذين عذابهم الله وأولئك هم أولو الألباب

قال عليه الصلاة والسلام : ان للإسلام صوي و « مناراء كمنار الطريق »

مصر ٣٠ رجب ١٣٣٣ — ٢١ الجزء (٣) ١٢٩٣ هـ ١٣ ش ١٣ يونيو ١٩١٥

مقدمة
كتاب الدعوة والأشياء

دروس سنن الكائنات

محاضرات علمية طبية إسلامية للدكتور محمد توفيق صدقي

٧

العلوق وسبب الذكورة والانوثة ومدة الحمل

إذا تلقحت البويضة سقطت في الرحم بسبب ما في البوقين من الأهداب
وبسبب انقباضها ويجوز أن يكون للبويضة أيضا حركة ذاتية كالأميأ وأرجح
الأوقات لحصول الحمل أن يكون الجماع عقب الطهر في الأسبوع الأول من الحيض،
ويقال إن هذا الجماع محرم عند اليهود وهو من غرائب التشريع
وبويضات المبيض الأيمن يرجح عند بعض العلماء الآن أنها هي التي يتولد
منها الذكور، وبويضات المبيض الأيسر يتولد منها الإناث، ولذلك إذا نامت المرأة
على جانبها الأيمن بعد الجماع رجح أنها بالذكور وقد عرف هذه الفائدة ابن سينا
كما في قانونه

فإذا كان الجماع بعد حيض متفق مع انفجار بويضة المبيض الأيمن كان النسل
ذكرا، وبالعكس

وإذا سقطت البويضة في الرحم علقته بغشائه المخاطي وأبدأ تكون الجنين
في داخلها بانقسامها إلى عدة أقسام، ويكون الجنين في بطن أمه محاطا بالرحم ثم
بغشائين آخرين تابعين لنفس البويضة، وتكبر البويضة كبراعظيا وتمتلئ بسائل
يحيط بالجنين من جميع جهاته يسمى السائل (الأمنيوسي^(١)) ويكون الجنين معلقا في

(١) كلمة يونانية معناها الشاة لأنه يقال إنه اكتشف فيها أولا أولان ملمسه
ناعم كصوف الشاة

هذا السائل بحبله الشري المتصق بالمشيمة بجدار الرحم، ويكون رأس الجنين الى الأسفل غالبا وظهره الى الامام . ولا يفهم مما تقدم أن عروق الجنين متصلة بعروق الرحم بل هما متجاورين فقط بحيث لا تختلط دورتهما الدموية، ولكن المواد المغذية تصل من الأم اليه بطريق (الاسموز) وكذلك المواد الفاسدة التي تخرج من الجنين تصل الى دورة الام بهذه الوسطة ايضا بلا اختلاط بينهما. ولا يتنفس الجنين في بطن أمه وإنما دمه يتنقى بالطريقة المذكورة، وأول تنفسه يكون عند استهلاله أي صراخه عند خروجه من الرحم

ومدة الحمل أقلها خمسة أشهر أو أربعة ونصف، وأكثرها أحد عشر شهرا. وقد يحصل في أحد البوقين حمل أو في البطن خارج الرحم وفي هذه الحال قد تحمل الأم جنينها ميتا عدة سنين ولكن لا تضعه الا بعملية جراحية

شبه الجنين

يقال إن شبه الجنين تابع لمقدار الحيوانات المنوية الملقحة للبويضة فإذا دخلت بكثرة في البويضة أشبه أباه سواء كان ذكرا أم أنثى، وإذا كانت قليلة أشبه أمه كذلك، فإذا كان الجماع بشدة ومقدار المني كثيرا وأنزل الرجل قبل المرأة كثير دخول الحيوانات المنوية في البويضة فأشبه الولد أباه، أما إذا كان مقدار المني قليلا وأنزلت المرأة قبل الرجل بطلت حركة الامتصاص من رحمها، فنظرا لذلك ولقلة مقدار المني يصل عدد قليل من الحيوانات المنوية الى البويضة فيكون الولد شبيها بأمه، سواء أكان ذكرا أم أنثى، ولذلك روى البخاري أن رسول الله (ص) قال « إذا سبق ماء الرجل ماء المرأة نزع الولد وإذا سبق ماء المرأة ماء الرجل نزعت الولد » أي لانه في هذه الحالة تبطل حركة الرحم في جذب المني اليه فتكون الحيوانات الداخلة فيه اقل مما اذا حصل القذف اثناء حركة الرحم أي قبل انزال المرأة. والولد كل مولود ذكرا كان أو أنثى

النطفة والعلقه وأطوار الجنين وغير ذلك

مما تقدم يفهم ان الانسان مخلوق من البويضة الملقحة بحيوانات الرجل، وهذه هي النطفة الامشاج التي ذكرها القرآن الشريف (٢:٧٦) فان النطفة هي كل ماء

قل أو كثر، ففي الرجل نطفة وبويضات المرأة مع السائل السابحة فيه المنفر من حويصلات (جراف) ومن البوق يسمى أيضا نطفة، والامشاج الاخلاط، فاختلاط المتي بهذا السائل الذي فيه البويضة هو الضروري للحمل

ولا يتوهمن احد ان نزول البويضة من البيض مما تشعر به المرأة أو تلذ له بل هو شيء لا تشعر به مطلقا

ولا يمكن رؤية البويضة بالعين المجردة وان كانت من الخلايا الحيوانية الكبيرة، فان قطرها ٠.٠٢ من المليمتر. اما قطر كريات الدم البيضاء فهو ٠.٠١٠٠٠٧٥ من المليمتر

واعلم أن الخصيتين تتكونان في الجنين في بطنه خلف البريتون وتحت الكليتين بقليل ثم تنزلان شيئا فشيئا حتى تكونا في الصفن في الشهر التاسع من الحمل فاذا ولد الجنين قبل ذلك في الشهر السادس مثلا كان الصفن خاليا منها

وفي أثناء التكوين تنقسم بويضة المرأة كلها داخل غشائها الذي يمدد تدريجيا كلما كبرت وكذلك بويضة الحيوانات الثديية، أما بويضة الطيور فينقسم جزء منها فقط — كما تقدم —

أما العلة المذكورة في القرآن الشريف فهي أول أطوار الجنين وتكون مركبة من عدة خلايا صغيرة ككريات الدم لم يتميز شيء من أجزائها، وهذه الخلايا تنشأ من انقسام البويضة بعد التلقيح الى عدة خلايا فلذا تشبه علة الدم^(١) (Clot) خصوصا التي تتركب من الكريات البيضاء التي تسمى بالانكليزية (Buffy coat) (راجع ص ٤٨ من هذا الكتاب وص ٤١٠ من كتاب فسيولوجيا هاليبرتون Halliburton)

فاذا نمت هذه العلة أخذت تنوع خلاياها وتتميز بعض أجزائها عن البعض الآخر، ويكون حجمها في آخر الشهر الاول كحجم بيضة الحمامة وهي (المضغة) لانها تكون قدر ما يعضغ في الفم، وبعضها نخاع والبعض الآخر غير مخلوق كما قال تعالى

(١) يجوز ان يراد بالعلق في قوله تعالى (خلق الانسان من علق) الحيوانات المنوية التي تلقح البويضة

في سورة الحج (٢٢ : ٥) وما يظهر في ذلك الوقت الاطراف العليا والاطراف السفلى ، ويتميز القسم الايمن من القلب عن القسم الايسر ، ثم تظهر آثار العظام الاخرى

وفي الاسبوع السابع يتبدى ظهور العضلات بعد ظهور العظام المذكورة ، وذلك بتنوع الخلايا التي كانت تحيط بالعظام ، والمراد بالعظام هنا الغضاريف التي تصير عظاما كما أن المراد بالحفر في قوله تعالى (أراني أعصر خيرا) العنب الذي يصير عصيره خمرا فاذا تم نمو الجنين وولد خرج وهو لا يدري شيئا ثم يتعلم كل شيء بالتدريج حتى يصير كأنه خلق آخر فبعد أن كان لا يعي شيئا يصبح يخترق الحجب بعقله ويصل الى الملكوت الاعلى بفكره (فتبارك الله أحسن الخالقين) وما تقدم نحمد أن الاطوار المذكورة في القرآن هي عين الحقيقة وهاك بيانها كما وردت في سورتي الحج والمؤمنين : —

(١) طور النطفة وهي الماء فتطلق على مني الرجل وعلى السائل الذي تسبح فيه البويضة ، وأصله من حويصلة جراف ومن البوق — كما سبق — وفي هذا الطور تلقح الحيوانات المنوية البويضة فتكون النطفة — بعبارة القرآن — أمشاجا

(٢) طور العلقة وهو طور انقسام البويضة بعد تلقيحها الى عدة خلايا متماثلة لا تمتاز واحدة منها عن الاخرى ، وتكون كقطعة الدم الجامدة

(٣) طور المضغة وهي البويضة اذا كبرت حتى صارت قدر ما يعضغ ويكون بعضها مخلقا وبعضها غير مخلق . وهو طور التخليق والتكوين الابتدائي

(٤) طور الانمام وذلك يتبدى بظهور الاجزاء الرخوة كالعضلات التي تكسو العظام ، وينتهي هذا الطور بنام الخلق

(٥) طور التربية والتعليم بعد الولادة وهو المعبر عنه في القرآن بالخلق الآخر لان الانسان الذي كان أحط من الدابة يصبح أرقى الاحياء قاطبة . لذلك قال سبحانه جل شأنه (وقد خلقكم أطوارا)

هذا وقد يحصل التلقيح فاذا وصلت البويضة الى الرحم وعلقت به وماتت

بسبب ما كالتباب غشائه طردها الرحم. أو امتصها، وهذا الامتصاص هو المعبر عنه في القرآن الشريف ١٣: ٨ بقوله « وما تفيض الأرحام » وقد يمتص الرحم الجنين أو أحد التوأمين في أحوال أخرى

أما قوله تعالى (يخلقكم في بطن أمهاتكم خلقاً من بعد خلق في ظلمات ثلاث) فالظلمات إما أن يراد بها ظلمة البطن وظلمة الرحم وظلمة الأغشية الجنينية المحيطة بالسائل الأمنيوسي

وأما أن تكون الظلمات هي: ظلمة المبيض الذي تكون فيه البويضة في داخل حويصلة جراف ، ثم ظلمة البوق حينما تلقح البويضة بالحيوانات المنوية ، ثم ظلمة الرحم الذي يتخلق فيه الجنين

وفي أثناء الولادة تنقب أغشية الجنين وينسكب ماؤها فيخرج الجنين ثم تتبعه هذه الأغشية مع المشيمة (وهي أغلفة جزئية في الأغشية وفيها يندغم الحبل الممري ومنها يتغذى الجنين واليا تخرج فضلات جسمه) وأيضاً تسقط أغشية الرحم ، ثم تتجدد بعد الولادة . والجنين في بطن أمه لا يتنفس ولا يأكل ولا يشرب وإنما يأخذ من دم أمه كل ما يحتاج إليه ، وكذلك لا تبرز بل تتجمع في أمعائه إفرازات الكبد والأمعاء وتخرج بعد الولادة وتسمى بالقي

وقد يبول الجنين في بطن أمه في أشهره الأخيرة فإن السائل الأمنيوسي وجد فيه مقدار قليل من البولينا بسبب بول الجنين فيه

ومقدار السائل الأمنيوسي نحو لتر أو اثنين عادة ، ووظيفته حماية الجنين من الضغط عليه ، وحفظه من التصاقه بالأغشية وتمديد عنق الرحم عند الولادة وغسل المهبل حينئذ

والجنين يتحرك في بطن أمه بنفسه ويحرك كتهاء وهذه الحركات تشعر بها الأم ، وتبتدى في الشهر الخامس غالباً

وقد يحصل حمل فوق حمل بمعنى أنه إذا حصل جماع بعد الحمل الأول ببعض أسابيع يجوز أن يحصل حمل آخر ، وهذا غير الحمل التوأمي المشهورة فإن صبيه أن تلقح فيه بويضتان أو أكثر في وقت واحد أو وقت قريب ، أو يكون

للبويضات الواحدة أكثر من نواة، وإذا كانت البويضات من مبيض واحد كانت التوائم من نوع واحد ذكرا أو أنثى بحسب المبيض اليمين أو اليسار . وتكون التوائم أيضا من نوع واحد إذا كانت ناشئة من بويضة واحدة ذات نويات متعددة

أسباب العقم

هذه الأسباب عديدة ، منها : أن يكون السبب فساد زرع الرجل لمرض في خصيتيه ، ومنها مرض المبيضين أو البوقين أو الرحم نفسه، أو وجود افرازات في المهبل شديدة الحوضة بحيث تقتل الحيوانات المنوية . وأشهر الأمراض التي تحدث العقم في الرجل والمرأة داء السيلان . ومن الأسباب أيضا الجماع المختلط كما في الزنا بأن يتوارد عدة رجال على امرأة واحدة ولذلك قيل في المثل الإنجليزي « لا ينمو العشب حيث يكثر دوس الأقدام »

ومن الأسباب أيضا ما لم تعرف إلى الآن حقيقة كأن تكون المرأة والرجل سليمين من كل آفة ومع ذلك لا يأتیان بنسل فإذا تزوج هذا الرجل امرأة أخرى وتزوجت هي رجلا آخر أنتج كل منهما

وإذا أريد منع الحمل فلا طريقة أحسن لذلك سوى قتل الحيوانات المنوية أثناء الجماع ، وذلك . بـع سوائل أو غيرها في المهبل تكون قتالة لها كمحلول السليمان بنسبة ١ : ٢٠٠٠ ومحلول حمضي من سلفات السكين ، فتغرس قطعة من القطن بهذه السوائل أو غيرها ونحشى في المهبل بحيث تسد فوهة الرحم ، فهذه الطريقة في الغالب قد تبطل الحمل ما دامت مستعملة فإذا تركت عاد الحمل

مراعاة الصحة في الجماع

الاكثر من الجماع ضار جدا مؤد إلى الضعف الجنسي والعصبى ويعرض الإنسان إلى أمراض كثيرة كالاتهابات الكلوية والشلل العام للمجانين ويحدث الاصفرار وخفقان القلب وضعفه فلذا يجب اجتناب الإفراط فيه ، والمحمود منه طبا هو ما نصرا عليه في كتب الشرع وهو انه ينبغي اذا اشتبه النفس اشتها حقيقيا بدون أن يهيج الإنسان شهوته يهيج مآ . ويختلف الرغبة في الجماع والقدرة عليه باختلاف الأشخاص ، ولذلك لا يمكننا تحديد القدر الصحي منه بالضبط . والغالب

انه لا يضر الانسان اذا أتاه مرة أو مرتين في الاسبوع بشرط أن يكون سليم البنية قوي الجسم

ولا يجوز اتيان الحائض شرعا وطبا — كما سبق بيانه — وكذلك لا يجوز الجماع عقب الاكل مباشرة ولا عقب التعب الجثائي او العقلي الشديد. واحسن وقت له ان يكون بعد مضي الثلثين من وقت النوم او النصف فان النوم بعده نافع للجسم مانع من اصابته ببعض الامراض كالزكام والسعال وغيرها مما قد ينشأ عن الضعف الذي يحدثه. اما ضرره في اول الليل فهو لان الجسم في ذلك الوقت يكون تعبانا والمعدة في الغالب تكون ممتلئة فلذا يحسن النوم قبله وبعده.

ومن اهم ما يقوي الجسم وينشطه على هذا العمل ويزيل الآلام ويمنع بعض الامراض التي قد تنشأ عنه — الغسل خصوصا بالماء الحار، ولذلك كان الغسل واجبا شرعا

أما الاستمناء باليد فهو من أضر الاشياء للصحة والعقل وهو أضر بكثير من الافراط في الجماع، فانه يضعف قوى الجسم والمخ والاعصاب، وكثيرا ما يصاب صاحبه بالهرع أو الجنون. وهذا الضرب من الاستمناء يسمى أيضا (جلد عميرة) وينسب الى افرنج الى رجل من بني اسرائيل من أبناء يهوذا يسمى (أوثان) ولكن الوارد في التوراة أن هذا الشخص كان يأتي العزل لا الاستمناء باليد وغضب الله عليه لانه لم يرد ان يقيم نسلا لآخيه (راجع سفر التكوين ٦: ٣٨ — ١٠)

ومن البنات من تفعل هذا الفعل القبيح أيضا خصوصا اذا كان بظهرها كبيرا ولم يقطع

أما العزل من الوجهة الطبية فهو أيضا مضيع للذة مضر بالصحة، والظاهر انه مكروه في الشريعة الاسلامية، ولذلك بين رسول الله (ص) في الحديث السابق انه من العبث الذي يتنزه العاقل عنه، خصوصا لانه مضيع للذة بلا فائدة محققة وقال فيه أيضا (ذلك هو الواد الخفي) وذلك لانه وإن لم يكن مانعا محققا للنسل فهو لاشك مقلل له كثيرا فكان اتيانه لذلك مذموما لانه ينافي كثرة التناسل التي حث عليها رسول الله (ص)

مضار الزنا

للزنا مضار كثيرة، منها الاصابة (١) بالداء الافرنجي (٢) أو السيلان (٣) أو القرحة
الأكالة (٤) أو القرحة الرخوة (٥) أو القمل العاني وغيره . ويوجد بعض أمراض
أخرى جلدية وباطنية قد تعدى بسببه مثل الجرب والارضة (Tinea) والسل
الرئوي . ولا تنس مع هذا مضاره الأدبية والدينية والاجتماعية والمالية وكل هذه
الاشياء الأخيرة ليس من غرضنا التكلم عليها هنا . واليك بعض تفصيل ما ينشأ عنه
من الامراض : —

(١) الافرنجي : ويسميه الافرنج (Syphilis) وهي كلمة غير محقق أصلها
ويمكننا أن نسميه بالعربية (التهویش) وبلسان العامة (التشويش) وأما كلمة
الزهري فهي في الحقيقة نسبة لجبل الزهرة — كما سبق — وتطلق عند الافرنج على
أهم الامراض التي تنشأ عن الجماع فهي عندهم ليست خاصة بهذا الداء . وأصله من
أمريكا ودخل مصر بدخول الافرنج فيها ولذلك سمي « بالداء الافرنجي »
ولهذا الداء ثلاثة أطوار :

(١) الطور الاول ظهور القرحة وهي شيء كالدمل يظهر في العضو مكان
التلقيح بالميكروب، فمثلا اذا جامع الرجل امرأة مصابة بهذا الداء وكانت قروح
في فرجها فقد ينتقل اليه الداء وتظهر عنده هذه القرحة الاولى في فرجه أو
ما قاربه كالعانة، وكذلك اذا قبلها في فمها مثلا وكان فيه شيء من قروحه وبثوره
ظهرت في فمه أولا . وقد ينتقل بواسطة أدوات الاكل والشرب وغيرها
وهذه القرحة تظهر عادة بعد خمسة أسابيع من الجماع أو التقييل وغيرها،
وذلك لان ميكروب الزهري (وهو حلزوني الشكل) (١) اذا انتقل الى الانسان
يتكاثر في جسمه حتي يمتلئ الدم به وعندئذ تظهر القرحة الاولى . ويسمى هذا
الزمن الذي بين التلقيح بالميكروب وبين ظهور القرحة بطور الحضانة أو التفرنج

(١) اكتشف هذا الميكروب سنة ١٩٠٥ وهو أدق وألطف من كثير من
الميكروبات الحلزونية، يسمى (Spirochaeta Pallida) والكلمة الاولى
يونانية بمعنى الحلزون، والثانية لاتينية معناها الاكبد (الباهت) لتعبر رؤيته بالمجهر

ومما يساعد على دخول الميكروب وجود أي جرح أو سحج في بشرة الجلد الذي يلامس المرأة المصابة ولكنه غير ضروري، والقروح الاقترنجية الاولى منها ما يكون صلبا ومنها ما يكون رخوا تسيل منه مَدَّةٌ وصديد. وهذه القروح كثيرة في فروج الزناة والزانيات

(٢) الطور الثاني ظهور طفح مخصوص في الجسم كله، له أشكال متعددة، مع قروح في الأغشية المخاطية أيضا، وله أعراض أخرى غير ذلك كضخامة الغدد اللمفاوية في الجسم كله خصوصا في الأربية والقفار. وكانوا يقولون ان الطور الاول والثاني هما المديان دون الثالث. ولكن ثبت الآن حصول العدوى في جميع الاطوار الثلاثة، إلا أنها في الأخير منها قليلة جدا أو نادرة. وإذا تزوج شخص مصاب أصيب نسله بالاقترنجي أيضا. ويتبدى ظهور الطور الثاني بعد مضي ٦ أسابيع الى ٣ أشهر من ظهور القرحة الاولى

(٣) الطور الثالث هو عبارة عن ظهور أورام متعددة تصيب أي جزء من أجزاء الجسم، وهذه الأورام عبارة عن مادة تشبه الأزرار اللحمية التي تلتحم بها الجروح، وتسمى هذه الأورام بالأورام الصغية. وإذا أصابت أي جزء من الجسم أفسدته وشوهته، وكثيرا ما تبطل عمله أو تعطله على الأقل وهذا الطور يتبدأ بعد سنة أو سنتين من مبدأ التلقيح وربما استمر الى نهاية العمر بأشكال متعددة تختلف باختلاف العضو المصاب

ومن المشاهدات الغريبة في أمر هذا الداء ان الطفل المولود من أب مصاب به لا يعدي أمه وإنما يعدي المراضع الغريبات ويسمى ذلك بقانون كولس [Colles] ويعلمون ذلك بأن الأم تلمحت بالمرض تلقحا خفيفا لم تظهر أعراضه

والاقترنجي من الادواء العظيمة التي يمكننا أن نقول انها من أهم الاسباب لأمراض جميع أعضاء الجسم، ويؤثر في الأعصاب تأثيرا سيئا جدا فيحدث فيها أنواع كثيرة من الشلل والألام، وقد يؤدي الى المرض المذكور سابقا المسمى بالشلل العام للمجانين. ويكفي في ذمه أن نقول ان ضرره ليس قاصرا على الشخص

نفسه بل قد يقتل جنينه في بطن أمه وإذا ولد كان التسلسل ضعيفا مشوها مصابا بالقروح المتنوعة وغيرها

وأحسن الادوية له في الطور الاول والثاني الزئبق ومركباته، وفي الطور الثالث يودور البوتاسيوم ، وكذا حقنة ٦٠٦ (١) أو ٩١٤ في الاوردة أو في العضلات — وكل منهما مركب زرنيخي — استعمال أخيرا في معالجته، وسيأتي الكلام عليها تفصيلا في الجزء الثاني . وللوقاية منه يجب غسل ما لامس المريض غسلا جيدا بالماء والصابون ثم بالادوية المطهرة كالسليمانى وغيره بنسب مخصوصة بعد التمس مباشرة

(٢) السيلان

السيلان داء يصيب بعض الأغشية المخاطية وغيرها فيحدث فيها التهابا يسيل منه صديد ، وله ميكروب مخصوص معروف . واكثر الاعضاء اصابة به الفرج والدبر والانف والعين — ويسمى فيها بالرمم الصديدي — ومن مضاعفاته التهاب الخصيتين والخراجات الاربية والتهاب المثانة والتهاب الرحم والبوقين والمبيضين وغير ذلك ، وقد ينشأ عنه مرض في المفاصل مؤلم جدا ويكون معضلا (عسر الشفاء) وهو من أعظم الاسباب المؤدية للعقم في الرجل والمرأة — كالسبق —

(٣) القرحة الاكالة

هي قرحة مخصوصة تضاعف القروح الافرنجية وغيرها ، ولكن حصولها في القروح الافرنجية أكثر منه في غيرها ، فإذا أصابت القضيب مثلاً أو الفرج أكلته كله أو بعضه وربما أفقدت الانسان خاصية التناسل طول حياته فيضيع نسله

(٤) القرحة الرخوة البسيطة

هي قرحة أخرى لها ميكروب مستطيل الشكل أكثر ما تصيب الفرج في الذكور والانثى فتذهب منه جزءا صغيرا ، وكثيرا ما تسبب خراجا في الاربية أيضا وهي من أهون الامراض الزهرية (أي التي تنشأ من الجماع)

(١) اخترعت سنة ١٩٠٩ ميلادية وسميت بذلك لان مخترعها وفق اليها بعد

عمل ٦٠٦ من التجارب

(٥) القمل

يشاهد في كثير من الاشخاص قمل في رؤوسهم واجسامهم وعانتهم. وهو ثلاثة أنواع، وينتقل من شخص الى آخر باللماسة أو المجاورة، وقمل الجسم هو السبب الوحيد لنقل الحمى التيفوسية والحمى الراجعة قطعا، فلذا يجب العناية بتنظيف الجسم منه. زد على ذلك كونه يحدث حكة في الجسم ويقاق راحة الانسان، وقد تنشأ عنه حمى غير الحيات المذكرة آنفا لسم فيه أو لاضطراب عصبي يحدث من قرصه. ومن الطرق لازالته غلي الملابس وحلق الشعر والادهان بزيت الصخر (البترو) ومرهم الراسب الابيض. اذا كان الجزء المصاب محدودا. والا اكتفي بما ذكر قبله خوفا من امتصاص الزئبق الذي في هذا المرهم فيسم الجسم، وتجب اطالة مدة غلي الملابس فانه شوهد أن بعضه يعيش في طيات الثياب وان وضعت في الماء الغالي مدة خمس دقائق أو أكثر. ويبض قمل الجسم (الصثبان) يشتمل أيضا على ميكروب الحمى التيفوسية والحمى الراجعة فاذا فقس وخرج منه قمل جديد كان ناقلا أيضا لهذين النوعين من الحمى

(٦) الجرب

الجرب داء يصيب الجلد خصوصا ما بين الاصابع والفخذين وأعضاء التناسل. وينشأ من حيويين أصغر بكثير من القمل العاني يسمى باليونانية أكاروس [Acarus] (ومعناها لا يتجزأ) وله ذكر وأنثى، أما الأنثى فبعد ان يلقحها الذكر تتخذ من الجلد جحورا تبيض فيها نحو خمسين بويضة ويبقى الذكر فوق سطح الجلد، فاذا أفرخت البويضات خرجت حيويينات جديدة، وانما تفرخ البويضات حينما تظهر على سطح الجلد بزوال البشرة وتأكلها بالتدريج، وتحمل الاناث من جديد وتثقب الجلد أيضا كامهاتها وهلم جرا، وما تحدثه هذه الحيويينات في الجلد من التهيج يكون سبب تحصل به حكة شديدة تنشأ عنها قروح وبثور تؤذي الانسان كثيرا

ومن أحسن طرق علاجه الاستحمام بالماء والصابون مع الدلك الشديد جدا حتى يزول جزء من البشرة وتنفث الجحور بقدر الامكان ثم يدهن الجسم بمرهم

الكبريت ، ويجب غلي جميع الملابس وكل ما لامس جسم المصاب منعاً لتكرار العدوى له أو انتقالها الى غيره ، ويتكرر الاستحمام والادهان بالمرهم بضعة أيام حتى يزول الداء

(٧) الارضة

الارضة داء — يسمى باللاتينية تينيا Tinea^(١) — يصيب الجلد أو الرأس أو الاطفاار فيحدث بهما التهاباً وحكة ، وهو ينشأ من نمو فطر (أحياء نباتية مجهرية) في هذه الاجزاء . وأحسن علاج له النظافة التامة والادوية المطهرة كالمراهم الزئبقية والكبريتية وصبغة اليود ونحو ذلك ، ولكن يجب قبل ذلك نتف شعر المكان المصاب أو حلقه — والنتف أولى — وكذلك تغلي الملابس لمنع تكرار العدوى

(٨) السل :

سنفصل القول في السل تفصيلاً في باب الامراض المعدية ان شاء الله ، ويكفي ان نقول هنا كلمة مختصرة في عدواه بطريق التنفس :

ينشأ هذا الداء من ميكروب مستطيل الشكل كالمصية ولذلك يسمى باللاتينية باسم *Bacillus* أي العصا الصغيرة^(٢) اكتشفه البكتيريولوجي الالماني الشهير المسمى كوخ (Koch) سنة ١٨٨٢ م وهو يوجد كثيراً في بصاق المصابين بالسل ويخرج أثناء السعال في ذرات البلغم وينتشر حول المصاب الى بعد متر ونصف تقريباً فيكون الجو حوله ملوثاً به ، فاذا دخل مع التنفس في رئة شخص مستعد لهذا الداء أصيب به ، وذلك بتكون درنات صغيرة بيضاء اللون في الرئة أو غيرها ، وهذه الدرنات تكبر وتتكاثر وينضم بعضها الى بعض وتحدث التهاباً فيها حولها من الرئة ، ثم تستحيل الى قيح فتتأكل الرئة بسببها وتحدث فيها تجاويف تسمى بالكهوف . ويحصل سعال شديد مصحوب بدم أو صديد وترتفع حرارة المريض وتضعف قواه وينحف جسمه ويصاب بالارق من كثرة السعال وغيره وبالعرق الكثير بالليل ، وقد يحصل له اسهال متعاص أو بحجة في الصوت من التهاب الحنجرة وتقرحها وغير ذلك حتى تنهك قواه فيموت

(١) معناها الحرفي «الدودة القارضة» (٢) وبعضهم يقول «باشلس»

مضار الزنا الاجتماعية

هذا وانما نحتم هذا المبحث بذكري ونصيحة اذا لم تكن من وظيفة الطبيب من حيث هو طبيب فهي مما يحسن منه من حيث هو انسان ، وهي التحذير من مضار الزنا الاجتماعية . وليس من غرضنا التكلم عليها هنا تفصيلا — كما قلنا — الا اننا نذكر الناس اجمالا بحقيقة لا تمر ب عن عقل المفكر : تلك أن الزنا يفقد المحبة الابوية لنسل الزانيات فلا يهتم المرء بحياة الاطفال ولا بصحتهم ولا بتربيتهم ولا بمستقبلهم اهتمام من يعلم أن المولود هو ابنه حتى يؤثره على نفسه في كل شيء غالبا فيكثر بسبب الاهمال موت الاطفال أو قتلهم ، وتسوء صحتهم وتفسد أخلاقهم ، ويصبحون عالة على المجتمع أو منشردين مفسدين . ولا تحسن الام وحدها القيام بتلك الشؤون على ما لديها من الشواغل والصوارف عنها ، كتحسين منظرها وملاقة الرجال المتنوعين والملق لكل منهم والتعجب اليهم ، فهذه الشؤون لا تدع لها وقتا ولا قلبا توجهه الى شيء آخر ، ولذلك ترغب الزانيات عن النسل ويقتلنه اذا وجدوا أو يلقيهن به في الطرقات ، وفي ذلك من الاضرار بالامة مافيه . زد على ذلك أن الزنا يحدث البغض والحقد والحسد بين الافراد والبيوت ، ويقطع كل رابطة للمودة والرحمة بين المرء وزوجه ، ويحمل الناس على خيانة بعضهم بعضا ، وعلى الكذب ، ويضيع الحقوق في الموارث المالية وغيرها ، فتفسد الاخلاق ، وتكثر الشجاء والمخاصات التي تسفك فيها الدماء ، وتستباح الاموال والاعراض ، فتتنافر الامة ويقنأص عددها ، وتزول روابط المحبة من بين افرادها ، وفي ذلك هدم وازالة لعزها وسلطانها ، وتقويض دعائم بنائها ، فتهدم في مهاوي الفساد حتى تستقر في الدرك الاسفل من الفقر والضعف والانحطاط والتأخر . لذلك وصف الله تعالى الزنا بقوله (انه كان فاحشة وساء سبيلا) لما يوجد بين الناس من البغض والحقد والكراهية فيهدم أركان الاسرة أولا والامة ثانيا والمجتمع الانساني ثالثا

اللوواط

الامراض التي تنشأ عنه هي عين الامراض السابقة تماما ، وتزيد عنها غالبا في احداث جروح في الذكر وفي الشرج ، واذا تضاعفت هذه الجروح ببعض

الامراض نشأ عنها مالا تحمد عقباه ، وترثي عضلات الشرج حتى قد يسهل نزول البراز وغيره . بغير ارادة الانسان ، وهو مفسد للاخلاق ومبيد للشهامة والرجولية ، وقاض على الآداب كافة ، وما انعمت فيها أمة الا انحطت وتدهورت لتخت رباطها وذهاب نجاتهم ومروءتهم وهمتهم ، فلا تصلح بعد ذلك لمقاومة أعدائها فيغلبون عليها وتبيد شيئا فشيئا ، زد على هذا ان الرجال المتغسبين في تلك الشهوة الدنيئة يقل ميلهم إلى النساء كثيرا فيقل عدد الامة فتضعف أيضا من هذه الوجهة ، نعم ان اللواط أخف ضررا من الزنا من وجهة واحدة اجتماعية وهي انه لا تضعف بسببه الانساب ولا توجد به اللقطاء ، فهو أقل بذلك اضراراً لحقوق العباد والاولاد . أما تحريمه فيكفي في بيانه ما ورد في القرآن الشريف في قصة لوط ، وأما حده فقد ورد فيه قوله تعالى على أصح التفاسير (واللذان يأتيانها منكم فآذوهما) الآية فلولي الامر أن يؤذي أهل اللواط بما تتفق عليه الامة من العقاب الرادع لأهل هذه الطائفة المحقرة الدنيئة

وقد أجمعت الامم على استقباح هذه الشهوة البهيمية حتى سماها الانجليز

« الرذيلة المغايرة للطبيعة » [Unnatural Vice]

سن الزواج بالفتيات

كتبت مقالة بهذا العنوان حينما أراد أحد المحامين المصريين (ذكر يا بك نامق) أن يطلب من الحكومة من قانون يحدد فيه سن الزواج للبنات بالسنة السادسة عشرة ، ولاشتمال هذه المقالة على عدة فوائد تناسب الفصول السابقة في الكلام على الجهاز التناسلي أردت اثباتها هنا لافادة قراء محاضراتي هذه . وقد أنصف هذا المحامي الفاضل فكف عن اقتراحه هذا بعد ظهور مقالتي هذه في الجرائد ومقالات غيري من أفاضل الاطباء والفقهاء و [سمعته] بعد أن قدمه للجمعية التشريعية

وهالك نص مقالتي كما نشرت في عدد ١٠٩٥٦ من جريدة الاهرام الصادر يوم

الخميس ١٢ مارس سنة ١٩١٤ - ١٥ ربيع الآخر سنة ١٣٣٢ : -

لما لهذا الموضوع من العلاقة الكبرى بالشرعية الإسلامية القراء والمسائل

العلمية والاجتماعية والقانونية أردت أن أمحصه تمحيصاً ، وأحرر مسأله تحريراً ،
ليصل حكمنا فيه الى نتيجة نافعة للامة مبنية على أساس متين من البحث والنقد
حتى لا يكون مبنياً على التسرع وحب التقليد فأقول :

من المعلوم أن سن البلوغ يختلف باختلاف حرارة الجو والبيئة والوراثة . ففي
الهند مثلاً كثيراً ما تبلغ الفتاة في السنة التاسعة من عمرها ، ولكن في البلاد الباردة
كإنجلترا تجد أن سن البلوغ هو من ١٤ — ١٦ سنة ، وفي البلاد التي هي أشد برداً
منها يحصل البلوغ في السنة السابعة عشرة أو الثامنة عشرة . أما في مصر
فالقالب أن يكون في السنة الثانية عشرة الى الرابعة عشرة ، وذلك في مثل مديرية
الجزيرة لاني مثل مديرية اصوان . والبيئة أيضاً تأثير في زمن الحيض ، فانك ترى
أن الفتيات اللاتي يكثرن من الاختلاط بالشبان يسرع مجيء الحيض اليهن ،
وكذلك اللاتي يكثرن من قراءة الروايات الغرامية ونحوها ومشاهدة تمثيلها ، أما
الوراثة فهي تؤثر أيضاً في قرب زمن البلوغ فاذا بلغت الام وهي صغيرة جداً
كانت ابنتها مثلها في ذلك

وفي سن البلوغ يكبر الحوض ويظهر شعر العانة وتكبر أعضاء التناسل والثديان
وتستعد المرأة للقيام بوظيفتها التناسلية التي خلقت لاجلها . وقد اتفقت كلمة علماء
التشريح على أن نمو عظام الحوض الذي من شأنه أن يؤثر في سعة أقطاره يتم في
زمن البلوغ أو بعده بقليل ، وذلك لا ينافي أن التحام عظام الحوض لا يتم الا في
نحو الخامسة والعشرين غالباً ، واذا حملت المرأة لانت مفاصل حوضها وتمددت ،
لا فرق في ذلك بين الصغيرة والكبيرة ، وانما اذا تأخرت المرأة في الزواج يست
عضلات المعجان والرحم ، وربما نشأ عن ذلك اجهاض أو عسر في الولادة بسبب
عسر تمدد هذه الأجزاء التي تفقد مرونتها الطبيعية كلما كبرت البنت ، ويغلب
العقم أيضاً فيمن يتأخرون عن الزواج

وقد وجد بعض الباحثين مثل (بروس ودنلوب) في بلاد الحبشة والبنغال
أمهات لا يزيد عمر احداهن عن احدى عشرة سنة ، وكذلك وجد في أوربة
(وان كان ذلك قليلاً) أمهات ولدن أولاداً أصحاء في السنة الثالثة عشرة من

عمرهن حتى وجدوا بنتا حاملا في سويسرة في السنة التاسعة ، وظهور الحيض في هذه السنة ليس نادرا في أوربة كما تقول كتبهم

لذلك كله ولغيره اعتبرت الشريعة الانكليزية مثلا أن السن القانونية للزواج «عندهم» هو ١٤ للذكور و ١٢ للإناث، أما زواج الأطفال القاصرين فتعتبره صحيحا بشرط أن لا يبدو من الطرفين اذا وصلا الى سن البلوغ طعن في العقد السابق (راجع صفحة ٥٦ من كتاب أصول الطب الشرعي لمؤلفيه جاي وفرير الانكليزيين) فمن أعجب العجائب بعد ذلك ان يقوم بعضنا في هذه الايام ويطلب تضيق شريعتنا الاسلامية الفراء بما لم يفعله الانكليزي في بلادهم الباردة وهم أرقى منا بكثير في سائر شؤونهم العلمية والمدنية والاجتماعية !!

أما زعم هؤلاء المضيقين أن الفتاة اذا تزوجت قبل تمام نموها وقف هذا النمو فهو غير صحيح، بل تكذبه المشاهدة العامة، فان الحمل لا شك يسرع في تمام نمو الجسم كله، ولذلك تجد الفتاة بعد الولادة يكبر جسمها بأسرع من الفتاة التي لم تتزوج. أما دعوى أن الفتاة اذا حملت وهي صغيرة ضعف جسمها عما اذا حملت وهي كبيرة فهي غير مسلمة ولا يمكن اثباتها اثباتا قطعيا وإنما هي دعوى يرددها بعض الاطباء تقليدا لبعض بلا بحث ولا تمحيص، فان الفتاة الكبيرة تكون ليس أعضائها أكثر عرضة للعقم وللأجهاض أو عسر الولادة من الفتاة الصغيرة - كما سبق - ولا يمتنع ما ينشأ عن الأجهاض وعسر الولادة من المضاعفات المرضية كفقتر الدم الشديد بسبب النزف الرحمي والتمزقات العجانية وما يتبعها كالتواصير وسقوط المهبل أو الرحم وغير ذلك، بل ربما قضت المرأة نحبها في الأجهاض أو الولادة العسرة. نعم ان الطفل المولود من الفتاة الصغيرة يكون في أول الامر أصغر جرما من الذي ولد من الفتاة الكبيرة، ولكنه لا يكون أقل صحة منه، وصغر حجمه هذا لا يلبث طويلا بل يزول شيئا فشيئا مدة التربية. أما علم الوالدة بتربية الطفل فذلك يتوقف على مقدار ما اكتسبته في هذا الموضوع ودرجة صلاحيته وسهولة تلقينه لها أثناء دراستها المدرسية أو البيتية، فان كانت تلقت شيئا نافعا في هذا الامر ولو كان مختصرا أفادها أكثر من التي قضت سنين عديدة من حياتها الأولى في دراسة الجغرافيا

مثلا والهندسة والجبر

وإذا كانت الطبيعة لم تبخل على الفتاة الصغيرة باعطائها الحمل والولد فكيف نمنحها عليها الزواج ولنا أعلم باستعدادها ولا أشفق عليها من الطبيعة؟^(١) وأي شيء يجري عليه الناس طبق سنن الكون ونواميس الوجود وكان ضرره غالبا على نفعه ومحققا كما يدعون في هذه المسألة؟ أليس التضيق الذي يطلبونه مصادما للشرائع الإلهية والقوانين الوضعية، بل والسنن الكونية؟ فأين دليل قطعي عذرم عليه يستمدون؟ أما مضار تأخير زواج الفتاة بعد بلوغها في السنة الثانية عشرة أو الثالثة عشرة كما هو الغالب عندنا في مصر فمنها زيادة الشهوة عندها التي قد تفسد أخلاقها أو تجرها إلى الفسق أو اللطاف (استثناء المرأة بيدها) أو السحاق وكلها أشياء يشتد الميل إليها في أول البلوغ ولذلك يكثر وجودها في البلاد التي تتأخر فيها البنات عن الزواج. ولا حاجة بي هنا للتكلم على ما ينشأ عنها من المضار والمفاسد فإنها معروفة شهيرة، والأمسالك عن الجماع مع فرط الشهوة مضعف للجسم والأعصاب، مؤد إلى سوء الخلق وضعف العقل، مورت للهستيريا أو الجنون والشقيقة وعسر الطمث، وغير ذلك وهناك بعض أسباب كثيرة ما تحمل الناس على التمسك بالزواج كالقتر أو فقد من يقوم بشؤون البنت وربيتها وكفالتها وحفظها من الوقوع في جوارح الدنس والعار، ولذلك ترى أن الشريعة الإسلامية وغيرها كالانكليزية أباحت في جميع الأعمار حتى للأطفال، إلا إذا كانت البنت غير مطيعة للجماع، فيحرم في شرعنا تسليمها للزوج حتى تطيق. وإذا عقد أولياء الأمر على طفل وطفلة أباح لها الإسلام فسخ العقد إذا بلغا ما لم يكن الذي تولى الأمر الأب أو الجد فإنهما أدري الأولياء وأعلمهم بمصلحة البنت وأشدهم محافظة عليها وأكثرهم رغبة في نفعها الصحيح وإبعاد كل ضرر عنها. فأين عيب في هذه الشريعة حتى أردنا الخروج عنها والاشتمال على مناهج مع أنها تشبه شريعة الانكليز في ذلك وهم من أدنى أمم الأرض الآن !!

(١) المنار: كان ينبغي لصديقنا الدكتور أن يقول هنا: وإذا كان الخلق العليم الحكيم قد أعد الفتاة في سن كذا للحمل الخ

وإذا علمت أن سن البلوغ يختلف باختلاف البلاد وأحوال أهلها تبين لك السبب في عدم تحديد الشريعة الإسلامية لهذه السن اشترطت بل اشترطت الاطاعة ولم تمنع العقد على الاطفال، اما في ذلك من المنفعة للناس، كأن يريد شخص أن يضمن لنفسه الاتقاع بمال بنت أو جاهها أو الانتساب الى بيتها أو نحو ذلك، أو يكون له غرض آخر كالرغبة في النفقة عليها واحسان تربيتها لجمالها، أو لفقدائها الأهل والمعين من أقاربها

وبسبب سرعة البلوغ في البلاد الحارة كالحند وبلاد العرب فشت في الشرق عادة تزويج البنات الصغار كما هو معلوم، حتى أن عائشة رضي الله عنها كانت خطبت قبل رسول الله (ص) وعمرها سبع سنوات لجبير بن مطعم بن عدي، وهو يدل على أنها كانت قد قاربت البلوغ في تلك السن ولذلك عقد عليها الرسول (ص) وقتئذ ودخل عليها في التاسعة من عمرها، فالظاهر أنها كانت قد بلغت حينئذ كما هو الغالب في بنات العرب وأهل الهند وغيرهم من أهل الشرق كما سبق بيانه

أما المضار التي يذكرها المضادون لذلك الزواج فهي في الحقيقة ناشئة عن أحد أمرين أو عنهما معاً (الأول منهما) الدخول بالبنت قبل الاطاعة أو قبل البلوغ (الثاني) طريقة المصريين الوحشية في اقتضااض البكارة، حتى أني شاهدت مرة بنتاً كادت تموت بنزيف شديد من تمزق في مهبلها نشأ من أصبح زوجها الوحش القاسي، ولكن العيب في ذلك ليس على الشريعة نفسها، بل العيب إنما نشأ من الجهل والقسوة وعدم التزام حدود هذه الشريعة الغراء التي فيها الكفاية لتقويم المعوج

وهناك فوائد أخرى غير ما تقدم تزوج القتيات الصغيرات البالغات (منها) أنهن يحرصن الشهوة في ضفاف الرجال حتى أنهن يكن سبيبا في تقوية أجسامهم وعودة الحياة اليهم، فتزيد قوة الباه عندهم ويتحسن نسلهم. وقد عرف ذلك الأقدمون حتى أنه ذكر في الكتاب المقدس عند اليهود والنصارى أن داود (عليه السلام) شاخ وكانوا يدرثونه بالثياب فلا يدفا لشدة ضعفه فأشار عليه عبيده باحضار فتاة جميلة لتخضعه ليدفا ففعل ذلك وعاش بضعة شهور مع أنه كان في غاية الضعف

والبرودة والاضمحلال (راجع الاصحاح الاول والثاني من سفر الملوك الاول) .
وكذلك فعل الامبراطور (طييار يوس) ليستعيد جسمه الضعيف حرارته الاولى .
وقد أشار (بورهاف) الشهير على عمدة بلدة (ساردام) الذي كان مبتلياً بالنقرس
بأن يبيت مع بنات فتيات ، ولما عمل بمشورته تجسنت حاله وزال مرضه (راجع صفحة
٤٦٢ من كتاب تاريخ الانسان الطبيعي) وقد جربوا ذلك العلاج أيضا في الرومانزم
المزمن للشيخوخة فأفاد كثيرا بعد ان يتسوا من الطب والدواء . وقال الكتاب
المذكور ما محصله :

« ان مساكنة البنات الفتيات ذوات الدم الوافر والصحة الجيدة يتطير منها
نشأة منعشة تحترق جسم الشيخ الجاف وتسخن دمه الضعيف الفاتر وتحرك فيه
الاعضاء الذابلة »

وذكر بعض العلماء أن من الشيخوخة من اسود شعره ونبتت أسنانه مرة ثالثة
بعد سقوطها بسبب معاشرة الفتيات الصغيرات ، وعادت اليه قوة الجماع . ولا شك
ان صحة البنات في وقت البلوغ تكون أحسن منها في جميع الاوقات الاخرى
فيؤثرن في الرجل تأثيرا قويا مصلحا ، فينتفع هو وينتفعن هن بماله أو جاهه ،
خصوصا اذا كان من أصحاب الملايين أو الملوك . واذا تزوج رجل مسن بعجوز
مثله ساء نسلهما جدا بخلاف ما اذا كانت هي صبية

هذا ولعلم القارئ أي لا أذكر هذه الامثلة هنا لكي يري ممن يريد أن ينفذ
الشيخوخة عيش الفتيات بالتزويج بهن كلا ؟ بل الغرض من ذكرها تكميم البحث
وبيان فوائد زواج البنات البالغات الصغيرات واستقصاء تلك الفوائد كلها

والخلاصة أني أرى أنه ليس من الصواب تحديد سن الزواج بالسنة السادسة
عشرة من العمر بل الا صواب عندي أن توضع طريقة تحمّل الناس على شدة مراعاة
حدود الشريعة الاسلامية وأن يتركوا عاداتنا المصرية القاسية المعروفة في الزواج ،
وان كان لا مندوحة عن التحديد فليكن ذلك بعد بلوغ البنت بسنة ، أوليجروا في ذلك
حسب القانون المصري الحالي في مسألة عقوبة الفسق بأن يجعلوا سن الزواج (١٤)
سنة فما فوق . هذا هو رأيي أبديه باخلاص والله ولي التوفيق ، الهادي لا قوم طريق

مقام المشاهدة وعين الجمع^{*}

﴿ الدرجة العليا في المشاهدة والفرق فيها بين التوحيد وتخييلات وحدة الوجود ﴾

قال^(١) ﴿ الدرجة الثالثة مشاهدة جمع تجذب الى عين الجمع ، مالكة لصحة الوجود ، رابطة بحر الوجود ﴾ صاحب هذه الدرجة أثبت عند الشيخ في مقام المشاهدة ، وأمكن في مقام الجمع الذي هو حضرة الوجود ، وأملك لحل ما يرد عليه في مقامه من أنواع المكشوفات والمعارف ، ولذلك كانت مشاهدته مالكة لصحة الوجود ، أي تشهد لنفسها بصحة ورودها الى حضرة الجمع ، وتشهد كمالها بالصدق ، ويشهد المشهود أيضا لها بذلك ، فلا يبقى عندها احتمال شك ولا ريب وهذا أيضا مورد للمحدد والموحد ، فالمحدد يقول : مشاهدة الجمع هي مشاهدة الوجود الواحد الجامع لجميع المعاني والصور والقوى والأفعال والأسماء . وحضرة الجمع عنده هي حضرة هذا الوجود ، ومشاهدة الجمع تجذب الى عينه — قال — وصفة هذا الجذب أن يحمل الحق تعالى عقد خلقته بيد حقيقته ، فيرجع النور الفاضل على صورة خلقته الى أصله ، ويرجع العبد الى عديته ، فينتهي الوجود للحق ، والفناء للخلق ، ويقوم الحق تعالى وصفا من أوصافه نائبا عنه في استجلاء ذاته ، فيكون الحق هو المشاهد ذاته بذاته ، في طور من أدهار ظهوره وهي مرتبة عبده ، فإذا ثبت الحق تعالى عبده بعد فنيه ومحوه ، وابقاه بعد فناءه ، فماد كما يعود السكران الى صحوه — وجد في ذات أسراره ، وطور صفاته ، وحقائق ذاته ، ومعالم وجوده ، ومطارح أشعة نوره ، ووجد خلقته أسماء مسمى ذاته وعوده اليه ، فيرى العبد ثبوت ذلك الاسم في حضرة سائر الأسماء المشيرة بدلائلها الى الوجود المنزه الاصل الموهوم الفرع ، فيؤدي استصحاب النظر الى أصله ، أن الفرع لم يفارقه هو الا بشكله والشكل على اختلاف ضروبه ، فمعنى عدمي تعين امكانه في وجوده

(*) مقتبس من الجزء الثالث من كتاب مدارج السالكين (١) يعني صاحب كتاب منازل السائرين

فانظر ما في هذا الكلام من الاتحاد والكفر الصراح ، وجعل عين المخلوق نفس عين الخالق ، وان الرب سبحانه أقام نفس أوصافه نائبة عنه في استجلاء ذاته ، وأنه شاهد ذاته بذاته في مراتب الخلق ، وان الانسان اذا صاح من سكره وجد في ذاته حقائق ذات الرب ، ووجد خليقته أسماء مسمى ذاته ، فيرى ثبوت ذلك الاسم في حضرة سائر الاسماء المشيرة بدلالاتها الى الوجود « المنزه الاصل » يعني عن الانقسام والتكثير « الموهم الفرع » يعني الذي يوهم فروعه وتكثير مظاهره واختلاف اشكاله انه متعدد ، وانما هو وجود واحد ، والاشكال على اختلاف ضروبها أمور عدمية ، لانها ممكنة وامكانها يقنى في وجوبها ، فلم يبق الا وجوب واجب الوجود ، وهو واحد وان اختلفت الاشكال التي ظهر فيها ، والاسماء التي اشارت اليه ، فالإلهادي يشاهد وجودا واحدا جامعا لجميع الصور والانواع والاجناس فاض عليها كلها فظهر فيها بحسب قوايلها واستعداداتها ، وذلك الشهود يجذبه الى انحلال عزمه عن التقيد بمعبود معين أو عبادة معينة ، بل يبقى معبوده الوجود المطلق الساري في الموجودات بأي معنى ظهر وفي أي ماهية تحقق ، فلا فرق عنده بين السجود للصنم والشمس والقمر والنجوم وغيرها كما قال شاعر القوم (١)

وان خر للاحجار في البيد عا كف
وان عبد النار المجوس وما انطفت
فما عبدوا غيري وما كان قصدهم
وما عقد الزنار حكما سوى ردي
وكما قال عارفهم (٢) : واعلم ان الحق في كل معبود وجهها يعرفه من عرفه ويجهله من جهله ، فالعارف يعرف من عبد وفي أي صورة ظهر — قال — (وقضى ربك ان لا تعبدوا الا اياه) — قال — رماقضى الله شيئا الا وقع (٣) وما عبد غير الله في كل معبود . فهذا مشهد الملحد

(١) كتب في هامش ب « هو ابن الفارض » ٢ وفي هامشها أيضا « لعله ابن عربي صاحب القصص ، المشتمل على مخالفة النصوص »
(٢) حل القضاء على التكويني وانما هو بمعنى التشريعي ، فحجته داحضة

والموحد يشاهد بإيمانه ويقينه ذاتا جامعة للاسماء الحسنی والصفات العلی ، لها صفة كل كمال^(١) وكل اسم حسن ، وذلك يجذبه الى نفس اجتماع همه على الله وعلى اقيام بفرائضه ، والطريق بمجموعها لا يخرج عن هذين السبيلين ، وان طولوا العبارات ودققوا الاشارات ، فالامر كله دائر على جمع الهمة^(٢) على الله ، واستفراغ الوسع بغاية النصيحة في التقرب اليه بالنوافل ، بعد تكميل الفرائض ، فلا تطول ولا يطول عليك

وشيخ الاسلام مراده بالجمع الجاذب الى عين الجمع امر آخر بين هذا وبين جمع أهل الوحدة وعين جمعهم ، لا هو هذا ولا هذا ، فهو دائر على الفناء لا تأخذه فيه لومة لائم ، وهو الجمع الذي يدندن حوله ، وعين الجمع عنده هو تفرد الرب سبحانه بالازلية وبالديموم^(٣) وبخلق والفعل ، فكان ولا شيء ، ويكون بعد كل شيء ، وهو المكون لكل شيء ، فلا وجود في الحقيقة لغيره ، ولا فعل لغيره ، بل وجود غيره كالخيال والظلال ، وفعل غيره في الحقيقة كحركات الاشجار والنبات ، وهذا تحقيق الفناء في شهود الربوبية والازلية والابدية ، وطى بساط شهود الاكوان ، فاذا ظهر هذا الحكم اتضح وجود العبد في وجود الحق ، وتديره في تدير الحق ، فصار سبحانه هو المشهود بوجود من العبد متلاش مضاعف كالخيال والظلال ، ولا يستعد لهذا عندهم الا من اجتمعت ارادته على المراد وحده حالا لا تكلفا ، وطبعيا لا تطعما ، فقد تبعث الهمة الى امر وتعلق به ، وصاحبها معرض عن غير مطلبه متعل به ، ولكن ارادة السوى كامة فيه قد توارى حكمها واستتر ، ولما يزل ، فان القلب اذا اشتغل بشيء اشتغالا تاما توارى عنه ارادته لغيره والتفاتة الى ما سواه ، مع كونه كامنا في نفسه ، مادته حاضرة عنده ، فاذا وجد فجوة وأدنى ثخل من شاغله ظهر حكم تلك الارادات التي كان سلطان شهوده يحول بينه وبينها

فاذا الجمع وعين الجمع ثلاث مراتب (اعلاها) جمع الهم على الله ارادة ومحبة واناة ، وجمع القلب والروح والنفس والجوارح على استفراغ الوسع في التقرب اليه بما يحبه ويرضاه ، دون رسوم الناس وعوائدهم ، فهذا جمع خواص المقربين

(١) في ب « كل صفة كمال (٢) وفيها « الهم » (٣) وفيها « الديموم »

وساداتهم (والثاني) الاستفراق في الفناء في شهود الربوبية ، وتفرد الرب سبحانه بالأزلية والنبوامة ، وإن الوجود الحقيقي له وحده ، وهذا الجمع دون الجمع الأول بمراتب كثيرة (الثالث) جمع الملاحدة الاتحادية وعين جمهم ، وهو جمع الشهود في وحدة الوجود ، فطليكَ بتمييز المراتب ، لتسلم من المعاطب ، وسيأتي ذكر مراتب الجمع والتمييز بين صحيحها وقاسدها في آخر باب التوحيد من هذا الكتاب إن شاء الله تعالى والله المستعان

قوله « مالكة لصحة الوجود » أي ضامنة لصحة ورودها ، شهادة بذلك مشهوداتها به ، لأنها فوق مشاهدة المعرفة وفوق مشاهدة المعاينة
قوله « راية بحر الوجود » يعني تلك المشاهدة راية بحر الوجود فهي في لجة بحره لا في أنواره ولا في بوارقه ، وقد تقدم الكلام على مراده بالوجود ، وأنه وجود علم ووجود عين ووجود مقام ، وسيأتي تمام الكلام عليه في باب إن شاء الله تعالى

منزلة المعاينة أو مقامها

✽ من مدارج السالكين أيضا ✽

قال شيخ الإسلام ^(١) (باب المعاينة) قال الله تعالى (ألم تر إلى ربك كيف مد الظل) قلت المعاينة مفاعلة من البيان ، وأصلها من الرؤية بالعين يقال : عاينه إذا وقعت عينه عليه ، كما يقال : شافه . إذا كله شفاها ، وواجهه ، إذا قابله بوجهه ، وهذا مستحيل في هذه الدار أن يظفر به بشر ، وأما قوله « ألم تر إلى ربك كيف مد الظل » فالروية واقعة على نفس مد الظل ^(٢) لا على الذي مدّه سبحانه ، كما قال تعالى (ألم ترؤا كيف خلق الله سبع سموات طباقا) وقوله تعالى (ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل) فهنا أوقع الرؤية على نفس الفعل ، وفي قوله « ألم تر إلى ربك كيف مد الظل » أوقعها في اللفظ عليه سبحانه والمراد فعله من مد الظل ، هذا كلام عربي بين معناه غير محتمل ولا مجمل ، كما قيل في العزّي : [كفرانك اليوم ولا سبحانه] أي رأيت الله قد أهانك [وهو كثير في

(١) أي أبو اسماعيل الهروي صاحب المنازل (٢) في ب « نفس هذا الظل

وأما ما يثبت متأخرو القوم من هذا القسم الثالث [وهو رؤية الروح وسميها وارادتها وأحكامها التي هي أنخص من أحكام القلب] فهو لاء اعتقادهم أن الروح غير النفس والقلب^(١) ولا ريب أن هاهنا أموراً معلومة وهي البدن وروحه القائم به والقلب المشاهد فيه وفي سائر الحيوان ، والغريزة وهي القوة العاقلة التي محلها القلب ، ونسبتها إلى القلب كنسبة القوة الباصرة إلى العين ، والقوة السامعة إلى الأذن ، ولهذا تسمى تلك القوة قلباً كما تسمى القوة الباصرة بصرًا . قال تعالى (ان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب) ولم يرد شكل القلب فإنه لكل أحد ، وإنما أريد القوة والغريزة المودعة فيه ، والروح هي الحاملة للبدن وهذه القوى كلها ، فلا قوام للبدن ولا لقواه إلا بها ، ولها باعتبار اضافتها إلى كل محل حكم واسم يخصها هناك ، وإذا أضيفت إلى محل البصر سميت بصرًا وكان لها حكم يخصها هناك ، وإذا أضيفت إلى محل السمع سميت سمعًا وكان لها حكم يخصها هناك ، وإذا أضيفت إلى محل العقل — وهو القلب — سميت قلباً ولها حكم يخصها ، وهي في ذلك كله روح . فالقوة الباصرة والعاقلة والسامعة والناطقة روح باصرة و سامعة وعاقلة وناطقة ، فهي في الحقيقة^(٢) هذا العاقل الفهم المدرك المحب المعارف المحرك للبدن الذي هو محل الخطاب والأمر والنهي — هو شيء واحد له^(٣) صفات متعددة بحسب متعلقاته ، فإنه يسمى نفساً مطمئنة ونفساً لوامة ونفساً أمارة وليس هو ثلاثة أنفس بالذات والحقيقة ، ولكن هي نفس واحدة لها صفات متعددة ، وهم يشيرون بالنفس إلى الأخلاق والصفات المذمومة فيقولون : فلان له نفس وفلان ليس له نفس . ومعلوم أنه لو فارق نفسه لمات ، ولكن يريدون تجرده عن صفات النفس المذمومة . والمحققون منهم يقولون : ان النفس اذا تلطفت وفارقت الرذائل صارت روحاً . ومعلوم أنها لم تعدم ويخلق له مكانها روح لم تكن ، ولكن عدمت منها الصفات المذمومة وصار مكانها الصفات الحمودة فسميت روحاً

(١) سقط من ب كلمة والقلب (٢) في ب « فقي الحقيقة » ولعله الصواب

(٣) وفيها « وله »

وهذا اصطلاح مجرد والا فالله سبحانه سماها نفساً في القرآن في جميع أحوالها - أماره ولوامه ومطمئنه . وقال تعالى (الله يتوفى الانفس حين موتها) ويدخل في هذا جميع أنفس العباد حتى الانبياء ، وسماها رسول الله صلى الله عليه وسلم روحاً على الاطلاق مؤمنة كانت أو كافرة ، برة أو فاجرة ، كقوله « ان الروح اذا قبض تبعه البصر » وقوله « ان الله قبض أرواحنا حيث شاء وردها حيث شاء » وقوله في حديث قبض الروح وصفته : ان كان ^(١) مؤمناً كان كذا وكذا وان كان كافراً كان كذا وكذا . فسمى المقبوض روحاً كما سماه الله في كتابه نفساً ، وهذا المقبوض والمتوفى شيء واحد لا ثلاثة ولا اثنان ، واذا قبض تبعته القوى كلها - العتل ومادونه ، لانه كان حامل الجميع ومركبه

اذا عرف هذا فالمعاينة نوعان : معاينة بصر ، ومعاينة بصيرة ، فمعاينة البصر وقوعه على نفس المرئي ، أو مثاله الخارجي كروية مثال الصورة في المرآة والماء ، ومعاينة البصيرة وقوع القوة العاقلة على المثال العلمي المطابق للخارجي ، فيكون ادراكه له بمنزلة ادراك العين للصورة الخارجية ، وقد يقوى سلطان هذا الادراك الباطن بحيث يصير الحكم له ، ويقوى استحضار القوة العاقلة لمدركا بحيث يستغرق فيه ، فيقلب حكم القلب على حكم الحس والمشاهدة فيستولي على السمع والبصر بحيث يراه ويسمع خطابه في الخارج وهو في النفس والذهن ، لكن لغلبة الشهود وقوة الاستحضار وتمكن حكم القلب واستيلائه على القوى صار كأنه مرئي بالعين مسموع بالاذن ، بحيث لا يشك المدرك في ذلك ولا يرتاب البتة ولا يقبل عدلاً

وحقيقة الامر أن ذلك كله شواهد وأمثلة علمية تابعة للمعتقد ، فذلك الذي أدرك بعين القلب والروح انما هو شاهد دال على الحقيقة ، وليس نفس الحقيقة ، فان شاهد نور جلال الذات في قلب العبد ليس هو نفس نور الذات الذي لا تقوم له السموات والارض ، فانه لو ظهر لها لتدكدكت وأصابها ما أصاب الجبل ، وكذلك شاهد نور العظمة في القلب انما هو نور التعظيم والاجلال ، لا نور نفس المعظم ذي الجلال والاكرام ، وليس مع القوم الا الشواهد والامثلة العلمية

والدقائق (١) التي هي ثمرة قرب القلب من الرب وانسه به واستغراقه في محبته ،
 وذكره واستيلاء سلطان معرفته عليه ، والرب تبارك وتعالى وراء ذلك كله ،
 منزله مقدس عن اطلاع البشر على ذاته أو أنوار ذاته ، أو صفاته أو أنوار صفاته ،
 وإنما هي الشواهد التي تقوم بقلب العبد كما يقوم بقلبه شاهد من الآخرة والجنة والنار
 وما أعد الله لأهلها ، وهذا الذي وجدته عبد الله بن حرام يوم أحد لما قال :
 « ما لي بالجنة ! اني أجدر ربحها دون أحد . ومن هذا قوله صلى الله عليه وسلم
 « اذا مورثتم برياض الجنة فارتعوا — قالوا وما رياض الجنة ؟ قال : — حلق
 الذكرو » ومن قوله « ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة » فهو روضة
 لأهل العلم والايان لما يقوم بقلوبهم من شواهد الجنة حتى كأنها لهم رأي عين ، وإذا
 قعد المناق هناك لم يكن ذلك المكان في حقه روضة من رياض الجنة ، ومن هذا
 قوله « الجنة تحت ظلال السيوف » فالعمل إنما هو على الشواهد ، وعلى حسب شاهد
 العبد يكون عمله . اهـ المراد منه

أصول الفقه عند الظاهرية

وهي المسائل التي جعلها الامام ابو محمد علي بن حمزم مقدمة لكتابه (المحلى)
 وعناوين المسائل من زيادة المنار

مآخذ الاسلام ودلائله

﴿ مسألة ﴾ دين الاسلام اللازم لكل أحد لا يؤخذ الا من
 القرآن ، أو مما يصح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إما برواية جميع
 علماء الأمة عنه عليه السلام — وهو الاجماع — وأما بنقل جماعة عنه عليه
 السلام — وهو نقل الكافة — وأما برواية الثقات واحدا عن واحد حتى

يبلغ اليه عليه السلام، ولا مزيد

قال تعالى (وما ينطق عن الهوى ، ان هو إلا وحيٌ يُوحى) وقال تعالى (اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ) وقال تعالى (الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ) فان تعارض — فيما يرى المرء — آيتان ، أو حديثان صحيحان ، أو حديث صحيح وآية ، فالواجب استعمالهما جميعا ، لأن طاعتهما سواء في الوجوب ، فلا يحل ترك أحدهما الآخر مادامنا نقدر على ذلك . وليس هذا إلا بأن يستثنى الأقل معاني من الأكثر ، فإن لم يقدر على ذلك وجب الأخذ بالزائد حكما لأنه متيقن وجوبه ، ولا يحل ترك اليقين بالظنون ، ولا إشكال في الدين ، قد بين الله دينه . قال تعالى (الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ) وقال تعالى (تَبَيَّنَا كُلَّ شَيْءٍ)

الحديث المرسل والموقوف والضعيف

(مسألة) والمرسل والموقوف لا تقوم بهما حجة ، وكذلك ما لم يروه إلا من لم يوثق بدينه وبحفظه . ولا يحل ترك ما جاء في القرآن أو صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لقول صاحب أو غيره ، سواء كان هو راوي ذلك الحديث أو لم يكن .

والمرسل هو ما كان بين أحد روايته وبين غيره أو بين الراوي وبين النبي صلى الله عليه وسلم من لا يعرف . والموقوف هو ما لم يبلغ به إلى النبي صلى الله عليه وسلم .

برهان بطلان الموقوف قول الله عز وجل (لا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل) فلا حجة في أحد دون رسول الله صلى الله عليه وسلم . ولا يحل لاحد ان يضيف ذلك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم

لأنه ظن، وقد قال تعالى (إن الظن لا يُغني عن الحق شيئاً) وقال تعالى (ولا تَقِفْ ما ليس لك به علمٌ)

وأما المرسل^(١) ومن في روايته من لا يوثق بدينه وحفظه — فلقول الله تعالى (فلو لا تَقَرَّ من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم) فأوجب الله تعالى قبول نذارة النافر للتفقه في الدين، وقال تعالى (يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوماً بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين) وليس في العالم إلا عدل أو فاسق، فحرم الله تعالى علينا قبول خبر الفاسق فلم يبق إلا العدل، فصحيح أنه هو المأمور بقبول نذراته

وأما المجهول فلسنا على ثقة من أنه على الصفة التي أمر الله تعالى معها بقبول نذارته وهو التفقه في الدين. فلا يحل لنا قبول نذارته حتى يصح عندنا فقهاؤه في الدين، وحفظه لما ضبط من ذلك، وبرأيه من الفسق، وبالله تعالى التوفيق

ولم يختلف أحد من الأمة في أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث إلى الملوك رسولاً رسولاً واحداً إلى كل مملكة يدعوهم إلى الإسلام، وواحداً واحداً إلى كل مدينة وإلى كل قبيلة — كصنعاء والجنند^(٢)

(١) أي وأما بطلان الاستدلال بالحديث المرسل الخ أي والحديث الضعيف
(٢) الجنند بالتحريك مدينة باليمن كانت عاصمة أعظم ولاياتها الثلاث في صدر الإسلام. قال في معجم البلدان عند الكلام عليها: وأعمال اليمن في الإسلام مقصورة على ثلاثة ولايات — فوال على الجنند ومخاليقها، وهو أعظمها، ووال على صنعاء ومخاليقها وهو أوسطها، ووال على حضرموت ومخاليقها وهو أدناها. والجنند مسماة بجند بن شهران — بطن من المعافر. قال عمارة: وبالجنند مسجد بناه معاذ ابن جبل الخ

وحضر موت وتيماء ونجران والبحرين وعمان وغيرها ، يعلمها أحكام الدين كلها ، وافترض على أهل كل جهة قبول رواية أميرهم ومعلمهم ، فصح قبول خبر الواحد الثقة عن مثله مبالغا الى رسول الله (ص) .

ومن ترك القرآن أو ماصح عن رسول الله (ص) لقول صاحب أو غيره سواء كان راوي ذلك الخبر أو غيره فقد ترك ما أمره الله تعالى باتباعه ، لقول لم يأمره الله تعالى قط بطاعته ولا باتباعه . وهذا خلاف لأمر الله تعالى

وليس فضل الصاحب عند الله بموجب تقليد قوله وتأويله ، لانه تعالى لم يأمر بذلك ، لكنه بموجب تعظيمه ومحبته وقبول روايته فقط لان هذا هو الذي أوجب الله تعالى

النسخ

﴿ مسألة ﴾ والقرآن ينسخ القرآن والسنة ، والسنة تنسخ السنة والقرآن . قال الله عز وجل (ما تنسخ من آية أو تنسخها نأت بخير منها أو مثلها) وقال تعالى (لتبين للناس ما نزل إليهم) وقال تعالى (وما ينطق عن الهوى انه هو الاوحى) واما قوله تعالى ان يقول (ان أطيع الا ما يوحى الي) وقال تعالى (ولو تقول علينا بعض الاقاويل لا خذنا منه باليمين ، ثم لقطعنا منه الوتين ، فما منكم من احد عنه حاجزين) فصح أن كل ما قاله رسول الله (ص) فمن الله تعالى قاله ، والنسخ بعض من أبعاض البيان . وكل ذلك من عند الله تعالى

منع دعوى النسخ والتخصيص والتأويل

﴿ مسألة ﴾ ولا يحل لاحد ان يقول في آية أو في خبر عن رسول

الله (ص) ثابت : هذا منسوخ أو هذا مخصوص في بعض ما يقتضيه ظاهر لفظه ، ولا أن لهذا النص تأويلاً غير مقتضي ظاهر لفظه ، ولا أن هذا الحكم غير واجب علينا من حين وروده إلا بنص آخر وارد بأن هذا النص كما ذكره ، أو بإجماع متيقن بأنه كما ذكره ، أو بضرورة حسن موجهة أنه كما ذكره ، وإلا فهو كاذب . برهان ذلك قول الله تعالى (وما أرسلنا من رسول إلا ليطاع) وقوله تعالى (وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم) وقال تعالى (بلسان عربي مبين) وقال تعالى (وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه) وقال تعالى (فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم) فقوله تعالى (وما أرسلنا من رسول إلا ليطاع) موجب طاعة رسول الله (ص) في كل ما أمر به ، وقوله (اطيعوا الله) موجب طاعة القرآن . ومن ادعى في آية أو خبر نسخاً فقد أسقط وجوب طاعتها ، فهو مخالف لأمر الله تعالى في ذلك ، وقوله تعالى (وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم) موجب أخذ كل نص في القرآن والأخبار على ظاهره ومقتضاه في اللغة العربية . فمن ادعى في شيء من ذلك أن المراد به غير ما يقتضيه لفظه في اللغة العربية فقد خالف قول الله تعالى وحكمه ، وقال عليه عز وجل الباطل وخالف قوله عز وجل . ومن ادعى أن المراد بالنص بعض ما يقتضيه في اللغة العربية لا كل ما يقتضيه فقد أسقط بيان النص ، واسقط وجوب الطاعة له بدعواه الكاذبة ، وهذا قول على الله تعالى بالباطل . وليس بعض ما يقتضيه النص بأولى بالاعتصار عليه من سائر ما يقتضيه . وقوله تعالى (فليحذر الذين يخالفون عن أمره) موجب

الوعيد على من قال لا يجب على موافقة أمره ، وموجب أن جميع النصوص على الوجوب . ومن ادعى تأخير الوجوب مدة ما فقد أسقط وجوب الطاعة لله تعالى ، ووجوب ما أوجب الله عز وجل من طاعة رسوله (ص) في تلك المدة . وهذا خلاف لأمر الله عز وجل ، فإذا شهد لدعوى من ادعى بعض ما ذكرنا قرآن وسنة ثابتة إما بإجماع وأما بنقل صحيح فقد صرح قوله ووجوب طاعة الله تعالى في ذلك . وكذلك من شهدت له ضرورة الحسن لأنها فعل الله تعالى في النفوس ، والأفهي أقوال مؤدية إلى إبطال الإسلام ، وإبطال جميع المعلوم ، وإبطال جميع اللغات كلها . وكفى بهذا فسادا ، وبالله تعالى التوفيق

إنما الإجماع إجماع الصحابة

﴿ مسألة ﴾ والإجماع هو ما يتقن أن جميع أصحاب رسول الله (ص) عرفوه وقالوا به ولم يختلف منهم أحد ، كتيقنا أنهم كلهم رضي الله عنهم صلوا معه عليه السلام الصلوات الخمس كما هي في عدد ركوعها وسجودها ، أو علموا أنه صلاها مع الناس كذلك ، وأنهم كلهم صاموا معه أو علموا أنه صام مع الناس رمضان في الحضر ، وكذلك سائر الشرائع التي تيقنت مثل هذا اليقين ، والتي من لم يقر بها لم يكن من المؤمنين . وهذا ما لا يختلف أحد في أنه إجماع ، وهم كانوا حينئذ جميع المؤمنين لا مؤمن في الأرض غيرهم ، ومن ادعى أن غير هذا هو إجماع كلف البرهان على ما يدعي ولا سبيل له إليه .

﴿ مسألة ﴾ وما صرح فيه بخلاف من واحد منهم رضي الله عنهم ولم يتقن أن كل واحد منهم رضي الله عنهم عرفه ودان به فليس إجماعا ، لأن

من ادعى الاجماع هاهنا فقد كذب ، وقفنا ما لا علم له به ، والله تعالى يقول (ولا تقف ما ليس لك به علم)

الاجماع بعد الصحابة متعذر

﴿ مسألة ﴾ ولو جاز ان يتيقن اجماع أهل عصر بعدهم أولهم عن آخرهم على حكم نص لا يقطع فيه باجماع الصحابة رضي الله عنهم لوجب القطع بأنه حق وحجة . وليس كان يكون اجماعا . أما القطع بأنه حق وحجة فلما ذكرناه قبل باسناده من قول رسول الله (ص) « لن تزال طائفة من أمتي ظاهرة على الحق لا يضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله » فصح من هذا أنه لا يجوز البتة أن يجمع أهل عصر ولو طرفة عين على خطأ ، ولا بد من قائل بالحق فيهم . واما انه ليس اجماعا فلأن أهل كل عصر بعد عصر الصحابة رضي الله عنهم ليس جميع المؤمنين وانما هم بعض المؤمنين . والاجماع انما هو اجماع جميع المؤمنين لا اجماع بعضهم .

ولو جاز ان يسمى اجماعا ماخرج عن الجملة واحد لا يعرف أو وافق سائرهم أو يخالفهم — لجاز ان يسمى اجماعا ماخرج عنهم فيه اثنان وثلاثة وأربعة وهكذا أبدا حتى يرجع الامر ان يسمى اجماعا ماقاله واحد ، وهذا باطل . ولكن لا سبيل الى تيقن اجماع جميع أهل عصر بعد الصحابة رضي الله عنهم ، لكثرة اعداد الناس بعدهم ، ولأنهم طبقوا ما بين المغرب والمشرق ، ولم تكن الصحابة رضي الله عنهم كذلك ، بل كانوا عددا ممكنا حصره وضبطه وضبط أقوالهم في المسألة . وبالله تعالى التوفيق .

وقد قال بعض الناس يعلم ذلك من حيث يعلم رضاء أصحاب مالك وأصحاب أبي حنيفة وأصحاب الشافعي بأقوال هؤلاء . (قال علي) وهذا

خطأ، لأنه لا سبيل الى ان تكون مسألة قال بها أحد من هؤلاء الفقهاء الا وفي أصحابه من يمكن أن يخالفه فيها وان وافقه في سائر أقواله
رد المتنازع فيه الى الكتاب والسنة

﴿مسألة﴾ والواجب اذا اختلف الناس أو نازع واحد في مسألة ما أن يرجع الى القرآن وسنة رسول الله (ص) لا الى شيء غيرهما، ولا يجوز الرجوع الى عمل أهل المدينة ولا غيرهم، برهان ذلك قول الله عز وجل (يا أيها الذين آمنوا اطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر) فصيح أنه لا يحل الرد عند التنازع الى شيء غير كلام الله تعالى وسنة رسوله (ص) وفي هذا تحريم الرجوع الى قول أحد دون رسول الله (ص) لأن من رجع الى قول انسان دونه عليه السلام فقد خالف أمر الله تعالى بالرد اليه والى رسوله، لا سيما مع تعليقه تعالى ذلك بقوله (ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر) ولم يأمر الله تعالى قط بالرجوع الى قول بعض المؤمنين دون جميعهم، وقد كان الخلفاء رضي الله عنهم كأبي بكر وعمر وعثمان بالمدينة وعملهم باليمن ومكة وسائر البلاد وعمل عمر وعثمان بالبصرة والكوفة ومصر والشام، ومن الباطل المتيقن المتمنع الذي لا يمكن — ان يكونوا رضي الله عنهم طوعا وعلم الواجب والحلال والحرام عن سائر الامصار واقتصروا به على أهل المدينة. فهذه وصلة سوء قد أعاذهم الله تعالى منها، وقد عمل ملوك بني أمية بإسقاط بعض التكبير من الصلاة وتقديم الخطبة على الصلاة في العيدين حتى فشا ذلك في الارض فصيح أنه لا حجة في عمل أحد دون رسول الله (ص) (المنار) بقية المسائل في إبطال التماس وتقدم في التفسير

مقارنة بين اللغة المصرية القديمة

واللغة العربية

٢

الآثار المصرية

الذي ذكر فيه اسم بني إسرائيل

المحفوظ الآن بمتحف القاهرة — عدد ٣٤٠٢٥

(و بعض ما فيه من الاتفاق بين لغة قدماء المصريين واللغة العربية) (*)

أني تلقيت عن والدي في مدارس الحكومة الدروس الهيروغليفية التي ألقاها في نيف وثلاث سنين ، وثابت بعد ذلك على الاهتمام بها ولا سيما في أيام العطلة الدراسية . ثم صرفت أيام هذه الاجازة الأخيرة في ترجمة وجه واحد من الحجر الكبير المنقوش عليه اسم بني إسرائيل وطبقت قدر استطاعتي بين الكثير من ألفاظه على ما يقابلها في اللغة العربية ليعلم وجه الشبه بين اللغتين ، وجعلت كل كلمة مصرية موافقة للعربية بين علامتين هكذا [] فجاء بحمد الله با كورة عمل أرفها لأبناء وطني راجيا منهم ان يصفحوا عما يرونه فيه من زلة القلم ، وفقنا الله وإياهم لنشر العلوم والمعارف آمين

وصف الآثار بالاجمال :

صنع هذا الأثر الملك (امنوفيس الرابع) من الاسرة الثامنة عشرة ونقش على وجه منه وصف بعض أعمال دينية قام بأدائها — ثم جاء من بعده (مفتاح) الذي هو فرعون سيدنا موسى عليه السلام على القول الأرجح ، وكتب على الوجه الآخر

(*) بقلم حسن افندي كمال الطالب بمدرسة الملك في لندرة نجل الأثري أحمد كمال بك أمين دار الآثار المصرية وقد جعلناه مكان النبعة الثانية مما وعد به والده ، وأوضحنا تفسير بعض الكلمات

كيفية حربه مع اللويين ، واستطرد الى بيان أحوال مصر وقتئذ ، مع الالمام الى ذكر ولايات أخرى أخضعها لحكمه . وهذا النقش الأخير هو الذي عنيت بترجمته . فظهر لي ان الكاتب المصري تحرى فيه أساليب الانشاء التي كانت شائعة في عهد الاسرة التاسعة عشرة ، وكان السبب في نقشه وتسطيره انتصار عظيم أحرزه فرعون (منفتاح) على اللويين ، فأمر بتدوين هذا النصر لتخليد ذكره بين الخلف ، وكان ذلك في السنة الخامسة من حكمه . لكن عبارات نصه لم تزدنا شيئا جديدا عما كتبه عن نتيجة هذه الحرب في نقوش الكرنك ، غير انه تكلم بصراحة هنا عما حصل في أيامه من الفرح والسرور والحرية للبلاد المصرية . ولولا النص المنقوش في معبد الكرنك المشروح فيه حوادث هذه الحرب بالتفصيل لما تيسر لنا الوقوف من هذا الأثر على مكانة الفوز المبين الذي ناله منفتاح ، ولا على الحالة المرحجة التي وقعت فيها البلاد المصرية عند نشوب هذه الحرب الطاحنة .

ومن تأمل معاني العبارات الواردة في نص هذا الأثر النفيس علم بعض أحوال البلاد المصرية وقت السلم وعلى الاخص العبارة التي ذكر فيها اسم بني اسرائيل المدرجة في آخره لانها استوجبت توجيه النظر من الأثريين لكونها أول عبارة أخطرتنا بهذا الاسم المشهور في الكتب الدينية .

وذلك انه ورد في الأثر إشارة اجمالية الى ذكر خضوع بعض الامم الاجنبية ومن جملتهم بنو اسرائيل . لكن العبارة التي ذكر فيها هذا الاسم جاءت في غاية الإيجاز ، حتى تعذر علينا استنتاج فائدة كبيرة منها . على انها صيغت في أسلوب متداول الاستعمال في اللغة المصرية القديمة طالما عبر به عن أمم أخرى في نصوص غير هذا .

ومعنى هذه العبارة ان بني اسرائيل « لم تبق لهم بركة » أي ذرية في الأرض . فاجتهد بعض الأثريين في تأويلها فقالوا انها تفيد محو نسل بني اسرائيل بدمج آبائهم واستحياء نسايتهم . لكن نرى من جهة أخرى ان هذه العبارة نفسها ذكرت كثيرا في الآثار المصرية عن أمم أخرى أجنبية كما ترى في الأمثلة الآتية (الاول) ماجاء في حرب رمسيس الثالث من حكمه لسكان البحر الأبيض

في السنة الثامنة من حكمه اذ قال مترجمته: «والذين وصلوا حدود بلدي تبعد شملهم ولم تبق لهم بزره»

(الثاني) ماجاء في كتاب (درمخن) ^(١) من أن اللويين والسيديين مرقوا ولم تبق لهم بزره

(الثالث) ماجاء أيضا في الكتاب المذكور ^(٢) من قولهم « وصارت بلادهم رماداً قفراً بلقما فلم تبق لهم بزره »

(الرابع) ماجاء في حرب رمسيس الثالث وذلك في السنة الخامسة من حكمه من أن — رئيس عمورة المدعو (جورو) لم تبق له بزره

فيعلم مما تقدم أن التعبير بلفظ لم تبق له بزره هو تعبير عندهم لا يراد به في الاثر الذي نحن بصدده محق ذرية بني اسرائيل من هذه الدنيا بذبح الابناء واستحياء النساء — ومن الواضح الجلي ان موطن بني اسرائيل كان في فلسطين حسب نص الاثر وان منفتاح قهرم فيها وسلب أموالهم كما فعل بغيرهم من الامم المجاورة لهم بالكيفية الميئة بعد

ترجمة الاثر ^(٣)

[النهار] الثالث من [أيوب] للسنة الخامسة من حكم [الحر — أي الباشق — القوي المرقى للعدل] الملك منفتاح العظيم [البأس المرقى بقوة] [الإله حوريس [القوي] ضارب [البدو] ذو الاسم السرمدي الذي تحدث [الناس] بنجداته] في جميع البحار، لانه جعلهم يرون الدنيا كلها [منضمة] له، ولانه استعمل قواته

(١) هذا الكتاب حاو لنقوش مصرية تاريخية فراجع هذه العبارة في السطر ٣٦ من الباب ٣٤ من الجزء الاول

(٢) راجع في الجزء الاول من الكتاب المذكور السطر الثاني من الباب المتعم للعشرين (٣) لانا أتينا في الترجمة بالألفاظ المصرية القديمة (الهيروغليفية) الموافقة للألفاظ العربية، ومن هذه الألفاظ ما هو مستعمل الآن ومنها ما هو غريب غير مستعمل أو قليل الاستعمال فاضطررنا الى تفسيره في أثناء الكلام أو في الهوامش فلماذا لا غرابة فيما يوجد في الترجمة من ضعف وركاكة، لأن هذه أول مرة حوفظ فيها على الألفاظ المتفقة في اللغتين بنصها فيهما

فبما فيه النفع فهو [الصيدين] القلب - مفتاح - الناب^(١) القوي [ذو
[البأس] المهلك [لشائبة] ذو الحسن في شدة [القوة] الذي [ينهض]
نهوض الشمس [ليكف] عن مصر ما يحل بها من العواصف ، وليجعلها ناظرة
لقرص الشمس عند [سطوعه] وليدفع جبل النحاس عن اعناق الاهالي^(٢) فيمنح
الحرية للناس الواقعين في الضيق ، وليعاف سكان منف من فعل أعدائهم وليجعل
«أسوريس» [أشرا] (أي فرحا) في [صُبيّه] ^(٣) الفاتح الذي يفتح
الحصون ويوصل لمعابده أرزاقها ، فهو الملك مفتاح الوحيد الذي يطمئن [ألباب]
الجم الفقير فيدخل عند رؤيته نفس الحياة في أنوفهم . فهو [السائد] على أرض
التمجو^(٤) ملقي [الهول] السرمدي في [ألباب] المشواش ، المذل للوبيين
المثوغلين في مصر حتى جعل [روع] القطر المصري العظيم في [لبهم] وجعل
مقدمة جيشهم ومؤخره لم يبرح الأرض في سيرهم على أرجلهم ، بل ظلوا على أقدامهم
واقفين حتى وقعت رماتهم وأقواسهم ، وصارت قلوب المسرعين منهم أذلة من
المشي ، ففكوا قرب الماء وألقوها على الأرض ، وأخذت جلودها ورميت

أما الوالي [الخسيس] حاكم لوبيا [فخارت] قواه وهرب تحت [جنح] (الليل)
بلار يشة على رأسه ، وكانت رجلاه تسير سيرا ثقيلا ، وأخذت أمامه [حامته] - أي
نساؤه - ، ونهبت حبوب محصولاته ، فلا [ماء] في القرب [للمعيشة] فكانت
وجوه [أصنائه تهصص] ^(٥) بعيونهم ، ويقتل الواحد من [هداته] ^(٦) ثانيه [

١ الصيدين - الملك - والقب - رئيس القوم وسيدهم وقيل الملك وقيل الخليفة
والناب السيد الوجيه ، وهو مجاز أصله المسن من الابل

٢ المقصود من جبل النحاس الامور الشاقة الثقيلة العبء كانها من حيث
الثقل جبل من نحاس فهي استعارة مستعملة عندنا في قول البعض ثقل كالجبل

٣ جمع صاب وهم الذين يملون الى الفتن ويحبون التقدم فيها والبراز

٤ هي القروان وما يليها

٥ الاصناء كالصنوان جمع صنو بالكسر ، ومعناه في المصرية والعربية
الاخوة . وأصله فسائل النخل التي تخرج من أصل واحد . وتهصص معناه في
الفتن تفرق

٦ هداته قواده . والمراد بثانيه الذي يليه

في حرب نشبت بينهم، وحرقت [أحياءه] وجميع [أشياءه] من طعام الجنود، ولما وصل بلده تحدث في حقه الكثيرون في جميع [الأرض] فالحقته الخيبة [وخسفته النأنة] ^(١) وسلبه سوء الحظ [الريشة] — أي من رأسه — فتحدث فيه الكل من سكان مدينته قائلين: إنه تحت [بأوزوان منف] (أي سيطرة معبوداتها) لقد [ساوروا] مريري ^(٢) لانه كان [بذيئا] لمنف من ابن الى ابن (تتج) في أسرته الى [الازل] — لذلك مثل مفتاح بأولاده [وشياه] ^(٣) فصار يضرب به المثل في لوبيا، وأصبحت الذرية يقول بعضها لبعض: لم يفعل لنا مثل ذلك منذ المعبود (رع) ^(٤) وكان كل كبير يقول لابنه: [انذب لوبيا] — فامتنعوا عن [المشي] والسير الطيب (أي التنزه) داخل الحقول فوقف [مشيهم] في يوم واحد، وحرقت التحنو في سنة واحدة، فأعطى المعبود (سوخ) ظهره لرئيسهم، وتمزقت [أحياءه] حسب [مشيئة] (هذا المعبود) فلم تبق حاجة — لحل — [القناة] في هذه الايام وأصبحت السلامة في [الاختفاء] والتعود بالبيقرة ^(٥) — وصار [يلوذ] بسيد مصر الكبير مفتاح [الازر] ^(٦) والانتصار، لانه يحارب وهو عارف [شيطنه] ^(٧) والذي يعاديه (يعبد)

١ الخسف النقص والنأنة الضعف والمعجز في كل من اللغتين. ومن المعاني المناسبة لذلك في العربية قولهم: خسف فلانا أي أذله وحمله ما يكرهه وخسف الدابة حبسها بلا علف. ونأنا فلان قصر وعجز. ونأناه: كفه ومنعه عن الأمر والنأنا العاجز الجبان والزون الصنم (راجع عدد ٥ في هامش الصفحة التالية)

٢ ساورد كلموه بكلام يصدع رأسه. ومريري اسم رئيس اللوبيين

٣ شياه بالتشديد — قبضه

٤ يراد بهذه العبارة المتداولة عندهم أنه لم يحصل مثل ذلك من ابتداء الدنيا

٥ المراد بالاختفاء العزلة. وبالبيقرة سكنى الدور. ويقال في العربية بيقر اذا نزل الحضر وأقام تاركا البادية

٦ الازر بالفتح القوة

٧ الشطن بالفتح مصدر شطن (كنصر) يقال: شطن في الأرض أي دخلها

إما راسخا وإما واغلا. وهذا هو المعنى بالمصرية

خائنا لا [لب] له — ومن تعدى حدود مصر لا يقيم الى الصباح لانها [السليمة
الوحيدة] للمعبود « رع » منذ وجود الآلهة ، ولأن [سليله] — أيضا — هو
منفتح الجالس على [سدة] المعبود « شو » فلا [حجا يقدي ليهوي] بن [ناس
مصر]^(١) لان [عين] كل معبود متجهة في [سه من يمنوها]^(٢) ولانها
[تعي كافيتها]^(٣) ولانها تعطي الخير لاولي [البأو] العالمين العارفين لغتهم كلها
[الزانون] لاهوائهم — ونالت مصر [بأوا] فخرا كبيرا لان يدها [حبت] — دنت —
من رئيس لوبيا فأسرته حيا . هكذا ظفر الملك المقدس [العادل] أمام
المعبود « رع » [بكاتفه]^(٤) مريري — فاعل [السوء] الذي [سخط] عليه
[الزون رب منف]^(٥) فوفاه — حسابه — في مدينة عين شمس ، وبذلك حكم
عليه التتسيم المقدس (وهو المؤلف من تسعة آلهة) بسبب [عثوه البذيء] فقال
السيد الكلي (أي رئيس الآلهة) سأعطي [الخشيب]^(٦) لابني منفتح
[القوي اللب الآين]^(٧) الرؤوف المدافع عن منف [المجاوب] عن مدينة عين

١ الحجا في اللغتين العفل و المراد هنا ذو الحجا على حذف المضائف .
ويقدي يحى مقحما من البادية . وقوله يهوي بن ناس مصر أي يهبط مصر وينزل
بين أهلها . فهذه الجملة كلها عربية ومحصل معناها أنه لا يوجد عقل يقرر
بصاحبه فيحمله على اقتحام البادية لهبوط مصر أي على سبيل الفتح والاستعمار ،
والتعليل الآتي معظم ألفاظه عربية مصرية أيضا

٢ المراد بالسوء الخلف والوراء . وهذا المعنى مجازي بالعربية . ويعنوها يضعفها .
٣ أي تأسر مبغضيتها وكرهيتها أي أعدائها .
٤ أي كارهه ومبغضه

٥ رب منف تفسير للزون . والزون بالضم يطلق في العربية على الصنم وكل
ما يتخذ للعبادة وعلى الموضع الذي تجمع فيه الأصنام وتنصب وتزين

٦ هو بوزن أمير السيف . ويطلق في العربية على السيف الصقيل والسيف
الذي عرض له الطبع أي الصمد — ضد ، والمراد هنا الأول بقريئة المدح

٧ الآئن اسم فاعل آن على نفسه أونا رفق بها في السير ويستعمل بمعنى الرافه
والوابع وهو الموافق للغة المصرية

شمس الفتح للمدن [المعني] ^(١) الذي [يفك] أسارى الكثير من المقيدين في كل بلد ، ويعطي [الاطابات] ^(٢) للبرابي (أي المعابد) ويدخل [الكندر] ^(٣) امام [الزون] ويجعل [السراة تغطي اشياءها] ^(٤) ويدخل الفقراء بلادهم .
فقات الآلهة على مشهد من أر باب مدينة عين شمس بخصوص ابنهم منفتح ليعط الحياة مثل «رع» [وليجواب] عن كل من [ردي] — أي اختلس — لانه [وصي] على مصر لحسابها جزءا تابعاه الى الازل — أي الابد — [ولينجد] أهلها [وليلمأ بالطول] متقاعد فيها في [لوقته] ^(٥) فتكون أنفاس الحياة [بقوة] ذراعها [وتخييط الاشياء] للمستحق بلا [جور] ولا [قأ] ^(٦) والدين [يون] ^(٧) لبهم [الصغير] ويلقون بزور العسف [يحبون] ^(٨) اليك بالاشياء بلا أطفال لهم « هكذا يقال فيهم — وقد [نأيا] مريري الملعون [الخسيس الخار] ^(٩) رئيس لوييا [ليهوي] في أسوار ملك مصر وسيدها وهو [اللقب] الذي أطلقه المعبود «رع» على [سليله]

- ١ هو الذي ياخذ عنوة يقال : اعناه بمعنى أخضعه وبمعنى أبقاه اسيرا
- ٢ ورد بمعنى احسن الاشياء فالظاهر أنه محرف عن الأطايب جمع أطيب
- ٣ الكندر بضم الكاف والذال اللبان الذي كان يستعمل بخورا في المعابد في عهد المصريين ولا يزال يستعمله النصارى
- ٤ السراة جمع سري كغني وقيل اسم جمع له وهم أشرف القوم في اللغتين . وتغطي ورد في الأثر بمعنى تجمع ويظهر أن أصله في العربية تغطي من اقم الشيء ، فان الميم الثانية قلب ألفا . وورد بمعنى الكنس وأكل جميع ما على المائدة ففيه معنى الجمع
- ٥ يلما يلمح بنظره ، والطول بالفتح الفضل والعطاء والسعة . واللوق الساعة يقال : ذهب فلان في لوقه ، — أي ساعة
- ٦ تخييط من : خاط اليه الشيء اذا مر عليه سريعا لا يلوي على غيره . والقما النذل والصغار
- ٧ يون ورد بمعنى يضعف . ويقال في العربية بمعنى ضعف وفتر ، ووني التشديد أيضا
- ٨ أي يدنون من الحبو وهو أحد معانيه
- ٩ تاياه قصد شخصه وتعنده . والخار اسم فاعل من خر أي وقع وسقط

هذا وهو [الصيدن والقب] ^(١) مفتاح [المتربع] على [سفته] ويقول يتاح
(أي الفتاح) عن لوبيا: ان [خار] لوبيا - أي العاثر بعد استقامته - [ستحصي]
جميع بذاته [وتطوف - فوق - نطابه] - أي رأسه - وليجعل في [يد]
مفتاح [وليبق مايقم] ^(٢) مثلاً - يفعل - التمساح، لأن [الشوشاة تعزو الشوشاء]
في شبكته ولو كان [نابا] ^(٣) لأن أهون [يلخ بحسه فيطفه] ^(٤) من [يده]
ويجعله تحت [قوة] مفتاح في أرمنت

وقع [أشر] ^(٥) كبير في مصر [وبرز النهم] ^(٦) في [مدن] مصر ، وتحدث
الناس بنجدات مفتاح التي حازها على التحنؤ - ما أطيبه من [حاكم نجد] ^(٧) ما أعظمه
من [صيدن بين الازوان] وما أسعده حظا [الناب الناهي] اجلس أيها الملك
متعاً وتسكلم [وامش شطنا] على [المتن] ^(٨) فلا [زاد] في [لب النات] ^(٩)
فالقلاع تركت ونفسها [والقلائب] ^(١٠) فتحت ، وأخذ [يطوف الوافدون]
الاستحكامات ذات الاسوار [متفيحين] من الشمس حتى تصحى حراسها

١ اللقبان يطلقان بمعنى الملك . والقب رئيس القوم وسيدهم
٢ أي يقذف من فيه كل ما يأكله . يقال بق ما في فيه اذا قذفه بعنف . وهو
مستعمل الآن في بلاد الشام . وقم ما على المائدة أكله كله
٣ أي العجلة تدفع المستعجل في شرك أعماله ولو كان نابا - أي سيدا وجيهاً ،
والشوشاء أو الشوشاة في العربية الناقة السريعة ، والناب المسن من الابل ويطلق
بحازا على السيد

٤ يلخ : يعرف . وبالعبدية ملح الخير تخبره تخبرا واستقصاه ، وبحسه : جراته ،
ويطفه : يربطه . تقول العرب : طف الناقة اذا شد قوائمها .

٥ أي فرح وهو في العربية البطر من الفرح
٦ النهم الصوت وهو بالعربية صوت الاسد ونحوه .

٧ النجد كضخم وككتف ذو النجدة ورجل نجد : شجاع ماض فيما يعجز عنه
غيره سريع الاجابة الى ما يدعى اليه وهي النجدة

٨ تقدم تفسير الشطن وهو هنا التوغل . والمتن الطريق
٩ الزاد الفرع ، واللب القلب ، والناات الناس على الابدال في اللفتين

١٠ الآبار . والقلب في العربية البئر مطلقاً أو القديمة ، جمعها قلب بضم القاف
وسكون اللام وضمها . وأقلبة . وقلائب جمع الجمع وهو غير مستعمل بالعربية

[والماصمون يتكرون وينامون] ^(١) وقوم «نوو» و «تكتينوا» يكونون في
الحقل [كأبايهم] ^(٢) وحيوانات الحقل تترك بلا راع [فتدئ] ^(٣) مياه الغدير
ولا [صاحب] يصبح في [جنح] - أي من الليل - [هيا إِمق الآتي بلغة] [الاجني] ^(٤)
[أت] [واذهب] [مخطوظا] [فلا] [نباحة] من [نات مهمومة] [قد] [عنت] [المدن]
ثانيا [وسيقم] [الفلاح محصوله]، والتفت «رع» إلى مصر فولد مفتاح ملك مصر
وشيء له بأن يكون [مناضلا] عنها . وان تكون [الولة منبطحة] - له -
وتقول [سلاما] وان [لا يرفع أحد من البدو نطابه] ^(٥) [فاتفكت التحنو
وتحفظت] [رخيتا] ^(٦) [واقتهيت كنعان لو بنتها] ^(٧) وعنت عسقلا [وقبض
على جزال، وصارت ينهام عدما في الوجود] وانفك الاسرائليون فلا يزر لهم،
وأصبحت فلسطين خلية ^(٨) لمصر، [والاراضي] كلها [مضمومة] في [حفظ]
وكل [أشم وعفه] ^(٩) الصيدين القب مفتاح سليل [الشمس معطي المعيشة كل
نهار مثل الفورة (أي الشمس) اه

١ - الماصمون المقاتلون بالسيوف تقول العرب مصعب فلانا اذا ضربه بالسيف
أو بالسوط و يتكرون يتكفون الكرى وهو النوم ، يفصره قوله : و ينامون
٢ أبايهم رغبتهم وقصدهم
٣ - أي تمر مرا بطيئا أو سريعا
٤ - معناه : هيا فانظر كل اجني أنى متكلما بلغته (كذا فصره المترجم)
٥ رأسه. وفي مماجم العربية : النطاب ككتاب الرأس وحبال العنق أو العاتق
٦ التحنو هم سكان القير وان وما بعدها والخيتا هم الحيثيون المذكورون
في التوراة

٧ قبحا المال واقتحاه أخذه كله . الوينة الأذى. يقول نهبت أموال كنعان
لأذاها وضرها. وأسرت عسقلا
٨ الخلية التي لا زوج لها
٩ وعفه أضعفه. هكذا ورد بالمصرية ، والوعف بالمهملة والمعجمة في العربية
ضعف البصر. يقال وعفه واوعفه وأوعفه . وبقية الألفاظ فصرت قبل

باب المناظرة وأمر أسئلة

جواب على استفتاء المنار (جزء ٢ مجلد ١٨) في قول الشاعر

جدير (كذا) بيهر والتفات وسعة ومسحة عشون وقتل الاصابع
وانما قال الشاعر (مليء بيهر) فقوله جدير سهو منه في اللفظ لافي المعنى لأن
مليء معناها عنده جدير او حري او او... وتفسيره مليء بهذا المعنى هو الذي حمله
على استغراب التقدير في البيت . مع انه لم يرد في كتاب من كتب اللغة مليء بمعنى
جدير او حري او ما يصح به معنى البيت بالعطف على بيهر ، ولم يسمع هذا المعنى
حقيقة ولا مجازاً الا اذا استعمله بعضهم وحمله على المجاز من عنده تجوزاً ولا
ينبغي ان اللغة سماعية توقيفية لا يحتاج بالاصطلاح والاستعمال فيها . وحاصل ماورد
في كتب اللغة ان مليء (؟) من مليء كسمع فعيل بمعنى مفعول ومملوء وممنه مليء
للفني لامتلاء خزائنه بالمسال والحسن القضاء لامتلائهم علماً وحكمة فيقال فلان مملوء
بالبهر والعي ولا يقال مملوء بالالتفات ومسح الاحية وقتل الاصابع . فاذا سخط المعنى
وجب التقدير وان استقام النظم . ويبحث خطأ المعاني وصوابها والحذف والتقدير
لذلك مذكور في محله من كتب البلاغة . واليك خلاصة ماورد في معنى مليء بالهمز
قال في القاموس : مَلَأَه كَمَع مَلَأَ وَمَلَأَ بِالْفَتْحِ وَالْكَسْرِ وَمَلَأَ تَمْلِئَةً فَاَمْتَلَأَ
وَمَمْلَأَ وَمَلِئَ كَسَمِعَ اَقُولُ (وَمَلِئَ مِنْ مَلِئٍ) هذه . وقال في تاج العروس :
ورجل مليء جليل يملأ العين . وفلات املأ لعمري وهو رجل مليء للعين . ومنه
حديث عمران انه ليخيل اليها انها أشد مملئة . الى ان قال في آخر المادة وهو ملآن
من الكرم ومليء

فلا وجه لاستغراب التقدير في البيت حينئذ الا اذا جوزنا قول من يقول فلان
مملوء بمسح العشون وقتل الاصابع ولم نستسحقه . أو وجدنا معنى للمليء يصح به العطف
على بهر وكان هذا المعنى وارداً في اللغة حقيقة أو مجازاً واستعمله من يعتقد ويحتاج به
(متأدب)

(المنار) صححنا البيت في الجزء الماضي فلم يبق محل لما ذكر في هذا الجواب في شأن استبدال كلمة جدير بكلمة ملي، والواجب حصر الكلام في ضبط البيت وبيان معناه بالألفاظ التي ورد فيها

ادعى (التأديب) المجيب ان حاصل ما ورد في كتب اللغة ان ملي معناه مملوء، وأنه من ملي كسمع وأنه يصح ان يقال: فلان مملوء بالبهر، ولا يصح ان يقال مملوء بالالتفات ومسح اللحية وقتل الأصابع — فهذا وجب التقدير عنده. وهو هو الذي قال ان التقدير: وله التفات وسعلة الخ ولا وجه لاستغراب التقدير عنده الا في الحالتين اللتين ذكرهما في الجواب وهما عنده في حيز النفي هذا حاصل جوابه. ما ذكره وبنى عليه جوابه من ان حاصل ما في كتب اللغة ان «ملي» معناه مملوء، وأنه من ملي كسمع — غير صحيح، فما كل مملوء يسمى مليشاً، ولا كل ما أطلق عليه لفظ ملي يصح أن يطلق عليه لفظ مملوء، وان كان لا يخلو الاستعمال من المناسبة لاصل معنى المادة — ولا ملي من ملي كسمع. قال في لسان العرب: والملاء الزكام يصيب من امتلاء المعدة وقد ملأ فهو ملي، وملي فلان واملاء الله: أركه فهو مملوء، على غير قياس — ثم قال — وقد ملأ الرجل يملأ ملاءة فهو ملي: صار مليشاً أي ثقة، فهو غني ملي بين الملاء والملاءة — ممدودان — وفي حديث الدين «إذا اتبع أحدكم على ملي فليتبع» الملي بالهمز الثقة الغني. وقد أولع فيه الناس بترك الهمز وتشديد الياء. وفي حديث علي كرم الله وجهه «لا ملي» والله باصدار ما ورد عليه اه وفي القاموس المحيط: والملاء الأغنياء المتمولون أو الحسنو القضاء منهم، الواحد ملي اه وقد غفل (التأديب) المجيب عن قوله «منهم» فظن ان الملي يطلق على الحاكم الحسن القضاء لامتلائه علماً وحكمة. على ان له ان يقول هذا من تلقاء نفسه تجوزاً وان كان في جوابه ما يدل على عدم الجواز. فالتقول الثاني من قول القاموس ان الملي يطلق على الغني الحسن القضاء أي الوفاء لا على كل غني. ومثل هذا لا يجوز ان يقال فيه مملوء. وفسر الجوهري الملي بكثير المال أو الثقة الغني — والفيومي بالغني المقتدر. حكاهما شارح القاموس

وفي مجاز الاساس ما نصه: وما كان هذا الامر عن ملاء منا أي مملأة

ومشاورة، ومنه: هو مليء بكذا: مضطلم به. وقد ملؤ به ملاءة وهم مليئون به وملاءة له هذا حاصل ما ورد في كتب اللغة في الكلمة لا ما قاله المجيب . ومنه يعلم أن أظهر هذه الأقوال في تفسير البيت أن «ملي» فيه بمعنى مضطلم ، وحاصل المعنى أن هذا الخطيب الذي يذمه الشاعر لا قوة له على الخطابة ولا اضطلاع له بها وإنما هو مليء مضطلم بصفات العي والحصر كلها ، وهي البير الذي هو انقطاع النفس وتردده من الأغياء ، والالتفات ، ومسح اللحية ، وقتل الأصابع . فالمضطلم بالامر هو القوي عليه القادر على احتماله. ويصح أيضا أن يقال أنه غني وثقة بهذه الصفات، أي لأنه فقير من الفصاحة والبلاغة ، وما به تكون الخطابة ، أولا ثقة به في ذلك ومن السديهي أن كلمة مملوء لا تحمل محل كلمة مضطلم ولا كلمة ثقة ولا كلمة حسن القضاء أي لما عليه من الحق ، بل ولا محل كلمة غني ومزكوم ، ولعلكن معنى الامتلاء يناسب هذا المعنيين في الجملة دون معنى المضطلم والثقة . ولم يرد عنهم: إناء أو دلو أو ذق مليء، كما يقال مملوء. فالفرق بين مليء ومملوء مثل الصبح ظاهر ثم انا نقول إذا جرى (المتأدب) في فهم كل استعمالات اللغة على الطريقة التي جرى عليها في فهم هذه الكلمة (مليء) فاته الفهم الصحيح في أكثرها . وأهني بهذه الطريقة أن يعتمد إلى كلمة من أصل المأذة ويحمل عليها كل معنى حقيقي ومجازي لها . مثال ذلك قولهم : اضطلم بالامر . أصل معناه الاشتقاق : احتملته اضلاعه ، واسكنه يقال في الأمور المغنوية . ومنه قول علي كرم الله وجهه في صفة النبي (ص) فاضطلم بأمرك اطاعتك . فسروه في كتب اللغة والحديث بقولهم : قوي عليه ينهض به . وليس أمر الوحي والدين مما تحمله الاضلاع ، وإنما يحمله العقل والروح ويؤديه اللسان .

هذا ما ظهر لنا . فما يقول في البيت أدباء مصر كالشيخ المرصفي والشيخ محمد المهدي واسماعيل باشا صبري وحفني بك ناصف واحمد بك تيمور وحافظ بك ابراهيم ومحمد بك المويلحي وسائر الكتاب والشعراء ؟

تقريظ المطبوعات الجديدة *

﴿ الواجب ﴾

(مؤلفه الفيلسوف الفرنسي جول سيمون . وقد ترجم الجزء الاول منه بالعربية محمد افندي رمضان والشيخ طه حسين . وطبع بمطبعة الجريدة . وصفحاته ٧٤ والمترجمين مقدمة وترجمة للمؤلف في بضع صفحات الكتاب من أشهر كتب الفلسفة التي تهجها عقل ذلك الفيلسوف الفرنسي . الشهير وموضوع الجزء الاول المترجم منه مبحث الاختيار، ومذهبه فيه كذهب أهل السنة وسط بين مذهبي الجبرية والقدرية . وقد عقد فيه فصلا طويلا للكلام في العادة ومكان الاختيار منها وتأثيرها في أعمال الانسان)

﴿ شرح ابن عقيل على الالفية ﴾

هذا الكتاب من أشهر كتب النحو وأكثرها تداولاً ، وقد طبع مرارا كثيرة طبعات لا نستحق الذكر حتى طبعه منذ عامين صاحب المكتبة الازهرية الشيخ محمد سعيد الرافعي بمطبعة السعادة طبعة جميلة على ورق جيد بقطع أصغر من قطع المنار وأكبر من قطع رسالة التوحيد . ووضع له في أدنى الصفحات حواشي في اعراب ما يشكل من أبيات الالفية وأبيات الشواهد ، وتفسير الكلمات الغريبة في أبيات الشواهد مع عزو الايات الى قائلها . ومتن الالفية في هذا الشرح مضبوط بالشكل الكامل . فترجو لهذه الطبعة ما تستحق من الانتشار ، وهو يطلب من طابعه ومن مكتبة المنار بمصر

(ديوان الحماسة)

اعاد الرافعي أيضا طبع ديوان الحماسة في مطبعة السعادة مع شرح غريبة له المختصر من شرح التبريزي ، طبعه على ورق جيد وضبط الايات ضبطا تاما نادر الغلط .

(*) عهدنا بتقريظ المطبوعات الى شقيقنا السيد صالح مخلص رضا

وقد امتازت هذه الطبعة على طبعته الأولى به تراجم معظم شعراء الحماسة وبذلك سبب
الشعر. وصفحاته ٤٣٢ بقطع شرح ابن عقيل ويطلب من طابعه ومكتبة المنار بمصر
ولعمرك الله ان هذا الديوان بهذا الشرح لمن أنفع الكتب لطالب العربية حتى
انه كاد ليفني عن شرح التبريزي نفسه وقد عني الرافي بتصحيفه عناية عظيمة
المزهر

في علوم العربية وأنواعها للعلامة جلال الدين السيوطي (جزآن)
وبهذه المناسبة نقول ان الرافي أعاد طبع كتاب المزهر النفيس الشهير منذ
بضع سنين على ورق جيد بمطبعة السعادة بمصر

(دستور مهالم الحكم ومأثور مكارم الشيم)

من كلام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه

هذا الكتاب من جمع ورواية الإمام القاضي أبي عبد الله محمد بن سلامة
القضاعي الفقيه الشافعي المتوفى سنة ٤٥٤ هـ وهو منقول بالرواية سماها من ناسخه عن
القاضي سناء الدين أبي عبد الله محمد العامري بمصر سنة نسخة له — من الشريف
القاضي الخطيب فخر الدولة أبي الفتح ناصر بن الحسن بن اسماعيل الحسيني
الزيدي عن أبي عبد الله محمد بن بركات هلال السعيد اللغوي عن المؤلف
طبع الرافي هذا الكتاب لأول مرة عن نسخة نفيسة وجدت عند البعثة جميل
بك العظيم مكتوبة بخط حسن على ورق جيد مضبوطة بالشكل التام، كتبها محمد بن منصور
ابن خليفة بن منهل برسم ولده منهل، وفرغ منها في ٨ ذي القعدة سنة ٦١١ عن
نسخة عليها خط الشريف الخطيب أحدر واة الكتاب وصورة سماع روايتها والجازات
بها . طبعه بمطبعة السعادة وص ٢٠٨ بقطع ما ذكر آنفا من مطبوعاته ويطلب
من طابعه ومن مكتبة المنار

وحسبنا ان نقول: ان هذا الكتاب من نخب كلام أمير المؤمنين الذي انزل
الله الحكمة على قلبه ونطق بها لسانه، ولا يجهل أحد ان كلام الامام يعد بكلام
الله ورسوله في أعلى ذروة البلاغة والفصاحة والحكمة الباقية والآداب الحماسة .

وقد
توفي
الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد
أوتى خيرا كثيرا وما يذكر إلا أولو الألباب

المعراج

١٣١٥

فيهم عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه
أولئك الذين هم الله وأولئك هم أولو الألباب

قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام صوي و « مناراه كمنار الطريق »

مصر ٣ شعبان ١٣٣٣ — ٢٠ السرطان (ص ١) ١٢٩٣ هـ ١٣ ش ١٣ يوليو ١٩١٥

أصول الفقه عند الظاهرية

وهي المسائل التي جعلها الامام أبو محمد علي بن حزم مقدمة لكتابه (المحلى)
وعناوين المسائل من زيادة المنار

٢

أفعال النبي (ص)

﴿ مسألة ﴾ وأفعال النبي (ص) ليست فرضا إلا ما كان منها بيانا
لامر فهو حينئذ أمر، لكن الاقتصار به عليه السلام فيها حسن . برهان
ذلك هذا الخبر الذي ذكرنا آنفا من أنه لا يلزمنا شيء إلا ما أمرنا به
أو نهانا عنه ، وأن ما سكوت عنه فهو ساقط عنا . قال الله عز وجل (لقد

كان لكم في رسول الله أسوة حسنة)

شرع من قبلنا ليس شرعاً لنا

(مسألة) ولا يحل لنا اتباع شريعة نبي قبل نبينا عليه السلام .
قال الله عز وجل (لِكُلِّ جَمَلَةٍ مِنْكُمْ شَرْعَةٌ وَمِنْهَا جَاءَ) حدثنا أحمد بن
محمد بن الجسور ، نا وهب بن مرة ، نا محمد بن وضاح ، نا أبو بكر بن
أبي شيبة ، نا هشيم ، نا بشار ، نا يزيد الفقير : أخبرني جابر بن عبد الله
أن رسول الله (ص) قال « أعطيت خمسا لم يعطهن أحد قبلي : نصرت
بالرعب مسيرة شهر ، وجعلت لي الأرض مسجدا وطهورا ، فأما رجل
من أمتي أدركته الصلاة فليصل ، وأحلت لي الغنائم ولم تحل لأحد قبلي ،
وأعطيت الشفاعة . وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس
عامة » — فإذا صح أن الأنبياء عليهم السلام كلهم لم يبعث أحد منهم إلا
إلى قومه خاصة ، فقد صح أن شرائعهم لم تلزم إلا من بعثوا إليه فقط ،
وإذا لم يبعثوا إلينا ، فلم يخاطبونا قط بشيء ، ولا أمرونا ولا نهونا ، ولو
أمرونا ونهونا وخاطبونا لما كان لنبينا عليه السلام فضيلة عليهم في هذا
الباب . ومن قال بهذا فقد كذب هذا الحديث وأبطل هذه الفضيلة التي
خصنا الله تعالى بها

— فإن صح أنهم عليهم السلام لم يخاطبونا بشيء ، فقد صح يقينا أن

شرائعهم لا تلزمنا أصلا ، وبالله تعالى التوفيق

تحريم التقليد

(مسألة) ولا يحل لأحد أن يقلد أحدا لا حيا ولا ميتا ، وعلى

كل أحد من الناس الاجتهاد حسب طاقته . فمن سأل عن دينه فأما يريد

معرفة ما ألزمه الله عز وجل في هذا الدين . ففرض عليه ان كان أجهل
البرية أن يسأل عن أعلم أهل بلده بالدين الذي جاء به رسول الله (ص)
فاذا دُلَّ عليه سألته ، فاذا افتاه قال له : هكذا قال الله ورسوله ؟ فان قال
له نعم ، أخذ بذلك وعمل به أبداً ، وان قال له هذا رأيي أو هذا قياس ،
أو هذا قول فلان ، وذكر له صاحباً أو تابعاً أو فقيهاً قديماً أو حديثاً ، أو
سكت أو انتهره ، أو قال له لا أدري ، فلا يحل له ان يأخذ بقوله . ولكن
يسأل غيره . وبرهان ذلك قوله عز وجل (يا أيها الذين آمنوا اطيعوا
الله واطيعوا الرسول واولي الامر منكم)^(١) فلم يأمر عز وجل قط
بطاعة بعض أولي الامر ، فمن قلد عالماً أو جماعة علماء فلم يطع الله
تعالى ولا رسوله (ص) ولا أولي الامر ، واذا لم يرد إلى ما ذكرنا فقد
خالف أمر الله عز وجل ، ولم يأمر الله عز وجل قط بطاعة بعض أولي الامر
دون بعض

فان قيل فان الله تعالى قال (فاسألوا أهل الذکر ان كنتم لا تعلمون)
وقال تعالى (ليتفقها في الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم) قلنا
نعم ولم يأمر الله عز وجل ان نقبل من النافر للتفقه في الدين رأيه ، ولا ان
يطاع أهل الذکر في رأيهم ، ولا في دين يشرعونه لم يأذن به الله عز وجل ،
وانما أمر تعالى أن نسأل أهل الذکر عما لا نعلم من الذکر الوارد من عند الله
تعالى فقط ، لا عما قاله^(٢) من لا سمع له ولا طاعة ، وانما أمر تعالى بقبول

(١) في الاصل : واطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي الامر منكم (٢) في الاصل
عن من قاله

نذارة النافر للتفقه في الدين فيما تفقه فيه من دين الله تعالى الذي أتى به رسوله
(ص) لا في دين لم يشرعه الله عز وجل

ومن ادعى وجوب تقليد العامي للمفتي فقد ادعى الباطل ، وقال
قولا لم يأت به قط نص قرآن ولا سنة ، ولا إجماع ولا قياس ، وما كان
هكذا فهو باطل لأنه قول بلا دليل ، بل البرهان قد جاء بإبطاله ، قال الله
تعالى ذاماً لقوم (انا أطمئنا ساداتنا وكبراءنا فأضلونا السبيلا)

والاجتهاد انما معناه بلوغ الجهد في طلب دين الله تعالى الذي أوجبه على
عباده ، وبالضرورة يدري كل ذي حس سليم ان المسلم لا يكون مسلماً
الا حتى يقر بأن الله تعالى إلهه لا إله له غيره ، وان محمداً رسول الله (ص)
فهذا الدين اليه والى غيره ، فاذا لاشك في هذا ففرض عليه ان يسأل اذا
سمع فتياً: أهذا هو حكم الله تعالى وحكم رسوله؟ وهذا لا يميز عنه من
يدري بالاسلام ولو أنه كما جلب من (قوقو) وبالله تعالى التوفيق

استفتاء أهل الحديث لا الرأي

﴿ مسألة ﴾ وان قيل له اذا سأل عن أعلم بلده في الدين : هذا
صاحب حديث عن رسول الله (ص) وهذا صاحب رأي وقياس ، فليسأل
صاحب الحديث ، ولا يحل له ان يسأل صاحب الرأي أصلاً ، وبرهان
ذلك قول الله تعالى (اليوم أكملت لكم دينكم) وقوله تعالى (لتبين
للناس ما نزل اليهم) فهذا هو الدين لا دين سوى ذلك ، والرأي والقياس
ظن والظن باطل

حدثنا احمد بن محمد بن الجسور ، نا احمد بن سعيد ، نا ابن وضاح ،
نا يحيى بن يحيى ، نا مالك عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة ان

رسول الله (ص) قال «إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث»
 حدثنا يونس بن عبد الله ، نا يحيى بن مالك بن عائد ، نا أبو عبد الله
 ابن أبي حنيفة ، نا أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة الطحاوي ، نا يوسف
 ابن يزيد القراطيسي ، نا سعيد بن منصور ، نا جرير بن عبد الحميد عن
 المغيرة بن مقسم عن الشعبي قال «السنة لم توضع بالمقاييس» حدثنا محمد
 ابن سعيد بن ثبات (?) نا اسماعيل بن اسحق البصري ، نا أحمد بن سعيد بن
 حزم ، نا محمد بن إبراهيم بن حمون الحجازي ، نا عبد الله بن أحمد بن حنبل
 قال : سمعت أبي يقول «الحديث الضعيف أحب إلينا من الرأي»^(١) حدثنا
 همام بن أحمد ، نا عباس ابن أصبغ ، نا محمد بن عبد الملك بن اعين ، نا عبد الله
 ابن أحمد بن حنبل ، قال سألت أبي عن الرجل يكون ببلد لا يجد فيه إلا
 صاحب حديث لا يعرف صحيحه من سقيمه وأصحاب رأي فتتزل به
 النازلة : من يسأل ؟ فقال أبي : يسأل صاحب الحديث ولا يسأل أصحاب
 الرأي . ضعيف الحديث أقوى من رأي أبي حنيفة

رفع الخطأ والنسيان

﴿مسألة﴾ ولا حكم للخطأ ولا للنسيان إلا حيث جاء في القرآن
 أو السنة لها حكم قال تعالى (وليس عليكم جناح فيما أخطأتم به ولكن
 ما تعمدت قلوبكم) وقال تعالى (ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا أو أخطأنا)

إنما التكليف بالاستطاعة

﴿مسألة﴾ وكل فرض كلفه الله تعالى الإنسان فإن قدر عليه لزمه ،
 وإن عجز عن جميعه سقط عنه ، وإن قوي على بعضه وتجز عن بعضه

(١) الحديث الضعيف عند أحمد هو الحسن عند الجمهور

سقط عنه ما عجز عنه ولزمه ما قدر عليه منه سواء كان أقله أو أكثره .
برهان ذلك قول الله تعالى (لا يكلف الله نفسا الا وسعها) وقول رسول
الله (ص) « اذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم » وقد ذكرناه قبل
باسناده وبالله تعالى التوفيق

لا يقدم الموقت على وقته

﴿ مسألة ﴾ ولا يجوز أن يعمل أحد شيئا من الدين موقتا بوقت
قبل وقته ، فإن كان موقتا الأول من وقته والآخر من وقته لم يجز أن يعمل
لا قبل وقته ولا بعد وقته ، لقول الله عز وجل (ومن يتعد حدود الله فقد
ظلم نفسه) وقال تعالى (تلك حدود الله فلا تعتدوها) والافات حدود
فن تعدى بالعمل وقته الذي حده الله تعالى له ، فقد تعدى حدود الله (١)
— حدثنا عبد الله بن يوسف ، نا أحمد بن فتح ، نا عبد الوهاب بن عيسى

(١) الحدود المكانية أولى بهذا الحكم من الحدود الزمانية كما وقيت الحج ،
وقد عبر عنها في الأحاديث بمادة الحد كما في حديث ابن عمر في البخاري « ان رسول
الله (ص) حد لأهل نجد قرنا » وقد مضى عمل النبي (ص) وأصحابه على ذلك
فيصدق على مخالفة الحديث الآتي « من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد » وقد
أنكر عثمان على من أحرم من خراسان ، وأنكر مالك على من أراد الإحرام من
مسجد الرسول بالمدينة وقال له : أخشى عليك الفتنة . وحديث أم سلمة في
الاهلال من المسجد الأقصى لا يصح . وما روي في تفسير انعام الحج والعمرة « أن
تحرم من دويرة أهالك » فمعناه أن تنوي الحج منها كما يفسره ما روي عن ابن عباس
وغيره من قوله « أن تحرم من دويرة أهالك لا تريد الا الحج والعمرة ، وتهل من
الميقات ، ليس أن تخرج لتجارة ولا حاجة حتى اذا كنت قريبا من مكة قلت
لو حججت أو اعتمرت ! وذلك يحزى ولكن التمام أن تخرج له لا لغيره »
وبهذا تتفق هذه الرواية مع تفسير الجمهور وظواهر النصوص والسنة العملية .

نا أحمد بن محمد ، نا أحمد بن علي ، نا مسلم بن الحجاج ، نا اسحق ابن ابراهيم - هو ابن راهويه - عن أبي عامر العقدي ، نا عبد الله بن جعفر الزهري ، عن سعيد بن ابراهيم بن عبد الرحمن بن عوف ، قال سألت القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق قال : أخبرني عائشة أن رسول الله (ص) قال « من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رذ »

(قال علي) ومن أمره الله تعالى أن يعمل عملاً في وقت سماه له فعمله في غير ذلك الوقت إما قبل الوقت وإما بعد الوقت ، فقد عمل عملاً ليس عليه أمر الله تعالى وأمر رسوله (ص) فهو مردود باطل غير مقبول ، وهو غير العمل الذي أمر به

فإن جاء نص بأنه مجزئ في وقت آخر فهو وقته أيضاً حينئذ ، وإنما الذي لا يكون وقتاً للعمل فهو ما لا نص فيه وبالله تعالى التوفيق

المجتهد المخطئ خير من المقلد المصيب

﴿ مسألة ﴾ والمجتهد المخطئ افضل عند الله من المقلد المصيب . هذا في اهل الاسلام خاصة . واما غير اهل الاسلام فلا عذر للمجتهد المستدل ولا للمقلد . وكلاهما هالك . برهان هذا ما ذكرناه آنفاً بإسناده من قول رسول الله (ص) « اذا اجتهد الحاكم فأخطأ فله أجر » وذنم الله تعالى التقليد جملة ، فالمقلد عاص والمجتهد مأجور

وليس من اتبع رسول الله (ص) مقلداً لأنه فعل ما أمره الله تعالى به ، وإنما المقلد من اتبع دون رسول الله (ص) لأنه فعل ما لم يأمره الله تعالى به . وأما غير أهل الاسلام فإن الله تعالى يقول (ومن يتبع غير الاسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين)

الحق واحد لا يتعدد

﴿ مسألة ﴾ والحق من الأقوال في واحد منها وسائرها خطأ وبالله تعالى التوفيق. قال الله تعالى (فماذا بعد الحق إلا الضلال) وقال تعالى (ولو كان عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا) وذهب تعالى الاختلاف فقال (ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا) وقال تعالى (ولا تنازعوا) وقال تعالى (تبياناً لكل شيء) فصيح أن الحق في الأقوال هو ما حكم الله تعالى به فيه، وهو واحد لا يختلف، وإن اختلف ما لم يكن من عند الله تعالى، ومن ادعى أن الأقوال كلها حق، وأن كل مجتهد مصيب، فقد قال قولاً لم يأت به قرآن ولا سنة ولا إجماع ولا معقول

وما كان هكذا فهو باطل ويبطله أيضاً قول رسول الله (ص) « إذا اجتهد الحاكم فأخطأ فله أجر » فنص عليه السلام أن المجتهد قد يخطئ ومن قال أن الناس لم يكفوا إلا اجتهدهم فقد أخطأ، بل ما كفوا إلا إصابة ما أمر الله تعالى به، قال الله تعالى (اتبعوا ما أنزل إليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه أولياء) فافترض عز وجل اتباع ما أنزل إليهم وأن لا تتبع غيره، وألا تمتد حدوده

وانما أجر المجتهد المخطئ اجرا واحداً على نيته في طلب الحق فقط، ولم يأثم إذ حرم الإصابة. فلو أصاب الحق اجر اجرا آخر، كما قال عليه السلام أنه إذا أصاب اجر اجرا ثانياً. حدثنا عبد الرحمن بن عبد الله بن خالده، نا إبراهيم بن أحمد، نا الضميري، نا البخاري، نا عبد الله بن يزيد المقرئ، نا حيون بن شريح، نا يزيد بن عبد الله بن الهادي، عن محمد بن إبراهيم بن الحارث عن بشر بن سعيد عن أبي قيس مولى عمرو

ابن العاص عن عمرو بن العاص انه سمع رسول الله (ص) يقول « اذا حكم الحاكم فاجتهد ثم اصاب فله اجران ، واذا حكم فاجتهد فأخطأ فله اجر » ولا يحل الحكم بالظن اصلاً لقول الله عز وجل (ان يتبعون الا الظن وان الظن لا يغني من الحق شيئاً) وقول رسول الله (ص) « اياكم والظن فان الظن اكذب الحديث » وبالله تعالى التوفيق اهـ

المقارنة بين اللغة المصرية القديمة واللغة العربية^(*)

٢

نص وترجمة الوصفة الطبية المدرجة في القرطاس الطبي المحفوظ بمتحف برلين . وهي التاسعة والتسعون بعد المائة . وكانت كتابة هذا القرطاس في زمن العائلة التاسعة عشرة واسم الوصفة الطبية بلسانهم « بخر »^(١)
لماة^(٢) تمشؤ الست لا تمشؤ^(٣)

(*) لأحمد كمال بك أمين المتحف المصري
(١) البخر مقلوب الخبر بالضم أي الاختبار بالتجربة ونحوها .
(٢) اللماة اللمحة . فالهمزة مقلوبة عن الحاء وهذا القلب معهود في اللغتين العربية والمصرية . وقد ورد في العربية لماة ولحة بمعنى واحد ، بل هو فعل واحد (٣) هو من المشاء بالفتح وهو بالعربية النماء ومنه الماشية . قال في لسان العرب : وأصل المشاء النماء والكثرة والتناسل . ولكن فعله بالعربية يأتي يقال مشت لابل بني فلان تمشي مشاء إذا كثرت . والمصريون همزوا الفعل وقد اختلف علماء اللغة العربية في إطلاق لفظ الست على المرأة فقيل إنه مأخوذ من الجهات الست كما قال البهاء زهير : =

بُرَّ (٤) وعُضَّ (٥) تفوحهما (٦) الست بمائها رفاء (٧) مثل البرني (٨)
والعيش (٩) في غلافين (١٠) فان ذرا (١١) لوفرتهم (١٢) فانها تمشؤ وان ذرا
البر فهو ذكر وان ذرا العض فهو ست وان عدم الذرء لا تمشؤ
والمعنى: إن أريد أن يعرف هل تلد المرأة أم لا تلد، وماذا تلد إن ولدت،
فليوضع في غلاف أي إناء شيء من البر وفي إناء آخر شيء من الشعير كما يفعل
في تقع القمر والعيش، وتبول المرأة عليهما كل يوم، فان نبتا مما فانها تلد وان نبت
القمح وحده تلد ذكرا وان نبت الشعير وحده تلد أنثى. وان لم ينبتا لاتلد

= ولكن عادة ملكت جهاتي فلا عجب اذا ماقلت ستي
وقيل لحن أو عامي. وقال الفيروزبادي الصواب أن أصله سيدتي. وظاهر
كلامه أنه مخصوص بالنداء وحالقه غيره في هذا. واستعمال هذه الكلمة بمصر
أكثر من استعمالها في سائر البلاد العربية. ولا يبعد أن تكون مما أخذ العرب عن
قدماء المصريين لا العكس

(٤) البر والقمح والخنطة واحد في اللغتين كما تقدم في النبذة الأولى
(٥) العض بضم العين المهملة من أسماء الشعير بالعربية والمصرية وهو المراد هنا
(٦) المراد بالتفوح بالماء هنا إراقة البول. ومادته فوح تدل في العربية على
الإراقة لكنه استعمال في الدم يقال أفاح الدم إذا أراقه وسفكه، وفاح الجرح.
على انتشار الرائحة وهو المشهور، وعلى السعة. وقالوا بحر فواح
(٧) قال أحمد كمال بك رفاء معناه كل يوم ولا نعرف له أصلا في العربية بهذا
المعنى ويقرب منه الرفاء (بالكسر) وهو الاتصال والالتحام

(٨) البرني أجود التمر وذكر في النبذة الأولى
(٩) العيش أطلق على الخبز في اللغتين لأنه المادة التي يعيش بها أكثر الناس
(١٠) الغلاف بوزن كتاب الصوان والنشاء الذي يصان به الشيء يقال غلاف
الكتاب وغلاف السيف واستعمل بالمصرية بهذا المعنى
(١١) يقال بالعربية ذرا الأرض بمعنى بذرها، ويقال بذرت الأرض اذا
أخرجت نباتها متفرقا
(١٢) معناه بالمصرية كلاهما. والوفرة بالعربية الكثرة.

مَدِينَةُ

دَارُ الدِّعْوَةِ وَالْإِنشَاءِ

دروس سنن الكائنات

محاضرات علمية طبية إسلامية للدكتور محمد توفيق صدقي

٨

الاعضاء التي لا قناة لها

علم مما سبق أن في جسم الانسان نوعين من الاعضاء : —
 (النوع الاول) : هو الذي له قناة تحمل افرازه سواء أ كان هذا الافراز
 صالحا للجسم أم ضارابه، فمثال الصالح افراز البنكرياس ومثال الضار افراز الكلية.
 وتسمى هذه الاعضاء « بالغدد التي لها قناة » وافرازها يسمى « بالافراز الخارجي »
 لأنه يرى خارجا منها ويجري في قنواتها ، وأ كثر هذه الاعضاء له افراز آخر يسمى
 « بالافراز الداخلي » وهو الذي يجري في الأوردة الدموية أو في الاوعية اللمفاوية.
 وله فوائد سند كرها ان شاء الله تعالى . مثال ذلك الخصية فان لها افرازا خارجيا
 وهو المنى يجري في قنواتها المعروفة ، وافرازا داخليا لا يرى وله تأثير في بنية الشخص
 وهيئته وصوته وشعر وجهه ونحو ذلك من مميزات الذكور التي تفقد بالخصاء

(النوع الثاني) : الاعضاء التي لا قناة لها كالطحال وغيره . وهذه لها افراز
 واحد يسمى « بالافراز الداخلي » له منافع عظيمة في الجسم ، وقال آخرون إن
 المراد من هذه الاعضاء الاخيرة ليس افراز مواد نافعة للجسم بل إخراج بعض فضلاته
 لضرر بقاءها فيه ، والظاهر أن كلا النظريتين صحيحة من بعض الوجوه ، ولكن
 الأولى أكثر قبولا عند الجمهور الآن من الثانية . وهاك بيان وظيفة تلك الاعضاء
 التي لا قناة لها : —

(١) الطحال عضو شهير ، وهو أكبر الغدد التي لا قناة لها ، وموضعه في الجهة اليسرى من البطن بين المعدة والحجاب الحاجز . أما وظائفه فخمس :

(أولها) تكوين كريات بيضاء للدم (ثانيها) توليد بعض الكريات الحمراء في بعض الحيوانات (ثالثها) اتلاف الكريات الحمراء القديمة التي قاربت الفساد (رابعها) تكوين بعض مواد نيتروجينية كحامض البوليك لإخراجها من الجسم لضرر بقائها فيه (خامسها) يقوم الطحال بوظيفة مستودع للدم يجتمع فيه إذا انتهى الهضم فيمتلئ به ويكبر حجمه ، وإذا ابتداء الهضم يندفع الدم منه إلى المعدة

(٢) الغدة الصغرى غدة مؤقتة تكبر عقب ولادة الطفل إلى نهاية السنة الثانية إذ يتم نموها ، ثم تأخذ في التناقص شيئاً فشيئاً حتى لا يبقى إلا أثرها في زمن البلوغ . موضعها في الجزء الأمامي من الصدر وراء القص وتمتد إلى أسفل العنق ولونها يميل إلى الحمرة أو يقرب من السنجابي

ووظيفتها تكوين كريات بيضاء كباقي الغدد اللمفاوية . وفي الحيوانات التي تسبت (Hibern ate)^(١) تبقى فيها هذه الغدة الصغرى مدة الحياة كلها ، وفي أثناء يقظتها يتركب فيها جزء عظيم من الشحم ، وهذا يستعمل في أثناء سباتها فيأخذ في الاحتراق شيئاً فشيئاً

فيظهر من ذلك أنها تجتمع فيها بعض المواد التي تلزم للحياة في أثناء هذا النوم الطويل في تلك الحيوانات

ويقول بعض العلماء أنها تولد أيضاً بعض الكريات الحمراء في الأطفال وإذا أزيلت هذه الغدة من بعض الحيوانات كالضفادع مثلاً . حصل لها ضعف عضلي شديد مع شلل ينتهي بالموت

(٣) الغدة الدرقية تشاهد في أسفل العنق من الأمام على القصبة الهوائية ، وشكلها يشبه الدرقة ولذلك سميت بهذا الاسم . وهي في النساء أكبر منها في الرجال ، وفي زمن الحيض تنتفخ قليلاً . وقد تصاب بمرض فتحصل فيها ضخامة

(١) كلمة لاتينية معناها حرفياً (تشقي) والمراد بها السبات الذي يصيب بعض الحيوانات مدة الشتاء كالخفاش (الوطواط)

عظيمة تسمى بلسان الأطباء (جواتر) Gositre ^(١) وهو مرض عسير الشفاء ولا يزول غالبا الا بعملية جراحية فيستأصل من العنق، ويجب الاحتراس من ظن أن هذه الغدة هي القطعة النائية في العنق المسماة « بتفاحة آدم » ^(٢) فان هذه الغدة التي تكلم عليها هي تحت التفاحة بقليل

أما مادتها فمركبة من منسوج مخصوص مشتمل على حويصلات صغيرة جدا مملوءة بمادة غروية مركبة من الزلال وعنصر اليود

ووظيفة هذه الغدة ان تفرز افرازا داخليا له تأثير عظيم في بنية الشخص وقواه العقلية، فاذا مرضت أو استئصلت في الاطفال وقف جسمهم عن النمو وأصيبوا بالبله واذا أصابها المرض في الكبر حدث للانسان ما يسمى « بالتورم المخاطي » [Myxoedema] في جسمه فتضخم جميع الانسجة التي تحت الجلد حتى يتورم جسمه ويصاب بالضعف العام في جميع قواه الجثمانية والعقلية، ولذلك يجب الاحتراس في أثناء العمليات الجراحية من استئصال هذه الغدة كلها بل يتحتم ترك جزء منها ليقيم بهذه الوظيفة المهمة

وانما سمي هذا المرض الاخير بالتورم المخاطي لظنهم أن هذا الورم ناشئ عن زيادة المواد المخاطية تحت الجلد. والحقيقة أن المنسوج الضام الذي تحت الجلد بجميع أجزائه هو الذي يضخم لا المادة المخاطية التي فيه وحدها

ولعلاج هذه الأحوال يجب استمرار حقن خلاصة من الغدة الدرقية تحت جلد المصاب أو تستعار له هذه الغدة من أحد الحيوانات وتلصق بجسمه جراحيا (وهي طريقة قليلة النجاح) وأحسن من ذلك كله ان يأكل المريض من هذه الغدة مادام حيا

ويوجد للغدة الدرقية أخوات صغيرة بجوارها أو فيها والراجح عند بعض العلماء أن التأثير الأعظم في المجموع العصبي وغيره هو لهذه الغدد الصغيرة
(٤) الغدة التي فوق الكلية هي جسم شكله كاتقلنسوة المضغوطة من الجانبين

(١) كلمة فرنسية معناها الحرفي بالعموم

(٢) سميت بذلك لظهورها في الرجل أكثر منها في الأنثى

يرى على قفة كل من السكيتين ، أما وظيفتها فأول من اهتمدى اليها طبيب انكليزي يسمى (أديسون) Addison في سنة ١٨٥٥ م ولذلك سمي المرض الناشئ من اصابة هذه الغدة باسمه الى اليوم. وأعراضه ضعف في المجموع العضلي كله وفي المجموع الدوري للدم وفي الاعصاب، واصابة الجلد بلون السمرة بحيث تشبه النحاس

واذا استخلص من هذه الغدة خلاصة وحقنت تحت الجلد أحدثت انقباضا في الاوعية الدموية الصغيرة ، فهي لذلك تنفع في منع النزيف، وكذلك اذا وضعت هذه الخلاصة على الاغشية المخاطية صيرت لونها أكدر لا تقباض الاوعية الدموية فيها ومنعت النزيف ، ولذلك يستعملها أطباء العيون في العمليات الجراحية للعين بنسبة واحد في الألف لمنع النزيف . وأشهر الامراض التي تصيبها هو التدرن

(٥) الجسم النخامي أو المخاطي هو جسم في الدماغ أحمر سنجابي يشاهد على السرج التركي للعظم الوتدي من عظام الجمجمة أسفل المخ ، ومرض هذا الجسم يحدث ضخامة فظيعة في عظام الاطراف العليا والسفلى وكذلك في عظام الوجه

(٦) الغدة الصنوبرية هي أيضا داخل الجمجمة تحت مؤخر الجسم المتدمل الموصل بين فصي المخ ، في وسطها تجويف صغير ، ولم تعلم لهذا الجسم وظيفة الى الآن، وغاية ما يعرف عنه أنه أثر ضار لعين ثلاثة

وتوجد هذه العين في حال أحسن منها في الانسان في الاورال (العطاء) [Lizards] خصوصا في النوع المسمى بالافرنجية « هتيريا » (Hatteria) وهي فيها مغطاة بالجلد ، وفي الحرباء ، وبعض الزواحف تتصل الغدة الصنوبرية بعين ثلاثة في وسط سطح الرأس ولكنها في الحالة الاثرية أيضا

وهذا العضو هو من أعظم وأشهر الاعضاء الاثرية التي بنى عليها مذهب دارون

(٧) الجسم العصعصي يوجد عند نهاية العصعص وفيه منسوج ضام مشتمل على كثير من أوعية دموية صغيرة . وهذا الجسم لا تعرف له وظيفة أيضا

(٨) الجسم السباتي هو جسم عند انقسام الشريان السباتي^(١) الذي في جانبي (١) سمي بذلك لان الضغط على هذا الشريان ضغطا يقلل الدم عن الدماغ يحدث نوما عميقا (أي سباتا) أو غيبوبة

العنق اليمين واليسار

وهذا الجسم يشبه في تركيبه الجسم العصبي وهو مثله أيضا في جهلنا وظيفته
جهلا تاما

الجلد : تركيبه ووظيفته

يتركب الجلد من طبقتين : العليا تسمى البشرة ، والسفلى تسمى الأدمة ، وفيهما
الشعر والأظفار والغدد الدهنية وغدد العرق ، أما البشرة فهي مركبة من طبقات
عديدة ، كل منها مركب من خلايا بعضها بجانب بعض كالبللاط

وأما الطبقات السطحية فهي كالقشور الميتة وتنفصل منها نوياتها ، وتنفصل عن
الجلد شيئا فشيئا ، ويحصل نمو البشرة من طبقاتها السفلى . وفي هذه الطبقات ترى
المواد الملونة لبعض أنواع البشر . وفيها أيضا تحفظ المواد التي يستعملها الناس للوشم .
وطبقات البشرة تتغذى بالمادة المفاوية ، ولها مجار دقيقة جدا بين خلياتها ، ولا يوجد
في البشرة عروق للدم ، ولكن يوجد في الطبقات السفلى منها أعصاب دقيقة جدا

وأما الأدمة فهي مركبة من منسوج ليفي كثيف ، وهذه الكثافة تتناقص شيئا
فشيئا حتى تصل إلى المنسوج الخلوي الذي تحت الجلد وبه الشحم . وفي الأدمة
حلمات صغيرة توجد بكثرة في راحة السكفين وفي أخمص القدمين ، وهي أكبر
الحلمات الجلدية ، ويكون بعضها بجوار بعض صفا صفا ، وهي السبب فيما نشاهده
في جلد الراحة مثلا من القنوات الصغيرة . وهذه القنوات لها أشكال متنوعة في
يد كل شخص ، بحيث يتعذر وجود شخصين متماثلين فيها من جميع الوجوه ، ولذلك
يختبر بها تحقيق الشخصية

وفي الحلمات الجلدية لفائف من الأوعية الشعرية الدموية ، وفي بعض الأجزاء
كالأخصص والراحتين وغيرها أجسام بيضاوية لها علاقة مخصوصة بحاسة اللمس
وفي الطبقات السفلى من أدمة الصفن والقضيب وحلمة الثديين ألياف عضلية
غير اختيارية ، وهي التي تحدث الانكماش في جلد تلك الأعضاء بانقباضها

وأما الاظفار فهي عبارة عن بعض طبقات من طبقات البشرة تنوعت تنوعاً خاصاً

وأما الشعر فهو أيضاً طبقات من البشرة تنوعت تنوعاً مخصوصاً، وكل شعرة تنبت من بصيلة في حفرة مخصوصة تسمى الحويصلة الشعرية . والشعر يوجد في جميع أجزاء الجسم بدرجات مختلفة ما عدا الراحيتين والاختصين والقضيب، أما لونه فهو ناشئ عن وجود مادة ملونة في خلاياه. وسبب الشيب فقد هذه المادة، وقد يتولد في الشعر فقاقيع هوائية وهي التي تظهر أن لونه أبيض عند حصول فزع للانسان مثلاً وكل حويصلة من حويصلات الشعر لها ليفة عضلية صغيرة تجذبها في بعض الاحوال فينتصب الشعر كما يحصل عند البرد أو الفزع

وأما الغدد الدهنية فهي غدد كيسية موضعها في الأدمة وتنفث قنواتها في أعلى حويصلات الشعر، وهي تفرز مادة دهنية فائدتها تليين الشعر والجلد، وبانسداد هذه الغدد والتهابها يحصل « حب الشباب » بسبب كثرة افراز المادة الدهنية في هذا الطور من العمر، وبعد سن الثلاثين يندر وجود هذا المرض وأما غدد العرق فتوجد في جميع سطح الجلد وتكثر جداً في الأما كن التي لا شعر فيها كالراحتين، وكل منها عبارة عن أنبوبة ملتفة على نفسها، موضعها في الأدمة أو فيما تحتها - وهو الغالب - وتنفث قنواتها في سطح البشرة وأما المادة التي تفرز في داخل الاذن فلها غدد تشبه غدد العرق

وظائف الجلد

- (١) أن يكون وقاية للجسم ومركزاً للحس باللمس
- (٢) عليه مدار تنظيم حرارة الجسم - كما سبق -
- (٣) يتنفس الجسم منه، فانه يخرج منه غاز ثاني أكسيد الفحم، ويمتص الجسم أكسجين من الهواء. وهذه الوظيفة في الحيوانات ذوات الجلد السميك ضعيفة جداً ولكن لها في ذوات الجلد الرقيق أهمية عظيمة، حتى اذا نزع منها الرئتان عاش الحيوان مدة بالتنفس الجلدي فقط كما في الضفادع

(٤) الامتصاص ، وهذه الوظيفة لها أهمية في العلاج فان كثيرا من المواد اذا وضعت على الجلد دخلت البنية كالزئبق مثلا وكذلك الزيوت وغيرها كثير ، فامتصاص الزئبق من هذا الطريق يمكن معالجة الداء الأفرنجي . وكذلك يعالج الاطفال النحفاء بذلك أجسامهم بالزيوت خصوصا زيت السمك ، وهي طريقة لطيفة لتوقى طعمها المبغوض . ومن هنا نفهم سبب سمن أكثر المشتغلين بمس الزيوت والشحوم كالجزارين مثلا فان أجسامهم تمتص شيئا منها ، والامتصاص بالجلد هو بالضرورة أضعف من الامتصاص بالاعشية المخاطية

(٥) الافراز ، ومعناه خروج بعض المواد الضارة بطريق الجلد من جسم

الانسان في العرق وغيره

العرق

توجد غدد العرق بكثرة في الانسان في راحتيه واخصيه — كما سبق — ولذلك يكثر العرق فيهما ، ولكن يوجد اختلاف بين الحيوانات في كمية العرق التي تفرزه وفي الاماكن التي يفرز منها بكثرة — فالثور يعرق أقل من الحصان والغنم ، والفيران والارانب والمعز لا تعرق ، والخنزير انما يعرق أنفه بكثرة ، واما الكلاب واقطط فتعرق براحة أرجلها

واذا خرج العرق من الجسم تبخر في الهواء وفي تبخره يجتذب جزءا من حرارة الجسم فتعرض له البرودة وإذا كان الهواء جافا وحارا ومتحركا كان التبخر عظيما ، والعكس بالعكس

ومقدار العرق في اليوم نحو ٧٢٥ جراما

تركيب العرق : اذا خرج العرق من الجسم يخرج معه شيء كثير من الفضلات الضارة ، وهو يمتزج بالمادة الدهنية التي تفرزها الغدد المذكورة سابقا ، ويختلط كذلك ببعض خلايا البشرة التي انفصلت عنها وهذه الخلايا فيها كثير من مادة الكبريت ، وهذه هي إحدى الطرق لإخراج هذا العنصر من الجسم أما العرق فيشتمل على ماء كثير وأملاح متعددة أشهرها ملح الطعام ، وحوامض دهنية ومادة البولينا وهي التي تخرج بكثرة في البول وهي من أشهر

فضلات الجسم المتخلفة عن احتراق المواد الزلالية فيه - كما سبق -
ومما سبق تعرف العلاقة بين افراز السكلى وافراز الجلد ، فاذا كثر العرق قل
البول وبالعكس . وهذا هو السبب في قلة افراز البول اذا اشتد الحر في زمن الصيف .
لذلك كان من أحسن طرق علاج المصاب بمرض في السكلى أن تكثر عرقه بالتدفئة
أو بالحمامات الساخنة أو ببعض الادوية التي يعرفها الاطباء ، وبهذه الوسيلة تخرج
بعض الفضلات الضارة من الجسم بطريق الجلد فتستريح السكلى حتى يتم شفاؤها
وتوجد مواد كثيرة اذا تعاطاها الانسان خرجت بكثرة في العرق مثل الجاوي ،
وبعض الادوية حين خروجها من الجسم تهيج الجلد وتحدث فيه طفحا مخصوصا
كالزرنينج مثلا . ومثل ذلك سموم بعض الامراض فانها تحدث طفحا في الجلد .
وسياي الكلام عليها في الجزء الثاني ان شاء الله

وتم مواد أخرى غير ما ذكر تخرج مع العرق في بعض الاحوال ، فقد شوهد
أن بعض الناس يتلون عرقهم بلون مغاير للون الطبيعي بسبب خروج دم فيه أو
بمخرج المادة الحمراء الملونة للدم . وقد يخرج في العرق مادة زلالية وذلك في مرض
الرثية (الروماتزم) الذي يكون فيه العرق أشد حموضة من المعتاد ، وقد يخرج
فيه أيضا حامض اللبنيك وذلك في الحمى النفاسية أو في داء الكساح أو الخنازير
الاستحمام : علم مما سبق أن الاغتسال ضروري للانسان لان تركه يسبب
تراكم تلك المواد المذكرة آنفا على سطح الجلد فتسد قنوات الغدد وتعوق افرازها ،
واذا قل افراز الجلد كثر مجهود الرئتين والسكليتتين فتصاب بالعطب . زد على ذلك
كون القنارة نخط من قدر المرء وتنفر الناس منه وتحدث بعض أمراض في الجلد
نفسه كالحكة

ومن فوائد الاستحمام غير ما ذكر أنه ينشط الجسم وينبه المجموع العصبي
والدوري ، ولذلك أوجبه الشارع الحكيم بعد الجنابة لازالة ما يحدث للجسم من
الفتور بعد الجماع ، والاستحمام يقوي المرضى والضعفاء ، ومن ذلك تظهر حكمة
اغتسال الحائض والنفساء لان هاتين الحالتين هما - من غير شك - مرضيتان
واحسن طريقة لازالة أوساخ الجسم هي استعمال الماء الفاتر أو الساخن مع

الصابون والدلك بالليف أو نحوه، ولا يخفى أن الدلك من أحسن الوسائل المستعملة في الطب الحديث لتقوية الأعصاب والمضلات وإزالة بعض الآلام، ولذلك يمدح بعض أطباء الأفرنج الإمام مالكاً رضي الله عنه لجمعه الدلك من فرائض الغسل فإنه أكثر تقوية للجسم من الغسل وحده

أما الصابون فإنه يتولد من تأثير البوتاسيوم والصوديوم في المواد الدهنية أو الزيتية

أنواع الحمامات هي : —

(١) البارد وحرارته تكون أقل من حرارة الجسم بكثير

(٢) الفاتر وحرارته أقل بقليل

(٣) الساخن وحرارته مثل حرارة الجسم

(٤) الحار وهي مثل حرارة الجسم إذا أصابته الحمى الشديدة

والمياه الساخنة منبهة للجسم مزيله لآلام الروماتزم وغيرها ، ويصح لكل إنسان أن يستعملها

أما المياه الباردة فالأولى أن لا يستعملها الإنسان إلا في زمن الصيف بشرط أن يكون صحيح البنية سليم السكتين والرئتين . وإذا أحس الإنسان بعدها بحرارة في جسمه كان ذلك دليلاً على أن بنيته تتحملها بشرط السلامة من المرض

وينبغي أن يستعمل الإنسان بعد الحمام البارد الدلك الشديد والتدفئة بالملابس الكافية والرياضة البدنية نحو نصف ساعة

وكذلك يجب في جميع الحمامات تنشيف الجسم من الماء تنشيفاً جيداً فإن في ذلك وقايته من البرد، ويجب في الحمام الساخن أن لا يخرج الإنسان منه دفعة واحدة إلى الهواء البارد ، وأحسن وقت للاستحمام أن يكون في الصباح قبل الفطور أو بعد تناول لقيمات قليلة جداً مع فنجان من القهوة أو الشاي، ومن الضرر البالغ أن يغتسل الإنسان بعد الجوع الشديد أو التعب الكبير أو بعد امتلاء المعدة بالطعام ، ولا يصح دخول الحمام عقب الأكل إلا بعد مضي ساعة أو ساعتين على الأقل

ولا يجوز استعمال الماء البارد للشيوخ والمعجّز ولا للمصابين بضعف القلب
والماء البارد نافع جدا في الحيات وكذلك الفاتر، وهذا مصدق للحديث القائل
«الحمي من فيح جهنم فابردوها بالماء» — كما سبق — والمعالجة بالماء Hydrotherapy
نجحت نجاحا عظيما في شفاء كثير من الامراض الضعفية والامراض التي تنهك القوى
العقلية ولازالة مضار الحياة الجلوسية

أما السبب في احساس الانسان بالحرارة عقب استحمامه بالماء البارد فهو تمدد أوعية
الجلد وامتلاؤها بالدم بعد انقباضها عند استعمال الماء البارد وهو ما يسمى «برد الفعل»
والواجب أن يكون زمن الحمام البارد قصيرا جدا (أي بضع دقائق) فان
الفرض منه ليس تنظيف الجسم بل تقويته ، ويجب أن لا يكون الحمام الساخن في
مكان فاسد الهواء كأن توضع فيه النار مثلا

وينبغي الاستحمام في الصيف مرتين في الاسبوع على الاقل ، وفي الشتاء مرة
واحدة ، وينبغي تغيير الملابس بعد الاستحمام ، ومن هنا نفهم حكمة الشارع في سن
غسل الجمعة ولبس أحسن الثياب يومه ، وفي فرض الغسل بعد كل جنابة ولو
بالاحتلام ، وفرض طهارة الثوب

الملايس

الفرض من الملابس حفظ الجسم من البرد والحر والرياح والمطر والقاذورات
وهي تدفئه وتحفظه من بعض الموارض وكذلك تزينه
وتتخذ الملابس إما من الحيوان أو من النبات
(١) ما يتخذ من الحيوان

فهو الصوف والوبر والشعر : وهي تؤخذ من الانعام كما هو معروف . وهذه الاشياء
جميعا تغزل ثم تنسج ما عدا اليباد فانه يصنع بلا غزل ولا نسج ولتميز هذه الاشياء
عن المواد النباتية يوضع جزء منها في محلول القلويات ^(٢) الكاوية فاذا ذاب علم
(١) كمحلول الصودا الكاوية أو البوتاسا الكاوية وعما عبارة عن
هيدرات البوتاسيوم أو الصوديوم

أنه من أصل حيواني

والكشمير يتخذ من شعر معز بلاد التبت

وهذه الاصناف جميعا موصلة رديئة للحرارة وتمتص الرطوبة بسهولة وسرعة ولكنها تبخر منها ببطئ ، فلذلك كانت نافعة جدا في التدفئة . ومن معايها أنها تيس وتنكش بالفسل

الحريير : يفرز من غدتين بأسفل جسم دودة القز ، ولها قناتان تنفتح في الشفة السفلى لفم الدودة . والخيط الواحد عبارة عن خيطين دقيقين جدا ملتصق أحدهما بالآخر وطوله نحو ٤٠٠٠ ياردة

وتفرز الدودة هذا الخيط لتبني به بيتا حولها يحيط بها ويخفيها عن الاعين ويحفظها من كل مايؤثر فيها مدة تحولها الى فراش ، ويسمى هذا البيت بالشرقة ، فاذا تحولت الى فراش ثقب هذا البيت وخرج منه ، فتزاج ذكوره باناثه وتضم الاناث ايضا صغيرا جدا كحجم رأس الدبوس الصغير يشبه بزور الخشخاش (أبي النوم) وهذه البويضات تنفقس فتخرج منها ديدان دقيقة وهي ديدان القز ، ولا تفرز الحريير الا بعد كبرها وتمام نموها ، وتتغذى هذه الديدان بورق التوت ، وفي بلاد المنول نوع آخر منها يتغذى بورق البلو ط . وهالك تفصيل حياة هذه الدودة كما علمته بالمشاهدة أثناء تربيتي له : —

يبدأ بيض القز ينقس في أواخر شهر فبراير أو أوائل مارس وقت ظهور ورق التوت ، ويكون الدود صغيرا جدا كالنمل ثم يكبر حتى يصير طول الواحد نحو ٦ — ٨ سنتي متر . ويخرج الحريير في أوائل شهر ابريل ، ويقال إنه يمكن تربيته أيضا على ورق الخس ولكن حريره يكون أقل . وتتكون الشرانق فاذا تمت خرج الفراش منها بعد نحو ١٨ أو ١٩ يوما ، وتبدأ الاناث بوضع بيضها بعد نحو ٢٤ ساعة من خروجها . وعدد بيض كل نحو ٢٠٠ على الأقل . ويموت الذكر والانثى من الفراش بعد خروجه بنحو عشرة أيام . والانثى أكبر قليلا وأصفى بياضا

أما لون البيض الجديد فهو مصفر فاذا قدم صار رماديا . وهو مفرطح ومنبجج في وسطه . ولا يأكل الدود داخل الشرقة شيئا ولا يشرب ، وكذلك الفراش

ولون الشرقة أبيض أو مصفر قليلا أو كثيرا، وشكله يضاوي مخصر، وطول الشرقة من اثنين ونصف الى ثلاثة ونصف سنتي مترا وعرضها واحد ونصف تقريبا . وقد يفتقر البيض مرة أخرى في مايو

أما خيط الحرير فله قلب محاط بمادة شمعية زلالية. ولتميز هذه الخيوط الحريرية عن الخيوط النباتية يوضع عليها حامض البكريك ^(١) Pieric ولونه أصفر فاذا تلونت به كانت حريرا صحيحة والا فلا

ولتميز الحرير عن الصوف مثلا يوضع القماش في محلول قلوي من أكسيد الرصاص فاذا تلون باللون الاسود دل ذلك على أنه صوف لوجود مادة الكبريت فيه فتتحد مع الرصاص وتحدث هذا اللون الاسود، أما الحرير فليس فيه هذه المادة الكبريتية

والحرير يمتص الرطوبة بكثرة وهو موصل رديء للكهرباء، ويقال انه يحفظ الروائح وجراثيم الامراض

ولا يحتاج الجسم الى لبس الحرير الا اذا كان مصابا بداء الحكمة، ولا شك أن الشارع يبيحه في مثل هذا المرض فقد لبسه بعض الصحابة بأمر رسول الله (ص) في ذلك المرض، لان الضرورات تبيح المحظورات

ويؤخذ من الحيوانات أيضا الفرو والريش والجلود . أما الفرو فيستعمل في البلاد القطبية، والريش يستعمل للزينة غالبا، والجلود تستعمل في الاحذية وغيرها (٢) ما يتخذ من النبات

القطن : وهو خيوط تحيط بهزور شجرة معروفة تنبت في البلاد الحارة والمعتدلة ك مصر، وهذه الشجرة هي حقيقة شجرة مباركة. فتعطيها ضروري للملابس والاثاث وغير ذلك، وبزورها يستخرج منها زيت جيد نافع في التغذية يسمى في مصر بالزيت الخلو. وهذه البزور تستخرج منها خلاصة تدربن المراضع، وكذلك اذا أعطيت للانعام كترابنها، وهذه الخلاصة تباع باسم (Lactagol) تصنع في المعامل الأوروبية. وتستعمل سيقان هذه الشجرة في الوقود وقشر جذورها مجفف للحبال

(١) كلمة يونانية معناها « مر »

والقطن كالصوف يغزل أولا ثم ينسج لصناعة الاقمشة منه ، وهو عبارة عن مادة السلولوز المتقدم ذكرها

واذا وضع القطن في محلول الصودا الكاوية تحول الى مادة تشبه الحرير ، وهي التي تصنع منها أكثر الاقمشة المسماة كذبا حريرا

وخيوط القطن تتحمل الغسل والغلي ، وهي تمتص الرطوبة امتصاصا رديئا وتوصل الحرارة جيدا ولذلك كانت للملابس القطنية مبردة

الكتان : يؤخذ من سيقان شجرة مخصوصة بأن نخمر هذه السيقان في مكان رطب ثم تدق الى أن تتفرق خيوطها ثم تمشط ، ومن بزور هذه الشجرة يستخرج الزيت المسمى بالزيت الحار . وهو فضلا على كونه مغذيا مدر للبول ومنفث للباغم ، وتستعمل هذه البزور أيضا في عمل الضمادات (اللبخ) . والمنسوجات الكتانية موصلة جيدا للحرارة وامتصاصها للرطوبة رديء كالقطن ولكنها أغلى ثمنًا منه لنعومتها وبريقها

القنب : يؤخذ من سيقان شجرة أخرى كما يؤخذ الكتان ولكنه خشن جدا وقل ان يستعمل الا في الجبال والقلاع والا كياس الخيشية . ومن هذا النبات يؤخذ الخشيش ، وهوتلك المادة المفيية الملعونة . وبزر القنب يستعمل اغذاء الطيور

ألوان الملابس وسعتها

أما ألوان الملابس فتأثيرها في الحرارة كما يأتي : الابيض يمتص الحرارة امتصاصا رديئا جدا فهو أبرد هاء ، ويليه الاصفر فالاحمر فالاخضر فالازرق فالاسود ، ولذلك اذا وضعت قطعة من ثلج في قماش اسود وقطعة أخرى في قماش ابيض ذابت الاولى أسرع من الثانية لان الابيض يطرد الحرارة والاسود يمتصها وتنفذ منه الى الثلج ، وكذلك يرتفع رطب الترمومتر درجات أكثر اذا وضع على قماش اسود ومن الخطأ لبس الملابس الملونة فوق الجلد مباشرة فان أكثر الالوان

تشتمل على مادة سامة قهيج الجلد ، واذا امتصت منه افسدت الصحة

ويجب أن تكون الملابس غير ضيقة والاعاقت الدورة والتنفس وشوهدت شكل الاعضاء كمشدات الافرنج وأحذية أهل الصين . ولبس الاحذية الضيقة ضار جدا

بالاقدام فقد يفوص بعض الاخطار في اللحم ويحدث قروحا والتهابات تؤذي الشخص أذى بليغا زعل هذا ما تحدثه الاحذية الضيقة في بشرة القدم من الحلمات الصلبة المؤلمة

نظافة الملابس

أما نظافة الملابس فهي واجبة طبا وشرعا لقوله تعالى (وثيابك فطهر) فهي فرض على المسلم وإن لم يشترطها بعضهم في صحة الصلاة

واما المضار الناشئة من قذارة الثوب فهي عديدة واليك بيان بعضها :

(١) اذا تراكم العرق والافراز الدهني في الملابس منعها امتصاص العرق وعاق الجلد عن تأدية وظيفته وأحدث حكة فبشورا أو دما ممل ، وهذا هو أهون المضار (٢) اذا اتسخت الملابس كثر فيها القمل والبراغيث وهما من أشد الحيوانات فتكا بالانسان ، فان القمل ينقل الى الانسان الحمى التيفوسية والحمى الراجعة ، والبراغيث تنقل اليه الطاعون فللوقاية من هذه الامراض الفتاكة يجب تطهير الملابس من سائر الحشرات

(٣) الملابس القادرة كثيرا ما تكون سببا في نقل العدوى من شخص الى آخر اذا تناقلها أو لمسها فمثلا الجرب والارضة الجلدية (تينيا) كثيرا ما تنقل بهذا الطريق . واذا تنجس الثوب بالبول أو البراز أو الصديد أو الدم كان سببا في نقل الحمى التيفودية والدوسنتارية والديدان الخيطية والرمم الصيدي والزهري وغير ذلك . واذا كان الشخص من حاملي الامراض — وسيأتي بيان ذلك — كانت بعض مفرزاته معدية ولو كانت صحته جيدة

وحيث ان طهارة الثوب فرض وهذه الطهارة لا تكون تامة الا اذا خلا الثوب من البول والبراز وغيرهما وخلوه منها لا يكون الا بالاستنجاء فينتج من ذلك أن الاستنجاء فرض على المسلم

وأحسن طريقة لتطهير الثوب أن يغلى غليا جيدا نحوا من نصف ساعة ثم بعد ذلك يغسل بالماء والصابون ثم ينشر في الشمس كالعتاد . ولا عيب في هذه الطريقة الا انها تجمد المواد الزلالية كالدم والصديد فيفسران التهما تماما من الثوب ، أما غسله

بالماء البارد قبل الغلي فيذهب تلك المواد بسهولة ولكنه يلوث الأيدي والماء فإذا اتبعت هذه الطريقة الأخيرة وجب غسل الأيدي غسلا جيدا وتطهيرها بوضعها في مادة مطهرة كالغول (الكحول) وغيره، والواجب أن يغلى الماء الذي غسلت فيه قبل أن يلتقى منعا لانتشار الامراض بين الناس

فصل

في تنظيف الجسم كله تفصيلا

﴿ مع بيان فوائد ذلك وتطبيقها على الدين الحنيف ﴾

نظافة الرأس تكون بحلقه أو قصه ثم يغسل بالماء الساخن والصابون مع ذلك بشيء خشن كالليف . ولم ينه الشارع عن الحلق الا في الاحرام ولكنه أباحه لمن به مرض أو أذى من رأسه . والحلق واجب طبيا لإزالة الحشرات ولتمكين الأدوية من برء أمراض الشواة (جلدة الرأس) ولعلاج جروحها أو كسور عظامها ولوضع الضمادات الباردة فوقها في الصداع أو ضربة الشمس أو النزف المخي أو غير ذلك . وإذا أبت امرأة حلق رأسها لوجود قمل أو صئبان فيه أمكن اذهاب ذلك بصب زيت البترول فوق شعرها فإن ذلك قاتل للقمل ، وحض الخليك بنسبة ١ - ٤ يسهل استخراج الصئبان من الشعر - كما سبق -

وإذا تركت نظافة الرأس أضر الانسان القمل وحدث برأسه قروح وبثور وأمراض أخرى كالقراخ فيتسهم دمه بما في رأسه من القروح وقد تصيبه الحمرة أو تلتهب العقد اللمفاوية في العنق أو يصيبه داء الخنازير

غسل الوجه واجب كذلك وخصوصا لتنظيف العينين فإن ذلك يقيهما من أرماد كثيرة ، والاحسن أن تغسل العينان في كل يوم مرة أو مرتين بمحلول حامض البوريك المشبع (أي بنسبة ٤ في المائة) بعد الغسل بالماء والصابون

أما نظافة الاذن فيكفي أن تغسل كما تغسل في الوضوء ولا يجوز اللعب في داخلها بشيء فإن ذلك قد يحدث التهابا فيها أو يثقب طبقتها وحركة الفكين في

المضغ وغيره كفيلة باخراج أظفارها (وسخ الآذان) وعندئذ يسهل غسلها، وإذا أهملت الآذان من الغسل يعرض لها صمم من تراكم الأوساخ فيها وطين مع دوار، وقد يحدث ألم فيها، وسعال مستمر

غسل الأنف يكون بالاستنشاق والاستنثار، أما نتف شعره فمذموم وقد ورد في بعض الآثار ما يفيد مدح نبات شعر الأنف . وحكمته أن هذا الشعر ينقي هواء التنفس من التراب والميكروبات وغيرها

نظافة الفم هي من أكبر المهمات وتكون بالمضمضة والسواك ولذلك كاد الشارع أن يفرضه، ويرى بعض أطباء الأفرنج الآن أن السواك خير من مسفرتهم (فرشتهم) لأن السواك يمكن تجديد طرفه المستعمل مرارا كثيرة أرخص ثمنه، أما الفرشة فلا يمكن تجديد شعرها فتتراكم فيها أنواع الميكروبات الضارة بالأسنان ولذلك قال بعض أطباء الأسنان إن السبب في انتشار أمراضهم هو استعمال هذه الفرشة ونصحهم باستعمال السواك وتجديده كثيرا أو بغلي الفرشة بعد كل استيائك

أما مرض الأسنان فإنه مؤلم جدا ومفسد للهضم ويحدث منه تسمم في الدم فيصفر لون الشخص وتضعف قواه، وقد يصيبه داء الخنازير أيضا، وإذا مرض ضعفت مقاومة جسمه عن احتمال الأمراض فلذا كان الواجب العناية بنظافة الأسنان نظافة تامة أما الشارب فالأفضل قصه فإنه تراكم فيه الأوساخ والميكروبات فتصل إلى طعام الإنسان وشرابه. ولا بأس بترك اللحية لأنها بعيدة عن ذلك وهي مظهر من مظاهر الرجولية

الابطان يجب تنقيهما أو حلقيهما منعا لتراكم القمل أو الميكروبات فيهما، وقد تتولد عفونات فيهما تحدث روائح كريهة، ومن الميكروبات التي تنمو في الأبط ما يحدث العرق الأحمر

وكذلك يجب تقليم الأظافر وتخليل ما في الأيدي من النفايات فإن وجود الميكروبات فيها وتحت الأظافر ضار جدا لسهولة وصولها إلى طعام الإنسان وشرابه ومن أشهر الأمراض التي تصل بهذا الطريق هي الحمى التيفودية ولذلك يجب

[المنار: ج ٦ م ١٨] نظافة العانة. الاستنجاء. نظافة القدمين والجسم كله ٤٤٩

غسل اليدين غسلا جيدا قبل كل طعام. ومن الامراض التي كثيرا ما تصيب الايدي داء الجرب، فان حيويته اذا وصل الى الايدي ولم يطرد عنها بالتنظيف المتوالي ثقب الجلد وأحدث هذا الداء. وأحسن الوسائل المتبعة لوقاية الطعام من كثير من الميكروبات الاكل بالشوكات والملاعق واستعمال السكاكين

و يجب حلق العانة وكذلك الختان منعاً لتراكم القمل والصئبان في شعر العانة وتجميع القاذورات تحت القلفة وقمل العانة هذا هو قمل الابط والحية وغيرها فاذا يمكن انتشاره من العانة الى مواضع أخرى من الجسم حتى الحواجب واهداب العين، ولا يخفى ما في ذلك من الضرر العظيم. وفي حلق العانة شيء من تحريك داعية الوقاع لتيسر هذا المكان عند نبات الشعر

ومن مستلزمات نظافة السبيلين الاستنجاء، وذلك للمحافظة على طهارة الثوب المفروضة ومنع الروائح الكريهة وانتشار الامراض، وقد بقي الانسان أيضا من السيلان والافرنجي. ويكون الاستنجاء باليد اليسرى، ولا ينبغي الاكل بها. ويتحتم غسل الايدي بعد كل استنجاء غسلا جيدا، وكذلك يجب بلها بالماء قبله لمنع تشرب اليد للمواد الكريهة والميكروبات بقدر الامكان

ومن الواجب أيضا نظافة القدمين وتكون بالغسل الجيد المتكرر والتخليل، فان ذلك مانع لتسلخاتهما ولروائحهما الكريهة. فانه اذا تراكمت الاوساخ فيهما فقد يمرض للاخصيين ولما بين الاصابع تسلخات ربما ادت الى التهاب في العقد الأربية ونشأ عنه حمى وخراج في ذلك الموضع، وتلك التسلخات مؤلمة وتعوق الانسان عن المشي وتمطله عن أعماله

وبعد ذكر هذه النظافة التفصيلية يجب علينا تكرار الحوض على تنظيف سائر الجسم ودلكه جيدا بالماء والصابون، فان نعم ذلك معلوم مما سبق. ويجب علينا تكرار ذكر ما للقمل من المضار - خصوصا قمل الجسم أو الملابس - فانه فضلا عن ثقله للحميات المذكورة قد يكون هو وحده سببا في احداث حمى شديدة - كما قلنا - وذلك اما بسبب تهيج اعصاب الجسم بلدغه أو بحرق سموم (المنار: ج ٦) (٥٧) (المجلد الثامن عشر)

في الجسم من افرازه، فقد شوهد ان بعض الناس قد أصابته حمى في منتهى الشدة حتى زادت حرارته عن أربعين، وعند البحث في جسمه لم يوجد به عرض ولم يكن هناك سبب لتلك الحمى سوى وجود قمل كثير، وبعد النظافة التامة زالت عنه الحمى في الحال

زد على ذلك ما للقل من المضار الأخرى كإفلاق راحة الإنسان ومنع النوم عنه وأحداث بثور في الجسم من الحك

القاذورات والنجاسات

القاذورات التي نعتبرها ضارة طباً هي عين النجاسات المعروفة شرعاً، وأشهرها البول والبراز والدم والقيح أو الصديد والقيء والمني. ولم يعتبر اللعاب والمخاط من الشخص السليم ضاراً في الشرع لأنه حقيقة لا يوجد فيه ميكروب يضر الإنسان ضرراً بليغاً اللهم إلا ميكروب التهاب الرئوي والميكروب العنابي (الذي ذكر في صفحة ٢٩ من هذا الكتاب) ولكن هذين الميكروبين وغيرهما يسكنان عادة في فم كل شخص، ولا يضرانه إلا إذا ضعفت بنيته عن مقاومتها، ولذلك كان الاحتراس من لعاب الشخص السليم ومخاطه لا فائدة كبيرة فيه أما البلغم فهو شيء غير المخاط العادي إذ أنه يشتمل على شيء من الصديد وغيره كبلغم المسولين وهو خطر جداً، فيجب اعتباره نجساً لاشتماله على الصديد أو الدم كما ثبت ذلك بالبحث المجهرى. وقد نص الفقهاء على أن كل ما يخرج من الصدر من نغامة وغيرها نجس

وقال فقهاء الحنفية إن ما زاد من هذه النجاسات عن قدر الدرهم وجب تطهير الثوب وغيره منه، ولا يخفى أن المصاب بالسل وغيره من الأمراض الصدرية يخرج من فمه كثيراً من الصديد الذي قد يزيد عن قدر الدرهم

فإذا كان الواجب عندهم أن يتطهر الإنسان من البلغم إذا أصاب ثوبه بهما المقدار كما يتطهر من البول والبراز فإنه لا فرق بينهما وكلاهما ضار ضرراً بليغاً. على أن الإمام الشافعي يرى أن القليل والكثير من النجاسات سواء، فيجب التطهر

حتى من قليل البلغم الذي يخرج من الصدر

نظافة البيوت ونشر وطها الصحية

من مقتضى الطهارة في الاسلام ان يكون مكان الشخص نظيفاً طاهراً لئلا يتنجس ثوبه فطهارة البيوت — فضلاً عن كونها واجبة طباً — هي واجبة شرعاً ومن أكثر الاسباب نشراً للأمراض أن يدوس الانسان في الطريق على ما يلقى فيه من القاذورات وميكروبات الأمراض ثم يأتي الى بيته ولا يخلع نعليه فان ذلك مما ينشر في البيوت أكثر الأمراض كالدفتيريا والسل وكثيراً من الحيات العفنة فالواجب أن تكون أرض البيت وفرشه وحيطانه وسقفه وكل ما حوى في غاية النظافة بحيث لا تتلوث بشيء من النجاسات المذكورة آنفاً . وكذلك يجب أن تنظف من القمل والبق والبعوض (الناموس) والذباب والفيران والبراغيث وغير ذلك بأن تسد جميع شقوقها وتكرر تنظيفها خصوصاً بالجير أو نحوه وتغسل أرضها ويصب في مراحيضها شيء من البترول ^(١) لقتل العلق (صغار الناموس) ويضنه وينبغي ان تكون المساكن طليقة الهواء ذات منافذ كثيرة معرضة لاشعة الشمس بعيدة عن الاماكن الرطبة . والاقضل أن تكون مراحيضها في الجهة الجنوبية بمصر — أو ما يقابل الجهة التي يكثر الهواء منها في كل بلد — وتكون حيطان هذه المراحيض مصقولة صقلاً جيداً بحيث لا تنفذ المياه منها الى أرض المنزل فتملأه بالرطوبة والروائح الكريهة وتفسد هوائه ، ويجب ان يكون لمثل هذه المراحيض منافذ كالمداخن تعلو فوق سطح المنزل من الجهة الجنوبية لتصرف الروائح الكريهة . فاذا اتبعت جميع هذه الشروط وكانت الشوارع متسعة كانت المساكن صحية .

ومن الناس من يجمع المواد البرازية وغيرها في أواني مخصوصة ثم تحمل الى خارج المدن ، وذلك خير من تلويث أرضها بها . والافضل من ذلك كله أن يعمل لها حجار صقيلة (كقنوات مواسير) الحديد لتحمل هذه المواد الى مستودع بعيد عن المدينة ^(١) وذلك بنسبة أوقية من هذا الزيت لكل ١٥ قدماً مربعة من سطح ماء المرحاض أو غيره كالمستنقعات

كلها بعد شاسعا. وينبغي الانتباه الى هذه المواسير جيدا بحيث لا ينفذ منها شيء الى ما يجاورها عادة من قنوات الماء

والسكني في الاماكن الرطبة العفنة مضعفة للصحة بافسادها الهواء واحداثها البرودة واكثر الميكروبات فيصاب الشخص بالنزلات الشعبية والرتوية ونزلات الأنف والحلق والتهاب اللوزتين بل الدفتيريا أيضا والروماتزم وغير ذلك والواجب أن تكون أفواه المراحيض حيث يتبرز الانسان مسدودة بمثل المنجنيق أو السيفون^(١) Siphon المستعملين الآن

وماء السيفون يذيب الغازات ويمنع أكثرها من الدخول في البيت ، وكذلك يعوق خروج البعوض والخنفس والصراصير والفيران. ويجب تجديد ماء السيفون مرارا حتى في اليوم الواحد

وأعظم ضرر للنوع المسمى (Anopheles) من البعوض - الناموس - هو احداث حمى التافض (الملاريا أو الحمى الاجمية) ومن الناموس ما ينقل أيضا الحمى المالطية والجذام - كما سيأتي -

وأما أهم ضرر للجردان (الفيران الضخمة) فهو أنها تصاب بالطاعون الذي ينقل منها الى الانسان بواسطة بعض أنواع البراغيث وأما البق فقد ينقل الطاعون أو الجذام وغيرها

وأما الخنافس والصراصير والنمل فضررها الاكبر أنها تنقل القاذورات والميكروبات من المراحيض وغيرها الى طعام الانسان وشرابه وملبسه وفرشه وكفى بذلك ضررا عظيما

المطهرات

علم مما سبق أن أصل جل الامراض - ان لم نقل كلها - هو القاذورات بما فيها من الميكروبات^(٢) وسمومها ، فلذا يجب معرفة بعض الاشياء القاتلة لهذه الاحياء

١ كلمة يونانية معناها الاجوف أو الفارغ (٢) لفظ يوناني معناه حرفيا الاحياء الصغيرة يطلق في الاصطلاح على الاحياء الاولى التي تتركب في الغالب من خلية واحدة. وعبر عنها النار بالجنة والجن - بالكسر فيهما - لدلالة مادتها على العوالم الخفية

الذئبة ، وهي المسماة بالمطهرات

وأشهر هذه المطهرات وأكثرها استعمالا ما يأتي : -

(١) الشمس فان أشعتها تقتل الميكروبات

(٢) النار وهي أقوى المطهرات وأسهلها وتستعمل كثيرا في غلي الأشياء الملوثة .

ولما كان بعض بزر الميكروبات (حيياتها) قديقاوم درجة الغليان (أي درجة ١٠٠) لمدة ٥ أو ١٠ دقائق فلذا يجب إطالة مدة الغلي فوق ذلك . فاذا أصيب شخص بمرض معد فللوقاية منه يجب غلي ملابسه وفرشه وجميع ما استعمله في مرضه كالأواني وغيرها . أما الأشياء التي لا يمكن غليها كقطن الفراش ونحوه فبذه تطهر بوضعها في أفران مخصوصة يسلط عليها البخار في درجة الغليان مدة ساعة حتى ينفذ الى باطن ما فيها من الأشياء

(٣) الحوامض كحامض الهيدروكلوريك والنيتريك (ماء النار) وهي كلها

مطهرة تطهيراشديدا ، ولذلك جعل الله تعالى في عصير المعدة حامض الهيدروكلوريك - بنسبة ٢ في الألف - فان من أعظم فوائده تطهير الطعام والشراب

(٤) الجير ويستعمل لطلاء الخيطان والسقف وغير ذلك . واذا وضع في

سطل (جرادل) المواد الهرازية نفع نفعا عظيما ، ويستعمل لهذا الغرض بنسبة واحد أو اثنين منه الى عشرة من الماء

أما ماء الجير - وهو الذي يتحصل عليه بإذابة الجير في الماء المقطر حتى يتبع به

حم يصفى - فإنه مطهر ، مانع للقيء والاسهال ، مصلح لهضم اللبن في معدة الأطفال

ومو لعظامهم ، ويمكن مزجه باللبن بنسبة واحد الى واحد أو واحد الى اثنين من

اللبن ، ويمكن أيضا شربه بدون مزج باللبن بمقدار أربع أوقي . واذا مزج

الجير بزيت الزيتون أو بزيت بزر الكتان بنسبة واحد الى واحد من كل منهما

كان دهانا نافعا في الحروق - كما سيأتي -

(٥) الغول النقي (الكحول الخالص) مطهر عظيم يسهل الحصول عليه

لا يندى كلما مست مريضا

(٦) البوريك بنسبة ٤ في ١٠٠ مطهر لطيف اللابن - كما سبق - واذا وضع في

اللبن بنسبة واحد الى ألف مثلا حفظه من الفساد مدة، ولذلك يستعملونه في حفظ كثير من الاطعمة، ولكن استعماله لمدة طويلة قد يضر بالجسم وينقص وزنه (٧) الفنيك يستعمل بنسبة واحد الى عشرين لغسل الايدي وغيرها (٨) الليزول — ولونه وقوامه كالغسل الاسود — يستعمل بنسبة واحد الى المئة عادة

(٩) الايزال — ولونه كالطحينة المضاف إليها شيء من الماء — يستعمل بنسبة واحد الى ميتين أو واحد الى أربع مئة. ويستعمل في الاسهال باضافة ١٥ نقطة منه على كل رطل مصري من اللبن، فانه نافع فيه وكذلك في الدوسنطاريا وهذه المواد الثلاثة الاخيرة تستخرج من قطران الفحم الحجري ومن المطهرات أيضا السلياني (وهو مركب زيتي يستعمل عادة بنسبة ١ الى ٢٠٠٠) واملاح النحاس (كالتوتيا الزرقاء) واليود والفسرين. وغير ذلك كثير، وكما مطهرات عظيمة النفع

النظافة والعلاج

كما أن النظافة عليها مدار حفظ الصحة هي أيضا الاصل الاصيل لعلاج جميع الامراض والجروح وسائر العوارض الجراحية فان علاج ذلك كله مبني على النظافة والتطهير، اذ يكفي لعلاج أي جرح وعمل أي عملية جراحية أن يكون كل ما تستعمله مطهرا طهارة تامة حتى اذا بقرت البطن بألة طاهرة أمكن درء الموت عن المصاب بكل سهولة بالتزام النظافة، ويكفي في علاج جميع الاصابات والحروق ونحوها أن تنظف نظافة تامة ويتكرر ذلك يوميا حتى يبرأ الجرح. ويكفي في الغالب أيضا لعلاج أي جرح أو سحج أن يغسل بالماء المغلي وأن يضمّد بالقطن والاربطة المطهرة — إما بالفلي أو بالبخار الساخن — بدون احتياج الى أي دواء آخر وقائدة تضديد الجروح هي منع كل ما يوصل الميكروبات الى الجرح كالأتربة والذباب والهواء والايدي والماء غير المغلي، وبالضماد أيضا يقف النزف بسبب الضغط على الجرح، وبه أيضا تحصل راحة المكان المجروح من الحركة. وهذه

الاشياء كلها هي اهم ما يطلبه الجرح ، من العلاج ، وأسها كلها النظافة التامة
وخلاصة ما تقدم كله أن الماقل يجب عليه أن يكون نظيفا في جسمه وملبسه
وفراشه ومسكنه وما كاه ومشربه وفيما يعالج به أمراضه وإصاباته

تذييل للفصول السابقة في الذباب ومضاره

لا ينبغي أن من عادة الذباب أن يجتمع على القاذورات والنجاسات ثم ينتقل
منها الى طعام الانسان أو يسقط في شرابه أو يقف حول عينيه وبذلك تنتقل جراثيم
الامراض الى الانسان وتنتشر بين أفراد هذا النوع ، ومن أمثلة ذلك وقوفه على
أعين المصابين بالرمم الصيدي ثم انتقاله الى العين السليمة فتصاب بهذا الرمد ،
ومن أسباب انتشار الحمى التيفودية بشكل وبائي وقوف الذباب على البراز
مثلا - اذا لم يدفن في الأرض دفنا جيدا - فيتلوث الذباب بميكروب التيفود وبعد
ذلك يقف على الخبز مثلا . ومثل التيفود الهيضة (الكوليرا) والدوسنتاريا

ومن الذباب ما يلدغ بعض الحيوانات المصابة بالجرمة الخبيثة ثم يأتي الى
الانسان فيلقحه بهاء ومنه ما ينقل بلدغه مرض النوم وغيره من شخص لاخر . ويقال
ان البلاغرا تنتقل أيضا بلدغ بعض أنواعه - كما سبق - ومن المحقق ان حمى ثلاثة
الايام وسبعة الايام والحمى البسيطة المستمرة في الهند كلها تنتقل بلدغه ، وحمى
ثلاثة الايام تسمى أيضا بآياتشي وسميت بذلك من اسم الذباب الذي يلدغها
[Phlebotomus pappatasi] وميكروب هذه الحميات وراء الحجر على ما يظهر
ومن مضار الذباب أيضا انه قد يضع بيضه في الجروح أو في الآذان أو في
تجاويف الأنف فيفقس هذا البيض ويخرج منه النصف (وهو ما يسمى الآن
بالبرقات ويشبه الدود) وهذه الديدان تأكل من جسم الانسان وتحدث
فيه التهابا شديدا ، واذا أصابت جروحه آلمته ايلاما شديدا ويحصل بسببها أيضا
التهاب الجرح وحمى ، وتعود برء الجرح مدة مديدة حتى أن الجرح لا يشفى
الا اذا خلص منها . ومن أنواع هذه الديدان ما يأكل جثث الموتى
وقد قرر أطباء الانسكلين أن من أعظم أسباب انتشار الحمى التيفودية بين

الجنود في حرب الترنسفال (من سنة ١٨٩٩ - ١٩٠٢) كان الذباب وساعده في ذلك الريح بنقل الاتربة الملوثة بالبراز الى طعام الجنود

فلذا يجب ازالة جميع القاذورات من حول الانسان ودفن المواد البرازية ونحوها دفنا جيدا أو إبادة باية طريقة بحيث نأمن وقوف الذباب عليها وانتقاله اليها وأحسن الطرق حرق القاذورات أو وضع الفليك أو الفورمالين عليها

واذا وقف الذباب على الاعين وجب طرده في الحال، وإذا وقف على الطعام أو سقط في الشراب فالاسلم تطهيرهما بالنار. وكما كثر الذباب وجب السعي في إبادة بقدر الامكان. واعلم أن الذبابة الواحدة تضع نحو ٩٠ بيضة، وحياتها لا تتجاوز ثلاثة أسابيع أما ما رواه البخاري عن أبي هريرة من أن النبي (ص) قال « إذا وقع الذباب في إناء أحدكم فليغمسه كله ثم ليطرحه فان في أحد جناحيه شفاء وفي الآخر داء » فهذا الحديث مشكل وإن كان سنده صحيحا فكم في الصحيحين من أحاديث اتضح لعلها الحديث غلط الرواة فيها كحديث « خلق الله التربة يوم السبت » مثلاً وغيره مما ذكره المحققون، وكما فيهما من أحاديث لم يأخذ بها الأئمة في مذاهبهم فليس ورود هذا الحديث في البخاري دليلاً قاطعاً على أن النبي (ص) قاله بلفظه مع مناقاته للعلم وعدم امكان تأويله، على أن مضمونه يناقض حديث أبي هريرة وميمونة وهو أن النبي سئل عن الفأرة تقع في السمن فقال (إن كان جامدا فاطرحوها وما حولها وكلوا الباقي وإن كان ذائبا فأريقوه أولا تقر به) فالذي يقول ذلك لا يبيع أكل الشيء إذا وقع فيه الذباب فان ضرر كل من الذباب والفران عظيم. على أن حديث الذباب هذا رواه أبو هريرة وفي حديثه وتحديثه مقال بين الصحابة أنفسهم خصوصا فيما انفرد به كما يعلم ذلك من سيرته. (١) وغاية ما تقتضيه صحة السند

(١) اليك شيئا من تاريخ حياته : -

أسلم رضي الله عنه سنة (٧) هجرية ، فصحب النبي ثلاث سنين ولم يكتب شيئا من الحديث ، وقال عن نفسه إنه كان كثير النسيان فدعى له الرسول - كما قال - فذهب عنه ذلك . وكان قصيرا أكل لا يطعم كل يوم من بيت النبي أو من بيت أحد أصحابه ، فكان يحب أن يتودد الى الناس ويسليهم بكثرة التحديث والاعراب في القول ليشتد ميلهم إليه. وربما كان مصابيا بالصرع - كما يستفاد =

في أحاديث الآحاد الظن فلا قطع بأن هذا الحديث من كلام النبي (ص) وكانوا يروون الحديث بالمعنى فيجوز أن يكون لفظ الراوي لم يؤد المعنى المراد والله أعلم وهب أن الرسول قال ذلك حقيقة فمن المعلوم أن المسلم لا يجب عليه الأخذ بكلام الأنبياء في المسائل الدنيوية المحضة التي ليست من التشريع ، بل الواجب عليه أن يمحصها ويرضاها على العلم والتجربة فان اتضح له صحتها أخذ بها والا علم أنها مما قاله الأنبياء عليهم السلام بحسب رأيهم ، وهم يجوز عليهم الخطأ في مثل ذلك = من بعض الروايات الواردة في ترجمته - والصريح مرض مشهور عند الأطباء يورث ضعف العقل أو الجنون

روى بعد وفاة رسول الله (٥٣٨٤) حديثاً حتى ضجج منه كبار الصحابة رضي الله عنهم وملوا كثيرة حديثه ، وقالت له عائشة (إنك لتحدث بشيء ما سمعته) ولما سمع الزبير بعض حديثه قال (صدق كذب لأنه سمع هذا من رسول الله ولكن منه ما وضعه في غير موضعه) - راجع تاريخه في كتاب « الاصابة في تمييز الصحابة » لابن حجر -

وروى ابن عساكر في تاريخه عن السائب بن يزيد قال سمعت عمر بن الخطاب يقول لأبي هريرة (لتترك الحديث عن رسول الله أو لأخفك بأرض دوس) وما روي عنه أنه قال (لقد حدثكم بأحاديث لو حدثت بها زمن عمر بن الخطاب لضربني عمر بالدرّة) يعني السوط . وروى الطبراني في الكبير عنه أنه قال قال رسول الله (إذا لم تحلوا حراماً ولم تحرموا حلالاً وأصبتم المعنى فلا بأس) وقال أيضاً إنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول (من حدث عني حديثاً هو لله عز وجل رضا فانا قاتله وإن لم أكن قتله) كما رواه ابن عساكر في تاريخه عنه مع أن المروي بالتواتر عن رسول الله أنه قال (من كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده في النار) رواه مثنان من الصحابة وهو ينافي ما قاله أبو هريرة ، وهذا الحديث اضطرب عمر لتذكيره به حينما بلغته كثرة حديثه كما في « الاصابة » أيضاً مات رضي الله عنه بالمدينة سنة ٥٧ هجرية

هذا وإما نقلنا ما نقلناه هنا من تاريخ أبي هريرة ليكون تذكرة وهداية لأهل العقول الراجحة الحرة والنقد الصحيح ، لكيلا يغتر أحد بمثل تلك الأحاديث المنافية للعلوم المصرية المبنية على الحس والمشاهدة والبحث الدقيق . ومن شاء زيادة الايضاح فليقرأ ما كتبه في مجلة الحياة في الجزء الخامس من المجلد الرابع الصادر سنة ١٣٢٥ هجرية

وقد حقق هذه المسألة القاضي عياض في كتابه الشفاء فليراجعه من شاء . ومما رواه فيه عن النبي (ص) قوله « إنما أنا بشر فما حدثتكم عن الله فهو حق وما قلت فيه من قبل نفسي فأنما أنا بشر أخطئ وأصيب » (*)

(*) المنار : إذا كان حديث الذباب مرويا بلفظه فيحتمل أن يكون مبنيا على رأي كان منقولاً فذكر على ظاهره ، ويحتمل أن يظهر بعد ما يزيل ما فيه من الاشكال . وهو على كل حال ليس من عقائد الدين ولا من أحكامه ، بل هو من قبيل مسألة تنقيح النخل فقد رآهم (ص) يلقحون فقال « ما أظن ذلك يعني شيئاً » فتركوه ، فأخبر بذلك فقال « إن كان ينفعهم ذلك فليصنموه فاني إنما ظننت ظناً فلا تؤاخذوني بالظن ولكن إذا حدثتكم عن الله شيئاً فخذوا به فاني لن أكذب على الله » وفي حديث رافع بن خديج أنه (ص) أنكر ذلك لما قدم المدينة مهاجراً ، أي ولم يكن يعلم من أمر النخل شيئاً ، وأنه قال لهم « لعلكم لو لم تفعلوا الكان خيراً » فتركوه فنقصت أو فنقصت فذكروا له ذلك فقال « إنما أنا بشر ، إذا أمرتكم بشيء ممن أمر دينكم فخذوا به ، وإذا أمرتكم بشيء من رأيي فأنما أنا بشر » وفي حديث عائشة و أنس أنه قال « لو لم تفعلوا الصلح » فخرج شيخهما (أي خرج التمر رديئاً) فربهم فقال « ما لنخلكم ؟ » قالوا له قلت كذا وكذا . قال « انتم أعلم بأمر دنياكم » روى ذلك كله مسلم في صحيحه

وأما كلام الكاتب في أبي هريرة (رض) فهو كلام من يسيء الظن فيجمع من الأقوال ما يؤيد ظنه . وفي قوله نظر . فاما الصرع أو الأغماء فقد صح أنه كان من الجوع لا من المرض ، وأما ما روي عن الطبراني وابن عساكر من أسناده حديثين يدلان على استحلاله أن يقول على النبي (ص) ما لم يقله فمنع أن يكون قد صح عنه ، وقد روي عنه أنه كان يبدأ بتحديثه بحديث « من كذب علي متعمداً » الخ وأما استغراب بعض الصحابة لكثرة حديثه فقد بين هو لهم سببه . وهو ملازمته للنبي (ص) أي مع جودة حفظه وأما عمر فقد أنكر على غيره كما أنكر عليه كثرة التحديث لحكمة ليس هذا محل بيانها

وقد ثبت أنه كان من أجود الناس حفظاً . ولا يسهل الحكم فيما روي عنه من المشكلات التي انفرد بها إلا إذا جمعت وأحصيت أسانيدھا . وكان يروي عن كعب الأحبار مصدق الغرائب الإسرائيلية الكثيرة . وقد كان من أسباب الخلط في الحديث حسان الموقف الذي لا مجال للرأي فيه من قبيل المرفوع ، وقد يغلط بعضهم فيسندوه إلى النبي (ص) وهو من الأسرانيات لا من الرأي ، فينظر في ذلك وغيره عند تمحيص تلك المشكلات .

الحرق

الحرق يحصل عادة إما بالنار أو بالسوائل المغلية وهو خطر جدا على الحياة، وخطره يختلف بحسب اتساعه وعمقه ومكانه وعمر المصاب؛ فإذا أصاب الشخص حرق بسيط وعم جسمه كان خطرا على الحياة خصوصا في زمن الصفر، وحروق الرأس والصدر والبطن هي أشد الحروق خطرا. والغالب أن الحروق النارية أشد أذى بالجسم من حروق المياه المغلية لأن المياه تبرد بسرعة وتسيل من على الجسم. أما السوائل التي كالزيت أو المعادن المصهورة، فلا تصاقها بالجسم فتفتك به فتكا ذريعا. ويتميز الحرق الناري عن الحرق المائي بأن الأول يحترق فيه الشعر والملابس بخلاف الثاني

والحرق أعراض موضعية وأعراض عمومية

أما الاعراض الموضعية فتقسم الى ست درجات: —

- (١) احمرار الجلد بدون اتلافه، والاحمرار يحصل بسبب كثرة ورود الدم اليه
- (٢) تكون القواقع بالجلد، وذلك بانسكاب بعض السوائل من أوعية الدم تحت الطبقات العليا للبشرة. وعند شفاء مثل هذه الدرجة تتولد طبقات جديدة للبشرة من الطبقات التي تحتها وقد يتلون الجلد بلون يخالف المعتاد
- (٣) احتراق البشرة كلها وبعض الأدمة، وهو أشد الحروق ألما
- (٤) احتراق الأدمة مع البشرة كليهما. وعند شفاء مثل هذا الحرق يحصل انكماش شديد في الجلد مكان الحرق

(٥) احتراق الجلد كله مع بعض الأنسجة التي تحته حتى العضلات

(٦) احتراق العضو كله وضروره نفيها

وقد شوهد أن بعض النساء السمينات المدمنات شرب الخمر يحترقن بسرعة عجيبة بحيث يتعذر إطفائهن ولو بالماء إلى أن يحترق الجسم كله تقريبا، ويحصل هذا الاحتراق عند وجود أقل سبب له كالأقتراب من فتيلة مشتعلة حتى ظن بعض الأطباء أنه يحصل بلا نار مطلقا، ويسمونه (الاحتراق الذاتي)

وأما اعراض الحرق العامة فهي ثلاث درجات : —

(١) الصدمة العصبية - - فيصاب الشخص ببرودة شديدة وذهول حتى إنه قد لا يشعر بشيء من الألم وتضعف ضربات قلبه ونبضه وقد يقع في الغيبوبة ويموت
(٢) رد الفعل والالتهاب - وذلك يحصل بعد مضي يوم أو يومين، فترتفع حرارة الشخص وتصيبه الحمى ويقوى نبضه ويسرع، وقد يحصل له التهاب في الاحشاء كالتهاب الرئتين أو البريتون أو سحايا المخ، وفي هذه الدرجة قد يصاب أيضا بقرحة ثاقبة للاتني عشري

(٣) تكوّن الصديد - وهو اذا طال وكان المكان متسعاً أدى الى الازمحلل فالموت

(المعالجة)

يطلقاً المحروق أولاً بأن يلف جسمه في الحال بشيء سميك ليمنع وصول الهواء اليه فقطفاً النار، والاحسن أن يبل هذا الشيء الذي يلف به. ويشترط أن لا يلف الوجه بشيء خوفاً من الاختناق. وإن لم يوجد شيء يتلف به يمرغ الشخص على الارض، وإن وجدت قطعة لا تكفي الاجزاء من الجسم فينبغي التلفف بهامع التمرغ وبعد اطفاء النار يجب الاحتراس التام من أن يمس جسم المحروق أي شيء غير مطهر ثم تبط الفقاعات إن وجدت ويصفى السائل منها، ولكن الاحسن ترك البشرة بدون ازالها فانها تكون كالوقاية للجسم ثم يدهن الجسم كله بزيت بعد غليه وتبريده، أو يستعمل مروح الجبر الذي تقدم ذكره

وهناك عدة طرق لتضميد الحروق تذكر في فن الجراحة، ومن أحسنها استعمال حامض الپكريك (وهو مادة متبلورة صفراء اللون مركبة من الفنيك مع حامض النيتريك) يذاب في الماء بنسبة ٥ الى ١٠٠٠ أي يكون الماء مشبعاً به ثم يدفأ ويغمس فيه الموصلي (الشاش) أو قماش آخر يسمى لنت Lint ويلف به المحروق، ويوضع فوق ذلك ورق زيتي أو حبة زيتية قطن، ويترك هذا الضماد نحو ٣ أو ٤ أيام ثم يحدد ويترك لمدة أسبوع. وقائدة حامض الپكريك هذا هي أنه مطهر

محجف للحرق مسكن للآلم وذلك هو كل مانبغي

ولعلاج حالة المصاب العمومية في الطور الأول (طور الهبوط والرجة العصبية)
يجب استعمال المنعشات ، فيلف الشخص بالملابس والاعطية السمبكة حتى يدفأ ،
وتوضع زجاجات الماء الساخن حول رجليه وجنبه ، ويعطى له مثل القهوة أو الشاي
الساخنين أو بعض الخمر — إذا لم يوجد ما يغني المسلم عنها — ويمنع عن الأغذية
ما عدا اللبن وغيره من السوائل كالمرق ولأبأس من اعطائه جزءا من الأفيون — قدر
قحة أو قمتين — ان كان الآلم شديدا . ويجب بعد ذلك أن يتولى باقي علاجه
الطبيب حتى يشفى أو يموت

وأسباب الوفاة في الحرق عند حدوثه مباشرة متنوعة منها الاختناق بالدخان
والغازات ، أو الفزع الشديد ، أو الرجة العصبية بسبب ألم الحرق

أصناف الأقلام العربية في الإسلام

(نموذج من كتاب انتشار الخط العربي في العالم الشرقي والعالم الغربي) (*)

بقي الخط العربي على حاله القديمة غير بالغ مبالغته من الأحكام والاتقان في
زمن الرسول والخلفاء الراشدين لاشتغال المسلمين بالحروب حتى زمن بني أمية
فابتدأ الخط يسمو ويرتقي وكثر عدد المشتغلين به . وفي أواخر أيامهم تفرع الخط
الكوفي وكانت تكتب به المصاحف منذ أيام الراشدين الى أربعة أقلام اشتقها
بعضها من بعض كاتب اسمه قطبة المهرر كان اكتب أهل زمانه ، ثم اشتهر بعده
في أوائل الدولة العباسية رجلا من أهل الشام انتهت اليها الرئاسة في جودة الخط
وهما : الضحاك بن عجلان كان في خلافة السفاح فزاد على قطبة ، واسحاق بن
حماد وكان في خلافة المنصور والمهدي فزاد بعد الضحاك وزاد غيره حتى بلغ عدد

(*) المنار : تجد تهر يظ هذا الكتاب في مكان آخر

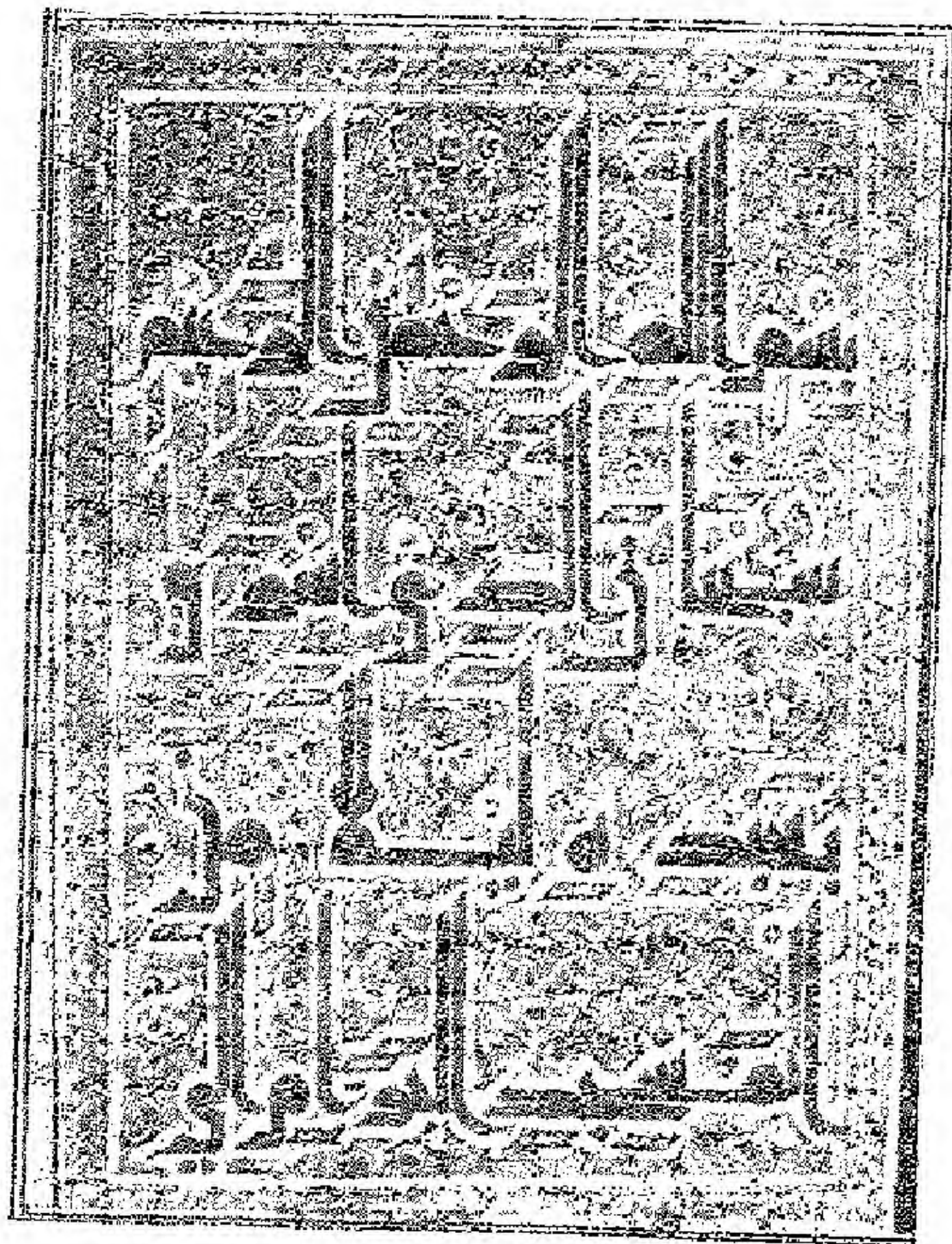
الأقلام العربية الى أوائل الدولة العباسية ١٢ قلماً كان لكل قلم عمل خاص وهي:

(١) قلم الجليل كان يكتب به في المحاريب وعلى أبواب المساجد وجدران القصور ونحوها وهو ما يسميه العامة الآن بالخط الجلي (٢) قلم السجلات (٣) قلم الديباج (٤) قلم اسطوخودار الكبير (٥) قلم الثلثين (٦) قلم الزبور (٧) قلم المفتاح (٨) قلم الحرم كان يكتب به الى الاميرات من بيت الملك (٩) قلم المؤامرات، كان لاستشارة الامراء ومناقشتهم (١٠) قلم اليهود كان لكتابة اليهود والبيعات (١١) قلم القصص (١٢) قلم الخرفاج . ولما ازداد عصر العباسيين بأنوار العلوم والعرفان وخصوصاً في أيام المأمون أخذت صناعة الخط تنمو وتنتشر وتقدم كسائر العلوم التي ضرب فيها المسلمون بسهام نافذة لاحتياجهم اليها فتنافس الكتاب في أيامه في تهويد الخط فحدث القلم المرصع وقلم النساخ وقلم الرياسي ^(١) نسبة الى مخترعه ذي الرئاستين الوزير الفضل بن سهل . وقلم الرقاع وقلم غبار الحلبة ^(٢) وكان يكتب به بطائق حمام الرسائل، وهكذا كان كل قلم معداً لنوع من الكتابة كما تكتب الآن الانعامات بالرتب بقلم خاص، والاوراق الديوانية بقلم خاص، والواح الحجر بخط آخر وكتب التعليم بأخو

فزادت الخطوط العربية على عشرين شكلاً وكأها تعد من الخط الكوفي فهو اذ ذاك كان خط الدين والدولة. وقد كان يكتب به القرآن منذ أيام الراشدين كما أسلفنا حتى أواسط العصور الإسلامية (ش ٤) . وأما الخط النسخي فقد كان مستعملاً بين الناس لغير المخطوطات الرسمية حتى نبغ الوزير أبو علي محمد بن مقله المتوفى سنة ٣٢٨ هـ فادخل في الخط المذكور تحسيناً كبيراً بعد ان كان في غاية

(١) يصبح ان يقال ريس في رئيس قال السكيت يمدح محمد بن سليمان الهاشمي تلقى الأمان عن حياض محمد ثولاء مخرفة وذئب أطلس لا ذي تخاف ولا لهذا جرأة تهدي الرعية ما استقام الرئيس والثولاء النعجة والمخرفة لها خروف يتبعها، ضرب لذلك مثلاً لعدله وانصافه حتى انه يشرب الذئب والشاة من ماء واحد — استشهد به الجوهري والزيدي (في تاج العروس) وغيره على ما قلناه ان الرئيس يقال فيه ريس (٢) كشف الظنون ٤٦٦ ج ١

الاختلال، وأدخله في المصاحف وكتابة الدواوين . وقد اشتهر بعد ابن مقلة جماعة كثيرة من الخطاطين هذا بوا طريقة وكسوها حلاوة وطلاوة، أشهرهم علي بن هلال المعروف بابن البواب المتوفى سنة ٤١٣ هـ ١٠٣١ م وقد اخترع عدة أقلام . وياقوت ابن عبد الله الرومي المستعصي المتوفى سنة ٦٩٨ هـ وغيرها كثير، وقد تفرع الخط النسخي المذكور بقوالي الأعوام الى فروع كثيرة وأصبحت الأقلام الرئيسية في الخط العربي اثنين : السكوفي والنسخي، ولكل منهما فروع كثيرة اشتهر منها بعد القرن السابع للهجرة ستة أقلام بين المتأخرين وهي : الثالث والنسخ والتعليق والريحاني



ش ٤ : الخط السكوفي الجليل

آية من مصحف كتبه أبو بكر الفزنوي سنة ٥٦٦ هـ . وتوضيحها : « بسم الله الرحمن الرحيم . سبحان الذي أرى بعبد له لا من المسجد الحرام الى . . . »

والمحقق والرقاع ، برز في هذه الأقلام جملة من العلماء . وما زال الخط يتفرع الى الآن . فقد ظهر بعد هذه الستة الأقلام القلم الديواني والقلم الدشتي والقلم الفارسي

وغيره ، وبقي الأمر تابعا لارتفاع الدولة وانخفاض شأنها (انظر شكل هـ) فانه لما تضمنت خلافة بغداد وانتقلت الخلافة الى مصر والقاهرة انتقل الخط والكتابة والعلم اليها وسرى منها الى مضافاتها من البلاد التابعة لدولتها والى ماجاورها ، وما زال الخط في جميع هذه الاماكن آخذاً في الجودة الى هذا العهد وصار للحروف قوانين في وضعها وأشكالها متعارفة بين الخطاطين ، وقد حفظ لنا القلقشندي بيانات صحيحة عن أواسط عصر المماليك (أواخر القرن الثامن للهجرة) فذكر في الجزء الثالث ^(١) من كتابه صبح الأعشى أنواع الخطوط المستعملة في الدواوين وعلق عليها معتمدا على نماذج منها نشرت في هذا الكتاب وهي ستة أنواع :

(١) الطومار الكامل ويشتمل على جملة أنواع وكان يكتب به السلطان علاماته على المكاتبات والولايات ومناشير الاقطاع .

(٢) مختصر الطومار وهو على نوعين : الثلث والمحقق وكان يكتب به في عهد الملوك من الخلفاء والمكاتبة الى القانات العظام من ملوك بلاد الشرق .

(٣) الثلث وهو نوعان الثقيل والخفيف .

(٤) التوقيع وهو على ثلاثة أنواع ، وكانت توقع به الخلفاء والوزراء على ظهور

القصص .

(٥) الرقاع وهو على ثلاثة أنواع أيضا وكان يكتب به في الرقاع جمع رُقعه وهي الورقة الصغيرة التي تكتب فيها المكاتبات اللطيفة والقصص وما في معناها .

(٦) الغبار وهو نوع واحد وكان يكتب به بطائق الحمام والملطقات وما في

معناها . ونرى من الكتابات المنقوشة على الاحجار في أيام المماليك جمال هذا الخط وبهاءه وهو وان كانت حروفه مستطيلة فهي ربما أجمل مما كانت عليه في أيام العباسيين

ولما آلت الخلافة الى الاتراك بعد زوال دولة المماليك بمصر ورثوا بقايا التمدن الاسلامي فكان لهم اعتناء خاص بالخط وقد أخذوا في اتقانه على أيدي الاساتذة

الفارسيين الذين اعتمدوا عليهم في الآداب والفنون . وقد حفظ الأتراك عدة قرون في مصالح حكومتهم ودوائرهم الملكية والعسكرية أنواع الخطوط التي كانت مستعملة في القرون الوسطى فكان يعرف عندهم في القرن الحادي عشر للهجرة ٣٠ نوعا تقريبا إلا أنه أهل أكثرها أثناء القرنين الثاني عشر والثالث عشر ولم يبق مستعملا منها في الوقت الحاضر إلا ما سنده كره في الفصل الآتي ، والاتراك هم الذين أحدثوا الخط الرقعة والخط الهمايوني واليهما انتهت الرئاسة في الخط على أنواعه إلى عهدنا هذا ، وقد أخذنا عنهم الخط المعروف بالاسلامبولي . ولن يزال الخط يتفرع إلى ما شاء الله عملا بسنة الارتقاء

الأقلام المستعملة الآن

(١) الخط النسخي — أما الآن فقد أهل الخط الكوفي وصار الخط النسخي هو الأكثر استعمالا في كتابة اللغة العربية أينما وجدت وكذلك في كتابة اللغة التركية والتركية والأفغانية والهندية وغيرها من لغات العالم الإسلامي ، فانه يستعمل فيها الخط النسخي في الكتب العلمية وغيرها وعلى الخصوص في المواضيع الدينية والشرعية كما سيأتي .

(٢) القلم الفارسي — وهو مشتق من الخط القيرواني المتولد من الخط الكوفي في صدر الاسلام وتكتب به الآن اللغة الفارسية ويستعمل غالبا عند الهنود في كتابة لغتهم الهندستانية (الأوردية) . وسيأتي تفصيل تاريخه وفروعه عند الكلام على اللغة الفارسية

(٣) القلم المغربي — المستعمل في مراکش والجزائر وتونس وطرابلس لكتابة العربية والبربرية معا وسيأتي ذكره بالتفصيل عند الكلام على لغات المغرب .

(٤ و ٥) القلم الرقعة والقلم الثالث — الرقعة هو خط الدواوين في تركيا وغيرها ويغلب استعماله أيضا في المراسلات الاعتيادية وقد أسلفنا أنه والقلم الهمايوني من مستحدثات الاتراك وهما يستعملان عندهم إلى الآن . وقد انتشر الرقعة بسلطة الاتراك في جزء من البلدان العربية، ومع أنه مكروه من بعض العرب الخالص لانه

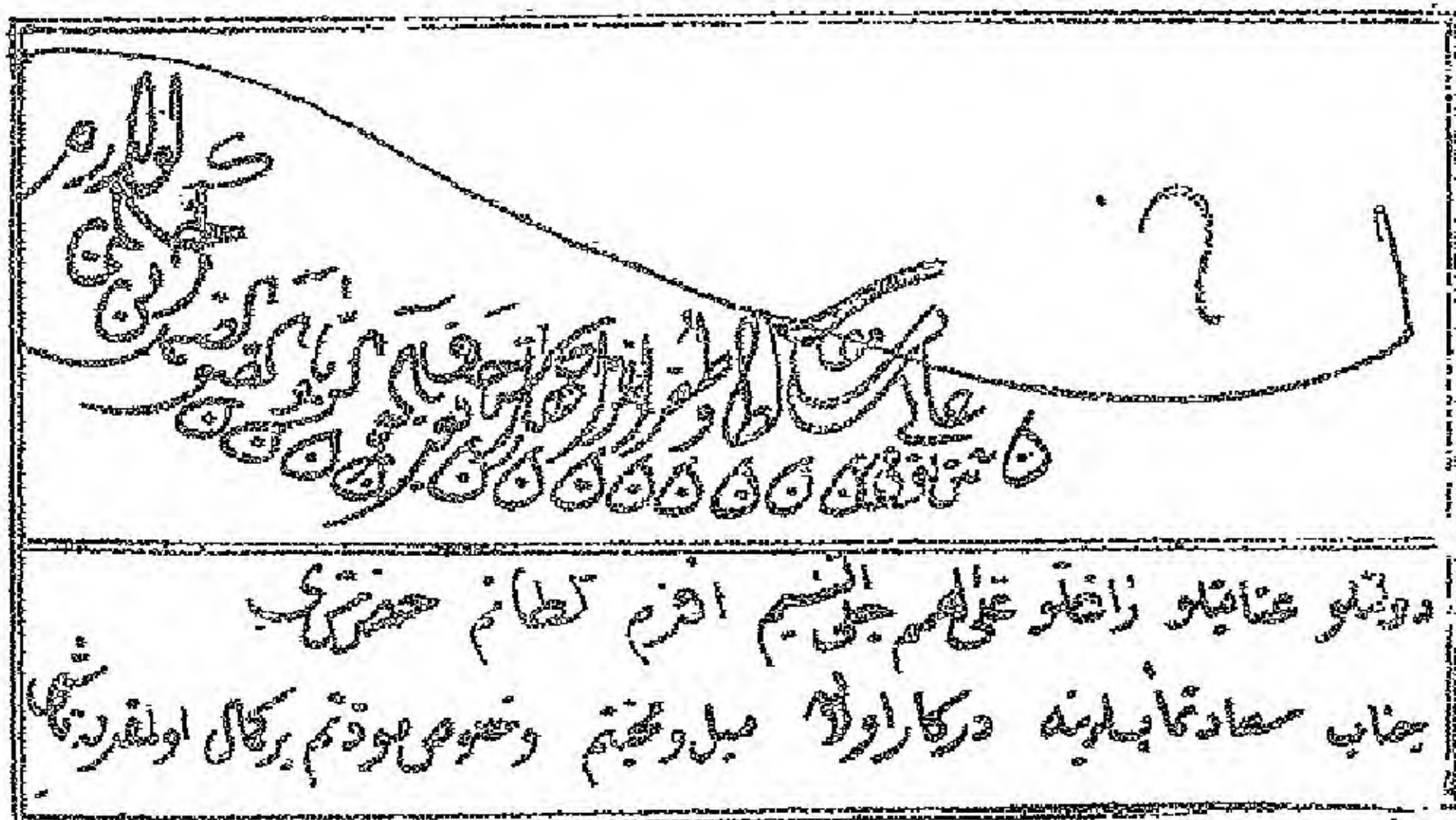
خط تركي (١) فهو مستعمل في مصر والعراق وسوريا مثل القلم الثالث المستعمل عند الجميع ، إلا أن الثالث يستعمل في الزخرفة والتزييق أكثر من استعماله في الكتابة العادية .

(٦) قلم التعليق — أو الكتابة الفارسية المحرفة وهو يستعمل في تركيا لكتابة الاوراق والاعمال القضائية الشرعية وكذلك في الكتب وخصوصاً في كتب الاشعار والدواوين (ش ٦) كما سترى عند الكلام على الخط الفارسي .



ش ٦ : قلم التعليق
يشت من أشعار الفردوسي الشاعر الفارسي المشهور ويقرأ هكذا :
« همين چشم دارم زخواندگان که نامم به نیکو برند بر زبان »

(٧) القلم الديواني — الذي اشتق مباشرة من خط التوقيع القديم وهو على



ش ٧ : القلم الديواني الجلي (القسم الاعلى) والقلم الديواني (القسم الاسفل) ويقرأ القسم الاعلى هكذا :
« نشان شریف عالیشان سامی مکان و طفرای غرای جهان ستان خاقانی نغد بالعون الربانی والصون الصمدانی حکمی اولدرکه »

نوعين : أحدهما كبير قليلا وهو المستعمل في الدواوين السلطانية بتركيا لكتابة

المراسم والديبومات Les diplômes (الفرمانات والبرآت) على جميع أنواعها .
والآخر أصغر منه وهو وإن يكن قد قل استخدامه بعض الشيء إلا أنه مستعمل
كثيراً في المحاكم الدينية والشرعية التي تستعمل أيضاً خط التعليق . أما الهمايوني
المتقدم ذكره فهو نفسه الخط الديواني الكبير ويسمى عندهم « جلي ديواني » أي
القلم الهمايوني الجلي (ش ٨٩٧) وهو يستعمل لكتابة الفرمانات السلطانية
المتعلقة بالوسامات

وتتخذ الحروف النهائية في الخط الديواني وخصوصاً الجيم والحاء والهاء والعين
والغين إذا جاءت في أواخر الكلام وكذلك أطراف السين والشين والصاد والضاد
كما ترى في شكل ٩

(٨) القلم النستعليق — أو الخط الفارسي المنسوخ وهو يستعمل عند الفرس
وسياقي ذكره عند الكلام على الخط الفارسي وفروعه
(٩) قلم الاجازات — وهو يتألف من الخط النسخي والخط الثلث بتصرف مع
بعض زيادات لا توجد في غيره وهو يستعمل عند الأتراك أحياناً .
والخط في تركيا لم يزل مشرفاً وأعمال الخطاطين الكبار أمثال حمد الله المتوفى
سنة (٩٣٦ = ١٥٣٠) وحافظ عثمان المتوفى سنة (١١١٠ = ١٦٩٨ — ١٦٦٩)
لم تزل معتبرة كنماذج تقلد ، أما في البلدان العربية وخصوصاً في مصر فإن الاعتناء
بالخط أخذ في الضعف والإهمال بسبب سرعة انتشار المطابع .

حروف الهجاء العربية

وترتيبها

أما ترتيب حروف الهجاء العربية فهو مخالف لترتيب الحروف الأخرى المرتبة
على أبجد هوز الخ وهو الترتيب القديم المعروف عند أكثر الأمم السامية . وأما
العربية فتبتدى هكذا : اب ت ث الخ ، مع أن التاء في اللغات الأخرى هي آخر
حروفها . وهذا الترتيب حديث في اللغة العربية وضمه نصر ابن عاصم وبجي ابن
يعمر العدواني في زمن عبد الملك بن مروان وهو مبني على مشابهة الحروف في

الشكل فابتدأ بالالف والباء لانهما أول الحروف في ترتيب ابجد وعقبا بالتاء والتاء لمشابهتهما الباء ثم ذكر الجيم من حروف ابجد وعقبا بالحاء والحاء للمشابهة ثم ذكر الدال وعقبا بالذال ، ولكون الهاء تشبه أحرف العلة في الحاء أخراها معها لآخر الحروف ، وقبل ان يذكر الزاي ذكر الراء المشابهة لها لتكون الزاي مع باقي أحرف الصغير ولذلك ذكر السين بعد الزاي وعقبا بالشين للمشابهة ، ثم ذكر الصاد وعقبا بالضاد ثم رجعا للطاء من ابجد وعقبا بالظاء وأخرا أحرف « كلن » حتى يفرغا من الأحرف المتشابهة ، وذكرا العين وعقبا بالغين ثم ذكر الفاء وعقبا بالقاف ، ثم ذكر أحرف كلن والهاء وأحرف العلة .

ولكون ترتيب ابجد يختلف عند المغاربة ^(١) عن ترتيبها عند المشارقة كان ترتيب الحروف عند المغاربة بعد ضم كل حرف الى ما يشابهه في الشكل هكذا :
ا ب ت ث ج ح خ د ذ ر ز ط ظ ك ل م ن ص ض ع غ ف ق س ش ه و ي

الأحرف الخاصة بالعربية

واللغات الأخرى

وفي الخط العربي فضلا عن الحروف الشرقية الأخرى ستة أحرف هي : التاء والحاء والذال والضاد والظاء والغين « نخذ ضغط » وقد اقتضتها طبيعة اللغة العربية . وهذه الأحرف لا يخرج لها في اللغات الأخرى الا بتركيب مع حرف آخر . والضاد منها خاصة باللغة العربية دون سواها وهذا هو سبب تلقيب العرب أو المتكلمين بالعربية بلقب « الناطقون بالضاد » وتمييزهم بها ، وفي الحديث « انا افصح من نطق بالضاد » إشارة الى ذلك .

وهنا ملاحظة ينبغي الإشارة اليها وهي ان هذه الأحرف الستة لا تستعمل غالبا في اللغات الإسلامية الآتية (التي تكتب بالخط العربي) الا لكتابة الكلمات

(١) ترتيب المغاربة في ابجد يختلف قليلا عن ترتيبها عند المشارقة فيقولون :
« ابجد هوز حطى كلن صغفض قرست نخذ طغش » وسبب هذا الاختلاف ان المغاربة يرون الترتيب عن الامم القديمة على خلاف ما يرويه عنهم المشارقة

العربية الدخيلة في لغاتهم ولذلك فهم لا ينطقون بها تمامًا إذا قرأوها في نصوص عربية بل يشركونها مع حرف آخر ، فمثلاً إذا أرادوا النطق (بالطاء) أو (بالضاد) تكلنوها ، فأنطأ نخرج بين التاء والطاء كالسلطان والطوفان ، والضاد تخرج كالأزاي المنخمة في نحو رمضان وهكذا : ولما كانت هذه الأحرف معدومة عندهم فهم يستعملون خروفاً^(١) أخرى معدومة في العربية تقتضيا طبيعة لغاتهم ولهذا كان من الضروري لنا أن نذكر هذه الأحرف عند ذكر لغاتها لأنها تكون بمثابة تكملة لحروف الهجاء العربي عندهم .

النقط والحركات

في الخط العربي

الحركات

لما اقتبس العرب الخط من الانباط والسرياني كان خالياً من الحركات والإعجام ، فالحركات فيه حادثة في الإسلام ، والمشهور أن أول من وضعها أبو الأسود الدؤلي المتوفى سنة ٦٩ هـ لما كثرت اللحن في الكلام ، لاختلاط العرب بالاعاجم في صدر الإسلام ، فكانت الحركات إذ ذاك تقطأ بميزون بها بين الضم والفتح والكسر فكانت النقطة فوق الحرف دليلاً على الفتح وإلى جانبه دليلاً على الضم وتحت دليلاً على الكسر . ولم تشتهر طريقة أبي الأسود هذه إلا في المصاحف حرصاً على إعراب القرآن ، أما الكتب العادية فكانوا يفضلون ترك الحركات والنقط فيها لأن المكتوب اليهم كانوا يعدون ذلك تجهيلاً لهم قال بعضهم :

« شكل الكتاب سوء ظن بالمكتوب إليه »

أما استبدال النقط بالحركات الحديثة فالغالب أنه حدث تنوعاً للحركات عن

(١) هذه الأحرف عربية شكلاً لا نطقاً وهم يميزونها بالكتابة عن أشباهها بوضع نقط أو علامات فوق الحرف أو تحته كما سترى بعد .

النقط التي يميزون بها الباء عن التاء خوفاً من الالتباس ، فالحرركات الحديثة وضمت بعد ذلك لتقوم مقام حروف العلة لمساواة الحركات لها فحملوا للضمة التي يشبه لفظها الواو علامة تشبه الواو والتي يشبه لفظها الالف وهي الفتحة علامة تشبه الالف بكنها مستقيمة ومثلها للكسرة من تحت وهكذا (١)

الإعجام

وضبط الحروف العربية

أما الإعجام أو النقط فيظن أنها كانت موجودة في بعض الحروف قبل الاسلام وثبتت ، ولكن المشهور ان اختراعها كان في زمن عبد الملك بن مروان ، وذلك لما كثرت الصحف خصوصاً في العراق والتبست القراءة على الناس لتكاثر الاعاجم من القراء والعربية ليست لغتهم ، فصعب عليهم التمييز بين الاحرف المتشابهة ففرغ الحجاج الى كتابه وسألهم أن يضعوا لهذه الاحرف المتشابهة علامات ودعا نصرأ ابن عاصم الليثي ويحيى بن يعمر المدوني (تلميذي أبي الاسود) لهذا الامر فوضعا النقط أو الاعجام أزواجاً وأفراداً بعضها فوق الحروف وبعضها تحته ، وسمي الإعجام إعجاماً لأن الاعجام في المعنى الاصلي هو التكلم على طريقة الاعاجم كما ان الاعراب هو التكلم على طريقة العرب . وكان الجمهور يكره كما قلنا الإعجام والحركات في الكتابة وينفر منهما ولكن الناس رجعوا بعد ذلك على هذا الرأي حتى كانوا يعدون أهمال الإعجام خطأ في الكتابة ، واستمر الامر على اتباع هذا الإعجام الى الآن .

الكتابة

واتجاه السطور فيها

لم يتقرر لاتجاه السطور في الكتابة نظام الا بعد ترقياها ولذلك كانت الكتابة يدونها الاولون أنى اتفق لايراعون لها نظاما في اتجاه سطورها كما كان عند قدماء (١) راجع محاضرات الاستاذ حفي بك فاضف « تاريخ الادب أو حياة اللغة العربية » ص ٩٦

اليونان فانهم كانوا يكتبون تارة من اليسار الى اليمين وطورا من اليمين الى اليسار وأحيانا يجمعون بينهما .

فلما ترقى الكتابة وتقرر نظامها عند الأمم اتخذت كل أمة منها طريقاً مخصوصاً في كيفية سيرها : فأهل الصين واتباعهم صاروا يكتبون من الأعلى الى الأسفل ومن اليمين الى اليسار على الخط الرأسي ولذلك سميت كتابتهم « بالمشجر » ولهم في ذلك اعتقاد خاص حيث يعتقدون ان الله سبحانه وتعالى موجود في السماء العليا فكل شيء لابد وان يأتيهم من جهته ولذلك صاروا يكتبون من أعلى الى أسفل .

وأهل أوروبا صاروا يكتبون من اليسار الى اليمين لكون الدورة الدموية تبدأ من القلب الموجود في الجهة اليسرى والقلب في بعض الروايات مركز العقل فوجب أن تكون الكتابة من الجهة المقابلة للعقل الذي يستمد منه البنان فلذلك صاروا يكتبون من اليسار الى اليمين .

أما العرب والسريان وغيرهم من الأمم السامية فصاروا يكتبون من اليمين الى اليسار بالنسبة لكون الطبيعة قضت بأن كل شيء لا يعمل الا يمينه اليمنى كما انه لا ينتقل من جهة الى أخرى الا بالرجل اليمنى فلذلك صاروا يكتبون من اليمين الى اليسار ^(١)

فالكتابة العربية الحالية متصلة من القديم وتكتب أينما وجدت من اليمين الى الشمال على السطر الأفقي وقد روى الدكتور بشاره زلزل في كتابه تنوير الأذهان انه « لم تزل بعض الأمم كالصومال تكتب الخط العربي من أعلى الى أسفل (اي على السطر الرأسي) وتقرأه من اليمين الى اليسار » ^(٢) وهذا غريب يحتاج الاثبات .

(١) الكتابة والكتاب للشهيدى وانظر صبيح الأعشى (ج ٣ ص ٢١)

(٢) تنوير الأذهان في علم حياة الحيوان والالسان ص ٢٣٨

الدولة والامان

والسكتان المتضادتان ، الشبهتان بالجمع بين الكفر والايمان

للسلطان عبد الحميد حسنة عظيمة في البلاد العربية ، لا يصدنا عن الاعتراف بها ، ما قيل من نيته فيها وغرضه منها ، الا وهي سكة الحديد الحجازية . التي كان يظن ويقال انه كان الباعث له على انشائها جعل الحجاز كسائر البلاد العثمانية في الخضوع لحكومته ، والتمكن من سوق الجيوش اليها عند الحاجة ، والمعروف من رأي كثير من رجال الدولة ازالة إمارة الشرفاء من الحجاز منهم احمد مختار باشا الغازي . ولا يكون ذلك سهلا مأمون العاقبة الا باتمام هذه السكة . وهذا هو السبب فيما اشتهر من معارضة شرفاء مكة لهذه السكة بين الحرمين الشريفين . كنا ولا نزال نرى أن هذه السكة من أكبر الحسنات ، على علمنا بما هنالك من الاقوال والظنون والنيات ، ولكن للسلطان عبد الحميد سيئة من جنس هذه الحسنة يزيد وزرها على أجر هذه — ان حسنت النية فيها — اضعافا كثيرة لعلها تزيد على سبع مئة ضعف ، الا وهي سكة الحديد الالمانية بين الاستانة والعراق من شروط هذه السكة أن الشركة الالمانية تملك عشرين ألف متر (٢٠ كيلو) عن جانبيها ملكا خالصا ، فمشر ومن ألف متر تمتد من أقصى مغرب المملكة الشمالي الى أقصى مشرقها الجنوبي ، ويكون مملكة كبيرة في قلب المملكة العثمانية ، مساحتها ضعفا مساحة الارض التي تزرع في المملكة المصرية ، وهي منها في أعز مكان ، كالقلب من بدن الانسان ، فكما ان القلب مصدر الحياة للبدن كذلك تكون هذه السكة مصدر الثروة والقوة والعمران في المملكة ، فكيف يعيش من يكون قلبه في قبضة أجنبي عنه . وقد كانت بريطانيا العظمى على قوتها تعد وصول هذه السكة الى الكويت أو البصرة خطرا على مصالحها التجارية في العراق وخليج فارس ، بل خطرا على ممالكها الهندية . أفلا تكون هذه السكة في قلب مملكتنا

خطرا عليها؟ بلى انها وهي لغيرنا أعظم الاخطار لو كانت غفلا من ذلك الشرط ، فكيف تكون مع ذلك الشرط ؟

قرأنا في أثناء هذه الحرب أخبارا عن الألمان تدل على ان امتلا بهم لقليل من الارض في غير بلادهم أعظم خطرا عليها مما كان لا يستنبطه الا أبعد السياسيين رأيا وأشدهم فطنة وحذرا .

قد امتلك بعض الالمانيين أرضا في فرنسا وبلجيكة فظهر بعد الحرب أنها أعدت في وقت السلم لحرب أهل البلاد التي هي فيها ، فكان منها خنادق وسراديب ومواقع لنصب المدافع الضخمة ، حتى قيل إن مكانا أعده رجل ألماني في بلجيكة للعب الكرة في داره ظهر بعد الحرب انه أعد لنصب أثقل المدافع وأقواها ، وأنه وضع على البعد المناسب بينه وبين الحصون البلجيكية وما كان يمكن دكها وتدميرها الا منه .

كنا قرأنا في المقطم ان من شروط التحالف بين ألمانيا والدولة العثمانية أن الاولى لا ترضى بعقد صلح الا اذا اشترط فيه سلامة أملاك الثانية ، وأنها تعطىها خمس الغرامة الحربية التي ترجو أن تأخذها ، على كونها هي التي تقدم لها السلاح والذخيرة والمال لاجل الحرب . وقرأنا وسمعنا أنها وعدتها ببلاد القوقاس وغير القوقاس من البلاد الاسلامية . وكنا نفضل على كل هذه العطايا الثمينة لو اشترطت عليها الدولة أن تبطل من شروط سكة الحديد البغدادية امتلاك عشرين ألف متر عن جانبها . اذا لم يمكن ان تترك لها هذه السكة كلها ، فان كون قلب بلادنا خالصة لنا أهم وأنفع لنا من ضم بلاد أخرى اليها . فلأن أملاك مئة فدان من الارض ما كخالصة أستطيع أن أعمرها كما يجب ، أفضل وانفع لي من ألف فدان فيها حقوق للاجانب الذين يستطيعون من عمارتها ما لا أستطيع ، وينحش أن يؤول أمرها كلها اليهم . على ان بلاد الدولة أوسع من بلاد عدة دول من الدول الكبرى ، فلو عمرت لكانت غنية بها عن سواها

فنحن نتمنى لو تقترح الدولة على حليفتها القوية ان تعطىها هذه السكة أو تلغى من شروط امتيازها ذلك الشرط لتجمل هذا دليلا على اخلاصها في محالقتها ورغبتها في بقائها مستقلة قوية بعد انتصارها معها ، والا كان الخوف منها أكبر من الرجاء فيها ،

تقرير المطبوعات الجديدة*

(المطبوعات التي باسم دار الكتب الخديوية ^(١))

١ - صبح الاعشى في كتابة الانشا

هو تأليف الشيخ أبي العباس أحمد القلقشندي المصري. والمراد بكتابة الانشاء الكتابة الرسمية للملوك والسلاطين، وما يحتاج اليه القائم بها من العلوم والفنون، فهذا الكتاب تاريخ للسياسة والادارة العامة وجميع العلوم والفنون والآداب، ولا يمكن بيان کلیات فوائده والتعريف بمجماع مزاياه الا في مقال طويل لعل المنار يقوم به بعد إتمام طبع الكتاب. وهو يطبع في المطبعة الاميرية بحروفها الجديدة الجميلة على أجود ورق يوجد بمصر. وقد تم من طبعه أربعة أجزاء من القطع الكامل. صفحات (الاول) ٤٨١ والثاني ٤٧٧ والثالث ٥٢٢ والرابع ٤٨٧ وهو يباع في دار الكتب نفسها، وفي مكتبة المنار وغيرها، وثمن كل جزء منه ١٥ قرشا

وهو لا يكاد يزيد عن نفقة الطبع الا قليلا، فنحث كل محب للعلم والأدب والتاريخ الى المبادرة لاقتنائه ومطالعة، أو الإحاطة بما في كل باب وكل فصل من المباحث النفيسة لاجل الرجوع اليها عند الحاجة لمن لا يتيسر له مطالعة الكتاب كله. أو مطالعة ما يرى نفسه أخرج الى معرفته.

ولما كان هذا الكتاب من قبيل الموسوعات التي يطلقون عليها اسم (دائرة المعارف) نترح على دار الكتب أن تجعل له فهرسا عاما مرتبا على حروف المعجم

(*) عهدنا بتقرير المطبوعات الى شقيقنا السيد صالح تخلص رضا

(١) أسست دار الكتب العامة في عهد الخديو اسماعيل باشا بعناية محمود سامي باشا البارودي وسميت الكتبخانة الخديوية ثم سميت المكتبة المصرية ثم دار الكتب الخديوية. ثم دار الكتب السلطانية

٢- الإحكام في أصول الأحكام

تأليف الشيخ العلامة سيف الدين أبي الحسن علي ابن أبي علي الآمدي المتوفى سنة ٥٥١ للهجرة

طبع في مطبعة المعارف طبعا نظيفا على ورق جيد في أربعة أجزاء صفحات الجزء الأول ٤٠٧ والثاني ٤٩٥ والثالث ٤٣٧ والرابع ٣٩٢ ومنه ٤٨ لكل جزء ١٢
الآمدي رحمه الله من أعلام العلماء وأساطين الحكماء له اليد الطولى في الحديث وعلم النظر والخلاف والفلسفة. قال ابن خلدكان: ولم يكن في زمانه احتفظ منه لهذه العلوم. وكان العزيز بن عبد السلام يقول: ما سمعت أحدا يلقي الدرس أحسن منه كأنه يخطب، وإن غير لفظا من (الوسيط) - للفزالي وكان يحفظه - كان لفظه أمس بالمعنى من لفظ صاحبه. وقال العز أيضا: ما علمنا قواعد البحث إلا سيف الدين. وقال أيضا: لو ورد على الإسلام متزندق يشكك ماتعين لمناظرته غير الآمدي. وله مؤلفات في غاية الاتقان والتنقيح منها كتابه هذا (الإحكام) في أصول الفقه. وهو من أبسطها عبارة، وأكثرها تقسيما، وأحسنها ترتيبا، وأجمعها لمسائل الخلاف ودلائلها

وهو كالكتابين المذكورين بمسده من الكتب التي طبعت بعناية أحمد حشمت باشا في عهد وزارته للمعارف، وتطالب كلها من دار الكتب السلطانية ومن مكتبة المنار وغيرها

٣- الطراز، المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز

تأليف «السيد الامام، إمام الأئمة الكرام، أمير المؤمنين يحيى بن حمزة بن علي بن ابراهيم العلوي النجفي» المتوفى سنة ٥٥٩ للهجرة طبع في مطبعة المقطف بمصر طبعا جيدا على ورق أبيض جيد في أربعة أجزاء صفحات الجزء الأول ٤٣٥ والثاني ٤٠٨ والثالث ٤٦٩ ومنه ٣٦ قرشا صحيحا لكل جزء

١٢ قرشا

هذا الكتاب من كتب البلاغة الممتعة، التي ينفق مؤلفوها من سعة ضم بين

قطرية علوم البيان ، وجمع بين دفتيه دلائل اعجاز القرآن ، والمراد بعلوم البيان علوم البلاغة الثلاثة : المعاني والبيان والبديع ، رتب مؤلفه رحمه الله أحسن ترتيب وجاء على مسائله بالشواهد والأمثلة حتى سهل ما تناول من مسائل الفن من أقرب السبيل ، ولذلك قال أنه يرجو أن يكون متميزاً عن سائر الكتب بأمرين : أحدهما ترتيبه العجيب وتنسيقه الذي يطلع قارئه من أول وهلة على مقاصد هذا الفن ، وثانيهما ما فيه من التسهيل والتيسير والابضاح للمباحث الدقيقة . فهو يجري في الايضاح والبسط على نسق امام الفن وواضعه الشيخ عبد القاهر الجرجاني ، وقد اعترف المصنف رحمه الله تعالى بأن عبد القاهر هو الواضع لهذا الفن وأنه لم يطالع على كتابيه فيه ، ولعله لو اطالع عليهما لكان أحسن بيانا وأغزر فوائد . قال : « وأول من أسس من هذا العلم قواعده . وأوضح براهينه وأظهر فوائده ، ورتب أفانينه ، الشيخ العالم التحرير علم المحققين عبد القاهر الجرجاني . فلقد فك قيد الغرائب بالتقييد . وهدى من سور المشكلات بالتسوير المشيد . وفتح أزهاره من أحكامها ، وفتح أزواره بعد استغلاقتها واستبهاها فجاءه الله عن الإسلام ، أفضل الجزاء ، وجعل نصيبه من ثوابه أوفر النصيب والجزاء . وله من المصنفات فيه كتابان ، أحدهما لقبه « بدلائل الاعجاز » والآخر لقبه « بأسرار البلاغة » ولم أقف على شيء منهما مع شغفي بحبهما ، وشدة إعجابي بهما ، إلا ما نقله العلماء في تعاليقهم منها » . اهـ

ثم بين موضوع الكتاب وطريقته فيه فقال :

« ولما كان كل علم لا ينفك عن مبادئ ومقدمات تكون فاتحة لأمره . ومقاصد تكون خلاصة لأمره ، وتكمالات تكون نهاية لحاله . لاجرم اخترت في ترتيب هذا الكتاب أن يكون مرتباً على فنون ثلاثة ، ولعلها تكون وافية بالمطلوب محصلة للبغية بعون الله

فالفن الأول منها مرسوم المقدمات السابقة نذكر فيها تفسير علم البيان ، ونشير فيها إلى بيان ماهيته وموضوعه ومنزله من العلوم الأدبية ، والطريق إلى الوصول إليه وبيان ثمرته وما يتعلق بذلك ، من بيان ماهية البلاغة والفصاحة والفرقة

بينهما . ونشير الى معاني الحقيقة والمجاز وبيان أقسامهما ، الى غير ذلك مما يكون تمهيدا وقاعدة لما نريده من المقاصد

الفن الثاني منها مرسوم المقاصد الثلاثة . نذكر منه ونشير فيه الى ما يتعلق بالمباحث المتعلقة بالمعاني وعلومها . ونردفه بالمباحث المتعلقة بعلوم البيان وأقسامها . ونشرح فيه ما يتعلق به من المباحث بعلم البديع ونذكر فيه خصائصه وأقسامه وأحكامه الثلاثة به بمحونة الله تعالى ولطفه

الفن الثالث نذكر فيه ما يكون جارياً مجرى التتمة والتكملة لهذه العلوم الثلاثة ، نذكر فيه فصاحة القرآن العظيم وأنه قد وصل الغاية التي لا غاية فوقها ، وأن شيئاً من الكلام وإن عظم دخوله في البلاغة والفصاحة ، فإنه لا يدانيه ولا يماثله . ونذكر كونه معجزاً للخلق لا يأتي أحدٌ بمثله . ونذكر وجه اعجازه ، ونذكر أقويل العلماء في ذلك ، ونظهر الوجه المختار فيه ، الى غير ذلك من الفوائد الكثيرة ، والنكت الغزيرة ، التي نلحقها على جهة الردف والتكملة لما سبقها من المقاصد

قالفن الثالث للثاني على جهة الإكمال والتتيم . والفن الاول للثاني على جهة التمهيد والتوطئة والسر واللباب . والمقصد لذوي الالباب . ما يكون مودعا في الفن الثاني وهو فن المقاصد . وأنا أسأل الله تعالى بمجوده الذي هو غاية مطلب الطلاب . وكرمه الواسع الذي لا يحول دونه ستر ولا حجاب . أن يجعله من العلوم النافعة في إصلاح الدين . ورجحانا في ميزاني عند خفة الموازين . إنه خير مأمول ، وأكرم مسؤول .

٤ - الخصائص

تأليف أبي الفتح عثمان بن جني طبع الجزء الاول منه بمطبعة الهلال سنة ١٣٣٢ هـ صفحاته ٥٦٩ منه ١٥ قروش

ابن جني من أساطين أئمة اللغة وفحولها وقد قال فيه الباخريزي في دمية القصر : ليس لاحد من أئمة الادب في فتح المقفلات ، وشرح المشكلات ، ما لا أبي الفتح ، ولا سيما في علم الاعراب . ومن قول المتنبي فيه أيضا : هذا رجل لا يعرف قدره كثير من الناس . وقال الاستاذ الامام من كتاب يعرض فيه بصاحب له وقع

فيه عندما أخذ بتهمة المسألة العراية : وأما فلان فقد أكننته كني ، وأدنته مني ، وجعلته في مكان النحو من ابن جني ، ثم هو يصرح بسببي ولا يكني .

وكتابه هذا [الخصائص] علم وأدب وفقه لغة وفلسفة ، لأنه يعطي المطالع علماً باللغة العربية وأساليبها وآدابها ويلهمه بلاغة بأسلوبه الذي هو في أعلا ذروة منها ومن رأيه في (باب القول على أصل اللغة إلهام أم اصطلاح) ما نصه :

« وذهب بعضهم إلى أن أصل اللغات كلها إنما هو من الأصوات المسموعات ، كدويّ الرّيح . وحنين الرعد ، وخرير الماء ، وشحيج الحمار ، ونعيق الغراب ، وصهيل الفهرس ، وتزيب ^(١) الضبي ونحو ذلك ، ثم ولدت اللغات عن ذلك فيما بعد ، وهذا عندي وجه صالح ، ومذهب مقبلٌ

« وعلم فيما بعد ، أنني على تقادم الوقت ، دائم التنقير والبحث عن هذا الموضوع ، فأجد الدواعي والخوارج قوية التجاذب لي ، مختلفة جهات التغول على فكري ، وذلك أنني إذا تأملت حال هذه اللغة الشريفة ، الكريمة اللطيفة ، وجدت فيها من الحكمة والدقة ، والإرهاق والرقّة ، ما يملك عليّ جانب الفكر ، حتى يكاد يطمح به أمام غلوة السحر ، فمن ذلك ما نبه عليه أصحابنا رحمهم الله ، ومنه ما حدوته على أمثلتهم ، فعرفت بقتابهم واتباعه ، وبعد مراميه وآماده ، صحة ما وقفوا لتقديمه منه ، ولطف ما أسعدوا به ، وفوق لهم عنه ، وانضاف إلى ذلك وارد الأخبار الماثورة ، بأنها من عند الله جل وعز ، أقوى في نفسي اعتقاد كونها توقيفاً من الله سبحانه ، وأنها وحي

ثم أقول في ضد هذا كما وقع لأصحابنا ولنا ، وتنبهوا وتنبهنا ، على تأمل هذه الحكمة الرائعة الباهرة . كذلك لا ننكر أن يكون الله تعالى قد خلق من قبلنا ، وإن بعد مداه عنا ، من كان أطف منا أذهانا ، وأسرع خواطر وأجراً جناناً ، فأقف بين تين الخطين حسيراً ، وأكأثرهما فأنسكفي مكشوراً ، وإن خطر خاطر فيما بعد ، يعلق الكف باحدى الجهتين ، ويكفها عن صاحبتهما ، قلنا به ، وبالله التوفيق » اهـ

(١) التزيب « صوت تيسى الظباء عند السقاد »

أما المذهب الذي تقبله أولاً فهو الذي يرجحه الباحثون في فلسفة الخلق ولغاتهم، وأما ما تعارض رأيه فيه بعد ذلك فهو موضوع آخر، وهو أن ارتقاء اللغة العربية في أبنية كلماتها وقوانين جملها وأساليبها هل كان بمواضعة واصب طلاح من أناس من الأولين بذوا من بعدهم في العلم والفلسفة والذوق؟ أم كان بوحى إلهامي من الله تعالى؟ ولكل رأي وجه، والمعقول أن الله تعالى ألهم تلك النفوس ذات الذكاء والذوق أن تجري في كلامها على سنن ترتقي فيها بالتدريج إلى أن وصلت إلى تلك الدرجات العلى التي بين المصنف خصائصها في كتابه

٥ - الاعتصام

كتاب الاعتصام للإمام أبي إسحق إبراهيم اللغمي الشاطبي ثم الغرناطي الأندلسي المتوفى سنة ٧٩٠

طبع طبعا حسنا على ورق جيد في مطبعة المنار في ثلاثة أجزاء صفحات الأولى منها ٣٨٨ ماعدا الفهرس ومقالة التعريف بالكتاب وترجمة مؤلفه. وصفحات الثاني ٣٥٦ ماعدا الفهرس، وصفحات الثالث ٢٨٠ ماعدا الفهرس وخاتمة الطبع. وثمن كل جزء منها ١٠ و يطلب من دار الكتب ومن مكتبة المنار قد سبق تقرير هذا الكتاب و بيان مزاياه في منار العام الماضي. ونقول الآن اننا لانعلم ان أحدا ألف مثله في بيان حقيقة البدع وأقسامها وأحكامها. فهو ركن من أركان الإصلاح الاسلامي لعله لا يقرؤه مسلم الا ويكره البدع وينفر منها، ويحب السنة ويرغب في الاعتصام بها، على علم وبصيرة تنتقي بهما الشبهات التي راجت والتبست على كثير من المشتغلين بالفقه لا على العوام وحدهم، فهذا الكتاب أعم مطبوعات دار الكتب نفعا لا يستغني عنه عالم ولا عامي من المسلمين

طبعت هذه الكتب للمرة الاولى فهي كنوز علم وأدب قد فتحت للطلابين ورياض فضل أدنيت للناس اجمعين ليبحثوا يافع عمراتها فجزى الله الساعين بطبعها خيرا الجزاء ونفع بها آمين

(انتشار الخط العربي)

تأليف عبد الفتاح افندي عباده صاحب كتاب (سفن الاسطول الاسلامي)
مزيينا بالرسوم والخرط طبع سنة ١٣٣٣ في مطبعة هندية ص ١٦٨ ويطلب من
مكتبة المنار بمصر ومثله ١٢

لعبد الفتاح افندي عباده عناية بالمباحث التاريخية والفنية المبكرة التي لم
تفرد في التأليف في لغتنا من قبل . وقد أتحف أبناء العربية بكتابه (سفن الاسطول
الاسلامي) ثم أبرز لهم اليوم هذا المؤلف النفيس الذي أبان فيه منشأ الخط العربي
وتطوره بتطور المسلمين وما تفرع منه . وأحصى عدد الذين يكتبون بالخط العربي من
البشر فاذا هم ٢٤٣ مليوناً واعلمهم يزيدون فان وثني الهند يكتبون بها كالمسلمين ؛
فكتابه هذا كتاب أدب لا تاريخ .

نعم انه قد اعتمد في معظم مباحثه على ما كتبه علماء أوربة وغيرهم ، وربما
أخطأ بعض هؤلاء العلماء أوربياً أخطأ هو في بعض النقل كتسمية الخط الديواني
الجلي [الخط الديواني الجلي] (انظر شكل ٧ و ٨) ولكنه خطأ يقع في مثله كثير
من الناس . وقد نشر في المنار نموذج من مباحث هذا الكتاب

﴿ تصحيح خطأ ﴾

في ص ٢٣٢ سطر ٤ من الجزء الرابع من آية « وارزقهم الثمرات » والصواب
« وارزقهم من الثمرات » وفي الصفحة الاولى من الجزء الخامس غلط في عنوان
التفسير صوابه هكذا (علاوة في بيان أن الزيادة على نصوص الشارع) الخ
وفي الصفحة ٣٨٧ منه عبارة لم تؤد المعنى المراد منها وهي قول حسن افندي
كل في السطر الرابع من مقالة « وطبقت قدر استطاعتي بين الكثير من ألفاظه
على ما يقابلها » الخ . والمراد انه بين موافقة الكثير من ألفاظ الأثر للغة العربية .
وكلمتي (من حكمه) من ص ٣٨٨ س ٢٥ هما زائدتان أي وربما كان فيه
ألفاظ أخرى موافقة للعربية تعلم بمراجعة معاجم هذه اللغة

فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه
أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب

المعراج

١٣١٥

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد
أوتي خيرا كثيرا وما يذكر إلا أولو الألباب

قال عليه الصلاة والسلام : ان الاسلام صوى و مناراه كنار الطريق

مصر ٣٠ رمضان ١٣٣٣ - ١٨ الأسد (ص ٢) ١٢٩٣ هـ ش ١٢ أغسطس ١٩١٥

البرهان

على

خروج تارك الصلاة ومانع الزكاة من الإيمان^{*}

جمع أدلته من الكتاب والسنة محمد علي أبو زيد
الطالب بكلية دار الدعوة والارشاد

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله أنعم علينا بالإسلام ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد
الذي قام بتبليغ الدين خير قيام
أما بعد فإن الصلاة والزكاة أهم أركان الدين ، وأعظم الشعائر للمسلمين ،
يهما تزكية النفوس ، وصلاح حال الجمهور
جمع الله تعالى كل الخير فيهما ، لأن من اتصف بهما يتصف بكل
فضيلة سواهما

فمن تركهما فلا حظ له في الإسلام ولا الإيمان ، فهلم اسمع في ذلك
نصوص القرآن

(*) المنار : قرأنا هذه الرسالة كلها ، وانتقدنا على كاتبها مسائل منها ، وبيننا رأينا في
تصحيحها وإصلاحها ، قولاً وكتابة ، على أن يكون مستقلاً في ذلك ، يأخذ بما أخذ
ويترك ما يترك عن بينة ، كما هو شأننا مع تلاميذنا ومريدينا ، لأجل هذا نشر في حواشي
الرسالة إلى المهتم بما بقي من خطأ أو ضعف فيها

ولا قدم لك تعريف الصلاة والزكاة ، ومقصود الشارع الحكيم
منهما ، على طريق السؤال والجواب ، عسى أن تأنس به ، وترتاح نفسك
إلى تدبره ، فارغني سمعك ، واستعمل عقلك
س ما حقيقة الصلاة ؟

ج هي مناجاة الله تعالى وذكره ودعاؤه والخضوع له بالصفة المأثورة
عن النبي صلى الله عليه وسلم

س لم جمعات الصلاة بالكيفية المخصوصة ، ولم تترك إلى اختيار المؤمن؟
ج لا يتشعب الخلاف بين الناس فيها ، فيفوت غرض الدين من
اتحادهم عليها ، المساعد لهم على الاتحاد في غيرها
فالناس كلما كثر ما يشتركون فيه كان اتحادهم عليه أقوى ،
وانجذابهم بعضهم إلى بعض أقرب وأمتن

س ما دليل وجوبها ، وحكمة مشروعيتها ؟
ج قال الله تعالى في سورة العنكبوت (وأقم الصلاة إن الصلاة
تنهى عن الفحشاء والمنكر)

س كيف تنهى عن الفحشاء والمنكر ؟
ج أنظر إلى نفسك حين تواجه القبلة وتتهياً لإقامة الصلاة ،
فتستفتحها بقولك : الله أكبر ، ألا تراك ملئت خشية لذكرك ربك
وكبرياءه ، وغشيتك السكينة لوقوفك بين يدي سيدك ، مستصغراً كل
شيء دونه ، وغاضاً الطرف عما سواه

فاذا قرأت الفاتحة ذكرتك معانيها بالهك الذي خلقك بقدرته ،
وربك الذي ربك على نعمه - ربك لا يستبد بك ، ولا لينتفع منك ، بل

ليجعلك موضع رحمته ، ومحل فضله واحسانه ، وهناك ترى سيداً عظيماً ،
ومالكا للجزء وحيداً ، جميع الكون في قبضة يده ، وكل العالم تحت تصرفه
وقهره ، لا إرادة فوق إرادته ، ولا ينفع أحد أحدا عنده ، فينبأ
أنت ترجو رحمته ، إذا بك تخاف عذابه ، قوته فوق الاسباب ، فلا تجد
ملاجاً الا اليه ، ولا تستعين الا به ، فهو الذي يهديك طريقه المستقيم ،
ويأخذ بيدك فيه ، ما دمت فيه ، مرافقاً لاهله الذين أنعم عليهم من النبيين
والصديقين والشهداء والصالحين ، بعيداً عن طرق المعاندين والخيبرانيين ،
المغضوب عليهم والضالين ، أضف الى ذلك ما في ركوعك وسجودك ،
وقيامك طوعاً أمراً وقعودك ، كل هذا يقيم الصلاة يؤثر فيك تأثيراً ،
ويأخذ منك مأخذاً كبيراً ، فلا تلبث أن تتربى في نفسك ملكة المراقبة لله ،
تثبتك على صراطه ، وتقيك الوقوع في عصيانه ، فإذا مسك طائف من
الشيطان ، أو دعاك داع من الشهوة الى العصيان ، ناداك صوت من ضميرك :
اذكر ربك واتقه ، واحذر أن يراك ، حيث نهاك ! فإذا انت من المبصرين
س يظهر من هذا أن المرء اذا حافظ على اقامة الصلاة تصفو نفسه ،
وتحسن أخلاقه ؟

ج من غير شك ، وذلك هو مقصود الدين من تكرار الصلاة كل
يوم خمس مرات ، وتدبر القرآن فيها

وقد علمت أن الله لم يسقطها عن المؤمنين وهم في مقاتلة أعدائهم ،
ولا عن المرضى وهم في مرض موتهم ، وما ذلك الا لحاجتهم اليها ، وعدم
استغنائهم عنها ، فانها تشجعهم ، وتجعلهم أكثر تحملاً للمشاق ، واقوى
صبراً على الشدائد ، واقرب الى الرجاء ، وأبعد عن اليأس

س صلينا كثيرا فلماذا لم تنهنا صلاتنا عما نحن فيه من المنكرات ؟
 ج سبب ذلك أننا لم نلاحظ المقصود منها ، ففقلنا عن التدبر
 والخشوع فيها ، فما لنا من الصلاة الآن الا اسمها ، وليس في مساجدنا
 منها الا صورتها ورسمها

وان شئت فقل : انها أصبحت عندنا عادة من العادات ، التي يقد
 فيها الولد اباه وغيره ممن ينشأ فيهم

وقد وصل الجهل بناس الى أن يتركوا الصلاة طول حياتهم ، اعتمادا
 على أنه يمكن اسقاطها عنهم بعد مماتهم بالطريقة المشهورة باسقاط الصلاة
 - ذلك بأن يؤتى بمن يسمونهم فقهاء ، وهم قراء القبور ، الذين
 اتخذوا القراءة على القبور ، والصياح في الجنازات بنشيد البردة وغيرها
 صناعة فيحسبوا ما ترك الميت من الصلوات في سني عمره ، ثم يطاف عليهم
 بصرة فيها عدد من النقود ، فيقبل كل منهم أن يتحمل عددا من تلك
 الصلوات عن الميت نظير مبلغ يأخذه مما في الصرة ، حتى اذا تحمل الجميع
 ما على الميت من الصلوات ، فرق عليهم عدد النقود ، وبهذا يزعمون أن
 الصلاة سقطت عن الميت ، وان الله عفا عنهم تحملوها

وفي هذا من العجب ما ترى ، وقد ذكرته ليظهر لك كيف يؤدي
 الجهل بحكمة الله الى اصابة شرعه والاستهزاء بدينه ، وكأن هؤلاء لم
 يعقلوا أن تارك الصلاة قد صدئت نفسه ، وتلوثت روحه ، فلم يعد يستحق
 مقام الكرامة ، و (أن لا تزر وازرة وزر أخرى * وأن ليس للإنسان الا
 ما سعى) فهل للقبوريين عهد من الله أن يقبل منهم ما يقبلون ، ويحط عنهم
 ما يتحملون ؟ فرحمك اللهم ! فان القوم لا يمامون ، وعسا هم عن ذلك يرجعون

س عرفنا الصلاة فما معنى الزكاة ؟

ج الزكاة جزء من مال الأغنياء ، يصرف في مصالح المسلمين ، كالفقراء والمساكين ، وأبناء السبيل والفاقرين ، وغير ذلك من مهمات الدين .

س ما دليل وجوبها ، وحكمة شرعيتها ؟

ج قال الله تعالى في سورة براءة (خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها)

س ما معنى التطهير والتزكية بها ؟

ج (ان الانسان ليطغى أن رآه استغنى) فكلما كثر جمعه للمال ، زاد حبه له ، وطمعه فيه ، حتى لا يؤثر شيئاً عليه ، ولا يكون له هم في سواه ، فتقطع الملائق بينه وبين الله ، فتخبث نفسه ، فيكسب المال من أي وجه حلالاً كان أو حراماً ، فاذا هو جعل نصيباً من ماله لله على حبه إياه ، استعجى أن يكسبه من طريق يبتغيه الله ، وكان حب الله في نفسه متغلباً على حب المال ، فهذا ينظف النفس من الأرجاس العالقة بها ، ويزكيها بإتمام الفضائل فيها

وهذه تزكية روحية ، وهناك تزكية أدبية اجتماعية — وهي أن الأغنياء الذين يقبضون أيديهم عن الفقراء يعرضون أموالهم للأساب ، وأعراضهم وأنفسهم للإهانة ، لأن الفقراء يبتغونهم ، ويكيدون لهم ، وإذا اشتد الجوع بهم ولم يجدوا وسيلة لسد الرمق إلا بالاعتداء على أموالهم والأشخاص اعتدوا ، ولا يخفى ما في ذلك من الخلل الأمن وتزعزع النظام ، فيمسي الأغنياء ويصبحون لا يهدأ لهم بال ، ولا يرتاح لهم ضمير ، فيموتون أو يموت الفقراء جوعاً وذللاً ، وكل ذلك — كما تعلم —

سبب في ضعف الامة وانقراضها ، فاذا هم بذلوا وأنفقوا حفظوا حياتهم ،
وهدهوا روعهم ، وجعلوا الفقراء إخوانهم ، يهتمون لهم ، ويتعاونون
معهم ، فيسقط أيديهم يتبدل ضعفهم قوة ، وتنقلب قلوبهم كثرة ، أضف
الى ذلك ما يتوفر للامة فيصرف في منافعها العامة ، ومصالحها المدنية ،
وما يعود عليها من بسط الامن في ربوعها ، وتوثيق عرى المحبة بين
أفرادها . وحسبك دليلا على ذلك أن المسلمين لما تهاونوا في إخراج
الزكاة انحلت رابطتهم ، وتأخرت مدنياتهم

س إذا كان في الزكاة ما ذكرت من رابطة الود بين الافراد ، ومن
مصلح جماعة الامة ، وكانت بذلك من أعظم أركان العمران ، فما بالتنا
نرى الإفرنج وقد استبحر عمرائهم ، وليس عندهم زكاة مثلنا ؟
ج لملك لم تنظر الى ما عندهم من الجمعيات الخيرية ، والملاجئ
والمستشفيات المجانية ، وغير ذلك مما يقصد به تحسين حال اليتام والفقراء ،
وغير ذلك من المنافع والمصالح ، وهل هذا الا بمعنى الزكاة عندنا ؟ وهل تقوم
لامة قائمة من غير أن يكون فيها هذا الركن الاقتصادي العمراني الجليل ؟
ألا تعجب حينما ترى الإفرنج يعرفون قيمة هذا الركن ، وقومنا
عنه غافلون ؟ ألا يزيد عجبك عند ما تسمع مقلدة الفقهاء يعلمون الناس
إسقاط فرضية الزكاة بما يوحى اليهم الشياطين من الحيل ؟ ولملك شاهدت
كثيرا ممن يجب عليهم زكاة المال ، يأتي قبيل الحل الذي يجب بحلولة
الزكاة فيتنازل لامراته عن ماله ، ثم بعد أن يفوت الحل يستوهبها
إياه ، ويرغم أنه بذلك قد خرج عن دائرة المالكين فلم يكاف ، وأن
حيلته صحت عند الله

وأغرب من ذلك أن الرجل يضع زكاة ماله تقودا في داخل كمية من الحبوب ، ويأتي ببعض المستحقين فيعرض عليه تلك الكمية من الحبوب من غير أن يريه المال المدفون فيها ، فيقول له : هذه زكاة مالي فاقبلها. وبعد قبوله إياها يزاعها منه بضعف ثمنها، فيفرح المسكين، ويرجع المكاف بدفع الزكاة زاعما أنه قد تخلص منها، ولم يعد يسأل عنه

فيا حسرة على هؤلاء الذين فضلا عن تضييعهم للشريعة ، وقضائهم على أحكامها ، قد هزثوا بربهم ، وسخروا بخالقهم ، فاكسبوا جرمتين بعملهم هذا ، إحداهما تضييع دينه ، والاخرى الاحتيال عليه ، (وما الله بغافل عما يعمل الظالمون ، إنما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الأبصار) يوم يتفاضم الفقراء والمساكين ، ويحكم الله بينهم وبين المستحقين ، يوم يحصى على أموالهم في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم ، وقال لهم : (هذا ما كنزتم لانفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون)

حكم تارك الصلاة والزكاة

س حسبنا ما وقفنا عليه من معنى الصلاة والزكاة ، وما وراءهما من المنافع ، وما انطوتنا عليه من الحكم. فما حكم تارك الصلاة ، أو مانع الزكاة؟
ج كلاهما معرض عن الاسلام ، هادم لأعظم أركانه ، وقد ذهب جماهير العلماء الى وجوب قتله ان لم يتب — قيل كفرا وقيل عقوبة ، وقد أجمع الصحابة رضوان الله عليهم على قتال مانعي الزكاة . والخلاف في كفر تارك الصلاة أقوى

س كيف يعد تارك عبادة من عبادات الاسلام مرتدا عن الدين ، تارك كاله ؟

ج لأن الاسلام ليس له معنى الا الانقياد لله تعالى ، فيما يزكي النفوس ، ويصلح الاجتماع ، وذلك انما يتجلى في الصلاة والزكاة — كما علمت — وغيرهما تابع لهما ، بل من أقام الصلاة وحدها ، أقام كل أمر بعدها

س هذا صحيح وفهمناه مما سبق ، فإين الادلة ، على أن تارك الصلاة أو مانع الزكاة خارج عن الملة الاسلامية ؟

ج ذكر الله سبحانه الصلاة والزكاة في أكثر من خمسين موضعاً من كتابه ، وكلها يدل على الاهتمام بهما ، وبناء الاسلام عليهما ، غير أننا نكتفي هنا بذكر الصريح من الآيات في موضوعنا فنقول :

ما جاء في الصلاة وحدها

من ذلك قوله تعالى في سورة الروم (فطرة الله التي فطر الناس عليها ، لا تبديل لخلق الله ، ذلك الدين القيم ، ولكن أكثر الناس لا يعلمون * منيبين إليه واتقوه وأقيموا الصلاة ولا تكونوا من المشركين * من الذين فرقوا دينهم) الآية ، وفي قراءة « من الذين فرقوا دينهم » فانظر كيف أراك عز شأنه أنه لا يعدل عن إقامة الصلاة الا المشركون ^(١) ولا يتصف بها الا المتقون ، من أقامها صاحب الدين ، ومن لم يقمها فارق الدين ، فهي الصفة المميزة ، والحد الفاصل بين المسلم والمشرک

(لها بقية)

(١) المنار: الآية لا تدل على هذا الحصر ، ولا هو صحيح في نفسه ، ولا تدل على الحصر الذي ذكر بعده وان كان معناه صحيحاً

مَدِينَةُ دَارِ الدُّعْوَةِ وَالْإِسْتِثْنَاءِ

دروس سنن الكائنات

محاضرات علمية طبية إسلامية للدكتور محمد توفيق صدقي

٩

الراحة والتعب

النوم والرياضة الجماعية

النوم - جميع أعضاء الجسم تحتاج للراحة بعد العمل ، ذلك بأن المواد الضرورية لحياتها تقل شيئاً فشيئاً بسبب العمل ، وكذلك تتراكم فيها فضلات الاحتراق ، فبالراحة تجمع من الدم مواد أخرى صالحة لتغذيتها وتخرج إليه تلك الفضلات المؤذية . وأعظم أنواع الراحة واشدها نفعا للجسم النوم ، ففيه يبطل عمل المخ الا فيما ندر (كالأحلام) ويقل ورود الدم اليه وتقل حركات التنفس والنبض فتستريح الرئتان والقلب ، وكذلك يقل افراز جميع الاعضاء الاخرى كالبول مثلاً وترتخي جميع العضلات ، وبذلك تحصل الراحة لها ولجميع الاعصاب والاعضاء فتتجدد قوى الجسم ويتعشش بسببه

قال بعض العلماء ان المخ في أثناء النوم يكون محتقناً بالدم ، ولكن هذا غير صحيح فان الدم انما يكثر وروده الى الاعضاء وقت العمل ، وأما في زمن النوم فيقل الدم من المخ وغيره ويهرب السائل الذي تحت الغشكوتية الى القناة الفقرية واذا أريد جاب النوم لشخص مصاب بالارق فأحسن طريقة له أن يجتهد الانسان في تحويل الدم عن المخ بأن يترك الشخص التفكير ويصب الماء البارد على دماغه ويفسل جسمه بالماء الساخن أو يضع قدميه فيه أو يتعب نفسه بمثل

المشي وغيره فان ذلك يجذب الدم الى العضلات والاطراف، ولمثل هذا السبب يميل الشخص الى النوم عادة بعد الاكل بسبب ذهاب الدم الى المعدة ومدة النوم تختلف بحسب السن ففي الاطفال المولودين حديثا تستغرق اليوم كله تقريبا ١٢ ساعة، وفي الغلمان قد تمتد الى ١٢ ساعة، وفي الفتيان تكون نحو ٩ ساعات، وفي الشبان من ٧ الى ٨ ساعات، وفي الشيوخ تكون من ٥ الى ٦ ساعات. وأحسن وقت للنوم هو الليل بين ذهاب الشفق وطلوع الفجر أي بعد صلاة العشاء وقبل صلاة الفجر، فان هذا الوقت تكون الظلمة فيه أشد والسكون شاملا للبلاد فلا ينبه المخ بمنبه يقلق راحته. ولا يحتاج الانسان للنوم في النهار الا في زمن الصيف وذلك لقصر الليل وطول النهار واشتداد الحر فيه فيتوارد بسبب ذلك الدم الى الجلد، ولذلك يميل الانسان الى النعاس في الحر. ويستحسن أيضا أن يكون هذا النوم بعد الظهر في مكان بعيد عن الضوضاء وأن يوجد الانسان فيه ظلمة بقدر الامكان بارخاء ستائره مثلا. وهذا النوم هو ما يسمى بالقيولة

وفي التبكير في القيام فوائد عظيمة منها فوائد اقتصادية كزاولة الاعمال المختلفة قبل فوات الوقت بسبب قصر النهار في الشتاء أو فواته بسبب اشتداد الحر في الصيف وعدم تمكن الانسان من العمل، ومنها فوائد صحية أهمها الخروج من المكان الذي بات فيه الانسان الى هواء أصبح فينتعش جسمه بشم نسيم السحر. ومن ذلك تجدون أن فرائض الشريعة الاسلامية في الصلاة موافقة لمصالح الناس الاقتصادية والصحية، على فوائدها الروحية التهذيبية

ويجب أن تكون غرفة النوم خالية من الاثاث بقدر الامكان، وأن تكون أرضها خشبية وطلاؤها بالجير فقط، وتكون بعيدة عن الروائح الكريهة وتسخاها الشمس بالنهار وكذلك الهواء ليلا ونهارا. ولا يصح طلاؤها بغير الجير أو نحوه فان المواد الاخرى البيضاء أو ذوات الالوان تشتمل عادة على الرصاص أو الزرنيخ والنحاس، وهذه المواد تنتشر في هواء الغرفة فتسم جسم الانسان وباستمرار استنشاقها تحدث له أعراض قد تكون خطيرة. ويجب أيضا أن تكون الغرفة جافة فان استنشاق هواء الغرف الرطبة يؤدي الى اعتلال الصحة حتى قد تصاب الاطفال

بالدقير يا اذا سكنت في بيوت حديثة البناء حديثة الطلاء . فيجب اتقاء السكنى في هذه المنازل الا بعد تمام جفافها

هذا ولا يخفى أن الهواء الذي يستعمل في التنفس أو في الاحتراق هو أخف لسخوته من الهواء الذي لم يستعمل فلذا يصعد الى أعلى الحجرات . ولذلك كان من الواجب أن تفتح بعض النوافذ بقرب السقف . والتجربة المشهورة المثبتة لصحة هذه النظرية أن يأتي الانسان بشمعة مشتعلة ويمسكها بيده ويقف على باب الغرفة المسكونة ويضعها عند الباب بقرب الارض فيجد أن الشمعة تندفع الى داخل الغرفة بسبب دخول الهواء من هذا المكان ، فاذا أمسك الشمعة في أعلى الباب وجد أن الشمعة تندفع الى الخارج بسبب خروج الهواء من الغرفة ، واذا أمسك بها في منتصف الباب وجد أن الشمعة تثبت في مكانها

ومن ذلك يعلم أن الهواء يدور في الغرف ويخرج من أعلاها — كما قلنا — وينبغي أن لا ينام الانسان في تيار الهواء امام النافذة التي يدخل منها فان ذلك يحدث برودة عظيمة في الجسم تؤدي الى بعض الامراض . ويستحسن أن تكون النوافذ التي يدخل منها الهواء أعلى من رأس الانسان أي على علو نحو تسع أقدام ، وأن تكون نوافذ التصريف ملاصقة للسقف

وينبغي أن لا يبقى أحد في غرفة النوم نهرا لئلا يفسد هواؤها وأن تترك نوافذها مفتحة ليدخل منها الهواء والشمس ، ولا يجوز أن يوضع فيها ليلا أزهار ولا أشجار ، وكذلك لا يجوز أن تكون محاطة بجدران غناء ، فان النبات من نجم وشجر — وان كان ينقي الهواء في النهار — يتنفس في الليل تنفس الحيوان فيمتص أكسجين الهواء ويفرز ثاني أكسيد الفحم وبذلك يفسد الهواء . ويجب عدم وضع حيوانات في غرفة النوم فانها أيضا تفسد الهواء بتنفسها وقد تنقل الى الانسان بعض الامراض كالقرع والارضة الجلدية فانهما يصيدان القطط والكلاب ، والدقير يا تصيب القطط كثيرا وفي بعض الكلاب ديدان تخرج أيضا اذا وصل شيء منها الى بطن الانسان أحدث عنده أكياسا عظيمة في السكبد أو غيره ومن أوجب الواجبات أن بطفأ السراج وقت النوم كما وصى بذلك رسول

الله (ص) فإن النار من أشد ما يفسد الهواء بل قد تقتل الشخص بالاختناق ،
على أنها قد تحدث الحريق ، وفي إيقادها اسراف وضرر فان مجرد وجود النور في
الغرفة مما يقلق راحة المخ

أما النور الكهر بائي الصادر من بعض المصابيح — وهي المغلقة اغلاقا تاما —
فانه لا يحدث أي إفساد للهواء وهو أيضا أبعد عن إحداث الحريق من سائر أنواع
النور الا أن في الاستضاءة به اسرافا كبيرا وهو يقلق راحة النائم أيضا
ومن القواعد الصحية أن لا ينام الانسان الا على الاسرة، وحكمة ذلك أن
يكون أبعد عن الرطوبة والاقذار وعن الدواب المؤذية كالعقارب وكذا عن استنشاق
الهواء الفاسد ، فان غاز ثاني أكسيد الفحم الذي يتولد من الاحتراق والتنفس
هو أثقل من الهواء ولذلك يكثر بقرب الارض . وينبغي أن يحيط بالاسرة
ما يسمى عندنا بالناموسية (الكلاة) وذلك لمنع البعوض فانه يذهب النوم عن الانسان
وقد ينقل اليه الملاريا — كما سبق — ولا بد أن يكون الفراش نظيفا جدا خاليا من
جميع الحشرات لما سبق بيانه في باب النظافة

والانسان أن ينام على أي جنب شاء بحسب راحته، ولكن التزام جانب
واحد قد يؤدي الى ضرره فاذا التزم الانسان الجانب الايمن مثلا حصل احتقان
في أجزاء الجسم اليمنى فتختل الموازنة التي بين جهتيه وتتعب الرئة اليسرى وتكون
الجهة اليمنى من الدماغ عرضة للاحتقان وربما أدى ذلك الى الفالج اذا كان الشخص
مستعدا له كأن كان كبيرا وشرايينه متصلبة ، وكذلك الحال اذا التزم النوم على
الجهة اليسرى. فالاحسن ان يتقلب الانسان في الفراش، ولكن يفضل الاكثر
من النوم على الجهة اليمنى خصوصا اذا كان في المعدة طعام فان ضغط الكبد والمعدة
على الحجاب الحاجز وعلى القلب يعوق حركة التنفس ويضايق الانسان ، ويتعسر
أيضا خروج الطعام من المعدة لان البواب في جهتها اليمنى . والنوم على الظهر
يسبب الشخير والاحتلام فالأولى تركه الا قليلا ، ولا يجوز النوم على الوجه فإن
ذلك يسبب ضغطا على الاحشاء يضر الانسان ويضايقه. ولا بد من وضع الرأس
على شيء عال كالخدة بحيث تكون في محاذاة الجسم لمنع احتقان الدماغ

وكذلك ينبغي للانسان أن لا ينام على طعام كثير فان النوم يعوق حركة الهضم وافراز العصير المعدى و يتعب المعدة في وقت يجب أن تسريح فيه جميع الاعضاء ، هذا فضلا عن كون ضغط المعدة وهي ممتلئة بالطعام على الحجاب الحاجز يحدث ضيقا يتسبب عنه الكابوس والاحلام المزعجة أو الاستيقاظ فجأة كأن الانسان يخاف من الموت العاجل ولا سيما اذا كان مصابا بالربو (ضيق النفس) أو بمرض في القلب أو الرئتين ، والأحسن أن يكون النوم بعد تمام الهضم في المعدة أي بعد نحو أربع ساعات

وينبغي أن يكون الرأس منطى بغطاء خفيف لمنع توارد الدم بكثرة الى المخ ، ويرى بعض الناس ان الأحسن كشفه . ولا يجوز بحال من الاحوال ان يغطى الوجه . أما الجسم والاقدام فيجب ان تدفأ جيدا فان ذلك يمنع تأثير البرد الضار ويجلب النوم أيضا

واذا عرق النائم وجب عليه تغيير ملابسه بغيرها عقب الاستيقاظ مباشرة ولا بأس من وضع إناء في حجرة النوم للتبول فيه (بمسوكلة) كما كان يفعل ذلك رسول الله (ص) فان القيام الى مكان بعيد لاجل البول قد يحدث أرقا ويعرض الانسان لضرر البرد وغيره ، وذلك الضرر - لاشك - أعظم من استنشاق بعض تلك الرائحة التي تنبعث من البول

ومن المستحسن أن يبيت الانسان في فراش وحده لما تقدم بيانه ، وأيضا فإن المبيت مع الزوجة في فراش واحد يحرك الشهوة فيضطرب الانسان الى الاسراف في الجماع وفي ذلك ضرر عظيم

هذا ومن الناس من يقوم ويمشي في أثناء نومه ويأتي بأعمال عديدة لا يقدر أن يأتيها في اليقظة كالمشي على حائط مرتفع ، وهذه الحالة قلما تحدث الا للمصابين ببعض الامراض العصبية كالمريض المسمى بالهستيريا ^(١) ويسمى هذا النوع من النوم (بالجولان النومي) (Somnambulism)

(١) مرض يصيب النساء كثيرا وكان القدماء يظنون أنه من آثار أمراض جهازهن التناسلي فلذلك سموه بهذا الاسم المشتق من اسم الرحم باليونانية

الاحلام وعلم الغيب

الاحلام معروفة والظاهر من الكتب المقدسة خصوصا القرآن أن ما يراه الانسان في النوم قد يكون مطابقا للواقع أو لما سيقع كما يستفاد من سورة يوسف مثلا، وورد في حديث أن الاحلام ثلاثة (١) هو اجس النفس و (٢) وسوسة الشيطان و (٣) الرؤيا الحق، وقال صلى الله عليه وسلم « رؤيا الرجل الصالح جزء من ست وأربعين جزءا من النبوة » أي فهي تشبه أن تكون جزءا من الوحي وسبب الاحلام الفسيولوجي هو بقاء بعض خلايا المخ يقظة في أثناء النوم هذا واعلم أن الغيب حقيقي واضافي - فالحقيقي هو ما ليس له وجود في الكون مطلقا ولا يمكن الاستدلال عليه بشيء موجود. وهذا الغيب الحقيقي هو الذي استأثر بعلمه الله تعالى فلا يعلمه أحد الا باعلام من الله. وليس كل ما غاب عنك وهو موجود يعتبر غيبا حقيقيا فإن الانسان خصوصا في العصر الاخيرة أمكنه العلم بأشياء غير واقعة تحت حواسه، ومن أمثلة ذلك تلغراف ماركوني^(١) (Marconi) أو التلغراف اللاسلكي، وهو مبني على نظرية شهيرة في العلم الطبيعي وهي أن هذا العالم مملوء بالاثير، ولولا وجود هذا الاثير ما أمكن الجسم أن يؤثر في جسم آخر بعيد عنه، ففي هذا الاثير تحصل موجات عديدة ينشأ منها النور والكهرباء والجذب وغير ذلك. فلهذا التلغراف آلتان آلة تحدث الموج الكهر بائي والاخرى تتأثر به مهما بعدت عنها. فان هذا التأثير الكهر بائي يسري في الاثير

وكذلك عرفت الآن أشياء تخترق حجب المادة الكثيفة وتصل الى باطنها بواسطة الاثير أيضا مثال ذلك أشعة الراديوم وأشعة رونتجن Röntgen وهو عالم ألماني من مدينة ورزبرج Würzburg اكتشفها في سنة ١٨٩٥ م وهي عبارة عن أشعة لم يعرف كتبها تنبعث من القطب السالب اذا مرت الكهرباء في أنبوبة مفرغة وهي لا تضيء فلا ترى ولكنها تخترق كثيرا من الاجسام فتترسم صورها على حائل يوضع خلفها، وهذا الحائل مصنوع من لوح زجاجي مغطى بمادة كيمياوية هي بلاتينو - سينور - الباريوم Platino-cyanide of Barium أو البوتاسيوم

بدل الباريوم أو غيره، وفوقها غطاء من الورق يوضع عليه الجسم المراد رؤيته. ومن خواص هذه المادة أنها تضيء إذا مرت فيها تلك الأشعة المظلمة، فإذا وضعت اليد مثلاً أمام هذه الأنبوبة المفرغة خرجت الأشعة منها واخترقت اللحم والشحم وغيره فيرتسم ظل العظم على الوجه الزجاجي للحائل لأن العظم يقاوم مرور الأشعة فيه أكثر من غيره من الأنسجة الرخوة فيظهر مظلاماً. ويمكن طبع الظل وحفظه بطريقة التصوير الفوتوغرافي حتى بدون واسطة الحائل المذكور. ومثل هذه الأشعة في تأثيرها أشعة الراديوم وهو عنصر اكتشف حديثاً تنبعث منه أشعة متنوعة كالهرباء والحرارة والنور وأشعة تحترق الحجب كاختراق أشعة رونتجن. ولجلجل مكتشف هذه الأشعة الأخيرة بحقيقتها سماها أشعة X أو الأشعة المجهولة كما تقول في اللغة العربية لكمة الحساب المجهولة في بعض المسائل الرياضية الكمية (س)

إذا علم ذلك أمكننا الآن أن نشبه مخ الانسان بألة كهربائية تنبعث منها في أثناء العمل تموجات مخصوصة كتتموجات تلغراف ماركوني وهذه التموجات قد تتلقاها مخاخ بعض الناس بعد أن تنفذ إلى باطن جماجمهم، ومن المعلوم في علم الفسيولوجيا أن جميع أعمال الجسم الكبيرة والصغيرة ليست إلا حركات متنوعة في ذراته وفي جواهره الفردة. ففي أثناء النوم إذا انقطع عن الانسان ما يشغله مما يوجد في هذا العالم واستراح مخه كان حينئذ صالحاً لتلقي بعض تموجات أثرية مما ينشأ من حوادث هذا العالم، ف رؤية شخص لشخص يمشي في مكان خطر أو يسقط في البحر مثلاً قد تكون مطابقة للواقع ونفس الامر، هذا في الاشياء الحاصلة في العالم، وقد يستدل من بعضها المخ على البعض الآخر الذي لم يوجد فيخيل له أنه واقع بالفعل فبراه، ولكن كل ذلك لا يدل على أنه علم الغيب بمقتضى التعريف السابق أما حوادث العلم في المنام بالغيب الحقيقي فلا يمكن تعليلها بهذا التعليل السابق وإنما هي من إلهام الله لبعض النفوس الصافية فإن الغيب الحقيقي لا يعلمه إلا الله كما نص على ذلك القرآن وهو الذي يطلع من يشاء من عباده على ما يشاء فلا يعلمه أحد من ذاته بل بأعلام الله، ومثل ذلك الوحي والنبوة (اقرأ آخر سورة الجن)

والاحلام منها ما يحدث بسبب وداعية ومنها ما يحدث بغير سبب معروف .
والسبب اما أن يكون كثرة اشتغال العقل بشيء في اليقظة واما أن يكون شيئاً طرأ
على الانسان في نومه، كأن توضع شمعة مشتعلة أمام عين النائم فانه ربما يحلم بحريق
أورعد أو برق أو نحو ذلك

ويؤيد ما قلناه في الاحلام وما تذيى به من الغيب مسألة التنويم المغنطيسي
التنويم المغنطيسي

يحدث هذا التنويم لاناوع الحيوانات المختلفة اذا انحصر فكرها في شيء واحد
مخصوص وأطاعت النفس شعورها بالميل لهذا النوع من النوم، فاذا حصر الانسان
أو غيره فكره في جسم مضيء مثلاً حصل له هذا النوم ، وكذلك يمكن تنويم
مثل الديكة والخيول وغيرها ، وينوم الديك برسم خط طويل امام عينيه ويوضع
مقاربه عليه ويمسك برأسه في هذا الوضع مدة فانه ينام نوما مغنطيسيا . ويمكن
أحيانا تنويم الاطفال الرضع بإلقاءهم على ظهورهم
والنائم هذا النوم يمكن إيذاؤه بأشياء كثيرة وهو لا يشعر بها حتى قد تعمل له
بعض العمليات الجراحية وهو لا يدري

وهذا النوم له درجات ست (وقسمها بعضهم الى ثلاث فقط) وآخرها من أغرب
ما يكون ، فان النائم يرى فيها البعيد كما يرى القريب ويسمي الافرنج تلك الحالة
[Clairvoyance] ومعناها الحرفي « الرؤيا الواضحة » وفيها يشعر الانسان أيضا
بالأشياء وإن كانت عيناه مغمضتين بل يمكنه القراءة بأي جزء من جسمه فقد حدث
في محام مصر بتاريخ ٣ ديسمبر سنة ١٩١٣ أن نومت فتاة قبطية نوما مغنطيسيا
فكانت تقرأ الساعة بمعدتها أمام القضاة وكانت ترى من خلفها ورأت ما بيد أحد
المحامين وأعينها معصوبة ويد المحامي مقبوضة

ومن فوائد هذا التنويم أنه قد يستعمل لشفاء بعض الامراض، فمثلا اذا أصيب
الانسان بمرض جلد عميرة (الاستمناء باليد) حتى إنه لم يقدر على كبج جراح نفسه
ونوم وأمر أن لا يأتيه فانه يشفى من ذلك شفاء تاما، وكذلك من تعود التدخين أو
تعاطي الافيون مثلاً

وفي التنويم المغناطيسي يمكن للإنسان أن يخاطب غيره إذا كان نائما مثله على بعد شاسع ويسمى ذلك بالتلفراف الانساني أو انتقال الافكار، وتسميه الافرنج [Telepathy] ومعناه الحرفي « الشعور على بعد » وهذا التأثير على البعد قد يحصل حتى للايقاظ، فإذا اتفق شخصان على التخاطب على بعد في وقت ومكان معينين أمكن ذلك بالمزاولة والرياضة الطويلة . وقد يؤثر الشخص في شخص آخر بعيد عنه بدون اتفاق بينهما أيضا ولكن ذلك نادر جدا

وهذه المسألة تفهمنا تأثير العين ^(١) الذي ورد فيه بعض الاحاديث النبوية وتواترت روايات أم العالمين على حصوله وإن أنكره بعض المتأخرين. على أن إنكار تأثير العين مطلقا مكابرة، فمن ذا الذي ينكر تأثير نظرة الرضا والحقد أو المحبة والبغض في النفوس وتأثير النظر إلى الجميل والقيبح أو الفرح أو الحزن وإلى النشيط والسكسلان المثائب إلى غير ذلك مما هو معروف . ولذلك قال (ص) « العين حق » وأما ما زاد عن ذلك القدر من الحديث فإما أنه لم يثبت عنه عليه السلام أو أنه يراد به تأكيد ما للعين من التأثير في النفس أو المبالغة فيه

ومثل التأثير على البعد أيضا بعض أنواع السحر كالتنوع المسمى بمصر (بالشبشة)

ومن النوادر التاريخية التي لا تبعد صحتها ما روي أن عمر رضي الله عنه كان يخاطب بالمدينة فصاح في أثناء خطبته (ياسارية ، الجبل ، ياسارية الجبل ، من استرعى الذئب الغنم فقد ظلم) ثم عاد إلى الخطبة حتى قال فيه بعض الصحابة إنه جن ، ولما سئل رضي الله عنه عن ذلك أجاب بأنه رأى جيوش المسلمين تكاد تفتك بها الأعاجم على أبواب (نهاوند) فصاح بقائدهم — ولم يمالك نفسه — ليتحصن بالجبل . وبعد ذلك جاءت الاخبار بأن المسلمين كادوا ينهزمون، لولا أن سارية القائد سمع مع بعضهم هاتفا يرشدهم إلى الجبل ، فدهش الناس لذلك وعلموا

(١) هذا التأثير قاصر على التأثير النفساني أو العصبي فقط، والذي نعتقده أنه لا يحدث مباشرة مرضا جوهريا عضويا فهو كتأثير وسوسة الشياطين

منه مقدار نفس عمر وکبر روحه . وهذه من أعظم مناقبه (رض)
واعلم ان جميع هذه التأثيرات تصل بين النفوس بعضها ببعض بواسطة
الاثیر - كما سبق - والظاهر أن جميع المخلوقات ليس فيها شيء آخر سوى المادة
الكثيفة أو اللطيفة ، وهي التي تأتي بكل ما في هذا العالم من المشاهد العجيبة
أما اعتقاد عامتنا وبعض خاصة الملايين بأن في الإنسان أو في هذا العالم شيئاً
آخر مخلوقاً يغير مادة الكون فأرى أنه بعيد عن الصواب بعيد عن القرآن ،
فإن هذا الكتاب الشريف لم يثبت وجود شيء مما يغير مادة الكون سوى الله
(٢ : ١١٤) حتى أنه نص على أن بعض ما يسمونه بالارواح كالجن مخلوق من
مارج النار ، وهو من مادة هذا الكون ^(١)

(١) المنار : مادة الكون مؤلفة من عناصر كثيرة ما أحاط البشر بها علماً ،
ولما اكتشفوا من سنين قليلة الراديوم بدا لهم من العلم الجديد بها ما لم يكونوا يتصورون
ولا يصدقون ، فرجعوا به عن كثير مما كانوا يظنون . ولا يبعد أن يكون في غير
هذه الأرض من عوالم الكون ما ليس فيها . ولم أرفائدة لحرص الكاتب على
إثبات أن أرواح البشر والملائكة والجن من مادة الكون التي يعد منها الاثر
الذي عرف بالعقل لا بالحس . ولم يقل أحد من علمائنا أن هذه الأشياء ليست
من مادة الكون ، وكيف يقولون ذلك وهم مجمعون على أن الوجود قسمان : واجب
أزلي وهو خالق الكون ، ويمكن مخلوق وهو الكون . وأكثرهم يعرف الملائكة
بانهم أجسام نورانية . فإذا كانوا يعبرون عنهم بالأجسام فهل يمكن أن يقولوا انهم
ليسوا من الكون ؟ أما النسبة بين الملائكة والجن فهي العموم والخصوص
المطلق ، فكل الملائكة من الجن وليس كل الجن من الملائكة . وليس المراد
بكونهم من الجن أن كل ما يسمى جناً مخلوق من مادة واحدة ، بل معناه أن كل
ذلك من العوالم الخفية المجتنة . وأما القرآن فإنه يثبت أن العالم قسمان : عالم الغيب
وعالم الشهادة ، والملائكة والجنة والجحيم من عالم الغيب الذي لا نعلم من أمره
إلا ما عرفنا الوحي ، وأنما نعرف بكسبنا شيئاً قليلاً من أحوال عالم الشهادة ،
فعلينا أن نجتهد لنزداد علماً فيما ينفعنا منه ، ونكتفي من أمر عالم الغيب بما صح
خبر الوحي به ، ولا تقيس ما تجهل كنهه ، على ما لا نعلم إلا بعض الشيء عنه

واذا لاحظنا أنه نص على أن الله أمر الملائكة بالسجود لآدم ثم استثنى الشيطان أمكننا الاستدلال بذلك على أن الشيطان كان أحد الملائكة، وقد نص في آية أخرى (٥٠: ١٨) على أنه كان من الجن؛ فيستنتج من ذلك أن لفظ الجن يطلق على جميع ما استتر من هذه العوالم، فإن مادته تطلق على كل ما خفي كالجنين مثلا. ومما يؤيد كون الملائكة من الجن قوله تعالى (وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا) وقوله تعالى (وجعلوا لله شركاء الجن) مع أن العرب أشركت بالله الملائكة، فلولا أن لفظ الجن يطلق عليهم أيضا لما صح هذا التعبير في الآيتين السابقتين.

ولا يناقض ذلك نسبة الذرية للشيطان مع العلم بأن الملائكة لا توصف بالذكورة ولا بالانوثة (قر ٤٣ : ١٩) فإن الذرية قد تكون بغير اجتماع الذكركر بالانثى — كما سيأتي بيانه في علم الميكروبات —

نعم إن لفظ الجن إذا أطلق انصرف غالبا الى عالم مخصوص معروف في ذهن غير الملائكة كما في قوله تعالى عن لسان الملائكة (بل كانوا يعبدون الجن) الآية

أما مسألة استحضار الارواح فكثير من العلماء الى الآن يشكون فيها، وهي اذا صحت لاتنافي مذهبنا اليه، فإن هذه الارواح التي تستحضر لم تخرج عن كونها من عالم الاثير باعتراف مستحضرها أنفسهم، حتى زعم بعضهم امكان تصويرها بالآلة الفوتوغرافية، بل حاولوا ذلك فعلا، وقد رأيت بنفسي هذه الصورة في بعض المجالات العلمية

والارواح التي تستحضر منها ماهو للبشر ومنها ماهو من العوالم الاخرى كالشياطين

ومسألة استحضار الارواح — اذا صحت أيضا — كانت دليلا بينا على صحة ما ورد في القرآن الشريف وصحة الاخبار والآثار عن الكهانة، فإن الكاهن العربي أو غيره كان يسعى في إحداث علاقة بينه وبين الشياطين فيخبرونه عن بعض أشياء غيبية أو يعملون له بعض الأعاجيب كأن يحضروا له شيئا بعيدا عنه ويؤيد ذلك أيضا ماورد في أسفار موسى (ص) كما في سفر التثنية ١٨ : ١١

وكذلك القصة الواردة في سفر صموئيل الاول ٢٨: ١١ و ١٢ فكل هذه الاشياء تضافرت على القول بإمكان الاتصال بذاك العالم الاثيري وليس ثم مانع في العلم الحقيقي منه

واعلم ان الاثير هو مادة العالم الاصلية التي خلقت منها العناصر والا كوان وهي لاشك حادثة كما سيأتي اثباته ان شاء الله تعالى في الجزء الثالث

الرياضة البدنية

من قوانين الكون أن العضو المستعمل ينمو ويحسن حاله ، والعضو الذي يهمل يضمحل شيئا فشيئا حتى قد يزول من النسل بعد حين من الدهر ، لذلك كانت الرياضة البدنية من أوجب الواجبات لبقاء الجسم في الصحة والعافية ، حتى ان الاطفال يجدون أنفسهم مدفوعين بالهام إلهي الى كثرة اللعب ، لما في ذلك من الرياضة لا بدانهم

وتأثير الرياضة أنها تسرع في دورة الدم فيقوى القلب والعروق، وتكثر تغذية جميع الاعضاء ويتم الاحتراق بها وتذهب عنها الفضلات الضارة التي يكثر إفرازها في البول والعرق وفي الهواء الخارج من الرئتين، ولذلك يحتاج الانسان الى الاكثار من الطعام والشراب واستنشاق أكسجين الهواء ، وتقوى جميع عضلات الجسم وتسمن ويزول التشحم الذي قد يتراكم على القلب حتى يضعفه بل قد يكون سببا في الموت المفجائي بالسكتة القلبية

وتعام الاحتراق الذي يحصل بالرياضة يمنع تراكم حامض البولييك في الدم ، وهذا الحامض هو الذي يسبب أعراض المرض المسمى بالثقرس وقد يرسب في بعض الاعضاء كالسكليتين فيتكون فيها حصيات ضارة جدا وكثيرا ما تؤدي الى الهلاك. وبالجملة فان الرياضة تقوي جميع أعضاء الجسم وتذهب عنها المواد الضارة فتصح ويجب أن تكون الرياضة في الهواء النقي والا لاستنشاق الانسان ما يضره من العفونات

ولا يصح أن تعمل في وقت الحر الشديد ، فان الحر كثيرا ما يقتل الانسان . ولا يجوز أن يتعرض الانسان بعد الرياضة وكثرة العرق للهواء فان ذلك من

أعظم الاسباب لاجداث التهاب الاعضاء والنزلات المتنوعة، كذلك لا يجوز شرب الماء البارد عقبها ، فان من الناس من مات بسبب ذلك لحصول سكتة فلبية له .
 واذا أحس الانسان بتعب منها فالواجب أن لا يأكل الا بعد الراحة فان المدة تشترك مع الجسم في التعب ، فاذا وضع فيها الطعام حينئذ فانها لا تقدر على الهضم ، وكثيرا ما يحصل القيئ بسبب ذلك ، وان لم يتقأ الشخص نزل الطعام الفاسد الى الامعاء فأحدث فيها تهيجا من آثاره المنعص والاسهال .
 ومن الخطأ الكبير الجماع أيضا عقب الرياضة مباشرة فان ذلك يزيد في إتهاك قوى الجسم ، فالواجب أن يتبع الرياضة الراحة أو النوم فان ذلك نافع جدا .
 ولا يجوز عمل الرياضة الشاقة عقب الاكل مباشرة كما سبق بيانه .
 والاعتدال في الرياضة ضروري جدا — كما في سائر الاشياء — ومدتها للشبان الاصحاء نحو من ساعة في اليوم نصف في أوائل النهار ونصف في آخره ، هذا اذا كانت بالمشي السريع ، أما اذا كان المشي معتدلا فتكون ساعتين . ومن الامراض مالا توافقه الرياضة كأمراض صمامات القلب .
 وأنواع الرياضة عديدة منها المشي ومنها العدو ومنها السباحة وركوب الخيل وغير ذلك ، ولا يقوم أحد أن المشي لا يكفي ، وكيف لا يكفي وبه تتحرك جميع العضلات تقريبا ويسرع القلب والتنفس .

النبة الرابعة

في علم الانسجة أو التشرح الدقيق

الهستولوجيا Histology

الهستولوجيا كلمة يونانية ومعناها [علم الانسجة] وبعبارة أخرى علم التشرح الدقيق للجسم ، وقد سبق ذكر أشياء كثيرة منه في النبة الثالثة .
 وهذا العلم لا يمكن دراسته الا بالمجهر المسمى بالميكروسكوب أي المنظار الدقيق

لينسّر للانسان الوقوف على جميع دقائق الجسم
أما المجهر فهو مبني على الحقيقة الطبيعية الآتية وهي أن الجسم اذا وضع على
بعد مخصوص من العدسة المحدبة تجمعت الاشعة المنبعثة منه ورسم كبيرا في الجهة
الأخرى، وهذه الصورة الكبيرة تمكن رؤيتها بالعين المجردة، وقد ترى بعدسة أخرى
قترداد كبراء، لذلك كان الميكروسكوب عبارة عن أنبوبة معدنية في طرفها عدسة محدبة،
وكذلك في الطرف الآخر، إلا أن الغالب أن تكون العدسة التي في الطرف الاول
محدبة من الجانبين وفي الطرف الثاني محدبة من الجهة الداخلية فقط

وتكون العدستان على أبعاد مخصوصة معروفة في علم الطبيعة، فاذا أريد رؤية
أي جزء من أجزاء الجسم قطعت منه طبقات رقيقة بآلة كاللوسى وتوضع القطعة
منها على لوح من الزجاج بعد أن تلون بألوان مخصوصة أو بدون تلوين
ثم يوضع هذا اللوح على حامل في المجهر له ثقب مستدير في وسطه وتحت هذا
الثقب مرآة لعكس الاشعة لتنفذ خلال القطعة الرقيقة التي فوق اللوح الزجاجي
فتكبر صورتها العدسة الاولى ثم تكبر هذه الصورة العدسة الثانية فيراها الانسان
كبيرة جدا

وبهذه الآلة أمكن الوقوف على دقائق عالمي الحيوان والنبات وبها اكتشفت
الميكروبات، فإها الفضل الاكبر في علم الطب الحديث
فاذا نظر بالمجهر الى أجزاء الجسم المختلفة وجد أنها تتركب من الانسجة الآتية: —
(١) إبيثيليوم [Epithelium] وهذه كلمة يونانية معناها الغطاء لان هذا
النسوج يغطي جميع أجزاء الجسم من الظاهر والباطن كما في الجلد وفي قناة
الهضم وغير ذلك

(٢) النسوج الضام وهو الذي يربط أجزاء الجسم بعضها ببعض

(٣) النسوج العضلي وهو الذي تحصل به الحركة — كما سبق —

(٤) النسوج المصبي وهو المخ والنخاع وسائر الاعصاب

وكما أن جميع النسوجات كالاقشة مثلاً تتركب من أجزاء دقيقة جدا وهي الخيوط
كذلك هذه الانسجة تتركب من خيوط تسمى الالياف، ومن كتل صغيرة جدا

تسمى الخلايا، وبينهما مواد تربط الواحد منهما بالآخر. وأصل جميع ما في الجسم من الألياف وغيرها ناشئ من الخلايا. فالخلايا في الحقيقة هي عنصر الاجسام الحية نباتية كانت أو حيوانية. إذ من الثابت أن الانسان يتكون من بيضة واحدة، وهي في الحقيقة خلية حية

ففي بعض أجزاء الجسم نجد أن هذه الخلايا منضودة صفوفًا بعضها فوق بعض ويتكون منها الايشيليوم المذكور، وفي الأجزاء الأخرى تمتط هذه الخلايا فيتكون منها العضلات أو الأعصاب أو المنسوج الضام بتغيرات مختلفة تحصل فيها، وقد يتكون في داخلها مواد دهنية فينشأ من ذلك منسوج الشحم

ومن الناس من يعتقد أن ألياف المنسوج الضام كانت خلايا قامتت — كما قلنا — ومنهم من يرى أنها إفرازات من الخلايا ترسب فيما بينها كما ترسب بعض الأملاح في السوائل. والقول بأنها رواسب هو الراجح الآن عند العلماء

أما الخلية فهي الأصل لجميع الأحياء — كما سبق — وتتركب من البروتوبلازم^(١) Protoplasm وهو مادة يدخل في تركيبها جميع ما ذكرناه سابقًا من العناصر التي في جسم الانسان فهي ككائنات صغيرة. ففيها الماء والزيوت والدهن والمواد الكربوهيدراتية وأملاح عديدة وغير ذلك. ولها جميع خواص الحياة وهي التنفس والتغذية والإفراز والحركة. وجميع هذه الأعمال يمكن لكل جزء من أجزاء جسمها أن يقوم بها على حد سواء، فمثلاً التغذية يحصل بجميع جسمها، وفي حركتها ترسل من أي جزء من جسمها أذناً تتحرك بها كالمجاديف. وكلما ارتقت الحيوانات تخصصت بعض هذه الخلايا بعمل مخصوص كما نرى في الانسان؛ فمثلاً نرى أن الحركة في الانسان خصت بها أعضاء، وكذلك القول في التغذية إلا أن الخواص المذكورة للحياة تبقى لكل خلية وإن لم تظهر فيها ظهوراً بيناً، بمعنى أن بعض الوظائف قد يبقى كامناً في الخلايا وتظهر بعض الخواص الأخرى ظهوراً بيناً كالاحساس مثلاً فإن جميع الخلايا الحية تحس إلا أن الاحساس في المجموع

(١) كلمة يونانية معناها المكون الأول لاعتقاد العلماء أنها أول مظهر من مظاهر الحياة في هذا العالم

العصبي أظهر بكثير مما هو في المنسوج الضام مثلا
وأول الاحياء كانت قطعاً بروتوبلازمية مجردة من كل شيء آخر ، وفي
الاحياء التي أرقى من ذلك يتكون في وسط الخلية بقعة قائمة تسمى «النواة» وهي
تغاير في تركيبها بعض التغاير لمواد البروتوبلازم ويصير لهذه النواة التأثير في تغذية
الخلايا وفي انقسامها فلا يبدأ الانقسام في الخلية الا اذا انقسمت نواتها واذا فصل
جزء منها عن النواة أصابه الفساد وفي وسط هذه النواة نواة صفراء تسمى النوية
ويتصلب الجزء الذي على سطح البروتوبلازم حتي يصير كحائط للخلية
والخلايا تتكاثر بالانقسام وهذا الانقسام يبدأ بانقسام النواة ثم ينقسم
البروتوبلازم فتصير الخلية الواحدة خليتين ، والخلايا التي لانواة لها لا يكون جزء
منها مسيطرا على الباقي

ومن الخلايا ما ينقسم داخل الغشاء الكاذب المحيط بالخلية، ومنها ما ينقسم
مع نفس هذا الغشاء فمثال الاول جنين الانسان فان البويضة تنقسم بدون انقسام
الغلاف، ومثال الثاني الحيوان المسمى (الامبيا^(١)) وهو مركب من خلية واحدة
تنقسم كلها فتصير الواحد اثنين ثم أكثر فأكثر وهو يوجد في بعض المياه الآسنة
والفرق بين أبسط النباتات وأبسط الحيوانات هو عسر التحديد الا أنه يمكن
أن يقال فيه ما يأتي (١) ان خلايا النباتات محاطة بطبقة من مادة السللوز وهي
المادة التي يتركب منها الخشب وتشبه في تركيبها الكيماوي النشاء، ولكن من
الحيوانات ما فيه هذه المادة أيضا (٢) في خلايا النباتات الراقية مادة خضراء تسمى
(الكلوروفيل) وهي كلمة يونانية معناها « خضرة الورق » (٣) ان الخلايا
النباتية تكون - بواسطة الكلوروفيل مع تأثير أشعة الشمس - من بعض العناصر
البسيطة أجساما عجيبة التركيب مثل السكر الذي تولده النباتات من غاز ثاني
أكسيد الفحم الموجود في الهواء ، والنباتات تولد أيضا من الاملاح النيتروجينية
البسيطة - مثل نترات الصوديوم - مواد زلالية مقدمة التركيب . أما الحيوانات فلا
يمكنها هذا العمل وهي تعتمد في غذائها بالمواد الزلالية وغيرها كل الاعتماد على

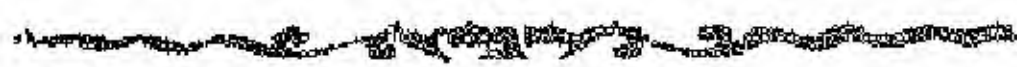
(١) كلمة يونانية معناها المتغير لتغير شكله دائما كما سبق في حاشية ص ٦٨

النباتات التي لولاها هلك جميع الحيوانات
هذا وقد سبق ان الجسم الانساني كله مولد من البويضة بانقسام نواتها
وبروتوبلازمها كله، ومن الحيوانات كالذجاج مثلا ما يتولد بانقسام النواة مع جزء
صغير مما يحيط بها من البروتوبلازم وتتغذى بالباقي منه

والايشليوم مركب - كما قلنا - من خلايا مرصوص بعضها بجانب بعض، وقد
تكون منها عدة طبقات أو طبقة واحدة كما في ايشليوم البريتون، وفي الجلد طبقات
عديدة منه، وفي غشاء المثانة تكون الطبقات أقل من طبقات الجلد. وفي بعض أعضاء
الجسم يكون خلايا الطبقة العليا منه أهداب تتحرك بنفسها وهي عبارة عن زوائد
ممتدة من نفس البروتوبلازم - كما تقدم -

أما المنسوج الضام فيراد به أشياء كثيرة، منها أربطة المفاصل وأوتار العضلات
والعظام والغضاريف والشحم، ومن الناس من يعد الدم من المنسوج الضام أيضا.
وأعظم ما يتميز به العظم عن غيره رسوب مواد جيرية في المادة التي بين خلاياه
وأما المنسوج العضلي - وهو اللحم - والمنسوج العصبي فقد سبق الكلام
عليهما فلا حاجة الى التكرار. وتبارك الله الذي خلق الخلق في هذه الاطوار

﴿ انتهى الجزء الاول ﴾



الجزء الثاني

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وحده ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد نبي الرحمة ، ومعلم الحكمة ، وعلى آله وصحبه هداة الأمة (وبعد) فقد جعلت هذا الجزء الثاني من محاضراتي خاصا بالكلام على الأحياء التسليقية من ميكروبات وديدان وغيرها وما ينشأ عنها من الأمراض المعدية وأعراضها وعلاجها وطرق إلتقائها - إلى غير ذلك من المباحث العالية الضرورية لحياة الأفراد والأمم ولما كانت لغتنا العربية في أشد الحاجة إلى مثل هذه المباحث الراقية التي قلها الأفرنج بحثا وتمحيضا - لم أقصر في هذا الجزء على ما ألقى منها على طلبة مدرستنا (دار الدعوة والارشاد) بل توسعت فيها بما سيكون إن شاء الله نافعا حتى للخاصة ، ونقلت إلى لغتنا الشريفة أهم ما كتبه الأفرنج في هذه المسائل راجيا بذلك خدمة اللغة والأمة بارشادها إلى ما يجب اتباعه لالتقاء شرتلك الأمراض المعدية التي تقتي كثيرا من الناس في كل يوم ، وتضعف الأمم التي لم تلتفت إلى سنن الله تعالى فيها وأهملتها إهمالا شديدا

وقد جريت في هذا الجزء على طريقي في الجزء الأول من التدقيق في التعريب واختيار أوضح العبارات وأقربها إلى تناول جمهور القراء ليسهل على كل مطلع على الكتاب فهم المراد منها ، مراعيًا في كل ما أكتب نصوص الشريعة الإسلامية الغراء وأساليبيها ممحصا لها ، وموفقا بين تلك النصوص وبين الحقائق العلمية ، والله الهادي إلى أقوم طريق

البكتريولوجيا

Bacteriology

علم الاحياء الدقيقة الخفية

البكتريولوجيا لفظ يوناني معناه علم البكتيريا . والبكتيريا معناها المعصي (جمع عصا) ويراد بها غالبا الاحياء الدنيئة النباتية التي أكثرها مركب من خلية واحدة ، وأما سميت بذلك لكون شكل كثير منها مستقيما كالعصا . ولفظ ميكروب معناه الحي الدقيق ^(١) والذي وضع هذا اللفظ شخص يسمى سيدلوت Sédillot في سنة ١٨٧٨ م ويطلق على جميع الاحياء الدنيئة سواء أكانت نباتية أم حيوانية أم في المنطقة التي بينهما . وجهور العلماء يطلقون لفظ (البكتريولوجيا) على علم الميكروبات كلها مع اختلاف أنواعها

أما علم البكتريولوجيا الحالي فؤسسه الحقيقي هو العلامة لويس باستور Louis Pasteur الفرنسي عاش بين سنة ١٨٢٢ و ١٨٩٥ م واشتغل كثيرا بالبحث في داء الكلب والهيضة (الكوليرا) فهذا العلم تأسس في القرن التاسع عشر ، وأما وما كتب فيه من قبل فلم يكن مما يعول عليه كثيرا

ومن نبغ فيه أيضا الأستاذ روبرت كوخ الألماني Robert Koch وكان من أعلم علماء عصره واكتشف ميكروب الدرن وبحث بحثا دقيقا في الهيضة والطاعون ، عاش بين سنة ١٨٤٣ و سنة ١٩١٥

وقد عرف الآن ان الميكروبات هي السبب في أكثر الامراض . والذي هدى الناس الى العلم بهذه الاحياء هو المجهري (الميكروسكوب) ، ولكن اختراعه الذي كان في سنة ١٥٩٠ قد سبق علم البكتريولوجيا بيضمة قرون ، ولم يكن في

(١) المنار : اختار بعض كتاب العصر اسم الجراثيم للميكروبات ، واستحسننا من قبل اطلاق اسم الجن او الجنة عليها لخفاؤها

ذلك الوقت مرتقيا الى حيث يكشف لنا عن أكثر هذه الاحياء الدنيئة . وأقوى أنواعه الآن ما يكبر الشيء ١٠٠،٠٠٠ ضعف
كيفية دراسة الميكروبات

الدراسة الميكروبات توضع على لوح من الزجاج ، ثم تثبت باحدى الطرق المشهورة في هذا الفن ، ثم تلون بألوان مخصوصة لأظهارها جيدا ، وإن كان يمكن رؤيتها حية بدون تلوين . وطريقة ذلك أن يصنع لوح سميك من الزجاج به حفرة صغيرة (تقعر) في وسطه ، ثم يؤتى بلوح آخر رقيق جدا وتوضع نقطة من السائل الذي فيه الميكروب على هذا اللوح ثم تغطى الحفرة بهذا اللوح الرقيق ، بحيث تكون النقطة متجهة الى الاسفل أي تكون في تجويف الحفرة المغطاة باللوح الرقيق . ويسمى علماء هذا الفن هذه الطريقة (بطريقة النقطة المعلقة) وقائدها أن تحفظ السائل من التبخر وتوجد هواء محيطا به لتنفس الميكروب ، وبهذه الطريقة يمكن مراقبة نمو الميكروب وحركاته — ان كان متحركا — وغير ذلك

أما المادة الملونة فهي تكون غالبا مما يسمى بالانيلين [Aniline] وهي كلمة برتغالية معناها النيلة ، وتلك المادة من مستخرجات قطران الفحم الحجري . وسميت بذلك لأنها صنعت في أول الامر من النيلة التي تستخرج من ورق شجرة معروفة وعيدانها . ومادة الانيلين هذه بنأ كسدها يستخرج منها ألوان عديدة كالأخضر والأصفر الخ

تعريف الميكروبات

أكثر ميكروبات الامراض أحياء بين عالمي الحيوان والنبات ولكنها أميل الى النباتية منها الى الحيوانية ، وهي في الغالب مركبة من خلية واحدة لانواة^(١) لها ، ومحاطة بغلاف من السللوز^(٢) ولكنها خالية من مادة الكلوروفيل مطلقا ، ولذلك اختلفت الميكروبات عن النباتات العالية ، فلا يمكنها تحليل غاز ثاني أكسيد

(١) يرى الآن بعض العلماء أنها ليست مجردة من النواة خلافا لما كان قد ذهب اليه الجمهور (٢) كون هذا الغلاف من السللوز فيه نظر ، حتى أنكر ذلك الآن بعض العلماء

الفحم الموجود في الهواء فهي في ذلك تشبه المواد الفطرية المركبة من عدة خلايا نباتية . وأيضاً بعض الميكروبات يمكنها أن تتركب مواد أزوتية عضوية من مثل النوشادر وحامض النيتريك وهي مواد غير عضوية ، فأشبهت بذلك النبات شبيهاً عظيماً وغازت الحيوان بذلك وبغلافها السللولوزي ، ومنها طائفة تأخذ الأزوت الضروري لها من الهواء

والمواد العضوية منسوبة إلى أعضاء النبات والحيوان لأنها تتولد بواسطة هذه الأعضاء ، مثال ذلك غرقى (زلال) البيض والسكر وغيره .
وأما المواد غير العضوية فهي التي توجد في الكون بدون واسطة النبات أو الحيوان كملح الطعام

فترى من هذا أن أهم مميزات النبات عن الحيوان أنه يمكنه توليد المواد العضوية من المواد غير العضوية مباشرة ، والحيوان لا يمكنه ذلك البتة . وهو في غذائه مضطر إلى أكل النبات . ولتوضيح ذلك نقول : يوجد في الأرض أملاح تسمى النيترات أي يوجد فيها النيتروجين (الأزوت) والا كسجين متحدين معاً ومع معدن من المعادن كالپوتاسيوم مثلاً ، فإذا صب عليها الماء ذابت فيه فيمتصها النبات ويتغذى بها ويحولها إلى مواد زلاية ، وبذلك يمكنها أن تعيش بالاستقلال عن سائر الأحياء الأخرى ؛ وفي الهواء آثار من مادة النوشادر وهي مركبة من النيتروجين والهيدروجين وسهلة الذوبان في الماء فتذوب في ماء المطر وتسقط إلى الأرض فيتغذى بها النبات أيضاً ويولد منها مواد زلاية

وأما الحيوان فإذا منعت عنه المواد الزلاية فإنه يهلك بسرعة وعليه فأصل الوجود الحيواني متوقف على النباتات وهي لاشك خلقت قبله .
ولنرجع إلى ما كنا فيه :

أشكال الميكروبات

للميكروبات أشكال عديدة أهمها : —

(١) الشكل الباسيلي أي المستطيل ، وكلمة باسيل [Bacillus] لاتينية معناها

العصية (تصغير عصا) وذلك لأن ميكروبات هذا النوع تحاكي خطوطا مستطيلة صغيرة جدا ، فإذا قيل باسيل الدرن فمعناه عصيات الدرن أي ميكروب به الذي شكله مستطيل

(٢) البزور [Cocci] وميكروبات هذا الشكل كنقطة صغيرة ، وهذه النقطة قد يلتصق بعضها بجانب بعض فيتكون منها خيوط تسمى البزور السلسلية [Streptococci] وقد تجتمع ثني مثل ميكروب الالتهاب الرئوي والروماتزم والالتهاب السحائي البوبائي والسيلان إلا أن هذا الأخير شكل بزوره كلوي (أي كشكل الكلية) وقد تجتمع رباع ٦ وقد تجتمع على أشكال غير منتظمة فيتكون منها ما يسمى بالبزور العنقودية [Staphylococci]

والبزور المربعة توجد عادة في القيح الناشئ من تمدد المعدة ، والبزور الأخرى السلسلية والعنقودية توجد في الالتهابات والخراجات ونحو ذلك ، وأشدها خطرا البزور السلسلية فإنها هي التي تحدث المرض المعروف بالحمرة ، وهو من الأمراض المعدية الفتاكة ، وتوجد أيضا في بعض التهابات الرحم العفنة عقب الولادة

(٣) الشكل الخلزوني [Spirilla] وميكروبه يكون دقيقا مستطيلا ملتويا على نفسه كالثعبان ، ومن هذا الشكل ميكروب الهیضة (السكوليرا) وهذا الميكروب كثيرا ما يشاهد مقسما الى قطع صغيرة كل قطعة منها تشبه الضمة أو الشولة ، ولذلك يسمونه بالباسيل الضمي [Comma] فإذا اجتمع من هذا الميكروب اثنان مثلا فقد يتكون منهما شكل يشبه حرف (S)

ومن الشكل الخلزوني أيضا ميكروب الزهري وميكروب الحمى الراجعة . والجمهور يعد الآن بعض الخلزونيات من نوع الحيوان لأن نوع النبات وهو الراجح وبعض الميكروبات لها أهداب [Flagella] تتحرك بها ، فمثلا ميكروب الحمى التيفودية له أهداب عديدة تبلغ ٨ أو ١٢ وطول كل منها نحو من ضعف طول الميكروب نفسه ، وهو يتحرك بهذه الأهداب حركة شديدة ، ولضمة السكوليرا هذب أو اثنان في طرف واحد منها ، وكذلك الأشكال الأخرى قد يكون لبعضها أهداب ويقال ان لميكروب الحمى الراجعة أربعة أهداب اثنان في كل طرف . ولا

فرق بين طرف وطرف في هذه الميكروبات بل يمكنها أن تسير بأي شاءت
تربية الميكروبات

والميكروبات يمكن تربيتها تربية صناعية ويسمى ذلك في اصطلاح هذا العلم
«زراع الميكروب» أو إنباته لأنها نباتات — كما قلنا —

ومن السوائل المستعملة في تربية الميكروب المرق واللبن والبول ومصل الدم
وأما المياه الجيدة فقد شوهد أن الميكروبات لا تعيش فيها أكثر من ١٤ إلى
٤٠ يوما، وربما كان ذلك لقلة المواد المغذية لها فيها

ويمكن تربيتها أيضا على الجلاتين وهو مادة تستخرج بعلي العظام والأنسجة
الضامة كالاربطة وغيرها . وكلمة جلاتين إيطالية معناها الفالودج ، ويمكن تسمية
هذه المادة في لغتنا (بالودك) وهي مادة تشبه المواد الزلالية في تركيبها أي أنها تشتمل
على النيتروجين

ومن المواد الصلبة أيضا التي تربي عليها الميكروبات ما يسمى (بالأجار أجار)
[Agar - agar] وهو صمغ يستخرج من نباتات بحرية تنبت في الشرق كاليابان
وجاوة . ومن هذه المواد أيضا البطاطس وغرقى البيض المسلوق (زلاله)

والميكروبات المرضية تحتاج في نموها إلى حرارة مثل حرارة الإنسان تقريبا
(أي نحو ٣٥ — ٣٩) ولذلك توضع في آلة مخصوصة تسمى آلة التفريخ
[Incubator] تكون الحرارة فيها مرتفعة إلى درجة مخصوصة

ومن الميكروبات ما يحتاج لأكسجين خالص أي غير متحد بشيء كما في
الهواء ليستنشقه ومنها ما يضره الأكسجين الخالص ويمنع نموه

وهذه المسألة من أغرب مسائل العلم الطبيحي، فإن الناس كانوا يظنون أن
الهواء ضروري لجميع الأحياء كضرورة الماء لها وقد ظهر بطلان ذلك، ومن آيات
بيان القرآن للحقائق أنه قال (وجعلنا من الماء كل شيء حي) ولم يقل في موضع
مأمنه إن الهواء ضروري للأحياء

ومن الميكروبات ما يعيش في الهواء وفي غير الهواء، وهذا النوع هو والنوع
الذي يضره الأكسجين يمكن زراعته (تربيته) في الفراغ

ومن أمثلة مالا ينمو في الهواء باسيل التيتانوس ، وهو مرض يحدث من دخول هذا الميكروب في أي جرح في الجسم فيصاب الجسم بالتشنج الذي يتبدى بتقلص عضلات العنق و بانقباض الفكين حتى لا يمكن للإنسان أن يفتح فاه ، ولذلك يسمى هذا المرض بالعريية الكزاز ، وميكروبه يعيش في الطين والوحل والأتربة المختبئة في الأماكن المظلمة وتعريض هذا الميكروب للهواء يضعفه ويمنع نموه. أما ميكروب الدفتيريا مثلاً (التي منها الخناق) فإنه يعيش في الأكسجين وفي غيره

توالد الميكروبات

وأشهر طرائق توالد الميكروبات اثنتان : الطريقة الأولى الانقسام — وهي عامة في الجميع — فتقسم كل خلية منها بالعرض ^(١) إلى اثنتين والاثنتان إلى أربع وهلم جرا

والطريقة الثانية تكون بتوالد حبيبية [Squire] في داخل كل ميكروب وبعدها ينفلق الميكروب وتبقى هذه الحبيبة قابلة للنمو مرة أخرى وهذه الطريقة تحصل في بعض الأشكال الباسيلية وفي قليل من الخلزونية. والحبيبات تقاوم درجة الغليان (١٠٠ سنتيجراد) لمدة تختلف من خمس إلى عشر دقائق ، وهي تقاوم المواد المطهرة كالسليمان والفينيك مقاومة كبيرة ، ولذلك يجب أن تكون نسبة السليمان إلى الماء أكبر من النسب المعتادة لإبادة حبيبات تلك الميكروبات ، وكذلك يجب إبقاء الشيء المراد تطهيره في المحلول مدة طويلة وطريقة التوالد الأولى تكثر الميكروبات ، والثانية تبقى النوع فقط ولا تكثره

(١) هذا في الميكروبات النباتية أما الحيوانية كميكروب الزهري والحمى الراجعة فينقسم بالطول. وفي البيئة الصالحة قد يحدث انقسام الميكروبات مرة في كل عشرين أو ثلاثين دقيقة

أثارة من تاريخ العرب

في الاندلس

تنبى عن هدي الخليفة عبد الرحمن الناصر لدين الله، وجهه بين الدين والدنيا، ومكانة علماء الدين في عهده، وقبوله منهم الاغلاظ في وعظه، - وعن سيرة قضاة العدل وعلماء الآخرة، الذين لا تأخذهم في الله لومة لائم، ولا يخافون في الحق صولة حاكم، على ورع يزينه ظرف واطف، ودعابة لامهانة فيها ولا سخف، يتمثل ذلك كله في ترجمة الوزير الفتح بن خاقان للقاضي البلوطي في كتابه مطمح الانس، ومسرح التانس، في ملح أهل الاندلس. قال عفا الله عما تكلف من إبداع، وما صنعه من استجاع:

(الفقيه القاضي أبو الحسن منذر بن سعيد البلوطي رحمه الله تعالى)

اية حركة في سكون، وبركة لم تكن معدة ولا تكون، ا واية سفاهة في تعلم، وجهامة ورع في طي تبسم، اذا جد تجرد، واذا هزل نزل، وفي كلتا الحالتين لم ينزل للورع عن مرقب، ولا اكتسب إثما ولا احتتب، ولي قضاء الجماعة بقرطبة أيام عبد الرحمن، وناهيك من عدل أظهر، ومن فضل اشهر، ومن جور قبض، ومن حق رفع، ومن باطل خفض، وكان مهيبا طيبا صارما غير جبان ولا عاجز ولا مراقب لاحد من خلق الله في استخراج حق ورفع ظلم. واستمر في القضاء الى ان مات الناصر لدين الله، ثم ولي ابنه الحكم فأقره وفي خلافته توفي، بعد ان استعفى مرارا فما أعفى، فلم يحفظ عليه مدة ولايته قضية جور، ولا عدت عليه في حكومته زلة. وكان غزير العلم كثير الادب، متكلم بالحق، متبين بالصدق، له كتب مؤلفة في السنة والقرآن والورع، والرد على أهل الاهواء والبدع، وكان خطيبا بليغا وشاعرا محسنا. ولد سنة ثلاث وعشرين (ومائتين) عند ولاية المنذر بن محمد. وتوفي يوم الخميس (المنار: ج ٧) (٦٨) (المجلد الثامن عشر)

للبنتين بقيتا من ذي القعدة سنة خمس وثلاثين وثلاثمائة

﴿ومن شعره في الزهد﴾

كم تصابني وقد علاك المشيب	وأعاصي عمدا وانت اللبيب
كيف تلهو وقد أذاك نذير	ان يوم الحمام منك قريب
ياسفها قد حان منه رحيل	بعد ذلك الرحيل يوم عصب
ان للموت سكرة فارقة بها	لا يداويك ان أتنك طيب
كم تراني ^(١) حتى تصير رهينا	ثم تأتيك دعوة فتجيب
بأمور المصاد أنت عليم	فاعملن جاهدا لها يارتب
وتدكر يوما تحاسب فيه	ان من يدك كرفسوف ينيب
ليس من ساعة من الدهر الا	المنايا عليك فيها رقيب

الخطابة في الاحتفالات الرسمية

وذكر ان أول سببه في التعلق في الناصر لدين الله ، ومعرفته به وزلفاه ، ان الناصر لما احتفل لدخول رسول ملك الروم وصاحب القسطنطينية بقصر قرطبة الاحتفال الذي اشتهر ذكره ، وانهر أمره ، أحب أن تقوم الخطباء والشعراء بين يديه تذكر جلالة مقعده ، ووصف ماتهما له من توطد الخلافة ورعي الملوك بآمالها ، وتقدم الى الأمير الحكم ابنه باعداد من يقوم لذلك من الخطباء ، ويقدمه امام نشيد الشعراء ،^(٢) فتقدم الحكم الى أبي علي البغدادي^(٣) ضيف الخلافة وأمير الكلام ، وبحر اللغة ان يقام ، فقام رحمه الله وأثنى على الله وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم . ثم انقطع ، وبهت فواصل الا قطع ، ووقف ساكتا متفكرا ، وتشوف لاناسيا ولا متذكرا

(١) كذا وربما كان الاصل « كم تواني » (٢) يعلم من هذا أن عاداتهم في الاحتفالات كعادة أهل هذا الزمان في الخطابة . وكان منظم هذا الاحتفال الحكم ولي عهد الخليفة (٣) فيه أن وحدة الأمة ما كانت تمنع في ذلك الزمن تقديم الغريب عن البلاد على أمثاله من أهلها اذا كان أهلا وان كان تابعا لحكومة أخرى ، ولا يكون مثل هذا في مصر الآن ، لان التعصب للبلاد أضعف وحدة الأمة

ارتجال العلماء الخطابة حتى في السياسة

فلما رأى ذلك منذر بن سعيد قام بذاته ، بدرجة من مرقاته ، فوصل افتتاح أبي البغدادي بكلام عجيب ، ونادى من الاحسان في ذلك المقام كل مجيب ، وقال : اما بعد فان لكل حادثة مقاما ولكل مقام مقال ، وليس يعد الحق الا الضلال ، واني قد قمت في مقام كريم ، بين يدي ملك عظيم ، فاصفوا لي بأسماعكم ، وامنوا علي بأفئدتكم ، معاشر الملأ ! ان من الحق ان يقال للمحق صدقت . وللمبطل كذبت ، وان الجليل تعالى في اسمائه وتصدق بصفاته ^(١) أمر كاليه موسى صلى الله على نبينا وعليه وعلى جميع الانبياء والمرسلين ان يذكروا قومه بنعم الله عز وجل عندهم ، وأنا أذكركم نعم الله تعالى عليكم ، وتلافيه لكم ، بخلافة أمير المؤمنين التي امنت سر بكم ، ورفعت خوفكم ، وكشتم قليلا فكثركم ، ومستضعفين فقواكم ، ومستذلين فنصركم ، ولأه الله رعايتكم ، وأسند اليه امامتكم ، أيام ضربت الفتنة صرادقها على الآفاق ، واحاطت بكم نسل النفاق ، حتى صرتم في مثل حدقة البعير ، مع ضيق الحال ونكد العيش والتغير ، فاستبداتم بخلافته من الشدة بالرشاء ، وانتقلتم بين سياسته الى كنف العافية بعد استيطان البلاء ، ناشدتم يامعشر الملأ ألم تكن الدماء مسفوكة فحقنها ، والسبل مخوفة فأمنها ، والاموال منتهبة فأحرزها وحصنها ؟ ألم تكن البلاد خرابا فعمرها ، وثغور المسلمين مهتضمة فحماها ونصرها ؟ فاذكروا آلاء الله عليكم بخلافته ، وتلافيه جمع كلمتكم بعد اقتراقها بامامته ، حتى اذهب عنكم غيظكم ، ونفى صدوركم ، وصرتم يداء على عدوكم ، بطوية خالصة ، وبصيرة ثابتة وافرة ، فقد فتح الله عليكم أبواب البركات ، وتواترت عليكم أسباب الفتوحات ، وصارت وفود الروم وافدة عليكم ، وآمال الاقصيين والادنين اليكم ، يأتون من كل فج عميق ، و بلد سحيق ، ولا أحد يحيل بينه وبينكم ليقضي الله أمرا كان مفعولا . وان يخلف الله وعده ، ولهذا الامر ما بعده ، وتلك أسباب ظاهرة تدل على أمور باطنة ، دليلها قائم ، وغيبها عالم (وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الارض كما استخلف الذين من قبلهم ، وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم ،

(١) لعل الاصل وتقدس بصفاته

وليبدلهم من بعد خوفهم امنا) وليس في تصديق ما وعد الله عز وجل ارياب ،
ولكل نبأ مستقر ولكل أجل كتاب ، فاحمدوا الله أيها الناس على آلائه ، وسلوه
المزيد من نعمائه ، فقد أصبحتم بين خلافة أمير المؤمنين أيده الله تعالى بالعصمة
والسداد ، وألهمه بخالص التوفيق سبيل الرشاد ، فاستمعينوا على صلاح أحوالكم ،
بالمناصحة لامامكم ، والتزام الطاعة لخليفتم ، وابن عم نبيكم صلى الله عليه وسلم ، فإن
من نزع يده من طاعة ، وسعى في فرقة الجماعة ، وفر من الديانة ، فقد خسر الدنيا
والآخرة ، الا ذلك هو الخسران المبين . وقد علمتم ما أحاط بكم في جزيرتكم هذه
من ضروب المشركين ، وصنوف الملحدين ، الساعين في شق عصاكم ، وتفريق
ملتكم ، وهتك حرمتكم ، وتوهين دعوة نبيكم صلى الله عليه وسلم وعلى جميع النبيين
 والمرسلين ، أقول قولي هذا والحمد لله رب العالمين . وأنشد يقول

مقال كحد السيف وسط المحافل	فرقت به ما بين حق وباطل
بقلب ذكي ترتمي جنباته	كبارق رعد عند نقش الاناصل
فما دحضت رجلي ولا زل مقولي	ولا طار عقلي يوم تلك البلائل
بخير امام كان أو هو كائن	لمقتبل أو في العصور الاوائل
وقد حدثت نحوي عيون إخالها	كمثل سهام أثبتت في المقاتل
تري الناس أفواجا يؤمون داره	وكلهم ما بين راض وآمل
وفود ملك الروم وسط فنائه	مخافة بأس أو رجاء اسائل
فعش سالما اقصى حياة معمر	فأنت غياث كل حاف وناعل

فقال العالج: هذا والله كبش الدولة. وخرج الناس يتحدثون عن حسن مقامه،

وثبات جنانه ، وبلاغة لسانه

خطبة ارجالية قربت عالما من الخليفة

وكان الخليفة الناصر لدين الله أشد تعجبا منه واقبل على ابنه الحكم ولم يكن
يثبت معرفة عينه ، وقد سمع باسمه ، فقال الحكم : هذا منذر بن سعيد البلوطي ؛
فقال والله لقد أحسن ما أنشأ ، ^(١) وأن ابقاني الله تعالى لأرفعن من ذكره ، فضع

(١) لعل الاصل : أحسن ما شاء

يدك يا حاكم واستخلصه وذكرني بشأنه، فما للصنعة مذهب عنه، فلما انتهى الناصر إلى الجامع بالزهراء، ولأه الصلاة فيها والخطبة. ثم توفي محمد بن عيسى القاضي فولاه قضاء الجماعة بترطبة وأقره على الصلاة بالزهراء

بجهر القاضي بانكار اسراف الخليفة

وكان الخليفة الناصر كلفا بمهارة الأرض، وإقامة معاملها، وتكثير مياهها، واستجلابها من أبعاد بقاعها، وتخليد الآثار الدالة على قوة مملكته، وعزة سلطانه وعلوهمته، فافضى به الإغراق في ذلك إلى ابتناء مدينة الزهراء الشائع ذكره، الدائم خبره، المنتشر في الأرض أثره، واستفرغ وسعه في تنجيدها واتقان قصورها وزخرفة مصانعها، فانهمك في ذلك حتى عطل شهود الجمعة بالمسجد الجامع الذي اتخذته، فاراد القاضي منذر بن سعيد رحمه الله وجه الله في أن يعظه ويقرعه في التائب، ويقص منه بما يتناوله من الموعظة بفصل الخطابة، والتذكير بالإنابة

فابتدأ أول خطبته بقوله تعالى (أتبنون بكل ريع آية تعبثون * وتتخذون مصانع لعلكم تخلدون * وإذا بطشتم بطشتم جبارين * فاتقوا الله وأطيعون * واتقوا الذي أمدكم بما تعلمون * أمدكم بأنعام وبنين وجنات وعيون * أني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم) ووصل ذلك بكلام جزل، وقول فصل، جاش به صدره، وقذف به على لسانه بحره، وأفضى في ذلك إلى ذم المشيد والاستغراق في زخرفته، والسرف في الاتفاق عليه، فجرى في ذلك طلقا، وتلا في ذلك قوله تعالى (أفمن أسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان خير أم من أسس بنيانه على شفا جرف هار فانهار به في نار جهنم والله لا يهدي القوم الظالمين * لا يزال بنيانهم الذي بنوا ريبة في قلوبهم إلا أن تقطع قلوبهم والله عليم حكيم) وأتى بما شا كل المعنى من التخويف للموت والتحذير منه، والدعاء إلى الله عز وجل في الزهد في هذه الدنيا الفانية والحض على اعتزالها، والتبيين لظاهر معانيها، والترغيب في الآخرة وبقاياها، والتقصير عن طلب الدنيا، ونهي النفس عن اتباع الشهوات، وتلا من القرآن العظيم ما يوافق، وجلب من الحديث والآثر ما يشاكله، ويطابقه، حتى بكى الناس وخشعوا، وضحجوا وتضرعوا، وأعلنوا الدعاء إلى الله تعالى

فعلم الخليفة أنه المقصود به، والمتعمد بسببه، فاستجدي وبكى، وندم على ما سلف منه من فوطه، واستعاذ بالله من سيخطه، واستعصمه برحمته، إلا أنه وجد على منذر بن سعيد للفظه الذي قرعه به، فشكا ذلك إلى والده الحكم بعد انصرافه، وقال: والله لقد تعمدني منذر بخطبته، وأسرف في ترويعي، وأفرط في تقرعبي، ولم يحسن السياسة في وعظي وصياني عن توبيخه، ثم استشاط، وأقسم أن لا يصلي خلفه الجمعة أبداً، فقال له الحكم: وما الذي يمنعك عن عزل منذر بن سعيد والاستبدال به؟ فزجره واتهره،

وقال: أمثل منذر بن سعيد في فضله وورعه وعلمه وحلمه لا أم لك يزل في ارضاء نفس ناكبة عن الرشيد، سالكة غير القصد؟ هذا ما لا يكون، وأني لاستحيي من الله تعالى أن لا أجعل يمني وبينه شفيما في صلاة الجمعة مثل منذر بن سعيد، ولكنه وقد نفسي وكاد يذهبها والله لوددت أن أجد سبيلاً إلى كفارة يميني بملكي، بل يصلي بالناس حياته وحياتنا فما أظننا نعتاض منه أبداً.

وعذله قوم من اخوانه لتكنيته ارجل كان يسبه فقال:

لا تعجبوا من أني كنيته من بعد ما قد سبنا وهجانا
فإن الله قد كنى أبا لهب وما كناه إلا خزية وهوانا

ومن قوله في الزهد

ثلاث وستون قد حزنها فإذا تؤمل أو تنتظر
وحل عليك نذير المشيب فما ترعوى بل وما تزدجر
تمر لياليك مرّاً حثيثاً وأنت على ما أرى مستمر
فلو كنت تعقل ما ينقضي من العمر ما اعتضت خيراً بشر
فإلا لا تستعد إذا لدار المقام ودار المقر
أترغب في فجأة المنون؟ وتعلم أن ليس منها وزر
فأما إلى جنة أزلت وأما إلى سقر يستقر

استسقاء القاضي بالناس مع الخليفة

وقحط الناس في بعض السنين آخر مدة الناصر لدين الله أمير المؤمنين فأمر

القاضي منذر بن سعيد بالبروز الى الاستسقاء، فأهبط لذلك وصام بين يديه ثلاثة أيام تنفلاً واثابة واستجداء ورهبة، واجتمع الناس له في مصلى بقرطبة بارزين الى الله تعالى في جمع عظيم، وصعد الخليفة الناصر في أعلى مصانع القصر المشرقة ليشارك الناس في الدعاء الى الله تعالى والضراعة - فلما سرح طرفه في ملائ الناس وقد شغصوا اليه بأبصارهم قال :

يا أيها الناس - وكررها مشيراً بيده في نواحيهم - ثم قال (سلام عليكم كتب ربكم على نفسه الرحمة انه من عمل منكم سوءاً بجهالة ثم تاب من بعده وأصلح فانه غفور رحيم - أنتم الفقراء الى الله والله هو الغني الحميد ان يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد وما ذلك على الله بعزيز) فضج الناس بالدعاء وارتفعت الاصوات بالاستغفار والتضرع الى الله تعالى بالسؤال والرغبة في ارسال الغيث ، ووصل الحال ^(١) ومضى على تمام خطبته، فافزع النفوس بوعظته وانبعث الاخلاص بتذكيره ، فما أتم خطبته حتى بلأهم الغيث

وذكروا ان الخليفة الناصر ادين الله جاء غداة ذلك اليوم، فخرجه للخروج وذكر له عزمه عليه، والسابقون متسابقون الى المصلى، فقال للرسول - وكان من خواص حلفاء الصفاء اليه: يا ليت شعري! ما الذي يصنعه الخليفة سيدنا؟ فقال له مارأيتنا قط أخشع منه في يومنا هذا، انه لمتبذ حائر منفرد بنفسه لا بس أخشن الثياب، مقترش التراب، قد رمى به على رأسه وعلى لحيته، وبكى واعترف بذنوبه وهو يقول: هذه ناصيتي بيدك، أتراك تعذب الرعية وأنت أحكم الحاكمين لن يفوتك شيء مني؟ ^(٢) قال فتהלل وجه القاضي منذر بن سعيد عند ما سمع من قوله، وقال يا غلام! احمل الممطر ^(٣) معك فقد أذن الله تعالى بالسقيا اذا خشع جبار الارض فقد رحم جبار السماء، وكان كما قال فلم تنصرف الا عن السقيا

(١) لعل الاصل: ووصل الكلام (٢) إنما لم يقل وانت أرحم الراحمين مع كونه المناسب لتقام الاستسقاء، لأن مراده ان تعذب الرعية بذنبي اذا حاكمهم، وانت الحاكم علي وعليهم، لو شئت ان تعاقبني على ذنوبي فيهم انعمت، واذا عاملتني بالرحمة والفضل فالرعية أولى بذلك. هذا مراده قطعاً
(٣) الممطر القوب الذي يبقى به المطر

استقلال القضاء وإيثار القاضي مصلحة اليتيم على رغبة الخليفة

قال وكان القاضي منذر بن سعيد من ذوي الصلابة في أحكامه والمهابة في أقضيته، وقوة القلب في القيام بالحق في جميع ما يجري على يديه، لا يهاب في ذلك الأمير الأعظم فمن دونه. ومن مشهور ما جرى له في ذلك قصته المشهورة في إيتام أخي نجدة، حدثني بها جماعة من أهل العلم والرواية. وهي أن الخليفة الناصر لدين الله عبد الرحمن بن محمد احتاج إلى شراء دار بقرطبة لحظية من نسائه تكرم عليه، فوقع استحسانه على دار كانت لأولاد زكريا أخي نجدة كانت بقرب النشارين في الربض الشرقي منفصلة عن دور يتصل بها حمام العامة له غلة واسعة، وكان أولاد زكريا أيتاما في حجر القاضي، فأرسل الخليفة له من قيمتها بعدد ما طابت به نفسه، وأرسل ناسا وأمرهم بمداخلة وصي الأيتام في بيعها عليهم، فذكر أنه لا يجوز إلا بامر القاضي، إذ لم يجز بيع الأصل إلا عن رأيه ومشورته، فأرسل الخليفة إلى القاضي منذر في بيع هذه الدار، فقال لرسوله البيع على الأيتام لا يصح إلا لوجوه - منها الحاجة، ومنها الوهي الشديد^(١) ومنها الغبطة^(٢) فاما الحاجة فلا حاجة بهؤلاء الأيتام إلى البيع، واما الوهي فلا يس فيها، واما الغبطة فهذا مكانها، فإن أعطاهم أمير المؤمنين فيها ما يستبين به الغبطة، أمرت وصيهم بالبيع والأفلا. فنقل جوابه هذا إلى الخليفة فأظهر الزهد في شراء الدار طمعا أن تتراخي رغبته فيها، وخاف القاضي أن تنبعث منه عزيمة تلحق الأولاد سوءاتها، فأمر وصي الأيتام بنقض الدار وبيع أنقاضها ففعل ذلك، وباع الأنقاض وكانت لها قيمة باكثر مما قومت به للسلطان، فأنصل الخبر به فمز عليه خرابها، وأمر بتوقيف الوصي على ما أحدثه فيها، فأحال الوصي على القاضي أنه أمره بذلك، فأرسل عند ذلك للقاضي وقال له: أنت أمرت بنقض دار أخي نجدة؟ فقال له نعم، قال له وما دعائك إلى ذلك؟ قال أخذت فيها بقول الله تبارك وتعالى (أما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر فأردت أن أعيبها وكان وراءهم

(١) الضعف كأن تكون الدار متداعية (٢) الغبطة تحقق بما فيه مصلحة الأيتام وهو الزيادة على ثمن المثل

ملك يأخذ كل سفينة غصبا) فمقومتك لم يقدرها الا بكذا وبذلك تعلق وعمك
 فقد نص في اتقاضها أكثر من ذلك ^(١) وبقيت الدار والحمام فضلا . ونظر الله
 تعالى للايتام . فصبر الخليفة على ما أتى من ذلك ، وقال نحن أول من اتقاد الى الحق
 فجزاك الله تعالى عنا وعن امانتك خيرا
الوقار والديانة ، مع الظرف والدعاة

قال وكان على متاته وجزالته حسن الخلق كثير الدعاة فربما ساء ظن من
 لا يعرفه حتى اذا رام أن يصيب من دينه شرة ثار عليه ثورة الاسد الضاري
 فمن ذلك ما حدث به سعيد ابنه قال قعدنا ليلة من ليالي شهر رمضان المعظم
 مع أينا للافطار بداره البرانية فاذا بسائل يقول يا أهل هذه الدار الصالحين أطعمونا
 من عشاءكم أطعمكم الله تعالى من ثمار الجنة هذه الليلة ، وأكثر من ذلك . فقال
 القاضي ان استجيب لهذا السائل فيكم فليس يصبح منا واحد
 وحكى عنه قاسم بن أحمد الجبني انه ركب يوما لحيازة أرض محبسة في ركب
 من وجوه الفقهاء وأهل العدالة فيهم أبو ابراهيم اللؤلؤي ، قال فسرنا تقفوه وهو
 أمامنا وأمامه امامه يحملون خرائطه ^(٢) وعلى ذويه السكينة والوقار ، وكانت القضاة
 حينئذ لا تراكب ولا تمشي ^(٣) فعرض له في بعض الطريق كلاب مستوحدة وهي تعلق
 منها وتدور حوله ، فوقف وصرف وجهه اليها وقال : ترون يا أصحابنا ما أبر الكلاب
 بالهن الذي تعلقه وتكرمه ونحن لا نفعل ذلك !! ثم لوى عنان دابته وقد أضحكنا
 وبقينا متعجبين من هزله

وحضر عند الحكم المستنصر بالله يوما في خلوة له في بستان الزهراء على بركة

(١) يريد ان الذي قوم الدار للخليفة حباه وهو يتوهم أنه قومها بما تساوي مع
 أن عن اتقاضها وحده قد زاد على ذلك ، وهو يريد أكثر مما تساوي لمصلحة الايتام
 (٢) لعل أصله : وأمامه خدمه أطخ والخرائط أوعية من الجلد أو غيره لها عرى
 تشد وتربط على ما يوضع فيه من المتاع واحدها خريطة

(٣) أي كانوا يتقدمون الناس فلا يركب ولا يمشي معهم أحد مساويا لهم

ماء طافحة ، وسط روضة نافحة ، في يوم شديد الوهج ، وذلك إثر منصرفه من صلاة الجمعة ، فشكا إلى الخليفة من وهج الحر الجهد ، وبث منه ما تجاوز الحد ، فأمره بخلع ثيابه والتخفف من جسمه ، ففعل ولم يطفئ ذلك ما به ، فقال له : الصواب أن تنغمس في وسط الصهر يبعج أنفاسه يبرد بها جسمك ، ولم يكن مع الخليفة إلا الحاجب جعفر الخادم الصقلي أمينه والحكم لأربع لهم ، فكانه استحيا من ذلك ، وانقبض عنه وقارا ، واقصر عنه إقصارا ، فأمر الخليفة حاجبه جعفرا بسبقه بالنزول في الصهر يبعج ليسهل الأمر فيه على القاضي ، فبادر جعفر لذلك وألقى بنفسه في الصهر يبعج وكان يحسن السباحة ، فجعل يجر يمينه وشماله ، فلم يسمع القاضي إلا انفاذ أمر الخليفة ، فقام وألقى بنفسه خلف جعفر ، ولاذ بالقعود في درج الصهر يبعج ، وتدرج فيه بعض تدريج ، ولم ينبسط في السباحة ، وجعفر يمر مصمدا ومصوبا ، قدسه الحكم على القاضي وحمله على مساجلته في العوم — فهو يعجزه في إدخاله إلى القعود ، ويعاتبه بإلقاء الماء عليه ، والإشارة بالجذب إليه ، وهو لا ينبعث معه ، ولا يفارق موضعه ، إلى أن كالمه الحكم وقال له مالك لا تساعد الحاجب في فعله وتقفر معه ، وتثقل صنعه ، فمن أجلك نزل ، وبسببك تبذل ؟ فقال له ياسيدي يا أمير المؤمنين الحاجب سامه الله لا هو جل (١) معه وأنا بهذا الهوجل الذي سمي يعقلي ويمنعني من أن أجول معه مجاله . فاستفرغ الحكم ضحكا من نادرته ولطيف تمريره لجعفر ، وخجل جعفر من قوله وسبه سب الاشراف . وخرجا من الماء وأمر لهما الخليفة بخلع ووصلهما بمصلات سنية تشا كل واحد منهما

وذكر أن الخليفة الحكم قال له يوما لقد بلغني أنك لا تجتهد للايتام وإنك تقدم لهم أوصياء سوء يا كلون أموالهم . قال نعم وإن أمكنهم . . . أمهاتهم لم يعفوا عنهم ؟

(١) الهوجل الانجر الثقيل الذي ترسى به السفينة ، وفي العبارة من حسن الاستعارة ونزاهة التمرير ما ترى ، هذا وقد خجل منه الحاجب وغضب حتى أنه لم يملك لسانه أن سب القاضي والاشراف على مسمع من الخليفة ! وناهيك بهذا برهانا على نزاهة حاشية الخليفة وبعدهم عن المجون والخلاعة ، وعلى دقة ذلك الاعجمي الاصل في فهم اللغة العربية .

قال وكيف تقدم مثل هؤلاء قال لست أجد غيرهم ولكن احلني على الأولوثي وأبي
إبراهيم ومثل هؤلاء فان أبوا جبرتهم بالسوط والسجن ثم لا تسمع الا خيرا
إنكار القاضي على الخليفة وأنصاف الناصر وقوة دينه

ومن اخبار منذر بن سعيد المحفوظة مع الخليفة عبد الرحمن في إنكاره عليه
الاسراف في البناء — ان عبد الرحمن كان قد اتخذ الى السطح العتبة الصغرى التي
كانت مائلة الى الصرح الممرد المعروف بقصر الزهراء المشهور بان له قرامد ذهب
وفضة أنفق عليها مالا جسيما وجعل سقفا صفراء فاقعة ، الى بيضاء ناصعة ، تسلب
الابصار بمطارح أنوارها المشعشة ، وجعل فيها اثرا تمامها لاهل مملكته مشهدا فقال
لقرأته ومن حضره من الوزراء وأهل الخدمة مفتخرا عليهم بما صنعه من ذلك مع
ما يتصل به من البدائع الفتانة : هل رأيتم قبلي أو سمعتم من فعل مثل فعلي هذا أو
قدر عليه ؟ فقالوا لا والله يا أمير المؤمنين ، انك لأوحد في شأنك كله ، ولا سبقك
في مبتدعاتك هذه ملك رأيناه ولا انتهى إلينا خبره ، فابهمجه قولهم

وبينا هو كذلك سار ضاحك اذ دخل عليه القاضي منذر بن سعيد واجها ناكسا
ذقنه ، فلما أخذ محله قال له كالذي قال لوزرائه من ذكر السقف واقتداره على ابداعه ،
فجرت دموع القاضي تنحدر على لحيتيه ، وقال والله يا أمير المؤمنين ما ظننت
ان الشيطان أخزاه الله يبلغ بك هذا المبلغ ولا ان تمكنه من قيادك هذا التمكن ،
مع ما آتاك الله وفضلك على العالمين ، حتى أنزلك منازل الكافرين !! قال فاقشعر
عبد الرحمن من قوله ، وقال انظر ما تقول ! كيف أنزلي منازلهم ؟ قال نعم أليس
الله تبارك وتعالى يقول (ولولا أن يكون الناس أمة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن
ليبوتهم سقفا من فضة ومعارج عليها يظهرون * وليبوتهم أبوابا وسررا عليها
يتكئون) قال فوجم الخليفة ونكس رأسه مليا ودموعه تجري على لحيتيه خشوعا لله
تبارك وتعالى ، وندهما اليه ، ثم أقبل على منذر وقال له : جزاك الله تعالى يا قاضي
خيرا عنا وعن المسلمين والدين ، وكثر في الناس أمثالك ، فالذي قلت هو والله
الحق. وقام من مجلسه ذلك وهو يستغفر الله تعالى ، وأمر بنقض سقف القبة وأعاد
قرامدها ترابا اه

المقارنة بين اللغة المصرية القديمة واللغة العربية^(*)

الكلمات المبدوءة بهذا الحرف  وهو نسر يقرأ ألفا أو كسرة أو همزة أو واوا وهذا الأخير نادر

أب — أبأ وأبابة وأبابا : اشتاق الى الشيء . قالوا « أب لبي لمثلك »
أي اشتاق قلبي الى رؤيتك (قرطاس رند لوحة ١٢ سطر ٢٢) ومنها
أبابة — قصد

أبنخ — يقابلها في العربية عبق لأن الخاء تنوب عن القاف والكاف ،
فيقولون خب وكب لكف اليد : عبق المكان بالطيب انتشرت رائحته
فيه ، فيقال في المصرية « أبنخ شماماتها » أي عبق وانتشر كل ما يشم من
الروائح الطيبة . عبق به : لزع ، وقالوا « عبق المعبود منتو في حذتك » أي
لمحك . و « عبققت المشاة بالمشاة » أي التصقت والتحمت (عن حجر الملك
يعنخي الزنحي) و عبق بالمكان : أقام ، نحو قولهم « عبق الأَرْضان في عيشة
الملك السليمة » أي بقي القطران وهما الوجه القبلي والبحري في عيشة راضية
أبنخ — يقابلها في العربية أبق : هرب ، قالوا « تَأَبَقُ مَطَوَّل الرِّثْوَة »
أي تأبق حال كونك مطولا الخطوة في سيرك (عن نقوش الملك تيتي)
آبدة — ج أوابد وهي الطير المقيمة بأرض شتاها وصيفها ، يكثر

(*) مختارات من معجم أحمد كمال بك الأثري المصري للغة المصرية القديمة فيما
وافقت فيه اللغة العربية بالنص أو بضرب من القلب والابدال ، فالكلمة الأولى
من هذه الكلم المرتبة على حروف المعجم هي المستعملة في النصوص المصرية القديمة
عما هو عربي فإن كان فيه قلب أو إبدال يذكر بعده الأصل العربي ، وما بعد
النقطتين هكذا : تفسير لما قبلهما

ذكرها في النصوص المصرية ولا سيما فيما كان على صفائح القبور. ومنه قولهم «آدة دثصة» أي سمينة، و «آدة مائية» والآثريون يصرفونها إلى جماعة الطير اذ وجد بجانبها رسم طيور متنوعة اتباعا لقاعدة الخط عندهم، لأن كل اسم جنس يرسم بعده بعض أنواعه للدلالة عليه، مثال ذلك كلمة حمس - وأصلها في المصرية حمت لأن التاء تنوب عن السين - واحده حمسة اسم لدواب البحر، فترام يرسمون بعده ثلاث سمكات متنوعة، كما أنهم يرسمون بعد كلمة «أعضاء» بعض أجزاء الجسم. وبعد كلمة «كراع» - وهو السلاح في اللغتين - بعض أنواع الاسلحة وهلم جرا - آبي - قيل عنه في كتب اللغة العربية انه اسم للأسد، وصوابه النمر لوجود صورة هذا الحيوان مرسومة بعد الكلمة في النصوص المصرية

اتا - عتا عتوا : استكبر وجاوز الحد

ات - وبالعربية أث اثنا وأثونا وأثانة : التف وكثر . ويقال لها

بالقبطية آتا

إتف - وبالعربية عطاق ج عطف وأعطفه : السيف (عن العدد ١٣٧٧)

من الجزء الأول من كتاب الجغرافية)

اجاب - وبالقبطية أجب - وجب وجوبا : سقط ومات ، وأصل

الوجوب السقوط والوقوع . والوجبة السقطة

اجاب - اجابة وجاب جوابا : رد الجواب (عن لوح قبر موجود في

متحف مدينة مِترِنيخ)

اجر - وأجراء وأجرية واحده جرو - وهو ولد الكلب

إجانة - ج أجاجين هو صركن من خشب ، ومنه قولهم « إجانة

ماء نحمد اللوب « أي الظمأ (عن قرطاس پريس اللوحة ١ والسطر ٥)
 آخ . أش — مقلوبة ومحرقة عن شيء بالعربية (عن قاموس بروكش
 الجزء ١١ والصفحة ١١٧ والجزء الخامس الصفحة ١٢) وفي الغالب
 يقولون : خ — أو — ش بالامالة بمعنى شيء

اخ — وفي العربية آق عليهم أوتقا : أتاها بالشؤم فيقولون « ممت
 (أي العدل) يؤخ عليك لو مشى عن سأوه »^(١) والمعنى : لو حاد العدل
 عن وطنه لآق عليك أي لأتاك بالشؤم (عن شكايه الفلاح الصحيفه ٩٢)
 اخط — وفي العربية خطا خطوا واختطى (عن قرطاس في متحف فينا)
 أخط — ويقابله في العربية خطّ خطا : رسم . وخط : كتب ويقال
 بالمصرية خطّ أيضا وهو الأكثر في آثارهم^(٢)

أخف — قفيه : طعام، ومثلا كفيه ج كفى
 أدأبه — لغة في أتأبه : أغضبه (عن ورقة پريس اللوحة ٦ والسطر ١)
 أد — الرجل في الارض أدّا : ذهب وسار سيرا شديدا (عن رحلة
 أسنوهيت الصحيفه ٤٤)

أذا — اذاء : أضرّ (عن ورقة پريس اللوحة ٦ والسطر ١)
 أر — ألّو : البعيدة المرعى . ويقال انها عين واحد العليين وهو اسم
 لأعلى الجنة ، وفي المصرية تكتب بالراء وباللام (عن نقوش هرم أناس
 السطر ٥٨٨)

(١) المنار : في هذه الجملة المصرية ثلاث كلمات عربية وهي يؤخ المحرف عن
 يؤق ومشى والسأ وهو الوطن (٢) علم من هذه الأمثلة ومما سيأتي ان معتل
 العين أو اللام وكذا الفاء أو المضاعف بالعربية يقلب حرف العلة أو المضاعفة فيه
 بالمصرية همزة وينقل الى الفاء ان لم يكن هو الفاء

ارجا — أرجاء جمع رجا وهو الجانب والناحية ، وبالقبطية أفريجو
(راجع قاموس بيتر الصحفية ٣ نقلا عن كتاب پريس)

أرض — ج أرضون وأروض وأراض

أرّف — (وتكتب عند المصريين بالعين أيضا لأن الالف عندهم
تنوب عن العين) عرّف يقال أرّف الحبل أي عقده . ويقرب منها في
العربية أرب العقدة : شدها لان الباء تنوب عن الفاء . ويقابلها في القبطية
أرّف . أرب (عن نقوش متوحيت)

أراق — وريق : أسال وأهرق

اسد — ويقابلها في العربية زأد — فهي مقلوبة وسينها زاي — رأدا
وزؤدا : أفزع (عن نقوش هرم أناس السطر ٣٧٩) ويقابلها في اللغتين
شثف وجأف : خاف . وهاد في الشيء هيدا أفزع وأكرب . وحذر :
أرهب . كلها ألفاظ عربية ومصرية

أسن — هي مقلوب ساء ساوا : عدا . وسأي يسأي سايا : عدا في
المشي (عن نقوش هرم يبي السطر ٢٩٦)

أس — أسنا : سلح (عن قرطاس برلين الطبي ١٩ ٢٦) وسأح أيضا
كلمة مصرية وعربية كالألفاظ أخرى بمعناها

أسي — : خرنى الدار أي متاعه (عن نقوش إدفو)

آشي — أوشي المكان : ظهر فيه وشي من النبات

أشي — وبالعربية عشا وعسى الليل : أظلم وأغشى يغشى : اظلم

أصب — وبالعربية عصب عصباً : احمر في النار (عن كتاب

الموتى)

اطاب - للضيف إطابة : قدم له طعاما طيبا (قاموس لينى الجزء ٨ ص ١٢)

إطل - وإطال - وإطل : الخاصرة ، الجنب . قال امرؤ القيس في وصف ناقته * لها أيطلا ظي وساقا نعامه *

افا - مقصور . وبالعربية فاء فيثا : اخذ الثنينة واغتنمها (عن جريدة السيتشر فت لسنة ١٨٧٢ ص ٢٥)

أفت - أبت الشمس وآفت لغة في غابت (عن قاموس بروكش الجزء ١ ص ٧)

أف - أوفأ : اضر وأفسد

أفيه - كثير الاكل ، وبالعربية فية وفيه . والفوه النهم الذي لا يشبع ، واستفاه الرجل اشتد اكله بعد قلة يستفيه في الطعام والشراب (راجع قرطاس پريس اللوح ١ ص ٨)

أقع - وبالعربية اوكع : حفر (عن قرطاس ايرس الطبي عدد ٢ اكهى - حجر لا صدع فيه)

اقس - عكس . قابت عينه همزة ونخمت كافه فصارت قافا . يقال بالعربية عكس البعير اذا شد حبلا في خطمه الى رسخ يده لينزل . وعكس الخيل اقدعها (عن تابوت سبتى المحفوظ بمتحف لندرة)

أق - عج . يقال : عجت المرأة صبيها عجا لغة في عجته عجواء اي اسقته اللبن . ورسم بعد الكلمة امرأة ترضع ابنها

اكن - الشيء - وكنه كنا وكنونا وكنته : ستره في كنه وغطاه وأخفاه وصانه . واكتني : استتر (عن نقوش الملك يبي الأول السطر

(١٤٦) ومنها الكنّ وجمعه أكنان واكنة
 أكَ - : ضاق صدره ؛ ومنه قولهم « أكَ لبّه وخسّ حزّه » أي ضاق
 صدره ونقص لحمه (عن ورقة پريس اللوحة ٨ والسطر ١٢)
 ألب - ولبّ لبّاً أقام (عن ص ٤٣ من رحلة سنوهيت لماسيرو)
 ألق - وتألّق : لمع وفي المصرية تكتب بالراء أيضا (عن جريدة
 مجموعة أعمال العاديات جزء ٥ صحيفة ٩٤)
 أليكة - وبالقبطية أليكو وبالمرية عليقّ عليقي : نبت يتعلق بالشجر
 (عن القرطاس الثاني السحري)
 أل - أله ألاً : طعنه بالآلة اي الحربة (عن قرطاس اسوريس
 بتحف فينا)
 أمّا - (بين القوم) : أفسد ، مقلوب ماي مأيا وماوآ (واوي يائي
 بالمرية) (عن رحلة سنوهيت السطر ١ من الصفحة ٢ لماسيرو)
 امر - الشيء : شده بالمرار وهو الحبل . وبالقبطية مؤر
 أماه - ماه الشيء وأماهه : خلطه ، كلمة تذكر كثيرا في قرطاس الطب
 القديمة فيقولون : « يُنَحَز ويماء في المروخ » أي يُصحن في الهاون^(١)
 أمي - عمي يعمى : ذهب بصره كله من عينيه ، قلبت العين همزة
 أنأي - إناء أبعد (عن القرطاس السحري السطر ٧ من ظهره)
 أنأي ونأي وانتأي - حفر أو عمل النؤيا أي الحفرة (عن نقوش
 مقبرة في الكاب)

(١) نحز الشيء دقه بالمنحاز وهو الهاون ، والمروخ (كصبور) ما يمرخ به البدن
 من دهن وغيره

أَهْد - وفي العربية هود تهويدا : رجع الصوت في لين . وغنى (عن
تتة قاموس لينى ج ٢)

أَهْد - وفي العربية هَدَّ البناء هَدًّا وهُدوداً هدمه : ويقال هَدته المصيبة
أي أوهنت ركبه (عن كتاب نافيل في إبادة الجنس البشري بالشمس)
اهط - وهط وفي العربية وهط : الأرض المطمئة التي تزرع .
(عن نقوش معبد دندره)

أَهَّ - أَهَّا وآهَةً : توجع (عن نقوش دندرة وقرطاس پريس -
السطر ١ من اللوح ١٥)

أَوْقَم - وقم الرجل ووكه : قهره وأذله، وحزنه أشد الحزن فهو موقوم .
ووكم له : اغتم وجزع (عن جريدة السيشرفت لسنة ١٨٧٨ الصفحة ٤٩)
ومنه قولهم « أقوال موكمة لا ختلال سخت »^(١)

آوى - (المنزل أو الى المنزل) وغيره أويًا نزل به ورجأ اليه . وتأوى .
اجتمع (عن قرطاس برلين اللوح ١ $\frac{١٠}{١٦}$)

إي - حرف جواب بمعنى نعم (يقع قبل القسم في العربية) ويقابله
في اللغة العامية (إيوة)

أَيَا - تَأَيَّا (المتعدي بعل) : انصرف في تُوْدَة (عن نقوش الملك مرنرع
السطر ٧٤٨)

أَيْلٌ - وَأَيْلٌ : الأيل (وبالقبطية إيلول) وهو الحيوان المعروف الذي
يشبه الوعل

(١) سخت مبهودة من مبهوداتهم

الخطب الدينية

اشتغالنا بانتقادها واصلاحها

قد كان مما وفقنا الله تعالى له في أثناء الاشتغال بطلب العلم انتقاد خطباء المساجد ودواوينهم التي يحفظون خطبها ويقرؤونها على المنابر غيباً أو في الاوراق المخطوطة او المطبوعة؛ فان كل هذه الخطب أو جلها في ذم الدنيا واتر هيد فيها والتذكير بالموت ومدح الشهور والمواسم حتى المبتدعة منها، وأكثر ما فيها من الاحاديث ضعيف أو موضوع، وقد عقدت في كتاب (الحكمة الشرعية) الذي ألفته في ذلك العهد فصلاً طويلاً في الخطابة بينت فيه حكمتها ومنفعتيها وكيفية تحصيل ملكة الارتجال فيها، وما ينبغي أن تشتمل عليه الخطب الدينية في المساجد، وأنشأت عدة خطب خرجت فيها من المضيق الذي حبس خطباءنا فيه أنفسهم؛ واخترت لآحاد الخطباء أحاديث صحيحة وحسنة لديوان أنشاء عزوتها الى مخرجيها فكان أول خطيب سمعناه في بلادنا يلتزم الاحاديث الصحيحة والحسنة في خطبه معزوة الى مخرجيها، على ان التزام الاحاديث في آخر الخطبة غير واجب ولا مسنون، بل هو عادة ينبغي تركها احياناً لئلا يظن أنها مشروعة فيكون الالتزام من البدع التي سماها صاحب الاعتصام البدع الاضافية

ثم اتنا بعد انشاء المنار نوهنا فيه بهذه المسألة مراراً، واتفق لنا أن خطبنا في بعض المساجد خطباً مرتجلة مناسبة لحال عصرنا موافقة لما كان عليه سلفنا الصالح فكان هذا وذاك باعثاً لكثير من محبي الاصلاح

على مطالبتنا بإنشاء خطب اصلاحية تنشر في المنار عسى أن يقتبسها أو يقتبس منها الخطباء، فلم نجبهم الى ذلك لاعتقادنا ان الغرض منه لا يتم الا اذا جاء من جانب السلطة الرسمية

مثال ذلك أننا أنشأنا خطبة في الاقتصاد في المال وقضاء الدين اقترحها علينا الشيخ علي يوسف وأخذها منا . ثم علمنا انها نشرت في القطر بأمر الحكومة بعد استحسان شيخ الازهر وإجازته .

وكنا قد مهدنا السبيل الى مثل ذلك في ديوان الاوقاف ولكن علمنا أنه لا ينفذ الا اذا اقتنع به الامير واحب تنفيذه ، فكنا ننتظر الفرصة لعرض ذلك عليه واقناعه به ولم تسنح لنا ، ثم شرعنا فيما هو خير من ذلك اصلاحاً وهو مدرسة الدعوة والارشاد التي يتربى فيها الخطباء المرتجلون ، ولا تزال نعاني في هذه السبيل من تمهيد العقبات ، ومكافحة الحساد واعداء الاصلاح ، ما نرجو أن ينتصر فيه الحق على الباطل والاخلاص على النفاق

ديوان خطب المصلح القاسمي

اطلعنا في هذه الايام على ديوان خطب عالم الشام صديقنا المرحوم الشيخ جمال الدين القاسمي تغمده الله تعالى برحمته ، وكان أهدي اليها مطبوعاً منذ اعوام فلم يتح لنا التأمل فيه ، فرأيناه أفضل ما نشر من دواوين الخطب، بخلوه من البدع والخرافات ، ومن الاحاديث الواهية والموضوعات ، واشتماله على الموعظة الحسنة التي يحتاج الناس اليها في جميع الاوقات ، ولو كان للخطابة والتأليف حرية في بلاد الشام ايام انشاء رحمه الله تعالى لتلك الخطب لأودعها كثيراً من المسائل الاجتماعية والادبية

التي اشتدت الحاجة اليها في هذا المصير ، وقد رأينا أن نكتب بعض مقدمات هذا الديوان النفيس وخطبه فيما يلي فهاكها بنصها :

« المقدمة الاولى في الهدي النبوي في الخطبة »

قال الامام ابن القيم رحمه الله في زاد المعاد في هدي خير العباد في هديه صلى الله عليه وسلم في خطبه : كان صلوات الله عليه اذا خطب اجرت عيناه وعلا صوته واشتد غضبه حتى كأنه منذر جيش . وكان يقصر الخطبة ويطيل الصلاة ويكثر ويقصد الكلمات الجوامع . وكان يعلم أصحابه في خطبته قواعد الاسلام وشرائعه . ويأمرهم وينهاهم في خطبته اذا عرض له أمر أو نهي . وكان يأمرهم بمقتضى الحال في خطبته ، فاذا رأى من هم ذا فاقة وحاجة أمرهم بالصدقة وحضهم عليها . وكانت يميل يوم الجمعة حتى يجتمع الناس ، فاذا اجتمعوا خرج اليهم . فاذا دخل المسجد سلم عليهم . فاذا صعد المنبر استقبل الناس بوجهه وسلم عليهم ، ثم يجلس يأخذ بلال رضي الله عنه في الاذان ، فاذا فرغ منه قام النبي صلى الله عليه وسلم فخطب ، وكان في الجمعة يعتمد على عصا أو قوس . وكان منبره صلوات الله عليه ثلاث درجات ، وكان يأمر الناس بالدنوا منه ويأمرهم بالانصات . وكان صلى الله عليه وسلم اذا صلى الجمعة دخل الى منزله فصلى ركعتين ، وفي رواية كان اذا صلى في المسجد صلى أربعاً وان صلى في بيته صلى ركعتين . انتهى ملخصاً

« الثانية في سنن الخطبة »

قال الامام النووي في الروضة في سنن الخطبة : منها أن تكون على منبر . والسنة أن يكون المنبر على يمين الموضع الذي يصلي فيه الامام . ويكره المنبر الكبير الذي يضيق على المصلين اذا لم يكن المسجد متسع الخطبة ، فان لم يكن منبر خطب على موضع مرتفع ، ومنها أن يسلم على من عند المنبر اذا انتهى اليه . ومنها اذا بلغ في صعوده الدرجة التي تلي موضع القعود أقبل على الناس بوجهه وسلم عليهم . ومنها أن يجلس بعد السلام . ومنها انه اذا جلس اشتغل المؤذن بالاذان ، ويدعى الجالس الى فراغ المؤذن . ومنها أن تكون الخطبة بليغة غير مؤلفة من الكلمات المبثثة ولا من الكلمات

الوحشية بل قربة من الافهام . ومنها أن لا يطولها ولا يحققها بل تكون متوسطة . ومنها أن يستدبر القبلة ويستقبل الناس في خطبته ولا يلتفت يمينا ولا شمالا . ومنها أنه يستحب أن يكون جلوسه بين الخطبتين قدر سورة الاخلاص . ومنها أن يعتمد على عصا أو نحوه . ومنها أنه ينبغي للقوم أن يقبلوا على الخطيب مستمعين لا يشتغلون بشيء آخر ، حتى يكره الشرب للتلذذ ولا بأس به للمطش لا للخطيب ولا للقوم . ومنها أن يأخذ في النزول بعد الفراغ ويأخذ المؤذن في الإقامة ويبتدر ليبلغ المحراب مع فراغ المقيم . اهـ

« الثالثة فيما يكره في الخطبة وفروع أخرى »

قال الامام النووي رحمه الله في الروضة . يكره في الخطبة أمور ابتدعها الجهلة منها التفاتهم في الخطبة الثانية . والدق على درج المنبر في صعوده . والدعاء اذا انتهى صعوده قبل أن يجلس ، ومنها مباقتهم في الاسراع في الخطبة الثانية . ويستحب اذا كان المنبر واسعا أن يقوم على يمينه ، ويكره للخطيب أن يشير بيده . ويستحب أن يختم الخطبة بقوله : أستغفر الله لي ولكم . وذكر بعضهم انه يستحب للخطيب اذا وصل المنبر أن يصلي تحية المسجد ثم يصعد ، وهو قول غريب وشاذ مردود . فانه خلاف ظاهر المنقول عن فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين فمن بعدهم ، ولو أغني عن الخطيب فهل يني غيره على خطبته أو يستأنفها ؟ قولان . اهـ ملخصا

ويكره أن يتخطى المصلي رقاب الناس لما فيه من سوء الادب والاذى . ويحرم الكلام في الخطبتين والامام يخطب . وله الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم اذا سمعها ويسن سرا ، ويجوز تأمينه على الدعاء . ورفع الصوت قدام بعض الخطباء مكروه اتفاقا . كذا في الاقتناع ^(١)

(١) المنار : لأهل هذا العصر بدع ومنكرات أخرى كثيرة قبل الخطبة وبعدها وفي أثناءها ، بعضها من البدع الحقيقية وبعضها من الاضافية ، فمنها التزام ذكر الخطباء الملوك والسلاطين في الخطبة الثانية بالتعظيم ورفع المؤذنين أصواتهم بالدعاء لهم وإطاعتهم في ذلك والخطيب مسترسل في خطبته وفي ذلك عدة منكرات =

الرابعة (حكم تعدد الجمعة)

الحاجة في هذه البلاد في هذه الاوقات تدعو الى أكثر من جمعة اذ ليس للناس جامع واحد يسعهم ولا يمكنهم جمعة واحدة أصلاً الا أن خروجها الى حد أن لا فرق بينها وبين بقية الصلوات في كثير من المساجد الصغيرة التي لم تشيد لمثلها قد هول فيه السبكي في فتاويه لانه مما تأباه مشروعيها وما مضى عليه عمل القرون الثلاثة بل وتسميتها جمعة فان صيغة فعلة في اللغة للمبالغة وبالجملة فالجوامع الكبار التي تؤمها الافواج يوم الجمعة، ويحتاج لاقامتها فيها حاجة بيّنة لجواربها، هي التي لا خلاف في جوازها مهما تعددت، والتي لاتعاد الظهور بعدها، كما أشار له العلامة البجيرمي رحمه الله تعالى. وقد بسطنا في كتابنا [اصلاح المساجد من البدع والعوائد]

الخامسة ما يسن يوم الجمعة

يسن تنظيف يوم الجمعة وتطيب ولبس أحسن الثياب واكثر الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم لذكر الرحمة بعثته، والفضل بهدايته، والمنة باقتفاء هديه وسنته، والصلاح الاعظم برسالاته، والجهاد للحق بسيرته، ومكارم الاخلاق بحكمته، وسعادة الدارين بدعوته، صلى الله عليه وعلى آله ما ذاق عارف سر شريعته، وأشرق ضياء الحق على بصيرته، فسد في دنياه وآخرته، آمين

﴿ فواتح الخطب النبوية ﴾

١

ان الحمد لله نحمده ونستعينه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله — رواه الامام أحمد ومسلم عن ابن عباس — مبتدعة، ومنها ان بعض الحاضرين يقومون في أثناء الخطبة الثانية فيصلون، ومنها الدعاء برفع الايدي بين الخطبتين والاستمرار على ذلك بعد شروع الخطيب في الخطبة الثانية، ومنها صياح بعضهم في أثناء الخطبة باسم الله أو أسماء بعض الصالحين، ومنها المصافحة عقب السلام من الصلاة — الى غير ذلك

٢

الحمد لله نستعينه ونستغفره ، ونستهديه ونستنصره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا اله الا الله وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ، من يطع الله ورسوله فقد رشد ، ومن يعص الله ورسوله فقد غوى حتى يفيء الى أمر الله — رواه الشافعي والبيهقي عن ابن عباس —

٣

ان الحمد لله نستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا اله الا الله ، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله يا أيها الذين آمنوا (اتقوا الله الذي تساءلون به والارحام، ان الله كان عليكم رقيبا — يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن الا وأنتم مسلمون — يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا * يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزا عظيما) — رواه الامام أحمد والترمذي عن ابن مسعود —

السيد محمد شفيح آل رضا

في ضحوة يوم الاثنين أول أيام العشر الاخير من شهر رمضان المبارك سنة ١٣٣٣ هجرية قمرية — وأواخر العشر الأول من شهر الصيف الأول (الدرجة التاسعة من برج الأسد) سنة ١٢٩٢ هجرية شمسية — الموافق لليوم الثاني من شهر يوليو (تموز) ١٩١٥ مسيحية — وهب الله تعالى لصاحب هذه المجلة غلاما سويا أطلق عليه اسم (محمد شفيح) ولد محمد شفيح تام البنية، ممتلئ الجسم، أبيض اللون مشوبا بصفرة كما هي المادة، أحمر الشعر، أسود العينين الى زرقة بارز الجبهة ، طويل القامة ، رافعا أصبعه السبابة، ولم يلبث أن رضعها ، ولم يتقضى الاسبوع الأول الا وقد تبدلت الصفرة حمرة فصار أزهر اللون ،

فالله أسأل أن ينبت نباتا حسنا ، ويوقنا لثريته تربية صالحة ، ويجعله قرة عين لوالديه وآل بيته وأمته ، ويستجيب لنا به ويغيره ، ما دعونا وندعوه به من أدعية كتابه (ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين واجعلنا للمتقين إماما)

فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه
أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب

المعراج

١٣١٥

أوتى خيرا كثيرا وما يذكر إلا أولو الألباب
أوتى الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد

قال عليه الصلاة والسلام : ان للإسلام صوى و « مناراه كمنار الطريق »

مصر ٣٠ شوال ١٣٣٣ — ١٧ السنبلة (ص ٣) ١٢٩٣ هـ ش ١٠ سبتمبر ١٩١٥

حال المسلمين مع غيرهم في العصر الاول

ان حالة الام الاجتماعية والسياسية والادبية لها شأن كبير في تطبيق الاحكام على الوقائع وهو ما يسميه علماء الاصول « تحقيق المناط » ومن عرف التاريخ وفقه قواعد علم الاجتماع منه فانه هو الذي يفقه سبب اعراض الفقهاء والحكام عن قبول شهادة غير المسلمين عليهم . وأحق ما يجب فقهاء من تلك القواعد أربع ينبغي التأمل فيها بعين العقل والانصاف

(أحدها) ما كان عليه المسلمون في القرون الأولى للإسلام من الاستمسك بعروة الحق ، وإقامة ميزان العدل ، وعدم المحاباة والفرقة في ذلك بين مؤمن وكافر ، وقريب وبعيد ، وصديق وعدو ،

(ثانيها) ما كانت عليه جميع الأمم التي فتحوها بلادها ، وأقاموا شريعتهم فيها ، من ضعف وازع الدين ، وفساد الأخلاق والآداب ، وقد قرر ذلك مؤرخو الإفرنج وغيرهم وجعلوه أول الأسباب الاجتماعية لسرعة الفتح الإسلامي في الخلفيين

(ثالثها) ما جرى عليه الفاتحون من المسلمين من المبالغة في التوسعة على أهل ذمتهم في الاستقلال الديني والمدني ، اذ كانوا يسمحون لهم بأن يتحاكموا الى رؤسائهم في الامور الشخصية وغيرها — فكان من المعقول مع هذا أن لا يشهدوهم على قضايا

أنفسهم الخاصة ، وان يمنهم نظرم الى ما بينهما من التفاوت في الاحوال الدينية والادبية التي أشرنا اليها آنفاً من قبول شهادتهم على أنفسهم ، مع عدم ثقتهم بدينهم وعدالتهم

(رابعها) تأثير عزة السلطان وعهد الفتح الذي كانت الاحكام فيه أشبه بما يسمونه الآن بالاحكام العسكرية . واعتبر ذلك بأحكام دول الافرنج في أيام الحرب ، بل في المستعمرات التي طال عليها عهد الفتح أو ما يشبه الفتح ، يتبين لك ان أشد أحكام فقهاء المسلمين وحكامهم على غيرهم هي أقرب الى العدل والرحمة من أحكام أرقى أمم المدنية من دونهم

وقد علم من حال البشر ان الغالب قلما يرى شيئاً من فضائل المغلوب وان كثرت ، فكيف يرجى ان يرى قليلها الضئيل الخفي ؟ والجماعات الكبيرة والصغيرة كالأفراد في نظر كل الى نفسه وإلى أبناء جنسه بعين الرضا وإلى مخالفه بعين السخط . مثال ذلك ان امرأة من فضليات نساء سويسرة دينا وأدبا وعلماً راقبت أحوال الاستاذ الامام وسيرته مدة طويلة اذ كان يختلف الى مدرسة (جنيف) لتلقي آداب اللغة الفرنسية ، وكلمته مراراً في مسائل من علم الاخلاق والتربية — وكانت بارعة ومصنفة فيهما — فأعجبها رأيه ، كما أعجبها فضله وهديه ، ثم قالت له بعد ذلك : إنني لم أكن أظن قبل ان عرفتك ان القداسة توجد في غير المسيحيين

فمن تأمل ما ذكر تجلت له الاسباب المعنوية والاجتماعية التي صدت الحكام والفقهاء عن قبول شهادة غير المسلم على المسلم ، وتعجب من سعة أحكام القرآن ، التي يتوهم الجاهلون انها ضد ما هي عليه من الاطلاق وموافقة كل زمان ومكان ، فتراهم ينسبون الى القرآن كل ما ينكرونه على المسلمين من آرائهم وأعمالهم وأحكامهم بالحق أو بالباطل ، ولو كان المسلمون عاملين بالقرآن كما يجب لما أنكر عليهم أحد ، بل لا تبهمهم الناس في هديهم ، كما اتبعوا سلفهم من قبلهم ، بل لكانوا أشد اتباعاً لهم ، بما يظهر لهم من موافقة هدايته لهذا الزمان ، وموافقتها لأرقى ما وصل اليه من نظام وأحكام ، وهذا من أجل معجزاته التي تتجدد بتجدد الأزمان .

﴿ إعراب الآية الثانية الذي اضطرب فيه النحاة ﴾

قد تبين مما فصلناه ان الذين عدوا الآيتين في غاية الصعوبة لمخالفة مذاهبهم لها مخطئون ، وان الواجب رد المذاهب اليهما لا تأويلهما لتوافقا المذاهب ، وأما الذين استشكلوا اعراب جملة من الآية الثانية ، وعدوا لاجلها الآية أو الآيات في غاية الصعوبة — فانما أوقعهم في ذلك احتمال التركيب لعدة وجوه من الاعراب ، بما فيها من تعدد القراءات ، مع اعتيادهم تقديم الاعراب على المعنى وجعله هو المبين له ، وقد استحسننا بعد ايضاح تفسير الآيات بما تقدم ان نذكر ملخص ما قيل في إعراب تلك الجملة نقلاً عن (روح البيان) الذي يلتزم تحقيق المباحث النحوية في جميع الآيات ، عسى ان يستغني القارئ به عن مراجعة تفسير آخر . ونبدأ بحل الشرح لانه مبدأ ما استشكلوه من الاعراب . قال المؤلف رحمه الله تعالى :

(فآخران) أي فرجلان آخران وهو مبتدأ خبره قوله تعالى (يقومان مقامهما) والفاء جزائية وهي إحدى مسوغات الابتداء بالنكرة ولا محذور في الفصل بالخبر بين المبتدأ وصفته وهو قوله سبحانه (من الذين استحق عليهما الاوليان) وقيل هو خبر مبتدأ محذوف أي فالشاهدان آخران ، وجملة يقومان صفته والجار والمجرور صفة أخرى . وجوز أبو البقاء أن يكون حالا من ضمير يقومان وقيل هو فاعل فعل محذوف أي : فليشهد آخران . وما بعده صفة له . وقيل مبتدأ خبره الجار والمجرور والجملة الفعلية صفته وضمير مقامهما في جميع هذه الأوجه مستحق للذين استحقا ، وليس المراد بمقامهما مقام أداء الشهادة التي تولياها ولم يؤدياها كما هي بل هو مقام الحبس والتحليف . واستحق بالبناء للفاعل على قراءة عاصم في رواية حفص عنه وبها قرأ علي كرم الله تعالى وجهه وابن عباس وأبي رضي الله تعالى عنهم ، وفاعله «الاوليان» والمراد من الموصول أهل البيت ، ومن الاوليين الاقربان اليه الوارثان له الاحقاف بالشهادة لقربهما واطلاعهما ، وهما في الحقيقة الآخران القاعمان مقام الذين استحقا اثما ، الا أنه أقبح المظهر مقام ضميرها للتنبيه على وصفهما بهذا الوصف ، ومفعول استحق محذوف

واختلفوا في تقديره فقدروه الزمخشري أن يجردوها للقيام بالشهادة ليظهروا بهما كذب الكاذبين، وقدره أبو البقاء وصيتها . وقدره ابن عطية ما لهم وتركهم، وقال الامام : ان المراد بالاوليان الوصيان اللذان ظهرت خياتهما وسبب أولويتها أن الميت عينها للوصية . فمعنى «استحق عليهم الاوليان» خان في ما لهم وجنى عليهم الوصيان اللذان عثر على خياتهما، وعلى هذا لا ضرورة الى القول بحذف المفعول، وقرأ الجمهور «استحق عليهم الاوليان» ببناء استحق للمفعول واختلفوا في مرجع ضميره والا كثرون انه الاثم والمراد من الموصول الورثة لان استحقاق الاثم عليهم كناية عن الجناية عليهم، ولا شك ان الذين جنى عليهم وارتكب الذنب بالقياس اليهم هم الورثة، وقيل انه الايصاء، وقيل الوصية لتأويلها بما ذكر . وقيل الممل . وقيل ان الفعل مسند الى الجار والمجرور، وكذا اختلفوا في توجيه رفع الاوليان فقيل انه مبتدأ خبره «آخران» أي الاوليان بأمر الميت آخران، وقيل بالعكس، واعترض بأن فيه الإخبار عن النكرة بالمعرفة وهو مما اتفق على منعه في مثله، وقيل خبر مبتدأ مقدر أي ها الآخران على الاستئناف البياني، وقيل بدل من آخران، وقيل عطف بيان عليه، ويلزمه عدم اتفاق البيان والمبين في التعريف والتكثير مع انهم شرطوه فيه حتى من جوز تنكيره، نعم تقل عن نزر عدم الاشتراط، وقيل هو بدل من فاعل يقومان وكون المبدل منه في حكم الطرح ليس من كل الوجوه حتى يلزم خلوتك الجملة الواقعة خبراً أو صفة عن الضمير على انه لو طرح وقام هذا مقامه كان من وضع الظاهر موضع الضمير فيكون رابطاً، وقيل هو صفة آخران، وفيه وصف النكرة بالمعرفة والاخفش أجازها هنا لأن النكرة بالوصف قربت من المعرفة، قيل وهذا على عكس * ولقد أمر على اللثم يسبني * فانه يؤول فيه المعرفة بالنكرة . وهذا أول فيه النكرة بالمعرفة أو جعلت في حكمها للوصف، ويمكن — كما قال بعض المحققين — أن يكون منه بأن يجعل الاوليان اقدم تعينهما كالنكرة، وعن أبي علي الفارسي انه نائب فاعل «استحق» والمراد على هذا استحق عليهم انتداب الاوليين منهم للشهادة كما قال الزمخشري، أو اثم الاوليين كما قيل . وهو تنبيه الأولى قلبت ألفه ياء عندها، وفي على في «عليهم» أوجه الأول انها على بابها، والثاني انها بمعنى في، والثالث انها بمعنى من . وفسر استحق بطلب الحق

وبحق وغلب . وقرأ بمقبوب وخلف وحمة وعاصم في رواية أبي بكر عنه «استحق عليهم الأولين» ببناء استحق للمفعول والأولين جمع أول المقابل الآخر وهو مجرور على أنه صفة الذين أو بدل منه أو من ضمير عليهم أو منصوب على المدح . ومعنى الأولية التقدم على الأجانب في الشهادة وقيل التقدم في الذكر لدخولهم في (يأيها الذين آمنوا) وقرأ الحسن «الأولان» بالرفع وهو كما قدمنا في الأوليان، وقرأ «الأولين» بالتثنية والنصب، وقرأ ابن سيرين «الأولين» بياءين تثنية أولى منصوبا وقرأ «الأولين» بسكون الواو وفتح اللام جمع أولى كأعين وأعراب ذلك ظاهر

البرهان

على

خروج تارك الصلاة ومانع الزكاة من الإيمان

جمع أدلته من الكتاب والسنة محمد علي أبو زيد

الطالب بكلية دار الدعوة والارشاد

٢

يزيدك بيانا لهذه الآية قول النبي صلى الله عليه وسلم « بين الرجل وبين الشرك ترك الصلاة »^(١) خرجته مسلم^(١) ولا تحتاج بعده إلى شرح وبيان،

(١) المنار : رواه مسلم عن جابر بن عبد الله من طريق أبي الزبير محمد بن مسلم بن تدرس وهو ثقة عند الجمهور روى له إلا البخاري فإنه لم يرو له إلا متابعة . وكان ابن حزم يرد من حديثه ما يقول فيه : عن جابر ، لأنه مداس . وههنا صرح بسماعه منه . وطعن فيه شعبة ونهى عن الكتابة عنه قال لأنه لا يحسن يصلي ، ولكونه سيء صلاته . بل قال أنه كذب على رجل واعتذر عن ذلك بأنه أغضبه . واحتج =

ومنه قوله تعالى في سورة البقرة (واستعينوا بالصبر والصلاة وانها لكبيرة الاعلى الخاشعين الذين يظنون أنهم ملاقو ربهم وأنهم اليه راجعون)
تراه في هذه الآية جعل الصلاة يستعان بها ، ولم يذكر ما يستعان
عليه ، ليشمل كل الامور الدينية والدنيوية ، وذلك - كما بينا قريبا - أنها
تشغل النفس بذكر الله تعالى فتصقلها كصقل الجلاء للمرأة ، فيرى صاحبها
بقره من ربه ما لا يراه صديء النفس ، فتقوى فيه الروحانية ، والمرء

= على الشافعي بحديثه فغضب وقال : أبو الزبير يحتاج الى دعامة . وقال أبو زرعة وأبو حاتم
لا يحتج به . ورواه أيضا من طريق أبي سفيان طلحة بن نافع وقد روى له الجماعة الا
أن البخاري لم يرو له في الصحيح الامقرونا بغيره ، وقال سفيان بن عيينة : حديثه
عن جابر إنما هو صحيفة . أي لم يسمع منه مع أنه صرح بالسماع في رواية مسلم . وقال
ابن معين فيه : لا شيء . وقال ابن المديني . كانوا يضعفونه .

أما لفظ الحديث من الطريق الاول فهو « ان بين الرجل وبين الشرك والكفر
ترك الصلاة » ومن الطريق الثاني « بين الرجل وبين الشرك والكفر ترك الصلاة »
قال النووي في شرحه : هكذا هو في جميع الاصول من صحيح مسلم - الشرك
والكفر بالواو - وفي مخرج أبي عوانة الاسفرايني وأبي نعيم الاصبهاني - أو الكفر
باو . ولكل منهما وجه . ومعنى بينه وبين الشرك ترك الصلاة - ان الذي يمنع
من كفره كونه لم يترك الصلاة فاذا تركها لم يبق بينه وبين الشرك حائل . ثم ان الشرك
والكفر قد يطلقان بمعنى واحد وهو الكفر بالله تعالى ، وقد يفرق بينهما فيخص
الشرك بعبد الاوثان وغيرها من المخلوقات مع اعترافهم بالله تعالى ككفار قريش ،
فيكون الكفر أعم من الشرك والله أعلم . وذكر قبل ذلك أن الجمهور من السلف
والخلف لا يقولون بكفر تارك الصلاة الا اذا جحد وجوبها ، وحلوا مثل هذا الحديث
على ما رأيت في تفسيره له من كون تركها قد يفضي الى الكفر أو اذا كان جاحدا .
وقال بعض السلف بكفره وروي ذلك عن علي كرم الله وجهه وعن عبد الله بن
المبارك واسحق بن راهويه ، قال النووي : وهو رواية عن أحمد ، ووجه لبعض أصحاب
الشافعي ، وسياتي جمعنا بين الاقوال

مضى قويت روحه ، قويت إرادته واشتدت عزيمته ، فتسهل أمامه كل صعوبة ، ويفوز في كل عمل تطالبه الحياة ، وهذا كله هو حظ الشارع الحكيم ، ممن يخضع لأمره ، ويؤمن بشوابه وعقابه

وقد أفاد جل شأنه بقوله (وانها لكبيرة الا على الخاشعين الذين يظنون انهم ملاقوا ربهم) الآية ان الصلاة إنما تكبر وتثقل على من لم يؤمن بالآخرة ، ومن لم يصدق بملاقاة ربه وجزائه ، (يوم لا تملك نفس لنفس شيئا والامر يومئذ لله) وحده

وهاهنا نكتة بليغة في قوله (يظنون) فإنه لم يقل « يوقنون » ليفيد أن الظن — وإن كان لا يفني من الحق شيئا — يكفي حاملا للمرء على العمل احتياطا ، ما دام يرجح عنده أنه سيرجع الى الله فيحاسبه ويجازيه . فكأنه تعالى يقول : إن من يعتقد اعتقاد ظن ورجحان^(١) لم يصل فيه الى درجة اليقين بالبرهان ، انه سيلاقى ربه فيحاسبه ويجازيه ، لم تثقل عليه الصلاة ولا تشق ، بل يقيمها بنشاط على خشوع وراحة

وهذا مبني على سنة الله تعالى في النفس ، متى ترجح عندها الاجر والمنفعة في العمل نشطت اليه ، وهشت له ، وإن كان سخرة أو ضرا ، كبر عليها ، وجزعت منه . واذا كان ذلك حال الظان — لا يترك الصلاة ولا تثقل عليه أقامتها ، بل يحافظ عليها ، ويرتاح بها — فما بالك بالموقن هل يترك الصلاة ، أو يتقل عليه شيء منها ؟ أم ينتظر أوقاتها ، ويقول كما قال الرسول صلى الله عليه وسلم : « أرحنا بها يا بلال » ؟

ومنه قوله تعالى في سورة الانعام (وهذا كتاب أنزلناه مبارك

(١) الظن الاعتقاد الراجح ، ولا يشترط فيه تصور مقابل مرجوح

مصدق الذي بين يديه ، ولتنذر أم القرى ومن حولها ، والذين يؤمنون
بالآخرة يؤمنون به وهم على صلاتهم يحافظون)

جعل سبحانه المحافظة على الصلوات شأنًا من شؤون أهل الإيمان
بالآخرة وبالقرآن ، وجعل هذا الإيمان داعيًا إليها ، وباعثًا عليها ، وذلك
أن قوله « وهم على صلاتهم يحافظون » يفيد أن الذي يؤمن باليوم الآخر
ويصدق بأن فيه الجزاء الأوفى — الطيب للطيب ، والخبيث للخبيث ،
لا بد أن يصدق بالقرآن ، ولا بد أن يكون على تلك الحالة ، ومتصفًا
بتلك الصفة — المحافظة على الصلاة

واختيار التعبير بالفعل « يحافظون » على الوصف « يحافظون » يدل
على الدوام والاستمرار . أي أنه لا ينفك عنها في وقت من الأوقات .
والآية وما قبلها نص في أن الإيمان بالآخرة يستلزم الإيمان بالقرآن ،
والإيمان به يستلزم إقامة الصلاة ، ومفهومه أن من لم يحافظ عليها كافر ،
وعلى هذا يكون القرآن قد بين أن الصلاة هي الفارق بين المؤمن والكافر .
ويجلي لك هذا قول النبي صلى الله عليه وسلم « بين الكفر والإيمان ترك الصلاة »
رواه مسلم وأبو داود والترمذي ، وفي رواية « بين العبد وبين الكفر ترك
الصلاة » وقوله (ص) « العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة فمن تركها فقد كفر »
رواه الترمذي والنسائي وصححه ، فتأمل هذه التصريحات في هذه الأحاديث ،
وانظر التحقيق من النبي (ص) بلفظة « فقد كفر » وكلها في معنى الآيات
التي سمعت

وأزيدك أن النبي (ص) قال « من ترك صلاة العصر فقد حبط
عمله » رواه البخاري والنسائي ، ومن المعلوم في الشرع أن الذي يحبط

عمله هو الكافر، قال تعالى في سورة المائدة (ومن يكفر بالإيمان فقد حبط عمله) فإذا كان تارك العصر كافرا، فما ظنك بتارك جميع الصلوات؟ ولما جاء وفد ثقيف إلى النبي صلى الله عليه وسلم ليسلموا، قالوا: اسمع لنا في أن ندع الصلاة، وألا نكسر أصنامنا بأيدينا. فقال صلى الله عليه وسلم «أما كسر أصنامكم بأيديكم فقد عفوناكم منه، وأما الصلاة فلا خير في دين لا صلاة فيه» وأبى صلى الله عليه وسلم أن يقبل منهم الإسلام إلا بالصلاة، وأنت ترى أن في قوله «لا خير في دين لا صلاة فيه» أن تارك الصلاة لا يعتد بتدينه - وعلى هذا قد درج الصحابة رضوان الله عليهم. فقد روى الترمذي عن عبد الله بن شقيق^(١) أنه قال: كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يرون شيئا من الأعمال تركه كفرا إلا الصلاة، وذلك لما قدمنا من أن الصلاة أصل، فالمحافظة عليها تستلزم المحافظة على كل الدين

وقد كان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه يكتب إلى عماله: إن أهم أمركم عندي الصلاة، من حفظها وحافظ عليها حفظ دينه، ومن ضيعها كان لما سواها أشد إضاعة. رواه مالك وغيره.

س أن ما تقدم من الأدلة كله صريح في أن تارك الصلاة غير مسلم مطلقا، ولا أراني أشك بعد في ذلك، إذا ما معنى قول بعضهم: من

(١) المنار: قد كان عبد الله هذا ناصبيا يبغيض عليا عليه السلام وقد صرح الحديث عن مسلم أنه لا يحبب إلا مؤمن ولا يبغيضه إلا منافق. فآخذ الكاتب بظواهر مثل هذا الحديث يقتضي ألا يحتج بما روي عن عبد الله بن شقيق ولا يعتد بإيمانه، وما تقدم عن النووي يفيد أن جمهور الصحابة لا يعدون مجرد ترك الصلاة كفرا بمعنى الردة عن الإسلام، وحسب التارك لها أهم اختلفوا في إيمانه، وسيأتي الجمع بين الأقوال في ذلك

تركها كسلا لا يكفر . وما معنى التفريق بين من يتركها بكسل أو غيره ؟
 ج لا معنى لذلك الا مخالفة النصوص الصريحة ، وعدم تدبر القرآن
 والسنة الصحيحة ^(١) وما دنا نقول كما قال القرآن : ان المحافظة
 على الصلوات من شأن المؤمنين ، ومن صفاته الملازمة له ، فالجهد منها ،
 المتخلي عنها ، غير مؤمن ضرورة ، لكونه عري من صفة الإيمان الفعلية .
 على أن الله سبحانه قد صرح بأن الكسل في الصلاة من شأن المنافقين
 وصفاتهم ، فقال عز شأنه في سورة النساء (ان المنافقين يخادعون الله وهو
 خادعهم واذا قاموا الى الصلاة قاموا كسالى)

وليس المنافقون بأقل من الكافرين ، قال تعالى في سورة براءة
 (ان المنافقين هم الفاسقون — أي الخارجون عن الدين — وعد الله
 المنافقين والمنافقات والكفار نار جهنم خالدين فيها هي حسبهم ولعنهم الله
 ولهم عذاب مقيم)

قرن الله تعالى في هذه الآية المنافقين مع الكافرين ، ووعد الجميع
 مما الخلود في جهنم والعذاب الدائم ، بل قد حطهم عنهم فقال في سورة
 النساء (ان المنافقين في الدرك الأسفل من النار ولن تجد لهم نصيرا)

الى هنا انتهينا من أدلة الصلاة وحدها

فاليك ما جاء في الزكاة أختها

قال الله تعالى في سورة فصلت (قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى الي أنما
 ألهمكم إليه واحدا فاستقيموا إليه واستغفروا ، وويل للمشركين الذين لا يؤتون
 الزكاة وهم بالآخرة هم كافرون) فتأمل كيف جعل منع الزكاة من صفات

(١) المنار: هذا تهور عظيم والصواب أن سببه تعارض النصوص كما سنبينه بعد

المشركين وشأنهم ، وإنما كان منعها من شأن المشرك بربه لأنه يؤثر المال على حبه ، وقد قرن منع الزكاة بالكفر بالآخرة ، لأنهم لو كانوا واثقين بخبر الله ، ومؤمنين بجزائه ، لأنفقوا من مالهم رغبة في ثوابه ، وخوفاً من الكيِّ بناره . قال تعالى (يوم يحصى عابها في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم هذا ما كنزتم لأنفسكم فذوقوا ما كنتم تكزون) (وقال) جل ثناؤه في سورة آل عمران (لن تنالوا البرحتى تنفقوا مما تحبون) علق نيل البر على الاتفاق مما يجب ، فمن لم ينفق مما يجب ، لا حظ له من البر ، والبر نعيم الله ورضوانه . فمانع الزكاة — وهي أول مقصود بالاتفاق — محروم من نعيم الله ورضوانه كافر^(١)

ولعلك تلاحظ الحكمة في تقييده الاتفاق بأن يكون المنفق منه محبوباً عند المنفق ، إذ المرء لو ألتفق لله ما يكره ، لا يكون اتفائه له بسبب حبه إياه ، بل يعتبر غرماً ومظلمة ، أو شيئاً كريهاً رغب الخلاص منه بهذه الطريقة رياء ، أما لو ألتفق من شيء محبوب له ، يكون حبه الله قد رجح في نفسه على حبه المال ، فدعاه الى بذل المال على حبه إياه ، وهناك يظهر الفضل بالتوحيد والاخلاص

(وقال) تعالى في سورة الأعراف (ورحمتي وسعت كل شيء فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة) بين أن رحمته واسعة ، ولكنها لا تكتب لكل الناس ، بل كتابها وإيجابها خاص بالأتقاء المعطين الزكاة ، فالذي يمنع الزكاة ، يمنع كتابة الرحمة له ، فلا يكون له حظ فيها ، بل يكون بعيداً عنها ، ومحروماً منها (لها بقية)

(١) المنار: الآية لا تدل على ذلك فالعمل بها يتم بما دون الزكاة الشرعية

مكتبة

كتاب الدعوة والارشاد

دروس سنن الكائنات

محاضرات علمية طبية إسلامية للدكتور محمد توفيق صدقي

١٠

سموم الميكروبات

تحدث بنمو كل نوع من الميكروبات مواد عديدة في السائل الذي تربي فيه. ومن أضرها مواد زلالية ومواد آزوتية تشبه المواد الآزوتية النباتية المسماة [Alkaloids] أي الشبيهة بالقلوية كمادة الاستر كنين، وهي مواد تقتك بالاحياء فتكا ذريعا مهما تكن قليلة. وهذه المواد تتولد بطريقتين: الاولى أنها تتولد في نفس جسم الميكروب ثم تخرج منه شيئا فشيئا، والثانية أنها تتولد في السائل نفسه وذلك بافراز الميكروب مادة (خبرة) تشبه الخنائر - المذكورة في الجزء الاول - وهذه الخبرة لها تأثير كماوي مخصوص في المواد المحيطة بها، فتحدث فيها تركيبا وتحليلا ينشأ منه مواد متنوعة ومن الميكروبات ما يبقى جل سمه في جسمه ولا يخرج الا اذا استخلص منه ببعض الطرق العلمية، وذلك مثل ميكروب الطاعون والسكوليرا والحمى التيفودية، ويسمى مثل هذا السم « بالسم الكامن » [Endotoxin] وفي الجسم المريض تتحل بعض هذه الميكروبات فتخرج منها سمومها وتسري فيه فتحدث المرض ومن المواد التي تتولد في السائل الذي يربي فيه الميكروب ما يقتل الميكروب نفسه، فانها قد تولد حامض الفنيك أو الغول (الكحول) أو الخل الى غير ذلك من المواد التي تستعمل مطهرات لقتل الميكروبات

الميكروبات والبيئة

تنقسم الميكروبات - باعتبار ما تعيش فيه - الى ثلاثة أقسام : فمنها ما لا ينمو عادة الا في الحي (١) ومنها ما لا ينمو الا في الميت، ومنها ما يمكنه أن ينمو في الاثنين (١) هذا لا ينافي أن أكثرها يمكن تربته تربية صناعية على أشياء غير حية كالمرق - كما تقدم -

معا، فمثال الاول ميكروب الحمى الراجعة ، ومثال الثاني بعض ميكروبات الحمى
النفسية وهي التي تعيش في الدم والسوائل المنتنة التي تتخلف أحيانا في الرحم
عقب الولادة

ومن هذا النوع الميكروبات التي تحدث تحليل جشت الموتى والتي تفسد اللبن
فيختر ، ومنها ما يحول البولينا الى كربونات النوشاد والحر الى خل . ولهذه
الميكروبات فائدة كبرى في العالم فانها تحول الاجسام المركبة الى بسائط فتعود
الى عالمي الحيوان والنبات فينتفعان بها. ولذلك وجد العلماء طريقة عظيمة لتحليل
المواد البرازية ، فانها تلقى في مستودعات مخصوصة فيتسلط عليها في اولها الميكروبات
التي لا تنمو في الاكسجين ، وفي الثانية الميكروبات التي تنمو فيه ، فبذلك تتحلل
جميع المواد البرازية وتستهيل الى ماء وغاز ثاني أكسيد الفحم وأملاح النترات
وهذه الاشياء كلها صالحة للنبات فيسقى بها الزرع وفيه تتحول مرة أخرى
الى مواد مضاعفة التركيب ضرورية للحيوان والنبات، فكان نظام هذا العالم موقوف
على عمل الميكروبات والنبات ، ولولاها لفسد وبطل

فالنباتات الدنيئة (البكتيريا) تركب قليلا وتحلل كثيرا ، والنباتات الكبيرة
تركب كثيرا وتحلل قليلا كتحويلها بعض غازات الهواء، فعلى النبات مدار الحياة
ومثال الميكروب الذي يعيش عادة في الحي والميت باسيل التيتانوس، وكذلك
باسيل الدفثيريا (والتي منها الخناق) فان هذين الميكروبين يعيشان كثيرا في الطين، وقد
ينتقلان منه الى الانسان ، الا ان ميكروب التيتانوس لا يعيش في جسم الانسان
بعد ظهور أعراض هذا المرض الا قليلا . ومن طرق وصول ميكروب الدفثيريا الى
الانسان أنه يكون مختلطا بالطين فاذا زادت المياه التي في جوف الارض كما يحصل
عند فيضان الانهار ضغطت على الهواء الموجود خلال الطين فيندفع منها الى جو
المدن حاملا لهذا الميكروب الخبيث فيصاب كثيرون بهذا المرض

والميكروبات لا تموت مالم يقتلها شيء ، واكثرها مقاومة للطوارئ ما كان له
حييات ، وهذه الحبيبات نفسها تعيش مدة طويلة من الشهور أو السنين حتى
في الاحوال غير المناسبة للحياة كالجفاف والبرد . ولا عجب في ذلك ، فقد عرف

أن بعض حبوب النباتات الكبيرة عاش نحو مئة سنة ولا يعلم بالتحقيق أن الحبوب يمكنها أن تعيش (أعني تبقى حية) أكثر من ذلك وما قيل من أن حبوب بعض الهياكل أو القبور القديمة نبت بعد ألوف من السنين فهو كذب محض، وقد ثبت أن حبوب القمح تعيش نحو سبع سنين على الأكثر، وعليه فالقمح الذي خزنه المصريون في زمن يوسف عليه السلام كان يمكن أنباته في نهاية السنة السابعة. وأكثر الميكروبات التي لأحييات لها تقتل عادة بحرارة ٦٥ سنتغراد في نحو نصف ساعة

وميكروبات التعفن تقتل الميكروبات المرضية عادة، وهذه الميكروبات التعفنبة تكون في الغالب من النوع الباسيلي (المستطيل) فإذا أصيب انسان بالتسمم البعدي الناشئ على الأكثر من البذور السلسلية ومات فأراد طبيب أن يشرح جسمه عقب الوفاة مباشرة كان من أشد الخطر على هذا الطبيب أن يُجرخ ويتلفح جسمه بشيء من الجثة، وأما إذا تركت هذه الجثة زمنا حتى تعفن فإن ميكروبات المرض التي فيها تقتلها ميكروبات التعفن شيئا فشيئا حتى تزول من الجثة، وحينئذ لا يكون في تشريحها خطر على حياة الطبيب

أبواب دخول الميكروبات الى الجسم

لدخول الميكروبات في الجسم أبواب عديدة، وهي الرئتان (لمثل ميكروب الحمى القرمزية) والجهاز الهضمي (لمثل ميكروب الحمى التيفودية) والجلد (لمثل الزهري) والأغشية المخاطية كأغشية أعضاء التناسل أو العين وغيرها (لمثل السيلان والدفتيريا)

ولا يشترط أن يكون سطح الجسم أو الأغشية المخاطية مجروحة، فقد يدخل الميكروب من الأماكن ذات الجلد الرقيقة أو من مسامها، ولكن الجرح أو السحج مما يسهل دخوله كثيرا كما هو ظاهر

فإذا دخل الميكروب الجسم من هذه المنافذ فتمه ما يبقى في مكان دخوله، ومنه ما يصل الى الدم أو المادة اللدفاوية ويدور معها حيث دارت، وفي كلتا الحالتين يولد الميكروب سمّا زعافا وهو الذي يقتل الحيوانات ويحدث فيها جميع الحميات،

٥٩٦ زمن التفريخ . امارات اختصاص الميكروب بمرض ما [المناخ : ج ٨ م ١٨]

الا ان بعض هذه الميكروبات يحدث امراضا ليست الحصى شرطا فيها مثل مرض (الكزاز) فثال ما يدور في الدم ميكروب (النسم الصديدي وميكروب الحصى الراجعة) ومثال الذي لا يدور في الدم (التيانوس والدفتيريا) فان ميكروبهما يبقى على الاكثر في مكان التلقيح الا انه بعد الموت قد ينفذ الى جميع اجزاء الجثة ، واذا نفذ الى الدم في اثناء الحياة التهمت كريات الدم البيضاء او بقي في بعض الاعضاء التي تعتقله فيها وتقتله غالبا بخلاياها ، كالكبد والطحال

زمن التفريخ

اذا دخل الجسم أي نوع من الميكروبات لا يحدث المرض فيه في الحال ، بل لا بد من أن يمكث زمنا يتراوح بين يوم أو عدة أسابيع أو عدة سنين (كافي داء الكلب والجذام) فانهما أطول الامراض مدة^(١) وفي هذا الزمن يتكاثر الميكروب في الجسم ويحمل عليه بسمومه فاذا بلغت درجة مخصوصة ابتداء المرض في الظهور . فمن الناس من يختلط مثلا بمصاب بالجدرى ولا يظهر فيه المرض إلا بعد نحو ١٢ يوما عادة . وهذا الزمن يختلف باختلاف الامراض فان لكل منها زمنا مخصوصا ، ويسمى هذا الزمن بزمن التفريخ أو الحضانة

وقد عرفت ميكروبات كثير من الامراض ، ولبعضها ميكروبات لم تعرف الى الآن (كالحصبة) فان الدلائل تدل على أن لها ميكروبا لم يكتشف الى الآن وهذه الامراض التي عرفت ميكروبا منها ماله ميكروب مخصوص كمرض الدرن ومرض الحصى التيفودية . ومنها ما يشترك فيه عدة ميكروبات كمرض (التهاب الغشاء المبطن للقلب) و (الخراجات) فانهما يحدثان من ميكروبات مختلفة

امارات اختصاص الميكروب المعين بالمرض المعين

يعدل على اختصاص بعض الميكروبات بمرض الامراض أمور كثيرة منها :

- (١) وجود الميكروب دائما في هذا المرض (٢) اذا حقن حيوان بهذا الميكروب وكان مستعدا للمرض حصل له ، ووجد هذا الميكروب النحوص في جسمه
- (١) قد تمتد مدة التفريخ في الجذام الى عشر سنين وفي الكلب الى عشرين سنة

(٣) عدم وجود هذا الميكروب في الجسم السليم ، أو المريض بغير هذا المرض ؛ ويستثنى من ذلك بعض الميكروبات كالنزور المزدوجة المسببة للالتهاب الرئوي ، فإنها توجد في فم الصحيح وأنفه ، وتوجد أيضا في غير الالتهاب الرئوي كما في التهاب الشَّغاف (الغشاء المحيط بالقلب الذي يسمونه الآن بالتامور) وكذلك تستثنى مسألة حاملي الأمراض التي سنفصلها

مصادر الميكروبات

تتصل الميكروبات بالإنسان من عدة جهات (١) الهواء (٢) الشراب (٣) الطعام (٤) التراب (٥) سائر أجسام الأحياء والجملادات كالملابس مثلا ، وسيأتي إن شاء الله في باب الحيات بيان طرق وصول الأمراض المختلفة إلى الإنسان تفصيلا

شرط تأثير الميكروبات والوقاية منها

ما كل أحد يتصل به ميكروب مرض يصاب بذلك المرض ، بل هناك وقاية للأحيوانات من فتك هذه الميكروبات بها دفعة واحدة ، ولولا ذلك لهلك الأحياء في زمن قصير

وهذه الوقاية (وتسمى أيضا المناعة) منها ما هو فطري (أي يولد بها الإنسان) ومنها ما هو مكتسب. أما المناعة الفطرية فقد تكون خاصة بالجنس أو النوع كـ بعض الأمراض فالجدام مثلا خاص بالإنسان لا يصيب أي حيوان آخر، وبعض الأمراض يصيب بعض الأنواع دون بعض ، كالحمى الصفراء فإنها لا تصيب السود الا قليلا، وبعض الأمراض تصيب بعض البيوت (الأسر) أو الأفراد دون البعض الآخر، وكل ذلك لأسباب لا نعلمها على وجه التحقيق . وخير الوقاية ما كان فطريا: وقاية الله أغنت هن مضاعفة ه من الدروع وعن عال من الأطم وما يهيء الجسم للعدوى التعب والجوع والبرد وكل ما ينهك القوى والأدمان على الخور، الا أن بعض الأشخاص قد يكونون سليمين من كل عيب ومع ذلك يصابون ببعض الأمراض ، فمثلا قد نجد أن أسمن الأطفال وأحسنهم صحة يصابون بالقرمزية وتفتك بهم كثيرا ، يا الأطفال الآخرون الضعاف لا يصابون بها أو اذا أصيبوا كانت أصابتهم خفيفة

أما المناعة المكتسبة وما في معناها كالعارضة بسبب يشبه الكسبي فتكون بما يأتي:

(١) من الأمراض ما إذا أصيب به الإنسان مرة واحدة حتى جسمه من الإصابة بهذا المرض مرة أخرى كالزهري والحصبة والجذري مثلا

(٢) من الأمراض ما إذا أصيب به الإنسان حتى جسمه من أعراض أخرى تفيده بعض المفارقة ، فمنها جذري البقر إذا أصاب الإنسان أو أُنقح به حماء من الجذري الإنساني ، ومنها الحصى الراجعة إذا أصيب بها شخص حتمه غالبا من التيفوس ولكنها لا تحميه من نفسها

(٣) بحقن سم الميكروب أو مصل يستخرج من الحيوانات بطريقة مخصوصة كما في مرض الدفتيريا مثلا . ويان ذلك أن يزرع ميكروب الدفتيريا في سائل (كالوق) ثم يصفى هذا السائل من الميكروب ويحقن حصان بجزء صغير من هذا السائل المصفى ، ونظرا لوجود سم ميكروب الدفتيريا في السائل المحقون به يصاب الحصان ببعض أعراض مرضية خفيفة تزول سريرا كما الحصى وورم في مكان الحقن ، ثم يحقن هذا الحصان بمقدار من السائل أكبر فأ أكبر حتى يصل الحصان الى حالة لا يتأثر معها بهذا السم المحقون فيه ، وعندئذ يتولد في دمه مادة مضادة لسم الدفتيريا . فاذا أخذ دم هذا الحصان واستخرج مصله كان هذا المصل نافعا لإفساد سم الدفتيريا ، وإذا حقن به الإنسان وقت انتشار هذا المرض حفظه منه لمدة ثلاثة أسابيع عادة ، وكذلك إذا حقن به المصاب بالدفتيريا نفعه نفعاً عظيماً وأدى الى شفائه

(٤) حقن ميكروب المرض نفسه ميتا أو بعد اذ اف تأثيره بطرق سيأتي الكلام عليها في داء الكلب ، وتسمى المادة المحقونة « باللقاح » ومن ذلك حقن ميكروب التيفود بعد قتله وحقن ميكروب الكلب بعد إضعافه ، وان كان ميكروب الكلب الى الآن لم يكتشف بمعنى أنه لم يره أحد ولكننا موقنون بوجوده ، فاذا لقح الشخص تولدت في جسمه مادة مضادة لهذا الميكروب المحقون ، وبذلك لا يكون له تأثير في أحداث المرض . وقد يحقن الميكروب بدون إضعافه ولكن بمقادير قليلة جدا تزداد تدريجاً

والميكروبات التي تزرع بقصد الحقن منها ما يفرز سماً في السائل المزروع فيه

ومنها ما يكون سمه كامنا في جسمه — كما تقدم — وذلك مثل سم ميكروب الطاعون ولا بد من ملاحظة هذه المسألة قبل الحقن، فإذا أريد حقن حصان لاستخراج مصل منه نافع للطاعون فلا يجوز حقنه بالسائل الذي يربي فيه الميكروب فإنه يكاد يكون خاليا من السم اذ لا يخرج منه شيء يذكر من جسم الميكروب، ولذلك يجب أن تستعمل طريقة أخرى للوقاية من الطاعون كأن يحقن الشخص المراد وقايته بنفس السائل بدون تصفيفه بعد قتل ميكروب الطاعون الذي فيه، وذلك بتمريره مدة ساعة لحرارة درجتها ٦٥° بالمقياس المثني، ولا يصح قتل الميكروب بالفلي فإن ذلك يفسد سمه أو يغيره تغييرا يجعله غير صالح لما نريد.

وقد ذهب علماء هذا العلم في تفسير مسألة الوقاية مذاهب عديدة، نذكر هنا أشهرها : —

(١) مذهب القائلين (بنفاد السماد) ومعنى ذلك أنهم يقولون ان في جسم الانسان بعض مواد لازمة لحياة الميكروبات تكون كالسماد لها فاذا أصيب الانسان بمرض ما كالجدري مثلا فقد نفد هذا السماد الضروري لحياة ميكروبه من جسم الانسان ولذلك لا يصاب به عادة مرة أخرى . وهذا التفسير أصبح الآن مردودا عند جمهور العلماء.

(٢) مذهب القائلين باحتباس سم الميكروب في جسم الانسان، وذلك أن الانسان اذا أصيب بمرض ما تولد من الميكروب سم يهلك نفس هذا الميكروب ويفسرون بذلك سبب شفائه من المرض، ويقولون ان هذا السم يبقى في جسمه بعد ذلك ويقتل هذا الميكروب الخاص اذا دخل في جسمه مرة أخرى.

(٣) مذهب الفرنسيين، وهم يقولون ان الكريات البيضاء في دم الانسان تقتل الميكروبات لا سيما اذا تعودت أكل نوع مخصوص منها فانهما تلتهما بشراهة قوية.

(٤) مذهب الألمانين، وهم يقولون : ان الانسان أو الحيوان اذا أصيب بمرض ما أفرزت منسوجات الجسم المختلفة مواد تجري في دمه، وهذه المواد منها ما يهلك الميكروب ومنها ما يفسد سمه، كاللادة المتولدة في مصل الحصان التي ذكرت سابقا للوقاية من الدفتيريا أو لشفائها.

والحق شائع بين مذهبي الفرنسيين والالانيين . وأحسن المذاهب مذهب من يجمع بينهما كذهب بعض علماء الانكليز وغيرهم بأن يقول : ان الانسان اذا أصيب بمرض توادت في جسمه تلك المواد التي قال بها الانيون، وهذه المواد تفسد سم الميكروب أولا وتضعف نفس الميكروب أو تقتله ثانيا حتى تهوى عليه كريات الدم البيضاء فيسهل عليها أن تلتهمه وتهضمه هضمًا

وقد عرف من عهد قريب أنه يوجد في دم الانسان في الحالة الطبيعية مواد تسمى المواد الادامية [Opsonins] وهذه المواد تؤثر في الميكروب وتثبته خاصة حتى تجعلها كأنها طعام لذيذ للكريات البيضاء، ولذلك سميت بهذا الاسم تشبها لها بالادام

ومقدار هذه المواد يختلف باختلاف الاشخاص والاحوال، وكلما كثرت كانت البنية أشد مقاومة للميكروبات . وهي تزيد بالحقن باللقاح و بالمرض اذا قاومت البنية أو غلبته

ومدة الوقاية من الامراض تختلف كثيرا ، فاذا أصيب الانسان بالزهري أو الجدري فقل أن يعود اليه هذا المرض طول حياته واذا أصيب بالدفتيريا أو الالتهاب الرئوي فقد يعاوده المرض

ومن الناس من يجتمع في جسمه مرضان أو أكثر كاجتماع الدفتيريا مع الحمى القرمزية . وكانوا يظنون سابقا ان ذلك غير ممكن ولكن الحقيقة ان الجسم اذا أصيب بمرض كان أكثر تعرضا للامراض الاخرى مما اذا كان سليما وذلك لضعف قوة المقاومة

ومن الامراض ما تورث إما بنفسها كالزهري وإما بالاستعداد لها كالسل، فاذا كان أب الانسان مثلا مصابا بالزهري ولد ابنه مصابا به أيضا ، واذا كان مصابا بالدرن الرئوي (السل) كان ابنه غالبا خاليا من ميكروب هذا الداء ولكن جسمه يكون مستعدا له كل الاستعداد فيصاب به عادة عاجلا أو آجلا

حاملو الامراض

اذا أصيب المرء بمرض كالحمى التيفودية أو كان جسمه ممتعا عليه لسبب ما

ودخلت الميكروبات في أمعائه فمن الجائز أن تعيش في جوفه أشهرا عديدة أو سنين كثيرة ربما بلغت الخمسين بدون أن يشعر بمرض منها ، ولكنه يكون خطر على غيره من المستعدين لهذا الداء ، وذلك لان الميكروب يتكاثر في بعض أحشائه كالأمعاء أو المرارة أو الكلى والمثانة ويخرج في برازه أو بوله فيصل الى طعام الآخرين أو شرابهم ويوردوهم موارد الهلاك . ويسمى العلماء أمثال هؤلاء الناس [حاملي الامراض] ومنهم من يتكون عنده حصيات في المرارة بسبب هذه الميكروبات . وبعض الامراض الاخرى حاملون كالدفتيريا والكوليرا وغيرها ومن ذلك يعلم أن الحاملين نوعان : (١) الحاملون الأصحاء ، وهم الذين لم يصابوا بالمرض مطلقا وإنما كمن فيهم ميكروبه من غير أذى و (٢) الحاملون الناقضون ، وهم الذين يوجد فيهم الميكروب في أثناء النقاهة من المرض أو بعدها بمدة مديدة ، ويسمون حينئذ بالحاملين المزمنين

الفطر

نوع من الميكروب له خلايا عديدة وهو أيضا من فصيلة النبات الا انه خال من الكلوروفيل ، ويتركب من خيوط دقيقة جدا مشبك بعضها ببعض الآخر بنهر نظام - وهو الاكثر - ميكروب القرع ، أو بعض نظام - كما في الفطر الشعاعي [Ray - fungus]

وبين هذه الخيوط أو عند مركزها توجد حبيبات كالتى ذكرت في الميكروبات السابقة وهي بزور الفطر ومن الفطر ما يصيب الجلد فيحدث فيه أمراضا متنوعة كالقرع ومنه ما يصيب الفم أو الرئتين وغير ذلك مما سيأتي بيانه في باب الامراض المعدية ونحو الفطر من الكلوروفيل لا يمكنه تحليل غاز ثاني أكسيد الفحم فهو بذلك يشبه البكتيريا

ضرورة الكلوروفيل والشمس للحياة

إعلم أن الكلوروفيل من أوجب ضروريات الحياة في هذا العالم اذ بوجوده في (المنار : ج ٨) (٧٦) (المجلد الثامن عشر)

النبات يمكنه تركيب النشاء الضروري لتكوين مواد أخرى كثيرة مما في النبات وهي ضرورية للحيوانات أيضا ، وذلك بتأثير أشعة الشمس معه في الأجسام . ويحتاج الكلوروفيل لوجود مادة الحديد في الأرض وإن كانت لا تدخل في تركيبه ، بخلاف حمرة الدم فإن الحديد داخل فيها

وإذا تأمل الإنسان في هذا العالم وجد أن الحياة تفاعل في قوى المادة كتفاعل النار تبعا لسنن مخصوصة ، ومن الصعب أن يضع الإنسان تعريفا لها جامعا مانعا لدخول مثل النار فيه فأنها تشبه الأحياء في احتياجها إلى غذاء (وقود) وتخرج منها أجسام كما تخرج إفرازات الأحياء وتنقسم كاتقسامها وتتحرك كحركاتها إلى غير ذلك من الصفات المشتركة إلا أن حركتها لا تدل على شيء من الإرادة كحركة بعض الأحياء (راجع صفحة ٤٢ و ٤٣ من الجزء الأول)

هذا — وكان المتقدمون يرون أن الشمس ضرورية لتكوين الكلوروفيل في النبات ولكن وجد أنه قد يتكون بحرارة عالية في الظلام التام ، ومن هذا نرى أن الحرارة أو النار سواء أكانت من الشمس أم من غيرها هي الأصل الأصلي للأحياء قاطبة ويصعب فصل مفهوم أحدهما (الأحياء والنار) عن الأخرى بالدلائل المقنعة

الملائكة

كان القدماء لصغر عقولهم لا يقدرّون على الاعتقاد بأن إلهًا واحدًا يمكنه تدبير هذا الكون العظيم كله فلهذا أشركوا به تعالى غيره فجعلوا لكل شيء إلهًا وكذلك لكل قوة من قوى هذا الوجود حتى جعلوا لبعض أعمال الإنسان آلهة. ومن ذلك ما نراه من أساطير اليونان مثلا فإن لهم إلهًا للرياح وآخر للحرب وثالثًا للنوم ورابعًا للنار وخامسًا للزواج إلى غير ذلك من الآلهة التي تكاد لا تعد . ولكل من هذه الآلهة اسم باليونانية يعرفه العالمون بتلك اللغة

ولما جاءت الرسل إلى الناس كان من أكبر مقاصدهم أن يردوهم عن الشرك إلى التوحيد فأبى أكثرهم ترك ما هم عليه ، ومن آمن منهم صعب عليه أن يترك جميع هذه الآلهة مرة واحدة ، فأخذوا يسمونها بأسماء أخرى ولكنهم بقوا معتقدين بوجودها

وتدبيرها لهذا الكون العظيم ، ومن ذلك ما نراه في اسرائيليات اليهود فانهم ذهبوا الى أن لكل شيء في هذا العالم ملكاً قائماً بتدبيره فقالوا ان للعرض ملكاً وكذلك للنار والماء والوحوش والطيور ولسائر الحيوانات والريج والرعد والشجر لكل منها ملك ، والموت ملكان واحد يقبض أرواح القاطنين بأرض اسرائيل وآخر يقبض أرواح غيرهم من الساكنين في سائر البقاع الأخرى . ولم يكفهم ذلك بل زعموا أن الوباء (الطاعون) اذا انتشر فيهم كان بسبب ملك يرسله الله تعالى اليهم ؛ ومن ذلك ما روي في سفر صموئيل الثاني (اصحاح ٢٤ : ١٥ - ١٧) ان داود رأى الملاك الذي ضرب بني اسرائيل بالوباء فمات منهم ٧٠ ألف رجل

وقد دخلت هذه الاسرائيليات في الاسلام مع من دخلوا فيه من أهل الكتاب وقال المساهون بملائكة كالملائكة اليهود مع أن القرآن الشريف لم يثبت الا وجود القليل منها كما هو معلوم . على أن لنا في فهم معنى كلمة « ملك » وجهاً آخر غير ما يفهمه أكثر الناس ، وذلك أن هذا اللفظ مشتق من (مألِك) يضم اللام وقدحها ، وهو اسم الرسالة ، وقيل مأخوذ من لفظ (لأك) اذا أرسل ، وعليه فكلمة ملك تطلق على كل رسول (١)

(١) المنار : مقاله الكاتب في هذا البحث ضعيف لغة وشرعاً ، الا أنه مذهب له واصطلاح خالف فيه الناس كما قال ، ولكن له فائدة لأجلها اجزنا نشره ، وهي أن المفكرين بما أصابوا من علم البشر القليل بشؤون الكون يتوهمون أنهم بذلك القليل من القليل قد أحاطوا علماً بهذا العالم العظيم وبخالفه أيضاً ، وان ما لا ينطبق على علمهم لا يكون صحيحاً وان كان ممكناً في نفسه . فمثل هذه التأويلات تقطع السنة مؤلاء الواهين المفكرين دون الاعتراض على النصوص ، أو تزيل شبهاتهم فلا يصعب عليهم الجمع بين علمهم وبين الدين ، ولأن يكون أحدهم متديناً مؤولاً ، خير من ان يكون زنديقاً معطلاً

أما بيان ضعف ما ذكر لغة فلان الألفاظ التي صارت حقيقة شرعية أو عرفية لا يجوز أن يدخل في مفهومها كل ما يناسب الأصل الذي اشتقت منه ، وأما ضعفه شرعاً فهو أظهر ، والملائكة من عالم الغيب الذي يجب على كل مؤمن الايمان به كما ورد في خبر الوحي من غير تأويل ولا تحريف ، ويكفي في ذلك كونه ممكناً عقلاً ، والايمان بالملائكة هو الركن الثاني من أركان الايمان والأول هو الايمان بالله =

فما يرسله الله تعالى الى هذا العالم من المادة أو قواها يصبح لغة أن يسمى ملكا بلا نزاع ، فالريح يسمى ملكا أو رسولا من الله ، ولذلك قال تعالى في الرياح (والمرسلات عرفا) والرعد كذلك ملك لأنه يرسله الله تعالى لتخويف عباده وهكذا مما في هذا الكون من قوى المادة العظيمة كالغناطيس والكهرباء ، وإلى هذا الرأي يشير قوله تعالى (ويسبح الرعد بحمده والملائكة من خيافته) فإن الواجب أن تكون بين المعطوفات مناسبة فسطف الملائكة على الرعد يشير الى أن المراد منها بعض القوى الطبيعية كالكهرباء التي تحدث الرعد والبرق ولعدم فهم المفسرين هذه المناسبة في هذا العطف زعموا أن الرعد ملكا بالمعنى الذي يفهمونه (١)

ونحن اذا سمعنا قوله تعالى (قل يتوفاكم ملك الموت الذي وكل بكم) لا يتعين عندنا ان نفهم منه ما يفهمون فعزاهيل (٢) لم يرد ذكر اسمه في القرآن ولا في سنة صحيحة ، وانما هو اسم مشهور عند اليهود كانوا يسمون به بعض الناس وله عندهم عدة صيغ أخرى ولذلك لا نؤمن بوجوده

والذي أراه أن الميكروبات هي من رسل الله في هذا العالم فيجوز أن تسمى ملائكة ، ومنها ما يحدث الامراض المختلفة ، ولا تتحلل جثث جميع الموتى الا

تعالى ، فهل يدخل في مفهومه هذه الميكروبات التي يصفها الكاتب بالدينئة الحقيقية ؟ كلا ، وأما ادخالها في مفهوم كلمة الجن فليس بعيد لغة ولا ممنوع شرعا فقد ورد في الآثار ان الجن أنواع ومنه ماهو من خشايش الارض . ولا مانع في العقل ولا العلم من كون بعض عوالم الغيب من الملائكة موكلًا ببعض شؤون الكون وسببها . وتفصيل هذا البحث لا تتسع له هذه الحاشية

(١) ان قول بعض المفسرين بان الرعد ملك لم يكن مخترعا ومستنبطا بسبب عدم فهم ما فهمه الكاتب بل هي رواية نقلها أهل التفسير الماثور الذين يتقلون كل ما بلغهم وتلك منة لهم علينا وهم لم يصححوها . وتسبيح الرعد من قبيل تسبيح الجبال في سورة ص وتسبيح كل شيء في سورة بني اسرائيل (٢) معناه في العبرية من يمينه (يموه) أي الله

الميكروبات، فاذا انحلت الجثث خرجت منها غازات وعناصر وأجسام متنوعة؛ وإذا ذهبنا الى أن الروح عبارة عن جزء من مادة الاثير متحد بالجسم لانتجبه عند خروج الروح عند انحلال الجسم بسبب عمل الميكروبات فيه، وعلى ذلك يحمل قوله تعالى (ولو ترى اذ الظالمون في غمرات الموت والملائكة باسطوا أيديهم أخرجوا أنفسهم اليوم تجزون عذاب الهون) الآية

فغمرات الموت من (غمر) ومعناها وجود الجسم في أشد دركات الموت التي تغمره وهو وقت انحلال الجنة، وبسط اليد كناية عما تفعله الميكروبات بها من التحليل والافساد، وقد ورد مثل هذه العبارة كناية أو مجازا حتى في حق من هو منزّه عن الاعضاء والجوارح فقال تعالى (بل يدها مبدسوطتان) (وراجع ١٧: ٣٠) وقوله (أخرجوا أنفسهم) هو ما نقوله الميكروبات بلسان حالها كما قالت السموات والارض (أتينا طائعين) والتعبير عن الميكروبات بضمير العاقل هو سنة القرآن من أوله الى آخره فانه يعبر غالباً عن كل ما يعمل عملاً من أعمال العقلاء بضميرهم، ومن ذلك قوله تعالى في الكواكب وهي أجرام جامدة (وكل في فلك يسبحون) وقوله في الاصنام (فراغ عليهم ضرباً باليمين) لان المشركين كانوا يعتقدون أنها عاقلة مدبرة

ولرفع التناقض الظاهري بين قوله تعالى (ملك الموت) بالافراد وبين قوله تعالى (توفته رسلنا) بالجمع نقول إن المفرد المضاف يعم كقوله تعالى (أحل لكم ليلة الصيام) أي لياليه فكذلك يصح أن يكون المراد من ملك الموت ملائكته أو رسله أي ميكروباته، وهي عادة من النوع الباسيلي — كما تقدم — ومن أمثلة ذلك قولهم «حات دودة القطن بأرض فلان» أي دوده فالمراد الجنس لا الفرد

ولا يقوم أحد مما ذكر أننا نشكر وجود بعض أنواع أخرى من جنود الله التي لا يعلمها الا هو، كلا! ثم كلا! فان الايمان بالملائكة بالمعنى المشهور فرض على المسلم. ومما يجب علينا الايمان به أن للوحي ملكاً (جبريل) وهو ليس من قبيل ما ذكرناه، وانما مرادنا أن الميكروبات مما يدخل تحت لفظ الملائكة وليسوا هم كل الملائكة وآية فاطر التي ورد فيها ذكر الاجنحة للملائكة يمكننا أيضاً تطبيقها على

الميكروبات، فقد سبق أن لبعض الميكروبات أهداباً مشى (كافي ميكروبات الكوليرا) فإن لها هذين أحياناً في طرف منها وإذا اجتمع اثنان منها والتصقا معا جاز أن يكون لهما ثلاثة أهداب، وللميكروب الجحى الراجعة أربعة أهداب، وللتيفود أهداب عديدة، يزيد في الخلق ما يشاء، ولا شك أن الجناح يطلق على الجنب واليد والمضد والابط ومنه قوله تعالى (واضمم يدك إلى جناحك) فلا مانع من إطلاقها على هذه الأهداب التي هي بمثابة الأيدي للميكروبات . على أننا لسنا في حاجة إلى تطبيق هذه الآية على الميكروبات ، فإنه ليس المراد من كون الميكروبات من الملائكة أن كل ما يسمى ملكاً يكون له أجنحة ويكون عاقلاً مكرماً عند الله بل المراد أن كل ما هو خاضع لأمر الله يرسله متى شاء فهو من ملائكته أي رسله

هذا — ولا يتوهم من قوله تعالى في سورة العنكبوت مثلاً عن لسان الملائكة (إنا مهلكو أهل هذه القرية — ونحن أعلم بمن فيها — إنا منزلون على أهل هذه القرية رجزاً) الآيات أن القرآن — ككتب الأمم الأخرى — ينسب إلى الملائكة الأعمال التي تجري في هذا العالم حسب السنن الإلهية المعتادة كنسف القرى وقلب الأرض بالثورات البركانية ، فإن هؤلاء الملائكة كانت وظائفهم قاصرة على إخبار إبراهيم ولوط بما قدره الله لقوم لوط ولزوجه وعلى إرشاده إلى ما يجب عمله حتى ينجوا مما سيحل بهم ، وإنما عبروا بتلك العبارات التي يفهم منها أنهم — هم أنفسهم هم الفاعلون فكيف وكيف لأنهم رسل الله أرسلوا بأمره وإرشاده ليكونوا نائبين عنه تعالى في تبليغ ما أراد للوط فهم متكلمون عن الله ولسانه جل شأنه، فالمهلك والعالم بحال الناس والمنزل الرجز هو الله الذي أمرهم أن يقولوا عنه ذلك، وقد تقدم لهذه المسألة نظائر في قصة مريم وجبريل عليهما السلام (راجع صفحة ١١٨ من الجزء الأول) ولذلك قالت الملائكة للوط (إنا امرأته قدرنا أنها لمن الغابرين) كما في سورة الحجر مع العلم بأن الله تعالى وحده هو الذي قدر كل شيء وإنما هم مبلغون بأمره عن قدره وعليه فالتقدير في سورة العنكبوت هو هكذا : (ولما جاءت رسلنا إبراهيم بالبشرى قالوا) تبليغنا عنا (إنا مهلكو أهل هذه القرية . . . قال إن فيها لوطاً قالوا نحن أعلم بمن فيها) أي قالوا عنا أننا نعلم بمن فيها (وقالوا لا تخف ولا تحزن أنا

منجوك وأهلك إلا امرأتك كانت من الغابرين * إذا منزلون على أهل هذه القرية رجلاً من السماء بما كانوا يفسقون * ولقد تركنا فيها آية يبينه لقوم يعقلون) فالتكلم الحقيقي في كل هذه الآيات هو الله تعالى كما هو ظاهر من آخرها ، والملائكة إنما يرددون هذه العبارات لتبليغها إلى لوط بالنيابة عن الله تعالى ، فافهم ذلك ولا تكن من الجاهلين

الجن

هذا اللفظ مشتق من مادة الجيم والنون، وهذه المادة تفيد معنى الستر ومن ذلك قوله تعالى (فلما جن عليه الليل) أي ستره ، وأجن الشيء في صدره أي أكنه ، والجنين المخلوق مادام في البطن ؛ والجنة السترة والجنان القلب لاستتاره واستجن أي استتر بسترة ، والجن الترس وكلها تفيد معنى الحفاء والاستتار، فلفظ الجن يطلق أيضاً على الميكرو باب لاستتارها فهي ملائكة مرسله من الله ومستترة عن أعين البشر

ومن ذلك حديث (الطاعون وخز أعدائكم من الجن) وفيه إشعار بأن للانسان أعداء من غير الجن وهو صحيح

ونقول في خلقها إننا إذا لاحظنا أن الميكروبات نباتات والنباتات سابقة لجميع الحيوانات فهي مخلوقة من الأرض بعد أن أخذت في البرودة وإذا لاحظنا أن القرآن الشريف نص على أن الله تعالى جعل من الماء كل شيء حي أمكننا أن نقول إنها خلقت باتحاد بعض العناصر مع الماء أو بخارها في وقت كانت الأرض فيه شديدة الحرارة أو آخذة في البرودة

ولا يخفى على المطلعين على العلوم الطبيعية أن الراجح أن الأرض كانت شعلة من النار مشتقة من الشمس ، فإذا قلنا ان هذه النباتات هي أول ما كوّن من الأحياء في الأرض فهمنا معنى أنها مخلوقة من النار إذ ليس معنى هذا الخلق أنها خلقت مباشرة منها بل خلقت أطواراً كما أن الانسان لم يخلق مباشرة من التراب بل خلق منه طوراً بعد طور . فالحسق أن جميع الأحياء مخلوقة من الأرض والأرض مخلوقة من النار ،

ولما كانت النباتات أول المخلوقات كانت أسبق منا الى طور النار وأقرب بها عهدا منا ، على أنه ليس المراد بكون الميكروبات أو غيرها من الجن أن كل ما يسمى جنة مخلوق من مادة واحدة بل معناه أن كل ذلك من العوالم الخفية المجتمة

العدوى

قبل الكلام في هذا الموضوع يجب أن نذكر ماورد من الاحاديث المثبتة للعدوى والنافية لها ثم نجتمع بينهما بما يفتح الله به علينا

فمن الاحاديث المثبتة للعدوى :- (قوله ص) « كلم المجذوم وبينك وبينه قدر رمح أو رمحين » ^(١) وقوله (ص) « ان كان شيء من الداء يعدي فهو هذا » يعني الجذام (وقوله ص) « اتقوا المجذوم كما يتقى الاسد » وقوله (ص) لرجل مجذوم كان في وفد ثقيف « ارجع فقد بايعناك » وقوله (ص) « إذا سمعتم بالطاعون بأرض فلا تدخلوا عليه وإذا وقع وأتم بأرض فلا تخرجوا منها فرارا منه » وهذا الحديث يصحح أن يعتبر مبدأ يجري عليه الناس في مسألة الحجر الصحي المسمى باللاتينية (Quarantine) ومعناه الاصلي « أربعون » لان السفن الآتية من البلاد الموبوءة كانت تمنع من الاقتراب من شاطئ البلاد السليمة مدة أربعين يوما . فالرسول (ص) يريد بهذا الحديث أن يعمل المسلمون أيضا مثل هذا الحجر على البلاد الموبوءة فلا يدخلوا فيها لئلا يصابوا ، ولا يخرج الناس منها لئلا ينشروا العدوى بين الآخرين

وورد أن أبا عبيدة قال لعمر حينما خاف من طاعون الشام : أفرارا من قدر الله ؟ فقال عمر : لو غيرك قالها يا أبا عبيدة ! نعم فرارا من قدر الله الى قدر الله . وورد أن النبي (ص) قال « لا يُورَدَنَّ مَرَضٌ عَلَى مَصْحٍ » وفي لفظ « لا يوردن ذو عاهة على مصح »

(١) يقول الاطباء إن ميكروب السل يتدر وجوده في الهواء حول المصاب بعد متر ونصف منه ، وربما كان الامر كذلك في الجذام

ومن الاحاديث النافية للعدوى: - قوله (ص) « لا يعدي شيء شيئا فمن أجرب الاول ؟ لا عدوى ولا صفر » خلق الله كل نفس فكتب حياتها ووزقها ومصائبها » وفي حديث آخر « فمن أعدى الاول ؟ » وقوله (ص) « لا عدوى ولا هامة ولا صفر » ولا يحل المرض على المصح، ولا يحل المصح حيث شاء - قيل: ولم ذاك ؟ قال - « لانه أذى » وقوله « لا عدوى ولا طيرة ولا هامة » - قيل: يا رسول الله ! أرايت البعير يكون به العجب فيجرب الابل كلها ؟ قال - « ذلكم القدر ، فمن أجرب الاول ؟ »

هذا شيء مما ورد في هذه المسألة ؛ وقبل الخوض فيها يجب أن نتذكر ما روي عن أنس أن الرسول قال * أنتم أعلم بأمر دنياكم * فعلى فرض أننا لا يمكننا تأويل الاحاديث النافية للعدوى فالمسلم لا يتحتم عليه أن يأخذ بها - كما سبق في صفحة ١٦٥ من الجزء الاول - فانه أدري بامور دنياه يأخذ منها ما ثبت عنده بالبرهان ، على أننا اذا راجعنا جميع هذه الاحاديث ظهر لنا أن النبي (ص) وأصحابه (رض) كانوا يعتقدون بالعدوى كما هو صريح ما ذكرناه منها
أما نفي العدوى فيقال فيه ما يأتي : -

العدوى لغة هي انتقال المرض من شخص الى آخر ، وكانت العرب تعتقد أن المرض لا يأتي الا من مريض ولذلك قال (ص) لهم * فمن أعدى الاول ؟ * ولا يخفى أن المرض عرض لا يمكن أن يقوم بذاته وعليه فيستحيل أن ينتقل المرض من شخص الى آخر ، وهذا مما يفهم من قوله (ص) * لا عدوى * أي لا ينتقل المرض ، وهذا حق

أما انتقال جراثيمه فهو أمر كانت تجهله العرب فلم يكن حديثهم ولا حديث الرسل فيه . وأيضا قد ينتقل الميكروب ولا يحدث المرض كما سبق في باب الوقاية ، فليس انتقال الميكروب شرطا لحدوث المرض . ومن الميكروبات ما يكون منتشرا في الهواء أو الطين أو غيرها وهي التي أصابت الاول المذكور في الحديث^(١) والميكروبات التي تصل الى الانسان لا تحدث فيه المرض الا اذا كان

(١) المنار : ان من يمرض بوصول الميكروب اليه من الهواء أو الطين =

مستعدالة ، والاستعداد يكون بأسباب وأحوال أرادها الله تعالى وجعل السبب فيها على قدر المسبب وذلك ما يسمى بالقدر في الاحاديث ، فالاساس الاصيل في حدوث الامراض هو القدر ولولاه لما فعلت الميكروبات بالجسم شيئا مطلقا . وحكمة ذكر هذه الاحاديث بعد نصه (ص) على وجوب الابتعاد عن المرضى وتعليقه ذلك بأنه أذى أي ضرر - هي أن الانسان يجب عليه أن لا يتفالى في أمر العدوى بمجرد اقترابه من المريض فان ذلك يحدث في الجسم وهما ووسوسة قد يؤديان الى ضعف حقيقي في الجسم أو العقل ، ويؤدي الناس الى الامتناع عن تمريض المريض أو معالجته لمجرد الوهم وفي ذلك ما فيه من الضرر

ولذلك تجد الاطباء لا يبالون بالوسوسة في أمر العدوى ويقابلون كل مريض ويقتربون منه أشد القرب بل ويمسكون بأيديهم ما فيه الميكروبات ولا يجبنون فان العاقل يجب أن لا يكون جبانا ولولا ذلك لما تقدمت الابحاث العلمية كل هذا التقدم والخلاصة أن الخوف من العدوى يجب أن يكون في دائرة العقل فلا يجوز أن يفرط الانسان فيها ولا يجوز أن يفرط من الرعب منها فان ما قدر الله للانسان من حيث قوة بنيته أو ضعفها ومقاومتها للأمراض لا بد أن يكون واذا فرض أن أمرا كان مستعدا لمرض ما أتاه المرض من حيث لا يحتسب، فلما كان الواجب الاعتدال في العدوى كما هو واجب في كل شيء

وعبارة عمر (رض) السابقة في القدر صريحة في وجوب العناية بأوامر الطب وعدم مخالفتها اعتمادا على القدر وهي من أعلى الحكم الفلسفية

ومن مضار شدة الوسوسة في مسألة العدوى أن الموسوس يمتنع عن ملامسة كل شيء مما في هذا العالم الا بشروط مخصوصة توجب الاعياء والاعنات ، فمثلا

= لا ينطبق عليه تعريف العدوى السابق

فان قيل: ان الميكروب الذي كان في الهواء أو الطين قد انتقل اليهما من شخص مصاب - تقول : ومن أعدي أول من أصيب بذلك المرض من البشر أو من الحيوان ؟ لا يمكن الجواب عن هذا السؤال الا بنفي حصر المرض بالعدوى المعروفة وإثبات أن من المرض ما حدث بأسباب أخرى، الا إن امكن اثبات أن أول البشر مثلا كان مصابا بجميع الامراض المعدية ولن يثبت هذا أبدا

يتجنب لمس النقود ونحوها كالأوراق المالية ، ويتجنب محادثة الناس واستنشاق الهواء خوفاً من أن يكون مرّ على مرضى أو موتى ، ويتجنب الأكل أو الشرب أو النوم أو الركوب في الحضر والسفر حيث يفعل الناس كل ذلك ، وفيه من الضرر البالغ ما لا يخفى على المفكر

أما الصفراء (بفتحين) فهو ما كانت تزعمه العرب من أن في البطن حية تمض الإنسان إذا جاع ، والذع الذي يجده عند الجوع من عضها . وهذه الحية لا وجود لها في الإنسان السليم وإنما قد يوجد في البطن أنواع كثيرة من الديدان ، منها نوع يشبه الثعبان الصغير ولكنه غير موجود في جميع أفراد الإنسان كما توهموا ، وليس هو السبب في الاحساس بالجوع كما كانت تزعم العرب ، وقيل : إن معنى (الصفراء) أن الأمور الرديئة لا تقع في صفراء دون غيره من الشهور بل هو كغيره ، ولا اعتقاد العرب أن هذا الشهر مشؤوم كانوا يحرمونه ويستحلون المحرم بدله

فأنت ترى من كلا التفسيرين أن ليس المراد نفي (صفراء) مطلقاً بل نفي ما كان تعتقده العرب فيه ، سواء أكان اعتقادهم أنه دودة في بطن كل امرئ تحدث عنده الجوع أم كان شهراً مشؤوماً دون الشهور ، فكذلك ليس المراد من نفي العدوى نفيها مطلقاً بل نفي ما كانت تعتقده العرب فيها من أن الأمراض تنتقل بنفسها وأنه يتحتم حصول المرض بمجرد الاقتراب من المريض وأنه لا مرض يحصل إلا من مريض سابق ، وكلها ألوهام باطلة نقاها رسول الله (ص) وهو محقق في ذلك كل الحق كما نفي الصفراء وكما نفي الهامة

وأما الهامة فهي لغة الرأس وطير من طيور الليل يسمى الصدى وهو ذكر البوم وهو المراد في الحديث ، وكانت تزعم العرب أن روح القتيل الذي لا يدرك بثأره تصير هامة وتصيح على قبره — : اسقوني ! اسقوني ! فإذا أدرك بثأره طارت ، وهذا أيضاً من الخرافات التي جاء الإسلام بتطهير العقول منها

(استدرالك على حياة الميكروبات)

ظهر مما سبق أن العلماء يعتقدون أن الميكروبات خالدة — كما يعبرون — وهم كذلك يعتقدون أن المادة وقواها خالدة ، أفليس من أعجب العجائب بعد ذلك

أن يعتقدوا أن الانسان غير خالد مع أنه أرقاها ولم تعتن الطبيعة^(١) بمخلوق اعتناها به ؟ - كما يقولون - أليس في محافظة الميكروبات على نوعها بالحبيبات (Spores) اشارة لنا الى أن روح الانسان هي كحبيبة الميكروب ؟ وكما أن الميكروب ينتقل بذلك من طور الى طور فكذلك الانسان ينتقل بروحه من طور الى آخر فهل بعد ذلك يكون في عقيدة البعث شيء من الغرابة أو المناقاة لسنن الكون حتى ينكرها المنكرون ؟ !

الاحياء الطفيلية أو التسليقية

هي التي تتسلق غيرها (أي تعلقه) وتطفل عليه فتغذى منه ، وهي نباتية وحيوانية ، والنباتية أكثرها فتكا بالانسان وغيره واشدها خطرا

النباتية

تشمل بعض أنواع البكتيريا التي يتركب أكثرها من خلية واحدة - كما سبق - والفطر الذي يتركب من خلايا متعددة - وقد تقدم البيان الشافي عنهما - ويلاحظ في هذه الاحياء النباتية والحيوانية أنها كلما دقت وصغرت كانت أشد خطرا من الكبيرة ، والله في خلقه شؤون فكأنه تعالى قد وضع سره في أصغر خلقه (كما تقول السامة)

الحيوانية ، وأشهر انواعها : -

(١) ذوات الخلية الواحدة وتسمى بالافرنجية [Protozoa] وهو لفظ يوناني معناه الحرفي « الحيوانات الاولى » وأشهر أمثلتها جرثومة (الملاريا) - وتسمى بالعربية [النافض] أي ذات الرعدة - وأحد نوعي (الدوسنطاريا) - وتسمى بالعربية [الزحار] أي التي تحدث الزحير - وبعض الحارزونات كحلزوني الزهري والحجى الراجعة وهذه هي التي تنقسم بالطول - كما قلنا - بخلاف البكتيريا فإنها تنقسم بالعرض ، وذلك من أهم ما يميز الواحد منهما عن الآخر

(٢) حشرات صغيرة مركبة من خلايا عديدة ، تكون حيوانا صغيرا

مثل أكروس الجرب والقردان كافي بلاد السودان [Ticks] وهو جمع قُرَاد وكلاهما من الفصيلة المنكبوتية

(٣) حشرات كبيرة كالقمل والبراغيث والبق

(٤) السَّخَف وهو الذي يسميه الاطباء المحدثون [اليرقات] وهي الدود الذي يخرج من بيض بعض أنواع الذباب ويعيش في جلد الانسان أو أذنيه أو أنفه

(٥) الديدان بأنواعها والاكياس الدودية، ومن أشهر أنواع الديدان : —

(أ) المموية كالودودة الشريطية

(ب) الدموية كالبهارزية وهي دودة اكتشفها في مصر الباحث الشهير ثيودور بلهارز [Theodor Bilharz] سنة ١٨٥١ وهي توجد في بعض أوردة الانسان (كالوريد الباب) وهي السبب في ما يصيب أكثر المصريين من البول الدموي أو البراز الدموي أيضا

(ج) اللفاوية كالفلاريا [Filaria] وهي كلمة مأخوذة من اللاتينية ومعناها الخيط ، وهذه الدودة هي السبب في البول اللبني وداء الفيل

(د) الصفراوية كالودودة الورقية [Distoma Hepaticum] التي توجد في مرارة البهائم ومجري المرّة (الصفراء) فيها، وقد توجد في الانسان فادرأ، وهي تشبه الورقة الصغيرة شبا تاما وطولها نحو ٢٥ مليمترا وعرضها ١٢ مليمترا وتكون مطوية على نفسها وقد تسد مجرى الصفراء في الانسان فتحدث عنده اليرقان وتنزل الصفراء في بوله

(هـ) الجلدية كالعرق المدني وهو نوع من الفلاريا يسكن تحت جلد الانسان خصوصا في أرجله، وهي كثيرة الوجود في سكان المدينة المنورة وبلاد الهند وغينيا (بأفريقية) والسودان

(و) المضلية كدودة الشعرة الحلزونية [Trichina Spiralis] طول الذكر منها ٥ و١ مليمتر وطول الانثى نحو ٣ مليمترات وهذه الدودة تسكن كبارها في أمعاء الانسان و صفارها في عضلاته. وإنما ذكرت على حدة لان وجودها في الامعاء لا ينشأ عنه ضرر يذكر وكل الضرر من وجود صفارها في العضلات فانها تحدث

أما شديدا وهي تشبه الحمى التيفودية، والمرض الناشئ منها شديد الخطر على الحياة. وصفار هذه الدودة التي تسكن العضلات ترى فيها بالعين المجردة كنقط مبيضة صغيرة جدا طولها جزء من ثمانية وسبعين جزءا من البوصة، وهذه النقطة هي الديدان وما أحاط بها من الغلاف. وتصل هذه الدودة الى الناس من أكل لحم الخنزير. ويكثر وجودها بعض الكثرة في بلاد ألمانيا لكثرة أكل أهلها لحم الخنزير. وتصاب الفئران بهذه الدودة أيضا فتنتشر في عضلاتها، والفئران يأكل بعضها البعض الميت فتنتشر الدودة بينها، وهي تأوى الى زرائب الخنازير وتموت فيها، والخنازير مولعة بأكلها أيضا فينتشر فيها المرض لذلك، ومنها يصل الى الانسان، وسيأتي ان شاء الله البيان الشافي عن جميع هذه الديدان وتواريخ حياتها والامراض التي تنشأ عنها تفصيلا

الامراض التي تنشأ من الاحياء الطفيلية

(مقدمة في الحمى)

ذكرنا في الجزء الاول (صفحة ١١ و ١٢) حقيقة الحمى ومنشأها وغير ذلك مما يتعلق بها اجمالا ونريد الآن أن نفصل القول فيها تفصيلا فنقول : —
الحمى هي ارتفاع حرارة الانسان عن الدرجة الطبيعية ، وتكون مصحوبة بأعراض كثيرة تصيب أجزاء الجسم المختلفة واليك تفصيلها :
الجلد — يكون ساخنا وجافا غالبا وقد يندى بالعرق وفي بعض الحميات يكون العرق غزيرا ولون الوجه حمرا . وفي بعضها يظهر في الجلد ما يسمى « بالطفح » وهو أنواع كثيرة ، منها نقط حمراء تزول بالضغط عليها أو نقط ناشئة من نزف تحت الجلد وهذه لا تزول بالضغط ومنها بثور كما في الجدري . والظاهر أن سموم الميكروبات تحدث شللا في الاوعية الدموية للجلد أثناء محاولتها الخروج من البنية أو تحدث تهيجا أو التهابا في الجلد فينشأ من ذلك الشال أو ذلك التهيج أو الالتهاب أنواع من الطفح تختلف باختلاف كل مرض وسيأتي بيانها . وفي بعض الحميات التي يكثر فيها العرق كالحمى التيفودية والرثية (الروماتزم) تشاهد

حبوب صغيرة جدا في الجلد ممثلة بسائل رائق وهي تتكون من ارتفاع الطبقات العليا للبشرة بتراكم العرق تحتها

الجهاز الهضمي - يكون اللسان مغطى في أول الامر بطبقة بيضاء ثم يجف وتزول هذه الطبقة من مقدم اللسان وحوافيه فيرى لونه أحمر ، ثم يشتد الجفاف ويسمر لون اللسان ويتشقق وتجتمع عليه وعلى الأسنان والشفيتين أوساخ مسودة . ويقعد المصاب شهوة الطعام ، وقد يصيبه القيء ، ويكون الهضم ضعيفا جدا ويمسك البطن ويعظم حجم الطحال

الدورة الدموية - يسرع القلب في ضرباته في أول الامر ثم يضعف ، ويصل النبض الى ٨٠ أو ١٢٠ فأكثر في الدقيقة ، وتمدد عضلة القلب بسبب الضعف التنفس - يسرع أيضا التنفس فيصل الى ٣٠ أو ٤٠ مرة في الدقيقة وإذا طالت مدة الحمى تحتقن قاعدتا الرئتين وتكثر النزلات الشعبية أو الرئوية

البول - يقل مقداره ويشد لونه وترسب فيه أملاح حراء من حامض البوليك وتكثر البولينا وتكون أملاح الكلوريد (كملح الطعام) قليلة عادة خصوصا في التهاب الرئة ، أما في الملاريا فتزيد هذه الأملاح عند ارتفاع الحرارة فيها

الجهاز العصبي - يكثر الصداع في أول الحمى ويشعر الانسان بتكسر في جميع الجسم ويسأم كل عمل جسماني أو عقلي وبعد قليل يصيبه ضعف في قواه العقلية ويميل الى النعاس وإذا نام ابتداء يهذي ، وبعد ذلك يكثر الهيجان ويزول النوم ويشد الهذيان فيكثر المريض من اللغو ويصاب بما يشبه الجنون ، وقد يقوم من فراشه ويتشاجر مع ممرضيه أو أطباطه وقد يحاول أن يلقي بنفسه من نافذة المكان ، ثم تهدد قواه ويصاب بالغيوبة فيفقد كل شعوره وقبل تمام الغيوبة يصاب بارتعاش في حركاته وتهاص في العضلات (يسمى بالاهتزاز الوتري) ويلتقط أشياء وهمية يراها امامه في الهواء . وينتهي الامر به الى أن يبرز بدون شعوره ، ولعدم احساس المثانة بما فيها يتراكم البول حتى تفعم به

(اختلاف الحرارة اليومي)

كما أن الحرارة الطبيعية تختلف في المساء عن الصباح^(١) كذلك حرارة المحموم تكون غالباً في المساء أعلى منها في الصباح ، وفي بعض الامراض تكون بالعكس فترتفع صباحاً وتنخفض مساءً . ويسمى ذلك (بالطراز المقلوب) [Typus Inversus] كما في الدرن العام المسمى بالدرن الدخني

ومن الحرارة ما يكون دائماً الارتفاع بكثير عن الدرجة الطبيعية ومنها ما يقرب في الصباح من الدرجة الطبيعية ، ومنها ما تصل في الصباح الى الدرجة الطبيعية أو تحتها ولكن ترتفع في المساء كثيراً . وعند ارتفاعها يزداد التنفس والنبض كما سبق ، وقد تحصل للمحموم قشعريرة لا إحساسه بالبرد وإن كانت درجة الحرارة في الحقيقة عالية، ولكن لا تقباض أوعية الدم التي في الجلد يحصل له هذا الإحساس بالبرد

ومن الحميات ما يزول بالتدرج فتأخذ الحرارة في النقص يوماً بعد يوم حتى تصبح طبيعية، ومنها ما يزول دفعة واحدة فيشفى الإنسان في ظرف ١٢ ساعة أو ٣٦ ساعة ، وعندئذ قد يصاب الإنسان بالاسهال أو بالعرق الغزير أو يحصل له الرعاف ويسمى انخفاض الحرارة الفجائي (بالبحران) وبعد انخفاض الحرارة قد تبقى بضعة أيام أقل قليلاً من الدرجة الطبيعية

(درجات الحرارة المختلفة)

درجة الحمود أو الهبوط	٣٥ و ٥ أو أقل
الدرجة التي تحت الطبيعية	٣٦ و ٤
الطبيعية	٣٦ و ٥ الى ٣٧ و ٢

(١) سبب ذلك أن عمل جميع أعضاء الجسم في هذا الوقت يكون أقل بكثير من عملها في سائر الاوقات . وإذا عكس الحال فإن اشتغل الناس ليلاً تصير الحرارة مرتفعة صباحاً ومنخفضة مساءً . ويتبدى الارتفاع عادة من الساعة السابعة صباحاً الى الثانية بعد الظهر وتبقى على حالتها الى الساعة أو الثامنة مساءً ثم تنخفض الى الثانية بعد نصف الليل وتبقى كذلك الى الساعة السابعة صباحاً

الحمى الخفيفة ما كانت فوق 37.5° بقليل

الحمى الشديدة 39° الى 40°

الحمى الأشد 40° الى 43° وفي النادر جدا 44°

فاذا زادت الحرارة على 44° درجة فلا أمل في الحياة غالبا ما لم تستعمل أشد الملاجأت الفعالة وهي التبريد السريع بالماء والتلج

(الموت بالحميات)

يحصل الموت — إما من نهك الحمى للقوى بسببها مع طول المرض أو بشدة تسمم الدم في أيام قليلة — أو من زيادة الحرارة زيادة فاحشة كأن تصل الى 44° مثلا ، واعلم أن طول التعرض لحرارة فوق 40° ستعجزاد يقتل (البروتوبلازم) ويجمده ، ويسمى ذلك بتيبس الحرارة [Heat Rigor] (أنظر ص ١٥ من كتاب فسيولوجيا هليبرتون) [Halliburton] — أو من شلل القلب — أو من المضاعفات الرئوية ، أو غيرها

ويكون الدم بعد الوفاة رقيقا مسودا ، وتقل كرياتة الحمراء وتكثر البيضاء ، وتُشاهد أنزفة نقطية كالدغ البراغيث [Petechiae] أو أكبر في الأغشية المصلية كالليورا أو الشفاف . أما الأحشاء (الكبد والطحال والكليتان) فتكون كبيرة رخوة ويحصل في خلاياها استحداثات^(١) حبيبية أو دهنية وكذلك تصاب العضلات بتلف في منسوجها سنكلم عليه في بحث الحمى التيفودية

(المضاعفات والمواقب)

كثيرا ما يطرأ على الانسان في أثناء الحمى بعض أعراض أخرى مرضية تزيد المرض شدة فوق شدة ، وقد يصاب الانسان أيضا بعدها ببعض أمراض تكون كالنتيجة لها . ويسمى النوع الأول بالمضاعفات ، ومثاله التهاب البريتون في الحمى

(١) وذلك بتحول بروتوبلازم الخلايا الى حبيبات دقيقة جدا ، وهي خطوة في سبيل الاستحالة الى شحم وبذلك يبطل عمل هذه الخلايا

التيفودية. ويسمى النوع الثاني بالعواقب أو العقابيل ، كالشلل عقب الدفتيريا فإنه يصيب المريض بعد شفائه منها بضعة أيام أو أسابيع

(معالجة الحمى)

يوضع المريض على فراشه ليسترخ راحة تامة في مكان صحي طلق الهواء وتخفف عنه أغطيته وملابسه — بعكس ما يتوهم الجاهلون — نعم ينبغي أن تدفأ الأطراف السفلى خصوصا إذا ضعفت قوى المريض وأصابها البرودة والغذاء يكون من السوائل المغذية السهلة الهضم مثل اللبن والمرق^(١) وماء الشمير، ولا بأس من طبخها بقليل من دقيق بعض الحبوب أو بمسحوق ناعم من الخبز الاسفنجي الهش . ويحسن تحلية اللبن بالسكر أو عسل النحل المصفى . ويعطى للمريض أيضا المياه الغازية فإنها نافعة للمعدة . ومن المستحسن أيضا إعطاؤه بعض الاشربة الحلوة كشراب القمح الهندي والسكر مع الليمون وعصير البرتقال المصفى . ويشترط في هذه السوائل الحامضة أن يفصل بينها وبين تعاطي اللبن بنحو ساعتين لئلا يتعجن فيتقأه المريض . ويشرب من الماء ما يريد فإنه منعش منذ غاصل للسموم . واللبن المثار (لبن الزبادي) نافع جدا . ومن أسهل الأغذية هضما وأنفعا أن يمزج بياض بيضتين بنحو ربع لتر من ماء راشح ويحلى بعسل النحل النقي ويضاف عليه جزء من عصير الليمون ثم يثلج ويشرب منه المريض . ويجب أن تعطى هذه السوائل المغذية بمقادير صغيرة في فترات قصيرة متعددة كأن يعطى له اللبن قدر مل خمسة فناجين كل ساعتين مرة ويكون مقداره في اليوم نحو ثلاثة أرطال (مصرية) أو أربعة . وتبريده بالتلج محمود كثيرا ولا يتوهم أحد أنه يوجد لا أكثر هذه الحيات الآن دواء قاطع لسيرها في

(١) يقال أن المرق قد يزيد الاسهال في بعض أحوال الحمى التيفودية . وإنما تستعمل السوائل السهلة المغذية في الحيات لضعف المريض عن المضغ والبلع ، ولجفاف الاعضاء وضعفها وقلة المصاررات الهاضمة

الحال^(١) بل لا بد أن تتم أطوارها ، وإنما يمكننا تخفيف وطأتها وإضعاف شدتها لكيلا تفسد الأحشاء ، وكذلك يمكننا ملافاة كثير من أعراضها الخطرة كالتهاب الرئة أو ضعف القلب أو ما ينشأ من بعضها من الانزفة كالنزف المعوي في الحمى التيفودية

ومن الادوية ما يخفض الحرارة مؤقتا بعد استعماله بساعتين أو ثلاث ككبريتات الكينين (من ٢٠ الى ٣٠ قحمة) ولكن استعمال الماء البارد أفضل من جميع هذه الادوية . وطريقة ذلك أن تؤخذ حرارة المريض كل ٣ ساعات مرة وكلما وجدت ٣٩ فأكبر يوضع في الماء البارد مدة ١٠ دقائق أو ١٥ دقيقة ، ثم يرفع منها وينشف جيدا ويوضع على فراشه بالراحة . فنجد أن الحرارة صارت طبيعية أو أقل ولكنها لا تلبث الا قليلا وترفع وكلما عادت عدنا . ويجوز أن يلف المريض مدة ربع ساعة بمثل ملءة بعد غمسها في الماء الثلوج . ولا ينحفظ من استعمال الماء البارد إلا أشياء قليلة جدا وهي الهمود الشديد والنزف المعوي والمضاعفات الرئوية البالغة ، وظاهر أنه في حال الهمود أو النزف الشديد تكون الحرارة منخفضة وإذاً يكون استعمال الماء البارد لا مسوغ له من أول الامر . وفائدة هذا التيزيد تحسين الاعراض عموما وتقليل حدوث المضاعفات والاستحالة الحسية للاعضاء

وإذا أصاب المريض همود في قواه يتعين استعمال المنعشات ، وأقربها إلينا القهوة والشاي والحر ، ولكن يشترط في استعمال الحر أن لا تعطى بمقادير كبيرة لأيام كثيرة والا حدث منها سرعة في النبض وشدة في الهذيان ، ومقدارها المعتاد من ٢ - ٨ أوقي (أو فناجين قهوة) في اليوم

ومن الادوية التي يستعملها الطبيب النافعة في الهمود الديجيتال^(٢) والنوشادر والاثير

(١) ولكن في مثل الحمى الراجعة تقطع سيرها حقنة ٦٠٦ في ٧ - ٢ ساعة، والكينين يزيل حمى الملاريا في الغالب
(٢) هي كلمة لا تينية معناها الاصبح لأن أزهار هذا النبات كالاصابع

٦٢٠ اللبن الخاثر. الحقن الشرجية المغذية. وجوب البعد عن المحموم [المنار: ج ٨ م ١٨]

والاستركتين، ويستحسن اعطاء شي من الپيسين مع حامض الهيدروكلوريك^(١) لهوية هضم المعدة لقلّة إفراز هذين الجوهرين في الحميات. ويجب عند ابتداء المرض في جميع الحميات أن يعطى مسهلا كالمح الانكليزي أو زيت الخروع لتنظيف القناة الهضمية والجسم

وإذا تعذر تغذية المريض في أثناء الغيبوبة غذي بالحقن الشرجية المغذية، وحقن بالمنبهات وبحلول ملح الطعام الطبيعي فإنه منهش مدر للبول مزيل لبعض سموم الميكروبات. وغرقى (ياض) البيضة إذا حقن في الشرج مع جرام ملح امتص منه ونفع المريض

(تنبيهان)

(الاول) في جميع الحميات يجب عزل المريض في مكان خاص بحيث لا يختلط به أحد من الناس مطلقا الا القائمون بتمريضه أو مداواته، ولا يسمح لأحد بزيارته، وذلك واجب طبيا وقانونا منعا لانتشار العدوى بين الناس، وليس فيه مخالفة لآداب الاسلام في عيادة المريض. فقد ذكرنا من الاحاديث ومن أقوال الصحابة كمر (رض) ما يدل صريحا على أن الانسان اذا خشي العدوى وجب عليه أن يتقي القرب من المريض. على أن الحميات اذا اشتدت أحدثت ذهولا عند المريض بحيث لا يقدر على تمييز زائريه أو محادثتهم بالعقل والحكمة. وأيضا فمن آداب عيادة المريض في الاسلام أن لا يطيل العائد المكث عنده حتى لو كان مرضه غير معد لان ذلك قد يكون سببا في مضايقة المريض. وفي الحديث أن قوما شكوا اليه صلى الله عليه وسلم وباء أرضهم فقال «تحولوا فان من القرف التلف»

(١) لذلك كان اللبن الخاثر (لبن الزبادي) من أفضل الاغذية للمحموم لوجود حامض اللبنيك فيه فيسهل هضمه لذلك وقلّة مائه فلا يضعف العصير المعدي، وهو مطهر بحموضته ونافع لنزلات المثانة. والميكروبات التي تحدث حموضته مطهرة للأمعاء نافعة في أمراضها خصوصا في التهاب الامعاء الغليظة فتمنع نمو الميكروبات فيها. وما تحدثه من حامض اللبنيك بتأثيرها في سكر اللبن أو العنب قاتل للميكروبات أيضا. وسكر العنب هذا يوجد في الامعاء بعدأ كل النشاء أو سكر القصب (راجع صفحة ٨٢ من الجزء الاول)

[المنار: ج ٨ م ١٨] الميكروبات المحبة للحرارة . شذرة من الخطب النبوية ٦٢١

واقرف مدانة المريض فصرح هذا الحديث يدل على وجوب البعد عن المرضى
لاجتناب التلف

(الثاني) الواجب أن يطهر الطعام الذي يعطى للمرضى بالغلي جيدا ثم يبرد
بسرعة فان من الميكروبات ما يسمى « محب الحرارة » [Thermophilic]
وذلك لانها تتكاثر في حرارة ٦٠° الى ٧٠° ستجrad فاذا لم يطهر اللبن مثلا بالغلي
ولم يبرد سريعا انتهزت هذه الميكروبات فرصة سخونة اللبن اذا ترك يبرد بنفسه
فتسكاثر فيه وتحدث مواد تؤذي الصحة . وهذه الميكروبات توجد في الطين والماء
وغيرها ومنها تصل الى اللبن . فلذا يجب قتلها بالغلي

الخطب الدينية

٢

﴿ شذرة من الخطب النبوية ﴾

مقتبس من مقدمة ديوان خطب القاسمي ، والخواشي له الا ما زدناه بعد اسم « المنار »

١

أما بعد فان أصدق الحديث كتاب الله تعالى ، وأوثق العرى كلمة التقوى ،
وخير الملل ملة ابراهيم ، وخير السنن سنة محمد ، وأشرف الحديث ذكر الله تعالى ،
وأحسن القصص هذا القرآن ، وخير الامور عوازمها ، وشر الامور محدثاتها ،
وأحسن الهدي هدي الانبياء ، وأشرف الموت قتل الشهداء ، وأعمى العمى الضلالة
بعد الهدى ، وخير العلم مانفع ، وخير الهدي ما اتبع ، وشر العمى عمى القلب .
واليد العليا خير من اليد السفلى ، وما قل وكفى خير مما كثر وألهى ، وشر المعذرة
حين يحضر الموت ، وشر الندامة يوم القيامة ، ومن الناس من لا يأتي الصلاة الا
دبرا (١) ومنهم من لا يذكر الله الا هجرا (٢) وأعظم الخطايا اللسان الكذوب ،

(١) بفتحين وتسكن الباء وضمها لحن كما في القاموس . أي في آخر وقتها
(٢) بضم فسكون وهو التبيح من الكلام (المنار : ضبطوه بفتح الهاء وفسروه
بالترك) والاستثناء منقطع

وخير الفنى غنى النفس ، وخير الزاد التقوى ، ورأس الحكمة مخافة الله تعالى ، وخير ما وقر في القلوب اليقين ؛ والارتياح من الكفر ، والنياحة من عمل الجاهلية ، والفأل من جثاء جهنم ^(١) والكنز من النار ، والشعر من مزامير ابليس ^(٢) والخمر جماع الأمم ، والنساء حباثل الشيطان ، والشباب شعبة من الجنون ، وشر المكاسب كسب الربا ، وشر المآكل مال اليتيم ، والسعيد من وعظ بغيره ، والشقي من شقي في بطن أمه ، وإنما يصير أحدكم الى موضع أربع أذرع ، والأمر بآخره ، وملاك العمل خواتمه ، وشر الروايا روايا الكذب ^(٣) وكل ما هو آت قريب ، وسباب المؤمن فسوق ، وقتال المؤمن كفر ، واكل لحمه من معصية الله ^(٤) وحرمة ماله كحرمة دمه ، ومن يتألى على الله يكذبه ^(٥) ومن يغفر يغفر الله له ، ومن يعف يعف الله عنه ، ومن يكظم الغيظ يأجره الله ، ومن يصبر على الرزية يعوضه الله ، ومن يتبع السمعة يسمع الله به ^(٦) ومن يصبر يضعف الله له ، ومن يعص الله يعذب الله . اللهم اغفر لي ولأمتي ، اللهم اغفر لي ولأمتي ، اللهم اغفر لي ولأمتي ، أسئلكم . رواه البيهقي عن عقبة بن عامر والسجزي عن أبي الدرداء ، وابن أبي شيبة عن ابن مسعود

٢

أما بعد فإن الدنيا خضرة حلوة وإن الله تعالى مستخلفكم فيها فناظر كيف

(١) الجثاء بضم الجيم وكسر هاء ثم مثناة ، ما اجتمع من الحجارة والجذوة (المنار: الجثى الاكوام والمعنى ان ما يؤخذ من الفلول وهو الخيانة في الغنيمة إنما هو أكوام من النار أي ليس رجحاً بل خسارة لانه سبب لدخول النار ، كقوله تعالى « إنما يا كلون في بطونهم نارا » (٢) يعني بالشعر معهودا من أفرادهم وهو ما يتعنى به في محرم أو عليه أو ما يدفع اليه (٣) جمع راوية مبالغة في راو ، وهو من يروي الحديث (المنار: رجح ابن الاثير أن الروايا جمع روية وهي التروي والتفكر في الامر . وإذا كان الكذب عن روية كان أشد إثمًا وأشد ضرراً) « ٤ » كناية عن اغتيابه وذكره بما يكره وفي تصوير الاغتياب بأكل لحمه ابراز له على أخش وجهه وأشنعه طبعاً وعقلاً وشرعاً « ٥ » تألى أي أقسم بأنه يفعل كذا البتة « ٦ » السمعة الشهرة ونشر الذكر

تعملون . فانتقوا الدنيا وانتقوا النساء فان أول فتنة بني اسرائيل كانت في النساء ؛
 الا ان الغضب جمة توقد في جوف ابن آدم ، ألا ترون الى حمرة عينيه وانتفاخ
 أوداجه ؟ فاذا وجد أحدكم شيئاً من ذلك فالارض الارض . ألا ان خير الرجال من
 كان بطيء الغضب سريع الرضا . وشر الرجال من كان سريع الغضب بطيء
 الرضا ، فاذا كان الرجل بطيء الغضب بطيء الفیء وسريع الغضب سريع الفیء
 فأنها بها (١) ألا ان خير التجار من كان حسن القضاء حسن الطلب ، وشر التجار
 من كان سيئ القضاء سيئ الطلب ، فاذا كان الرجل حسن القضاء سيئ الطلب
 أو كان سيئ القضاء حسن الطلب فأنها بها . ألا ان لكل غادر لواء يوم القيامة
 بقدر غدرته . ألا واكبر الغدر غدر أمير عامة . ألا لا يمنع رجلاً مهابة الناس أن
 يتكلم بالحق اذا علمه ، ألا ان أفضل الجهاد كلمة حق عند أمير جائر - رواه
 الامام أحمد والترمذي عن أبي سعيد -

٣

انما هما اثنتان : الكلام والهدي ، فأحسن الكلام كلام الله وأحسن الهدي (٢)
 هدي محمد . ألا واياكم ومحدثات الامور فان شر الامور محدثاتها ، وكل محدثة
 بدعة ، وكل بدعة ضلالة . ألا لا يطولن عليكم الامل فتفسو قلوبكم ، ألا ان كل
 ماهوأت قريب وإنما البعيد ما ليس بأت . انما الشقي من شقي في بطن أمه .
 وانما السعيد من وعظ بغيره . ألا ان قتال المؤمن كفر وسبابه فسوق . ولا يحل
 لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاثة . ألا واياكم والكذب ، فان الكذب لا يصلح لا بالجد
 ولا بالهزل . ولا يعد الرجل صبيه ولا يفی له . وان الكذب يهدي الى الفجور
 وان الفجور يهدي الى النار . وان الصدق يهدي الى البر وان البر يهدي الى الجنة ،
 وانه ليقال للصادق : صدق وبر . ويقال للكاذب : كذب وفجر . ألا وان العبد يكذب
 حتى يكتب عند الله كذابا - رواه ابن ماجه عن ابن مسعود -

(١) المنار : أي واحدة بواحدة جزاء خیر الخصلتين يكفر شرهما

(٢) المنار : الهدي بفتح فسكون السيرة والطريقة

٤

يا أيها الناس كأن الموت على غيرنا فيها كتب ، وكأن الحق على غيرنا واجب ، وكأن الذي نشيع من الاموات سافر معنا قليل اليانا راجعون ، نأويهم أجدانهم ونأكل تراثهم كأننا مخادون ، قد نسينا كل واعظة ، وأما كل جائحة . طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس . طوبى لمن طاب كسبه ، وصالحت سريره ، وحسنت علانيته ، واستقامت طريقته . طوبى لمن تواضع لله من غير منقصة ، وأنفق مالا جمعه من غير معصية ، وخالط أهل الفقه والحكمة ، ورحم أهل الذل والمسكنة ، طوبى لمن أنفق الفضل من ماله ، وأمسك الفضل من قوله ، ووسعته السنة ، ولم يعد عنها الى البدعة - رواه أبو نعيم عن علي -

٥

ان الحمد لله أحده وأستعينه ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا . من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له ، ان أحسن الحديث كتاب الله ، قد أفلح من زين الله في قلبه ، وأدخله في الاسلام بعد الكفر ، واختاره على من سواه من أحاديث الناس ، انه لأحسن الحديث وأبلغه . أحبوا من أحب الله . أحبوا الله تعالى من قلوبكم ، ولا تملوا كلام الله وذكره ، ولا تقسى قلوبكم ، فاعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا ، واتقوه حق ثقاته ، وصدقوا الله صالح ما تقولون بأفواهكم ، وتحابوا بروح الله عز وجل بينكم ، ان الله يفضب أن ينكت عهده ، فالسلام عليكم ورحمة الله - رواه هناد عن أبي سلمة مرسلا -

﴿ نخب من الخطب النبوية في يوم الجمعة ﴾

كان صلى الله عليه وسلم كثيرا ما يخطب في غير يوم الجمعة لمصلحة تعرض ، أو منكر يظهر ، أو أمر بصدقة أو إصلاح ، كما هو معروف في دواوين السنة وخدمتها (١) فمن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم «أما بعد فوالله اني لأعطي الرجل وادع الرجل ، والذي أدع أحب الي من

الذي أعطي . ولكن أعطي أقواما لما أرى في قلوبهم من الجزع والهلع ، وأكل أقواما الى ما جعل الله في قلوبهم من القى والخير ، منهم عمرو بن تغلب — رواه الامام أحمد والبخاري وغيرها —

وقوله صلى الله عليه وسلم

« أما بعد فما بال أقوام يشترطون شروطا ليست في كتاب الله ، ما كان من شرط ليس في كتاب الله فهو باطل ، وإن كان مائة شرط ، قضاء الله أحق ، وشرط الله أوثق ، وإنما الولاء لمن أعتق » — رواه الشيخان في صحيحهما —

وقوله صلى الله عليه وسلم

« أما بعد فما بال العامل نستعمله فيأتينا فيقول هذا من عملكم وهذا أهدي لي ، أفلا قمى في بيت أبيه وأمه فينظر هل يهذى له أم لا ؟ فوالذي نفس محمد بيده لا يفل أحدكم منها (أي الزكاة) شيئا الا جاء يوم القيامة يحمله على عنقه » الحديث (رواه الشيخان)

وقوله صلى الله عليه وسلم

« أيها الناس اتقوا الله فوالله لا يظلم مؤمن مؤمنة الا انقم الله تعالى منه يوم القيامة » — رواه ابن حميد في مسنده —

من خطب الصديق رضي الله عنه

الحمد لله رب العالمين أحمدوه واستعينه . ونسأله الكرامة فيما بعد الموت . وأشهد أن لا إله الا الله وحده لا شريك له وإن محمدا عبده ورسوله . أرسله بالحق بشيرا ونذيرا ، وسراجا منيرا ، لينذر من كان حيا ويحق القول على الكافرين . ومن يطع الله ورسوله فقد رشد ، ومن يعصهما فقد ضل ضلالا مبينا . أوصيكم بتقوى الله والاعتصام بأمر الله الذي شرع لكم وهداكم به ، فإنه جوامع هدى الاسلام بعد كلمة الاخلاص . السمع والطاعة لمن ولاء الله أمركم فإنه من يطع والي الامر بالمعروف والنهي عن المنكر فقد أفلح وأدى الذي عليه من الحق ، وإياكم واتباع الهوى . فقد أفلح من حُفظ من الهوى والطمع والغضب . وإياكم والفخر . وما فخر من خلق من تراب ثم الى التراب يعود ، ثم يأكله الدود ، ثم هو اليوم حي وغدا ميت فاعملوا

يوماً يوماً وساعة ساعة . وتوقوا دعاء المظلوم ، وعدوا أنفسكم في الموتى . واصبروا فان العمل كله بالصبر ، واحذروا فالحذر ينفع . واعملوا فالعمل يقبل ، واحذروا ما حذركم الله من عذابه . وسارعوا فيما وعدكم الله من رحمته ، وافهموا تفهموا ، واتقوا توقوا ، وان الله قد بين لكم ما أهلك به من كان قبلكم وما نجا به من نجا قبلكم ، قد بين لكم في كتابه حلاله وحرامه وما يحب من الاعمال وما يكره ، فاني لا آلوكم ونفسي ، والله المستعان ولا حول ولا قوة الا بالله . واعلموا انكم ما أخلصتم الله من أعمالكم فربكم اطعم ، وحظكم حفظكم واغبطكم ، وما تطوعتم به فاجعلوه نوافل بين أيديكم ، تستوفوا بسلفكم ، وتعطوا جزاءكم حين فقركم وحاجتكم اليها . ثم تفكروا عباد الله في اخوانكم وصحابتكم الذين مضوا قد وردوا على ما قدموا فأقاموا عليه . وأحلوا في الشقاء والسعادة فيما بعد الموت . ان الله ليس له شريك . وليس بينه وبين أحد من خلقه نسب يعطيه به خيراً ، ولا يصرف عنه سوءاً ، الا بطاعته واتباع أمره . فانه لا خير في خير بعده النار ، ولا شر في شر بعده الجنة . أقول قولي هذا واستغفر الله لي ولكم وصلوا على نبيكم محمد صلى الله عليه وسلم ورحمة الله وبركاته — رواه ابن أبي الدنيا وابن عساكر عن موسى بن عقبة —

من خطب الفاروق رضي الله عنه (١)

أما بعد فاني أوصيكم بتقوى الله . الذي يبقى ويبقى مأسواه . الذي بطاعته يكرم أوليائه وبمعصيته يضل أعداءه . فليس هالك معذرة في فعل ضلالة حسبها هدى ولا في ترك حق حسبه ضلالة . تعلموا القرآن تعرفوا به واعملوا به تكونوا من أهله ، فانه لم تبلغ منزلة ذي حق ان يطاع في معصية الله . واعلموا ان بين العبد وبين رزقه حجاباً فان صبر أتاح رزقه ، وان اقتحم هتك الحجاب ولم يدرك فوق رزقه ، فادبوا الخيل وانتضلوا واتعلوا وتسوكوا واعددوا (٢) واياكم واخلاق المعجم ومجاورة (١) خطبها في الجابية قاعدة بلاد حوران في عهده رضي الله عنه واليها ينسب باب الجابية أحد أبواب مدينة دمشق الشام لان المسافرين الى الجابية يخرج منه وقد خربت وانتقل عمرانها الى ماجاورها من قرية نوى والشيخ سعد

(٢) المنار : في حاشية الاصل « أي تزيوا بري معدني تخوشنهم وتقشفهم » والمراد كونوا مثل معدن بن عدنان فياذكر فاستعمل التزي في التشبه والتزي في الشبه

الجبارين وأن تجلسوا على مائدة يشرب عليها الخمر وتدخلوا الحمام بغير مئزر .
 وإياكم والصغار أن يجعلوه في رقابكم . واعلموا أن سباب المسلم فسوق وقتاله كفر^(١)
 ولا يحل لك أن تهجر أخاك فوق ثلاثة أيام . ومن أتى ساحراً أو كاهناً أو عرافاً
 فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم . لا يخلون رجل
 بامرأة فإن الشيطان ثالثهما . ومن ساءت سيئته وسرته حسنته فهو إمارة المسلم
 المؤمن . وشر الأمور مبتدعاتها . وإن الاقتصاد في سنة خير من الاجتهاد في بدعة .
 وحاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا فإنه أهون لحسابكم . وزنوا أنفسكم قبل أن
 توزنوا . وتزينوا للعرض الأكبر يوم تعرضون لا تخفى منكم خافية . عليكم بهذا
 القرآن فإن فيه نوراً وشفاء . وغيره الشقاء . وقد قضيت الذي عليّ فيما ولاني
 الله عز وجل من أموركم ووعظتكم نصحاً لكم . أقول قولي هذا واستغفر الله لي
 ولكم — رواه الحاكم وابن عساكر —

من خطب ذي النورين رضي الله عنه

أيها الناس اتقوا الله فإن تقوى الله غنى . وإن أ كس الكيس من دان نفسه
 وعمل لما بعد الموت^(٢) . واكتسب من نور الله نوراً لظلمة القبر . وليخش عبد أن
 يحشره الله أعمى وقد كان بصيراً . وقد يكفي الحكيم من جوامع الكلام . والأصم
 ينادي من مكان بعيد . واعلم أن من كان الله معه لم يخف شيئاً ومن كان الله عليه
 فمن يرجو بعده — رواه ابن عساكر —

من خطب الامام أبي الحسن على كرم الله وجهه

أما بعد فإن المضمار اليوم وغدا السباق . إلا وانكم في أيام عمل . من ورائه
 أجل . فمن قصر في أيام أماله قبل حضور أجله فقد خيب عمله . الا فاعملوا لله في
 الرغبة كما تعملون له في الرهبة . ألا واني لم أرَ كالجنة نام طالبها . ولم أرَ كالنار
 نام هاربها . الا وان من لم ينفعه الحق ضره الباطل . ومن لم يستقم به الهدى

(١) المنار : هذا وما بعده بضعة جمل مقتبسة من الأحاديث المرفوعة الى النبي (ص)

(٢) المنار : مقتبس من حديث مرفوع رواه احمد والترمذي وابن ماجه

جار به الضلال . الا وانكم قد أمرتم بالظعن ودلالتكم على الزاد . الا أيها الناس
 إنما الدنيا عرض حاضر ، يأكل منها البر والفاجر . وان الآخرة وعد صادق ، يحكم
 فيها ملك قادر . الا ان الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء . والله يعدكم مغفرة
 منه وفضلا والله واسع عليم . أيها الناس أحسنوا في عمركم تحفظوا في عقبكم ، فان
 الله تبارك وتعالى وعد جنته من أطاعه وأوعده ناره من عصاه . انها نار لا يهدأ
 زفيرها . ولا يفك أسيرها . حرها شديد . وقعرها بعيد . وماؤها صديد . وان
 اخوف ما أخاف عليكم اتباع الهوى وطول الامل . الا لا يستحي الرجل ان يتعلم
 ومن يستل عما لا يعلم ان يقول لا اعلم — رواه ابن عساكر —
ومن خطبه كرم الله وجهه

حمدت وعظمت من عظمت منته . وسبغت نعمته . وسبغت غضبه رحمة .
 ونمت كلمته . ونفذت مشيئته . حمد عبد مقر بر بوليته . متخضع لعبوديته .
 ويستعينه ويسترشده ويستهديه ويؤمن به ويتوكل عليه . شهدت له تشهد مخلص
 موقن . وبعزته مؤمن . ووحدت له توحيد عبد مدعن . ليس له شريك في ملكه .
 ولم يكن له ولي في صنعه . جلّ عن مشير ووزير . وعن عون معين ونظير .
 وشهدت بعث محمد عبده ورسوله . وصفيه ونبيه وحبيبه وخليفه . صلى الله عليه
 صلاة تحظيه . وتزانه وتعليه . وتقرب به وتدنيه . بعثه في خير عصر . وحين فترة
 وكفر . رحمة منه لعباده . ومنة لازيده . ختم به نبوته . ووضح به حجته .
 فوعظ ونصح . وبلغ وكفح . عليه رحمة وتسليم . وبركة وتكريم .
 وصيتكم معشر من حضرني بوصية ربكم . وذكركم سنة نبيكم . فعليكم
 برهبة تسكن قلوبكم . وخشية تدرى دموعكم . وتقاة تنجيكم . قبل يوم يذهلكم
 ويهلككم . يوم يفوز فيه من ثقل وزن حسنة . وخف وزن سيئة . واتسكن
 مسئلتكم وتملقكم مسئلة ذل وخضوع ، وشكر وخشوع . وتوبة ونزوع . وندم
 ورجوع . وليقتنم كل مقتنم منكم حجة قبل سقمه . وشبيته قبل هرمه وكبره .
 وسعته قبل فقره . وفرغته قبل شغله . قبل أن تجذب نفسه . ويحفر رمسه . وينفخ
 في الصور . ويدعي للنشور . في موقف مهيل . ومشهد جليل . بين يدي ملك

عظيم . بكل صغيرة وكبيرة عليم . حينئذ يلجمه عرقه فعبثته غير مرحومه . وضرعت
غير مسموعة . وحجته غير مقبولة . فورد جهنم بكرب وشدة . ندم حيث لم ينفعه
ندمه . نعوذ برب قدير من شر كل مصير ، ونسأله عفو من رضي عنه . ومغفرة
من قبل منه . فمن زحزح عن تعذيب ربه جعل في جنة بقر به . وخلد في قصور
مشيدة . وملاك حور عين وحفدة . وطيف عليه بكؤوس . وسكن حظيرة قدس
في فردوس . وتقلب في نعيم . وسقي من تسليم . هذه منزلة من خشى ربه .
وحذر نفسه ، وتلك عقوبة من عصى منته . وسولت له نفسه معصيته . هو
قول فصل . وحكم عدل . خير قصص قصص . ووعد نص . تنزيل من حكيم
حميد . نزل به روح قدس على قلب نبي مهتد رشيد . صلت عليه سفرة .
مكرمون برة . يتضرع متضرعكم . ويتهلل مبتهلكم . واستغفر رب كل
مربوب لي ولكم . ثم قرأ (تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً
في الأرض ولا فساداً والعاقبة للمتقين) — رواه الخفاف في مشيخته^(١)

مختارات من خطب القاسمي

﴿ خطبة في الحذر من التطير والتشاؤم بخطب بها اول صفر ﴾

الحمد لله الذي بسط لنا موائد كرمه وافضاله ، وعمنا بجوده وغمرنا بنواله ،
فسبحانه من إله تاهت العقول في سبحات جلاله ، أحمده وأشكره ، وأتوب اليه
وأستغفره ، وأسأله أن يجعلنا ممن وفقه لصالح أعماله ، وأشهد أن لا إله الا الله وحده
لا شريك له شهادة موحد له في غده وأصاله ، وأشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله
نبي ميز حرام الشرع من حلاله ، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه صلاة تمنح
قائلها الفوز في مآله ، وسلم تسليما .

أما بعد أيها الناس فاتقوا الله واعلموا أن جميع ما يتقلب فيه الانسان طول

(١) المار : الظاهر ان هذه الخطبة موضوعة على أمير المؤمنين كرم الله وجهه فأين هذا
السجع المتكلف من خطبه التي تعد في أعلى مراتب البلاغة بعد كلام الله ورسوله

عمره ، إنما هو بمحض قضاء الله وقدره . ألا وإنه قد دخل عليكم شهر مباركة أوقاته ، ميمونة ساعاته ، لا ينسب إليه شر ولا خير ، بل هو صفر الخير ، وقد كانت الجاهلية يتشاءمون به وهو مبارك ، ويتطهرون منه وليس الله جل جلاله في مشيئته وتقديره بمشارك ، وإنما هو من شركهم وشرهم ، وسخافة عقولهم ومحض كفرهم ، وكيف ينسب فعل إلى شهر أو زمان ، والله خالق الزمان والمكان ، وقد بطل التطير والتشاؤم ولم يبق له أثر ، بما رواه البخاري في صحيحه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم سيد البشر ، انه قال « لا عدوى ولا طيرة ولا صفر » وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال « اذا ظننتم فلا تحققوا ، واذا حسدتم فلا تبغوا ، واذا تطيرتم فامضوا ، وعلى الله فتوكوا » وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال « ان سبعين ألفاً من أمتي يدخلون الجنة بغير حساب - فمثل صلى الله عليه وسلم عنهم فقال - هم الذين لا يكتون ، ولا يسترقون ، ولا يتطيرون ، وعلى ربهم يتوكلون » ^(١) وقال صلى الله عليه وسلم « الطيرة شرك » فمن اعتقد ما يتشاءم به سبباً مؤثراً في حصول المكروه فقد أشرك ، ولعقيدة التوحيد والموحدين ترك ، اذ لا فاعل الا الله ، ولا مؤثر في الكائنات سواه ، وإنما الزمان ليال وأيام ، تختلف بتقدير العزيز العلام ، فلا شوئم لصفر ولا جمود لجمادى ولا بلاء ، ولا نحس ليوم أربعاء ، بل ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن ، قال تعالى (ما أصاب من مصيبة فبأذن الله) وقال جل جلاله (قل لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا هو مولانا وعلى الله فليتوكل المؤمنون)

﴿ خطبة لاول ربيع في وجوب تعظيم النبي صلى الله عليه وسلم ﴾
﴿ وعلامت محبته ﴾

الحمد لله الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهر على الدين كله ولو كره

(١) الخطبة من أولها الى هنا من ديوان جد جدي لابي الامام الكبير والولي الشهير السيد محمد الدسوقي نسبة الدمشقي امام جامع حسان وخطيبه المتوفى ١٢٤١ بمزلة هدية قبيل المدينة المنورة ذهاباً الى الحجاز وقد بسطت ترجمته في تاريخي « تطير الشام في ما تردد مشق الشام »

المشركون ، ومن على المؤمنين اذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم يتلو عليهم آياته
ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم وان كانوا من قبل لفي ضلال مبين . وأشهد
أن لا إله الا الله وحده لا شريك له في جلال إلهيته ، ولا مثيل له في عز ربوبيته ،
ولا كفوء له في أحديته ، ولا كيف له في صفات مجده وصمديته ، وأشهد أن
سيدنا محمدا عبده ورسوله الذي دعا الى ثوابه وبشر ، وحذر من عقابه وأنذر ،
وأوضح سبيل الرشاد ، وجاهد فيه حق الجهاد ، حتى ظهر دين الله وعلت كلمته ،
وشملت رحمته وتمت نعمته ، صلى الله عليه وعلى آله الأبرار ، وصحبه الأخيار ،
وسلم تسليما

أما بعد فيا عباد الله اتقوا الله واعلموا ان الله تعالى اكمل المنة على المؤمنين ،
وأتم نعمته عليهم بأرسال خاتم الأنبياء رحمة للعالمين ، فهداهم به من الضلالة ، وأتقدهم
بمكانه (؟) من الجهالة ، وفتح به أعينا عمياء وآذانًا صماء وقلوبا غلفا منة وطولا ، وأرشد
به السبيل ، وأقام به معالم البرهان والدليل ، نعمة وفضلا ، ورفع به للتوحيد أعلاما ،
ومحاه به من الشرك ظلاما ، ثم جعل محبته مشروطة بمحبته ، وطاعته منوطة بطاعته ،
وذكره مقرونا بذكره ، وبيعته مقرونة ببيعته ، فقال تعالى (قل ان كنتم تحبون الله
فاتبعوني يحببكم الله) وقال تعالى (من يطع الرسول فقد أطاع الله) وقال تعالى
(ورفضنا لك ذكرك) وقال تعالى (ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله) ثم بين
جل جلاله ان مخالفة أمر نبيه ضلال وخسران ، وأوعد عليه بالعذاب والخسران (١)
فقال تعالى (فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب
أليم) وقال سبحانه (فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا
في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما) فحذر سبحانه وأوعد ، وأقسم واكد ،
ليعلموا أن من شعب الإيمان ، وكمال الاسلام والایقان ، اتباع سنته ، والتسليم لقضيته ،
وتوقيره وتعظيمه ، واجلاله وتكريمه ، كما قال تعالى (يا أيها النبي انا أرسلناك
شاهدا ومبشرا ونذيرا) لتؤمنوا بالله ورسوله وتعزروه وتوقروه) قال ابن عباس
وفيه : أي تبالغوا في تعظيمه . ألا وان من تعظيمه وتوقيره المطلوب ، ايثار حبه

(١) المنار : لعله أراد ان يقول « وافتتان » فسبق القلم ، او قاله فخره في الطبع

على كل محبوب ، فقد قال صلى الله عليه وسلم (لا يؤمن أحدكم حتى اكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين) ومن توقيره وحبه ذكر شمائله التي تهز أعطاف المحبين ، ونشر فضائله التي تزيد في إيمان المؤمنين ، وإيراد سيرته وما كان عليه من الاخلاق تسليكا للمتبعين ، ثم هل تدرون من المحب للنبي صلى الله عليه وسلم . والصادق في محبته واجلال قدره المعظم ؟ المحب للنبي صلى الله عليه وسلم هو القائم بامثال أوامره ونشر هديه الاكل ، والاعتصام بسنته والحض عليها واحياؤها بالطلب والعمل . المحب للنبي صلى الله عليه وسلم هو المتخلق بأخلاقه الجليلة ، والمتحقق بأدابه الجميلة . المحب للنبي صلى الله عليه وسلم هو من تظهر علامات الحب على أحواله ، من الاقتداء به واتباع أقواله وأفعاله ، فليتخلق بأخلاقه الطاهرة من كان صادق الحب ، فخلص اليقين سليم القلب ، ولكن ما أكثر المدعين وما أقل المخلصين ، عجباً لابن آدم يفهم ما يضره مما ينفعه ، ويسمع ولكن قلما يعمل بما يسمعه ، ويحضره العزم في مجلس الذكر الا انه يقوم ويدعه . فالى كم تهزه العبر وهو كالطفل كلما حرك نام ، ويقتحم المعاصي الكبر ويقول ان الله ذو مغفرة وينسى انه ذو انتقام ، فواخجل المقصرين من التوبخ في محفل القيامة ، وياسوء منقلب الظالمين عند حلول الندامة ، وياحسرات الهالكين اذا عاينوا اهل السلامة ، ويا هو ان المتكبرين اذا حرموا دار الكرامة ، فرحم الله امرأ رجع الى ربه سريعاً ، قبل ان يقع لجنبه صريعاً ، وألقى الى الموعظة قلباً واعياً وسمعاً سميعاً ، قبل أن لا يسمع في مقام السؤال الا توبيخاً ونقرياً . اللهم تداركنا برحمتك انك أرحم الراحمين ، وجد علينا بمغفرتك انك خير الغافرين

﴿ خطبة في شمائل رسول الله صلى الله عليه وسلم واخلاقه الماثورة ﴾

الحمد لله الذي خلق كل شيء فأحسن خلقه وترتيبه . وأشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له . وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله . نبي أدبه ربه فأحسن تأديبه ، وزكى أوصافه وأخلاقه ثم اتخذ صفيه وحببيه . ووفق للاقتداء به من أراد تهذيبه . وحرّم عن التخلق بأخلاقه من أراد تخييبه . فصلى الله وآله الطيبين

الظاهرين وسلم تسليماً . أما بعد فإعباد الله اتقوا الله واعلموا أن آداب الظواهر، عنوان آداب البواطن ، وحركات الجوارح ثمرات الخواطر ، والأعمال نتيجة الاخلاق ، ومن لم يخشع قلبه لم تخشع جوارحه ، ومن لم يكن صدره مشكاة الانوار الالهية ، لم يفيض على ظاهره جمال الآداب النبوية ، وقد أدب صلوات الله عليه بالقرآن وأدب الخلق به ، ولذلك قال صلى الله عليه وسلم « بعثت لأتمم مكارم الاخلاق » ثم رغب الخلق في محاسن الاخلاق ، ولما أكمل تعالى خلقه اثني عليه فقال تعالى (وانك لعلی خلق عظیم) فكان صلى الله عليه وسلم أحلم الناس وأشجع الناس وأعدل الناس وأعف الناس ، لم تمس يده قط امرأة لا يملك رقها أو عصمة نكاحها أو تكون ذات محرم منه . وكان أسخى الناس لا يبيت عنده دينار ولا درهم ، ولا يأخذ مما آتاه الله الا قوت عامه ويضع سائر ذلك في سبيل الله ، ولا يسأل شيئاً الا أعطاه ، وكان ينصف نعله ويرقع ثوبه ويخدم في مهنة أهله ، وكان أشد الناس حياء لا يثبت بصره في وجه أحد ، ويجيب دعوة العبد والحر . يفضب لربه ولا يفضب لنفسه . يأكل ما حضر ولا يرد ما وجد . يركب ما أمكنه ويردف خلفه . يحب الطيب ويجالس الفقراء ويؤاكل المساكين . ويكرم أهل الفضل ويتألف أهل الشرف بالبر لهم . يصل رحمه . لا يجفو على أحد . يقبل معذرة المعتذر اليه . ولا يقول الا حقاً . يضعك من غير قهقهة ، يخرج الى بساتين أصحابه ويعود مرضاهم ويشهد جنازتهم ، ما لعن خادماً ولا امرأة . ولا ضرب يده أحداً الا في سبيل الله . يبدأ من لقىه بالسلام والمصافحة . يكرم من يدخل عليه . حتى ربما بسط له ثوبه يجلسه عليه . وكان أفصح الناس منطقاً وأحلام كلاماً . يتكلم بجوامع الكلم . ولا يتكلم في غير حاجة . اذا سكت تكلم جلساؤه . وكان أحسن الناس نغمة . يعظ بالجد والنصيحة . وكان اذا لبس ثوباً جديداً أعطى خلق ثيابه مسكيناً . وكان أرغب الناس في العفو مع القدرة . أبعد الناس غضباً وأسرعهم رضاء . يمر على الصبيان فيسلم عليهم ، وكان أزهر اللون ليس بالطويل ولا بالقصير . بين كتفيه خاتم النبوة . وكان لا يمضي له وقت في غير عمل لله تعالى أو فيما لا بد منه من صلاح نفسه . وبالجملة فأخلاقه السكاملة لا تحصى ، وشماله الحسنى لا تستقصى . وكل

من أصنى اليها علم علو منصبه وعظم مكانته . وقد ظهر من آياته ومعجزاته ما استفاضت به الأخبار ، وكان أعظمها معجزة القرآن الكريم والذكر الحكيم . أعجز البلاء عن مماثلته في عبارته . وأفخم الحكماء عن محاكاته في عظمته وهدايته . وتشريعہ للناس أحكاماً تنطبق على مصالحهم مادامت الدنيا . وانتظام السعادة بالمحافظة عليها في الأولى والأخرى ، ولما لم يدع قاعدة من أصول الفضائل الا جلاها . ولا اما من أمهات الصالحات الا أحيها . ختمت النبوات بنبوۃ محمد صلى الله عليه وسلم وانتهت الرسالات برسالاته . قال الله تعالى (ما كان محمد أباً أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين وكان الله بكل شيء عليماً) وقال تعالى (لقد من الله على المؤمنين اذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفى ضلال مبين) (للخطب بقية)

المقارنة بين اللغة المصرية القديمة

واللغة العربية^{*}

٥

وصفتان طبيتان مصريتان

(الأولى) ورد في القرطاس الطبي - الذي نقلت عنه الوصفة الطبية التي نشرت في الجزء السادس من المنار - وصفة أخرى بمعناها ، وهي الثالثة والتسعون بعد المئة وهذا نصها ويليه تفسيره :

تميز ست تمشأ عن ست لا تمشأ

بطيكا^(١) ينت^(٢) ويخبط^(٣) على إرد^(٤) التي مشأت ذكرا

(*) لعلامة الا ثمار المصرية احمد بك كال (١) بطيخ (٢) أي يلت ، فأؤها لام ، من لت الشيء اذا دقه أو سحقه (٣) يخط يقابله في العربية شمس بمعنى خلط (٤) إرد مقلوب در وهو اللبن جعل أحد حرفي المضاعفة همزة في أول الكلمة كما مر نظيره في الجزء السابع

يؤري ^(١) مثل سم ^(٢) تسعم الست ، ان كرات ^(٣) مشأت وان زعت ^(٤) (٩) لا تمشأ الى نـح ^(٥)

(المعنى)

لتمييز المرأة التي تلد عن المرأة التي لا تلد — يدهق البطيخ ويخلط على لبن امرأة ولدت ذكرا ويجعل طعاما تأكله المرأة المراد اختبارها فان قاءت ولدت ، وان حصل لها رياح في المعدة لا تلد البتة

(الثانية) وورد فيه أيضا وصفة أخرى وهي الرابعة والتسعون بعد المئة وهذا نصها ويليه تفسيره :

بطيكا يخطط على إرد التي مشأت ذكرا ويونـح ^(٦) في قطاتها ^(٧) فان جشأت مشأت وان قاست ^(٨) لا تمشأ

(المعنى)

بطيخ يخلط على در (أي لبن) امرأة ولدت ذكرا ويونـح في فرجها أي يحقن فيه فان غاثت وثقايات ولدت وان وجدت في جوفها رياح لا تلد

(١) أرمى : جمع الطعام (٢) سعمه : غذاه وسعمه تسعما : غذاؤه المسعم حسن الغذاء والغين المعجمة لغة فيه والعين في المصرية تنوب عن الغين فيقال غني بمعنى غني غناء (٣) كرات يقابلها في العربية كـرعت بمعنى أمطرت « السماء » وهنا تفيد القيء (٤) زع فعل يقصد به خروج الريح الذي يوجد في المعدة ومنه في العربية الزعزاع وهي الريح الشديدة (٥) نـح مقلوب حان يحين حيننا : والى حين ، أي الى دهر مديد (٦) ونـح : أعطى قليلا أي شيئا فشيئا (٧) قطاة : ما بين الوركين والعجز ومقعد الرديف من الدابة وتدل هنا على الفرج (٨) قاس أي غاث وغلث وبجأش أو جشأ لأن القاف تقلب غينا أو جيا كما أن السين تقلب تاء أو شينا فيقال في العربية اللدیس « عراقية » مقلوب الشدي فالسين فيها بدل التاء وبالمصرية الشدي بالشين المعجمة ومن هنا يعلم أن التاء والشين والسين ينوب بعضها عن بعض

عدل الاسلام

مقالة لا نكليزية مسلمة ترجمت للمؤيد عن مجلة (اسلاميك ريفيو-اي المجلة الاسلامية) التي تصدر في وكنج بانكلترة فنشرناها مع تصحيح لبعض الالفاظ وهي :

اذا اخلص قلب الانسان (ضميره) في مطالعة تعاليم الدين الاسلامي وجدها أشد الاديان عدلا وصدقا ، وقد قضت تعاليم هذا الدين بأن العبد يخلق مجردا من كل خطيئة . فهو لا يرث ذنوب والديه ، ولا خبث أجداده

الاسلام يعلم أهله الاستقلال الشخصي (الاعتماد على النفس) ويجرد من نفس الانسان حكما عليها ، فهو يمكنه خلاص نفسه أو اهلا كما بأعماله ، فاذا عمل الخير وتحري الصواب جنى ثمار الجزاء الحق ، واذا عمل سوءا يجزى به

وقد قال الله تعالى في كتابه العزيز (كل نفس بما كسبت رهينة) وينطوي في معنى هذه الآية كل ما يقتضيه العدل ، لأن من الظلم أن يتحمل الانسان أوزار غيره ويستل عما ارتكب سواء . وقد قررت جميع الشرائع العادلة الجديرة بهذا الوصف أن من الظلم أن يعد أحد مجرما بجريمة غيره . وهذا من أصول الشريعة المحمدية أيضا ، ولا يزال هذا المظهر مظهر السيد المسيح الذي ينظر اليه المسيحيون باعتباره المخلص للعالم

واذا ولد الشخص من غير ارادة خاصة فيه ، وعجز عن تعرف مواطن الصواب ، ومقاومة الخطأ ، كان في عقابه أو إثابته كل ما يتصوره الخيال من الظلم ، وكان من العبث نفخ روح العقل والضمير فيه . ولكن تعاليم الاسلام صريحة في أن خالق العالم - وهو ربهم الحق - خلق الانسان ارادة واختيارا (وهديناه النجدين) ويستل عن نتائج الطريق الذي فضله وسار فيه . فاذا اهتدى صفا ضميره وصفت سعادته ، واذا شقي وسار في الطريق المعوج كانت عاقبة أمره خسرا ، ولكن الحكم على طفل صغير لا يفرق بين الغث والسمين لا يمكن أن يقال انه عدل . نعم انه ليس من العدل ولا من الشجاعة أن يحمل أحد أوزار غيره ثم يستل عنها . ومتى وكل الانسان بأمر نفسه تعلم وجوب الاعتماد عليها ، ومن المحتمل أن العبد اذا علم بأن

غيره ليستل عما اقترفه هو أطاع هواه ولم يحترم نفسه ، فكيف يكون فخرا بمولده وحياته ؟

والجواب على هذا انه يوجد نوعان من الفخر - الفخر الوهمي الخاطي والفخر الصحيح ، والاول منهما هو فخر الفطرسة وغش النفس ، وهو مقبول الطعم يجعل صاحبه أو صاحبه ينظر الى الناس بغير العين التي ينظر بها الى نفسه ، ثم يحتقر الجار والفقير ، وهي خطيئة فظيعة طالما حض النبي صلى الله عليه وسلم على اجتنابها أضف الى هذا ان الفخر الخاطي ، يكون مجلبة للفيرة والطمع الكاذب . ويعلا أوداج صاحبه بالفخفة الخارجة عن الحد

والفرق بين هذا الفخر وبين الفخر الصحيح هو أن الذي يبذل مجهوده في أداء الواجب بارضاء الله ومساعدة النوع البشري يثبت في قلبه حب السلام الذي لا يعطيه الله الا للمجتهدين من عباده ، واذا عمل العبد نهاية الخير لم يسأله الله أكثر من ذلك ، ولم يؤاخذ به اذا قصر طوقه عما ليس في مقدور أمثاله من البشر ، وهو القائل على لسان نبيه (وما جعل عليكم في الدين من حرج)

الاسلام دين حق يعلم الناس العدل ، وأسست مبادئه على العدل ، فهو يحرم الخمر والمقامرة والزنا

تاريخ ميلاد ولدنا محمد شفيع

﴿ لصديقي الوفي شيخ الخطباء والمحامين (وكلاء الدعاوي) اسماعيل بك عاصم ﴾

تاريخ ميلاد محمد شفيع نجل حضرة صديقي العزيز الاستاذ العلامة السيد محمد رشيد رضا صاحب مجلة المنار الزهراء

سر يا بشير التهامي للرشيد وقل	(بشري فقد أنجز الأقبال ما وعدا)
قد لاح نور ابنه نعم الشفيع به	(وكوكب السعد في أفق الملاصعدا)
فرعنا عن أصول طاب عنصرها	أنعم بمولده أكرم بمن ولدا
وكان في رمضان يمن طالعه	كليلة القدر فيها للنفوس هدى
محمد دام بسمو الفضائل عن	أبر يقرب به عينا وقد حمدا

عساه يأتي بنفع مثل والده وأنه يتحرى مثله رشداً

وعاصم عن رضا عنه أرخه رشيد بشارك في نجل سناه بدا

سنة ١٣٣٣ ٥١٤ ٥٢٣ ٩٠ ٨٣ ١١٦ ٧

الشطران اللذان كل منهما بين قوسين هما مطلع أحسن قصيدة قيلت تهنته
لأحد الخلفاء بميلاد ولده كما قال صاحب كتاب خزانة الأدب وقد ضمنهما هنا

أحسن تضمين اسماعيل عاصم

تقريظ المطبوعات الجديدة*)

كتاب كشف الكربة في وصف حال أهل الغربة

تأليف الشيخ الإمام العالم الزاهد أبي الفرج عبد الرحمن بن رجب الحنبلي
وهو شرح لحديث « بدأ الإسلام غريباً — » وقد قام بطبعه واعتنى بتصحيحه
الشيخ أحمد محمد شاكر قطب مطبعة (النهضة) طبعاً نظيفاً على ورق متوسط
صفحاته ٣٠ وثمنه قرش واحد ويطلب من مكتبة المنار خاصة

كتاب المبادئ النافعة ، في تصحيح المطالعة

ألفه الأستاذ الشيخ هارون عبد الرزاق شيخ رواق الصعايدة بالأزهر عند
ما كان مدرسا للعلوم العربية بالمدارس الأميرية . وقد قرر المجلس العالي في اللائحة
الداخلية للمعاهد الدينية تدريسه لطلبة السنة الأولى

طبع في المطبعة المصرية في الإسكندرية وصفحاته ٤٠ وثمنه قرشان
عنوان الظرف في فن الصرف

للاستاذ الشيخ هارون عبد الرزاق المذكور ثمنه نصف قرش

الدروس الأولى في العقائد الدينية

طبع للمرة الثانية في المطبعة السابقة الذكر سنة ١٣٢٦ هجرية وصفحاته ٤٦

بالقطع الصغير وثمنه قرش واحد

(*) عهدنا بتقريظ المطبوعات الى شقيقنا السيد صالح خلاص رضا

ومباحثه هي : ١ - في حقوق الاستاذ والوالدين - ٢ - في حقوق الله تعالى
- ٣ - في حدوث العالم - ٤ - في الوجدانية - ٥ - اجمال الصفات - ٦ - أول ما يجب
على الخلق لخالقهم - ٧ - في الوجود والقدم والبقاء الى آخر مباحث الصفات - ١٤ -
في الصفات والاسماء الحسنى ... - ٧ - في معرفة الله وطاعته وفي بعثة الرسل وصفاتهم
الى آخر المباحث التوحيدية المشهورة

الدروس الاولى في السيرة النبوية

طبع للمرة الثانية بمطبعة الجمالية بمصر صفحاته ٤٧ بالقطع الصغير ومباحثه هي :
نسب النبي (ص) ونشأته وبعثته وخروجه من الشعب الى دخول الانصار في
الاسلام ويعتني العقبة الى الهجرة والمهجرة والغزوات وصلح الحديبية ومرضه (ص)
وموته والاهتداء بهديه وخلافة الصديق وعمر وعثمان وعلي ثم دول الاسلام الكبرى
وفي ولاية مصر من فتحها الى الآن

الدروس الاولى في الاخلاق المرضية

طبع للمرة الاولى بمطبعة جاليتي بالاسكندرية صفحاته ٤٨ بالقطع الصغير
ومباحثه هي : نصيحة الاستاذ لتلميذه ، الوصية بتقوى الله ، حقوق الله ورسوله ،
حقوق الوالدين ، حقوق الاخوان ، آداب طلب العلم ، آداب المطالعة والمذاكرة ،
آداب الرياضة والمشي في الطرقات ، آداب المجالس والحديث آداب الطعام
والشراب ، آداب العبادة والمساجد وفضيلة الصدق والامانة والعفة ، المروءة
والشهادة وعزة النفس الخ

هذه الرسائل تأليف الاستاذ الشيخ محمد شاكر الذي كان شيخ علماء الاسكندرية
ثم وكيل مشيخة الازهر ومن كل منها ^١ وتطلب من مكتبة المنار وغيرها

ديوان غصن النقا

من نظم الشاعر الذكي اللوذعي ، الشيخ رشيد مصوبع اللبناني ، طبع بمطبعة
المقتطف سنة ١٩١٥ على ورق جيد صفحاته ٨٨ بالقطع الوسط ويطلب من مكاتب
مصر ومن ناظمه

عرفنا الناظم من أذكي شعراء العصر، وباريس من أجهل مدن العالم كما هو معلوم بالتواتر، ونأهيك بشاعر ذكي عربي أم هذه العاصمة الزاهرة فجمع في مخيلته جمال التصوير المعنوي والحسي، فنظم هنالك ديواناً فاق ما نظم قبله من الدواوين جمال الناظم ديوانه هذا هدية إلى الموسيو دلكاسيه نابغة سياسة فرنسية ووزير خارجيتها وقد نظم معظمه في باريس، فمن قصائده ما مدح به الموسيو بيشون والموسيو دلكاسيه ومنها ما عنوانه «باريس والجمال» و«وداع باريس» و«وصف باريس وانتقادها» و«الحل وباريس» و«باريس ووقتها» و«في مفتون في باريس» و«موحش باريس» وغير ذلك

وحسبنا نموذجاً من الديوان هذه الأبيات التي مدح بها صاحبه الموسيو دلكاسيه ناظر الخارجية الفرنسية فانها على كونها تعد من المقاطيع لا القصائد تمثل ذوق الناظم في الغزل والثناء والمدح والفخر — قال :

تمحكي الامام اليازجي بطلمة	ترهو و بالقد الرشيق العادل
فاذا حزنت عليه قت مقامه	فأعدت لي فرحي بذاك الراحل
ياطرف ابراهيم اذ بك الثرى	أسفي على طرف الحبيب الذابل
قم وانظر اليوم الرشيد فانه	يختال مثل السميري المسائل
يختال في أكناف دلكاسه الذي	هز الحسام بوجه ذاك العاهل
هذا بفضلك يا حبيب ولم أصل	لولا التفاتك للوزير الفاضل
قلدتني سيف البيان فكان لي	يوم المني أمضى جميع وسائلتي
ان كان بدر الوجه عني آفلا	فبدور علمك في غير أوافل
حاكك في الشكل الوزير ودونه	في ود قلبك كان خير مشاكل
فرنا الي بأعين مملوءة	عطفا علي وكان أكرم باذل
وأجل منزلتي وأعجب بي كما	أعجبتني وأشدت بي بمحافل
ان كان ركن العلم مال فلا هو	ركن السياسة والعلى والنائل

المسحاة

١٣١٥

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد
أوتي خيرا كثيرا وما يذكر إلا أولو الألباب

فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه
أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب

قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام صوى وه مناراه كنار الطريق

مصر ٢٩ ذي القعدة ١٣٣٣ — ١٥ الميزان (خ ١) ١٢٩٤ هـ ش ٩ اكتوبر ١٩١٥

البرهان

على

خروج تارك الصلاة ومانع الزكاة من الايمان

جمع أدلته من الكتاب والسنة محمد علي أبو زيد
الطاب بكنية دار الدعوة والارشاد

٣

فما أنت ذاقده سمعت من الآيات ما يدلك على أن مانع الزكاة مشرك بالله ، لأنه آثر المال على الله^(١) وكافر يوم المعاد ، لأنه لو كان عنده جزم بل ظن به لجمه على الاتفاق ، فلا إخالك تشك في أنه محروم من الجنة ، وإن (مأواه جهنم وبئس المصير)

وهالك أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم الدالة على ما قلنا ،

المؤيدة لما ذكرنا

أخرج ابن عساكر عن رسول الله (ص) أنه قال « أقسم الله تعالى ألا يدخل الجنة مجنيل » وفي رواية للخطيب « يحلف الله بعزته وجلاله ألا يدخل الجنة شحيح ولا مجنيل »

وأخرج ابن أبي شيبة وهناد والنسائي والحاكم والبيهقي عنه (ص) « لا يجتمع الشح والإيمان في قلب عبد أبدا » وفي رواية لابن عدي : « لا يجتمع الإيمان والبخل في قلب رجل مؤمن أبدا »

(١) المنار : مثل هذا القول لا يمكن جملة على الشرك في الاعتقاد وإنما هو من باب حديث « تعس عبد الدينار » وباب (أفرايت من اتخذ إلهه هواه)

فهذا رسول الله (ص) المبين للدين، الناطق عن الله، أراك أنت البخل لا يدخل الجنة، ولم يأت بالخبر الا مؤكداً بالقسم عن الله تعالى ولا يخفى أن البخل خلق في النفس يمنع صاحبه من بذل فضله لمن يحتاج اليه. والشح أشد من البخل، فهو أكثر منعاً منه لصاحبه، وكلاهما ضد للايمان الذي يحمل صاحبه على بذل روحه في سبيل ربه، فضلاً عن بذل ماله وفضله، فكيف يكون المانع للزكاة مؤمناً وهو لم يمنع الزكاة الا حرصاً على المال، وإثارة له، وشحاً به على الله؟ فلا شك في كفره وحرمانه من الجنة كما أخبر الله ورسوله

وهنا بما نقول: أتيتنا بآيات في الصلاة وصفت تاركها بالشرك والكفر والنفاق، ولم تصف آيات الزكاة مانعها الا بالشرك والكفر فقط. فأقول لك: قد جاء في القرآن أيضاً وصف المنافقين بمنع الزكاة. قال عز شأنه في سورة التوبة (المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف ويقبضون أيديهم) فقبض اليد هو امساكها عن الاتفاق الواجب من زكاة وغيرها، وقد علمت حال المنافقين ودرجتهم مما سبق، فلا حاجة الى الاعادة، والى هنا تنتهي من أدلة الزكاة وحدها واني أتلو عليك آيات في الصلاة والزكاة معا

(قال) الله تعالى في سورة البقرة (ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب، ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر الى ان قال: وأقام الصلاة وآتى الزكاة، والموفون بعهدهم اذا عاهدوا، والصابرين في البأساء والضراء وحين البأس، أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون) فانظر كيف جمل البر الايمان بالله واليوم الآخر، وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة والوفاء

بالعهد، والصبر في الشدائد. وتراه قد ابتدأ بالإيمان وعقبه بإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة لانهما تابعان له، لا ينفكان عنه، ثم ذكر بعدهما الوفاء بالعهد والصبر في الشدائد، وهما من الاخلاق التي تدعو اليها الصلاة، وتثبتها في النفس، وقد عرفت ذلك فيما تقدم من الحكمة

ولما كان الإيمان يستلزم إقام الصلاة وإيتاء الزكاة، وما يتبعهما من الاعمال والاخلاق، وكان محالاً — بحسب سنة الله تعالى — أن يوجد الإيمان في قلب المرء ويستقر من غير أن يحرك الجوارح لتلك الاعمال، ذيل الآية بقوله « أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون » أي أولئك الذين أقاموا الصلاة فأتوا بها معدلة مقومة، وآتوا الزكاة لمستحقها بنفس طيبة، واتصفوا بهذه الاخلاق الفاضلة، هم الذين صدقوا في إيمانهم، وهم الذين فصلوا ما يقيهم عذاب ربهم، دون غيرهم. وهذا نص صريح في أن من يدعي الإيمان من غير أن يكون مصلياً لله مزكياً، تكون دعواه باطلة كاذبة، اذ لم يأت عليها من أعماله بشاهد أو بينة^(١)

وقد قضت حكمة الله تعالى أن يكون الإيمان حياة الروح، كما أن الدم حياة للجسم، وكلاهما يحتاج الى ما يمدّه ويقويه، فكما أن الدم يطلب بطبيعته أن تأتي له الاعضاء بمواد تجهزها له، وتمده بها ليقوى ويزاد صلاحاً لتقوية الجسم على حاجاته، كذلك الإيمان يطلب عملاً صحيحاً تقوم به الجوارح من الصلاة والزكاة وغيرهما لينغذيه ويزيده قوة فتقوى بقوته

(١) المنار: الاستدلال بعدم الاتيان بالبينّة وباستلزام الإيمان للعمل يجادل فيه المشتغلون بالعلم بقولهم ان عدم الاتيان بالدليل لا يقتضي عدم المدلول وعدم البينة لا يقتضي كذب الدعوى، وعدم الملزوم يقتضي عدم اللازم دون العكس، ويعدون هذا الاستدلال من الخطايات. وستعلم ان له وجهاً صحيحاً

الروح ، وتستعد بزيادته النفس لأن تكون ملكية صالحة لجوار الله تعالى ، وأهلاً للتمتع بجناته ورضوانه

وهذا هو السر في أن الايمان متى قام بالنفس صرف الجوارح في العمل حتماً ، وأن الايمان لا يوجد في قلب امرئ لا يصلي أو لا يزكي ، كما سمعت من الآيات التي تقرر الايمان بالعمل على الدوام ، وتكذب من يدعي الايمان ولا يعمل ، لانه لو كان صادقاً لآتى بالصلاة والزكاة التي تصدقه وتشهد له ، وقد علمت أن غير الصلاة والزكاة من الفضائل هو تابع لهما بالضرورة ، ولذلك تجدد الآيات تقررهما بالايمان ، وتذكر غيرهما بمدحهما ، وفي كثير من الآيات يستغنى بذكرهما بعد الايمان ، للإشارة الى ذلك (قال) تعالى في وصف المؤمنين في سورة النساء (والمؤمنون يؤمنون بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك والمقيم الصلاة والمؤتون الزكاة والمؤمنون بالله واليوم الآخر أولئك سنؤتيهم أجراً عظيماً)

س لم قال (والمقيمين) فأني بها منصوبة على غير المألوف لنا من قواعد النحو في المطف؟

ج لتنبية الذهن ، فهو تخصيص يظهر لك به قيمة المقيم للصلاة ، وتأكيده للعناية بها ، إذ هي الأصل للفضائل كما أسلفنا ، والناحية عن الفحشاء والمنكر ، وقد أردفها بأختها الزكاة ، وجعلهما مما وسطا بين الايمان بالكتب المنزلة من السماء ، وبين الايمان بالله وبالجزاء ، ليفيد أنهما مظهر الايمانين ، وأن المؤمن لا بد أن يتصف بالصفتين

وكأنه يقول : ان من لم يتحل بالصلاة والزكاة ، لا يكون مؤمناً بالله ، ولا خائفاً من عذاب الله . اسمع قوله تعالى في سورة النور (في

بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والآصال رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة يخافون يوما تتقلب فيه القلوب والأبصار ليجزئهم الله أحسن ما عملوا ويريدهم من فضله) الآية

تجد أنه جعل خوف هؤلاء الرجال من يوم القيامة وهوله ، وما يلاقهم هناك من حسابه ، سببا في ذكرهم ربهم ، وإقامة صلاتهم ، وإيتاء زكاتهم ، كما أن فعلهم الصلاة والزكاة نتيجة تقىهم بأن الله يشكرهم على فعلهم ، ويمتعم بثمره أعمالهم ، فالآيات تنادي بأن من لم يقم الصلاة ولم يؤت الزكاة لا يخاف ذلك اليوم - يوم الدين ، ولا يثق بثواب رب العالمين ، إذ النفس مفطورة على فعل الشيء متى ترجع لها فيه الخير ، والابتعاد عنه إذا علمت منه الضرر ، وهذه قاعدة نفسية ، تجري عليها جميع الأعمال البشرية ، فمن ادعى خلافا فهو كاذب . ألا تراك حين تعلم أنك إذا وضعت يدك في جحر الثعبان فإنه يلدغك ، أو أكلت طعاما فيه سم فإنه يقتلك ، لا تستطيع بحسب فطرتك أن تقدم عليه البتة ، اللهم إلا إذا زال من نفسك هذا العلم بالضرر ، أو أصابك شيء في العقل فترجع لك النفع في الموت ، ولكن مادام العقل سليما ، والضرر مرجحا ، فإنك لن يمكنك الإقدام عليه ، فارجع الى وجدانك ، وحقق منه ذلك ، فإنك لا تشك في أن تارك الصلاة ومانع الزكاة ، لم يمنعه من أدائها ، إلا ما قام بنفسه من ترجيح الخير في تركها ، وعدم يقينه بأن سيعذب على عدم المبالاة بهما ، ولو قرأت قوله تعالى عقب هذه الآية مباشرة (والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة) الآية - لرأيت أنه يقابل الآية التي قبلها ،

ومن المعلوم في سنة القرآن أن يذكر الكافرين ، في مقابل المؤمنين ،
فيريك أن من يتخلى عن تلك الصفات إنما هم الكفار ، ولا بد للمؤمنين
من الاتصاف بها ، فيها يعرفون ، وبها يميزون

(قال) تعالى في سورة المؤمنين (قد أفلح المؤمنون * الذين هم في
صلاتهم خاشعون * والذين هم عن اللغو معرضون * والذين هم للزكاة فاعلون)
جعل الفلاح للمؤمنين الخاشعين في صلاتهم ، الفاعلين لركائسهم ، فأفهم
ألا فلاح لغير المؤمن ، كما أنه لا إيمان لمن لا يعطي خاشعاً ، ويزكي محبا
س عهدنا من القرآن أن يذكر الزكاة بعد الصلاة من غير فصل ،
فلماذا فصل بينهما هنا بقوله « والذين هم عن اللغو معرضون » ؟

ج لينبهك الى نكتة جميلة ، وحكمة جليلة ، وهي ان الصلاة التي
ليس فيها خشوع لا يعبأ بها ، وأنها لغو يتنزه المؤمنون عنها ، فليكن لك
من كلام الله عبرة ، ترجع فيما تطالبك به نفسك اليه ، وتقيس أخلاقك
وما تأتي به من الاعمال عليه ، فمالك من قسطاس مستقيم يزن الاعمال
بالضبط غيره ، ولا مقياس صحيح يحدد الصفات بالحق سواء (هذا
كتابنا ينطق عليكم بالحق — ولدينا كتاب ينطق بالحق وهم لا يظلمون)
(وقال) تعالى في سورة النمل (طس * تلك آيات القرآن وكتاب
مبين * هدى وبشرى للمؤمنين * الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة
وهم بالآخرة هم يوقنون)

(وقال) في سورة لقمان (ألم تلك آيات الكتاب الحكيم * هدى
ورحمة للمحسنين * الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم بالآخرة هم
يوقنون * أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون)

نراه هنا قد حصر الفلاح فيهم؛ وأفادك أصرا آخر وهو أن الصلاة والزكاة مع ملازمتيهما للإيمان بالآخرة، قد يأتي بهما المرء عن غير داعية الإيمان، إما للرياء أو الاكراه. وحينئذ لا يكون له حظ في هداية القرآن، ولا البشرى بالجنة والرضوان، ومن كان هذا حاله، لا تنفعه صلاته، ولا تقبل منه تققاته

(قال) تعالى في سورة براءة (وما منعهم أن تقبل منهم تققاتهم ألا أنهم كفروا بالله وبرسوله، ولا يأتون الصلاة الا وهم كسالى ولا ينفقون الا وهم كارهون) فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم انما يريد الله ليعذبهم بها في الحياة الدنيا وتزهق أنفسهم وهم كافرون) أنزل الله ذلك في شأن المنافقين الذين لم تكن صلاتهم عن إيمان فينشطوا اليها، ويرتاحوا بها، ولم تكن تققاتهم عن اخلاص فينفقوا عن طيب نفس ورغبة في القبول، فبذلك كفروا، وجعل الله أموالهم وأولادهم فتنة لهم، ووبالا عليهم، وسينتقم منهم (يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من أتى الله بقلب سليم) من عيوب الشرك والنفاق هذا وقد تضافرت الآيات الناطقة بأن الصلاة والزكاة هما علامتا الإيمان بالله، ودليلا الاخلاص له، وأنه لا يصح إيمان بدونهما، كما أنهما لا تقبلان من غير أن يكون الإيمان باعثا عليهما، وهما إذا أزيدك على ما تقدم منها ما تقطع بعد تدبره بأن تارك الصلاة ومانع الزكاة لم يمس الإيمان قلبه

قال العزيز الحكيم في سورة السجدة الم (انما يؤمن بآياتنا الذين اذا ذكروا بها خروا سجدا وسبحوا بحمد ربهم وهم لا يستكبرون) تتجاني

جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفاً وطمعا ومما رزقناهم ينفقون (وقال) تعالى في سورة الانفال (انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايماناً وعلى ربهم يتوكلون) الذين يقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون اولئك هم المؤمنون حقا) وقد أتى في الآيتين بلفظ «انما» الذي يدل على الحصر، كأنه يقول سبحانه إنه لا يوجد الايمان الصحيح الا فيمن يكون هذا شأنهم، وتلك صفاتهم، فمن لم يهتز قلبه لذكر الله، ولا يخضع ويدعن لاوامره، فيرجو ثوابه، ويخاف عقابه، فليس بمؤمن وإن سمي نفسه مؤمناً، لان المؤمن يدور دائماً بين خوف ورجاء، نخوفه عذاب ربه يزجره عن المنكرات، ورجاؤه ثوابه يدعو به الى المسارعة في الخيرات، فمن لم يك كذلك فاعتقد كذبه في دعوى الايمان، وحسبك شهادة الله لمن يقيم الصلاة ويعطي الزكاة بعد ما تقدم بقوله (اولئك هم المؤمنون حقا) بالحصر المؤكد بالحق. فهل بعد هذه أدلة، تشفي من الغلة، أو ينتظر برهان، أرقى من القرآن؟ ولنختم الموضوع بآيات أخرى ودلائل، لاتدع بعدها قولاً لقائل فتلو قول الله الكريم (براءة من الله ورسوله الى الذين عاهدتم من المشركين) الآيات، ففيها يقول الله للمسلمين (فاذا انسلخ الاشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وخذلواهم واحصروهم واقعدوا لهم كل مرصد، فان تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم ان الله غفور رحيم) وفيها يقول (فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم) — الى أن قال — لا يرقبون في مؤمن إلا ولا ذمة وأولئك هم المعتدون فان تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فإخوانكم في الدين)

أمرهم ألا يعتدوا بتوحيدهم من الشرك والاعتداء إلا إذا اتبعوا التوحيد باقامة هذين الركنين للدين ، لانهم بهما يصيرون مسلمين متآخين ، وعلى هذا سار الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضي الله عنهم ، وقتال الخليفة أبي بكر باجماع الصحابة لما نهي الزكاة ، وعده إياهم خارجين بتركها مشهور ، وبه علم أن الاسلام أركانه متضامنة ، لا يقام الا باقامتها جميعها ، وينهدم بهدم أي ركن منها ، وقد عزز ذلك النبي صلى الله عليه وسلم أيضا بالحديث الذي خرجه الامام أحمد ^(١) « أربع فرضهن الله في الاسلام فمن جاء بثلاثة لم تغنين عنه شيئا حتى يأتي بهن جميعا : الصلاة والزكاة وصوم رمضان وحج البيت » وقد علمت مما تقدم أن من يقيم الصلاة بالخشوع ، ويؤتي الزكاة بالاخلاص ، لا يسه أن يترك غيرها من الفروض ، ولا يمتنع عن تقوى الله ما استطاع ، ولذلك اختصرنا عليهما اذ يوشك أن تضع كل فضيلة بضياعهما ، وعدم المبالاة بهما فاتقوا الله يا معشر المسلمين ، واعلموا أنكم لستم بمأجورين ، حتى تحذوا حذو سلفكم الصالحين ، فتكونوا بالصلاة والزكاة أمرين مؤتمرين وعلى يد التاركين لهما ضارين ، (فان تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فإخوانكم في الدين) تتعاونون على نشره ، وتكاثفون في احياء شعائره ، فتعلمون كلمته ، وتجنون ثمرته

هذه نصيحتي أقدمها اليكم ، عسى أن تكون وسيلة لديكم ، فتطلبوا الحق من القرآن ، ولا تستبدلوا التقليد بالبرهان

محمد علي أبو زيد

هداني الله وإياكم

[المنار] عنوان هذه الرسالة والكثير من عباراتها يخالف في ظاهره لمذهب أهل السنة في عدم تكفير المسلم بترك فريضة أو فعل معصية، وموافق لمذهب الخوارج في تكفير مرتكب الكبيرة كترك أحد أركان الإسلام أو اقتراف القتل أو الزنا أو شرب الخمر، وقد تعارضت ظواهر نصوص الكتاب والسنة في هذا الباب فأطلق اسم الكفر في بعض أحاديث صحيح مسلم على ترك الصلاة وعلى الطعن في النسب والنياحة على الميت وفي حديث الصحيحين «سباب المسلم فسوق وقتاله كفر» (وفيهما) إذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار» وقال تعالى (وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما) فسيأهما مؤمنين . وقال تعالى (ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء) فجمع أهل السنة بين هذه النصوص وأشباهاها بأن لفظ الكفر — ومثله الفسق والظلم — ورد في الكتاب والسنة بالمعنى اللغوي فأطلق على كفر النعمة وعلى الشرك وما في معناه من مناقيات الإيمان بالله ورسوله وتصديق ما جاء به الرسول (ص) عن الله تعالى . وكذلك الفسق والظلم — قال تعالى (ان الشرك لظلم عظيم) والكافرون هم الظالمون * كذلك حقت كلمة ربك على الذين فسقوا أنهم لا يؤمنون) وقال (فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج) فهذا الفسق دون ما قبله . وكذلك لفظ الشرك وهو أقبحها أطلق على مادون اتخاذ إله مع الله فسمي الرباء شركاً وجملة القول ان أهل السنة لا يكفرون أحداً من المسلمين بمعصية يرتكبها فعلاً كانت أو تركاً وان كانت من الكبائر ، الا أن بعض أئمة أهل السنة من الصحابة والتابعين قالوا بكفر تارك الصلاة كما تقدم في تعليقنا على حديث مسلم في أول هذه الرسالة، وأطلق جمهورهم كلمة «المرتدين» على مانعي الزكاة بعد وفاة الرسول (ص) كما أطلقوه على من رجعوا عن الإسلام إلى الشرك أو الإيمان بنبوة الكذابين مسيئة والاسود العنسي ، ولكن قال علماء السنة ان الذين منعوا الزكاة تأولوا بأن أخذها خاص بالنبي (ص) لم يسموا مرتدين الا بالتبع لغيرهم أو بمعنى الارتداد اللغوي . وان الاجماع انعقد في عهد الصحابة بأن من منع الزكاة متأولاً — ومثله من جحد ما في معناها وحكمها — تقام عليهم الحجة أولاً فان اعترفوا بوجوبها ولم يؤدوها لا يحكم بكفرهم بل يقاتلون قتال البغاة لا الكفار، كما قاتل الصحابة الخوارج ولم يكفروهم ولا عاملوهم معاملة الكفار في القتال

هذا — وان وراء هذه المسألة بحثاً آخر وهو : انه لا يعقل أن يكون المرء مؤمناً بالله تعالى وبرسوله وباليوم الآخر على الوجه الحق الذي دعا اليه القرآن ، ومسلماً مدعياً في ظاهره وباطنه لما جاء به النبي عليه الصلاة والسلام ، وهو يترك الصلاة التي هي عماد الاسلام وركنه الاعظم للعبادات الشخصية ، والزكاة وهي ركنه الاعظم الذي تقوم عليه حياته الاجتماعية ، غير مبالي بنصوص الكتاب والسنة التي قرنتها بالايان ، وعدتهما أعظم أركان الاسلام ، وقد عد السلف العمل بما أمر الله ورسوله داخلاً في مفهوم الايمان ، والاذعان شرط لصحة الايمان بالاتفاق . وكيف يكون مدعياً من لا سلطان للامر والنهي على قلبه ، ولا يظهر لها أثر في عمله ؟

لقد أحسن من عبر عن المسألة بقوله «لأنكفر أحداً من أهل القبلة» أي من ثبت إسلامه بأذعانه لما جاء به نبينا ، بأن كان يصلي معنا الى قبلتنا ، ويلتزم أحكامنا وشعائرناء ، فأننا لا نحكم بكفره لذنوبه يقتصره بجهالة كثرة غضب ، أو نزوة شهوة ، أو فريضة يتركها بشغل عارض ، أو برد قارس ، ثم يتوب من قريب ، إذعانا لمقتضى الوعد والوعيد (إنما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب فأولئك يتوب الله عليهم) والذين اذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ، ومن يغفر الذنوب الا الله ؟ ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون) لا ايمان لمن لا اذعان له ، ولا اذعان لمن لا اسلام له ، ولا اسلام لمن لا عمل له ، وأعمال الاسلام قسمان أركان البيت يتوقف عليها وجوده ، وواجبات ومندوبات يتوقف عليها كماله ، فهذا هو الاسلام الديني وهناك اسلام آخر هو عبارة عن جنسية سياسية أو اجتماعية تنال بالوراثة أو بالانتماء الى قوم يسمون مسلمين ، وهذا الاسلام لا يشترط فيه العلم بعقائد الاسلام الديني ولا القيام بأركانه وشعائره الظاهرة ، ولا ترك محرماته المجمع عليها ولا استقباحها ، ولا ينافيه إنكار شيء من القرآن ولا استقباح شيء من شرعه كتحریم تبرج النساء والخمر والقمار ، وإنما يعرف بالاسم وبمشاركة المسلمين في بعض احتفالات أعيادهم ومواسمهم المشروعة والمبتدعة ، وبعدم التزام شعائر دين آخر . وأنت ترى بعض الملاحظة من هذا الجنس يريدون هدم الاسلام الديني بالاسلام الاصطلاحي الجنسي ، حتى أنهم يبيحون جحد المجمع عليه المعلوم منه بالضرورة وأولئك هم المرتدون المنافقون

مَدِينَةُ دَارُالْبَيْتِ الْمَقْدِسِ وَالْأَنْشَاءُ

دروس سنن الكائنات

محاضرات علمية طبية إسلامية للدكتور محمد توفيق صدقي

١١

أنواع أمراض الاحياء الطفيلية الميكروبية

هذه الامراض نوعان : منها ما عرف ميكروبه باليقين ، ومنها ما لم يعرف الى الآن. ومن أسباب ذلك أن جميع المجاهر أو النظارات المكبرة (الميكروسكوبات) الحالية لا تكشف الا ما يبلغ طول قطره ١٦ و٠ من الميكرومليتر أو أكثر . أما ما قل عن ذلك فلا يمكن رؤيته الى الآن مطلقا ويسمى [بما وراء المجهر] (Ultra-microscopic) وهذه الميكروبات تمر خلال أحكم النواضح (المرشحات) مثل ميكروب الكلب وجذري البقر

أما الميكرومليتر المذكور هنا — ويسمى أيضا [الميكرون] — فهو جزء من الف من المليمتر، ويرمز اليه بهذه العلامة («) في الافرنجية وبحرفي (مك) في العربية والميكروبات المعروفة اما نباتية أو حيوانية — كما سبق —

الامراض التي تنشأ من الميكروبات النباتية

الحُمى التيفودية Typhoid Fever

لفظ التيفود يوناني معناه [شبه التيفوس] ومعنى كلمة [تيفوس] الصاعقة،

سميت بذلك الحُمى المعروفة لانها تصعق المريض

هذه الحصى من الحميات الشهيرة المعدية وتمكث عادة نحو ثلاثة أسابيع ، وقد يُنكس فيها المريض مرة أو أكثر . وأهم مميزات طفح قرنفلي واسهال مع التهاب وتقرح في بقع (بايير) وفي الغدد المنعزلة للأمعاء . ولاصابة الأمعاء فيها بالتقرح تسمى أيضا بالحصى المعوية

الأسباب — هذه الحصى لا تميز إلا قليلا بين الذكر والانثى ، ولكن للعمر تأثيرا كبيرا فيها فهي تكثر في سن الشباب الى ٣٠ سنة وبعد ذلك تقل كثيرا ، غير انها قليلا تصيب الاطفال والشيوخ ، واذا أصابت الاطفال كانت الاصابة خفيفة ومدتها قصيرة ، واضرارها بالأمعاء أقل مما في الشبان

تكثر هذه الحصى بين شهري أغسطس ونوفمبر ، أو في فصل الحر والجفاف . واذا أصيب بها المرء مرة وقته من الاصابة بها مرة أخرى . وميكروبيها من الشكل الباسيلي ، كثير الحركة باهدابه ، طوله ميكرونان أو ثلاثة ، ويتكاثر بالانقسام ، ولا حبيبات له . ويوجد بكثرة في البراز وفي البول^(١) وفي اللعاب أيضا (في المضاعفات الرئوية) وفي العرق ، ويوجد كذلك في قيح الخراجات التي تنشأ من هذه الحصى . وقد ينتقل من الام الى جنينها

فاذا وصل هذا الميكروب الى أي شيء مما يأكله الانسان أو يشربه انتشر المرض بين الناس . والذي اكتشفه هو [ايبيرت Eberth] سنة ١٨٨٠ وهذا الميكروب يعيش حتى في الثلج ولا يقتله عصير المعدة الحامض ويقاوم درجة ٤٤ الى ٥٠ سنتيمجراد مدة طويلة جدا ، ولذلك قد يصل الى الانسان من مثل القشدة المثلوجة وغيرها ، ويدخل هذا الميكروب كثيرا في الاسماك الصدفية أي المحار (كأم الخلول) التي تؤكل عادة بلا طبخ ويعيش فيها الميكروب وهي حية لغاية ١٨ يوما بدون أن يظهر عليها عرض مّا . واذا جف الطين وصار بحيث تثيره الريح عاش الميكروب فيه ٢٥ يوما فينتقل بذلك الى طعام الانسان وشرابه . وكذلك الذباب ينقله أيضا . وقد يعاق هذا الميكروب بالخضروات كالفجل والجرجير ونحوها مما يؤكل

(١) وجوده في البول كثير خصوصا في الاسبوع الثالث وفي طور النقاهة بل بعدها

غضا، فكل هذي الاشياء هي مما ينقل المرض من شخص الى آخر. وكثيرا ما تلوث الآبار أو الانهار أو أنابيب المياه من المراحيض التي يلقي فيها إفراز المرضى. وقد ثبت انه يعيش في قذارة المراحيض من ٣ الى ٥ أيام ولكن يوجد في هذه المواد القدرة من الميكروبات ما يقتله بعد ذلك

وإذا عرض هذا الميكروب لنور الشمس مات بعد ٤ ساعات وقد يبقى الى ٨ ساعات، وإذا وجد في الارض مختبئا عاش شهرين كاملين ومن الناس من يحمل هذا الميكروب في جسمه عدة أشهر بل عدة سنوات بعد الشفاء من الحمى ويكون سببا في عدوى الكثيرين بيوله وبرازه^(١) ومن المحقق ان المראה هي غالبا مسكن الميكروب في هؤلاء الحملة (خصوصا من النساء) وفيها يتكاثر بعد الشفاء (راجع صفحة ١٦ و ١٧ من هذا الجزء)

والطريق الوحيد للعدوى بهذا المرض هو الجهاز الهضمي فاذا وصل الى أي جزء منه — كالفم مثلا — اذا ذرته الريح فدخل غباره في جوف الانسان فمن الجائز أن يصاب بهذا المرض، وإن كان الغالب في العدوى ان يزدرده الانسان في الطعام أو الشراب الاعراض — مدة التفريح تكون في أكثر الاحوال نحو أسبوعين وقد تكون ٥ أيام فقط أو ٢٢ يوما. ويتبدى المرض بإحساس المريض تدريجيا بضعف وتكسر في الجسم ويسأم العمل ويشعر بصداع وآلام في الاطراف والظهر والاقباء (فقد شهوة الطعام) وقد يحصل له غشيان أو قيء. وفي أغلب الاحوال لا يمكن للمريض أن يعين بالضبط مبدأ لهذه الاعراض — بخلاف بعض الحيات الاخرى التي تتبدى فجأة — ويكون الصداع شديدا (وأكثر شكاوى المريض منه) وفي كثير من الاحوال يحصل له إسهال. وقد يحاول المريض في أول الامر أن لا ينقطع عن عمله الا أنه في أواخر الاسبوع الاول يضطر الى ذلك ويأجأ الى الفراش. وكذلك تتبدى الحرارة بالتدرج حتى تصير بعد أيام قلائل نحو ٤٠° ويسرع النبض وتزداد مرات التنفس. وفي نحو اليوم السابع أو العاشر يكون عند المريض

(١) خروج الميكروب مع البراز ليس متتابعا بل متقطعا فاذا وقف زمنا ما فقد يعود ثانية، ولذلك فمن المتعذر القطع بطهارة الحامل منه وعدم عدواه لغيره

ذهول وضعف شديد ويحتمن خداه ويجف اللسان ولا يزال يشتكي من الصداع. ويحصل له أحيانا عرق غزير أو رعاف . ومن اليوم السادس الى اليوم الثاني عشر يظهر الطفح القرنفلي المخصوص وهو نقط أو بقع صغيرة وردية مستديرة مرتفعة قليلا عن سطح الجلد تزول بالضغط عليها ولا يحصل فيها نزف كما في التيفوس ، وتشاهد هذه النقط على البطن والصدر وقد ترى أيضا على الجنبين والظهر أو العضدين والفخذين ، ويتراوح عددها بين ٦ الى ٢٠ أو ٣٠ وقد تزيد على ذلك بكثير . وفي بعض الاحوال لا يكون لهذا الطفح وجود — خصوصا في مصر — وهو لا يظهر دفعة واحدة بل تدريجيا ، وتمكث كل نقطة ٣ أو ٤ أيام ثم تزول ويخلفها غيرها حتى نهاية الأسبوع الثالث أو بعده . وبعد الموت تزول هذه النقط

وفي الأسبوع الثاني يكون البطن متفخا وبه آلام ، وبالضغط على الحفرة الحرقفية اليمنى يشعر المريض بالألم القليل ، وقد يحس الطبيب بقراقر مخصوصة . ويشتد الإسهال ، ولكن في بعض الاحوال — خصوصا في مصر — يكون البطن معتقلا من أول المرض الى آخره . والبراز في هذا المرض رائحة كريهة مخصوصة ولون أصفر يشبه حساء (شوربا) العدس المصري . وقد يحصل نزف من البطن يكون سببا في الموت أحيانا . ويكثر الطحال ويقل البول

أما الصداع فانه لا يعمك عادة بعد اليوم العاشر وقد يصاب المريض بالعمى الوقي . وفي أواخر الأسبوع الثاني تبدى الحرارة في النزول تدريجيا حتى تعبير طبيعية . هذا في الاحوال الحسنة

أما في الاحوال السيئة فيشتد الهذيان والتعاس الذي تعقبه الغيبوبة ، ويحصل الاهتزاز الوتري ، وتجمع الاوساخ على الاسنان والشفتين وغيرها ويضعف القلب ويكثر السعال ويعسر الشفاء

وقد ينكس الانسان بعد الشفاء من هذا المرض ، فانه لوحظ أن نحو من ١١ مريضا في المئة ينكسون ، وقد تكون الفترة بين المرة الاولى والثانية ١١ يوما . وفي الغالب تكون مدة النكس مثل المدة الاولى في طولها ولكنها أخف منها ، وقد ينكس ثانية وثالثة ورابعة

وأهم تغير يحصل في الجسم بهذا المرض هو التهاب بقم (باير) المذكورة والتعدد المنعزلة. وفي اليوم العاشر أو بعده بقليل تقترح هذه الاجزاء وقد ينتقب البريتون فتخرق الامعاء ويحصل التهاب بريتوني شديد يعقبه الموت . أما التغيرات في بقية الاعضاء فهي كما ذكر سابقا في المقدمة ، وكثيرا ما يشاهد في التيفود اذا طالت مدته تغير العضلات الذي ذكره [زنكر Zenker] فتستحيل اليافها الى مادة شفاقة كالشمع ثم تنفتت وتصبح حبيبات صغيرة وبذلك تفسد العضلات وقد يتولد فيها خراج

المضاعفات والاشكال المختلفة — مضاعفات هذا المرض كثيرة منها النزلة الشعبية والالتهاب الرئوي أو البليوراوي أو البريتوني أو السحائي، وغير ذلك كثير ومن أنواعها مالا يحكث الا عشرة أيام ويسمى بالنوع المجفص [Abortive] أو يطول الى ٦ أسابيع. ومن الناس من لا يشعر بالمرض لشدة خفته ولكنه قد ثقب أمعائه فجأة فيموت . واذا شفي المريض لا تعود اليه قواه العقلية والجسمية الا تدريجا فيحتاج في الاحوال البسيطة الى ثلاثة أشهر من مبدأ المرض الى تمام نقاهته ، أما في الحالات الشديدة أو المتضاعفة أو ذات النكس فيحتاج الى ٥ أو ٦ أشهر من مبدأ المرض

الانذار (١) — عدد الوفيات بهذا المرض هو من خمس الى عشرين في المئة . ومن أشد الاشياء خطرا على الحياة ثقب الامعاء والنزف

المعالجة — هي كما سبق في باب الحميات ، انما نذكر هنا بعدة مسائل (١) أن لا يعطى المريض مسهلا الا في أول المرض ، وأفضل المسهلات عندئذ زيت الخروع ، ولا يجوز بحال من الاحوال اعطاء مسهل شديد البتة (٢) يجب التزام الراحة التامة على الظهر حتى يبرز المريض في اناء مفرطح منعاً لكل حركة ويجب بقاء المريض على الغذاء السائل مدة ١٠ أيام على الأقل بعد نهاية المرض . والغرض من ذلك كله منع الانتقاب والنزف (٣) من الاطباء من يعطي أدوية مطهرة للامعاء

(١) لفظ اصطلاحى يراد به الانباء بمصير المرض ، وذلك مبني على ما يذكر في الكتب الطبية — تحت هذا العنوان — من الاحصائيات والملاحظات ونحوها

(كالساول) والزئبق الحلو بمقادير صغيرة ، ولكن نفع هذه الاشياء قليل ، وغاية الامر انها قد تقلل الاسهال والرائحة الكريهة للبراز (٤) اذا زاد الاسهال عن أربع مرات يوميا وجب العلاج والا فلا (٥) لأبأس من شرب الماء بكثرة فانه منقش ويفسل سموم الجسم في العرق والبول . وماء الجير نافع جدا اذا مزج باللبن فانه يسهل هضمه ويمنع الغثيان والقيء ويمسك البطن ويقوي خلايا الجسم ، فان الجير لازم لحياة جميع الخلايا (٦) يعالج الصداع بوضع الماء المثلوج على الرأس أو بتعاطي الفيناستين (بقدر ٥ — ١٠ قمحات) أو غيره

للوقاية — (١) تطهر جميع مواد البراز والبول وغيرها بوضع مثل الفينيك عليها بنسبة ٥ في المئة لمدة ساعتين على الاقل قبل القائها في المراحيض
(٢) يغلى كل ما يستعمله المريض من ملابس وفرش وأواني وغيرها مدة نصف ساعة على الاقل

(٣) يجتنب إلقاء أي شيء مما يخرج من المريض أو يمسه في مجاري ماء الشرب أو تركه مكشوقا بحيث ينقله الذباب أو الريح ، بل يجب تغطية أواني البراز أو البول بخرقة مغمسة بمحلول الفينيك — بنسبة ٥ في المئة أيضا — منعاً لانتقال الميكروب بواسطة الذباب الى أهل المنزل

(٤) يجب غسل يدي كل من خالط هذا المريض بالماء والصابون ثم بمحلول السليمان في ١ في ١٠٠٠ أو بمحلول الفينيك أو بالقلو (الكحول) النقي بوضعها فيه خمس دقائق قبل أن يمسه أي شيء من طعامه

(٥) في وقت انتشار هذا الوباء يجب غلي كل طعام وشراب . وأحسن طريقة لتطهير الخبز ونحوه امراره في لهب الكحول أو وضعه على الفحم المشتعل ، وينبغي أيضا الامتناع عن أكل الخضّر كالفجل والجرجير والفاكهة الا اذا غسلت جيدا بالماء الغالي وأزيلت قشورها وكذلك يجب اجتناب أكل الحيوانات البحرية المذكورة سابقا واللبن المثلوج

(٦) يلقح السليم بالحقن تحت الجلد بميكروب الحمى التيفودية بعد قتله ، وذلك بأن يربي ميكروب التيفود لمدة ٤٢ ساعة ثم يوضع في محلول ملح الطعام ١ في ١٠٠

ويقتل بعد ذلك بدرجة ٥٣ سنتيجراد لمدة ساعة وليحترس من رفع الحرارة أكثر من ذلك لأنها تفسد مادة التطعيم، ويحقن المريض مرتين بينها فترة عشرة أيام. وعدد الميكروبات التي يجب أن تحقن في المرة الأولى نحو ٥٠٠ مليون وفي الثانية نحو ١٠٠٠ مليون، ويوصي بعضهم بحقنة ثالثة من ٢٠٠٠ مليون. والحقن في زمن انتشار الوباء عيب وهو أن القابلية للمرض تزداد بعد الحقن لمدة قصيرة فيكون الإنسان فيها عرضة للإصابة. وأحسن الاوقات للحقن ما كان قبل قيام المسافر ونحوه الى مكان الوباء بيضعة أيام

(٧) تطهر الاواني اذا تمسر عليها بمحلول حامض الكبريتيك — بنسبة ٢ في المئة — ومزيتة أن الآثار التي تبقى منه لا تضر صحة الإنسان مطلقا بل ان طعمه الحامضي مما يحرض شهوة الطعام ويعين على الهضم

(٨) لا يجوز للناقلين التبول أو التغوط في الطرقات، ولذا يجب تقصير الثياب وخلع المرء نعليه عند دخوله حجرات منزله. ولا ينبغي أن من آداب الاسلام تقصير الثياب فان في اطالتها اسرافا وخيلاء وضرا عيبا عظيما

(٩) تتقى مخالطة الناقلين مدة ثلاثة أشهر على الأقل أو الى أن يظهر البحث البكتيريولوجي لمهارتهم من الميكروبات تماما بعد عمله عدة مرات متباعدة والا وجب منعهم عن مس أي طعام أو شراب وتطهير أيديهم وملابسهم وفرشهم أو مفرزاتهم دائما وغلي كل طعام أو شراب مسوه قبل تناوله

طريقة فيدال لتشخيص الحيات

Widal's Test

هذه الطريقة مبنية على أن مصل دم المرضى بالتيفود يبطل حركة ميكروباته في بضع دقائق ثم يتراكم بعضها على بعض فيتكون منها أكوام وذلك ما يسمى بالافرجمية [Agglutination] وهي كلمة لاتينية معناها الحرفي (التغرية) لأن الميكروبات في اجتماعها تكون كأنها غريت بعضها ببعض بعد أن بطلت حركتها والاحسن أن نسمي ذلك (بالارتكام) والميكروبات في هذه الحالة لا تكون

ميتة كما يتروم بعض الناس . وملخص هذه الطريقة عملا أن يؤخذ جزء من دم المريض في أنبوبة دقيقة مطهرة ، ثم تخرج نقطة من مصله بجزء أكبر من السائل الذي ربي فيه الميكروب بنسب مخصوصة أفضلها ما كان (من ١ الى ٣٠) وينظر اليه بالميكروسكوب بطريقة (النقطة المعلقة) فبعد نصف ساعة أو ساعة لا يشاهد غالبا ميكروب واحد منفردا ، وقد فسر العلماء ذلك بعدة تفاسير لا حاجة لذكرها لان الحقيقة مجهولة ، وهذه الطريقة لا تنجح الا بعد مضي بضعة أيام من المرض ، والاحسن أن يؤخذ الدم بعد الاسبوع الاول ، وفي بعض الاحوال لا تنجح مطلقا وتكون الحُمى حينئذ شديدة ومميتة ، وفي البعض الآخر يستمر نجاحها لعدة أشهر بعد انتهاء المرض . وهي تستعمل في الحيات الاخرى التي عرف ميكروبها باليقين كالحمى المالطية ، ويؤخذ الدم من شحمة الاذن أو الاصبع بالوخز بآبرة أو نحوها ولا يتعين استعمال المصل في طريقة فيدال هذه ، بل يجوز أن تعمل بدم متجمد فيذاب بقليل من الماء المقطر ويستعمل كالمصل ، ويجوز أيضا استعمال الميكروب الميت فانه يتراكم أيضا وكذلك الميكروبات غير المتحركة

الحُمى الباراتفودية Paratyphoid

كلمة [بارا] يونانية معناها « قرية » لان هذه الحُمى تقرب جدا من التيفودية في أعراضها وسيرها بل في جميع مميزاتا تقرىبا غير أنها تكون عادة أخف وطأة وأقصر مدة ، والبطن يكون — في النوع الاول منها — غالبا معتقلا ، وهي غير مميتة إلا نادرا . وتنتشر أحيانا بشكل وبائي ، وقد تحصل في جميع بقاع الارض . وأهم الاسباب في انتشارها الماء الملوث وميكروبها كميكروب الحُمى التيفودية الا في بعض أشياء قليلة من الوجهة البكتريولوجية . أما في الشكل والحركة فهما سيان . وهذا الميكروب لا يتراكم بمصل دم الحُمى التيفودية . وهو نوعان: النوع الاول يسمى (أ) والثاني (ب) أما (أ) فانه أشد شبا بميكروب التيفود ، وأما (ب) فانه أضر . وإذا مات الشخص بسبب هذه الحُمى كان غالبا مصابا بميكروب (ب) وقد تنحرق أمعاء المصاب بسبب تقرح الغائث ولكن تكون بقع باير سليمة وفي بعض

الحالات لا يوجد شىء فى الامعاء ، وفى اصابة واحدة شوهدت ضخامة عدد المساريقا ، وفى كثر من الاصابات يكبر الطحال أما المماجة والوقاية فهى كالتيفودية سواء بسواء . وهذه الحى تقي من أصيب بها من مثلها ولا تقي من التيفود

الحى المالطىة Malta Fever

تسمى هذه الحى أيضا بحى البحر الأبيض المتوسط لانها كثيرة الحصول فى شواطئه وفى جزائره ولكنها توجد أيضا فى جنوب أفريقية والهند والصين وغير ذلك

الأعراض — طور التفريخ يتراوح بين بضعة أيام و٣ أو ٤ أسابيع . وتبتدى الأعراض تدريجيا كما فى الحى التيفودية ولكن لا يظهر فيها طفح ويكون البطن ممسكاً ولا تنقرح فيه بقع (بايبر) ولا تضخم . والوفيات فيها قليلة (نحو ٢ فى المئة) ولكنها تطول جدا فقد تمتد الى ٩ أشهر ، ويشفى منها المريض بالتدريج ويصير ضعيفا أصفر اللون وقد تلتهب مفاصله أو خصيتاه

أسبابها — لهذه الحى ميكروب من النوع البرزى وهو لا حركة له ولا أهداب (وان ادعى بعض الباحثين أن له أهدابا) أما ما يشاهد فيه من الحركة فهى حركة برون [Brown] وهو اسم امرئ نباتي يسمى (روبرت برون) شاهدها فى قطرات الندى ولكنها ظاهرة طبيعية يمكن مشاهدتها فى كل سائل فيه ذرات دقيقة فتبرز هذه الذرات مع حركة رطوبة قليلة حول نقطة معينة ، وسببها اختلاف درجة الحرارة فى السائل بالتبخر القليل الذى يحصل من سطحه

وأعظم ما ينقل ميكروب هذه الحى الى الانسان هو لبن المزمء فان المزمء تصاب كثيرا بهذا الميكروب فى جزائر البحر الأبيض وفى جنوب أفريقية وغيرها بدون أن يظهر فيها عرض ما لهذا المرض (إلا ضعفا فى بعضها أو التهابا فى ضروعها) ولكنها تفرز فى لبنها كثيرا من هذا الميكروب

وللوقاية منه يجب اجتناب أكل أو شرب هذا اللبن أو ما يصنع منه كالزبدة أو

الجبن الحالوم الا اذا كان اللبن غلي قبل صنع الجبن منه. ويجوز أن يدخل الميكروب من جرح بالجلد اذا مسه هذا اللبن أو ينتقل بواسطة الحشرات الماصة للدم كالبعوض مثلا فان الميكروب يعيش في جسمه أربعة أيام أو خمسة وهذه الحمى تصيب الذكور والانثى على السواء تقريبا وهي أكثر حدوثا في سن الشباب منها في السكبر ويكثر حصولها في أيام الحر

الدفتيريا Diphtheria

الدفتيريا كلمة يونانية معناها الغشاء ، وهي عبارة عن مرض معد رديء ، أهم مميزاته أنه يصيب الأغشية المخاطية للفم أو الحلق أو الأنف أو الحنجرة أو غير ذلك فيتكون غشاء أبيض فوق هذه الاجزاء الملتهبة ، وقد يصيب هذا الغشاء أيضا سحجات الجلد أو جروحه

واذا أصاب الملتحمة (غشاء العين) أتلها في ٢٤ ساعة

الاسباب — هذا المرض يصيب الاطفال خصوصا بين السنة الثانية والعاشرة أو الثانية عشرة وندر حصوله لغيرهم . وهو ينتشر بالهواء لمسافات قصيرة. ويخرج الميكروب في افرازات المصاب أثناء عطاسه أو سعاله مثلا ، أما نفسه الهادي فلا يضر . ويعيش ميكروب الدفتيريا مدة طويلة اذا سكن في طيات الثياب وهي مما ينقله الى مسافات أبعد من مسافة انتقاله في الهواء . ويعدى هذا المرض حتى في مبدئه قبل أن تظهر جميع أعراضه . ورطوبة المنازل والأهوية الفاسدة مهيئات له ، وكذلك أمراض الحلق كالتهاب اللوزتين . وقد ينتقل الميكروب بالطعام أيضا الى مسافات بعيدة . وتصاب بعض الحيوانات به خصوصا القطط والبقر فيعدي لبنها حينئذ اذا لم يغلب ، ويصاب الحمام والدجاج والخيول والغنم بمرض يشبهه . والقول الراجح عند العلماء الآن ان مرض هذه الحيوانات المذكورة أخيرا لا علاقة له بمرض الانسان ولا ينتقل اليه ، ولكن لاختلاف بينهم في اصابة القطط والبقر به فتظهر بشور وقروح دفتيرية في ضروعها . والفيران لا تصاب به ، أما تلك الحيوانات الداجنة التي لا تصاب به فقد تلوث بميكروب دفتيريا الانسان وتكون كحامل الامراض فتقله من مكان الى آخر ومن انسان الى انسان

ويرى بعض العلماء ان ميكروبها يعيش مدة طويلة في الطين، والهواء المحتبس في جوف الارض يخرج منه اذا ارتفعت مياهها — كما سبق — ويكثر هذا المرض في فصلي الخريف والشتاء وهو الزمن الذي تكثر فيه القرمزية والتهاب الحلق أو الخنجر أو اللوزتين

وبحوز أن يعود المرض للمرء بعد شفائه . وميكروب هذا المرض يوجد في الطبقات العليا للاغشية المذكورة، واذا طال المرض وجد في الرئة والطحال والكليتين بل ربما وجد في الدم أيضا . وهو من الشكل الباسيلي اكتشفه كل من [كلبز Klebs] سنة ١٨٨٣ [ولفلر Loeffler] سنة ١٨٨٤ وهما عالمان من علماء الالمان . وطول هذا الميكروب يختلف من ٣ الى ٤ ميكرون ، وهو غير متحرك ولا حييات له بل يتكاثر بالانقسام، ويعيش في الهواء ولكنه يمكنه أن يعيش في غير الهواء حتى في الفراغ ، ويبقى في السوائل المغذية وغيرها من المزراع مدة شهر واذا جفف عاش ٣ أو ٤ أسابيع ويقف نموه اذا زادت الحرارة عن ٤٠° أو نقصت عن ٢٠° ستجrad واذا شفي المصاب وجد الميكروب في حلقه في نصف عدد الناقهين لمدة ٣ أيام وفي أحوال قليلة يبقى ٣ أسابيع وقد يستمر الى ٥ أشهر بل ١٥ شهرا . ومن ذلك يعلم خطر الاسراع في خاط المصاب بغيره من الاطفال قبل مضي مدة طويلة . والافضل أن يفحص حلق الطفل أو أي موضع آخر للاصابة مرتين أو ثلاثا فحصا بكتيريولوجيا بأخذ جزء من افرازاته فاذا لم يوجد الميكروب بعد الفحص مرتين أو ثلاث مرات متفرقة يؤذن للطفل بأن يختلط بغيره

ومن يختلط بالمصاب أناس (٨ — ٣٠ ٪) أصحاء يحملون الميكروب في حلقهم وأفواههم (١) لغيرهم ويبقون أصحاء ولكن بعد زمن يصبح ميكروبهم غير خطر غالبا على غيرهم لفقده قواه السامة ، ويسمى الاطباء مثل هؤلاء الناس بالحملة الاصحاء . ويرى بعض العلماء أن باسيل هوفمان [Hofmann] الكاذب الذي يوجد أحيانا في حلق الاصحاء وأنوفهم قد ينقلب فيصير صادقا أي محدثا للدفتيريا الحقيقية

(١) خصوصا في أسنانهم لاسيما اذا كانت مصابة بداء ريج (راجع ص ٦٨ من الجزء الاول) وهو الذي يحدث سيلان قيح من اللثة (الحفرة التي فيها السن)

الاعراض — مدة التفريخ تختلف من يومين الى ستة أيام، وقد تكون يوماً أو ثمانية. ويبتدى المرض بالإقياء وبسامة وصداع أو بغثيان وفي ورعدة ثم لا يلبث المريض أن يشتكي من ألم في الحلق. فاذا نظر الى حلقه في هذا الوقت شوهد احمرار فيه وفي اللهاة وانتفاخ، أو احمرار والتهاب في اللوزتين. وبعد وقت قصير يرى الغشاء يتكون على سطح الأغشية الملتهبة وقد يظهر في وقت واحد على اللوزتين معاً، وقد يبدأ بواحدة منهما قبل الأخرى، ومن الجائز أن يظهر على غيرهما من أجزاء الحلق. وبسبب هذا الالتهاب تلتهب بعض الغدد اللعابية التي في العنق^(١) وقد يحدث من ذلك خراج فيها أو تموت الغدد وتسقط.

وحرارة الدقيريا لا نظام لها فقد يزيد عن ٤٠° ولكن الأغلب أنها تكون أقل من ذلك، وهذا الارتفاع تصعبه الأعراض الأخرى للحصى. وفي كثير من الإصابات يشتمل البول على زلال في وقت اشتداد المرض. أما إذا أصابت الأنف فيعسر التنفس منه وينتفخ غشاؤه المخاطي ويسيل منه مخاط وقيح أو دم وصديد فيتقرح بذلك جانبا الأنف وما جاورها من الشفة. وخطر الالتهاب الأنفي الغشائي نادر جداً ولا عواقب له، ويندر أن يعدي الآخرين ولو أن الميكروبات تكون فيه كثيرة كغيره.

وإذا أصابت الدقيريا الحنجرة (وهذا ما يسمى بالحنثاق) كثراً السعال وصار له صوت مخصوص وعسر التنفس ومج الصوت وكثيراً ما يشتد الضيق حتى يمختق المريض وفي الأحوال الحنجرية يكون هذا الضيق غالباً هو السبب في الموت. وإذا عمل للمريض فتح في القصبة الهوائية فقد يموت بسبب المضاعفات الرئوية أو الضعف العام مع شلل القلب.

أما في الأحوال الحلقية فالموت فيها يكون بشلل القلب وهو يحصل بسرعة عجيبة المضاعفات — كثيرة منها التهابات الرئة والبلعور والالتهاب الكلوي والشلل

(١) إذا أصابت الحنجرة أو الحلق أو اللوزتين أو الحفر الأنفية التهب لها الغدد العنقية العليا، وإذا أصابت لثة اللسان السفلى مثلاً أو مقدم اللسان (وذلك نادر) التهب الغدد التي تحت الفك

الدفتيري، وأهم أعراضه شلل في سقف الحلق الرخو فيرجع الماء وغيره من السوائل من الأنف ويصاب المريض بالحنّة أو الغنّة — وهي خروج صوته من أنفه — وتضعف رجلاه فلا يقوى على المشي طويلاً ولا القيام ويصاب بالحوال لشلل بعض عضلات العين إلى غير ذلك من الأعراض التي تصيبه بسبب تأثير سم المرض في الأعصاب . وهذه الأعراض تبتدىء بعد الشفاء الظاهري بأيام أو أسابيع

المعالجة — يعزل المريض وتعطى له السوائل المفذية والمنعشات المنبهة للقلب فانه عرضة لأن تحصل فيه استحالّة شععية . ونجب المبادرة إلى حقن المريض بمصل الدفتيريا وذلك من اختصاص الطبيب الذي يقدر الكمية المناسبة لحالة المريض ويجري عمل الحقن طبق الأصول الطبية

والمبادرة إلى حقن المريض من أوجب الواجبات لأن التأخير يفسد خلايا الأعضاء وخصوصاً القلب حتى إذا عمل للمريض الحقن بعد ذلك لا ينفعه شيئاً . والمصل يبقى نافعاً مدة سنة على الأقل إذا لم تفتح زجاجاته وحفظ في مكان مظلم بارد ويظهر الحلق بطرق كثيرة ، ومن أحسنها استعمال أقراص (الفرمانت) [Formamint] لسهولة تماطيلها عند الأطفال وإذا احتيج إلى تطهير أقوى ونزع تلك الاغشية من الحلق فالأولى أن يخذل الطفل بالكلورفورم لينظف حلقه تنظيفاً تاماً بغير اجهاد له

أما الشلل الذي يعقب المرض فانه يزول من نفسه في شهرين أو أربعة أشهر ، ومما يعجل في شفائه الراحة والمقويات والكهرباء والاعذية الجيدة والهواء النقي

الوقاية — تعرف من الكلام على أسباب هذا المرض ، وإذا حقن الطفل الذي اختلط بمريض وقته الحقنة لمدة ٣ أسابيع تقريباً . والكمية اللازمة للوقاية هي ٥٠٠ إلى ١٠٠٠ وحدة . أما الوحدة وتسمى وحدة [ارلينخ ^(١) Ehrlich] — وهو عالم ألماني يهودي — فهي الكمية التي إذا مزجت بمائة ضعف للكمية الكافية لقتل خنزير الهند البالغ وزنه ٢٥٠ جراماً في ٤ أيام وقته من الموت إذا حقنت تحت جلده

(١) توفي هذه السنة (١٩١٥ م) فجأة بينما هو يعمل في معمله

سوء استعمال الحقن الواقى من الدفتيريا وغيرها

سبق قولنا انه اذا أصيب طفل بهذا المرض بقي الميكروب في حلقه مدة مختلفة بعد شفائه قد تمتد الى عدة شهور، فقد روى العلامة هيوالت الانكليزي [Hewlett] حادثة وجود الميكروب في أحد المصابين بعد شفائه بخمسة عشر شهراً قالوا جب اذا عزل المصاب عن غيره عزلاً تاماً وتطهير كل ملامسه أو خرج منه تطهيراً تاماً وعدم السماح له بالاختلاط بغيره الا بعد فحص حلقه فحصاً بكتيريولوجياً دقيقاً نحو ثلاث مرات متفرقات والتيقن من عدم وجود الميكروب أما الحقن بمصل الدفتيريا للوقاية فله عيب كبير . ذلك ان الوقاية به لا تتجاوز ثلاثة أسابيع ، فاذا أصيب الطفل الذي عمل له هذا الحقن بمرض الدفتيريا بعد نهاية الثلاثة الأسابيع مثلاً وعالجناه من مرضه بالحقن فقد يصاب الطفل فوق مرضه بمرض آخر يسمى « مرض المصل » [Serum disease] أو « زيادة التأثير بالحقن » [Supersensitiveness] وهذا المرض كثيراً ما يكون خطراً ولعله أحد أسباب كثرة المتوفين من الاطفال حتى بعد الحقن بمصل الدفتيريا

وأعراضه هي : غثيان وقيء وضعف في النبض مع سرعته وإحساس بالضجر والاختناق وسرعة في التنفس مع ضيقته وهمود (هبوط) وتشنجات بل وغيبوبة . وهذه الاعراض تزول عادة بعد ساعة أو ساعتين ولكنها قد تمتد الشخص خصوصاً بالاختناق لا تقباض الشعب الرئوية الصغيرة . هذا ولو كان الشخص المحقون مرتين سابقاً فما بالآك اذا كان مصاباً مع هذه الاعراض بالدفتيريا فان الوفاة تكاد تكون محققة

والمراد بهذا المرض المذكور هنا هو غير ما يحدث من الحقن (لنحو ٧٪) في نهاية الاسبوع الاول أو بعده مثل ظهور طفح متنوع الشكل وألم في المفاصل مع تورم فيها وهي خفيفة فان هذه الاعراض لا اهمية لها وتزول في نحو ثلاثة أيام ولا خطر منها عادة أما المرض الذي نحن بصددده فيحدث اذا حقن شخص مرة للوقاية مثلاً من الدفتيريا ثم مضت مدة بعد حقنه نحو ١٢ يوماً أو أكثر ثم عدنا الى الحقن مرة

ثانية. وقد يحدث هذا المرض حتى اذا كانت الفترة بين الحقنين أربع سنوات أو أكثر وهذا المرض لا ينشأ عن سم في المصل بل عن نفس المصل بحيث اذا حقن مصل أي حيوان سليم مرتين متفرقتين بتلك الفترة فقد يحدث هذا المرض . لذلك ولغيره لا يجوز معالجة النزف بالحقن بالمصل أو بالسم كما سبق في صفحة ٤٩ من الجزء الأول

ومن طرائق اتقاء المرض المذكور أن يحقن نوعان مختلفان من المصل أعني أن يحقن للوقاية مصل مستخرج من الثور مثلاً وللعلاج مصل آخر مستخرج من الحصان كما هو المعتاد . وكذلك استعمال لبنات الكالسيوم قبيل الحقن أو في أيام استعماله فان هذا الملح كثيراً ما يمنع هذه الاعراض الخطيرة أو يخفف من وطأتها بل قد يمنع الاعراض الأخرى المذكورة ككالطفح وآلم المفاصل وغيرها أيضاً . ومقدار هذا الملح في كل جرعة من ١٠ الى ٣٠ قمحة أي يختلف باختلاف السن وهو يذوب في الماء ويسهل امتصاصه في البنية واذا تعسر اعطاؤه من طريق الفم كما في الدفثيريا أذيب في الماء وحقن في الشرج أو أعطي مع اللبن فان المريض لا يشعر به ومن الطرق أيضاً لاتقاء تلك الاعراض التخدير العام بالاثير مثلاً وقت الحقن الثاني، ولكنها طريقة رديئة جداً وغير ميسورة في أكثر اصابات الاطفال خصوصاً اذا أصابت الدفثيريا حناجرهم

ويقال ان الحقن بالمصل الذي أزيل منه بعض المواد الزلالية الأولية [Proteins] يقلل التعرض للاصابة بتلك الاعراض. واعلم أن المصل الرقيق الذي لم يتكاثف بالتبخر أسهل امتصاصاً من الغليظ . هذا ولا يتوهم القارئ أني أنفر الناس من الحقن في الدفثيريا لعلاجها كلا ! ثم كلا ! بل الواجب المبادرة الى الحقن بالمصل المشتمل على وحدات كثيرة بحسب ما يراه الطبيب في الحالة^(١) وإنما كلامي السابق هو لبيان مضار الحقن للوقاية لا للعلاج

(١) في أحوال الدفثيريا الشديدة أو التي تأخر علاجها يجب البدء بحقن ١٠٠٠٠ إلى ٣٠٠٠٠ وحدة (Units) ويتكرر الحقن كل ٦ أو ١٢ ساعة بحسب حالة المريض وسرعة انفصال الأغشية ، ولا يراعى في ذلك سن الطفل

وكذلك يجب حقن مصُول أخرى كالمصل المضاد لسم البزور السلسلية اذا وجدت في الحلق بالبحث الميكروسكوبي أو عرفت بمثل الأعراض الآتية وهذه الميكروبات تصاحب ميكروب الدفثيريا في بعض الاحوال فتكون الحمى فيها شديدة ورائحة الحلق كريهة جداً . فان لم يعمل هذا الحقن أيضاً كان مصل الدفثيريا وحده غير واف بالفرض

الطاعون Plague

الطاعون — وقانا الله منه — داء اشتهر كثيرا حتى بين الامم الغابرة ، وكانوا يخشونه أشد خشية لشدة فتكه بهم وسرعة انتشاره بينهم . ومن أشهر أوبئته التي حدثت في أوربة ما حدث في عصر يوستينيانوس الروماني في القرن السادس بعد الميلاد الاسباب — هذا المرض ينشأ من ميكروب باسيل اكتشفه (كيتاساتو) (Kitasato) الياباني سنة ١٨٩٤ وهو يوجد أثناء حياة المريض في الدم وفي الغدد الملتببة وفي البراز والبول وفي اللعاب اذا التهبت الرئة ، وبعد الموت يوجد في جميع أعضاء الجسم تقريبا . طول هذا الميكروب من ١ الى ١.٥ ميكرون وهو لاجبيات له ولا حركة وان زعم بعضهم ان له أهدابا

ينتقل هذا الميكروب من شخص الى آخر بسرعة عظيمة ، خصوصا اذا ساءت الاحوال الصحية بالازدحام ونقص التهوية وزيادة القاذورات في الاماكن والملابس وغيرها . وهو يصيب الناس في جميع الاعمار الى سن الخمسين وبعد ذلك يقل كثيرا . والاصابة به مرة تسمى عادة من الاصابة ثانية . وشدة الحر تعوق سيره أكثر من البرد هذا المرض يصيب كثيرا من الحيوانات مثل القردة والقطط والجِرَذان (جمع جُرَذ وهو الفأر الكبير) أما الخيل والانعام فهي لاتصاب به الا قليلا وكذلك الطيور أهم مدخل لميكروب هذا المرض في الجسم طريقان : وهما طريق الرئة وطريق الجلد ، أما طريق المعدة أو الامعاء فهو من الندرة بمكان بحيث لا يستحق الذكر

وكيفية وصوله من طريق الرئة أن يستنشقه الانسان مع الهواء الملوث به من نفثات المصاب بالطاعون الرئوي . أما طريق الجلد فهو من أعظم الطرق لنشر هذا

المرض ، ولا يوضح ذلك تقول : ان الفيران كثيرا ما تصاب به فتبوت. والفيران يأكل بعضها بعضا - كما سبق - فينتشر المرض بينها لهذا السبب ولغيره. والفيران براغيث تنتقل منها الى الانسان فتلقحه بها وكذلك تلقح الفيران الاخرى ، وقد تلقح شخصا من شخص ولكنه نادر. واسم هذا النوع من البراغيث بالافرنجية [Pulex Cheopis] وهو أشهر أنواع البراغيث التي تعيش بدم الفيران في البلاد الحارة. ويتكاثر الميكروب في معدة البرغوث وأمعائه ويخرج في برازه فقط ، فاذا علق بخرطوم ، ووخز به الانسان لقحه بالمرض ، وقد يتلوث مكان الوخز من الانسان ببراز البرغوث الذي فيه كثير من ميكروبات الطاعون. ويبقى البرغوث قادرا على التلقيح لمدة تتراوح بين سبعة أيام و ١٥ يوما. وقد ينقل البق أيضا ميكروب الطاعون. ويحتمل أيضا أن يدخل الميكروب من بعض الجروح والسحجات كما في الاقدام الحافية فان لم توقف الغدد اللمفاوية الميكروبات وصلت الى الدم وأحدثت نسيما عاما كما سيأتي

الأعراض - مدة التفريخ من يومين الى خمسة

ولهذا المرض ثلاثة أشكال شهيرة وهي : الطاعون الدملي والطاعون الدموي

والطاعون الرئوي

أما أعراض الشكل الاول - وهو أكثر حدوثا - فهي الاحساس بالضعف العام والكلل والصداع والدوار والرعدة التي يعقبها ارتفاع في الحرارة ، وفي بعض الاحوال يصاب المريض في هذا الطور بشيء من الذهول مع مشية كمشية النشوان وارتعاش في حديثه وقد يصاب بتهيج ورعب لا يعرف سببه أو يصاب بالغثيان والقيء أو الاسهال

وتكون الحمى في هذا المرض عالية ويصاحبها باقي أعراض الحمى كجفاف اللسان واسوداده ، ثم يصير المرء في حالة تشبه المصاب بالتيفوس فيهذي كثيرا ثم تصيبه الغيبوبة وتكثر الاوساخ على الشفتين والاسنان ويضعف النبض وتبرد الأطراف ويقل البول بل قد لا يفرز مطلقا في بعض الاحوال المميتة ، وبعد يومين أو ثلاثة تضخم الغدد اللمفاوية في الاربية أو الابطأ أو العنق

والغالب أن تصاب الغدد في جهة واحدة وهي الأربية، وحجم الورم الناشئ من ذلك يكون كحجم بيضة الدجاجة ويصعبه ألم شديد . وإذا طالت حياة الممرء حصل له خراج في تلك الغدد في اليوم السابع عادة، وفي هذا الوقت قد تظهر دمامل في الجلد أو جهرات خصوصا في الأطراف السفلى أو الألتين أو القفا. وفي الأحوال الشديدة جدا يحصل نزف تحت الجلد قبل الموت أو يكون النزف كنقط صغيرة كدغ البراغيث وكلاهما قد يعم الجسم كله أو يكون ظاهرا حول الغدد الملتهبة . وقد يصاب الممرء أيضا بالرعاف أو النزف الرئوي أو المعدي أو المعوي

والموت يحصل عادة قبل اليوم السادس . والشفاء يبتدىء من اليوم السادس الى العاشر ولكن اذا تقيحت الغدد قد تطول مدة المرض بسبب البدئة التي فيها أما أعراض الشكل الدموي فيصاب الممرء فجأة بأعراض الحمى البالغة، وقد يموت في ظرف ٢٤ ساعة لتسمم دمه . وفي هذا الشكل قد ترم الغدد قليلا ولكن لا تصل الى حجم النوع الاول مطلقا . ويسمى هذا النوع بالطاعون الصاعق فان المريض يصعق به فجأة فيغيب عن الوجود وترتفع حرارته فيموت سريعا أما أعراض الشكل الثالث فتبتدىء كالشكل الاول ولكن بعد يوم أو يومين تظهر الأعراض الرئوية فيسرع التنفس ويكثر السعال مع النفث الكثير المشوب بالدم ويزول النوم ويكثر الهيجان والهلذان، ويموت المريض في ظرف ثلاثة أيام وتكون الرئة في هذا النوع مصابة بالتهابات متعددة في فصيصاتها

ولا توجد الخيرجلات (وهي التهاب الغدد اللمفاوية) عادة في هذا الشكل، وفيه يوجد الميكروب في القطع الملتهبة من الرئة وفي البصاق وهناك نوع آخر لا يهمننا كثيرا لقلته وفيه تكون الحمى قليلة والأعراض خفيفة بحيث يمكن للمريض أن يغدو ويروح مدة من أيام مرضه . ويسمى هذا الضرب بالطاعون الجولاني

الإنذار — عدد الوفيات في هذا المرض كثير جدا فقد تصل الى ٥٠ ٪ بل الى ٨٠ ٪ والموت بين الجنس الأبيض في الظروف الصحية الجيدة أقل منه في غير ذلك

المعالجة — تعالج الاعراض كل بما يناسبه حسب الاصول الطبية . وللطاعون مصل كـمصل الدفتيريا^(١) يحقن منه في اليوم الاول ثلاثة مقادير كل منها خمسون سنتي مترا مكعبا تحت الجلد أو في الاوردة — وهو الافضل في الاحوال الشديدة — ويتكرر بعد ذلك حقن مقادير صغيرة بضعة أيام . ومن أحسن أنواع هذا المصل مصل [برسن Yersin] ولكن فائدته ليست بكبيرة

الوقاية — تكون بأشياء كثيرة أهمها ما يأتي :

- (١) عزل المصاب
- (٢) النظافة التامة في كل شيء
- (٣) اباداة الفيران وأحسن طريقة لذلك أن تصطاد بالاشراك أو تسمم بالزرنيخ أو الفسفور ، أما اصطيادها بالقطط فعليه أنها هي نفسها قد تصاب بالطاعون فتكون من العوامل الناشرة للمرض بدل المقللة له
- (٤) تنظيف الملابس ليتقي وجود البراغيث فيها
- (٥) اباداة الحشرات الاخرى بقدر الامكان كالبق فانه قد ينقل الميكروب من شخص الى آخر
- (٦) يحقن الاصحاء مرتين اذا حصل الوباء بلقاح الطاعون وهو ميكرو به المقتول بالحرارة فتحصل المناعة بسرعة حتى لا ينحشى كثيرا من حصول المرض قبلها
- (٧) يطهر كل ما يوجد في غرفة المريض بالغلي أو الحرق أو غيرها ، وقتل الميكروب الذي يوجد في افرازاته بالأدوية المطهرة وبالحرق
- (٨) لا يختلط المريض بالاصحاء الا بعد شهر من شفائه ، لان الميكروب قد وجد في دم المضعون بعد النقاهة بثلاثة أسابيع
- (٩) على الممرض للمضعون بالنوع الرثوي أن يتكلم بالقطن المنفوش ليحول دون وصول الميكروب الى رثته ثم يحرق القطن
- (١٠) تسد شقوق وفروج المنازل لكيلا تأوي اليها الجرذان
- (١) وإنما يختلف عنه بأنه يستخرج من الحصان بعد حقنه بالميكروب المقتول

لا بسم الله مصنف

الخطبة الدينية

٣

﴿ خطبة من خطب القاضي في النهي عن الحلف بالله والطلاق ﴾

الحمد لله الذي خلق الخلق على الاطلاق . فاطر السموات والارض وباسط الارزاق . فسبحانه هو العلي الرزاق . لا تنفذ خزائنه بكثرة الانفاق . أحده واشكره . وأتوب اليه وأستغفره . وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الملك الخلاق ، وأشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله سيد العالمين بالاتفاق . صلى الله عليه وعلى آله وصحبه صلاة وسلاما دائمين الى يوم التلاق . وسلم تسليما . أما بعد أيها الناس عليكم بالتقوى فانها ترضي الملك الخلاق . واحذروا من ان تجعلوا الله عرضة لآيمانكم . فان آيمان الحنث يمحى بركة الارزاق ، واحذروا من الحلف بالطلاق . فانه يمين الفساق ، فمن حلف بغير الله فقد عظمه ، ومن عظم غير الله صار من أهل النفاق ، وخالف الكتاب والسنة ومن خالفهما فليس له في الآخرة من خلاق . فمن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال « ألا ان الله ينهاكم ان تحلفوا بآبائكم فمن كان حالفا فليحلف بالله أو ليصمت » وقال صلى الله عليه وسلم « لا تحلفوا الا بالله ولا تحلفوا الا وأنتم صادقون » وقال صلى الله عليه وسلم « من حلف بغير الله فقد أشرك » وقال صلى الله عليه وسلم « اذا حلفت على يمين فرأيت غيرها خيرا منها فكفر عن يمينك وأت الذي هو خير » واعلموا ان من حنث في يمينه فعليه أداء الكفارة وهي عتق رقبة أو اطعام عشرة مساكين أو كسوتهم ، فان عجز فصوم ثلاثة أيام ، ولا يجب التتابع في الصيام ، ويكفي في الكسوة ثوب أو سراويل أو قميص ، يوزع من كل عشرة على المساكين الذين ورد فيهم التخصيص ، ومن طلق زوجته ثلاث تطليقات شرعيات غير بدعيات فلا تحل له الا بنكاح جديد ، ومن أمسكها بعد الثلاث فقد خالف أمر الله المجيد ، وتعرض للوعيد الشديد ، ومن لعب

بالطلاق ، أو طلق امرأته من غير ما بأس فقد تقضى الميثاق ، فقد روى أن النبي صلى الله عليه وسلم أخبر عن رجل طلق امرأته ثلاث تطليقات جميعاً فقام غضبان ثم قال اتلعبن بكتاب الله وأنا بين أظهركم ، وقال صلى الله عليه وسلم « ابغض الحلال إلى الله الطلاق » وقال صلى الله عليه وسلم « أيما امرأة سألت زوجها طلاقاً في غير ما بأس فحرام عليها رائحة الجنة » وقال تعالى (الطلاق مرتان فامسك بمعروف أو تسريح بإحسان) وقال تعالى (فإن أطمعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلاً) أي بالفراق ، فاتقوا الله عباد الله في النساء وحقوق الزوجية ، وقوموا من مكارم الاخلاق مع الاهل بالسنة النبوية ، فقد قال صلى الله عليه وسلم « خيركم خيركم لاهله وأنا خيركم لأهلي » واشكروا نعمة الله في الازواج أيها المؤمنون ، فقد قال تعالى (ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون)

﴿ خطبة أخرى له في آداب الكسب والمعاش ﴾

الحمد لله الذي رفع السماء لعباده سقفاً مبنيّاً ومهد الأرض بساطاً لهم وفراشاً . وكور الليل على النهار فجعل الليل لباساً وجعل النهار معاشاً . لينتشروا في ابتغاء فضله وينتعشوا به عن ضراعة الحاجات اتماشاً . وأشهد أن لا إله الا الله وحده لا شريك له وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله الذي يصدر المؤمنون عن حوضه رواء بهد وردهم عليه عطاشاً . صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه الذين لم يدعوا (؟) في نصرة دينه تشمراً وانكماشاً . أما بعد فيا عباد الله اتقوا الله . واعلموا أن رب الارباب ، ومسبب الاسباب ، جعل الآخرة دار الثواب والعقاب . والدنيا دار التمحل والاضطراب . والتشمير والاكتساب . وليس التشمير في الدنيا مقصوداً على المعاد دون المعاش . بل المعاش ذريعة الى المعاد ومعين عليه ، فالدنيا مزرعة الآخرة ، ومدرجة اليها ، والناس ثلاثة : رجل شغله معاشه عن معاده فهو من الهالكين ، ورجل شغله معاده عن معاشه فهو من الفائزين . والأقرب الى الاعتدال هو الثالث الذي شغله معاشه لمعاده فهو من المقتصدين . ولن ينال رتبة الاقتصاد ، من لم يلزم في طلب المعيشة

منهج السداد ، ولم ينتهض من طلب الدنيا وسيلة الى الآخرة وذريعة ، ما لم يتأدب في طلبها بأداب الشريعة ، وقد ورد في فضل الكسب والحث عليه آيات وأخبار ، قال الله تعالى (ليس عليكم جناح ان تبتغوا فضلا من ربكم) وقال تعالى (فانتشروا في الارض وابتغوا من فضل الله) وقال صلى الله عليه وسلم ، « التاجر الصدوق يحشر يوم القيامة مع الصديقين والشهداء » وقال صلى الله عليه وسلم « من كان يسعى على نفسه ليكفها عن المسئلة ويغنيها عن الناس فهو في سبيل الله ، ومن كان يسعى على أبوين ضعيفين أو ذرية ضعاف ليغنيهم ويكفيهم فهو في سبيل الله ، ومن كان يسعى تفاخرا وتكاثرا فهو في سبيل الشيطان » وقال عمر رضي الله عنه لا يقعد أحدكم عن طلب الرزق ويقول اللهم ارزقني ، فقد علمتم أن السماء لا تمطر ذهبا ولا فضة ، ويجب على التاجر أن ينصح في المعاملة ، ويجب لأخيه ما يحب لنفسه ، ولا يحمل له ان يثني على السلعة بما ليس فيها ، ولا يكتن من عيوبها وخفايا صفاتها شيئا ، ولا يكتن في وزنها ومقدارها شيئا . ومن خالف ذلك كان ظالما غاشا ، والغش حرام قال صلى الله عليه وسلم « من غشنا فليس منا » وقال تعالى (ويل للمطففين الذين اذا اكتالوا على الناس يستوفون » واذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون) وقال تعالى (وأوفوا الكيل اذا كنتم وزنوا بالقسطاس المستقيم ذلك خير وأحسن تأويلا) وعلى التاجر الرفق في التعامل والاحسان فيه ، قال صلى الله عليه وسلم « رحم الله امرأ سهل البيع سهل الشراء سهل القضاء سهل الاقتضاء » وقال صلى الله عليه وسلم « من انظر معسرا أو ترك له اظله الله تحت ظل عرشه يوم لا ظل الا ظله » وقال تعالى (ان رحمة الله قريب من المحسنين)

﴿ خطبة له في فضل الاخوة والصحبة والالفة ﴾

الحمد لله الذي غمر صفوة عباده بطائفة التخصيص طولا وامتانا ، والف بين قلوبهم فأصبحوا بنعمته اخوانا ، ونزع الغل من صدورهم فظلوا في الدنيا أصدقاء وأخذانا ، وفي الآخرة رفقاء وخلانا ، وأشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله المصطفى ، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه الذين اتبعوه واقتدوا به قولا وفعلنا وعدلا واحسانا . أما بعد فيا عباد الله اتقوا الله

واعلموا أن التحاب في الله تعالى والاخوة في دينه من أفضل القربات ، وألطف ما يستفاد من الطاعات في مجاري العادات ، وقد ورد في فضل الاخوة آيات كريمات وأخبار عاليات . قال الله تعالى (إنما المؤمنون إخوة) وقال تعالى (واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا) وقال صلى الله عليه وسلم « المؤمن آلف مألوف ولا خير في من لا يآلف ولا يؤلف » وعنه صلى الله عليه وسلم « من أراد الله به خيرا رزقه خليلا صالحا ان نسي ذكره ، وان ذكر أعانه » وعنه صلى الله عليه وسلم « مازار رجل رجلا في الله شوقا اليه ورغبة في لقائه الا ناداه ملك من خلفه طبت وطاب ممشاك وطابت لك الجنة » واعلم أن لاختيك عليك في اخوته وصحبته حقوقا يجب الوفاء بها . فمنها حق في المال بأن تقوم بحاجته من فضل مالك ، أو تؤثره على نفسك وتقدم حاجته على حاجتك ، وهذه رتبة الصديقين ، وحق في الاعانة بالنفس في قضاء الحاجات مع البشاشة واظهار الفرح ، وحق على اللسان في السكوت عن عيوبه وفي ترك مماراته ، وفي النطق بالحباب توددا اليه وتفقدا لحواله ، وحق في العفو عن الزلات والهفوات ، وحق في الدعاء له في حياته ومماته كما يدعو لنفسه ، وحق في الوفاء والاخلاص ، وذلك بالثبات على الحب وادامته الى الموت معه ، وبعد الموت مع أولاده وأصدقائه ، وحق في التخفيف وترك التكلف والتكليف ، فلا يكلف أخاه ما يشق عليه ، بل يروح سره من مهماته وحاجاته ، وجملة حقوق المسلم أن تسلم عليه اذا لقيته ، وتحييه اذا دعاك ، وتشتمه اذا عطس ، وتعوده اذا مرض ، وتشهد جنازة اذا مات ، وتبر قسمه اذا أقسم عليك ، وتنصح له اذا استنصحك ، وتحفظه بظهر الغيب اذا غاب عنك ، وتحب له ما تحب لنفسك . وقال صلى الله عليه وسلم « لا تحاسدوا ولا تباغضوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله اخوانا كما أمركم الله » فاتركوا الضغائن من قلوبكم والاحقاد ، وتصالحوا على المحبة وسلامة الصدر والايثار وصدق الوداد ، وليعتذر كل منكم لاختيه عما فرط منه ، ليفوز برضاء الله عنه . وفي الحديث عنه صلى الله عليه وسلم « رأس العقل بعد الدين التودد الى الناس واصطناع المعروف الى كل بر وفاجر » وقال صلوات الله عليه لما ذ « أوصيك بتقوى الله وصدق الحديث ووفاء العهد وأداء الأمانة وترك الخيانة ، وحفظ الجار ورحمة اليتيم ، ولين الكلام وبذل السلام وخفض الجناح »

المعرفة بالله تعالى

بين ابن القيم في باب المعرفة من الجزء الثالث من (مدارج السالكين) الفرق بين المعرفة والعلم لغة وشرها من خمسة وجوه ، ثم بين معناها في اصطلاح الصوفية وكلام أئمتهم فيها ، ثم شرح ما قاله شيخ الاسلام ابو اسماعيل الهروي فيها ، ونحن ننقل ما هو خاص بالتصوف ، أي ما بعد الفروق الخمسة وهذا نصه :

والفرق بين العلم والمعرفة عند أهل هذا الشأن ان المعرفة عندهم هو العلم الذي يقوم العالم بموجبه ومقتضاه ، فلا يطلقون المعرفة على مدلول العلم وحده ، بل لا يصفون بالمعرفة الا من كان عالما بالله وبالطريق الموصل اليه وبآفاتها وقواطعها ، وله حال مع الله ، فتشهد له بالمعرفة ، فالعارف عندهم من عرف الله سبحانه بأسمائه وصفاته وأفعاله ، ثم صدق الله في معاملته ، ثم أخلص له في قصوده ونياته ، ثم انسلخ من أخلاقه الرديئة وآفاته ، ثم تظهر من أوساخه وأدرانته ومخالفاته ، ثم صبر على أحكام الله في نعمه وبنياته ، ثم دعا اليه على بصيرة بدينه وآياته ، ثم جرد الدعوة اليه وحده بما جاء به رسوله ، ولم يشبها بأراء الرجال وأذواقهم ، ومواجههم ومقاييسهم ومعقولاتهم ، ولم يزن بها ما جاء به الرسول عليه من الله أفضل صلواته . فهذا الذي يستحق اسم العارف على الحقيقة ، اذا سمي به غيره على الدعوى والاستعارة^(١)

وقد تكلموا على المعرفة بآثارها وشواهدھا فقال بعضهم : من امارات المعرفة بالله حصول الهيبة منه ، فمن ازدادت معرفته ازدادت هيئته — وقال أيضا — المعرفة توجب السكون فمن ازدادت معرفته ازدادت سكينة . وقال لي بعض أصحابنا : ما علامة المعرفة التي يشيرون اليها ؟ فقلت له : أنس القلب بالله . قال لي : علامتها ان يحسن بقرب قلبه من الله فيجده قريبا منه . وقال الشبلي : ليس لعارف علاقة^(٢) ولا لمح شكوى ، ولا لعبد دعوى ، ولا لخائف قرار ، ولا لاحد من الله فرار . وهذا كلام جيد ، فان المعرفة الصحيحة تقطع من القلب العلائق كلها ، وتعلقه

(١) في ب « فاذا سمي به غيره فعلى الدعوى والاستعارة » (٢) في ب

بمعروفه فلا يبقى فيه علاقة بغيره ، ولا تمر به الملائق الا وهي مجتازة ، لا تمر مرور
استيطان . وقال أحمد بن عاصم : من كان بالله أعرف ، كان له أخوف . ويدل على
هذا قوله تعالى (انما يخشى الله من عباده العلماء) وقول النبي صلى الله عليه وسلم
« أنا أعرفكم بالله وأشدكم له خشية » وقال آخر : من عرف الله تعالى ضاقت عليه
الدنيا بسعتها . وقال غيره : من عرف الله تعالى اتسع عليه كل ضيق . ولا تنافي
بين هذين الأمرين ، فانه يضيق عليه كل مكان لا يساعد فيه على شأنه ومطلوبه ،
ويتسع عليه ما ضاق على غيره ، لانه ليس فيه ولا هو مساكن له بقلبه ، فقلبه غير
محبوس فيه ، والاول في بداية المعرفة ، والثاني في نهايتها التي يصل اليها العبد .
وقال آخر : من عرف الله تعالى صفا له العيش فطابت له الحياة وهابه كل شيء
وذهب عنه خوف المخلوقين وأنس بالله . وقال غيره : من عرف الله قرت عينه بالله
وقرت به كل عين ، ومن لم يعرف الله تقطع قلبه على الدنيا حسرات ، ومن عرف
الله لم يبق له رغبة في سواه ، ومن ادعى معرفة الله وهو راغب في غيره كذبت
رغبته معرفته ، ومن عرف الله أحبه على قدر معرفته به وخافه ورجاه ، وتوكل عليه
وأناب اليه ولهج بذكره ، واشتاق الى لقائه واستحيا منه ، وأجله وعظمه على قدر
معرفته به ، وعلامة العارف أن يكون قلبه مرآة اذا نظر فيها رأى فيها الغيب الذي
دعي الى الايمان به ، فعلى قدر جلاء تلك المرآة يتراءى له فيها الله سبحانه والدار
الآخرة والجنة والنار والملائكة والرسل صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين كما قيل :

اذا سكن الغديرُ على صفاء وجُنُب أن يحركه النسيم

بدت فيه السماء بلا امتراء كذاك الشمس تبدو والنجوم

كذاك قلوب أرباب التجلي يرى في صفوها الله العظيم

وهذه رؤية المثل^(١) الأعلى كما تقدم ، ومن علامات المعرفة أن يبدو لك
الشاهد ، وتفتي الشواهد ، وتنحل الملائق ، وتنقطع العوائق ، وتجلس بين يدي
الرب تعالى وتقوم وتضطجع على التأهب للاقائه . كما يجلس الذي شد أجماله وأزمع

(١) في ن « المثال »

السفر على التأهب له ويقوم على ذلك ويضطلع عليه ، كما ينزل المسافر في المنزل فهو قائم وجالس ومضطجع على التأهب ، وقيل للجنيد : ان أقواما يدعون المعرفة يقولون أنهم يصلون بترك الحركات من باب البر والتقوى . فقال الجنيد : هذا قول أقوام تكلموا بإسقاط الاعمال ، وهو عندي عظيم ؛ والذي يسرق ويزني أحسن حالا من الذي يقول هذا ، ان العارفين بالله أخذوا الاعمال عن الله والى الله رجعوا فيها ، ولو بقيت ألف عام لم أنقص من أعمال البر ذرة الا أن يحال بيني وبينها ومن علامات العارف انه لا يطالب ولا يخاصم ولا يعاتب ولا يرى له على أحد فضلا ولا يرى له على أحد حقا ، ومن علاماته انه لا يأسف على فائت ولا يفرح بآت ، لانه ينظر الى الاشياء بعين الفناء والزوال ، لانها في الحقيقة كالظلال والخيال . وقال الجنيد : لا يكون العارف عارفا حتى يكون كالارض بطاها البر والفاجر ، وكالسحاب يظل كل شيء ، وكالمطر يسقي ما يحب وما لا يحب وقال يحيى ابن معاذ : يخرج العارف من الدنيا ولم يقض وطره من شيتين : بكاء على نفسه ، وثناؤ على ربه . وهذا من أحسن الكلام فانه يدل على معرفته بنفسه وعبوبه وآفاته ، وعلى معرفته بربه وكماله وجلاله ، فهو شديد الازراء على نفسه ، لهج بالثناء على ربه . وقال أبو يزيد : انما نالوا المعرفة بتضييع ما لهم والوقوف مع ما له . يريد تضييع حظوظهم والوقوف مع حقوق الله سبحانه وتعالى فتغنيهم حقوقه عن حظوظهم

وقال آخر : لا يكون العارف عارفا حتى لو أعطي ملك سليمان لم يشغله عن الله طريقة عين . وهذا يحتاج الى شرح ، فان ما هو دون ذلك يشغل القلب لكن يكون اشتغاله بغير الله ، فذلك اشتغال به سبحانه لانه اذا اشتغل بغيره لاجله لم يشتغل عنه ، قال ابن عطاء المعرفة على ثلاثة أركان : الهية والحياة والانس . وقيل لذي النون : بم عرفت الله ربك ؟ قال : عرفت ربي بربي ، ولولا ربي لما عرفت ربي . وقيل لعبد الله ابن المبارك : بماذا نعرف ربنا ؟ قال بانه فوق سمواته على عرشه بائن من خلقه . فاني عبد الله باصل المعرفة التي لا يصح لأحد معرفة ولا إقرار بالله سبحانه الا به ، وهو المباشرة والعلو على العرش

ومن علامات العارف أن يعتزل الخلق بينه وبين الله حتى كأنهم أموات لا يملكون له ضرا ولا نفعا ولا موتا ولا حياتا ولا نشورا ، ويعتزل نفسه بينه وبين الخلق حتى يكون بينهم بلا نفس ، وهذا معنى قول من قال : العارف يقطع الطريق بخطوتين : خطوة عن نفسه وخطوة عن الخلق ؛ وقيل : العارف ابن وقته . وهذا من أحسن الكلام وأخصره ، فهو مشغول بوظيفة وقته عما مضى وصار في العدم وعما لم يدخل بعد في الوجود ، فهمه عمارة وقته الذي هو مادة حياته الباقية . ومن علاماته أنه مستأنس بربه مستوحش ممن يقطعه عنه ، ولهذا قيل : العارف من أنس بالله فأوحشه من الخلق وافقر إلى الله فأغناه عنهم ، وذل لله فأعززه فيهم ، وتواضع لله فرفعه بينهم ، واستغنى بالله فأحوجهم إليه . وقيل : العارف فوق ما يقول ، والعالم دون ما يقول . يعني أن العالم علمه أوسع من حاله وصفته ، والعارف حاله وصفته فوق كلامه وخبره ، وقال أبو سليمان الداراني : إن الله تعالى يفتح للعارف على فراشه ما لم يفتح له وهو قائم يصلي . وقال غيره : العارف تنطق المعرفة على قلبه وحاله وهو ساكت . وقال ذوالنون : لكل شيء عقوبة وعقوبة العارف انقطاعه عن ذكر الله

وقال بعضهم : رياء العارفين أفضل من إخلاص المريدين . وهذا كلام ظاهره منكر جدا يحتاج إلى شرح ، فالعارف لا يراني المخلوق طلبا للمنزلة في قلبه ، وإنما يكون رياءه نصيحة وإرشادا وتعلما ليقترى به ، فهو يدعو إلى الله بعمله كما يدعو إليه بقوله ، فهو ينتفع بعمله وينفع به غيره ؛ وإخلاص المريد مقصور على نفسه ، فالعارف جمع بين الإخلاص والدعوة إلى الله ، فأخلاصه في قلبه ، وهو يظهر عمله وحاله ليقترى به ، والعارف ينفع بسكوته والعالم إنما ينفع بكلامه * ولو سكتوا أثنت عليك الحقائق *

وقال ذوالنون : الزهاد ملوك الآخرة وهم فقراء العارفين . وسئل الجنيد عن العارف فقال : لون الماء لون إنائه . وهذه كلمة رمز بها إلى حقيقة العبودية ، وهو أن يتلون بتلون أقسام العبودية ، فبينا تراه مصليا إذ رأيت ذا كرا أو قارئا أو معلما أو متعلما أو مجاهدا أو حاججا أو مساعدا للضعيف أو مغنيا للملوف ، فيضرب في كل غنمة من

الغنائم بسهم ، فهو مع المتسبيين متسبب ، ومع المتعلمين متعلم ، ومع الغزاة غاز ، ومع المصلين مصل ، ومع المتصدقين متصدق ؛ فهو ينتقل في منازل العبودية من عبودية الى عبودية . وهو مقيم على معبود واحد لا ينتقل عنه الى غيره

وقال يحيى بن معاذ : العارف كائن بائن . وهذا يفسر على وجوه (منها) انه كائن مع الخلق بظاهره بائن عنهم بسره وقلبه و (منها) انه كائن بر به بائن عن نفسه و (منها) انه كائن مع أبناء الآخرة بائن عن أبناء الدنيا و (منها) انه كائن مع الله بموافقه بائن عن الناس في مخالفته و (منها) انه داخل في الاشياء خارج منها ، فان من الناس من هو داخل فيها لا يقدر على الخروج منها ، ومنهم من هو خارج عنها لا يقدر على الدخول فيها ، والعارف داخل فيها خارج منها . ولعل هذا أحسن الوجوه وقال ذوالنون : « علامة العارف ثلاثة : لا يطفى نور معرفته نور ورعه ، ولا يعتقد باطنا من العلم ينقضه عليه ظاهر من الحكم ، ولا تحمله كثرة نعم الله على هتك أستار محارم الله » وهذا من أحسن الكلام الذي قيل في المعرفة وهو محتاج الى شرح ، فان كثيرا من الناس يرى أن التورع عن الاشياء من قلة المعرفة ، فان المعرفة متسعة الا كفاف واسعة الأرجاء ، فالعارف واسع موسع ، والسعة تطفى نور الورع ، فالعارف لا تنقص معرفته ورعه ، ولا يخالف ورعه معرفته . كما قال بعضهم ^(١) العارف لا ينكر منكرا ، لا استبصاره بسر الله في القدر ، فعنده ان مشاهدة القدر والحقيقة الكونية هو غاية المعرفة ، واذا شاهد الحقيقة عذر الخليفة ، لأنهم مأسورون في قبضة القدر . فمن يندر أصحاب الكبائر والجرائم ، بل أرباب الكفر فهو أبعد خلق الله عن الورع ، بل ظلام معرفته قد أطفأ نور ايمانه.

قوله : ^(٢) باطن العلم الذي ينقضه ظاهر الحكم — فانه يشير به الى ما عليه المنحرفون ممن ينسب الى السلوك ، فاتهم يقع لهم أذواق ومواجيد وواردات تخالف الحكم الشرعي ، وتكون تلك معلومة لهم لا يمكنهم جحدتها فيعتقدونها ويتركون

(١) كتب في هامش الاصل « قوله بعضهم أي الملاحدة القائلين بوحدة الوجود أعادنا الله من الزيف والضلال » (٢) أي ذوالنون

ظاهر الحكم ، وهذا كثير جدا ، وهو الذي نفاء أئمة الطريق على هؤلاء وصاحوا بهم من كل ناحية ، وبدعواهم وضللوهم به ، قوله ^(١) « ولا تحمله كثرة نعم الله على هتك محارم الله » كثرة النعم تطغي العبد وتحمله دلي أن يصرفها في وجوها وغير وجوها ، وهي تدعو الى أن يتناول العبد بها ما حل وما لا يحل ، وأكثر المنعم عليهم لا يقتصرون في صرف النعمة دلي القدر الحلال بل يتعداه ^(٢) الى غيره وتسلو له نفسه ان معرفته بالله ترد عليه ما انتهت منه أيدي الشهوات والمخالفات ، ويقول العارف لا تضره الذنوب كما تضر الجاهل . وربما يسول له أن ذنوبه خير من طاعات الجاهل ، وهذا من أعظم المكر . والامر بضد ذلك ، فيحتمل من الجاهل ما لا يحتمل من العارف ، وإذا عوقب الجاهل ضعفا عوقب العارف ضعفين ، وقد دل على هذا شرع الله وقدره ، ولهذا كانت عقوبة الحر في الحدود مثلي عقوبة العبد ، وقال تعالى في نساء النبي صلى الله عليه وسلم (يانسئ النبي من يأت منكن بفاحشة مبينة يضاعف لها العذاب ضعفين) فإذا كملت النعمة على العبد فقابلها بالاساءة والعصيان كانت عقوبته أعظم فدرجته أعلى وعقوبته أشد

وقال أيضا ^(١) ليس بعارف من وصف المعرفة عند أبناء الآخرة فكيف عند أبناء الدنيا ؟ يريد انه ليس من المعرفة وصف المعرفة لغير أهلها سواء كانوا عباداً أو من أبناء الدنيا وقال أبو سعيد : المعرفة تأتي من عين الوجود ^(٢) وبذل المجهود . وهذا كلام حسن يشير الى أن المعرفة ثمرة بذل المجهود في الاعمال ، وتحقيق الوجود في الأحوال ، فهي ثمرة عمل الجوارح ، وحال القلب لا ينال بمجرد العلم والبحث ، فمن ليس له عمل ولا حال فلا معرفة له ، وسئل ذو النون عن العارف فقال : كان هاهنا فذهب . فسئل الجنيد عما أراد بكلامه هذا فقال : لا يحصره حال عن حال ، ولا يحجبه منزل عن التنقل في المنازل ، فهو مع كل أهل منزل بمثل الذي هم فيه ، يجد مثل الذي يجدون ، وينطق بمثلها لينتفعوا ، وقال محمد بن الفضل : المعرفة حياة القلب مع الله . وسئل أبو سعيد : هل يصل العارف الى حال يحفو عليه البكاء ؟ فقال : نعم ! أما البكاء

(١) مقتضى ما قبله ان يقول : يتعدونه — أو : يتعداه أحدهم الخ اي ذو النون

(٢) كتب في هامش الاصل « لعله الجود »

في أوقات سيرهم الى الله فاذا نزلوا بمحاث القرب وذاقوا طعم الوصول من بره زال عنهم ذلك ، وقال بعض السلف : نوم العارف يقظة ، وأنفاسه تسبيح ، ونوم العارف أفضل من صلاة الغافل . إنما كان نوم العارف يقظة لأن قلبه حي فعيناه تنامان وروحه ساجدة تحت العرش بين يدي ربها وقاطرها ، جسده في الفراش ، وقلبه حول العرش ، وإنما كان نومه أفضل من صلاة الغافل لأن بدن الغافل واقف في الصلاة وقلبه يسبح في حشوش الدنيا والآماني ، ولذلك كانت يقظته نوم لأن قلبه موات ، وقيل : مجالسة العارف تدعوك من ست الى ست : من الشك الى اليقين ، ومن الرياء الى الاخلاص ، ومن الغفلة الى الذكر ، ومن الرغبة في الدنيا الى الرغبة في الآخرة ، ومن الكبر الى التواضع ، ومن سوء الطوية الى النصيحة

فصل

قال صاحب المنازل في المعرفة على ثلاث درجات ، وخلق فيها على ثلاث فرق : الدرجة الأولى معرفة الصفات والنموت ، وقد وردت أساميها بالرسالة ، وظهرت شواهدا في الصنعة ، بتبصر^(١) النور القائم في السر ، وطيب حياة العقل لزرع الفكر ، وحياة القلب بحسن النظر بين التعظيم وحسن الاعتبار ، وهي معرفة العامة التي لا تعتقد شرائط اليقين إلا بها ، وهي على ثلاثة أركان : اثبات الصفات باسمها من غير تشبيه ، ونفي التشبيه عنها من غير تمطيل ، والإيأس من إدراك كنهها وابتغاء تأويلها ﴿

قلت : الفرق بين الصفة والنعت من وجوه ثلاثة (أحدها) ان النعت يكون بالأفعال التي تتجدد كقوله تعالى (ان ربكم الله الذي خلق السموات والارض في ستة أيام ثم استوى على العرش يفتي الليل النهار — وقوله — الذي جعل لكم الارض مهديا وجعل لكم فيها سبلا لعلكم تهتدون * والذي نزل من السماء ماء بقدر أنشرنا به بلدة ميتا كذلك تخرجون * والذي خلق الأزواج كلها وجعل لكم

من الفلك والالنام ماتركون) ونظائر ذلك. والصفة هي الأمور الثابتة اللازمة للذات كقوله تعالى (هو الله الذي لا اله الا هو عالم الغيب والشهادة، هو الرحمن الرحيم * هو الله الذي لا اله الا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر) ونظائر ذلك

(الفرق الثاني) ان الصفات الذاتية لا يطلق عليها اسم النعوت كالوجه واليدين والقدم والاصابع وتسمى صفات، وقد أطلق عليها السلف هذا الاسم، وكذلك متكلمو أهل الاثبات سموها صفات، وأنكر بعضهم هذه التسمية كابي الوفاء ابن عقيل وغيره، وقال: لا ينبغي أن يقال نصوص الصفات. بل: آيات الاضافات، لان الحى لا يوصف بـ... ولا بوجهه، فان ذلك هو الموصوف، فكيف تسمى صفة؟ وأيضا فالصفة معنى يتم الموصوف فلا يكون الوجه واليد صفة. والتحقيق ان هذا نزاع لفظي في تسميته، فالمقصود إطلاق هذه الاضافات عليه سبحانه ونسبتها اليه والاخبار عنه بها منزهة عن التمثيل والتعطيل، سواء سميت صفات أو لم تسم

(الفرق الثالث) ان النعوت ما يظهر من الصفات ويشتهر ويعرفه الخاص والعام، والصفات أعم، فالفرق بين النعت والصفة فرق ما بين الخاص والعام، ومنه قولهم في تحلية الشيء: نعتة كذا وكذا — لما يظهر من صفاته، وقيل: هما لغتان لا فرق بينهما. ولهذا يقول نحاة البصرة «باب الصفة» ويقول نحاة الكوفة «باب النعت» والمراد واحد والامر قريب ونحن في غير هذا

فلنرجع الى المقصود وهو انه لا يستقر للعبد قدم في المعرفة بل ولا في الايمان حتى يؤمن بصفات الرب جل جلاله ويعرفها معرفة تخرجه عن حد الجهل بربه، فالإيمان بالصفات وتعرفها هو أساس الاسلام وقاعدة الايمان وشجرة ثمرة الاحسان، فمن جحد الصفات فقد هدم أساس الاسلام والايمان وثمره شجرة الاحسان، فضلا عن أن يكون من أهل العرفان، وقد جعل الله سبحانه منكر صفاته مسي الظن به، وتوعده بما لم يتوعد به غيره من أهل الشرك والكفر والكبائر فقال تعالى (وما كنتم تستترون أن يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم ولا جلودكم، ولكن ظننتم ان الله لا يعلم كثيرا مما تعملون) وذلكم ظنكم الذي ظننتم بربكم أرداكم فاصبحتم

من الخاسرين) فآخبر سبحانه ان إنكارهم هذه الصفة من صفاته من سوء ظنهم به ، وأنه هو الذي أهلكهم ، وقد قال في الظانين به ظن السوء (عليهم دائرة السوء) وغضب الله عليهم واعنهم وأعد لهم جهنم وساءت مصيرا) ولم يجي مثل هذا الوعيد في غير من ظن السوء به سبحانه . وجحد صفاته وانكار حقائق أسمائه من أعظم ظن السوء به ولما كان أحب الاشياء اليه حمده ومدحه والثناء عليه بأسمائه وصفاته وأفعاله كان انكارها وجحدها أعظم الإلحاد والكفر به وهو شر من الشرك ، فالمعطل شر من المشرك ، فانه لا يستوي جحد صفات الملك وحقيقة ملكه والظمن في أوصافه هو والتشريك بينه وبين غيره في الملك ، فالمعطون أعداء الرسل بالذات ، بل كل شرك في العالم فأصله التعطيل ، فانه لولا تعطيل كاله أو بعضه وظن السوء به لما أشرك به ، كما قال امام الحنفاء وأهل التوحيد لقومه (أفكأ آلهة دون الله تريدون ؟ * فما ظنكم برب العالمين ؟) أي فما ظنكم به أن يجازيكم وقد عبدتم معه غيره ؟ وما (١) الذي ظنتم به حتى جعلتم معه شركاء ؟ أظنتم انه محتاج الى الشركاء والاعوان ؟ أم ظنتم انه يخفى عليه أحوال عبادته حتى يحتاج الى شركاء تعرفه بها كالملوك ؟ أم لا يقدر وحده على استقلاله بتدبيرهم وقضاء حوائجهم ؟ أم هو قاس فيحتاج الى شفعاء يستعطفونه على عبادته ؟ أم ذليل فيحتاج الى ولي يتكثر به من القلة ، ويتعزز به من الذلة ؟ أم يحتاج الى الولد فيتخذ صاحبة يكون الولد منها ومنه ؟ تعالى الله عن ذلك كله علواً كبيراً . والمقصود ان التعطيل مبدأ الشرك وأساسه ، فلا تجدد معطلا الا وشركه على حسب تعطيله ، فمستقل ومستكثر

فصل

والرسل من أولهم الى خاتمهم — صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين — أرسلوا بالدعوة الى الله وبيان الطريق الموصل اليه وبيان حال المدعوين بعد وصولهم اليه ، فهذه القواعد الثلاث ضرورية في كل ملة على لسان كل رسول فعرّفوا الرب المدعو اليه بأسمائه وصفاته وأفعاله تعريفا مفصلا ، حتى كأن العباد يشاهدونه سبحانه

(١) لعل الاصل « أو ما » لأنه وجه آخر في تفسير الآية

وينظرون اليه فوق سماواته على عرشه يكلم ملائكته ويدبر أمر مملكته ، ويسمع أصوات خلقه ويرى أفعالهم وحركاتهم ويشاهد بواطنهم كما يشاهد ظواهرهم ، يأمر وينهى ، ويرضى وبغضب ، ويحب ويسخط ، ويضحك من قنوطهم وقرب غيره ، ويحب دعوة مضطرم ، ويغيث ملهوفهم ويعين محتاجهم ، ويجبر كسبرهم ، ويغني فقيرهم ، ويميت ويحيي ، ويمنع ويعطي ، يؤتي الحكمة من يشاء^(١) وينزع الملك ممن يشاء ويعز من يشاء وينزل من يشاء بيده الخبر وهو على كل شيء قدير ، كل يوم هو في شأن ، يغفر ذنبا ، ويفرج كربا ، ويفك عانيا ، وينصر مظلوما ، ويقسم ظالما ، ويرحم مسكينا ، ويغيث ملهوقا ، ويسوق الاقدار الى مواعيدها ، ويجريها على نظامها ، ويقدم ما يشاء تقديمه ، ويؤخر ما يشاء تأخير ، فأزمنة الامور كلها بيده ، ومدار تدبير الممالك كلها عليه . وهذا مقصود الدعوة وزبدة الرسالة

(القاعدة الثانية) تعريفهم بالطريق الموصل اليه ، وهو صراطه المستقيم الذي نصبه لرسله وأتباعهم ، وهو امثال أمره واجتتاب نهيه والايمان بوعده ووعدده

(القاعدة الثالثة) تعريف الحال بعد الوصول ، وهو ما تضمنه اليوم الآخر

من الجنة والنار ، وما قبل ذلك من الحساب والحوض والميزان والصراط فعمدت المعطلة والجهمية على رأس القاعدة الاولى فخالوا بين القلوب وبين معرفة ربها ، وسموا اثبات صفاته وعلاه فوق خلقه واستوائه على عرشه — تشبيها وتجسيدا وحشوا ، فنفروا عنه صبيان العقول ، وسموا نزوله الى سماء الدنيا ، وتكلمه بمشيئته ، ورضاه بعد غضبه وغضبه بعد رضاه ، وسمعه الحاضر لاصوات العباد ، ورؤيته المقارنة لافعالهم ونحو ذلك — حوادث ، وسموا وجهه الاعلى ويديه المبدوطين وأصابعه التي يضع عليها الخلائق يوم القيامة — جوارح وأعضاء ، مكرا منهم كُبارا بالناس ، كمن يريد التنفير عن العسل فيمكر في المباراة ويقول : مائع أصفر يشبه العذرة المائعة . أو ينفر عن شيء مستحسن فيسميه بأقبح الاسماء فعل الماكر الخادع ، فليس مع مخالف الرسل سوى المكر في القول والعمل

فلما تم للمعطلة مكرهم وسلك في القلوب المظلمة الجاهلة بمحقائق الايمان وما جاء

(١) لعله سقط من هنا : ويؤتي الملك من يشاء

به الرسول - ترتب عليه الأضرار عن الله وعن ذكره ومحبته والثناء عليه باوصاف كماله ونعوت جلاله ، فانصرفت قوى حبها وشوقها وأنسها إلى سواء وجاء أهل الآراء الفاسدة ، والسياسات الباطلة ، والاذواق المنحرفة ، والموائد المستمرة ، فقعّدوا على رأس هذا الصراط وحالوا بين القلوب وبين الوصول إلى نبيها وما كان عليه وأصحابه ، وعابوا من خالفهم في قعودهم عن ذلك ورغب عما اختاروه لأنفسهم ، ورموه بما هم أولى به منه كما قيل : رميتي بدائها وانسلت وجاء أصحاب الشهوات المعتنون بها الذين يعدّون حصولها كيف كان الظفر في هذه الحياة والبنية فقعّدوا على رأس طريق المعاد والاستعداد للجنة ولقاء الله ، وقالوا : اليوم خمر ، وغدا أمر ، اليوم لك ولا تدري غدا لك أو عليك . وقالوا : لا نبيع ذرة منقودة ، بكرة موعودة

خذ ما تراه ودع شيئاً سمعت به في طلعة الشمس ما يغنيك عن زحل وقالوا للناس : خلوا لنا الدنيا ونحن قد خلدنا لكم الآخرة ، فإن طلبتم منا ما بأيدينا أحلناكم على الآخرة

أناس^(١) يُقَضُّون عَيْشَ النِّعَمِ وَنَحْسَنُ نَحَالَ عَلَى الْآخِرَةِ
فَإِنْ لَمْ تَكُنْ مِثْلًا يَزْعُمُونَ فَتِلْكَ إِذَا هَكَرَةً خَاسِرَةٍ

فالإيمان بالصفات ومعرفتها وإثبات حقائقها وتعلق القلب بها وشهوده لها هو مبدأ الطريق ووسطه ، وغايته ، وهو روح السالكين ، وحاديهم إلى الوصول ، ومحرك عزائمهم إذا قفروا ، ومثير همهم إذا قصرُوا ، فإن سيرهم إنما هو على الشواهد ، فمن كان لا شاهد له فلا سير ولا طلب ولا سلوك له ، وأعظم الشواهد صفات محبوبهم ونهاية مطلوبهم ، وذلك هو العلم الذي رفع لهم في السير فشمروا إليه ، كما قالت عائشة رضي الله عنها « من رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد رآه غادياً رافعاً لم يضع لينة على لينة ، ولكن رفع له علم فشمروا إليه » ولا يزال العبد في التواني والفتور والكسل حتى يرفع الله عز وجل له بفضلِهِ ومنه علماً يشاهده بقلبه فيشير إليه ويعمل عليه ، فإن عطلت شواهد الصفات ووضعت أعلامها عن القلوب ، وطمست آثارها

وضربت بسياط البعد ، وأسبل دونها حجاب الطرد ، وتخلفت مع المتخلفين ، وأوحى اليها القدر أن اقعدي مع القاعدين ، فان أوصاف المدعو اليه ونعوت كماله وحقائق أسمائه هي الجاذبة للقلوب الى محبته وطلب الوصول اليه ، لان القلوب انما تحب من تعرفه وتخافه وترجوه وتشتاق اليه وتلتذ بقربه وتطمئن الى ذكره ، بحسب معرفتها بصفاته ، فاذا ضرب دونها حجاب معرفة الصفات والاقرار بها ، امتنع منها بعد ذلك ما هو مشروط بالمعرفة وملزوم لها ، اذ وجود المألوم بدون لازمه والمشروط بدون شرطه ممتنع

فحقيقة المحبة والالابة والتوكل ومقام الاحسان ممتنع على المعطل امتناع حصول المغل من معطل البذر بل أعظم امتناعا . كيف تصمد القلوب الى من ليس داخل العالم ولا خارجه ولا متصلا به ولا منفصلا عنه ولا مباينا له ولا محايثا ، بل حظ العرش منه كحظ الآبار والوهاد والاماكن التي يرغب عن ذكرها ؟ وكيف تأله القلوب من لا يسمع كلامها ولا يرى مكانها ولا يحب ولا يُحَب ولا يقوم به فعل البتة ، ولا يتكلم ولا يكلم ولا يقرب من شيء ولا يقرب منه شيء ولا يقوم به راقية ولا رحمة ولا حنان ، ولاله حكمة ولا غاية يفعل ويأمر لاجلها ؟ فكيف يتصور التوكل على ذلك ، ومحبته والالابة اليه والشوق الى لقائه ورؤية وجهه الكريم في جنان النعيم وهو مستو على عرشه فوق جميع خلقه ؟ أم كيف تأله القلوب من لا يحب ولا يحب ولا يرضى ولا يفضب ولا يفرح ولا يضحك ؟ فسبحان من حال بين المعطلة وبين محبته ومعرفته والسرور والفرح به والشوق الى لقائه وانتظار لذة النظر الى وجهه الكريم والتمتع بخطابه في محل كرامته ودار ثوابه ! فلورآها أهلاً لذلك لمن عليها به وأكرمها به اذ ذاك أعظم كرامة يكرم بها عبده ، والله أعلم حيث يجعل كرامته ، ويضع نعمته (وكذلك فتنا بعضهم ببعض ليقولوا أهولاء من الله عليهم من بيننا ؟ أليس الله باعلم بالشاكرين * واذا جاءتهم آية قالوا لن تؤمن حتى نؤتي مثل ما أوتي رسل الله ، الله أعلم حيث يجعل رسالته — أ هم يقسمون رحمة ربك ؟ نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضا سخريا ، ورحمة ربك خير مما يجمعون) وليس جحودهم صفاته سبحانه وحقائق أسمائه في الحقيقة تنزيهاً

وأما هو حجاب ضرب عليهم فظنوه تزيها ، كما ضرب حجاب الشرك والبدع المضلة والشهوات المردية على قلوب أصحابها وزين لهم سوء أعمالهم فأروها حسنة عدنا الى شرح كلامه . قوله «وقد وردت أساميها بالرسالة» الى آخره ، ذكر ان اثبات الصفات دل عليها الوحي الذي جاء من عند الله على لسان رسوله ، والحس الذي شاهد به البصير آثار الصنعة فاستدل بها على صفات صانعها ، والعقل الذي طابت حياته بزرع الفكر ، والقلب الذي حيي بحسن النظر بين التعظيم والاعتبار ؛ فلما الرسالة قائمها جاءت باثبات الصفات اثباتا مفصلا على وجه أزال الشبهة وكشف الغطاء وحصل العلم اليقيني ورفع الشك والريب ، فتلججت له الصدور واطمأنت به القلوب ، واستقر به الايمان في نصابه ، ففصلت الرسالة الصفات والنعوت والافعال أعظم من تفصيل الامر والنهي ، وقررت إثباتها أكل تقرير في أبلغ لفظ وأبعد من الاجمال والاحتمال وأمنعه من قبول التأويل ، وكذلك كان تأويل آيات الصفات وأحاديثها بما يخرجها عن حقائقها من جنس تأويل آيات المعاد وأخباره ، بل أبعد منه لوجوه كثيرة ذكرتها في كتاب [الصواعق المرسلة ، على الجهمية والمعتزلة] بل تأويل آيات الصفات بما يخرجها عن حقائقها كتاويل آيات الامر والنهي . فالباب كله باب واحد ومصدره واحد ومقصوده واحد ، وهو اثبات حقائقه والايمان بها ولذلك سطا على تأويل آيات المعاد قوم وقالوا : فعلنا فيها كفعل المتكلمين في آيات الصفات ، بل نحن أعذر ، فان اشتمال الكتب الالهية على الصفات والاعمال وقيام الافعال أعظم من نصوص المعاد للابدان بكثير ، فاذا ساغ لكم تأويلها فكيف يحرم علينا نحن تأويل آيات المعاد ؟ وكذلك سطا قوم آخرون على تأويل آيات الامر والنهي وقالوا : فعلنا فيها كفعل أولئك في آيات الصفات مع كثرتها وتنوعها . وآيات الاحكام لا تبلغ زيادة على خمسمائة آية — قالوا — وما يظن انه معارض من العقليات لنصوص الصفات فعندنا معارض عقلي لنصوص المعاد من جنسه أو أقوى منه ، وقالوا ^(١) متأولو آيات الاحكام على خلاف حقائقها وظواهرها ^(٢) التي سوغ لنا ^(٣)

(١) لعل الاصل «قال» وما بعده فاعله (٢) وفي ب «فظواهرها» وهو غير ظاهر

(٣) هذا مقول المقول ، وصوابه : الذي سوغ لنا هذا القول القواعد الخ أي هو القواعد

هذا التأويل القواعد التي اصطليحتوها لنا وجعلناها أصلاً نرجع إليها فلما طردناها كان طردنا أن الله ما تكلم بشيء قط ولا يتكلم ولا يأمر ولا ينهي ولا له صفة تقوم به ولا يفعل شيئاً ، وطرد هذا الأصل لزوم تأويل آيات الأمر والنهي والوعد والوعيد والثواب والعقاب

وقد ذكرنا في كتاب [الصواعق] أن تأويل آيات الصفات وأخبارها بما يخرجها عن حقائقها هو أصل فساد الدنيا والدين . وزول الممالك وتسلط أعداء الإسلام عليه إنما كانت بسبب التأويل ، ويعرف هذا من له اطلاع وخبرة بما جرى في العالم ، ولهذا يحرم عقلاء الفلاسفة التأويل مع اعتقادهم لصحته ، لأنه سبب فساد العالم وتعطيل الشرائع ، ومن تأمل كيفية ورود آيات الصفات في القرآن والسنة علم قطعاً بطلان تأويلها بما يخرجها عن حقائقها ، فإنها وردت على وجه لا يحتمل معه (١) التأويل بوجه ، فانظر إلى قوله تعالى (هل ينظرون إلا أن تأتيهم الملائكة أو يأتي ربك أو يأتي بعض آيات ربك) هل يحتمل هذا التقسيم والتنويع تأويل إتيان الرب جل جلاله بإتيان ملائكته أو آياته ؟ وهل يبقى مع هذا السياق شبهة أصلاً أنه إتيانه بنفسه ؟ وكذلك قوله (إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده - إلى أن قال - وكلم الله موسى تكليماً) ففرق بين الإحياء العام والتكليم الخاص ، وجعلها نوعين ، ثم أكد فعل التكليم بالمصدر الرفع لتوهم ما يقوله المهر فون ، وكذلك قوله (وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحياً أو من وراء حجاب أو يرسل رسولا) فنوع تكليمه إلى تكليم بواسطة وتكليم بغير واسطة ، وكذلك قوله لموسى عليه السلام (اني اصطفيتك على الناس برسالاتي وبكلامي) ففرق بين الرسالة والكلام ، والرسالة إنما هي بكلامه ، وكذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم « انكم ترون ربكم عيانا كما ترون القمر ليلة البدر في الصحو ليس بوجه سحاب » وكما ترون الشمس في الظهيرة صحوً ليس دونها سحاب » (٢) ومعلوم أن هذا البيان والكشف والاحتراز (١) في نوح « منه » (٢) ليس من التأويل ما قالوه في شرح الحديث من أن التشبيه فيه للرؤية لا للمرئي الذي لا يشبهه قمر ولا شمس ولا غيرهما (ليس كمثل شيء) ولا قولهم أن كيفية هذه الرؤية لا تعرف في الدنيا بل ما دونها من أمر الآخرة لا يمكن أن يعرف في الدنيا أيضاً

بما في ارادة التأويل قطعا ولا يرتاب في هذا من له عقل ودين
 قوله « وظهرت شواهدا في الصنعة » هذا هو الطريق الثاني من طرق اثبات
 الصفات ، وهو دلالة الصنعة عليها ، فان المخلوق يدل على وجود خالقه وعلى حياته
 وعلى قدرته وعلى علمه ومشيتته ، فان الفعل الاختياري يستلزم ذلك استلزاما ضروريا .
 وما فيه من الاتقان والإحكام ووقوعه على أكمل الوجوه ما يدل ^(١) على حكمة فاعله
 وعنايته ، وما فيه من الاحسان والنفع ووصول المنافع العظيمة الى المخلوق — يدل على
 رحمة خالقه واحسانه وجوده ، وما فيه من آثار الكمال يدل على ان خالقه أكمل منه .
 فمعطي الكمال أحق بالكمال ، وخالق الاسماع والابصار والنطق أحق بان يكون سميعا
 بصيرا متكلما ، وخالق الحياة والعلوم والقدر والارادات أحق بان يكون هو كذلك
 في نفسه ، فما في المخلوقات شيء ^(٢) من أنواع التخصيصات من أدل شيء ^(٣) على
 ارادة الرب سبحانه ومشيتته وحكمته التي اقتضت التخصيص ، وحصول الاجابة عقيب
 سؤال المطلوب على الوجه المطلوب دليل على علم الرب تعالى بالجزئيات وعلى سمعه
 لسؤال عبيده وعلى قدرته على قضاء حوائجهم وعلى رأفته ورحمته بهم ، والاحسان
 الى المطيعين والتقرب اليهم والاكرام واعلاء درجاتهم — يدل على محبته ورضاه ،
 وعقوبته للعصاة والظالمات وأعداء رسله بأنواع العقوبات المشهودة تدل على صفة الغضب
 والسخط والإبادة والطرْد والإقصاء يدل على المقت والبنفص ، فهذه الدلالات من
 جنس واحد عند التأمل ، ولهذا دعا سبحانه في كتابه عباده الى الاستدلال بذلك
 على صفاته ، فهو ثبت العلم برؤيته ووجدانيته ، وصفات كماله بآثار صنعه المشهودة
 والقرآن مملوء بذلك ، فيظهر شاهد اسم الخالق من نفس المخلوق ، وشاهد اسم
 الرازق من وجود الرزق والمرزوق ، وشاهد اسم الرحيم من شهود الرحمة المبثوثة في
 العالم ، واسم المعطي من وجود العطاء الذي هو مدار لا ينقطع لحظة واحدة ، واسم
 الحليم من حلمه عن الجناة والعصاة وعدم معاجلتهم ، واسم الغفور والتواب من
 مففرة الذنوب وقبول التوبة ، ويظهر شاهد اسم الحكيم من العلم بما في خلقه وأمره

(١) « ما » زائدة إما هنا وإما في أول الجملة (٢) لعل كلمة شيء زائدة

(٣) لعل الاصل : أدل شيء — أو — من أدل الاشياء

من الحكم والمصالح ووجوه المنافع، وهكذا كل اسم من أسمائه الحسنى له شاهد في خلقه وأمره يعرفه من عرفه ويجهله من جهله، فخلق والأمر من أعظم شواهد أسمائه وصفاته، وكل سليم العقل والفطرة يعرف قدر الصانع وحذقه وتبريزه على غيره وتفرد به بكمال لم يشاركه فيه غيره من مشاهدة صنعه، فكيف لا تعرف صفات من هذا العالم العلوي والسفلي وهذه المخلوقات من بعض صنعه وإذا اعتبرت المخلوقات والأمورات وجدتها بأسرها كلها دالة على النعوت والصفات وحقائق الأسماء الحسنى، وعلمت أن المعطاة من أعظم الناس عى بمكابرة، ويكفى ظهور شاهد الصنع فيك خاصة كما قال تعالى (وفي أنفسكم أفلا تبصرون) فالوجودات بأسرها شواهد صفات الرب جل جلاله ونعوته وأسمائه، فهي كلها تشير الى الأسماء الحسنى وحقائقها وتنادي عليها وتدل عليها وتخبر بها بلسان النطق والحال كما قيل :

تأمل سطور الكائنات فانها من الملك الأعلى اليك رسائل
وقد خط فيها لو تأملت خطها ألا كل شيء ما خلا الله باطل
تشير بأثبت الصفات لربها فصامتها يهدي ومن هو قائل
فلست ترى شيئاً أدل على شيء من دلالة المخلوقات على صفات خالقها ونعوت
كمالها وحقائق أسمائه، وقد تنوعت أدلتها بحسب تنوعها، فهي تدل عقلاً وحسب وفطرة
ونظراً واعتباراً (١)

قوله « تبصير النور القائم في السر » يعني ان النور الإلهي الذي جعله الله لعبده ويلقيه اليه ويودعه في سره هو الذي يبصره بشواهد صفاته، فكما قوي هذا النور في قلب العبد كان بصره بالصفات أتم وأكمل، وكما قل نصيبه من هذا النور وطفى مصباحه في قلبه طفى نور التصديق بالصفات واثمها في قلبه، فانه إنما يشاهدها بذلك النور، فاذا فقدته لم يشاهدها وجاءت الشبه الباطلة مع تلك الظلمة فلم يكن له نصيب منها سوى الانكار

(١) هذه الجملة من قوله « من دلالة المخلوقات » الى هنا سقطت من نوح

قوله « وطيب حياة العقل لزرع الفكر » أي يدرك الصفات بذلك النور القائم في سره وطيب حياة عقله التي طيبها زرع الفكر الصحيح المتعلق بما دعا الله سبحانه عباده الى الفكر فيه بقوله (ويتفكرون في خلق السماوات والارض - وقوله - أو لم يتفكروا في أنفسهم ما خلق الله السماوات والارض وما بينهما الا بالحق - وقوله - كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون في الدنيا والآخرة) (١) فيتفكرون في الآيات التي بينها لهم فيستدلون بها على توحيده وصفات كماله وصدق رسله والعلم ببقائه ، ويتفكرون في الدنيا وانقضائها واضمحلالها وآفاتنا والآخرة ودوامها وبقائها وشرفها ، وقوله (ومن آياته ان خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة ان في ذلك لآيات لقوم يتفكرون) فالفكر الصحيح المؤيد بحياة القلب ونور البصيرة يدل على اثبات صفات الكمال ونعوت الجلال ، وأما فكر مصحوب بموت القلب وعمى البصيرة قائما يعطي صاحبه نقيها وتعطيلها

قوله « وحياة القلب بحسن النظر بين التعظيم وحسن الاعتبار » يعني انه يضاف الى نور البصيرة وطيب حياة العقل حياة القلب بحسن النظر الدائر بين تعظيم الخالق جل جلاله وحسن الاعتبار بمصنوعاته الدالة عليه ، فلا بد من الامرين فانه ان غفل بالتعظيم عن حسن الاعتبار لم يحصل له الاستدلال على الصفات ، وان حصل له الاعتبار من غير تعظيم الخالق سبحانه لم يستفد به اثبات الصفات ، فاذا اجتمع له تعظيم الخالق وحسن النظر في صنعه أمرا له اثبات صفات كماله ولا بد ، والاعتبار هو أن يعبر نظره من الأثر الى المؤثر ومن الصنعة الى الصانع ومن الدليل الى المدلول ، فينتقل اليه بسرعة لطف ادراك ، فينتقل ذهنه من المزم الى لازمه ، قال الله تعالى (فاعتبروا يا أولي الابصار) والاعتبار افتعال من العبور وهو عبور القلب من المزموم الى لازمه ومن النظير الى نظيره ، وهذا الاعتبار يضعف ويقوى حتى يستدل صاحبه بصفات الله تعالى وكماله على ما يفعله لحسن اعتباره وصحة نظره ، وهو اعتبار الخواص واستدلالهم ، فانهم يستدلون بأسماء الله وصفاته وأفعاله ، وانه يفعل كذا ولا يفعل كذا ، فيفعل ما هو مرجب حكمته وعلمه وغناه وحمده ، ولا يفعل

(١) كذلك حذفت هذه الآيات منهما فنقلت من ب

ما يناقض ذلك ؛ وقد ذكر سبحانه هذين الطريقين في كتابه فقال تعالى في الطريق الأول (سربهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم انه الحق — ثم قال في الطريق الثانية^(١) — أولم يكف بربك انه على كل شيء شهيد) فمخلوقاته دالة على ذاته وأسمائه وصفاته ، وأسمائه وصفاته دالة على ما يفعله ويأمر به وما لا يفعله ولا يأمر به مثال ذلك ان اسمه الحميد — سبحانه — يدل على انه لا يأمر بالفحشاء والمنكر ، واسمه الحكيم يدل على انه لا يخلق شيئا عبثا ، واسمه الغني يدل على انه لم يتخذ صاحبة ولا ولدا ، واسمه المالك يدل على ما يستلزم حقيقة ملكه من قدرته وتديره وعطائه ومنعه ونوابه وعقابه ، وبث رسله في اقطار مملكته ، وإعلام عبيده بمراسمه وعهوده اليهم ، واستوائه على سرير مملكته الذي هو عرشه المجيد ؛ فمضى قام بالعبد تعظيم الحق جل جلاله وحسن النظر في الشواهد والتبصر والاعتبار بها صارت الصفات والنعوت مشهودة لقلبه قبله له

قوله « وهي معرفة العامة التي لا تنعقد شرائط اليقين الا بها » لا يريد بالعامّة الجهال الذين هم عوام الناس ، وإنما يريد ان هذه هي المعرفة التي وقف عندها العموم ولم يتعدوها ، وأما معرفة أهل الذوق والمحبة الخاصة فأخص من هذا كما سيأتي قوله « وهي على ثلاثة أركان اثبات الصفة من غير تشبيه » الى آخره — هذه ثلاثة أشياء

(أحدها) اثبات تلك الصفة فلا يعاملها بالنفي والانكار

(الثاني) انه لا يتعدى بها اسمها الخاص الذي سماها الله به بل يحترم الاسم كما يحترم الصفة فلا يعطل الصفة ولا يغير اسمها ويعبرها اسما آخر ، كما تسمى الجهمية والمعطلة سمعه وبصره وقدرته وحياته وكلامه أعراضا ، ويسمون وجهه ويديه وقدمه سبحانه جوارح وأبعاضا ، ويسمون حكمته وغاية فعله المطاوعة علالا وأغراضا ، ويسمون أفعاله القائمة به حوادث ، ويسمون علوه على خلقه واستوائه على عرشه تحيزا ، ويتوصلون بهذا المكر الكبار الى نفي ما دل عليه الرحي والعقل والفطرة وآثار الصنعة من صفاته ، فيسطون بهذه الأسماء التي سموها هم وأباؤهم على نفي صفاته وحقائق أسمائه

(١) الطريق يذكر ويؤنث وما أرى التانيث هنا والتذكير قبله الا لمن النسخ

(الثالث) عدم تشبيهها بما للمخلوق ، فإن الله سبحانه ليس كمثل شيء ، لا في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله ، فالعارفون به المصدقون لرسوله المقرون بكلامه يثبتون له الأسماء والصفات ، وينفون عنه مشابهة المخلوقات ، فيجمعون بين الإثبات ونفي التشبيه ، وبين التنزيه وعدم التعطيل ، فذهبهم حسنة بين شيئين ، وهدي بين ضلالتين ، فصراطهم صراط المنعم عليهم ، وصراط غيرهم صراط المفضوب عليهم والضالين ، قال الامام أحمد رحمه الله : لا نزيل عن الله صفة من صفاته لا جل شناعة المشعين — وقال — التشبيه أن تقول : يد كيدي . تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا قوله « والإياس من ادرا كنهها وابتغاء تأويلها » يعني ان العقل قد يئس من تعرفه كنه الصفة وكيفيتها فإنه لا يعلم كيف الله الا الله ، وهذا معنى قول السلف ، [بلا كيف] أي بلا كيف يعقله البشر ، فإن من لا يعلم حقيقة ذاته وماهيته كيف يعرف كيفية نعوته وصفاته ؟ ولا يقدح ذلك في الايمان بها ومعرفة معانيها ، فالكيفية وراء ذلك ، كما انا نعرف معاني ما أخبر الله به من حقائق ما في اليوم الآخر ولا نعرف حقيقة كيفية مع قرب ما بين المخلوق والمخلوق ، فمعجزنا عن معرفة كيفية الخالق وصفاته أعظم وأعظم ، فكيف يطمع العقل المخلوق المحصور المحدود في معرفة كيفية من له الكمال كله والجمال كله والعلم كله والقدرة كلها والعظمة كلها والكبرياء كلها ، من لو كشف الحجاب عن وجهه لأحرقت سبحاته السموات والارض وما فيهما وما بينهما وما وراء ذلك ، الذي يقبض سمواته بيده فتضيق كما تضيق الخردلة في كف أحدنا ، الذي نسبة علوم الخلائق كلها الى علمه أقل من نسبة نقرة عصفور من بحار العالم ، الذي لو أن البحر يمد من بعده سبعة أبحر مداد ، وأشجار الارض من حين خلقت الى قيام الساعة أقلام ، قي المداد وفنيت الأقلام ولم تنفذ كلماته ، الذي لو أن الخلق من أول الدنيا الى آخرها إنسهم وجنهم وناطقهم وأعجمهم جعلوا صفا واحدا ما أحاطوا به سبحانه ، الذي يضع السموات على اصبع من أصابعه والارض على اصبع والجبال على اصبع والأشجار على اصبع ثم يهز من ثم يقول : أنا الملك . فقاتل الله الجهمية والمعتزلة ! أين التشبيه هاهنا وأين التمثيل ؟ لقد اضمحل هاهنا كل موجود سواء فضلا عن أن يكون له ما يماثله في ذلك الكمال ويشابهه فيه .

فسيحان من حجب عقول هؤلاء عن معرفته وولايها ما تولت من وقوفها مع الالفاظ التي لا حرمة لها والمعاني التي لاحقائق لها ، ولما فهمت هذه الطائفة من الصفات الالهية ما تفهمه من صفات المخلوقين فرت الى إنكار حقائقها وابتغاء تحريفها وسمته تأويلاً ، فشبهت أولاً وعطلت ثانياً ، وأساءت الظن بربها وبكتابه وبنبيه وبأتباعه ، أما إسائة الظن بالرب فانها عطلت صفات كماله ونسبته الى انه أنزل كتاباً مشتملاً على ما ظاهره كفر وباطل ، وان ظاهره وحقائمه غير مرادة ، وأما اسائة ظننا بالرسول فلانه تكلم بذلك وقرره وأكده ولم يبين للامة ان الحق في خلافه وتأويله ، وأما اسائة ظننا بأتباعه فنسبتهم لهم الى التشبيه والتمثيل والجهل والحشو ، وهم عند أتباعه أجهل من أن يكفروهم الا من عاند الرسول وقصد نفى ما جاء به . والتوم عندهم في خفارة جهلهم قد حجبت قلوبهم عن معرفة الله وإثبات حقائق أسمائه وأوصاف كماله (له بقية)

تقرير المطبوعات الجديدة*)

الخلق — مباحث علمية في النفس والعقل وقواها وكنه الاخلاق والموامل المغيرة لها وتأثير العقل والبيئة والوراثة فيها . وماهية الفضيلة وتنوع درجاتها في أدوار الحياة وأنواعها وحدودها ، والرذيلة ونشأتها وأقسامها ودرثها

تأليف حسن افندي فتوح بنظارة (وزارة) المعارف ، طبع بمطبعة الجهادية بمصر سنة ١٣٣٠ طبعاً نظيفاً على ورق متوسط بحرف بنط ٢٤ صفحاته ١٤٤ بالقطع الصغير وثمنه خمسة قروش ويطلب من مكتبة المنار بمصر

عظة الناشئين — كتاب أخلاق وآداب واجتماع . تأليف الشيخ مصطفى الغلايبي أستاذ اللغة العربية في المدرسة السلطانية في بيروت ، طبع بمطبعة الثبات في بيروت سنة ١٣٣٠ صفحاته ٦٦ بالقطع الصغير

ومن مباحثه : الاقدام — الصبر — الاخلاص — الشجاعة ، الشرف — الهجعة واليقظة ، الثورة الادبية ، الامة والحكومة ، الفرور ، التجدد — الدين ، المدنية ، الحرية — الزعامة والرئاسة — السعادة ، القيام بالواجب ، الثقة — التعاون — التعصب ، ورثاء الارض الخ

(*) عهدنا بتقرير المطبوعات الى شقيقنا السيد صالح مخلص رضا

كتاب الارشاد الى تربية العقل — تأليف الدكتور محمود علي السركي طبيب
مستشفى المنيا الاميري ، طبع سنة ١٩١٣ بمطبعة (الآداب الشرقية) بالمنيا على ورق
متوسط صفحاته ١٤٨ بالقطع الوسط وثمنه ١٢ قرشا

من مباحث هذا الكتاب : الفهم والمعرفة ، كيفية تحصيل الاعمال ، كيفية الملاحظة ،
كيفية الحكم ، كيفية الاحساس ، كيفية العمل ، الارادة ، كيف تكون علاقة الانسان
مع غيره ، كيف يجب أن يكون الانسان ، كيف يتجنب الضرر ، معنى الحياة

جمال الزوجة — تأليف الاستاذ الشيخ مهدي أحمد خايل . طبع بمطبعة الجمالية
بمصر سنة ١٣٣٣ صفحاته ١٥٢ بالقطع الصغير ثمنه $\frac{1}{3}$ ويطلب من مكتبة المنار بمصر
جدير بالطلبة والشبان والشابات مطالعة هذا الكتاب فانه من أفيد ما كتب في
هذا الموضوع ، وقد توخى كاتبه فيه استعمال المفردات العربية لحلل النساء وحلنهن
وغير ذلك وشرح هذه المفردات ، كما هو دأبه في تصانيفه التعليمية المفيدة
فصول الكتاب : نصائح للامهات ، ما يازم للمسولود المنتظر ، الاعتناء بصحة
الأولاد ، التسنين ، غذاء الطفل ، الارضاع المختلط ، الارضاع الصناعي ، تخفيف اللبن ،
غلي اللبن وتعقيمه ، الفطام ، الاعتناء بذي الام عند الفطام . وفي كل فصل من هذه
بيان وايضاح وشرح لا يستغنى عنه من يعلم ما يجب عليه لأولاده وأمه ونوعه

قبل الزواج وبعده — تأليف الدكتور ا . دنيسون لايت ، الانكليزي
وترجمه بالعربية محمد افندي عبد العزيز الصدر وطبع بالمطبعة الحميدية المصرية بمصر
طبعا نظيفا ، صفحاته ٧٠ بالقطع الصغير وثمنه $\frac{1}{3}$

مباحث هذا الكتاب : مستقبل الطفل ، متى أتزوج ، الميل الشهواني — فوائده
ومضاره ، التشريح الجنسي ، الولادة ، قانون الزوج ، قانون الزوجة . وفي الكتاب
جدول لاوقات إرضاع الطفل ومقدار كل رضعة من الماء واللبن من أول عمره الى
الشهر الثاني عشر فنحث الامهات والآباء على اقتنائه

تدبير حياة الرضيع الصحية من يوم ولادته الى يوم الفطام — تأليف الدكتور
نجيب افندي قناوي طبيب عيادة اللادي كرومر الاطفال بالاسكندرية . طبع بمطبعة

محمد الكازد بالاسكندرية سنة ١٣٢٩ طبعاً نظيفاً على ورق جيد وثمنه ثلاثة قروش، وهو من أنفع الكتب في هذا الباب

جرجي زيدان - كتاب فيه ترجمة حياة جرجي بك زيدان صاحب الهلال ومراثي الشعراء والكتاب وحفلات التأبين وأقوال الكتاب والمجلات والجرائد في الفقيده وآثاره ومكانته العلمية الادبية وفي الكتاب رسوم الفقيده شاباً وكهلاً طبع بمطبعة الهلال بمصر على ورق جيد سنة ١٩١٥ وصفحاته ١٤٧

تاريخ آداب اللغة العربية لزيدان - الجزء الرابع - طبع بمطبعة الهلال على ورق متوسط سنة ١٩١٤ صفحاته ٣٢٨ بقطع المنار وثمنه ٢٠ ويطلب من مكتبة الهلال ومكتبة المنار بمصر

هذا الجزء هو نعمة أجزاء الكتاب، وبه تمت حياة المؤلف المملوءة جداً ونشاطاً وعملاً

يشتمل هذا الجزء على تاريخ آداب اللغة العربية وعلومها وتراجم العلماء والادباء والشعراء ووصف مؤلفاتهم وأماكن وجودها، من عهد دخول الفرنسيين الى مصر سنة ١٢١٣ هـ الى هذه الايام، وقد قرظ المنار أجزاء هذا الكتاب الثلاثة ونشر انتقاد الاستاذ الاسكندري له، وأنصف مؤلفه فيما كتبه عن مؤلفاته

ألقى المصنف بهذا الجزء جدولاً استغرق ٦ صفحات في تصحيح الاغلاط التي استفادها من المتقدين على الاجزاء التي قبله، وذكر منهم الاب لويس شيخو والاب انستاس الكرمل والشيخ احمد عمر الاسكندري واحد آل كاشف الغطاء وعيسى افندي المعلوف. وهؤلاء نشرت انتقاداتهم في مجلات المشرق ولغة العرب والمنار والعرفان، وذكر من المتقدين الذين كاتبوه احمد بك تيمور. ولكنه لم يذكر الشيخ شبلي النعماني فانه كاتبه وكتب انتقاداً على تاريخ النمدن الاسلامي في المنار، غير انه كان في انتقاده شدة وغلاظة ضاق بها صدر جرجي بك زيدان على سمته

وفي هذا الجدول استدرأكت استفادها المؤلف من المطالعة وفي ذيله ترجمة حياته وذكر جميع مؤلفاته وفيه فهرس للاجزاء الاربعة

كتاب أصول علم الاقتصاد — تأليف الاستاذ ووكر الامريكي وتريب محمد حمدي بك السيد من قضاة المحاكم الاهلية يطبع بمطبعة المنار طبعا نظيفا على ورق جيد وقد صدر الجزء الاول منه في اواخر سنة ١٣٣٣ وصفحاته ٢٥٨ وثمنه ٢٠ قرشا وتلاميذ المدارس العليا ١٥ قرشا ويطلب من مكتبة المنار بمصر

ان الحالة المالية والاقتصادية بمصر جعلت الحاجة ماسة الى وجود كتب في علم الاقتصاد والى مدرسين يدرسونه في المدارس ولا سيما في هذه البلاد التي كثرت فيها الشركات الزراعية والتجارية والصناعية واتسعت دائرة الاعمال المالية . وان بلادا كالبلاد المصرية في حالتها المدنية وتغلغل الافرنج فيها واداراتهم للمصارف والشركات فيها لا يمكن أن يحفظ أهلها ثروتهم أو أرضهم فضلا عن أن ينموها الا اذا كثر فيهم العارفون بهذا العلم وبنوا أعمالهم المالية كلها على أصوله التي بنى عليها غيرهم ، فوجب على المصريين خاصة والعرب عامة تناول هذا الفن لان مصر اليوم هي أرقى بلاد العرب ثروة فاذا ارتقى هذا العلم فيها يكون ذلك مقدمة لارتقائه في غيرها

يظن كثير من الناس ان الاقتصاد كل الاقتصاد أن لا تنفق كثيرا ، أو ان تدخر من كسبك شيئا لوقت حاجتك ، وهذا وهم منشأه الجهل فان تناول علم الاقتصاد أوسع من ذلك واكبر من أن ينحصر بالتقير والتصديق على من وسع عليهم في الرزق وأقل ما يقال فيه انه علم يبحث في (ايجاد الثروة) وهذه الكلمة تتضمن معرفة طبيعة الارض واستعدادها وكيفية توزيع محصولاتها وتكون الصناعة وارتقاؤها وتأثير العوامل الطبيعية والسياسية والادارية والمركز السياسي في ذلك . ثم هو يبحث في (انماء الثروة) وما يلزم لذلك من تأثير الصناعة واتقانها وتصرف مديري المصانع وعمل الصناع ورأس المال والقيمة الاعتبارية للنقد أو ما يقوم مقامها والمبادلة والارباح والاقوات وقيمة الايجار والتوزيع والاشتراك ومعاملة الدول وتبادل بعضها مع بعض . ثم ما لا اعتصاب العمال وتأثير القوانين الادارية والسياسية في ذلك فالاقتصاد هو ما يوجد ثروة لامة والفرد وينميها أي أن تعلم كيفية كسب المال وكيفية انفاقه بما يعود عليك وعلى أمتك بالثراء ونعمة العيش

ولما أحس الناس بالحاجة الى هذا العلم في السنين الاخيرة كتب فيه بعض الكتابين مقالات في الجرائد والمجلات ، وترجم آخرون بعض المختصرات ، وكان آخر ما ارتقت العناية اليه أن انبرى محمد حمدي بك السيد القاضي بالمحاكم الاهلية الى ترجمة (أصول علم الاقتصاد السياسي) فأفرغ جهد المستطاع في نقله الى العربية مع ما يلزم لذلك من تعريب الاصطلاحات الفنية فأنتجته ترجمة وأنتم طبع الجزء الاول منها وقد أوشك أن يتم طبع الجزء الثاني . ومن مميزات هذا الكتاب ان المؤلف قد وفى المسائل حقها ، وأعطاه من الايضاح قسطها ، وأبرزها في لغة العرب بعبارة سهلة المتناول صحيحة التعبير واضحة المعنى غير متنعج ولا متعصر

كتاب دروس سنن الكائنات

في مدرسة دار الدعوة والارشاد

دروس علمية طبية اسلامية في الكيمياء والطبيعة والتشريح ووظائف الاعضاء وقانون الصحة وعلم الانسجة للدكتور محمد توفيق صدقي نشرتها مجلة المنار وطبعتها على نفقتها بمطبعها على ورق جيد وقد تم طبع الجزء الاول فبلغت صفحاته ١٨٦ بقطع المنار وثمنه ٥ قروش ويطلب من مكتبة المنار وادارته بمصر

الدكتور محمد توفيق صدقي بحانة منقب ، مؤلف محقق ، عرفه قراء المنار بآثاره من أول عهده بالكتابة العلمية لانه قلما كتب شيئاً في غير المنار . ودروسه هذه مبنية على البحث والاطلاع والتحقيق والجمع بين العلم والعمل فهي كتاب علمي طبي جدير بأن يدرس في المدارس العربية ولا سيما الدينية منها ، لانه يقرب هذه العلوم من ذهن التلميذ بعبارة عربية سليمة ، التزم فيها تعريب الاصطلاحات العلمية والتوفيق بين مسائل العلم المحققة ونصوص القرآن والحديث عند الحاجة الى ذلك ، لالأن المراد مزج العلم بالدين في التعليم كما يتوهم من يرى أن الفصل بينهما بتعليم كل منهما وحده أولى ، بل لان الغرض الاول من هذه الدروس أن يكون لرجال الدين الذين يعدون الارشاد والتعليم إمام صحيح بالعلوم التي يحتاجون اليها في التربية والارشاد من وجهين (أحدهما) تقوية الايمان بما ترشد اليه هذه العلوم من الآيات على

قدرة الله تعالى وعلمه وحكمته ورحمته ووحدانيته (وثانيهما) العلم بأن الانتفاع بها مطلوب شرعاً لا ممنوع كما يتوهمه الجاهلون . مثال هذا ان توقي ميكروبات الامراض والآفات التي تصيب الانسان والحيوان والنبات لا ينافي الايمان بالله ولا اشوكل عليه ولا مانع في كتب الدين من نفي العدوى الجاهلية ، فاذا لم يكن رجال الدين على بصيرة في ذلك لا يسهل عليهم القيام بوظيفة الارشاد الاسلامي الذي يجب أن يكون جامعاً بين حقوق الارواح والاجساد ، ومصالحتي المعاش والمعاد

الالفاظ الكتابية : لعبد الرحمن بن عيسى بن حماد الهمداني — هذا الكتاب غني عن التعريف والتقرير وهو أشهر من نار على علم ، وقد طبع مرات بأشكال مختلفة ، ولعل آخر طبعة طبعها هي هذه التي طبعها محمد امين ومحمود توفيق بمطبعة الجمالية بمصر سنة ١٣٢٩ على ورق أبيض بقطع رسالة التوحيد وجعلاً ثمنه أربعة قروش ويطلب منها ومن مكتبة النار بمصر

أبو الطيب المتنبي وما له وما عليه — رسالة مقتبسة من كتاب يثيمة الدهر الشهير تأليف أبي منصور الثعالبي ، طبعه علي عطية بمطبعة الجمالية بمصر على ورق ابيض صفحاته ١١٢ بقطع الاسلام والنصرانية وثنه $\frac{1}{4}$ ويطلب من مكتبة النار بمصر موضوع الرسالة ما قيل في شعر المتنبي انتقاداً وتقريظاً وهو ما كتبه الثعالبي ؛ اليثيمة عند الكلام على أبي الطيب وقال في آخره انه يصلح ان يكون كتاباً مستقلاً وهو القائل في المتنبي : إنه نادرة الفلك وواسطة عقد الدهر في صناعة الشعر .

ديوان عبد الرحمن شكري — طبع الجزء الثالث من هذا الديوان في مطبعة غرزوزي بالاسكندرية سنة ١٩١٥ فبلغت صفحاته ٢٤ فيها من القصائد والمقاطع ٥٥ ثمنه $\frac{1}{2}$ ويطلب من مكتبة النار بمصر

شعر عبد الرحمن شكري معروف لقراء العربية فهو يطرق أبواباً لم يطرقها غيره لانه يقول الشعر للشعر لا للسمر فاذا كان الكون في نظر الشاعر قصيدة — كما يقول شكري — فان قصائده أبيات من تلك القصيدة كما يعلم من عناوين هذا الجزء ومنها : الربيع والصبا ، بين الحقيقة ، الخيال ، الشعر والطبيعة ، سحر الربيع ، الحسن مرآة الطبيعة ، وغير ذلك ومن قصائده الاخلاقية قصيدة تحت عنوان « صوت النذير » تمثل غيرته وشاعريته

الملك

١٣١٥

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد
أوتي خبرا كثيرا وما يذكر إلا أولو الأبواب

فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه
أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الأبواب

قال عليه الصلاة والسلام: إن للإسلام صوي و مناراء كمنار الطريق

مصر ٣٠ ذي الحجة ١٣٣٣ — ١٥ المقرب (خ ٢) ١٢٩٤ هـ ش ٨ نوفمبر ١٩١٥

خلاصة سورة المائدة

انفردت هذه السورة بعدة مسائل في أصول الدين وفروعه وبتفصيل عدة أحكام اجملت في غيرها اجمالاً ، وأكثرها في بيان شؤون أهل الكتاب ومحاجتهم . ونحن نذكر قارئاً تفسيرنا بختصارها مراعين مناسبة بعض المسائل لبعض لا ترتيب ورودها في السورة ، وجعلنا ذلك على قسمين :

﴿ القسم الاول ماهو من قبيل الاصول والقواعد الاعتقادية أو العملية ﴾

(١) أهم الاصول التي انفردت بها السورة ، بيان إكمال الله تعالى للمؤمنين دينهم الذي ارتضى لهم بالقرآن ، وإتمام نعمته عليهم بالاسلام . (راجع ص ١٥٤ - ١٦٧ ج ٦) (*)

(٢) النهي عن سؤال النبي (ص) عن أشياء من شأنها أن تسوء المؤمنين اذا أبديت لهم لما فيها من زيادة التنكليف مثلاً (راجع ص ١٢٥ - ٢٠٩ ج ٧) وقد علم من الآيات التي نزلت في هاتين المسألتين المتلازمتين ان كل حكم ديني من اعتقاد أو عبادة أو حلال أو حرام لم يدل عليه النص دلالة صريحة ولم يعض به السنة العملية من عهد النبي (ص) فليس من الدين الذي هو حجة الله على كل من بلفتهم دعوة الرسول بحيث يطالبون به في الدنيا ويستثلون عنه في الآخرة ، كما فصلنا ذلك في تفسيرهما مع بيان الفرق بين الاحكام الدينية والدينية . وأما ما دل عليه الكتاب أو السنة دلالة غير صريحة - ومنه أكثر ما اختلف أئمة العلم في دلالته - فهو حجة على من فهم منه الحكم لا على كل أحد كما بيناه في تفسير آية تحريم الخمر (٣) بيان ان هذا الدين مبني على العلم اليقيني في الاعتقاد والهداية في الاخلاق والاعمال ، وان التقليد باطل لا يقبله الله تعالى ، كما هو صريح الآية ١٠٧ (راجع ص ٢٠٥ ج ٧) وتقدم مثلها في سورة البقرة

(٤) بيان ان أصول الدين الإلهي على السنة الرسل كلهم هي الايمان بالله

(*) الإشارة بحرف ج لأجزاء التفسير المطبوع على حديثه لا لأجزاء المنار

(المجلد الثامن عشر)

(٩٣)

(المنار: ج ١٠)

واليوم الآخر والعمل الصالح فمن اقامها كما أمرت الرسل من اية ملة — من ملل الرسل كاليهود والنصارى والصابئين — فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم في الآخرة ولا هم يحزنون (ص ٤٧٦ ج ٦) وتقدم مثل ذلك في سورة البقرة

(٥) وحدة الدين واختلاف شرائع الانبياء ومناهجهم فيه

(٦) هيمنة القرآن على الكتب الالهية (ص ٤١٠ ج ٦)

(٧) بيان عموم بعثة النبي (ص) وأمره بالتبليغ العام وكونه لا يكلف من حيث كونه رسولا الا التبليغ ، وان من حجج رسالته انه بين لأهل الكتاب كثيرا مما كانوا يخفون من كتبهم وهو قسمان (أحدهما) ما ضاع منه قبل بعثة النبي (ص) بناء على الاصل المبين في هذه السورة وهو أنهم نسوا حظا عظيما مما ذكرهم الله به بانزاله فيها (وثانيهما) ما كانوا يكتُمونه من الاحكام اتباعا لاهوائهم مع وجوده في الكتاب كحكم رجم الزاني ، وقد بينا كلا من القسمين في موضعه من هذه السورة. ولولا ان محمدا الامي مرسل من عند الله لما علم شيئا من هذا ولا ذاك

(٨) عصمة الرسول صلى الله عليه وسلم من الناس أن يضرّوه أو يقدروا على صده عن تبليغ رسالة ربه. وهذا من دلائل نبوته (ص) أيضا فكم حاولوا قتله فأعيامهم وأعجزهم (ص ٤٧٣ ج ٦)

(٩) بيان ان الله أوجب على المؤمنين اصلاح أنفسهم أفرادها وجماعتها ، وانه لا يضرهم من ضل من الناس اذا هم استقاموا على صراط الهداية ، أي لا يضرهم ضلاله في دنياهم لان الله تعالى لا يجعل له سبيلا عليهم ، ولا يضرهم في أمر دينهم وآخرتهم لأن الله تعالى لم يكلفهم إكراه الناس على الهدى والحق ، ولا ان يخلقوا لهم الهداية خلقا ، وانما كلفهم ان يكونوا مهتدين في أنفسهم باقامة دين الله تعالى في الاعمال الفردية والمصالح الاجتماعية ، ومنها الامر بالمعروف والنهي عن المنكر

(١٠) تأكيد وجوب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر بما بينه الله تعالى من لعن الذين كفروا من بني اسرائيل على لسان داود وعيسى بن مريم وتعليقه ذلك بأنهم كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه

(١١) نفي الحرج من دين الاسلام (ص ٢٥٨ و ٢٦٩ ج ٦)

(١٢) تحريم الغلو في الدين والتشدد فيه ولو بتحريم الطيبات وترك التمتع بها، وتحريم الخبائث والاعتداء والاسراف في الطيبات (ص ٤٨٨ ج ٦ و ١٧٦ - ٣٢٢ ج ٧)
(١٣) قاعدة إباحة الاضطرار للمحرّم لذاته فيما يضطر اليه كالطعام، ومنه أخذ

الفقهاء قولهم : الضرورات تبيح المحظورات (راجع ص ١٦٧ ج ٦)

(١٤) قاعدة التفاوت بين الخبيث والطيب وكونهما لا يستويان في الحكم كما انهما لا يستويان في أنفسهما وفيما يترتب عليهما . وهذا أصل عظيم من أصول التحليل والتحريم في الطعام وغيره يدل على تعليل الاحكام الشرعية بالحكم والمصالح، وعلى عدم استواء جزاء الخبيث والطيب من الناس عند الله عز وجل (ص ١٢٢ ج ٧)
وما كان تعليل الاحكام وبيان حكمتها وفائدتها الا لاجل توخيها - كاحكام الطهارة وتحريم الخمر والميسر وبعض الطعام واحكام الوصية والشهادة وإقسام الشهداء اليمين - وانك لتجد الذين يجهلون ذلك لاعراضهم عن حكم القرآن وأسرار السنة قد جعلوا أمر الوضوء والغسل تعبديا محضاً لا يستلزم النظافة فعلاً ولا قصداً، وزعموا ان تحريم الخمر تعبدى لا يدل على تحريم كل مسكر بناء على رأيهم ان الخمر ما كان من عصير العنب خاصة، فإلى القول في فهمهم لساائر الاحكام

(١٥) تحريم الاعتداء على قوم بسبب بغضهم وعداوتهم ، لانه يجب على المؤمنين أن يلتزموا الحق والعدل ولا يكونوا كأهل السياسة المدنية (ص ١٢٨ و ٢٧٤ ج ٦)

(١٦) وجوب الشهادة بالقسط والحكم بالعدل والمساواة بين غير المسلمين كالمسلمين ولو للاعداء على الاصدقاء وتأكد وجوب العدل فيها وفي سائر الاحكام والاعمال (ص ٢٧٦ و ٢٧٣ و ٣٩٤ و ٤١٢ و ٤٢٠ ج ٦)

(١٧) الامر المطلق العام في أول السورة بالوفاء بالعقود التي يتعاقد الناس عليها في جميع معاملاتهم الدنيوية من شخصية ومدنية ، وهذه قاعدة عظيمة من قواعد الشريعة الاسلامية ، وهي ان الله تعالى وكل أمر العقود التي يتعاملون بها الى عرفهم ومواضعاتهم لانها من مصالحهم التي تختلف باختلاف الاحوال ، فلم يقيدهم في احكامها وشروطها بقيود دائمة الا ما أوجبه الشرع مما لا يختلف باختلاف

الأحوال والعرف كتحریم أكل أموال الناس بالباطل كالربا والقمار ، فكل عقد يتعاقد عليه الناس لم يحل حراماً ولم يحرم حلالاً مما ثبت بالنص فهو جائز

(١٨) إيجاب التعاون على البر والتقوى ومنه تأليف الجماعات الخيرية والعلمية وتحريم التعاون على الإثم والعدوان

(١٩) بيان أن الله تعالى جعل الكعبة البيت الحرام قياماً للناس في أمر دينهم ودنياهم ، فهو جعل تكويني باعتبار شرعي باعتبار آخر ، وهو يدل على علمه الواسع ، المحيط بالاشياء والحكم والمصالح والمنافع

(٢٠) مسألة موالاة المؤمنين للكافرين وبيان أن من آيات النفاق ومرض القلب المسارعة في موالاتهم من دون المؤمنين خوفاً أن تدور الدائرة على المؤمنين فتكون لهم يد عند أعدائهم يستفيدون بها منهم (ص ٤٢٣ ج ٦)

(٢١) تفصيل أحكام الوضوء والغسل والتيمم مع بيان أن الله تعالى يريد أن يطهر الناس ويزكيهم بما شرعه لهم من أحكام الطهارة وغيرها ، وشمول الطهارة في آية الوضوء لطهارة الظاهر والباطن . وهذا يدل على أن أحكام الطهارة كلها معقولة المعنى كما أشرنا إليه في المسألة الرابعة عشرة ، فيجب أن يتحرى بأداء ما ورد به الشرع ما تتحقق به الحكمة منه ، ويدل على أن الوسوسة في الطهارة مذمومة مخالفة لنص الشرع ومقصده

(٢٢) تفصيل أحكام حلال الطعام وحرامه وما حرم منه لكونه خيثاً في ذاته كالميتة وما في معناها والخنزير وما حرم لسبب ديني كالذي يذبح للأصنام

(٢٣) تحريم الخمر وهو كل مسكر والميسر وهو الفمار ومنه ما يسمى في عرف الناس اليوم بالمضاربات

(٢٤) أحكام محرمات الأحرام

(٢٥) تفصيل أحكام الصيد للحل والحرم في أوائل السورة وأواخرها

(٢٦) حدود المحاربين الذين يفسدون في الأرض ، ويخرجون على أئمة العدل ،

وحد السرقة ، وما يتعلق بالحد كسقوطه بالتوبة بشرطه

(٢٧) أحكام الإيمان وكفارته وإيمان الأمناء والشهود

(٢٨) تأكيد أمر الوصية قبل الموت وأحكام الشهادة على الوصية وفي قضاياها وشهادة غير المسلم على المسلم ، والفرق بين الشهادة والاشهاد . وإنا بعد الاطالة في تفسير الآيات في الوصية والشهادة فيها لخصنا مسائلها في ١٥ مسألة

(٢٩) الامر بالتقوى في عدة آيات من هذه السورة تدخل في جمع الكثرة ، لان صلاح أمور الدنيا والدين يتوقف على التزامها ، وأما يرجى بشكرار الامر بها في كل سياق بحسبه

(٣٠) بيان تفويض أمر الجزاء في الآخرة الى الله تعالى وحده كما حكاه سبحانه من قول المسيح في ذلك اليوم مقرونا بتعليله ودليله ، وكون النافع في ذلك اليوم هو الصديق في الظاهر والباطن ، جعلنا الله من أهله

﴿ القسم الثاني ما ورد من الاخبار والحجاج والاحكام ﴾

(في شان أهل الكتاب)

من الآيات في هذا القسم ما نزل في شأن أهل الكتاب عامة ، ومنه ما هو في أحد الفريقين خاصة . فمن المشترك وصفهم بالغلو في دينهم المستلزم للتعصب الضار ، واتباعهم أهواء من ضل قلوبهم من الوثنيين وغيرهم ، وبالغرور في دينهم وزعمهم انهم أبناء الله وأحباؤه ، وبأنهم مع ذلك تقضوا ميثاق ربهم ، ونسوا حظا عظيما مما ذكرهم الله به على السنة أنبيائهم ، ولم يقيموا التوراة والانجيل كما أوجب الله عليهم ، وقد فند دعواهم أنهم أبناءه وأحباؤه بما يأتي ذكره قريبا وبين الله لهم حقيقة الامر وهي أنهم بشر ممن خلق الله ، لا مزية لهم على سائر البشر في انفسهم وذواتهم ، لان البشر انما يمتاز بعضهم على بعض بالعلوم الصحيحة والاخلاق الكريمة والاعمال الصالحة ، لا بالنسب والانتساب الى الانبياء والصالحين وان كانوا مخالفين لهم في هدايتهم وذكر من جزائهم على سوء أعمالهم في الدنيا إلقاء العداوة والبغضاء بينهم ، وأنه يعذبهم في الدنيا بذنوبهم الشخصية والقومية كغيرهم ، وان ذلك يدحض دعواهم أنهم أبناء الله وأحباؤه ، ودعاهم كافة الى الاسلام ، والايمان بخاتم الرسل عليه الصلاة والسلام ، الذي بين لهم حقيقة دينهم الذي كان عليه سلفهم ، ودحض ما زادوا فيه

بالبرهان، وبين بعض ما كانوا يخفون أو يجهلون منه أحسن بيان
ووصف التوراة والإنجيل أحسن وصف، وذكر من أخبار التوراة قصة ابني
آدم بالحق، ومن أحكامها عقوبات القتل واتلاف الاعضاء والجروح، ومن أخبار
الإنجيل والمسيح ما هو حجة على الفريقين، وبين أن الكتابين أنزلا نورا وهدى
للناس، وأنهم لو كانوا أقاموها لكانوا في أحسن حال، ولسارعوا إلى الإيمان بما
أنزله الله على خاتم رسله مصدقا لأصلهما، ومينا لما طرأ عليهما، ومكملا لدين
الأنبياء جميعا، على سنة الله في النشوء والارتقاء، التي هي أظهر في البشر منها في
سائر الأشياء، ولكنهم اتخذوا الإسلام هزوا ولعبا في جملة وفي صلاته، ووالوا عليه
المناصين له من أعدائه، فنهى الله المؤمنين عن موالاتهم لذلك

ومما جاء في اليهود خاصة نعيًا عليهم وبيانًا لسوء حالهم — أنهم تقضوا ميثاق الله
الذي أخذهم عليهم في كتابهم ونسوا حظا عظيما مما ذكروا به، وحرفوا الكلم عن
مواضعه، وتركوا الحكم بالتوراة وأخفوا بعض أحكامها، وحكموا الرسول ولم يرضوا
بحكمه الموافق لها، وإن من صفاتهم الغالبة عليهم قسوة القلب، والخيانة والمكر،
والكذب وقول الأثم، والمبالغة في سماع الكذب وأكل السحت، والسعي بالفساد في
الأرض، وفي إيقاد نار القتن والحرب، وأنهم كانوا يقتلون الأنبياء والرسل بغير حق،
وتمردوا على موسى إذ أمرهم بدخول الأرض المقدسة وقتال الجبارين فعاقبهم الله
بالتيه في الأرض، وأنهم كانوا أشد الناس عداوة للمؤمنين، حتى أنهم يوالون عليهم
المشركين، بسبب ما ورثوه من تلك الصفات عن الغابرين. وذكر أنه عاقبهم على
ذلك كله باللعن على السنة الرسل، وبالغضب والمسخ، وهذه الصفات التي غلبت
عليهم في زمن البعثة وقبله تثبتها تواريخهم وتواريخ غيرهم، ومن المعلوم أنها لم تكن
عاملة فيهم ولا شاملة لجميع أفرادهم، فقد أنصفهم الحكم العدل في هذه السورة وغيرها
بالحكم على الكثير منهم أو أكثرهم، ومنه قوله في هذه السورة (منهم أمة مقصدة
وكثير منهم ساء ما يعملون) وبيننا في الموضوع ما كان بعد النبي (ص) من مساعدة
اليهود للمسلمين في الشام والأندلس

ومما جاء في النصارى خاصة أنهم نسوا — كاليهود — حظا مما ذكروا به،

وأنهم قالوا ان الله هو المسيح بن مريم ، وقالوا ان الله ثالث ثلاثة ، ورد عليهم هذه العقيدة بالادلة العقلية ، وبرائة المسيح منها ومن منتحلها يوم القيامة ، وبين لهم حقيقة المسيح وانه عبد الله ورسوله وروح منه ، وما أيده به من الآيات ، وحال حواريه وتلاميذه في الايمان . وبين أنهم أقرب الناس مودة للمؤمنين ، (ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانا وأنهم لا يستكبرون) فليراجع تفسير ذلك في أول الجزء السابع

وجهة الآيات الواردة في أهل الكتاب تشهد لنفسها أنها من عند الله تعالى لا من عند محمد بن عبد الله العربي الأمي الذي لم يقرأ شيئاً من تلك الكتب ، على ان تلك الآيات ليست موافقة لها ولهم موافقة الناقل للمنقول عنه ، وإنما هي فوق ذلك تحكم لهم وعليهم وفيهم وفي كتبهم حكم المهيمن السميع العليم

أحكام السورة الخاصة بأهل الكتاب

لو كان هذا القرآن من وضع البشر لشرع معاملة أهل الكتاب الموصوفين بما ذكر — ولا سيما الذين ناصبوا الاسلام العداء عند ظهوره — بأشد الاحكام وأقساها . ولكنه تنزيل من حكيم حميد ، أمر في هذه السورة بمعاملتهم بالعدل ، والحكم بينهم بالقسط ، وحكم بحل مؤاكلتهم ، وتزوج نسائهم ، وقبول شهادتهم ، والعفو والصفح عنهم ، وهذه الاحكام التي شرعت هذه المعاملة الفضلى لهم نزلت بعد إظهار اليهود للنبي (ص) والمؤمنين متعدي العداء والغدر ، وبعد أن ناصبوه مع المشركين الحرب ، وهي تتضمن تأليف قلوبهم ، واكتساب مودتهم ، (راجع ص ١٩٥ ج ٦) وقد ختم الله تعالى السورة بذكر الجزاء في الآخرة بما يناسب أحكامها كلها ، كما بيناه في تفسير آخر آية منها .

روى أحمد والنسائي والخسائي وصححه والبيهقي في سننه ، وبعض رواة التفسير عن جابر بن نفيير قال : سمعته قد دخلت على عائشة فقالت لي يا جابر تقرأ المائدة ؟ فقلت نعم . فقالت أما انها آخر سورة نزلت فما وجدت فيها من حلال فاستحلوه ، وما وجدت فيها من حرام فحرموه ، وروى أحمد والترمذي وحسنه والحاكم وصححه والبيهقي في سننه عن عبد الله بن عمرو قال : آخر سورة نزلت سورة المائدة

والفتح . وقد تقدم في آخر تفسير سورة النساء بعض ما ورد في آخر ما نزل من القرآن من السور برمتها ومن الآيات ، وكان كل يزوي ما وصل اليه علمه ، والله أعلم

﴿ تم تفسير سورة المائدة ﴾

﴿ يقول محمد رشيد مؤلف هذا التفسير قد وفقني الله تعالى لإتمام تفسير هذه السورة في أوائل شهر ربيع الآخر سنة ١٣٣٤ وكنت بدأت بتفسيرها في مثل هذا الشهر من سنة ١٣٣١ وسبب هذا البطء انني أكتب التفسير لينشر في مجلة المنار فتارة أفسر في الجزء منه بضع آيات ، وتارة أفسر آية واحدة في عدة أجزاء . وقد يمر شهر أو أكثر ولا أكتب في التفسير شيئاً ، وأسأل الله تعالى ان يوفقني لإتمام هذا التفسير بمنع العوائق والمباركة في الوقت وان يؤيدني فيه بروح من عنده ﴾

مكان الاسباب من الدين

﴿ فصل من مدارج السالكين في رد ما قاله صاحب المنازل في باب التلبيس ﴾
قد عرفت ان هذا الباب مبناه على محو الاسباب وعدم الالتفات اليها والوقوف معها ، ولهذا سعى المصنف نصبها تلبيساً ، ونحن نقول : ان الدين هو إثبات الاسباب والوقوف معها والنظر اليها والالتفات اليها ، وانه لا دين الا بذلك كما لا حقيقة الا به ، فالحقيقة والشرعية مبناهما على اثباتها لا على محوها ، ولانكر الوقوف معها فان الوقوف معها فرض على كل مسلم لا يتم اسلامه وإيمانه الا بذلك ، والله تعالى أمرنا بالوقوف معها بمعنى انا نثبت الحكم اذا وجدت وتنفيه اذا عدمت ، ونستدل بها على حكمه الكوني ، فوقوفنا معها بهذا الاعتبار هو مقتضى الحقيقة والشرعية ، وهل يمكن حيوانا ان يعيش في هذه الدنيا الا بوقوفه مع الاسباب ؟ فينتجع مساقط غيثها وموقع قطرها ، ويرعى في خصبها دون جديها ، ويسالمها ولا يحاربها ، فكيف وتنفسه في الهواء بها وتحركه بها وسمعه وبصره بها وغذاؤه بها ودواؤه بها وهداه بها وسعادته وفلاحه بها ، وضلاله وشقاؤه بالاعراض عنها وإغائها ، فأسعد الناس في

الدارين أقومهم بالاسباب الموصلة الى مصالحهما ، وأشقاهم في الدارين أشدهم تعظيلا
 لاسبابهما ، فالاسباب محل الامر والنهي والثواب والعقاب والنجاح والخسران ،
 وبالاسباب عرف الله ، وبها عبد الله ، وبها اطيع الله ، وبها تقرب اليه المتقربون ،
 وبها نال أولياؤه رضاه وجواره في جنته ، وبها نصرُوا حزبه ودينه ، وأقاموا دعوته ،
 وبها أرسل رسله وشرع شرائعه ، وبها انقسم الناس الى سعيد وشقي ، ومهتد وغوي ،
 فالوقوف معها والالتفات اليها والنظر اليها هو الواجب شرعا كما هو الواقع قدرا ،
 ولا تكن ممن غاظ حمجابه وكشف طبعه فيقول : لا تقف معها وقوف من يعتقد انها
 مستقلة بالاحداث والتأثير وانها أرباب من دون الله . فان وجدت أحدا يزعم ذلك
 أويظن انها أرباب وإله مع الله مستقلة بالابجاد ، أو انها عون لله يحتاج في فعله اليها ،
 أو انها شركاء له فشأنك به ، فزق أديمه وتقرب الى الله بعداوته ما استطعت ،
 والافما هذا النفي لما أثبتته الله ! والالغاء لما اعتبره ! والاهدار لما حققه ! والخط
 والوضع لما نصبه ! والمحو لما كتبه ! والعزل لما ولاه ! فان زعمت انك تعزها عن رتبة
 الإلهية فسبحان الله ! من ولاها هذه الرتبة حتى تجعل سميك في عزها عنها
 ويالله ما أجهل كثيراً من أهل الكلام والتصوف حيث لم يكن عندهم تحقيق
 التوحيد الا إلقاءها ومحوها واهدارها بالكلية ، وانه لم يجعل الله في المخلوقات قوى
 ولا طبائع ولا غرائز لها تأثير موجبة ما ، ولا في النار حرارة ولا احراق ، ولا في
 الدواء قوة مذهبة للداء ، ولا في الخبز قوة مشبعة ، ولا في الماء قوة مروية ، ولا في
 العين قوة باصرة ، ولا في الانف قوة شامة ، ولا في السم قوة قاتلة ، ولا في الحديد قوة
 قاطعة ؟ وان الله لم يفعل شيئا بشي ، ولا فعل شيئا لاجل شي ، فهذا غاية توحيدهم
 الذي يحومون حوله ويبالغون في تقريره ، فلعمري لقد أضحكوا عليهم العقلاء ،
 وأشمتوا بهم الأعداء ، ونهجوا لأعداء الرسل طريق اساءة الظن بهم ، وجنوا على
 الاسلام والقرآن أعظم جناية ، وقالوا نحن أنصار الله ورسوله الموكلون بكسر أعداء
 الاسلام وأعداء الرسل ، ولعمري الله لقد كسروا الدين وسلطوا عليه المبطلين . وقد
 قيل « إياك ومصاحبة الجاهل فانه يريد ان ينفعك فيضرك » قف مع الاسباب
 حيث أمرت بالوقوف معها ، وفارقها حيث أمرت بمفارقتها ، كما فارقها الخليل وهو في

(المنار : ج ١٠) (٩٤) (المجلد الثامن عشر)

تلك السفرة من المتجنيق (الى النار) حيث عرض له جبريل أقوى الاسباب، فقال: ألك حاجة؟ فقال: أما إليك فلا. ودُر معها حيث دارت ناظرا الى من أزمته يديه، والتفت اليها التفتات العبد المأمور الى تنفيذ ما أمر به والتعديق نحوه، وأرعها حق رعايتها، ولا تغب عنها ولا تفن عنها، بل انظر اليها وهي في رتبها التي أنزلها الله إياها، واعلم ان غيبتك بمسبها عنها نقص في عبوديتك، بل الكمال ان تشهد المعبود وتشهد قيامك بعبوديته وتشهد ان قيامك به لا بك ومنه لا منك وبحوله وقوته لا بحوالك وقوتك، ومتى خرجت عن ذلك وقعت في انحرافين لا بد لك من أحدهما: إما أن تغيب بها عن المقصود لذاته لضعف نظرك وغفلتك وقصور علمك وعرفتك، وإما أن تغيب بالمقصود عنها بحيث لا تلتفت اليها، والكمال أن يسلمك الله من الانحرافين فتبقى عبدا ملاحظا للعبودية ناظرا الى المعبود، والله المستعان وعليه التكلان، ولا حول ولا قوة الا بالله

حرب أمم المدنية لا الملل الدينية

تسمي الجرائد العربية والاوربية هذه الحرب المشتعلة في أوربة حرب الامم، ولا نرى لها مخالفا في صحة هذه التسمية، فقد أجمع الناس على ان جميع الامم الاوربية المتحاربة موافقة لدولها على الاستمرار على هذه الحرب الى أن يقضى آخر رجل يقدر على استعمال السلاح فيها، وينفق آخر دينار في صناديقها، أو تقهر عدوها قهرا يخضع به لحكمها، ويدعن صاغرا لشروط الصلح التي تضعها حكومتها، وينقلون لنا ان النساء موافقات للرجال في هذا الامر، وان القسيسين والرهبان والاشتراكيين أيضا متفقون فيه مع رجال الحرب، الا ما تنقله الجرائد آنا بعد أن عن بعض النساء والاشتراكيين في ألمانيا من الرغبة في عقد الصلح كراهة للحرب وأطيظا من أوزارها، وأننا من أهوالها وسوء آثارها، ولعل هذا من قبيل ما كانت تنقله في أول الحرب من كراهة الشعب الألماني كله لها ورغبته عنها، وكون عاهله هو الذي ساقه اليها سوقا، بل دعه اليها دعا، وكنا أول من خالفهم في ذلك على أن المعقول الذي لا يعقل غيره هو أنه يوجد في كل أمة محاربة كثير حتى

من أهل الرأي يكرهون الحرب لذاتها ويتمنون الصلح على علاته، والمقول أن يكون أكثر هؤلاء الناس من أفراد الحكماء الراسخين، ومن النساء والاشتراكيين، ومن المتدينين الذين يفهمون أن الديانة المسيحية ديانة سلم وتواضع وزهد في المال والجاه والرياسة والملك—وما أكثر المتدينين اليها على هذا الفهم—فحيث يكثر هؤلاء يكثر الميل إلى الصلح، والجنوح إلى السلم، وإن لم تكن الجرائد بنقل أخبار هؤلاء في بلادها وبلاد أحلافها، لتلا يغتر أعداؤها ويظنون أن أممهم غير متفكة على تأييد حكوماتها، وهي إنما تنقل عن شعوب أعدائها الميل إلى الصلح في سياق ذمها بالعجز والضعف، لا في سياق مدحها بكرهه القسوة والوحشية والافساد في الأرض، واستقباح الطمع المفضي إلى إهلاك الحرث والنسل، ولذلك كانت تقول في أول الحرب أن الشعوب الجرمانية كارهة له مكرهة عليه، ويوشك أن تخرج على حكومتها وتثور عليها، ثم رجعوا عن ذلك ووصفوها بضده، فالجرائد السياسية لا تكتب إلا ما يملئها الهوى، فهي تابعة لمهابة أهوائه تميل معها كيفما أمالتها

إلا أنها صادقة في قولها أن السواد الأعظم من الأمم الأوربية مؤيد لدولها بما لها ورجاها واجتماعها على الاستمرار في الحرب، إلى أن تنال ما ترجو من النصر، وتكون كامتها هي العليا، وكلمة أعدائها هي السفلى، فإن من يوجد في كل منها من محبي السلم يباعث الدين أو حب الإنسانية والميل إلى التواضع والقناعة مغلوبون على أمرهم، ووجودهم لا ينافي ما أجمع عليه الكتاب من أن هذه الحرب هي حرب الأمم لا الدول، فإن العبرة بالغالب والنادر لا حكم له، وقد جرت عادة الناس أن يطلقوا على جملة الأمة ما فشا فيها وثبت لاكثرها من الأعمال، أو اتصفت به من الصفات والأخلاق، ولن تستطيع دولة من دول أوربة الاستمرار على الحرب إذا كان الرأي الغالب في الأمة لا يؤيدها، إلا أن تكون الدولة الروسية التي ليس لأمتها رأي غالب ومن أعجب ما نقل البنا عن الحكومة الانكليزية—ويحسن عده في هذا المقام من فضائلها التي تجري فيها على عرق—أنها حكمت أخيرا بوجوب التجنيد الإجباري على المزاب إلا من يرى ذلك مخالفا لوجدانه واعتقاده، وقد سبق لسلفها مثل ذلك في قانون وجوب التلقيح للوقاية من الجدري، وهذه الفضيلة مما امتاز به الانكليز

على غيرهم، وهم موافقون فيه لقاعدة من قواعد الاسلام تركهاحكام المسلمين منذ قرون
ان ما أجمع عليه الناس من تسمية هذه الحرب بحرب الامم قد استثنوا منه
الامة العثمانية بالنقل، كما استثنينا منه بعض الافراد من كل أمة بحكم العقل، فقد
نقلت الينا بلاغات دول الحلفاء الرسمية، والبرقيات العامة والجرائد الغربية والشرقية،
أن الشعب العثماني كاره لهذه الحرب، بل قالوا مرارا ان السلطان وولي عهده وسائر
أهل بيته واكثر رجال دولته كانوا معارضين فيها، وما زالوا كارهين لها، بل قالوا
أيضا ان بعض زعماء جمعية الاتحاد والترقي كانوا وما زالوا كذلك، وان
السبب المباشر لا يذان دول الاحلاف الدولة بالحرب — وهو اعتداء البارجتين
الالمانيتين (غوبن وبرسلو) على نفوذ روسية — لم يكن باذن من السلطان ولا الصدر
الاعظم، بل لم يعلما به الا بعد وقوعه، وقد وعدا سفراء دول الاحلاف بعدم المود
الى مثله، وان أنور باشا ناظر الحرية هو الذي اتفق مع ألمانية على ضم الدولة اليها
في هذه الحرب، فغلب نفوذه على نفوذ غيره من زعماء جمعيته بمساعدة الالمان، الذين
كان قد وُكل اليهم أمر اصلاح الجيش العثماني بعد حرب البلقان. ولا تزال الجرائد تتخوّلنا
بأنخبار كراهة العثمانيين لهذه الحرب في عاصمة الدولة وولاياتها، وما ياتمرون به
لاسقاط الحكومة الاتحادية وانشاء حكومة جديدة تصالح الاحلاف وتتفق معهم،
وبسمي صباح الدين أفندي ابن أخت السلطان الى ذلك واتفاق حزبه أخيرا مع
حزب المشير شريف باشا وبعض رجال حزب الحرية والائتلاف على ذلك
أنا لم أصدق كل ما نشرته الجرائد في هذا الموضوع وان كان بعضه رسميا، ولا
أكذبه كله وان كان سنده ضعيفا واهيا، واعتقد ان أهل الحل والعقد من زعماء جمعية
الاتحاد والترقي كانوا وما زالوا متفقين مع الالمان، وان السواد الاعظم من العثمانيين كاره
لهذه الحرب في كل مكان، فهي حرب الدولة التي يتولى ادارتها الاتحاديون، لا حرب
الامة العثمانية وان أقرها المبعوثون، فان المبعوثين في هذا العهد لا يمثلون الشعوب العثمانية
ولا يمعبرون عن رأيها، بل أكثرهم ألسنة لجمعية الاتحاد والترقي ومظهر لارادتها
اذا تمهد هذا فاعلم أيها القارئ أنني لم أقصد به المدح أو الذم للامم المتفقة على
الحرب أو المختلفة فيها، ولا التخطيط أو التصويب لموقدي نارها، وإنما أريد ان أثبت

إنها حرب المدنية الاوربية الحديثة ، لا حرب دينية ولا مذهبية ، وهذه المدنية مادية لا روحية ، دنيوية لا دينية ، وغاية اصحابها ومقصدهم منها هو التمتع بالشهوات البدنية ، والعلو والعظمة في الارض ، والتكاثر في الاموال وضروب الزينة ، فهي لا تتفق مع شرعة المسيح (عليه السلام) في ورد ولا صدر ، ولا تسير في منهاجه في مبدأ ولا غاية ، ولو كان روح المسيحية الحق له سلطان غالب في أوربة لما وقعت هذه الحرب البتة ، كلا ان روح المسيحية مغلوب على أمره لسلطان المدنية المادية ، فموقدو نار الحرب إما من خلص الماديين ، وإما من متبعي أهوائهم في فهم الدين ، ولكن أهوال الحرب قد أيقظت في جمهور كل أمة منهم شعور الدين ، وكثرفيهم من يصلون ويدعون الله ان ينصرهم على أعدائهم ، كما هو شأن البشر في حال الكروب والخطوب (فاذا غشيهم موج كالظلل دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجاهم الى البر ذاهم يشركون فاذا مس الانسان الضر دعانا لجنبه أو قاعدا أو قائما ، فلما كشفنا عنه ضره مر كأن لم يدعنا الى ضره ، كذلك زين للمسرفين ما كانوا يعملون) فهل يعتبر بهذه الحرب أولئك الحادعون المخذوعون الذين كانوا يعيرون الاديان ، بزعمهم أنها مثار البغي والعدوان ، ومسر نيران الحرب بين الانسان وأخيه الانسان ، وانه لولاها لآخت المدنية بين الناس ، وجمعت بين ما تفرق من الاجناس ؟ كلا إن الحياة المدنية هي التي تولد في النفوس المطامع التي لا حد لها ، وتقرن التنافس بالحماس ، وتسوق الحسد الى البغي والتقاتل ، وان الدين ينهي عن ذلك كله ، ولكن الناس كثيرا ما يخطئون في فهمه ، وكثيرا ما يعتمدون تحريف كلمه عن مواضعه ، فهم يسيئون استعماله كما يسيئون استعمال الحواس والعقل وغير ذلك من نعم الله تعالى ، فمن مقاصد الدين إزالة الخلاف من بين الناس فالتخذه سببا من أسباب الخلاف (وما اختلف فيه الا الذين أوتوه من بعد لما جاءهم العلم بغيا بينهم) فالحرب سنة من سنن الاجتماع قد يخفف الدين شرورها بقدر ارتقائه واستمسك أهله به كما يناله في مقالة نشرناها في الجزء الثالث عنوانها (حرب المدنية الاوربية ، والمقارنة بينها وبين المدنية الاسلامية والفتوحات العربية)

وليس المدنية المادية مثل هذا التأثير في نفسها ، فان وجد في أمم المدنية من

يقبح الحرب أو يقبح ارتكاب القسوة فيها غيره على العمران ومحافظة على حقوق البشر غير مهتد في ذلك بتربية الدين ولا متأثر بفضائله فهو لا يكون الا كالتاجر الخوان لا يحجم عن صفقة الا خوفا من الخسارة، فتى غلب على ظنه انه يربح فيها لا ييالي ما يفعل . اللهم الا الافراد من الحكماء ، الذين رجح العقل والفضيلة في نفوسهم على الاهواء ، كالفيلسوف هربرت سبنسر الانكليزي الذي اهدى اليه اهل الألمان وساما علميا فلم يقبله منه لانه قيصر حرب وهو عدو للحرب ، وإياك ان تظن في هذا الحكيم الكبير انه كان يبغض الالمان بفضاسيا لمناظرتهم لقومه فلبس عليهم وعلى الناس بما ادعاه من سبب رفض الوسام ، فكان ذلك من الرياء الفرنسي الذي يغمز به الانكليز منتقدوهم كما صرحوا به في هذه الايام (١) ، فان هذا الحكيم الكبير قد نصح لليابانيين بأن لا يولوا قومه الانكليز شيئا من شؤون بلادهم ، لان ذلك يكون ذريعة لعبثهم باستقلالهم ، فأي استقلال في الرأي وإخلاص في النصيح أدل على الحكمة والفضيلة من هذا ؟

على ان هذا الفيلسوف لم يكن ماديا بل كان يشكو من انتصار المطامع المادية في البلاد الاوربية — حتى في بلاده — على الفضيلة كما حدثنا عنه شيخنا الاستاذ الامام . وانا نذكر في هذا المقام بعض ما دار بين حكيمي الشرق والغرب في زيارة الاول للثاني بداره في ١٠ اغسطس سنة ١٩٠٣ : بدأ المزور الزائر بسؤاله عما رأى من تغير الافكار في انكلترا وعما دخل الشرق من الافكار الاوربية ، وشكا اليه من سرعان الافكار المادية الى قومه وما يخشى من إضعافها للفضيلة ، ثم دار بينهما ما يأتي قال الفيلسوف : الحق عند أوربة للقوة . قال الاستاذ الامام : هكذا يعتقد الشرقيون ، ومظاهر القوة هي التي حملت الشرقيين على تقليد الاوربيين فيما لا يفيد من غير تدقيق في معرفة منافعها . قال الفيلسوف : محي الحق بالمرّة من عقول أهل أوربة وسترى الامم يختبط بعضها ببعض لينبئ من هو الاقوى فيكون سلطان العالم .

(١) من الشواهد على هذا ما في مقالة (آراء الاميركيين في الحرب) المنشورة في جزء يناير سنة ١٩١٥ من المقتطف ، وأوضح منه مقالة لكاتب قصصي انكليزي كتبها لصديق له فرنسي ونشرت في المقطم

قال الاستاذ: عندي أمل ان هم الفلاسفة واجتهادهم في تقرير مبادئ الحق يحول دون ذلك. فقال الفيلسوف كلاما يدل على يأسه من ذلك. وقد كتب الاستاذ في مذكرته بعد الإشارة الى هذه المذاكرة مانصه:

« ماذا حركت مني كلمة الفيلسوف « الحق للقوة » الخ؟ جاءت منه مصحوبة بشعاع الدليل فأثارت حرارة وهاجت فكرا، لوجأت من ثرائر غيره كانت تأتي مقتولة ببرد التقليد، فكأنت (تكون) جيفة تعافها النفس فلا تحرك الا شهواتا وغشيانا » هؤلاء الفلاسفة والعلماء الذين اكتشفوا كثيرا مما يفيد في راحة الانسان وتوفير راحته وتغزير نعمته (أعجزهم) ان يكتشفوا طبيعة الانسان ويعرضوها على الانسان حتى يعرفها فيعود اليها ، هؤلاء الذين صقلوا المعادن حتى كان من الحديد اللامع المضيء ، افلا ييسر لهم ان يجلوا ذلك الصدا الذي غشي الفطرة الانسانية و بصقلوا تلك النفوس حتى يعود لها لمعانها الروحاني ؟ حار الفيلسوف في حال أوربا وأظهر عجزه مع قوة العلم فأين الدواء؟ الرجوع الى الدين الخ الدين هو الذي كشف الطبيعة الانسانية وعرفها الى أربابها في كل زمان لكنهم يعودون فيجهلون ما هم الظاهر ان الاستاذ كان يريد ان يتوسع في هذا الموضوع كما يشير الى ذلك قوله في مذكرته « الخ » ولعله كان ينتظر فرصة مناسبة للمقام سواء كانت عملية كهذه الحرب أو قولية كقال ينشر في الصحف في تفضيل المدنية المادية على المدنية الدينية فيكتب مقالا يبين فيه الحق ويزيل فيه الالتباس مؤيدا بالحكمة الصحيحة وشواهد التاريخ ، وقد بينا شيئا من المقابلة بينها وبين المدنية الاسلامية في المقالة التي أشرنا اليها آنفا ان أصحاب النظر والاستقلال من هؤلاء المشاق للمدنية المادية — وقليل ما هم — كانوا يغرقون في حسن الظن بالمدنية المادية وبأهلها إغراقا بعثهم على الجزم بأن فكرة الحرب قد قضي عليها في أوربة قضاء مبرما فلن توقد لها هنالك نار، وكانوا يقولون: ان وجد من الملوك والرؤساء من يسعى لها سعيها، ويحاول ان يقدح لها زندهاء، فان شعبه هو الذي يضرب على يده ، ويفت في عضده ، وقد كنا نخالف هؤلاء في الرأي ، ومنهم من هو أعلم منا بحال القوم ، ولكن رأيهم في ذلك خالف رأي من هو أعلم منا ومنهم بحال أوربة وفلسفتها . الا وهو شيخ فلاسفتها الاكبر، هربرت سبنسر

كان أولئك المحسنون للظن ، من ذوي الاستقلال في الرأي ، لا ينكرون كالمقلدين سيئات هذه المدنية المادية ، ولكنهم يقولون إنها اذا قيست بسيئات المدنية الدينية كانت أقل منها وأخف ضررا ، ونحن نخالفهم في هذا أيضا ، ونقول ما كل سيئات المدنية القديمة صادرة عن الدين والفلسفة الروحية ، وما كل حسنات المدنية الحديثة صادرة عن الاتحاد والفلسفة المادية . ولا تضاد بين العلوم والأعمال المادية ، وبين العقائد والأعمال الدينية ، وإنما نعني بالمدنية المادية المذمومة ما كان مبنيا على جهود حياة بعد هذه الحياة الدنيا ، وحصر غمرات أعمال البشر في التمتع بالذات الدنيوية من طعام وشراب وفرش وزينة ورياسة — ونعني بالمدنية الدينية ما كان مبنيا على أن للإنسان حياتين يجب عليه أن يأخذ حظه من أولاهما الدنيا بالمعروف ويستعد فيها للآخرى بالعمل الصالح ، على حد قوله تعالى (وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا واحسن كما احسن الله اليك ولا تبغ الفساد في الارض ان الله لا يحب المفسدين) فان أصول الدين التي دعا اليها الرسل هي الثلاثة المنصوصة في قوله تعالى (ان الذين آمنوا والذين هادوا والصابئين من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا فهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون) من البديهي ان من لم يكن له حظ من وجوده الا التمتع بالذات الدنيا وزيته لا يكون له هم من حياته الا تحصيل المال والجاه الموصل اليها بحق أو بغير حق ، وان الحق يكون عنده تابعا للقوة دون العكس ، فان وجد في أهل هذه المدنية المادية من يعترف بحق لضعيف فانما يعترف به لمنفعة براعيها ، أو لمفسدة يقيمها ، ولو تنازع أقوياء هؤلاء على الضعفاء لما سلم ضعيف من الايذاء ، وقد كان من المصالح جعل بعض الدول الصغيرة في أوربة حازما بين الكبيرة المتعادية منها ، وتعاهدوا على ان تكون حرما آمنا لا يجنى عليها ، ولكنهم لم يرعوا هذه العهود ولا غيرها عند حاجتهم الى تقضها في هذه الحرب ، والدين لا يبيح ذلك . قال تعالى في العهود بين المسلمين والمشركين (الا الذين عاهدتم من المشركين ثم لم ينقصوكم شيئا ولم يظاهروا عليكم أحدا فأتموا اليهم عهدهم الى مدتهم ان الله يحب المتقين) وقال في المؤمنين الذين لم يهاجروا الى النبي (ص) (وان استنصروكم في الدين فعليكم النصر الا على قوم بينكم وبينهم ميثاق والله بما تعملون بصير)

الألقاب

بحث لغوي تاريخي في الألقاب الرسمية وغير الرسمية

منقول من الفصل الثاني من الباب الأول من المقالة الثالثة من الجزء الخامس من كتاب صبح الاعشى للكلام فيه طرفان - قال :

الطرف الأول في أصول الألقاب وفيه جملتان

(الجملة الأولى في معنى اللقب والنعمة ، وما يجوز منه ويمتنع)

أما اللقب فأصله في اللغة النبز - بفتح الباء ، قال ابن حاجب النعمان في « ذخيرة الكتاب » : والنبز ما يخاطب به الرجل الرجل من ذكر عيوبه وما ستره عنده أحب إليه من كشفه ، وليس من باب الشتم والقذف

وأما النعت فأصله في اللغة الصفة . يقال : نعته ينعته نعتا إذا وصفه . قال في « ذخيرة الكتاب » : وهو متفق على أنه ما يختاره الرجل ويؤثره ويزيد في اجلاله ونباهته ، بخلاف اللقب . قال : لكن العامة استعملت اللقب في موضع النعت الحسن ، وأوقعوه موقعه لكثرة استعمالهم إياه ، حتى وقع الاتفاق والاصطلاح على استعماله في التشريف والاجلال والتعظيم والزيادة في النباهة والتكرمة

قلت : والتحقيق في ذلك أن اللقب والنعمة يستعملان في المدح والذم جميعا فمن الألقاب والنعوت ما هو صفة مدح ومنها ما هو صفة ذم . وقد عرفت النحاة اللقب بأنه ما أدى الى مدح أو ذم ، فالمودي الى المدح كأمر المؤمنين ، وزين العابدين ؛ والمؤدي الى الذم كألف الناقة وسعيد كرز وما أشبه ذلك ؛ والنعمة تارة يكون صفة مدح ، وتارة يكون صفة ذم ، ولا شك أن المراد ههنا من اللقب والنعمة ما أدى الى المدح دون الذم . وقد اصطلاح الكتاب على أن سموا صفات المدح التي يوردونها في صدور المكاتبات ونحوها بصيغة الافراد كالأمير والأميري

والاجل والاجلي والكبير والكيري ونحو ذلك ألقابا . وصفات المدح التي يوردونها على صورة التركيب ، كسيف أمير المؤمنين وظهير الملوك والساطين ، ونحو ذلك نعوتا . ولا معنى لتخصيص كل واحد منهما بالاسم الذي سموه به الا مجرد الاصطلاح ، ولا نزاع في اطلاق اللقب والنعته عليهما باعتبارين : فمن حيث انها صفات مؤدية الى المدح يطلق عليها اسم اللقب ، ومن حيث انها صفات لذوات قائمة بها يطلق عليها اسم النعت

وأما ما يجوز من ذلك ويمتنع ، فالجائز منه ما أدى الى المدح مما يحبه صاحبه ويؤثره ، بل ربما استحب ، كما صرح به النووي في «الاذكار» للاطباق على استعماله قديما وحديثا . والممتنع منه ما أدى الى الذم والنقيصة مما يكرهه الانسان ولا يجب نسبته اليه ، قال النووي : وهو حرام بالاتفاق ، سواء كان صفة له ، كالاعمش ، والاجلح ، والاعمى ، والاحول ، والابرص ، والاشج ، والاصفر ، والاحدب ، والاصم ، والازرق ، والاشتر ، والاثرم ، والاقطع ، والزمن ، والمقعد ، والاشل ، وما أشبه ذلك ، أو كان صفة لأبيه : كابن الاعمى ، أو لأمه : كابن الصوراء ونحو ذلك مما يكرهه قال تعالى (ولا تباذروا بالألقاب بئس الاسم الفسوق بعد الايمان) قال : واففقوا على جواز ذكره بذلك على جهة التعريف لمن لا يعرفه الا بذلك ، ودلائل ذكره كثيرة مشهورة ، وهو أحد المواضع التي تجوز فيها الغيبة

الجملة الثانية في أصل وضع الألقاب والنعوت المؤدية الى المدح

واعلم أن القاب المدح ونعوته لم تزل واقعة على أشرف الناس وجلة الخلق في القديم والحديث ، فقد ثبت تلقيب ابراهيم عليه السلام بـ«الخليل» وتلقيب موسى عليه السلام بـ«الكليم» وتلقيب عيسى عليه السلام بـ«المسيح» وتلقيب يونس عليه السلام بـ«ذي النون» وكان النبي صلى الله عليه وسلم يلقب قبل البعثة بـ«الامين» ووردت التواريخ بذكر ألقاب جماعة من العرب في الجاهلية : كذي يزن ، وذو المنار ، وذو نواس ، وذو رعين ، وذو جدين ، وغيرهم مما هو مشهور شائع .

وكذلك وقعت ألقاب المدح على كثير من عظماء الإسلام واشرافه كالصحابة رضوان الله عليهم فمن بعدهم من الخلفاء والوزراء وغيرهم ؛ فكان لقب أبي بكر « عتيقا » ثم لقب بـ « الصديق » بعد ذلك ، ولقب عمر « الفاروق » ولقب عثمان « ذا النورين » ولقب علي « حيدرة » ولقب حمزة بن عبد المطلب « أسد الله » ولقب خالد بن الوليد « سيف الله » ولقب عمرو^(١) بن عمرو « ذا الدين » ولقب مالك بن النسيان الانصاري « ذا السيفين » ولقب خزيمية بن ثابت الانصاري « ذا الشهادتين » ولقب جعفر بن أبي طالب بعد استشهاده « ذا الجناحين »

وأما الخلفاء ، فخلفاء بني أمية لم يتلقب أحد منهم ، فلما صارت الخلافة الى بني العباس وأخذت البيعة لابراهيم بن محمد لقب بـ « الامام » ثم تلقب من بعده من خلفائهم : فتلقب محمد بن علي بـ « السفاح » لكثرة ما سفع من دماء بني أمية. واختلف في لقبه بالخلافة ، ف قيل « القائم » وقيل « المهدي » وقيل « المرتضى » وألقاب الخلفاء بعده والى زماننا معروفة مشهورة على ما مر ذكره في المقالة الثانية. وعلى ذلك كانت القاب لخلفاء بني أمية بالاندلس الى حين انقراضهم على ما هو مذكور في مكاتبة صاحب الاندلس ، على ما سيأتي في المكاتبات في المقالة الرابعة ان شاء الله تعالى ثم تعدت ألقاب الخلافة الى كثير من ملوك الغرب بعد ذلك ، وتلا الخلفاء في الالقاب الوزراء لاستقبال الدولة العباسية وما بعد ذلك ، فلقب أبو سلمة الخلال وزير السفاح بـ « وزير آل محمد » ولقب المهدي وزيره يعقوب بن داود بن طهمان « الاخ في الله » ولقب المأمون الفضل بن سهل حين استوزره « ذا الكفائتين » ولقب أخاه الحسن بن سهل « ذا الرياستين » ولقب المعتمد على الله وزيره صاعد ابن مخلد « ذا الوزارتين » اشارة الى وزارة المعتمد والموفق ، وكان لقب اسماعيل ابن بلبل الشكور « الناصر لدين الله » كألقاب الخلفاء

وكذلك وقع التلقب لجماعة من أرباب السيوف وقواد الجيوش ، فتلقب أبو مسلم الخراساني صاحب الدعوة بـ « أمير آل محمد » ، وقيل « سيف آل محمد » وتلقب أبو الطيب طاهر بن الحسين بـ « هادي اليمنين » ولقب المعتمد بالله حيدر

(١) في كتب اللغة والحديث ان اسمه الخرباق فلعل فيه خلافا

ابن كاووس بـ«الافشين» لانه أشروسني ، والافشين لقب على الملك بأشروسنة .
 ولقب اسحاق بن كيداح أيام المعتضد بـ«ذي السيفين» ولقب مؤنس في أيام
 المقتدر بـ«المظفر» ولقب سلامة أخو نوح أيام القاهر بـ«المؤمن» ولقب أبو بكر
 ابن محمد بن طنج^(١) الراضي بالله بـ«الخشيد» والخشيد لقب على الملك بفرغانة
 ثم وقع التلقب بالاضافة الى الدولة في أيام المكتفي بالله ، فلقب المكتفي
 أبا الحسين^(٢) بن القاسم بن عبيد الله « ولي الدولة » وهو أول من لقب بالاضافة
 الى الدولة، ولقب المقتدر بالله علي بن أبي الحسين^(٢) المتقدم ذكره « عميد الدولة »
 ووافقت الدولة البويهية أيام المطيع لله والامر جار على التلقب بالاضافة للدولة
 فافتحت ألقاب الملوك بالاضافة الى الدولة ، فكان أول من لقب بذلك من الملوك
 بنو بويه الثلاثة : فلقب أبو الحسن علي بن بويه بـ«عماد الدولة» ولقب أخوه
 أبو علي الحسن بـ«ركن الدولة» وأخوها أبو الحسين بـ«معز الدولة» ثم وافى
 [عضد الدولة] من بعدهم فاقترح أن يلقب بـ«تاج الدولة» فلم يجب اليه وعدل
 به الى «عضد الدولة» فلما بذل نفسه للمعاونة على الاتراك ، اختار له أبو اسحق
 الصابي صاحب ديوان الانشاء « تاج الملة » مضافا الى عضد الدولة ، فكان يقال
 « عضد الدولة وتاج الملة » ولقب أبو محمد الحسن بن حمدان أيام المتقي لله
 « ناصر الدولة » ولقب أخوه أبو الحسن علي بن حمدان « سيف الدولة »

وبقي الامر على التلقب بالاضافة الى الدولة الى أيام القادر بالله فافتتح التلقب
 بالاضافة الى الدين . وكان أول من لقب بالاضافة اليه أبو نصر بهاء الدولة بن
 عضد الدولة بن بويه ، زيد على لقبه بهاء الدولة « نظام الدين » فكان يقال
 « بهاء الدولة ونظام الدين » قال ابن حاجب النعمان : ثم تزايد التلقب به وأفرط ،
 حتى دخل فيه الكتاب والجند والاعراب والاكراد ، وسائر من طلب وأراد ،
 وكره (?) حتى صار لقباً على الاصل . ولا شك أنه في زماننا قد خرج عن الحد حتى
 تعاطاه أهل الاسواق ومن في معناتهم ، ولم تصر به ميزة لكبير على صغير ، حتى قال قائلهم

(١) معنى طنج عبد الرحمن كما في ابن خلكان (٢) لم يذكر في الضوء لفظ
 الاب في الحلين

طاع الدين مستغيثا الى الله وقال : العباد قدي ظلموني !
 ينسمون بي ، وحقت لا أعرف منهم شخصا ولا يعرفوني !
 أما الديار المصرية فكان جريهم في الألقاب على ما ينتهي اليهم خبره من ألقاب
 الدولة العباسية ببغداد ، فتلقب خلفاء الفاطميين بها بنحو القاب خلفاء بني العباس
 ببغداد ، فكان لقب أول خلفائهم بها « المعز لدين الله » وثانيهم بها « العزيز بالله »
 وعلى ذلك الى أن كان لقب آخرهم « العاضد لدين الله » على ما تقدم في المقالة
 الثانية في الكلام على ملوك الديار المصرية

وتلقب وزراؤهم وكتابهم بالاضافة الى الدولة ، وممن لقب بذلك في دولتهم
 [ولي الدولة] بن أبي كدينة وزير المستنصر ، وأيضا [ولي الدولة] بن خيران
 كاتب الانشاء المشهور . ولما صارت الوزارة لبدر الجمالي تلقب بـ « أمير الجيوش » .
 ثم تلقب الوزراء بعده بنحو [الأفضل] و [المأمون] . ثم تلقبوا بالملك الفلاني ،
 كـ « الملك الأفضل » و « الملك الصالح » ونحو ذلك على ماسيا في بيانه ان شاء الله تعالى
 وكان الكتاب في أواخر الدولة الفاطمية الى أثناء الدولة الايوبية يلقبون
 بـ « الفاضل والرشد والعماد » وما أشبه ذلك . ثم دخلوا في عموم التلقب بالاضافة
 الى الدين ، واختص التلقب بالاضافة الى الدولة كولي الدولة بكتاب النصارى ،
 والامر على ذلك الى الآن

الطرف الثاني في بيان معاني الألقاب وفيه تسع جمل

الجملة الاولى في الألقاب الخاصة بآرباب الوظائف المعبرة التي بها انتظام أمور
 المملكة وقوامها ، وهي قسمان (القسم الاول) الألقاب الاسلامية وهي نوعان :
 (النوع الاول) الألقاب القديمة المتداولة الحكم الى زماننا ، وهي صنفان :

الصنف الاول ألقاب آرباب السيوف ، وهي سبعة ألقاب

الاول — الخليفة . وهو لقب على الزعيم الاعظم القائم بأمر الأمة ، وقد اختلف
 في معناه ، فقيل : انه فعيل بمعنى مفعول ، كجريح بمعنى مجروح ، وقيل بمعنى مقتول
 ويكون المعنى انه يخلفه من بعده ، وعليه حمل قوله تعالى (اني جاعل في الارض

(خليفة) على قول من قال: ان آدم عليه السلام أول من عمر الأرض وخلفه بنوه من بعده. وقيل: فعيل بمعنى فاعل، ويكون المراد أن يخلف من بعده^(١) وعليه حمل الآية من قال انه كان قبله في الأرض الجن وانه خلفهم فيها، واختاره النحاس في [سنة الكتاب] وعليه اقتصر البغوي في [شرح السنة] والماوردي في «الاحكام السلطانية» قال النحاس: وعليه خوطب أبو بكر الصديق رضي الله عنه بخليفة رسول الله وقد أجازوا أن يقال في الخليفة: خليفة رسول الله، لانه خلفه في أمته. واختلفوا هل يجوز أن يقال فيه خليفة الله؟ فجوز بعضهم ذلك لقيامه بحقوقه في خلفه محتجين بقوله تعالى (وهو الذي جعلكم خلائف الأرض) وامتنع جمهور الفقهاء من ذلك محتجين بأنه إنما يستخلف من يغيب أو يموت والله تعالى باق موجود الى الأبد لا يغيب ولا يموت، ويؤيد ما نقل عن الجمهور بما روي أنه قيل لابي بكر رضي الله عنه: يا خليفة الله. فقال: لست بخليفة الله ولكني خليفة رسول الله. وقال رجل لعمر بن عبد العزيز: يا خليفة الله -- فقال: ويلك! لقد تناولت متاولا بعيدا! ان أمي سميتي عمر، فلو دعوتني بهذا الاسم قبلت، ثم كبرت فكنت أبا حفص، فلو دعوتني به قبلت، ثم وليتموني أموركم فسميتوني أمير المؤمنين، فلو دعوتني به كفاك. وخص البغوي جواز اطلاق ذلك بآدم وداود عليهما السلام، محتجا بقوله تعالى في حق آدم (اني جاعل في الأرض خليفة) وقوله في حق داود (ياد داود انا جعلناك خليفة في الأرض) ثم قال: ولا يسمى أحد خليفة الله بعدها. قال في [شرح السنة] ويسمى خليفة وان كان مخالفا لسيرة أئمة العدل ثم قد كره جماعة من الفقهاء منهم أحمد بن حنبل اطلاق اسم الخليفة على ما بعد خلافة الحسن بن علي رضي الله عنهما فيما حكاه النحاس وغيره، محتجين بحديث «الخلافة بعدي ثلاثون» يعني ثلاثين سنة، وكان انقضاء الثلاثين بانقضاء خلافة الحسن. ولان انقضت الخلافة صارت ملكا. قال المعافى بن اسماعيل في تفسيره: وقد روي أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه سأل طلحة والزبير وكعبا وسلمان عن الفرق بين الخليفة والملك -- فقال طلحة والزبير: لا تدري. فقال

(١) أيضا في النسخة التي في نسخة أخرى، ولا يظهر من قبله

سلمان : الخليفة الذي يعدل في الرعية ، ويقسم بينهم بالسوية ، ويشفق عليهم شفقة الرجل على أهله والوالد على ولده ؛ ويقضي بينهم بكتاب الله تعالى . فقال كعب : ما كنت أحسب أن في هذا المجلس من يفرق بين الخليفة والملك ، ولكن الله أهدى سليمان حكما وعلما

واختلف في الهاء في آخره : فقيل أدخلت فيه للبالغة كما أدخلت في رجل داهية وراوية وعلامة ونسابة وهو قول الفراء ، واستحسنه النحاس ناقلًا له عن أكثر النحويين ، وخطأه علي بن سليمان محتجا بأنه لو كان كذلك لكان التأنيث فيه حقيقيا . وقيل : الهاء فيه لتأنيث الصيغة . قال النحاس : وربما أسقطوا الهاء منه وأضافوه فقالوا « فلان خليف فلان » يعنون خليفته

ثم الأصل فيه التذكير نظرا لاهمى لأن المراد بالخليفة رجل وهو مذكور ، فيقال أمر الخليفة بكذا على التذكير . وأجاز الكوفيون فيه التأنيث على لفظ خليفة فيقال أمرت الخليفة بكذا ، وأنشد الفراء : « أبوك خليفة ولدته أخرى »

ومنه البصريون محتجين بأنه لو جاز ذلك لجاز [قالت طلحة] في رجل اسمه طلحة وهو ممتنع . فإن ظهر اسم الخليفة تمين التذكير باتفاق فتقول قال أبو جعفر الخليفة أو : قال الرازي الخليفة ونحو ذلك . ويجمع على خلفاء ككريم وكرماء ، وعليه ورد قوله تعالى (واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح) وعلى خلاف كصحيفة وصحائف ، وعليه جاء قوله تعالى (وهو الذي جعلكم خلائف الأرض) والنسبة إليه خلفي كما ينسب إلى حنيفة حنفي . وقول العامة درهم خيفتي ونحوه خطأ ، إذ قاعدة النسب أن يحذف من المنسوب إليه الياء وهاه التأنيث على ما هو مقرر في علم النحو . ومنهم في ذلك المقر الشهابي بن فضل الله رحمه الله في كتابه [التعريف] حيث قال : وأول ما نبدأ بالمكاتبة إلى الأبواب الشريفة الخليفة ، ولعله سبق قلم منه ، والا فالله أعلم أنه أظهر من أن يجهلها أو تخفى عليه

الثاني — الملك . وهو الزعيم الأعظم ممن لم يطلق عليه اسم الخلافة ، وقد نطق القرآن بذكره في غير موضع كما في قوله تعالى (إن الله قد بعث لكم طالوت ملكا) (وقال الملك استوني به) إلى غير ذلك من الآيات ، ويقال فيه ملك بكسر اللام

وملك باسكانها ومليك بزيادة ياء ، ومنه قوله تعالى (عند ملك مقتدر) قول الجوهري : والملك مقصور من مالك أو ملك ، ويجمع على ملوك وأملاك . ويقال لموضع الملك المملكة

الثالث - السلطان . وهو اسم خاص في العرف العام بالملوك . ويقال : ان أول من لقب به [خالد بن برمك] وزير الرشيد ، لقبه به الرشيد تعظيما له ، ثم انقطع التلقب به الى أيام بني بويه فلقب به ملوكهم فمن بعدهم من الملوك السلاجقة وغيرهم وهلم جرا الى زماننا

وأصله في اللغة الحجة قال تعالى (وما كان له عليهم من سلطان) يعني من حجة . وسمي السلطان بذلك لانه حجة على الرعية يجب عليهم الاتقياد اليه

واختلف في اشتقاقه : فقيل انه مشتق من السلاطة وهي القهر والغلبة ، لقهره الرعية واتقيادهم له ، وقيل مشتق من السليط ، وهو الشرج في لغة أهل اليمن لانه يستضاء به في خلاص الحقوق ، وقيل من قولهم لسان سليط أي حاد ماض لمضي أمره ونفوذه . وقال محمد بن يزيد البصري : السلطان جمع واحد سليط كقفيز وقفزان ، وبمير وهران

وحكى صاحب [ذخيرة الكتاب] أنه يكون واحدا ويكون جمعا ، ثم هو يذكر على معنى الرجل ، ويؤنث على معنى الحجة . وحكى النكسائي وأقرء على التأنيث عن بعض العرب : قضت به عليك السلطان . قال العسكري في كتابه [الفروق] في اللغة : والفرق بينه وبين الملك أن الملك يختص بالزعيم الأعظم ، والسلطان يطلق عليه وعلى غيره . وعلى ما ذكره العسكري عرف الفقهاء في كتبهم ، اذ يطلقونه على الحاكم من حيث هو حتى على القاضي فيقولون فيمن ليس لها ولي خاص يزوجه السلطان ونحو ذلك . ومن حيث ان السلطان أعم من الملك يقدم عليه في قولهم السلطان الملك الفلاني ، ليقع السلطان أولا على الملك وعلى غيره ثم يخرج غير الملك بعد ذلك بذكر الملك

الرابع - الوزير . وهو المتحدث للملك في أمر مملكته . واختلف في اشتقاقه : فقيل مشتق من الوزر بفتح الواو والزاي وهو الملجأ ، ومنه قوله تعالى (كلا لا وزر)

سمي بذلك لان الرعية يلجئون اليه في حوائجهم ، وقيل مشتق من الاوزار وهي الامتعة ، ومنه قوله تعالى (ولكننا حملنا أوزارا من زينة القوم) سمي بذلك لانه متقلد بخزائن الملك وأمتعته ، وقيل مشتق من الوزر بكسر الواو واسكان الزاي وهو الثقل ، ومنه قوله تعالى (حتى تضع الحرب أوزارها) سمي بذلك لانه يتحمل أثقال الملك ، وقيل مشتق من الازر : وهو الظهر ، سمي بذلك لان الملك يقوى بوزيره كقوة البدن بالظهر . وتكون الواو فيه على هذا التقدير منقلبة عن همزة . وقد أوضحت القول في ذلك في [النفحات النثرية في الوزارة البدرية] قال القاضي في [عيون المعارف في أخبار الخلائف] وأول من لقب بالوزارة في الاسلام أبو سلمة حفص بن سلمان الخلال وزير السفاح . قال : وإنما كانوا قبل ذلك يقولون كاتب . ثم هو إما وزير تفويض : وهو الذي يفوض الامام اليه تدبير الامور برأيه وامضاءها على اجتهاده كما كانت الوزراء بالديار المصرية من لدن وزارة بدر الجمالي والى حين انقراضها ، وإما وزير تنفيذ : وهو الذي يكون وسيطا بين الامام والرعايا معتمدا على رأي الامام وتدبيره . وهذه هي التي كان أهل الدولة الفاطمية يعبرون عنها بالوساطة . أما الوزارة في زماننا فقد تقاصرت عن ذلك كله حتى لم يبق منها الا الاسم دون الرسم . ولم تنزل الوزارة في الدول تتردد بين أرباب السيوف والاقلام تارة وتارة الا أنها في زماننا في أرباب الاقلام

الخامس — الامير . وهو زعيم الجيش أو الناحية ونحو ذلك ممن يوليه الامام وأصله في اللغة ذو الامر وهو فاعل بمعنى فاعل فيكون أمير بمعنى آمر ، سمي بذلك لامثال قومه أمره . يقال : أمر فلان . اذا صار أميرا ، والمصدر الامرة والامارة بالكسر فيها ، والتأشير تولية الامير ، وهي وظيفة قديمة

السادس — الحاجب . وهو في أصل الوضع عبارة عن يبلغ الاخبار من الرعية الى الامام ويأخذ لهم الاذن منه ، وهي وظيفة قديمة الوضع كانت لا ابتداء الخلافة فقد ذكر القاضي في [عيون المعارف] لكل خليفة حاجبا من ابتداء الامر والى زمانه : فذكر أنه كان حاجب أبي بكر الصديق رضي الله عنه « شديدا »

(المنار: ج ١٠) (٩٦) (المجلد الثامن عشر)

مولاه ، وحاجب عمر « يرفاً » مولاه ، وحاجب عثمان « حران » مولاه ، وحاجب علي « قنبرا » مولاه ، وعلى ذلك في كل خليفة ، ماعدا الحسن بن علي رضي الله عنهما فإنه لم يذكر له حاجبا ، وسمي الحاجب بذلك لأنه يحجب الخليفة أو الملك عن يدخل اليه بغير إذن . قال زياد لحاجبه « وليتك حاجبي وعزيتك عن أربع : هذا المنادي الى الله في الصلاة والفلاح فلا تعوجه عني ولا سلطان لك عليه ، وطارق الليل فلا تحجبه فشر ما جاء به ولو كان خيرا ما جاء في تلك الساعة ، ورسول الثغر فإنه ان أبطأ ساعة أفسد عمل سنة ، فأدخله عليّ وان كنت في لحافي ، وصاحب الطعام فان الطعام اذا أعيد تسخينه فسد »

ثم تصرف الناس في هذا اللقب ووضعوه في غير موضعه ، حتى كان في أعقاب خلافة بني أمية بالاندلس ربما أطلق على من قام مقام الخليفة في الامر ، وكانوا في الدولة الفاطمية بالديار المصرية يعبرون عنه بصاحب الباب كما سبق بيانه في المقالة الثانية في الكلام على ترتيب دولتهم . أما في زماننا فإنه عبارة عن يقف بين يدي السلطان ونحوه في المواكب ، ليلغ ضرورات الرعية اليه ، ويركب أمامه بعضا في يده ، ويتصدى لفصل المظالم بين المتداهين خصوصا فيما لا تسوغ الدعوى فيه من الامور الديوانية ونحوها . وله ببلاد المغرب والاندلس أوضاع تخصه في القديم والحديث ، على ما سيأتي ذكره في الكلام على مكاتباتهم في المقالة الرابعة ان شاء الله تعالى

السابع — صاحب الشرطة . بضم الشين المعجمة واسكان الراء : وهو المعبر عنه في زماننا بالوالي ، وتجمع الشرطة على شرط بضم الشين المعجمة وفتح الراء . وفي اشتقاقه قولان : أحدهما انه مشتق من الشرط بفتح الشين والراء وهي العلامة ، لانهم يجعلون لانفسهم علامات يعرفون بها ، ومنه أشرط الساعة يعني علاماتها ، وقيل من الشرط بالفتح أيضا : وهو رذال المال ، لانهم يتحدثون في أراذل الناس وسفلتهم ممن لا مال له من اللصوص ونحوهم .

دروس سنن الكائنات

دروس سنن الكائنات

محاضرات علمية طبية إسلامية للدكتور محمد توفيق صديقي

١٢

الهيضة - أو الكوليرا Cholera

داء وبيل ، سريع الانتشار ، وأوبته تفك بالأم فتكا ذريعا
وكلمة كوليرا من كلمة يونانية معناها الميرة (وهي افراز الكبد المعروف الآن
بالصفراء) لان القيء والبراز بشتملان في أول الامر على الصفراء ، ويسمى هذا
المرض باللغة العربية [الهيضة] ويسميه المتأخرون من العرب : [الهواء الأصفر]
لانهم توهموا أنه ينشأ من تغير في الجو أو الهواء
ومنع هذا الداء بلاد الهند بأسية ولذلك يسمى بالهيضة الآسيوية ومنها انتشر
في أقطار المسكونة ، وقد دخل مصر عدة مرات

الاسباب - لهذا المرض ميكروب خاص يشبه الضمة اكتشفه (كوخ) سنة
١٨٨٣ وهو لا يصيب عادة غير الانسان . طول هذا الميكروب [ميكرون] واحد أو
اثنان . وقد يجتمع منه اثنان فأكثر فيتألف منها حارون ، وهو متحرك وله هذب
واحد غالبا في أحد طرفيه ولا حبيبات له وإنما يتوالد بالانقسام
يوجد هذا الميكروب في براز المصابين وقد يوجد أحيانا في القيء أيضا ولا
يوجد في الدم ولا في الاعضاء ولا الانسجة وقد يستمر خروجه مع البراز حتى بعد
الشفاء بعدة ، وهو يسكن في الامعاء وأغشيتها المخاطية . وبعد الوفاة قد يوجد في جميع
أجزاء الجسم لانه ينفذ من الامعاء اليها

يعيش هذا الميكروب في الهواء وفي غيره ، والجفاف التام يقتله . وقد يعيش في الطين الرطب الى ٦٨ يوما ، وفي ماء الشرب عدة أشهر ، وفي البراز عدة أسابيع وحامض العصير المعدي يقتله ، ولكن هذا العصير لا يفرز إلا مع وجود الطعام فإذا شرب الانسان ماءً على الجوع خيف عليه العدوى لعدم وجود هذا الحامض حينئذ فيصل الميكروب الى الامعاء . وأمراض الجهاز الهضمي أو اضطراباته تهيب المرء لقبول العدوى به

ولا يميز هذا الداء بين الذكر والأنثى ويصيب الناس في جميع الأعمار . والفاقة والضعف والادمان على الخمر مما يهيئ له وكذلك الإفراط في الطعام الكثير . ويكثر انتشاره في فصلي الخريف والصيف ، ولكن البرد يوقف سيره والأصابة به مرة تحمي غالبا من الأصابة به ثانية

ولا يصل هذا الداء الى الانسان إلا بطريق القناة الهضمية فهو في ذلك كالحمى التيفودية سواء بسواء . ومما ينقله الى الطعام أو الشراب الذباب والنمل وغيرها

الأعراض — مدة التفريخ هي يومان عادة أو ثلاثة أيام ، وقد تكون أكثر من ذلك أو أقل

وقد يسبق جميع الأعراض إسهال أو يصاب المرء بحمول وصداع ودوار وطنين وغير ذلك ، وتستمر هذه الحالة يوما أو اثنين أو ثلاثة ثم يشتد الإسهال دفعة واحدة وتزول الصفراء من البراز فيصير لونه كحساء الارز (أي مرق الارز المغلي) وتسمع في بطن المصاب قراقر كثيرة قلما يكون معها ألم . وبعد الإسهال بساعة أو أكثر يتبدى القيء فلا يبقى في المعدة شيء . ويصير لونه كلون البراز أي كحساء الارز أيضا ، ويشد العطش ويجف اللسان ويبيض ويتألم المريض من جس ممدته ويصاب بتقلص مؤلم جدا في عضلات الساقين والقدمين أو الأيدي والجذع (أي باقي الجسم) ثم يصاب المرء بالهمود (الهبوط) فيبرد الجسم ويزرق ، وتغور الميئان ، ويبرد النفس وتنخفض الحرارة ويسرع النبض ويضعف جدا ولا يقدر المريض على الكلام ويترنح الإسهال غالبا ولكن القيء يستمر ، ويقل إفراز البول أو ينقطع مطلقا لشدة ضعف الدورة الدموية ولتقص مائية الجسم بالقيء والإسهال . وكثيرا ما يموت المصاب في هذا الطور

فاذا جاوزه ترتفع الحرارة تدريجيا ويعود لون الجلد الى أصله وترتفع العينان بعد الغثور ويتحسن النبض ويفرز البول وي زال الخطر شيئا فشيئا حتى يشفى المريض المضاعفات والعواقب كثيرة — منها : الالتهاب الرئوي أو الپليوراوي وموت بعض الاجزاء (غغرينا) وسقوطها كالصفن والقضيب أو الأنف، وظلمة القرنية وتقرحها الانذار — تختلف الوفيات من ٤٠ — ٦٠ في المئة . والمرض شديد الخطر على الصغار والشيوخ ومن كان ضعيف البنية أو سكبيرا المعالجة — عند ظهور أعراض المرض الأولى تعطى الادوية الفابضة وأحسنها الأفيون

فاذا اشتد الاسهال والقيء وألم الساقين حقن المريض بالمورفين^(١) تحت الجلد وأعطى قطعا صغيرة من الثلج لمصها أما في طور الهبوط فيعطى المنعشات المنبهات وما يملأ العروق مما سبق ذكره في باب النزف (صفحة ٥٥ من الجزء الاول) إما حقنا تحت الجلد أو في الشرج أو في الاوردة وإما شربا ، ويدفأ تدفئة جيدة بزجاجات الماء الساخن والاعطية الثقيلة وبالدلك للاطراف

وقد وجد الماجور [ليونارد روجس Leonard Rogers] أن الحقن بمحلول ملحي في الاوردة واعطاء البرمنجنات من الفم قد قلل الوفيات الى ٢٣ في المئة . وقائدة هذا الحقن أن يزيل الهمود ويقوى القلب ويعوض الجسم ما فقد من الاملاح . وأما البرمنجنات فيظن أنها تؤكسد سموم ميكروب الكوليرا وبذلك تبطل عملها . وتركيب هذا المحلول الملحي هو ١٢٠ قمحة من ملح الطعام و ٦ قمححات من كلوريد البوتاسيوم و ٦ قمححات من كلوريد الكلسيوم ، تذاب كلها في نصف لتر من الماء العقيم ثم يحقن منها نحو لترين في أحد أوردة الذراع (أعني عرق الباسليك الاوسط وهو الاكل بالعريية) وتكفي عادة حقنة واحدة . فاذا عاد الهمود عدنا باخرى ، ولكن اذا كان الهمود قليلا فالأولى الحقن تحت الجلد . وتكون حرارة الحقنة

(١) هو أهم الاصول الفعالة في الافيون ، سمي بذلك من كلمة يونانية معناها « إله الاحلام » لانه يحدث نوما مريحا ، وأحلاما لذيدة

أعلى بقليل جدا من حرارة الجسم الطبيعية
أما طريقة إعطاء البرمنجنات فهي أن يشرب المريض مقادير قليلة من محلول
برمنجات الكالسيوم بنسبة نصف قحمة في كل ٥٠٠ جرام ماء وتزداد هذه النسبة
تدریجا الى ٤ أو ٦ قحعات

الوقاية — خير من العلاج ، وتكون بأمور :

(١) عزل المرضى وتطهير مواد قثتهم وبرازهم وسائر ما يستعملونه من ملابس
وأنية وفراش الخ، وإلقاء تلك المواد حيث نأ من تلويثها لأي شيء آخر
(٢) غسل الأيدي قبل مس أي طعام وتطهير جميع ما يأ كاه الأصحاء أو
يشربونه أو يستعملونه في ذلك كله من أواني وغيرها بالغلي وخصوصا ماء الشرب
فيجب غليه دائما ، ويجب تجنب التخمر وكل ما يفسد الهضم
(٣) إبادة الذباب والنمل ومنعهما من الوصول الى مفرزات المرضى ثم الى
طعام الأصحاء وشرابهم

(٤) عدم أكل شيء غير مطبوخ في زمن الوباء
(٥) عدم الإذن للناقمين بالاختلاط بغيرهم الا بعد خلوة مفرزاتهم من
الميكروب بأن يعلم ذلك بالبحث البكتيريولوجي الدقيق ، وبعد ذلك يستحمون
وتغلى ملابسهم ويلبسون غيرها جديدا . وكذلك يبحث عن [الحملة الأصحاء]
وهم الذين خالطوا بعض المرضى فوصل الميكروب الى أمعائهم ولم يصابوا بالمرض ،
فهؤلاء يعزلون وتطهر مفرزاتهم حتى تخلو من الميكروب
(٦) أن تدفن الموتى بعيدا جدا عن الأماكن المسكونة بشرط أن لا يتلوث بجثثهم
ماء الشرب أو غيره ، ويفتسل [المغسل] ويطهر يديه بالمحاليل المطهرة، وكذلك
تطهر ملابسه بالغلي

هذا ويرى بعض أئمة الدين وجوب الغسل بعد تغسيل الميت لما روي عن
النبي (ص) أنه قال «من غسل ميتا فليغتسل ومن حمله فليتوضأ» ولعل المراد بالوضوء
هنا غسل اليدين كما في قوله (ص) «الوضوء قبل الطعام حسنة وبعد الطعام حسنتان»
وهذا كله مما يوافق قواعد الصحة كل الموافقة . ومثل [المغسل] كل من قام بدفن

الميت أو بمرضه قبل الوفاة فيجب عليه غسل يديه خصوصاً قبل أكله
(٧) يعمل التلقيح الواقي لمن شاء بميكروبات الكوايرا حسب طريقة هافكين
[Haffkine] فيحقن أولاً سنتيمتر مكعب وبعد أربعة أيام أو خمسة يحقن غيره
أقوى منه . ويصاب الإنسان بعد الحقن بصداغ وحى وأحطاط مدة ثلاثة أيام
أو أربعة عقب كل حقنة منهما . وما قيل في عيب الحقن الواقي من التفود يقال
مثله هنا أيضاً

الكزاز — التيتانوس Tetanus

التيتانوس كلمة يونانية معناها التشنج أو التقلص وهو اسم داء يسمى بالعربية
[الكزاز]

ينشأ هذا الداء من باسيل مخصوص يوجد في الطين وغيره كأوساخ الحدائق
والأسطبلات ، طوله ٤ إلى ٥ ميكرونات ومنحنه ٤ و ٥ . من الميكرون وله أهداب ،
غير أنه قليل الحركة . ولا ينمي في جو فيه أثر من الأكسجين الخالص . ويتكون
في داخله حبيبات عند أحد طرفيه وهي كروية الشكل وأغلظ منه حتى شبه العلماء
هذا الميكروب عند تكون الحبيبة بمطرقة الطبل

الأسباب — يصيب هذا المرض الإنسان في جميع الأعمار حتى الأطفال الرضع
عقب ولادتهم بقليل ، وهو كثير الحصول في البلاد الحارة . والجنس الأسود أو
الأسمر أكثر عرضة له من غيرها . وأهم سبب لدخول الميكروب في الجسم إنما
هو الجرح أو السحج صغيراً كان أو كبيراً حتى ولو كان كوخز الابر

أما إصابة الأطفال الرضع به فسببها الغالب قذارة ما يقطع به الحبل السري ،
أو تعرض السرة لشيء قذر

وقد يصيب بعض الناس بدون أن تشاهد في أجسامهم إصابة ، ولعل السبب
في ذلك دخول الميكروب من سحج بسيط جداً لم يلتفت إليه أحد أو دخوله من
بعض الأغشية المخاطية فقد شاهد بعض الباحثين حبيباته في رجيع الإنسان وفي رجيع
الأنعام والخيول وغيرها . والإنسان والخيول أكثر الحيوانات إصابة به

وإذا دخل الميكروب من الجرح عاش حيث دخل مدة قصيرة ومات بعد بضعة أيام. وهو لا ينتشر في البنية البتة ، وغاية ما يمكنه الوصول اليه هو بعض الغدد اللعابية القريبة من الجرح . وجميع الاعراض انما تنشأ من امتصاص سمومه . وحييات هذا الميكروب تعيش عدة سنين ولو جفت وتقاوم درجة ٨٠° سنتجrad مدة ساعة ولكن درجة الغليان تقتلها بعد خمس دقائق وحامض الفنيك بنسبة $\frac{1}{10}$ لا يهلك هذه الحبيبات في أقل من ١٥ ساعة ولذلك يجب تطهير الآلات الجراحية بالغلي مدة طويلة حتى يؤمن شربه ، فقد شوهد كثرة الاصابة بهذا الداء بعد عمل الخزام أو عقب الحقن تحت الجلد أو في العضلات خصوصا بمادة الكينين لتأثير هذه المادة في كريات الدم البيضاء واعاقها عن قتل هذا الميكروب فيجد بيئة صالحة لنموه لا سيما وان الأكسجين الخالص غير موجود في تلك البيئة

وسكان جزائر سليمان في المحيط الاعظم في الشمال الشرقي من استرالية قد عرفوا شيئا من هذه الحقائق ، فلذلك يصنعون سهاماً ويغمسون طرفها في مادة لزجة ثم يلوثونها بقدارة المستنقعات ويجففونها فتوجد فيها بذور هذا الميكروب اللعين فاذا أصابت شخصا كانت السبب في موته غالبا

الاعراض — بعد دخول هذا الميكروب في الجرح ببضعة أيام يشعر المريض بيبس في فاه وفي فكيه بحيث يتعسر عليه المضغ أو أن يفتح فاه وقد تستمر هذه الحال يوما أو يومين ، وقد ينتقل الى الطور الثاني بأسرع من ذلك ، فتيبس عضلات الجذع ييبس شديدا وتيبس عضلات الاطراف ييبس قليلا ثم يشتد تيبس الظهر وانقباض عضلاته حتى يتقوس ويكون تعبيره الى الخلف ، وتيبس كذلك عضلات البطن والصدر — حتى يتعسر التنفس — وعضلات الاطراف السفلى ، وأما الاطراف العليا فيكون تيبسها حول الكتفين والمرفقين وتبقى حركة الاصابع ميسورة . وفي هذا الوقت يشتد تقلص الفكين حتى لا يمكن فتحهما الا بشق الانف ، ومع ذلك لا يمكن الفصل بينهما بأكثر من $\frac{1}{2}$ بوصة . وتقلص كذلك عضلات الوجه حتى ينشأ من تقلصها ما يشبه الضحك ، ويسمى هذا الضحك المؤلم عند الاطباء [ضحك سردينية] وهي تلك الجزيرة المشهورة في البحر الابيض المتوسط لوجود

عشب سام فيها يذهب العقل ويحدث تشنجا في عضلات الفم يشبه الضحك
 فاذا وصل المرض الى هذا الحد صار المريض عرضة لاشتداد تقلص العضلات
 كلما مسه أي شيء ولو أطراف الاصابع أو كلما هز سريره . ومدة اشتداد هذا
 التقلص لحظات يتعسر عدها بالثواني وفيها يخشى عليه من الاختناق . والفترات
 بين هذه النوب تكون من نصف ساعة الى ساعة أو أكثر وكلما طال المرض نقصت
 وازدادت شدة التقلصات . ويكون المريض في تلك الفترات متألما جدا من انقباض
 عضلاته، ويكون تنفسه عسيرا ، وصوته ضعيفا ، ونبضه صغيرا سريريا ولكن حرارته
 تكون عادة طبيعية غير انها قد ترتفع ارتفاعا فاحشا قبل الوفاة ، وتستمر في الارتفاع
 حتى بعد الوفاة فتصل الى أكثر من ٤٣ درجة ويحتمس البول أيضا . ويكون احساس
 المريض طول مدة المرض على أمه وكذلك عقله الا قبل الوفاة فقد يعتريه الهذيان
 وأكثر اصابات الكزاز (التيتانوس) تنتهي بالوفاة بعد يوم أو ١٢ يوما . وسبب الموت
 اما نهائة قوى المريض أو اختناقه لتشنج عضلات التنفس أو الخنجر أو طرؤه
 بعض المضاعفات عليه كالتهاب الرئوي أو الشعي . وقد تطول الحياة الى ٣ أو ٤
 أسابيع ، وقد يشفى المريض

الانذار — عدد الوفيات في الاحوال ذوات الجرح نحو من ٩٠ ٪ وفي
 الاحوال التي لم يشاهد فيها جرح نحو من ٥٠ ٪ والكزاز من الامراض القتالة
 جدا خصوصا عقب الاجهاض أو الوضع . وكلما كان الجرح شديدا أو متسعا كان
 الامل في الحياة ضعيفا جدا

المعالجة — يوضع المريض في الفراش في مكان مظلم لا حركة فيه ولا صوت،
 ويغذى بالسوائل وإن اضطررنا الى تغذيته بأنبوبة من أنفه أو بالحقن الشرجية،
 والاحسن أن تدخل الأنبوبة من بين أسنانه اذا كان بعضها مفقودا . ومن الأطباء
 من يقطع بعضها من أجل ذلك ولكنه عمل غير محمود

ومن الواجب تنظيف الجرح قبل كل شيء وتطهيره طهارة تامة لكي تقتل أو
 نزيل بقدر الامكان تلك الميكروبات منه ؛ ولكن مما يوجب الاسف أن ظهور
 الاعراض دليل كاف على أن السم قد وصل الى المراكز العصبية واتحد بها

وتعطى المسكنات بمقادير كبيرة ومن أحسنها بروميد البوتاسيوم والافيون أو المورفين . ومن الاطباء من ينشق المريض الكلوروفورم مرة أو مرتين في اليوم لتخديره حتى ترتخي عضلات الفكين وحينئذ يمكن تغذيته

وللكزاز مصل يستخرج بطريقة استخراج مصل الدفتيريا . ونجب المبادرة بحقنه بمقادير كبيرة جدا فيحقن منه ١٠ آلاف الى ٢٠ ألف وحدة في الاوردة أو ١٠ آلاف الى ٥٠ ألف تحت الجلد . ويتكرر الحقن يوميا حتى تتحسن الحالة . ومن الناس من يحقن هذا المصل في النخاع أو في المخ بإحداث ثقب في عظام الجمجمة يسمى عند الجراحين بالتربنة [Trephining] ولكنه عمل عسير مشكوك في نفعه والسبب في عسر شفاء هذا المرض أن سم الميكروب يسرى في الاعصاب المحركة ويلتصق بالمراكز العصبية التصاقا شديدا بحيث يتعذر ازالته منها بعد تمكنه ، زد على هذا ان بعضه يدور في الدم ويصل معه الى المراكز العصبية أيضا

الوقاية — عقب إصابة أي شخص بأي جرح يجب تنظيفه جيدا ثم تطهيره بكل الوسائل الممكنة وإذا ظن أن الجرح تلوث بشيء قدر مما يحتمل وجود الميكروب فيه وجبت المبادرة الى الحقن قبل أن تبدئ الأعراض فيحقن ١٥٠٠ وحدة تحت الجلد ، ولذلك بادرت الحكومة الانكليزية باتباع هذه القاعدة مع جنودها ، فترى الاطباء الانكليز يحقنون كل جريح اشتبه في جرحه في أقرب وقت ممكن في ميدان القتال

وتطهير الجرح بالكي بالنار عقب حدوثه مباشرة كما تفعل العرب عمل محمود

الحمرة

اسم لداء يسمى باللغات الافرنجية [Erysipelas] وهو لفظ يوناني معناه الحرفي (الجلد الاحمر) ويسمى الانكليز هذا المرض أيضا بنار القديس أنطونيوس [Anthony] لتوهم عامتهم أنه قادر على شفاؤها . وهو من الامراض المعدية الشديدة ، وينشأ من ميكروب من الشكل المسمى بـ «البزور السلسلية» [Streptococcus erysipelatis]

الاسباب — أعظم الاسباب المهيئة لهذا المرض وجود أي جرح بالجسم يخل

منه هذا الميكروب الخبيث مها صفر الجرح . وفي أحوال قليلة جدا يحدث هذا المرض بدون جرح ظاهر ، ولكن اذا دقق في البحث فلا بد من وجود أي منفذ الى الجسم ولو سحج بسيط جدا أو دمل صغير أو خدش كخدش الدبوس . والمدوى لا تنتقل إلا الى المسافات القصيرة

وهو يصيب الاطفال الرضع والكبار فوق الاربعين اكثر من غيرهم ولكنه لا يميز بين الذكر والانثى

وما يجعل الشخص أكثر تعرضا له من غيره إدمان الخمر وأمراض الكبد والكلى المزمنة والضعف أو الفاقة وكذلك البرد والرطوبة وكثرة الازدحام خصوصا اذا كان المكان رديء الهواء أو قذرا . ومن الاسباب أيضا استعداد مخصوص في الشخص نجعل حقيقته فان هذا المرض كثيرا ما يعاود شخصا عدة مرات ، فالوقاية منه لا تطول مدتها

أما ميكروبه هذا البزري فهو عديم الحركة ، وقطر كل بزره نحو ميكرون واحد . ويحصل الاتقسام فيه في جهة واحدة فقط ولذلك تتكون منه السلاسل المذكورة . وهو يموت اذا بلغت الحرارة ٥٣° الى ٥٥° مستعجرا وعرض لها ١٠ دقائق

الأعراض — في الأحوال التي يتعسر فيها مشاهدة الجرح أو السحج نرى أن هذا المرض يصيب الوجه على الأكثر ولذلك كان وصفنا الآتي قاصرا على وصف هذا العضو اذا أصيب به

ومدة التفريخ أيام معدودة فهي في أكثر الأحوال من ٣ الى ٦ وان كانت تطول في بعضها . ويبتدىء المرض عادة بقشيرة أو رعدة وصداع وغثيان ويطغى اللسان ويحس المريض بالآلام عامة في جسمه ، وبعد بضع ساعات تظهر على الوجه بقعة حمراء مؤلمة خصوصا حيث يلتقي الجلد بالغشاء المخاطي كفتحة الفم أو الأذن أو الأنف . ثم تكبر هذه البقعة وترم ويشتد احمرارها وألمها واذا ضغط عليها انبعجت ، ثم يمتد الورم بسرعة متفاوتة فتري أن السطح العالي الأحمر كأنه يسير في باقي الجلد . وفي بضعة أيام قد يتغطى الوجه كله فقراء متفخا جدا وكذلك الجفون حتى تدلى . وترم الاذنان والشوأة (فروة الرأس) وتكون غالبا فقاعات أو نقاحات ممتلئة بسائل

مصلي صديدي على الخدين أو الجفون ، وقد تنفجر قنزيد المصاب تشويها حتى
تتعدر معرفته . وتضخم الغدد اللمفاوية القريبة من المكان المتهب وتكون مؤلمة ،
ويقال انها تتهب حتى قبل ظهور التهاب الجلد

وتكون الحمى عالية جدا حتى تزيد عن الاربعين في اليوم الثالث والرابع . وفي
السادس تميل للانخفاض فجأة ما لم يستمر التهاب الجلد أو يظهر التهاب جديد ، فهي
تابعة لحالة الالتهاب . وتكون الحمى مصحوبة بباقي أعراضها المعروفة

وهذا الالتهاب يمتد أيضا الى الأغشية المخاطية كغشية الحلق أو اللوزتين
وأحيانا الى أغشية الحنجرة حتى يتعسر التنفس والازدراء . ويعتري المريض الهذيان ،
وقد تطرأ عليه الغيبوبة . وبينما نرى الالتهاب يمتد في جهة قد نشاهده يشفى حيث ابتداء
وسبب الموت نهاكة القوى مع الهذيان والغيبوبة خصوصا في الشيوخ ومدمني
الخمر وغيرهم ممن ذكرنا من قبل

وإذا شفى المريض تقشرت البشرة مكان الالتهاب ويستمر التقشر بضعة أيام ،
وكثيرا ما نشاهد سقوط شعر الشواة

المضاعفات والعواقب - منها : الخراجات وموت الجلد وسقوطه وضخامة
الغدد اللمفاوية أو تقيحها - في النادر - والاختناق من تورم الحنجرة والالتهاب
الرئوي أو الپليوراوي في بعض الاحوال وكذلك الالتهاب السحائي
ويقال إن امتداد هذا المرض في الجلد تابع لسير الاوعية اللمفاوية ، ويقف
الالتهاب في الغالب حيث يلتصق الجلد التصاقا شديدا بالانسجة التي تحته كما يحصل
في الاربية عند رباط [پوپارت Poupart]

وانذار هذا المرض في أكثر الاحوال حميد ، ولكن يختلف خطره باختلاف
امتداد الالتهاب . وهو قاتل غالبا للشيوخ والسكرين وغيرهم ممن ذكرنا

المعالجة - المبدأ العام في معالجة هذا المرض هو استعمال المنعشات والمقويات
للمريض ، فيعطى كثيرا من اللبن والمرق وغيرها من السوائل المغذية ، وبعض
المنعشات كالخمر - إذا لم يوجه ما يعني المسلم عنها - والنوشادر والاثير والاستركنين
وغيره . وصفة فوق كلوريد الحديد نافعة جدا في هذا المرض حتى كانوا يعدونها شفاء

قطنيا له ، فيعطى منها من ٣٠ - ٤٠ نقطة للشبان والكهول كل ٣ أو ٤ ساعات . وقد
وصى بعضهم أيضا باستعمال الكنيين . وظهرت نتائج حسنة من استعمال المصل المضاد
لبزور هذا المرض [Anti - streptococcus Serum] فيحقن منه تحت
الجلد مرة أو مرتين يوميا ١٥ أو ٢٠ سنتيمترا مكعبا . وهذا المصل يستخرج من
الحصان بطريقة تشبه استخراج مصل الدفتيريا ، غير أنها تختلف عنها في أنه في مصل
الدفتيريا يحقن الحصان بسم الميكروب ولكن هنا يحقن الحصان بنفس الميكروب حيا ،
لأن ميكروب الدفتيريا يفرز سما في السائل الذي يربى فيه وأما ميكروب هذا المرض
فسمه كامن في جسمه فاذا حقن السائل الذي يربى فيه لا يفيد . وطريقة ذلك أن
يقوى ميكروب الحمرة بحقنه في عدة أرناب فيكون ما حقن في الاخير أقوى مما حقن
في الاول ويزرع من كل منها جزء من الميكروب فتكون قوته متفاوتة ، ثم يحقن الحصان
بأضعف هذه الميكروبات سما ، وتترقى منه تدريجا الى أقوى . وفي نهاية سنة الحقن يؤخذ
مصل هذا الحصان فيكون فيه سم قاتل لميكروب الحمرة ، فاذا حقن المريض به أفاده
فائدة عظيمة

وإذا اشتدت الحى كان استعمال الماء البارد أو الفاتر نافعا فيها أيضا
وعلاج مكان الحمرة نفسه قليل الجدوى ، وغاية ما يعمل له أنه يدهن بدهن
المراهم أو ينحوها كمرهم البوريك وإذا اشتد تورم الجلد جاز تشريطه قليلا

النزلة الوافدة — الانفلونزا Influenza

الانفلونزا اسم ايطالي أولاتيني لمرض كانوا يظنون أنه من تأثير الكواكب .
في الانسان ، فلذا سموه بهذا الاسم الذي معناه (التأثير) ويسمى الاطباء المحدثون
من العرب هذا المرض بالنزلة الوافدة

الاسباب — هذا المرض كثيرا ما ينتشر في البلاد بشكل وبائي سريع
خصوصا اذا كانت القرى مزدحمة فيصاب به في وقت واحد مئات من الناس
وميكروب هذا المرض من النوع الباسيلي (المستطيل) اكتشفه [Pfeiffer]
في سنة ١٨٩٢ م وهو يوجد في بصاق المصابين وأنوفهم وقل أن يوجد في دمهم ، وهو

٧٧٤ أعراض النزلة الوافدة وانذارها وعلاجها. ميكروب الزكام [المنار: ج ١٠ ص ١٨]

من أدق الميكروبات وأصغرها حجما فإن طوله ٠.٥ إلى ١ ميكرون وهو ساكن لا حركة له ولا حبيبات ، ولا يعيش إلا في الأكسجين . وكثيرا ما يصاحبه ميكروبات أخرى في هذا المرض . وإذا شفي المريض زالت منه الميكروبات بسرعة فلا يعدي بعد النفاة كالدفتيريا مثلاً ، وهو ينتقل من شخص إلى آخر إذا اقترب منه بحيث يصل إليه بعض افرازات الأنف أو الفم . والاستعداد لهذا المرض يختلف باختلاف الأشخاص فمنهم من يعاوده مرارا ومنهم من لا يمسهم مرة واحدة في حياتهم وكثير من الناس يطلقون اسم (انفلونزا) على كل النزلات التي تعقب البرد كالزكام أو السعال ، ولكنه خطأ

الأعراض — مدة التفريح ساعات معدودة . ويتبدى هذا المرض فجأة بألم شديد في الجبهة ومؤخر العينين وألم في عضلات القطن والفخذين وغيرها ، وقل أن تحدث فيه رعدة . والحرارة ترتفع في ساعات قليلة إلى ٣٩° أو ٤٠° وتكون مصحوبة بباقي أعراض الحمى ، ويلتهب الحلق واللوزتان وتصبح رائحة النفس كريهة ، وقد يكثر العرق ولكن الغالب أن يكون الجلد جافاً ، وتضعف قوى المريض ويشد به الارق والتألم . وقد يقتصر المرض على هذه الأعراض وتزول الحرارة فجأة بعد يوم أو يومين غير أن آلام الأطراف تستمر بعدها مدة وكذلك الضعف . وقد تطول مدة الحمى بضعة أيام ، أو ينكس المريض . ومن الناس من يصابون فوق ذلك بالنزلات الشعبية أو الرئوية ، ومنهم — وهم الأقل — من يصابون باضطراب في الجهاز الهضمي فيعثر بهم مغمص وقيء وإسهال وأحياناً البرقان ، ومنهم أيضاً من يصابون في جهازهم العصبي فيعثر بهم النعاس في أول الأمر والهديان ثم يزول عنهم النوم ويحل محله الارق ، وتشتد عندهم الآلام العصبية والعضلية

وقد يحصل في هذا المرض طفح في الجلد

وانذار هذا المرض في الغالب حميد

والعلاج كعلاج باقي الحميات سواء بسواء

أما الزكام والسعال العاديان فينشآن غالباً من ميكروب آخر من الشكل البرزي

يسمى « البرزور الصغيرة النزلية » [*Micrococcus catarrhalis*] وهو يوجد

كثيرا في الانف والحلق في أصابات البرد وفي البصاق بعد السعال الناشئ من
النزلات الشعبية وقد يوجد في الأشخاص الأصحاء ويوجد أيضا في الأطفال اذا
أصيبوا بالنزلات الشعبية الرئوية

الحمى المخية الشوكية أو الالتهاب السحائي الوبائي

هذا المرض عرف أولا في [جنيف Geneva] سنة ١٨٠٥ ومنذ سنة ١٨٦٠
صار منتشرا في الولايات المتحدة وألمانيا وغيرها . وهو كثيرا ما يشاهد أيضا في مصر
خصوصا في الأماكن التي يكثر فيها الازدحام كالسجون والمعاهد العلمية

ينشأ هذا المرض من [بزور مزدوجة Diplococcus] تسمى البزور السحائية
[Meningococci] تشاهد في الكريات البيضاء التي توجد في السائل المستخرج
من النخاع في هذا المرض ، وقد توجد هذه البزور أيضا خارج الكريات في السائل
نفسه ، وأحيانا في دم المصاب وفي مفاصله اذا التهمت وكذلك في الرئتين اذا التهبتا
وفي الانف والحلقوم والاذن الوسطى . وهذا الميكروب اكتشف سنة ١٨٨٧ وهو يشبه
ميكروب السيلان ولا ينمو الا بوجود الأكسجين ولا في حرارة أقل من ٢٥° سنتجراد
الأسباب — يدخل هذا الميكروب من الحلقوم سواء أوصل اليه من الفم أم من الانف .
ويوجد في حلقوم المرضى والناقلين كذلك وفي حلقوم بعض الأصحاء المخالطين للمريض .
وهو يصيب الصغار أكثر من غيرهم حتى ان ٨٠ ٪ من المصابين منهم تجد أن عمرهم أقل
من ١٦ سنة و ٥ ٪ فقط فوق ٢٥ سنة ، ولا يميز بين الذكور والإناث . وهذا المرض كثير
الحصول في أزمدة البرد ، لأن الناس في تلك الأزمدة يضطرون إلى السكنى في أماكن
محتبسة الهواء فيفسد وترتفع حرارته وتكثر رطوبته وبذلك يصير بيئة صالحة لنمو هذا
الميكروب الخبيث وان كان البرد الشديد يقتله ، ولذلك لم يعرف هذا المرض بين سكان
المنطقة القطبية . ولهذا الهواء الفاسد تأثير سي في بنية المستنشقين له وهو يجذب بسخوته
الدم من الأحشاء إلى ظاهر الجلد وذلك أيضا مما يضعف البنية ويعوق الأعضاء عن
أتمام وظائفها ، فكأن الهواء الفاسد السخن سبب للعدوى من وجهتين (١) كونه بيئة
صالحة لنمو الميكروب و (٢) كونه مضعفا للبنية عن مقاومتها ، مفسدا للصحة . ولولا

ذلك لما كثر انتشار هذا المرض في أزمئة الشتاء. ومن المشاهدات العجيبة في العدوى بهذا المرض أن الأشخاص الذين يكونون في جهة معينة من المريض يصابون به بينما غيرهم في الجهة الأخرى لا يصابون، وما ذلك إلا لكون الهواء يهب على المريض من تلك الجهة التي فيها السليمون فيمر عليهم أولاً ثم على المريض ويحمل ذرات فيها الميكروب من نفسه أثناء الكلام أو السعال ونحوها إلى الذين في الجهة الأخرى. وقد وجد أن نحواً من ٤٠ ٪ ممن يخالطون المريض قد يصيرون من (الحملة الأصحاء)

الأعراض — في أحوال قليلة يتقدم المرض أعراض بسيطة كالصداع والغثيان، ولكن في أكثر الأحوال يتبدئ هذا المرض فجأة بألم شديد في الدماغ ورعدة أحياناً فيضطر المريض في الحال لملازمة الفراش وترتفع الحرارة بسرعة حتى تصل إلى ٤٠° و يشتد الصداع خصوصاً في مؤخر الرأس وتيبس عضلات القفا حتى يتعسر على المريض الانحناء إلى الأمام، ويبقى شاخصاً يبصره إلى السماء، وكذلك يقعدنفس المصاب أي يتقوس الظهر ويكون تقعره إلى الخلف، وتشنج الأيدي والرجل وتكثر الآلام في الظهر والأطراف ويكون الجلد حساساً وقد يرتخي الجفنان أو أحدهما لشلل فيها وربما يشعر المريض بألم في أذنه وطين أو صمم ويقل شمه ويعتريه النعاس فالهذيان فالغيبوبة. وقد يصاب بنوبات تشبه الصرع فيتخبط كما يتخبط المصروع وفي كثير من الأحوال يظهر على وجهه ما يسمى بالتهمة [Herpes] وهي فقاعات صغيرة ممتلئة بسائل. وتلتهب المفاصل أحياناً وقد تثقيح. ويتقر البطن حتى يصير كالأزرق، ويعظم الطحال ويكثر البول، وقد يوجد فيه زلال قليل أو أثر من السكر. وإذا رفع فخذ المريض — وهو ملقى على ظهره — بحيث يكون مع جسمه زاوية قائمة تعذر مد الساق حتى تكون مع الفخذ على خط مستقيم. وهذه العلامة — وتسمى علامة [كرنج Kernig] — من أهم ما يعرف به التهاب السحائي، وإذا مرت بأصبعك على جسم المريض ظهر خط أحمر حيث مرت الأصبع ويستمر نحو خمس دقائق أو أكثر ويسمى هذا الخط بالفرنسية [Tache Cérébrale] ومعناه [البقعة الحية] وهي من أهم علامات التهاب السحائي أيضاً، وتنشأ من شلل في أوعية الدم وهذا المرض خطر جداً على الحياة، وكثيراً ما يموت به المصابون بل منهم من

يموت في بضع ساعات أو بضعة أيام . وعدد الوفيات يختلف من ٣٠ إلى ٧٠ ٪ .
ويوجد نوع آخر منه يصيب الأطفال الرضع فيقتلهم غالبا

وإذا شفي المريض منه قام غالبا بصمم أو عمى أو استسقاء في الدماغ مع صداع
وتشنجات وضعف شديد في العقل أو الجسم أو شال بعض الاعضاء . وإذا أصاب
الصمم الاذنين قبل أن يتعلم الطفل الكلام بقي طول حياته أبكم أصم
وقليل من الناس من يشفي منه ولا يصيبه شيء

الصفة التشريحية — إذا شرحت الجثة بعد الوفاة من هذا المرض يُشاهد
التهاب حاد في الأم الحنون للمخ والنخاع الشوكي قترى الصديد والمواد اللمفاوية
متراكمة على سطح المخ في شقوقه (أي ما بين التلافيف) ويكون السطح الخلفي
للنخاع ملتصبا أكثر من السطح الامامي وخصوصا القسم القطني منه . وفي بطينات
المخ يشاهد مصل عكر أو صديد ، وفي القشرة السنجابية نقط نزفية أو بثور

وترى الرئتين والكبد والطحال والكليتين جميعا محتقنة مع استحالة شحمية في
خلايا الكلية واستحالة حبيبية في ألياف البضلات الاختيارية . وقد نرى أيضا
نتطا نزفية في الشغاف والپليورا وأحيانا ثقيحا في المفاصل

وكل هذه التغيرات المرضية التي تشاهد في الاحشاء ما عدا المخ والنخاع هي
تابعة لالتهاب السحايا وليست من أصل المرض وإنما تنشأ من سُموم الميكروب ومن
شدة ارتفاع الحرارة ونحو ذلك

المعالجة — أحسن علاج لهذا الداء استعمال المصل الخاص به فيصفي جزء
من السائل الذي في النخاع بالبرزل القطني ويستعاض عنه بحقن ٣٠ سنتيمترا مكعبا كل
يوم أو كل يومين بحسب شدة المرض

والبرزل القطني وحده نافع في هذا المرض لتخفيف الضغط على المراكز العصبية
بسحب بعض المواد الالتهابية ولإزالة بعض سموم المرض

وبقي علاج هذا المرض كعلاج سائر الحميات ، ومن النافع فيه أيضا استعمال
مركبات الزئبق و يودور اليوداتسيوم في بعض الاحوال

انوقاية — عزل المريض كما تقدم في الحميات وتطهير كل افرازاته واثقاء القرب منه

والسكنى في الاماكن النقية الهواء ذات النوافذ الكثيرة من أحسن ما يتقى به هذا الداء. فلذا يجب تهوية الاماكن المسكونة ليلا ونهارا صيفا وشتاء . ولا يتوهم أحد أن الهواء المطلق الذي نرغب فيه هو مما يسمونه « بتيارالهواء » ويقولون إنه يجب اتقاؤه بل التيار الضار يكون بتعريض جزء من الجسم لهواء يغير باقي الهواء المحيط بالجسم في سرعته وفي درجة حرارته ، كالجلوس امام إحدى النوافذ من بيت دافئ مع تعريض جزء من البدن لهواء النافذة البارد . وأما خروج الانسان الى الاماكن الطلقة الهواء كالفلوات والبحار والمكث فيهازمنا مآ فانه لا يضر الصحيح البنية خصوصا اذا كان جسمه مدفأ جيدا بالملايس الكثيرة الجافة ، ولكن اذا ابتلت هذه الملايس بالعرق أو بالماء خيف على المرء من ضرر البرد بالمكث في الهواء البارد .

الجذام Leprosy

مرض شهير منذ العصور الغابرة سمي بذلك في العربية لانه يكثر ببعض الاعضاء ، وهو من الأمراض المزمنة المتعذرة الشفاء ، ينشأ من ميكروب من الشكل الباسيلي اكتشفه [هانسن Hansen] سنة ١٨٧٩ م يشبه ميكروب الدرن من عدة وجوه . وحقق هذا الميكروب في الحيوانات لم ينجح في احداث المرض فيها ما عدا القردة فانها تصاب باصابة موضعية وقتية ، ويوجد الميكروب في دم المجذوم وفي الجلد والاعشية المخاطية والاعصاب والغدد اللمفاوية والحنجرة والكبد والطحال والخصيتين والكليتين ، ونادرا في الرئتين ، ولا يوجد في العظام ولا المفاصل ولا العضلات

الاسباب — هذا المرض قليل الوجود في أوربة ماعدا بلاد الترويح ويوجد في كثير من البلدان الافريقية والآسيوية والامريكية وكثير من جزائر المحيط الهادئ ، وهو يصيب الذكور أكثر من الاناث ، والصغار قبل سن الثلاثين أكثر من غيرهم ، ومن النادر جدا أن يصيب الاطفال . وللوراثة بعض التأثير في احدثه

يدخل ميكروب هذا الداء الى الجسم من منفذ أو أكثر من المنافذ الآتية :
الانف أو أعلى الجهاز التنفسي أو الفم أو اللوزتين أو سحجات الجلد أو الجهاز التناسلي
ومن العلماء من يرى أن بعض الحشرات تنقل هذا المرض من شخص الى

آخر، فقد وجد ميكروبه في البعوض (الناموس) والبق . ولم يشاهد ميكروبه في الأرض ولا في الهواء^(١) ولا في الطعام ولا في الشراب

ويرى بعض العلماء ان الافراط في أكل السمك خصوصا الفاسد مما يهيئ الجسم لقبول هذا الميكروب الخبيث

ويسكن هذا الميكروب في جميع أجزاء جسم المصاب حيث توجد أنسجة مريضة به ويخرج من جسم المجدوم في مخاطه ودموعه ولعابه ولبنه ومنيه وافرازات الاحليل والمهبل . وفي البراز يل يخرج أيضا مع خلايا البشرة التي تنفصل بالتدريج من الجلد . هذا فضلا عن خروجه بالضرورة مع ما ينسكب من قروح المريض ولكن أهم الاشياء التي يوجد فيها الميكروب هو افراز الانف فانه يوجد فيه بكثرة عند أقل بحث فيه

الاعراض — يبدأ هذا المرض بتوعك عام مع حمى خفيفة وتكسر في الجسم ثم تظهر بقع حمراء في الجلد قطرها يبلغ من نصف بوصة الى ثلاث أو أربع بوصات منتفخة قليلا ومستديرة أو غير منتظمة ، وقد يتكون من هذه البقع الحمراء حلقات وذلك بشفاء الجلد الذي في وسطها ، وتزول هذه البقع الحمراء أيضا اذا زالت الحمى ، وكثيرا ما تترك خلفها آثارا ملونة أو بيضاء . وقد تعود الحمى وتظهر هذه البقع آنا بعد آن . وبعد ذلك تنقسم أعراض المرض الى قسمين فيصاب المريض اما بالجدام الدرني أو بالجدام الخدري ، وقد يجتمع فيه النوعان

أما في الجدام الدرني فتظهر في الجلد درنات مرتفعة حجمها قدر حبة الحمص أو البندق أو أكبر — تظهر أثناء ظهور البقع الحمراء أو بعدها بقليل . وهذه الدرنات قد تمكث زمنا طويلا وقد تزول تاركة خلفها بقعا ملونة، وكثيرا ما تتأكل فيتكون منها قروح يسيل منها صديد (أي سائل رقيق) قليل وهذه الدرنات تظهر على الأكثر في الوجه وفي ظهر اليدين والقدمين وغير ذلك ، فتشوه الوجه ، وتغلظ الحواجب والانف والحدود والآذان ويكون شكل الوجه كوجه الاسد . ولذلك يسمى هذا

(١) اللهم إلا ما كان حول المريض مباشرة فقد توجد فيه ذرات من مخاطه حاملة لهذا الميكروب

المرض عند المصريين بالأسد أيضا

وكثيرا ما تتقرح الجفون حتى يصل المرض الى طبقات العين وان كان العصب البصري والشبكية والزجاجية والبلورية كلها تنجو منه عادة . وتصيب الدرنات أيضا الاغشية المخاطية للفم والحلق والحنجرة والانف فيغلب الصوت أو يضعف . وهذه القروح قد يزداد تأكلها حتى تصيب الاوتار فتقطعها والعظام فتتخرها والمفاصل فتفتحها وبذلك تبتر بعض الاجزاء

أما الجذام الخدري فتكون اصابة الاعصاب فيه أكثر ، وفي أول الداء يحصل احساس في بقع كثيرة من الجسم يشبه الاحساس بمشي النمل ووخز الابر يعقبه خدر ويكون الجلد في البقع المصابة اما أكمد (باهتا) أو ملونا ويضعف الشعر ويزول لونه ويكون سطح الجلد ناعما برأقا ، وتضخم الاعصاب حتى يمكن الاحساس ببعضها بغاية السهولة وذلك لالتهابها بسبب المرض . ويسبب مرض الاعصاب تضرر العضلات خصوصا ما بين مشط اليدين والقدمين ، وترتخي الايدي والاقدام ويكون شكل اليد كبرثن الاسد^(١) وقد يحصل في هذا النوع من الجذام قروح فوق المفاصل أيضا فتبتر الاعضاء خصوصا أطراف الايدي والاقدام وينجو من هذا البتر السلاميات الاولى للاصابع غالبا . وكثيرا ما تشفى هذه القروح فتبقى اليد بالسلاميات الاولى فقط

وسير هذا الداء موجب لليأس ويجعل الشخص المجذوم مكروها عند الناس مخيفا لهم بمنظره — وبعد زمن قد يمتد الى ١٥ سنة أو أكثر — يموت المصاب غالبا بمضاعفات المرض أو بطروء السل الرئوي أو التهاب الكلى أو بالدوسنطاريا وغير ذلك

الانذار — هذا المرض لم يعرف أن احدا أصيب به وشفي منه ، غاية الامر انه قد تتلطف الاعراض ويقف الداء مدة ما

المعالجة — تعالج الاعراض بالطرق الطبية المعروفة عند الاطباء ، وتعطى للمريض الاغذية الجيدة السهلة الهضم ، ويوضع في مكان تقي الهواء بمعزل عن الناس . ومما ينفع فيه بعض النقع زيت كبد الحوت وزيت [حب الشلمغرا Chaulmoogra]

(١) البرثن للسباع بمنزلة الاصابع للناس

وجرعته في اليوم تبدئ من ٢٠ نقطة الى درهمين ويجب تعاطيه لمدة سنتين على الأقل . وهناك علاجات أخرى كالحتمن باللقاح ونحو ذلك ولكنها غير محقق نفعها ويجب مدة المرض استعمال المطهرات للقروح وتضميدها جميعا

الوقاية — لما كانت كيفية العدوى بهذا الداء غير معروفة بالضبط يجب عزل المرضى والاحتراز من كل من يلامسهم أو يوجد معهم ، وهذا غاية ما يمكن أن يقال الآن في أسباب الوقاية من هذا الداء . وفي الحديث الصحيح « فرّ من المجذوم فرارك من الأسد » (*)

(*) المأثور : رواه البخاري من حديث أبي هريرة معلقا — أو موصولا على طريقة ابن الصلاح — ووصله آخرون وأخرج ابن خزيمة له شاهدا من حديث عائشة . ويؤيد ما في صحيح مسلم من حديث عمر بن الشريد عن أبيه قال : كان في وفد ثقيف مجذوم فأرسل إليه رسول الله (ص) « إنا قد بايعناك فأرجع » واختلف العلماء في الجمع والترجيح بين هذه الأحاديث وما في معناها كحديث أبي هريرة في الصحيحين « لا يوردن ممرض على مصح » (الممرض بصيغة اسم الفاعل صاحب الابل المريضة بالجرب مثلا والمصح صاحب الابل الصحيحة) وحديث النهي عن دخول أرض فيها الطاعون . وبين حديث أبي هريرة في الصحيحين وغيره « لا عدوى » وحديث جابر أن النبي أخذ بيد مجذوم فوضعه في القصعة وقال « كل » رواه الترمذي . فبعضهم يرجح العدوى ويؤول ما يعارضها وبعضهم يمسك ومما قاله هؤلاء أن أبا هريرة رجع عن حديث « لا عدوى » وإنكره كما في البخاري . وإن الترمذي ذكر الاختلاف في حديث جابر على راويه ورجح وقفه على عمر . وأقرب ما قالوه الى الطب والعقل قول البيهقي وغيره أن العدوى المنفية ما كانت تعتقده الجاهلية لا العدوى التي تحصل بالأسباب بقدر الله تعالى . وقول ابن قتيبة ومن وافقه : أن الأمر بالفرار من المجذوم ليس من باب العدوى في شيء بل هو لأمر طبيعي وهو انتقال الداء من جسد لجسد بطريق الملامسة والمخالطة وشم الرائحة ولذلك يقع في كثير من الأمراض في العادة انتقال الداء من المريض الى الصحيح بكثرة المخالطة . حكاهما الحافظ ابن حجر في شرح البخاري . وذكر أن جمهور الفقهاء أثبتوا الخيار لكل من الزوجين في فسخ النكاح إذا وجد الجذام في الآخر

المعرفة بالله تعالى

٢

فصل

قال في الدرجة الثانية معرفة الذات مع إسقاط التفريق بين الصفات والذات ، وهي تثبت بعلم الجمع ، وتصفو في ميدان الفناء ، وتستكمل بعلم البقاء ، وتشارف عين الجمع في شرح كلامه ومراده أولا ثم نبين ماله وعليه فيه ، فكانت هذه الدرجة عنده أرفع مما قبلها ، لأن التي قبلها نظر في الصفات وهذه متعلقة بالذات الجامعة للصفات ، وإن كانت الذات لا تخلو عن الصفات فهي قائمة بها ، ولا نقول : إن صفاتها عينها ولا غيرها ، لما في لفظ الغير من الاجمال والاشتباه ، فإن الغيرين قد يراد بهما ما جاز اقتراقهما ذاتا أو زمانا أو مكانا ، وعلى هذا فليست الصفات مغايرة للذات ، ويراد بالغيرين ما جاز العلم باحدهما دون الآخر فيفترقان في الوجود الذهني لافي الوجود الخارجي ، فالصفات غير الذات بهذا الاعتبار لأنه قد يقع الشعور بالذات حال ما يغفل عن صفاتها فتتجرد عن صفاتها في شعور العبد لافي نفس الامر . وقوله « مع إسقاط التفريق بين الصفات والذات » التفريق بين الصفات والذات في الوجود مستحيل ، وهو ممكن في الشهود بان يشهد الصفة ويذهل عن شهود الموصوف ، أو يشهد الموصوف ويذهل عن شهود الصفة ، فتجريد الذات أو الصفات إنما يمكن في الذهن ، فالمعرفة في هذه الدرجة تعلقت بالذات والصفات جميعا فلم يفرق العلم والشهود بينهما ، ولا ريب أن ذلك أكل من شهود مجرد الصفة أو مجرد الذات . ولا يريد الشيخ أنك تسقط التفريق بين الذات والصفات في الخارج والعلم بحيث تكون الصفات هي نفس الذات (١) فهذا لا يقوله الشيخ وإن كان كثير من أرباب الكلام يقولون إن الصفات هي الذات . فليس مرادهم أن الذات نفسها

(١) في ب « بحيث تكون الذات هي نفس الصفات »

صفة ، فهذا لا يقوله عاقل ، وإنما مرادهم ان صفاتها ليست شيئاً غيرها . فان أراد هؤلاء ان مفهوم الصفة هو مفهوم الذات فهذا مكابرة ، وان أرادوا انه ليس هاهنا أشياء غير الذات انضمت اليها وقامت بها ، فهذا حق

والتحقيق ان صفات الرب جل جلاله داخله في مسمى اسمه ، فليس اسمه الله والرب والإله أسماء ذات مجردة لا صفة لها البتة ، فان هذه الذات وجودها مستحيل ، وإنما يفرضها الذهن فرض الممتنعات ثم يحكم عليها ، واسم الله سبحانه والرب والإله اسم لذات لها جميع صفات الكمال ونعوت الجلال ، كالعلم والقدرة والحياة والارادة والكلام والسمع والبصر والبقاء والتقدم وسائر الكمال الذي يستحقه لذاته ، فصفاته داخله في مسمى اسمه ، فتجريد الصفات عن الذات والذات عن الصفات فرض وخيال ذهني لاحقيقة له ، وهي أمر اعتباري لا فائدة فيه ولا يترتب عليه معرفة ولا إيمان ولا هو علم في نفسه ، وبهذا أجاب السلف الجهمية لما استدلوا على خلق القرآن بقوله الله (الله خالق كل شيء) فاجابهم السلف بان القرآن كلامه وكلامه صفاته وصفاته داخله في مسمى اسمه كعلمه وقدرته وحياته وسمعه وبصره ووجهه ويديه ، فليس « الله » اسماً لذات لانعت لها ولا صفة ولا فعل ولا وجه ولا يدين ، ذلك إله معدوم مفروض في الأذهان لا وجود له في الأعيان كإله الجهمية ، الذي فرضوه غير خارج عن العالم ولا داخل فيه ولا متصل فيه ولا منفصل عنه ولا محايث له ولا مباين ، وكإله الفلاسفة الذي فرضوه وجوداً مطلقاً لا يتخصص بصفة ولا نعت ولا له مشيئة ولا قدرة ولا ارادة ولا كلام ، وكإله الاتحادية الذي فرضوه وجوداً سارياً في الموجودات ظاهراً فيها هو عين وجودها ، وكإله النصاري الذي فرضوه قد اتخذ صاحبة وولداً وتدرع بناسوت ولده واتخذ منه حججاً ، فكل هذه الآلهة مما علمته أيدي أفكارها . وإله العالمين الحق هو الذي دعت اليه الرسل وعرفوه باسمائه وصفاته وأفعاله فوق سمواته على عرشه بائن من خلقه ، موصوف بكل كمال ، منزّه عن كل نقص ، لا مثال له ولا شريك ولا ظهير ، ولا يشفع عنده أحد الا بأذنه ، هو الاول والاخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم ، غني بذاته عن كل ماسواه وكل ماسواه فقير اليه بذاته

قوله « وهي تثبت بعلم الجمع » وتصفو في ميدان الفناء » يعني ان هذه المعرفة الخاصة تثبت بعلم الجمع ، ولم يقل « بحال الجمع ولا بعينه ولا مقامه » فان علمه أولا هو سبب ثبوتها ، فان هذه المعرفة لا تنال الا بالعلم فهو شرط فيها ، وسيأتي الكلام — ان شاء الله تعالى — في الجمع عن قريب . فاذا علم العبد انفراد الرب سبحانه بالازل والبقاء والفعل وعجز من سواه عن القدرة على ايجاد ذرة أو جزء من ذرة ، وانه لا وجود له من نفسه فوجوده ليس له ولا به ولا منه . وتوالي هذا العلم عن القلب لا يسقط ذكر غيره سبحانه عن البال والذكر ، كما يسقط غناء وربوبيته ومملكته وقدرته ، فصار الرب سبحانه وحده هو المعبود والمشهد المذكور ، كما كان وحده هو الخالق المالك الغني الموجود بنفسه أزلا وأبداً ، وأما ما سواه فوجوده وتوابع وجوده عارية ليست له ، وكما في العبد عن ذكر غيره وشهوده صفت هذه المعرفة في قلبه ، فلها قال « وتصفو في ميدان الفناء » واستعار الشيخ للفناء ميدانا وأضافه اليه لاتساع مجاله لأن صاحبه قد انقطع التفاته الى ضيق الاغيار ، انجذبت روحه وقلبه الى الواحد القهار ، فهي تجول في ميدان أوسع من السماوات والأرض ، بعد ان كانت مسجونة في سجون المخلوقات . فاذا استمر له عكوف قلبه على الحق سبحانه ونظر قلبه اليه كأنه يراه ، ورؤية تفرد بالخلق والامر والنفع والضر والعطاء والمنع — كملت في هذه الدرجة معرفته ، واستكملت بهذا البقاء الذي أوصله اليه الفناء وشارفت عين الجمع بعد علمه ، فغاب العارف عن معرفته بمعرفة وعن ذكره بمد كوره وعن محبته وارادته بمراده ومحبوه فان ذلك قال :

« ويستكمل بعلم البقاء ويشارف عين^(١) الجمع » ولهذا المعرفة ثلاثة أركان^(٢)

أشار اليها الشيخ بقوله « ارسال الصفات على الشواهد » وارسال الوسائط على المدارج ، وارسال العبارات على المعالم » شواهد الصفات هي التي يشهد بها ويدل عليها من الكتاب والسنة وشهادة العقل والفطرة وآثار الصنعة فاذا تمكن العبد في التوحيد علم ان الحق سبحانه هو الذي دله صفات نفسه بنفسه ، لم يعرفها العبد من ذاته ولا بغير تعريف الحق له بما أجراه له سبحانه على قلبه من معرفة تلك الشواهد

(١) في المتن « بعين الجمع » (٢) في المتن « وهي ثلاثة أركان : ارسال ،

والانتقال منها الى شهود^(١) المدلول عليه ، فهو سبحانه الذي شهد لنفسه في الحقيقة ، اذ تلك الشواهد ، صدرها منه فشهد لنفسه بنفسه بما قاله وفعله وجعله شاهداً لمعرفته . فهو الاول والاخر ، والعبد آلة محضة ومنفعل ومحل لجريان الشواهد وآثارها وأحكامها عليه ليس له من الامر شيء ، فهذا معنى ارسال الصفات على الشواهد ، فاذا أرسلها عليها تبين له ان الحكم للصفات دون الشواهد بل الشواهد هي آثار الصفات ، فهذا وجه

ووجه ثان أيضاً وهو أن الشواهد بوارق وتجليات تبدو للشاهد ، فاذا أرسل الصفات على تلك الشواهد توارى حكم تلك البوارق والتجليات في الصفات وكان الحكم للصفات فينبذ يترقى العبد الى شهود الذات شهوداً علمياً عرفانياً كما تقدم قوله « وارسال الوسائط على المداير » الوسائط هي الاسباب المتوسطة بين الرب والعبد التي بها تظهر المعرفة وتوابعها ، والمداير هي المنازل والمقامات التي يترقى العبد فيها الى المقصود ، وقد تكون المداير الطرق التي يسلكها اليه ويدرج فيها ، فارسال الوسائط التي من الرب على المداير التي هي منازل السير وطرقه توجب كون الحكم لها دون المداير فيغيب عن شهود المداير بالوسائط وقد غاب عن شهود الوسائط بالصفات فيترقى حينئذ الى شهود الذات ، وحقيقة الامر أن يعلم أن الرب سبحانه ما أطلعته على معرفته الا بشواهد منه سبحانه وبوسائط ليست من العبد ، فهو قادر على قبض تلك الشواهد والوسائط وعلى اجرائها على غيره فان الامر كله له وتلك الوسائط لا توجب بنفسها شيئاً قال الله تعالى لرسوله (ولئن شئنا لنذهبن بالذي أوحينا اليك ثم لنجد لك به علينا وكيلاً الا رحمة من ربك - وقال للامة على لسانه - قل أرأيتم ان أخذ الله سمعكم وأبصاركم وختم على قلوبكم من إله غير الله يأتيكم به - وقال تعالى - قل لو شاء الله ما تلوته عليكم ولا أدراكم به) ويعلم العبد ان ما أخبر به الرب تعالى على لسان رسوله من شواهد معرفته والايمان به هي معالم يهتدي بها عباده اليه ويعرفون بها كماله وجلاله وعظمته ، فاذا تيقنوا صدقه ولم يشكوا فيه وتفظنوا لآثار أسمائه وصفاته في أنفسهم وفي سواهم انضم شاهد

(١) في ب « المشهود »

العقل والفطرة الى شاهد الوحي والشرع ، فانتقلوا حينئذ من الخبر الى العيان ، فالعبارات معالم على الحقائق المطلوبة ، والمعالم هي الأمارات التي يعلم بها المطلوب ، فإذا أوصل العارف كل معنى مما تقدم ذكره على مقصوده وصرف همه الى مجريه وناصبه ومصدره اجتمع همه عليه وتمكن في معرفة الذات التي لها صفات الكمال ونعوت الجلال ، ومقصوده أن يبين في هذه الأركان الثلاثة حال صاحب معرفة الذات وكيف ترتب الاشياء في نظره ويترقى فيها الى المقصود.

مثال ذلك ان الشواهد أرسلته الى الصفات بارسالها عليها فانتقل من مشاهدتها الى مشاهدة الصفات والوسائط التي كان يراها آية على المدارج انتقل فانتقل منها الى المدارج ولم يلقها وإنما تعلق بما هي آية له . والعبارات التي كانت عنده ألفاظا خارجة عن المعبر عنه صارت أمارات توصله الى الحقيقة المعبر عنها . فبهذه الأركان الثلاثة يصير من أهل معرفة الذات عنده

قواه ^(١) وهذه معرفة الخاصة التي تؤنس من أفق الحقيقة أي تدرك وتحس من ناحية الحقيقة ، والايناس الادراك والاحساس قال الله تعالى (فان آنستم منهم رشدا فادفعوا اليهم أموالهم) وقال موسى (اني آنست من جانب الطور نارا) والمقصود ان العارف اذا علق همه بأفق الحقيقة وأعرض عن الاسباب والوسائط — لا يعرض جحود وانكار بل يعرض اشتغال ونظر الى عين المقصود — أوصله ذلك الى معرفة الذات الجامعة لصفات الكمال والله سبحانه وتعالى أعلم

فصل

قال ^(٢) الدرجة الثالثة معرفة مستغرقة في محض التعريف ، لا يوصل اليها الاستدلال ، ولا يدل عليها شاهد ، ولا تستحقها وسيلة ، وهي على ثلاثة أركان: مشاهدة القرب ^(٣) والصعود عن العلم ، ومطالعة الجمع ، وهي معرفة خاصة الخاصة أما كانت هذه المعرفة عنده أرفع مما قبلاها لان ما قبلها متعلقة بالوسائط والشواهد متصلة الى المطلوب ، وهذه متعلقة بعين المقصود فقط ، طهية للوسائط والشواهد ،

(١) في المتن «وهي معرفة» الخ (٢) في المتن «القلوب» واعلمها غلط

فالوسائل صاعدة عنها اليه وهي غالبة على حال العارف وشهوده وقد استغرقت ادراكه لما هو فيه بحيث غاب عن معرفته بمعرفته وعن ذكره بمذكوره وعن وجوده بموجوده فنقوله « مستغرقة في محض التعريف » المعرفة صفة العبد وفعله ، واثم تعريف فعل الرب وتوفيقه ، فاستغرقت صفة العبد في فعل الرب وتعرفة نفسه لعبده . وقوله « لا يوصل اليها بالاستدلال » يريد ان هذه المعرفة في الدرجة الثالثة لا يوصل اليها بسبب فان الأسباب قد انطوت فيها ، والوسائل قد انقطعت دونها ، فلا يدل عليها شاهد غيرها ، بل هي شاهد نفسها ، فشاهدتها وجودها ودليلها نفسها . ولا تعجل بانكار هذا فالأمور الوجدانية كذلك ودليلها نفسها وشاهدتها حقيقتها ، فتصير هذه المعرفة للعارف كالأمور الوجدانية . كاللذة والفرح والحب والخوف وغيرها من الأمور التي لا يطلب من قامت به شاعدا عليها من سوى أنفسها

ولعمري ان هذه درجة من المعرفة منيفة ورتبة شريفة تنقطع دونها أعناق مطايا السائرين ، فاذلك لا يوصل اليها بالاستدلال ولا يدل عليها شاهد ولا نستحقها ومبيلة ، والأعمال والأحوال والمقامات كلها وسائل وهي لا تستحق هذه الدرجة من المعرفة وإنما هي فضل من الفضل كما بيده وهو ذو الفضل العظيم ؛ وكون الوسائل المذكورة لا تستحقها لا تمنع من القيام بها على أتم الوجوه وبذل الجهد فيها ، ومع ذلك فلا نستحقها الوسائل

قوله « وهي على ثلاثة أركان : مشاهدة الرب والصمود عن العلم ومطالعة الجمع » إنما كانت هذه الثلاثة أركاناً لها لان صاحب هذه المعرفة قد وصل من القرب الى مقام يليق به بحسب معرفته فكأنما كانت معرفته أنهم كان قربه أنهم ، فان شهود الوسائل والوسائل حجاب عن عين القرب ، وإنهاؤها وجودها حجاب عن أصل الإيمان . وأما صموده عن العلم فليس المراد به صموده عن أحكامه فان ذلك سقوط وزول الى الخفيض الأدنى ، لا صعود الى المطلب الأعلى ، وإنما المراد انه يصمد بأحكام العلم عن الوقوف معه وتوسيطه بينه وبين المطلوب فان الوسائل قد طوي بساطها في هذا الشهود والمعرفة ، أعني بساط الوقوف معها وانظر اليها فيذكر مشهوره وممروقه به سبحانه لا بالعلم والتدبر بل بالمشاهدة والهيان ، وان كان لم يصل الى

ذلك الا بالعلم والخبر لكنه قد صعد من العلم والخبر الى المعلوم المخبر عنه .
 وأما مطالمة الجمع فهي الغاية عند هذه الطائفة ، ونحن لانكر ذلك لكن : أي
 جمع هو ؟ هل هو جمع الوجود كما يقوله الاتحادى ؟ أم جمع الشهود كما يقوله صاحب
 الفناء في توحيد الربوبية ؟ أم هو جمع الارادة كلها في مراد الرب تعالى الدينى الأمري ؟
 فالشأن في هذا الجمع الذي مطالمة من أعلى أنواع المعرفة . نعم ها هنا جمع آخر مطالمة
 هي كل المعرفة وهو جمع الافعال في الصفات وجمع الصفات في الذات وجمع الاسماء
 في الذات والصفات والافعال ، فمطالمة هذا الجمع هي غاية المعرفة وأعلى أنواعها ،
 وهي لعمر الله معرفة خاصة الخاصة ، والله المستعان وبه التوفيق ولا حول ولا قوة الا بالله إهـ

[المنار]

ان أكثر الناس يرون هذا الكلام غريباً لا يكاد يفهم ، ويعدون هذه المعرفة
 خيالية لا تكاد تعقل ، ومثل هؤلاء العارفين في نظر جمهور أهل العلوم النظرية والفنون
 العملية ، كمثل خواص الادباء الذين يتمتعون بجمال المعاني الدقيقة ، متجلية في العبارات
 الرشيقة ، في نظر عوام أهل البلاد . ذوي العي والفهاة ، — أو كمثل بعض أهل
 الذوق السليم ، العاشقين لجمال هذا الكون العظيم ، يؤمنون روضة غناء ، أو غابة غيباء ،
 يسابقون اليها أشعة الشمس ، ليمتعوا بجمالها الحس والنفس ، — في نظر مجرم فظ ،
 غليظ الطبع ، لا يرى حظاً من تلك الروضة الا أن يجتث أزهارها ، ويقطع أشجارها ،
 ليتخذ الاولى علفاً لحماره ، والثانية وقوداً لتاره ، أو كمثل المغرمين بآلات الطرب ،
 وسماع الالحان في العشق والادب ، في نظر العابدين المتبتل ، أو المعجوز الثاقل ،
 على أن جميع الذات المعنوية ما أشرنا اليها منها وما لم نذكر اليه هي مبادئ
 ومسايل تلك الالذة الروحية العليا التي يجدها العارفون بالله تعالى ، فكل ما في الكون
 من الجمال والكمال فهو بعض جماله وكماله عز وجل ، اذ هو صنع الله الذي أتقن
 كل شيء ، وكل طائفة من طوائف البشر المرتقية تتمتع بنوع من أنواع جمال
 الكون والعارفون بالله هم الذين يتمتعون بكل نوع من تلك الانواع متمتعاً ارقى واعلى
 من تتمتع المفردين بالارتقاء فيه ، ويتمتعون بما هو أعلى من ذلك وأجل واكمل ،
 وقد خسرنا لذلك المثل ، والله اعلى واجل ،

باب الشعر والادب

شرف العلم وشماثل العلماء

نبدأ هذا الباب بقصيدة القاضي عبد العزيز الجرجاني الشهيرة
في شرف العلم وأخلاق العلماء وشماثلهم قال: —

يقولون لي فيك انقباض وانما
أرى الناس من دانا هم هان عندهم
ولم أقض حق العلم ان كان كلما
وما زلت منجازاً بمرضي جانباً
إذا قيل هذا منهبل قلت قد أرى
أنزهاها عن بعض ما لا يشينها
فأصبح عن عيب اللئيم مسلماً
واني إذا ما فاتني الامر لم أبت
ولكنه ان جاء عفواً قبلته
وأقبض خطوي عن حظوظ كثيرة
وأكرم نفسي أن أضاحك عابساً
وكم طالب رقي بنعماء لم يصل
وكم نعمة كانت على الحر تقمة
ولم أبتذل في خدمة العلم مهجتي
أشقي به غرساً وأجنيه ذلة

وأوارجلاً عن موقف الذل أحجماً
ومن أكرمه عزّة النفس أكرماً
بدا طمع صيرته لي سلماً
من الذل أعنّد الصيانة منماً
ولكن نفس الحر تحمل الظما
مخافة أقوال العدا فيم أواماً
وقد رحت في نفس الكريم معظماً
أقلب فكري إثره متندماً
وان مال لم أتبعه هلاً وليناً
إذا لم أنلها وافر العرض مكرماً
وان أنلق بالمدح مذمماً
اليه وان كان الرئيس المعظماً
وكم تغنم يعتدّه الحر مغرماً
لأخدم من لا قيت لكن لأخدماً
إذا فاتباع الجهل قد كان أحزماً

ولو أن أهل العلم صانوه صانهم ولو عظموه في النفوس لعظما
ولكن أهانوه فهان ودنسوا محياه بالأطباع حتى تجها
وما كل برق لاح لي يستنزي ولا كل من في الأرض أرضاه منعا
ولكن إذا ما اضطررتي الضر لم أبت أقلب فكري منجدا ثم متها
إلى أن أرى ما لا أغص بذكره إذا قلت قد أسدى إلي وأنما

ومما يروى عن الإمام الشافعي في معنى هذا الشعر قوله :

العلم من شرطه لمن خدمه أن يجعل الناس كلهم خدمه
وواجب صوته عليه كما يصون في الناس عرضه ودمه
فمن حوى العلم ثم أودعه بجهله غير أهله ظلمه
وكان كالمبتي البناء إذا تم له ما أراد هدمه

المراد من البيت الأول : أن من خدم العلم حق الخدمة ساد الناس وكان اماما
وقدوة لهم . وبذلك يجعلهم خدما له باختيارهم . وإنما يكون هذا في الامم الحية التي
تعرف قدر العلم وأهله . وكذلك كان المسلمون في عصر الامام الشافعي ، وهو ما نرى
مثاله في امم الافرنج اليوم على كثرة علمائهم المبرزين . وقد نهى أحد ملوكهم ولده
أن يخاطبه بتمت « الجلالة » في حضرة شاعر الفرنسي الملقب [فيكتور هيفو]

والمراد من صون العلم في البيت الثاني المفسر في البيت الثالث ان إيداعه غير
أهله هو ان تصان العلوم الكمالية التي هي فروض كفاية عن السفهاء فاسدي
الاخلاق ، فلا يلقن هؤلاء الا ما يجب عليهم شرعا لاداء عباداتهم وتصحيح
معاملاتهم . ثم يصرفون الى الاعمال اللائقة بهم لانهم اذا تقنوا العلوم العالية
يتخذونها ذرائع لفاسدهم ، ويضلون الناس بحياهم وسوء سيرتهم ، كما نرى مثاله في
رعاع الناس الذين يتعلمون ولا يتهدون ثم يصيرون حكاما او معلمين

وللامام شعر آخر في هذا المعنى رواه السبكي في طبقات الشافعية بسنده الى
ابي عمر العثماني قال : لما دخل الشافعي الى مصر كاه أصحاب مالك فأشأ يقول :

أأثر درًا بين راعية الغنم وأثر منظوما لراعية النعم
 أن كنت قد ضيَّعت في شربلدة فليست مضيعا بينهم غرر الكلام
 فإن فرَّج الله الكريم بلفظه وأدركت أهلا للعلوم وللحكم
 بثبت مفيد أو استفدت ودادهم والا فمخزوت لدي ومكتم
 ومن منح الجمال علما أضاعه ومن منع المستوجبين فقد ظلم

وروي السبكي بسند آخر يبين عن الشافعي ذكر لها سببا يدل على قدم التعصب
 لهؤلاء الأئمة ، فقد نقل عن الحافظ ابن منده أن الربيع قال رأيت أشهب بن عبد
 عبد العزيز ساجدا وهو يقول في سجوده : اللهم أمت الشافعي والا يذهب علم
 مالك . فبلغ الشافعي ذلك فتبسّم وأنشأ يقول :

تمنى رجال أن أموت فإن أمت فتلك سبيل لست فيها بأوحد
 فقل للذي يبني خلاف الذي مضى تهيباً لاخرى غيرها فكان قد

ومما روي عنه من الشعر ، عند إرادة الهجرة الى مصر ، قوله : —

لقد أصبحت نفسي تتوق الى مصر ومن دونها ارض المهامه والقفر
 فوالله ما أدري الفوز والغنى أساق اليها أم أساق الى قبري

ومن شعره الذي يذكر فيه السفر ولوازمه ما روي عن صاحبه المزني قال : قدم
 الشافعي بعض قدماته من مكة فخرج إخوان له يتلقونه وإذا هو قد نزل منزلا وإلى
 جانبه رجل جالس وفي حجره عود ، فلما فرغوا من السلام عليه قالوا له : يا أبا
 عبد الله أنت في مثل هذا المكان ؟ فأنشأ يقول : —

وأتراني طول النوى دار غربة بجاورني من ليس مثلي يشا كله
 فخامقته حتى يقال سجيبة ولو كان ذا عقل لكنت أعاقله

ويروي أحامقه مكان فخامقته . ومعنى حامقته ساعدته على حقه كما قال
 الجوهري وابن منظور ، وأما عاقله فمناه غالبه في العقل ، فيفهم من البيت أن الامام

كان بجاري رفيقه الموّاد في هوسه بضرب العود ولا يتأني هذا الا اذا كان يرى اباخته

أكثر شعر الامام الشافعي في الحكم والاخلاق ، وروي عن أبي يعقوب البوبطي أنه قال له : قلت للشافعي : قد قلت في الزهد قول لك في الغزل شيء ؟ فأنشدني
يا كاخل المين بعد النوم بالسهر
لو أن عيني اليك الدهر ناظرة
ما كان كحلك بالمنعوت للبصر
جاءت وفاتي ولم أشبع من النظر
لولا التفرق والتنقيص بالسهر
ان الرسول الذي يأتي بلا عدة
ومن كلاه في الشكوى من الاعتياء
الاعتياء البغلاء

وأنطقت الدراهم بعد صمت
فما عطفوا على أحد بفضل
أناساً بعد ان كانوا سكوتاً
ولا عرفوا لمكرمة بيوتاً
وجدير بهذا القول من عبر عن حاله بعد اتفاق جميع ماله بهذين البيتين
يا لطف نفسي على مال أجود به
ان اعتذاري لمن قد جاء يسألني
على المقامين من أهل المروءات
ماليس عندي لمن احدى المصيبات
وقال في الصداقة

صديق ليس ينفع يوم بأس
وما يفي الصديق بكل عصر
قريب من عدو في القياس
أخا ثقة فأكداه التماسي
تكرت البلاد علي حتى
كان أناسها ليسو بناس

وقال في مثل ذلك

ليت الكلاب لنا كانت مجاورة
ان الكلاب لتهدا في مراتبها
واننا لا نرى ممن نرى أحدا
والناس ليس بهاد شرهم أبدا
فأنجح نفسك واستأنس بوحدها
تلقى سعيدا اذا ما كنت منفردا

باب امر اسئلة والمناظرة

حال المسلمين اليوم وجماعة الدعوة والارشاد

حضرة السيد الامام العالم البصير والمصلح الكبير السيد محمد رشيد رضا

السلام عليكم ورحمة الله . وبعد فقد طرق سمعي ما وصلت اليه حال جمعية الدعوة والارشاد ومدرستها من الضعف بسبب نفاذ المال القليل الذي جمع لها وبخل المسلمين . فأتى ذلك في قلبي تأثيرا محزنا لعودنا عن العمل في الوقت الذي نهضت فيه أمم العالم قاطبة . وحيث إن حبل رجائي مع ذلك لم ينقطع من ترك المسلمين لهذه الغفلة وهذا الجود الذين أخرجوا مركزهم أشد الخرج في الهيئة الاجتماعية — رأيت أن أبث اليكم بهذه الكلمة راجيا نشرها في مجلتكم المنيرة قياما بالنصيحة الواجبة على كل مسلم وتذكرا للمستعدين (و ذكر فإن الذكري تنفع المؤمنين) :

أتى على المسلمين حين من الدهر كانوا فيه أعزاء ترفرف فوقهم أجنحة الامن والسعادة ، وكانوا خيرا على أنفسهم وعلى البشر بما وضعوا من النظام القويم ، والقوانين العادلة ، وبما كانوا يقومون به من الاعمال النافعة لأنفسهم والناس . ولا عجب فقد كانوا في ذلك متبعين أوامر دينهم الخفيف . فلما انحرفوا عنها كما هو حالهم الآن شقوا وصاروا شرا وبلاء على أنفسهم وعلى البشر ، وأصبحوا عالة على الامم الاخرى في جميع مقومات الحياة وعبرة لمن يعتبر ،

على ان أعظم ما تركه المسلمون من هداية دينهم وكان له الاثر السيئ في عامة شؤونهم هو فريضة « الامر بالمعروف والنهي عن المنكر » و « الدعوة الى الدين » . فقد أدى اغفال الفرض الاول الى انتشار المنكرات والفجور بالتدريج بين المسلمين كافة ، وفشو الجهل فيهم بأقبح أشكاله ، وأن صار الدين غريبا عن كل أعمالهم . وهذه الاعمال أثرت فيهم أعظم تأثير بالمواظبة عليها ، وعدم وجود من يقاومها أو

ينكرها ، فألفتها نفوسهم واستأنست بها فكانت ملوكات وتقاليد وعادات . ولم يقف الشر عند هذا الحد بل بانغ المسلمون في الامر فالتمس بعضهم نصرا من الشرع يستبيحون بها ما أحدثوا في الدين فلما أعياهم ذلك تأولوا كتاب الله وسنة رسوله بغير ما يؤيدان اليه وطبقوا بعض محدثاتهم عليهم ما وهب من أنفسهم والناس انهم من الدين وما هي من الدين ، وان هم الا يكذبون .

وكان من عاقبة اهمالهم الفرض الثاني انتشار الكاذب عن الدين الاسلامي وتشويه أعدائه لسمعته ، وقلبهم لحقيقته ، حتى خفيت هذه الحقيقة عن مرئيه أو المستعدين لقبوله . وقد فطنت لفوائد الدعوة الى الدين الامم المسيحية العظيمة الحية فتألفت عندهم الجمعيات ذات رؤوس الاموال الضخمة التي أوفدت رجال الدين الى مشارق الارض ومغاربها وزودتهم بالمال الوفير وعضدتهم بنفوذها فنجحت أعمالهم في نشر الدين المسيحي حتى بين المسلمين .

ألا إن البلاء الذي نزل بالمسلمين لعظيم . وما ينتظرهم منه ان لم يفتيقوا من غفلتهم أعظم . وقد صاروا الآن امام أحد أمرين : إما العمل العاجل السريع ، وإما الهلاك الأكيد والسقوط المريع . ولا مخرج من هذا البلاء إلا بالاقلاع عن هذه الخطة الذميمة الضارة ، والعمل بقواعد الدين الاسلامي الذي نعتقد ان فيه فلاحنا وسعادتنا في الدنيا والآخرة . وان أعظم ما ينبغي البدء به منها انما هو قيامنا بهذين الفرضين العظيمين « الامر بالمعروف والنهي عن المنكر » « الدعوة الى ديننا القويم » . ولكن لذلك وسائل لا بد من إعدادها وتوفيرها في الامة . اذ انه لا يستطيع القيام بذلك الواجب إلا اناسي يتخصصون له من أفراد المسلمين يكونون واسعي الاطلاع بعلوم الدين واقفين على حقائقه ملمين بطرف من العلوم الاجتماعية والعصرية على قدر حاجتهم منها كي يمكنهم تقريب ما يريدون من اذهان مخاطبيهم على اختلاف درجاتهم في العلم والاستعداد وتباينهم في الاخلاق والعادات . ولما كان أمثال هؤلاء لا وجود لهم الآن في الامة الاسلامية أو ما يوجد منهم ليس بالعدد الكافي - قضت الضرورة بإعداد هؤلاء الهداة اعدادا وانشاءهم انشاء . وهذا ما فكر فيه استاذنا زاده الله توفيقا فاقترح تأسيس جمعية [جماعة الدعوة والارشاد

ومدرستها الجليلة وبذلك وصف الدواء لداء الامة الدفين الذي كاد يودي بحياتها.
ان مهمة تعليم فئة من المسلمين ذلك التعليم الخاص وتربيتهم تلك التربية الدينية
المحضة بين زواجر الفساد التي اكدست البلاد لمن الاعمال التي تتطلب كفاءة
عظيمة واستعدادا خاصا - ولكن الاستاذ الذي لا ينثني له عزم أخذ على عاتقه
القيام بانفاذ المشروع وحق للمسلمين ان يفرحوا ويتהלوا وقد جاءهم الطبيب الماهر ،
ولكن ماذا حصل ؟

نشر المقترح دعوته بين المسلمين في انحاء المعمورة كافة فلبتها طائفة كل على
قدر استعداده وقبوله للمشروع فكان المال الذي جمع كان قلاما جدا لا يفي بجزء
ما يلزم لهذا العمل العظيم واتقبضت أيدي سائر المسلمين
وأما الاستاذ فقد بسط يده للعمل على قلة وسائله فولد المشروع وقوت برؤيته
عيون المخلصين . ولكن ذلك المولود ككل مولود حي يحتاج الى عناية وغذاء كي
ينمو ويشتهد ، غير أن ضن المسلمين بالمال كان سببا في سريان الضعف اليه حتى
أشرف على الاضمحلال والعياذ بالله تعالى .

ولا يفوتني في هذا المقام ملاحظة التفاوت العظيم في إقبال الشعوب الاسلامية
على المشروع . فمع ان المكان الذي اختبر ليكون مقرا للجمعية ومدرستها هو مصر
فان قومي المصريين لقللة ما ساعدوا كانوا كأنهم غير متصودين بالدعوة حتى انه
ليصح أن يقال مع الخجل العظيم ان الجمعية أسست والمدرسة أنشأت من أموال
غيرهم .

فأتم يا مسلمي مصر بوجه خاص أعنيكم بالمقال . انه غير خفي بكم أن تقفوا
ما كنتم امام أعظم مشروع اسلامي وهو قد انشئ بينكم واحتسب بجواركم ولكم
ثمارة وشرفه قبل غيركم . ان اضمحلال هذا العمل لا قدر الله ان بسبب سمة
المصريين كثيرا كما ان نجاحه يشرفهم ويرفع قدرهم . ففي هذه الازمة الكبرى التي
يجتازها العالم أجمع وتندوس فيها الامم الكبيرة باقدامها ظهور الامم الصغيرة أو الضعيفة
ينبغي للشعب المصري الكريم الذي آتاه الله من الاستطاعة على خدمة دينه ما لم
يؤت غيره ان يقوم بالعمل الذي ينتظره منه العالم الاسلامي الذي يهدى في مقام الامام

المرشد وهو تعظيم هذا المشروع الذي اذا قوي وعاش سيكون باذن الله تعالى ينبوع حياة الاسلام والمسلمين واساساً لسعادتهم المستقبلية .

ان المصريين يستطيعون ان يحرزوا هذا الفخر الخالد بالتبرع بشيء من مالهم لا يضرهم انفاقه ولا يفيضهم امساكه ، ان المشروع ضروري حيوي ونجاحه يدل على حياة كامنة في جسم الامة الاسلامية طالما أنكرها اهلها محقروها وحاسدوها كما ان مرته لا قدر الله يشمت فينا أعداءنا ويحجلنا عرضة لمزء العالم أجمع وسعيرته تقوم الامم الحية كل يوم بالاعمال العظام والمشروعات الكبرى لاغراض ثانوية أو كالية ونجد الاموال تتدفق على القائمين بها من جيوب أهل الغيرة من أهلها فلا يمضي وقت قصير حتى توضع لها أسس وطيدة ودعائم ثابتة ويمجني القريب والبعيد من أفراد الامة ثمارها ، وهذا مشروع واحد أساسي لحفظ حياتنا الدينية والمدنية ، وسلاح لدرء الخطر الذي يهدد كيان الملة الاسلامية ، ونور لمحو الظلمة التي خيمت على العقول والقلوب ، ورحمة لمنع ما حل بنا من الشقاء والخطوب . فهل يموت رضيعا وفي جيوبنا درهم ؟ وهل نستطيع بعده ان ندعي المروءة والشم ؟ « انما أموالكم وأولادكم فتنة والله عنده أجر عظيم »

اي قوم ، ان المشروع كبير ولا يقوم به الا أعظم الرجال استعدادا وأبعدهم همة . ومثل هؤلاء قليل ظهورهم في الامة . وان الاستاذ صاحب الاقتراح بما هو عليه من التقوى والصلاح وما امتاز به من العلوم الشرعية وما كسبه من الملاحظات الثمينة والاختبار العظيم بسياحاته العديدة في بلاد المسلمين وما وهبه الله من الاستعداد الفطري النادر المثال لا ريب انه أقدر الناس على تنفيذ على الوجه الأكمل ووضع أسسه الكفيلة ببقائه حتى يستطيع من يخلفه فيه ان يتبع خطواته بغير عناء .

ان الرجل ثالث ثلاثة نوابغ لم يوجد لهم نظير من عدة قرون وقد شهد الاستاذ الامام بكفائه وجمله موضع رجائه . فعلى المسلمين كافة والمصريين خاصة ان يستدركوا ما فاتهم من الانتفاع بمواهب سلفيه « جمال الدين » « محمد عبده » بأن لا يضيعوا الفرصة السانحة الآن . انكم ان أضعموها بنخش أن لا تعود قبل عدة قرون . أقول وقولي هو الحق ، انه لو علم المسلمون حق العلم بقدر رجلهم الذي ضيعوا

أمواله وحياته ونفسه في سبيل مصلحتهم اقدوه بالاولاد قبل الاموال ، وبالنفس قبل الاولاد . لا مرء في ان الامة الاسلامية أشد الام تأخرا في مضمار الحياتين الدينية والمدنية وهي لذلك أشدهم افتقارا للعمل . فان كنتم أيها المسلمون لا تعملون الآن فتمت تعملون ، وان لم يعجبكم مشروع امامكم الرشيد فماذا أنتم من وسائط الحياة والعمل النافع تعدون . وان كنتم مقتنعين بصلاحية المشروع فن ذا الذي يقدر على تنفيذه كما ينبغي من بعده أفلا تذكرون ؟

أيها المسلمون ان الله غني عني وعنكم وعن العالمين . ولا يتوقف نصر حق على مساعدتنا . قاله يختار لنصرة دينه من يشاء . فان لم تكن من الوقتين ، فيوشك ان يخرج الامر من أيدينا ويوكل الله به قوما آخرين . والله غيور على دينه وحافظ له من الزوال . ولا بد ان يتم نوره ولو كره الكافرون . فظهور الدين محقق فان لم يكن على أيدينا فيكون على أيدي غيرنا « ها أنتم هؤلاء تدعون لتنفقوا في سبيل الله فمنكم من يبخل ومن يبخل فانما يبخل عن نفسه والله الغني وأنتم الفقراء وان تولوا يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم » « إن يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد » وما ذلك على الله بعزيز .

فمن ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا يضاعف له القرض ؟ ومن يسارع الى جنة هرضها السوات والارض ؟ هذا أو ان العمل فاعملوا أيها المسلمون ، وهاكم طريق الفلاح فاسلكوه لعلكم تهتدون .

يا قوم : أنذرتكم ونصحت لكم وأنا منكم ، واقع في التقصير مثلكم ، وأنا أدعوك وادعو نفسي قبلكم ، بالتبرع بما تقدر عليه من مالي ومالكم ، لا يستقل مقل حطاة وان قل ، ولا يستكثر مكثر ما يستطيع ان يبذل . وها أنا ذا اخطو الخطوة الاولى في هذه الكرة الثانية فادفع على قلة ثروتي خمسة عشر جنيها مصريا بعد ان دفعت في الكرة الاولى عشرين جنيها مصريا . ابغيتها ذخرا عند من خلقي ولم أك شيئا ، فأقبلوا على تجارة لن تبور ، واهلوا الى التبرع بالقليل والكثير . وانظروا الى ما نحن فيه من المحنة ، وادروا السيئة بالحسنة ، وأحرزوا بالقيام بتنفيذ المشروع شرفا تحفظه لكم الاجيال المقبلة فلا يضيع ، ويكون لكم عند الله خير

شفيح ، يوم يقوم الناس ويحشر الجوع .

هذا وانصافاً لمجلة المنار الإسلامية ، وتقديراً لخدمتها في سبيل الغرض المقصود للجمعية ، ادفع اشتراك خمس سنين سلفاً ، وأتبرع باشتراك سنة لمن يبرز في انشاء أحسن مقالة في أحسن فكرة اصلاحية لخدمة الاسلام والمسلمين . فسدّد الله لهم أعمالنا ، وأنزّل لنا سبيلنا ، آمين . م . ن .

[المنكا]

نشكر للكاتب غيرته على دينه وملكته ، وشعبه المصري وسائر أمته ، كما نشكر له حسن ظنه فينا ، ونسأل الله ألا يجعل اطراءه فتنة لنا ، ولا بدعة الى ترجيح ظنه فينا على ما نعلمه من ضعفنا وعجزنا ، ونرجو ان يعذرنا اذا نحن لم تقبل منه الاشتراك عن خمس سنين سلفاً فحسبه من الوفاء للمنار ما جرى عليه من دفع اشتراك كل سنة سلفاً ، فهو من السابقين بالخير اشتراكاً وأداءً .

هذا — وإن الكاتب قد كان كتب مقالاً قبل هذا في معناه أكثر ما فيه المبالغة والاغراق في المدح والثناء على صاحب المنار فكان استحيائنا من نشره بل من قراءته أقوى وأشد من استحيائنا من رده ، مع يقيننا باخلاص الكاتب واعتقاده أنه كتب بعض الحقيقة بلا ضل ولا مبالغة ، وقد قلنا له إننا لانظن ان نشره يأتي بالفائدة التي ترمي اليها ، وإن كنت أحسن منا ظناً ولا بد أن تكتب في هذه الدعوى شيئاً فتجعل الكلام في موضوع الصل دون مدح العامل ، — فجاءنا بهذا المقال ، فلم نر بدا من نشره ، لأن ذلك من حق كاتبه علينا اذ لانعرف أحداً من الناس أشد غيرة ، وإخلاصاً منه لربه ودينه وأمته ، وأي دليل أدل على الغيرة والاخلاص من بذل المال في سبيل الله ؟ وقد علمنا علم اليقين اننا لو قلنا أن نأخذ منه جميع ما بيده لإيقافه في مشروع الدعوة والارشاد لبذله مرتاحاً ، بل طالما عرض علينا بذل ماله ووقته فيما نراه من خدمة الدين وإقامة السنة ، ولكننا نعلم ان عياله أحوج الى ذلك من مشروع لا يتوقف نجاحه على هذا المال القليل ولا يسقط بفقده ، وقد كان ما بذله كتابة بهذه المقالة أكثر مما أثبتناه فيها فاستأذناه بتصحيحه فنسكت بعد

مناقشة ومراجعة

واننا نستحسن ان نعبد بعض ما سبق لنا من الكلام في أسباب نشر بعض الرسائل والاسئلة المشتملة على الثناء وألقاب المدح لنا بنصها على خجلنا مما في بعضها من المبالغة وانتقاد كثير من الناس لنشر مثله، وأهم تلك الاسباب الامانة وبيان آراء الكتّاب في الاصلاح الاسلامي والقائمين به لاهل عصرهم ولبن بعدهم وموافقة سلفنا الذين كانوا ينشرون مثل ذلك بنصه كما تراه في كتب الفتاوى، وكان كثير من هذه الفتاوى ينسخ في عصور العلماء الذين كتبوها وينشر في الاقطار

إن بيان ما ذكر من الاسباب لنشر ما اشتمل على المدح باب من أعظم أبواب التاريخ وأعظم فائدة، وليس هو من قبيل تدوين المداخل الشعرية في شيء، واننا نكره المداخل الشعرية المحضه، ويقابل هذا الباب في تاريخ الاصلاح باب الانتقاد وقد التزمنا نشر ما يجيئنا من الانتقاد على أقوالنا وأعمالنا حتى أننا ندعو الناس الى ذلك في منار كل عام ولم ندع أحدا قط الى المدح والتعجيز وإن كان من قبيل التعاون على البر والتقوى الذي يقصده صاحب هذه الرسالة

كتب الكاتب هذه الرسالة معبرا بها عن بعض ما في نفسه من وجدان واعتقاده واجبا ان يشعر بشعوره ويعتقد اعتقاده كثير من المسلمين فينبضوا بمشروع الدعوة والارشاد، ويجود كل له بما يستطيع على قدر ما آتاه الله من السعة والثروة، ولولا ذلك لما كتب حرفا. وقد نشرنا له ما كتب احتراماً لشعوره واعتقاده ولما فيه من التعاون على الدعوة الى الخير والامر بالمعروف الذي تصدينا له، ولكننا لانظن أن دعوته نجاب ولا أن أمنيته تصدق وإن كنا من القائلين بتأثير الكلام في الجملة، وانما يكون التأثير بقدر استعداد من يقرأ الكلام ويسمعه، ولا يزال استعداد الأمة الاسلامية للقيام بالاعمال الاجتماعية ضعيفا جدا، وهو في البلاد التي لها حكام من أهلها، أضعف منه في غيرها، وإن كان هؤلاء الحكام صوريون لا استقلال لهم في سياسة ولا ادارة، فأرقى مسلمي الهند وبنسبها هم أهل الولايات التي يتولى حكمها الانكليز بأنفسهم، وابعدهم عن الترقى والاصلاح من لهم حكام من أنفسهم، وسنين رأينا في أغنياء بلادنا وأصناف الناس في الجزء الآتي ان شاء الله تعالى

خاتمة السنة الثامنة عشرة للمنار

وحاله في السنة الجديدة

بحمد الله نختتم السنة الثامنة عشرة للمنار كما افتتحناها بحمده وهو الذي بحمد
في السراء والضراء وحين البأس ، فله الحمد والشكر والثناء الحسن عودا على بدء ،
فقد لطف بنا في هذه العشرة العامة ، ورحمنا في هذه الفتنة الطامة ، التي لم تصب
الذين ظلموا منا خاصة ، وغاية ما أصاب إدارة المنار ومطبعتها من تأثير هذه الحرب
ان قل دخلها وفقدت أكثر أصناف الورق بضعة أشهر لقلّة الوارد من أوربة ومضاعفة
ثمنه أضعافا ، حتى ان هذا الجزء من المنار بدى بطبعه في أواخر شهر ذي الحجة سنة
١٣٣٣ وطبع بعضه في ربيع الآخر والكراسان الاخيران منه في شهر رجب سنة ١٣٣٤
ونحن قد كنا ابتعنا في أول سنة ١٣٣٣ ورقا يزيد عن حاجة المنار فيها بعد أن
أمرنا المطبعة بأن تنقص ألف نسخة مما كان يطبع منه في مقابلة انقطاعه عن الممالك
العثمانية و بعض البلاد التي تعذر ايصاله اليها ، ثم علمنا في أواخر السنة ان الورق
قد نفذ ، لأن الأمر باتفاص المطبوع ما نفذ ، وما ذاك الا ذهول ونسيان ، وما قدر
كان ، فعهدنا الى من يجلب لنا الورق من أوربة بطلب طائفة منه فلم يصل اليينا
بعض ما طلبنا الا بعد بضعة أشهر ، وهو لا يكفي لاصدار عشرة أجزاء من المنار
وان نقصنا من المطبوع ألف عدد أو أكثر

فتنحن مضطرون لفلة الورق وخشية انقطاع وروده كما يتوقع تجار الجلب ان
نجهل كل جزء منه ثمانية كرايس (ملازم) فاذا يسر الله لنا ورقا تم السنة اثني عشر
شهر فيكون المجلد التاسع عشر كالثامن عشر ، والا جعلناها عشرة أشهر فقط ، على
ان ورقها أغلى ثمننا من ورق المجلدات الكاملة

هذا وان قراء المنار في مصر يعلمون أن دخله قد انقطع من عدة ممالك تعذر
ارساله اليها في زمن الحرب ، فلم يبق له مورد يعتد به الا منهم ، ويعلمون أيضا
ان النفقات قد زادت ، وان كل شيء صار يشتري بالنقد ، فترجو من مروءتهم العالية
ان يتفضلوا بأداء ما عليهم من قيمة الاشتراك فيكون حل الفضل لهم باستمرار
هذه الخدمة للإسلام والانسان ، وقد دفعنا هذه الحاجة الى تذكير من لم يدفعوا
للمنار شيئا مما عليهم منذ عشر سنين أو أقل أو أكثر ، فمنهم من بادر الى أداء جميع
ما عليه ، ومنهم من جعله أقساطا ، ومنهم من مظل ولوى ، ومن أعرض بجانبه
ونأى ، وسنبين أحوال هؤلاء الناس في المقالة التي وعدنا بها في تعليقنا على الرسالة
المنشورة قبل هذه الخاتمة

ولم يرد علينا في هذه السنة نقد على المنار ولا نزال نطالب القراء بان يعاهدونا
بالنصيحة ، والحمد لله أولا وآخرا